بعدما كان ميتا في الشباب ومن الله نرجو جزيل الفيض والعطاء

الجزء السابع والعشرون

(قال) ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر (فما خطبكم) اى شأنكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة فان الخطب يستعمل فى الامر العظيم الذى يكثر فى المخاطب وقلما يعبر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا والفاء فيه للتعقيب المتفرع على العلم بكونهم ملائكة (ايها المرسلون) اى فرستاده شدكان (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) متمادين فى اجرامهم وآثامهم مصرين عليها وفى فتح الراء من المجرم فاعل الجرائم وهى صعاب المعاصى والمراد بهم قوم لوط (لنرسل عليهم) اى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة (حجارة من طين) اى طين متحجر وهو ما طبخ فصار فى صلابة الحجارة وهو السجيل يعنى ان السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها اسماء القوم ولو لم يقل من طين لتوهم ان المراد من الحجارة البرد بقرينة ارسالها من السماء فلما قيل من طين اندفع ذلك الوهم (مسومة) مرسلة من سومت الماشية اى ارسلتها لترعى لعدم الاحتياج اليها قال سعدى المفتى فيه ان الظاهر حينئذ من عند ربك باثبات من الجارة انتهى او معلمة للعذاب من السومة وهى العلامة او معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها ويهلك (عند ربك) فى خزائنه التى لا يتصرف فيها غيره تعالى (للمسرفين) اى المجاوزين الحد فى الفجور اذ لم يقنعوا بما اتيح لهم من النسوان للحرث بل اتوا الذكران وعن ابن عباس اى للمشركين فان الشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا) الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فأسر باهلك الخ فهو اخبار من الله وليس بقول جبريل (قال الكاشفى) چون ابراهيم معلوم فرمودكه بمؤتفكه مى روند بهلاك كردن قوم لوط دل مبارك بجهت برادرزاده متألم شدكه آيا حال او دران بلا چگونه كذرد ملائكه كفتند غم مخوركه لوط عليه السلام ودختران اورا نجات خواهند يافت وذلك قوله تعالى فاخرجنا (من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط وهى خمس على ما فى تفسير الكاشفى واضمارها بغير ذكرها لشهرتها (من المؤمنين) من آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت) اى غير اهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه واما امرأته فكانت كافرة واليه الاشارة (بقول الشيخ سعدى) بابدان بار كشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وكفته اند يك كس ازان قوم بلوط ايمان آورده بود ودر مدت بيست سال قال العلماء يأتى النبى يوم القيامة ومعه امته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخرا ستتبع ولم يتبع ودعا فلم يجب وذلك لاتيانه فى الوقت الشديد الظلمة وفى الآية اشارة الى ان المسلم والمؤمن متحدان صدقا وذاتا لا مفهوما والمسلم اعم من المؤمن فانه ما من مؤمن الا وهو مسلم من غير عكس والعام والخاص قد يتصادقان فى مادة واحدة وقال بعضهم الايمان هو التصديق بالقلب اى اذعان الحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان وهذا حقيقة التصديق كما لا يخفى على من له ادنى عقل وتأمل وانكار ذلك مكابرة (وتركنا فيها) اى فى تلك القرى (آية) علامة دالة على ما اصابهم من العذاب هى تلك الحجارة او ماء اسود منتن خرج من ارضهم (للذين يخافون العذاب الاليم) اى من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية كما شاهدنا اكثر الحجاج حين المرور بمدائن صالح عليه السلام وكان عليه السلام يبكى حين المرور بمثل هذه المواضع وينكس رأسه ويأمر بالبكاء والتباكى ودلت الآية على كمال قدرته تعالى على انجاء من يؤيد دينه والانتقام من اعدائه ولو بعد حين وعلى ان المعتبر فى باب النجاة والحشر مع اهل الفلاح والرشاد هو حبهم وحسن اتباعهم وهو الاتصال المعنوى لا الاختلاط الصورى والا لنجت امرأة نوح ولوط وقد قال تعالى فى حقهما ادخلا النار مع الداخلين فعلى العاقل باتباع الكامل والاحتراز عن اهل الفساد والقصور سيما الناقصات فى العقل والدين والشهادة والميراث والنفسانية والشيطانية غالبة فيهن فاذا اقترن بمثل آخر فسدن وفى الآية اشارة الى ان القوم المجرمين المسرفين هم النفس وصفاتها

الذمية والاذكار والاوراد والمجاهدات والرياضات مهلكة للنفس واوصافها وليس في مدينة الشخص الانساني من المسلمين الا القلب السليم واوصافه الحميدة فهي سالمة من الهلاك واذا هلكت النفس واوصافها بماذكر يكون تزكيتها وتهذيب اخلاقها آية وعبرة للذين يخافون العذاب الاليم بوعيد قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم هذه التزكية وان كان حصولها في الخارج بالاسباب والوسائط لكنها في الحقيقة فضل من الله سبحانه والا لنالها كل من تشبث بالاسباب نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من اهل النفوس المطمئنة الراضية المرضية الصافية (وفي موسى) عطف على قوله وفي الارض آيات للموقنين قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيبهم ووعده باهلاك اعدآئه الافاكين كما اهلك قوم لوط او على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في ارسال موسى الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء باردا والاققوله في موسى لايصح كونه معمولا لتركنا اذ لا يستقيم ان يقال تركنا في موسى آية كما يصح ان يقال تركنا في تلك القرية آية لان الترك ينبو عن الابقاء فاذا لم يبق موسى كيف يبقى ما جعل فيه (اذ ارسلناه) منصوب بآية محذوفة اى كائنة وقت ارسالنا وعلى الثاني ظرف لجعلنا المقدر (الى فرعون) صاحب مصر (بسلطان مبين) هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء وغيرهما والسلطان مصدر يطلق على المتعدد (فتولى بركنه) اى ثنى عطفه وهو كناية عن الاعراض اى فاعرض عن الايمان به وازور فالتولي بمعنى الاعراض والباء في بركنه للتعدية كما في قوله ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بمعنى بعد فيكون الركن بمعنى الطرف والجانب والمراد بهما نفسه فانه كثيرا ما يعبر بطرف الشئ وجانبه عن نفسه وفي الصحاح ركن الشئ جانبه الاقوى كالمنكب بالنسبة الى الانسان وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الانسان وليكن من مال وجند وقوة فالركن مستعار لما نوده تشبيها لهم بالركن الذي يتقوى به البنيان وعلى هذا الباء للسببية او للملابسة والمصاحبة (وقال) هواى موسى (ساحر) جادوست بچشم بندى خوارق عادات ميمايد (او مجنون) اودیوانه است عاقبت كار خود نمى انديشد والمجنون ذو الجنون وهو زوال العقل وفساده كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو اذ نسبوه اليهما جميعا كقوله الى مائة الف او يزيدون محققان كفته اند طعن وى بر موسى دليل كمال جهل اوست چه او راييد وچيز متضاد طعن زد ومقرر ست كه سحر را عقلى تمام وذهنى دراك وحذاقتى وافر بايد ودیوانكى دليل زوال عقلست وكمال عقل وزوال ان ضدانند (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به اى فطرحناهم في بحر القلزم مع كثرتهم كما يطرح احدكم فيه حصيات اخذهن في كفه لا يبالي بها وبزوالها عنه (وهو مليم) اى اخذناه والحال انه آت بما يلام عليه صغيرة او كبيرة اذ كل صاحب ذنب ملوم على مقدار ذنبه (قال الكاشفي) مليم مستحق ملامت بود يا ملامت كنند خود را كه چرا اعراض كردم از موسى و بر وطعنه زدم وبدين سبب گفت امنت انه الخ * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وگرهيچ كس را نيايد پسند * كه فردا يشيمان برآرد خروش * كه آوخ چرا حق نكردم بكوش * وفي الآية اشارة الى موسى القلب اذا ارسله الله الى فرعون النفس بسلطان وهو عصا لا اله الا الله مبين انجازها بان تلقف ما يأفكون من سحر تمويهات سحرة صفات فرعون النفس فاعرض عن رؤية الانجاز والايمان بجميع صفاته فاهلكه الله في يم الدنيا والقهر والجلال ونعوذ بالله من غضب الملك المتعال وقد كان ينسب موسى القلب الى السحر او الجنون فان من خالف احدا فهو عنده مجنون وليس موسى القلب مجنونا بل مجذوبا والفرق بينهما ان المجنون ذهب عقله باستعمال مطعوم كوفى او غير ذلك والمجذوب ذهل عقله لما شاهد من عظم قدرة الله تعالى فعقله محبوه عند الحق منهم بشهوده عاكف بحضرته متنزه في بحاله فهم اصحاب عقول لا عقول وهم في ذلك على ثلاث مراتب منهم من يكون وارده اعظم من القوة التي يكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحت تصرف الحال ولا تدبير له في نفسه ما دام في ذلك الحال ومنهم من يسلب عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويسمى هذا من عقلاء المجانين لتناوله العيش الطبيعي

كسائر الحيوانات ومنهم من لا يدوم له حكم الوارد فيزول عنه الحال فيرجع الى الناس بعقله فيدبر امره ويعقل ما يقول ويقال له ويتصرف عن تدبير ورويه مثل كل الانسان وذلك هو صاحب القدم المحمدى فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن نفسه عند نزول الوحى ثم يسرى عنه فيلقى ما اوحى به اليه على الحاضرين واعلم ان المجاذيب لا يطالبون بالاداب الشرعية لذهاب عقولهم لما طرأ عليها من عظيم امر الله تعالى هركه كرداز جام حق يكبرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة وحالهم فى الدنيا حكم الحيوان ينال جميع ما يطلب حكم طبيعته من اكل وشرب ونكاح من غير تقييد ولا مطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كما تكشف البهائم وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يحور ويقول قد موفى ان كان سعيدا ويقول اين تذهبون بى ان كان شقيا فذاهب العقل معدود فى الاموات لذهاب عقله معدود فى الاحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضى الله عنهم واكثر المجانين من غلبة المكاشفات والمشاهدات يعنى انهم يكاشفون الامور الغيبية والاحوال الملكوتية ويشاهدون ما خفى عن اعين العامة وذلك من غير سبق المجاهدة منهم فبذلك يخرجون عن دائرة العقل اذ لا يعقلون الفتح الغيبى لعدم تهيئهم قبله ثم يتعسر ادخالهم فى دائرة العقل الا ان اراد الله تعالى ذلك فالمقبول البقاء على العقل وان يكون المرء غالبا على حاله لا ان يكون الحال غالبا والاول من احوال اهل النهاية والثانى من احوال اهل البداية والله الغالب على امره (وفى عاد) اى وفى قوم هود آيات ان كان معطوفا على وفى الارض او وجعلنا فيهم آية على تقدير كونه معطوفا على قوله وتركنا فيها آية (اذ ارسلنا عليهم) اى على انفسهم اصالة وعلى دورهم واموالهم وانعامهم تبعا (الريح العقيم) العقم بالضم هزمة تقع فى الرحم فلا تقبل الولد كما فى القاموس وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم فالعقيم بمعنى المعقم او العاقم وفيه استعارة تبعية شبه اهلاكهم وقطع دابرهم باعقام النساء التى لا يلدن ولا يعقبن ثم اطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم اووصفت به لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او لقاح شجر يعنى شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة ثم اطلق عليه فالعقيم بمعنى الفاعل من اللازم وفى بحر العلوم ولعله سماها عقيما لانها كانت سبب قطع الارحام من الولادة باهلاكها اياهم وقطعها دابرهم وهى من رياح العذاب والهلاك وهى النكباء على قول على رضى الله عنه وهى التى انحرفت ووقعت بين ريحين او بين الصبا والشمال وهى الدبور على قول ابن عباس رضى الله عنهما ويؤيده قوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهى ريح تقابل الصبا اى ريح تجيء من جانب المغرب فان الصبا تجيء من جانب المشرق وقال ابن المسيب الريح العقيم هى الجنوب مقابل الشمال وهى ريح تجيء من شمال من يتوجه الى المشرق (ما تذر) اى ما تترك يقال ذره اى دعه يذره تركا ولا تقل وذرواو اصله وذره يذره نحو وسعه يسعه لكن نا نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل (من شئ اتت عليه) اى جرت عليه من انفسهم ودورهم واموالهم وانعامهم (الا جعلته كالرميم) كالشئ البالى المتفتت فهو كل مارم وبلى وتفتت من عظم اونبات اوغير ذلك وبالفارسية مثل كياه خشك يا استخوان كهنه شده ريزيده وفى القاموس رم العظم يرم رمة بالكسر ورما ورميما وارم بلى فهو رميم وفى المفردات الرمة بالكسر تختص بالعظم والرمة بالضم الحبل البالى والرم بالكسر بالفتات من الخشب والحشيش والتبن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما ارسل على عاد من الريح الا مثل خاتمى هذا يعنى ان الريح العقيم تحت الارض فاخرج منها مثل ما يخرج من الخاتم من الثقب فاهلكهم الله به وفيه اشارة الى شدة تلك الريح واشير بكونها تحت الارض الى ريح الهوى التى تحت ارض الوجود فهى ايضا شديدة جدا فانها حيث هبت تركت الديار بلاقع وايضا هى ريح جلال الله تعالى وقهره فانها اذا هبت تميت النفوس عن اوصافها فلا يبقى منها شئ فالعقيم فى بر الجسد والعاصف والقاصف فى بحر الروح وكان عليه السلام يتعوذ بالله تعالى حين هبت الرياح الشديدة فلينعوذ العاقل من المهلكات فانه اذا هلكت النفس بالهلاك الصورى قبل الكمال خسرت التجارة وكذا اذا هلك القلب فان حياة المرء حينئذ لا فائدة فيها سؤال كردند از حسن بصرى رحمه الله كه يا شيخ دلها ما خفته است سخن تو در وى كار واثر نمى كند چه كنم كفت كاشكى خفته بودى كه خفته را بجنبانى بيدار شود اما دلهاء شما مرده است كه هر چند مى جنبانى بيدار نمى كردد (قال المولى الجامى) اى بمهد بدن چو طفل صغير *

ماند در دست خواب غفلت اسیر * پیش ازان کت اجل کند بیدار * کز خردی ز خواب سر بردار *

قال محمد بن حامد رحمه الله وکان یالسباعة عند احمد بن حنبل وهو فی النزع وقد ابقی علیه خمس وتسعون سنة هوذا یفتح فی الساعة لاادری ایفتح بالسعادة ام بالشقاوة وعن خلف بن سالم رحمه الله قال قلت لابی علی بن المعتوه این مأواك قال دار یستوی فیها العزیز والذلیل قلت واین هذه الدار قال المقابر قلت اما تستوحش فی ظلمة اللیل قال انی اذکر ظلمة اللحود ووحشتهن فتهون علی ظلمة اللیل قلت له فربما رأیت فی المقابر شیأ تنکره قال ربما ولکن فی هول الآخرة ما یشغل عن هول المقابر ووجد مکتوبا علی بعض القبور

مقیم الی ان یبعث الله خلقه * لقاؤك لا یرجی وانت قریب

یزید بلاء کل یوم ولیلة * ویبلی کما تبلی وانت حبیب

(وفی ثمود) ای وفی قوم صالح آیات او وجعلنا فیهم آیة (اذ قیل لهم تمتعوا) ای انتفعوا بالحیاة الدنیا (حتی حین) الی وقت نزول العذاب وهو آخر ثلاثة ایام الاربعاء والخمیس والجمعة فانهم عقروا الناقة یوم الاربعاء وهلکوا بالصیحة یوم السبت وقد فسر بقوله تمتعوا فی داارکم ثلاثة ایام قیل قال لهم صالح علیه السلام تصبح وجوهکم غدا مصفرة وبعد غد محمرة والیوم الثالث مسودة ثم یصبحکم العذاب فکان کذلك وانما تبدلت الوانهم بما ذکر لانهم کانوا کل یوم فی الترقی الی سوء الحال ولاشك ان الابیض یصیر اصفر ثم احمر ثم اسود والسواد من الوان الجلال والقهر وابیضالون جهنم فانها سود آء مظلمة فعند الهلاك صاروا الی لون جهنم لانها سقرهم ونعوذ بالله منها (فعتوا عن امر ربهم) ای فاستکبروا عن الامتثال به وبالفارسیة پس سر کشیدند از فرمان آفرید کار خود وبتدارك کار خود مشغول نکشتند یقال عتا عتوا وعتیا وعتیا استکبر وجاوز الحد فهو عات وعتی وامر ربهم هو ما امر وابه علی لسان صالح علیه السلام من قوله اعبدوا الله وقوله فذروها تأکل فی ارض الله اوشأن ربهم وهو دینه اوصدر عتوهم عن امر ربهم وبسببه کان امر ربهم بعبادته وترك الناقة کان هو السبب فی عتوهم کما فی بحر العلوم والفاء لیس للعطف علی قیل لهم فان العتو لم یکن بعد التمتع بل قبله وانما هو تفسیر وتفصیل لما اجمله فی قوله وفی ثمود الخ فانه یدل اجمالا علی انه تعالی جعل فیهم آیة ثم بین وجه الآیة وفصلها قال فی شرح الرضی ان الفاء العاطفة للجمل قد تفید کون المذکور بعدها کلاما مرتبا علی ما قبلها فی الذکر لان مضمونها عقیب مضمون ما قبلها فی الزمان (فأخذتهم الصاعقة) قیل لما رأوا العلامات التی بینها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسوادادها عمدوا الی قتله علیه السلام فنجاه الله الی ارض فلسطین ولما کان غدوة الیوم الرابع تحنطوا وتکفنوا بالانطاع فاتتهم صیحة جبریل علیه السلام کما صرح بها فی قوله واخذ الذین ظلموا الصیحة فهلکوا فالمراد بالصاعقة الصیحة لا حقیقتها وهی نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته وقیل اتتهم صیحة من السماء فیها صوت کل صاعقة وصوت کل شیء فی الارض فتقطعت قلوبهم فی صدورهم وقال بعضهم اهلکوا بالصاعقة حقیقة بان جاءت نار من السماء فاهلکتهم جمیعا (وهم ینظرون) الیها ویعاینونها لانها جاءتهم معاینة بالنهار فینظرون من النظر بالعین وفیه ترجیح لکون المراد بالصاعقة حقیقة النار لانها حین ظهرت رأوها باعینهم والصیحة لا ینظر الیها وانما تسمع بالاذن والظاهر ان الصاعقة لا تنافی ان یکون معها صیحة جبریل وقیل هو من الانتظار ای ینتظرون ما وعدوا به من العذاب حیث شاهدوا علامات نزوله من تغیر الوانهم فی ثلاث الایام ویقال سمعوا الصیحة وهم ینظرون ای یتحیرون (فما استطاعوا من قیام) کقوله تعالی فاصبحوا فی دارهم جاثمین ای لاصقین بمکانهم من الارض لا یقدرون علی الحرکة والقیام فضلا عن الهرب فالقیام ضد القعود (وما کانوا منتصرین) بغیرهم کما لم یمتنعوا بانفسهم قال فی تاج المصادر الانتصار داد بستدن (وقوم نوح) ای واهلکنا قوم نوح فان ما قبله یدل علیه ویجوز ان یکون منصوبا باذکر المقدر (من قبل) ای من قبل هؤلاء المهلکین (انهم کانوا قوما فاسقین) خارجین عن الحدود فیما کانوا فیه من الکفر والمعاصی وهو علة لاهلاکهم واعلم ان الله تعالی قد ارسل الرسل وشرع الشرائع وحد الحدود فمتی تعدیت الحد الذی حده الشارع صرت فاسقا واطعت الشیطان وتنحی عنك عند العصیان الملك المؤید للمؤمنین فاذا وکل العبد الی نفسه والی الشیطان فقد هلك وکل نار وعذاب وبلاء فانما یأتی من الداخل لا من الخارج اذ لا خارج من وجود الانسان فالعذاب صورة اوصافه وافعاله واخلاقه عادت الیه حین عصی الله تعالی وکذا الثواب صورة ذلك

عادت اليه حين اطاع الله تعالى فان قلت كل ذلك اذا كان من احوال العين الثابتة للعبد فكل عبد فانما يمر على طريقه في الهداية والضلالة فامعنى دعوة الانبياء وارشاد الاولياء قلت تلك الدعوة ايضا من احوال اعيان المدعوين بخلاف المخالفين وان كان من التجلي لكن حقائق الانبياء اقتضت التجلي بموافقة التجلي من وجه والرد عليه من آخر فكان امرهم حيرة فلو كانوا يخدمون التجلي مطلقا لما ردوا على احد فاذا ورد الامر التكليفي فاما ان يوافقه الامر الارادي اولا فان وافقه فالمكلف منتقل من دآئرة الاسم المضل الى دآئرة الاسم الهادي وذلك الانتقال من احوال عينه وان لم يوافقه فمعنى التكليف انه من احوال عينه ولابد وايضا فيه تمييز الشقي من السعيد وبالعكس فاعرف هذه الجملة تسعد واجتهد حتى ينتقلك الله من دآئرة الاجانب الى دآئرة الاحباب ولا تغتر بكثرة الدنيا وطول العمر كما فعل الكفار والفساق حتى لا يحل بك ما حل بهم من الصاعقة والطوفان مع ان صاعقة الموت وطوفان الحوادث لابد وان تحل بكل احد بحيث لا يستطيع القيام من مكانه فيموت في مقامه قال الشيخ سعدي في البستان * كهن سالي آمد بنزد طبيب * زناليدنش تا بمردن قريب * كه دستم برك برنه اي نيك راي * كه پايم همي برنيايد زجاي * بدان ماند اين قامت جفته ام * كه كوبي بكل در فرو رفته ام * بدو گفت دست از جهان در گسل * كه پايت قيامت برايد زكل * نشاط جواني زپيران مجوي * كه آب روان بازنايد بجوي * اگر در جواني زدي دست و پاي * درايام پيري بهش باش وراي * چو دوران عمر از چهل در گذشت * مزن دست و پا گابت از سر گذشت * نشاط از من انگه رميدن گرفت * كه شام سپيده دميدن گرفت * بيايد هوس كردن از سر بدر * كه روز هوسبازي آمد بسر * بسبزي بگاتازه گردد دلم * كه سبزه بخواهد دميد از كلم * تفرج كنان در هوا و هوس * گذشتيم برخال بسيار كس * كسانيكه ديگر بغيب اندراند * بيايند و برخاك ما بگذرند * دريغا كه فصل جواني برفت * بلهو و لعب زندگاني برفت * دريغا چنين روح پرور زمان * كه بگذشت برما چو برق يمان * زسودای آن پوشم واين خورم * نپرداختم تا غم دين خورم * دريغا كه مشغول باطل شديم * زحق دور ماندیم وغافل شديم * چه خوش گفت با كودك آموزگار * كه كاري نكرديم وشد روزگار * اي ضاع زماننا ومضى بلا فائدة (والسماء بنيناها) نصب السماء على الاشتغال اي وبنينا السماء بنيناها حال كونها ملتبسين (بايد) اي بقوة فهو حال من الفاعل او ملتبسة بقوة فيكون حالا من المفعول ويجوز ان يكون الباء للسببية اي بسبب قدرتنا فتتعلق ببنيناها لا بالمحذوف والقوة هنا بمعنى القدرة فان القوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك والقدرة هي الصفة التي بها يتمكن الحي من الفعل وتركه بالارادة (قال الكاشفي) بقوت الوهيت وگفته اند بقدرتي برآفرينش داشتيم يقال آد يئيد ايدا اي اشتد وقوي قال في القاموس الآد الصلب والقوة كالايد وآيده تأييدا وايدته تأييدا فهو مؤيد قويته انتهى قال الراغب ولما في اليد من القوة قيل انا ايدك وايدتك قويت يدك (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق قال في تاج المصادر الايساع توانگر شدن وتمام فراخ سيدن ويقال اوسع الله عليك اي اغناك انتهى فيكون قوله وانا لموسعون حالا مؤكدة او تذييلا اثباتا لسعة قدرته كل شئ فضلا عن السماء او لموسعون السماء اي جاعلوها واسعة او ما بينها وبين الارض او الرزق على خلقنا لقوله تعالى وفي السماء رزقكم وفيه اشارة الى ان وسعة البيت والرزق من تجليات الاسم الواسع (والارض) اي وفرشنا الارض (فرشناها) مهدناها او بسطناها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ليستقروا عليها ويتقلبوا كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده (فنعم الماهدون) اي نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف اي هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير ان يقوم شئ مقامهما وقد اختلف القدماء في هيئة الارض وشكلها فذكر بعضهم انها مبسوطة مستوية السطح في اربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون انها كهيئة المائدة ومنهم من زعم انها كهيئة الطبل وذكر بعضهم انها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وان السماء مركبة على اطرافها وزعم قوم ان الارض مقعرة وسطها كالجام والذي عليه الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة

بمنزلة الارض وبياضها بمنزلة السماء وجلدها بمنزلة السماء الاخرى غير ان خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الطرفين حتى قال منهندسوهم لو حفر في الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر والثقب مثلا ثقب بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين واختلف في كمية عدد الارضين فروى في بعض الاخبار ان بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام حتى عد بعضهم لكل ارض اهلا على صفة وهيئة عجيبة وسمى كل ارض باسم خاص كما سمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم ان في الارض الرابعة حيانا هل النار وفي الارض السادسة حجارة اهل النار وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال في كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة في كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على الجادورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لا على المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يقول سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي ويزعم بعضهم ان الارض مقسومة خمس مناطق وهي المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى واختلفوا في مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة قال الدنيا اربعة وعشرون الف فرسخ ثلث السودان منها اثنا عشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقال بطليوس بسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فتكون مائتي الف وثمانية وثمانين الف فرسخ فان كان حقا فهو وحي من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب من الحق ايضا واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به كذا في فريدة العجائب (ومن كل شئ) اي من اجناس الموجودات فالمراد بالشئ الجنس وقيل من الحيوان (خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والانثى والسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والانس والجن والنور والظلمة والابيض والاسود والدنيا والآخرة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحياة والرطب واليابس والجامد والنامي والمدر والنبات والناطق والصامت والحلم والقهر والجود والبخل والعز والذلة والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والعصمة والسقم والغنى والفقر والضحك والبكاء والفرح والغم والفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف والحرارة والبرودة وهلم جرا قال الراغب يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى في الحيوان المتزاوج زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا زوج وفي قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين تنبيه على ان الاشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة وان لا شئ يتعرى منها اذ الاشياء كلها مركبة من تركيب يقتضي كونه مصنوعا وانه لا بد له من صانع تنبيها على انه تعالى هو الفرد فبين بقوله ومن كل شئ الخ ان كل ما في العالم فانه زوج من حيث ان له ضدا تاما او مثلا تاما او تركيبا تاما بل لا ينفك من وجه من تركب واتما ذكر ههنا زوجين تنبيها على انه وان لم يكن له ضد ولا مثل فانه لا ينفك من تركيب صورة ومادة وذلك زوجان قال الخراز قدس سره اظهر معنى الربوبية والوحدانية بان خلق الازواج ليخلص له الفردانية (لعلكم تذكرون) اي فعلنا ذلك كله من البناء والفرش وخلق الازواج كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وبالفارسية باشدكه شما پند پذير شويد ودانيدكه وحدانيت از خواص ممكنات نيست ومن واجب بالذات وواجب قابل تعدد وانقسام نيست * ذاتش از قسمت وتعدد پاك * وحدت اومقدس از اشراك * از عدد دم مزن كه او فردست * كي عدد بهر فرد در خوردست * احدست وشمار از و معزول * صمدست وتبار از و محذول * وفيه اشارة الى انه تعالى خلق لكل شئ من عالم الملك وهو عالم الاجسام زوجا من عالم الملكوت وهو عالم الارواح ليكون ذلك الشئ الجسماني قائما بملكوته وملكوته قائما بيد القدرة الالهية لعلكم تذكرون انكم بهذا الطريق جئتم من الحضرة وبهذا الطريق ترجعون الى الله

سبحانه (فروا الى الله) اى قل لقومك يا محمد اذا كان الامر كذلك فاظهروا الى الله الذى هو منشؤه بالايمان والطاعة كى تفوزوا من عقابه وتفوزوا بثوابه يعنى ان فى الامر بالايمان وملازمة الطاعة بلفظ الفرار تنبيها على ان ورآء الناس عقابا يجب ان يفروا منه قال بعض الحكماء يا ايها الذين فروا من الله بتعلقات الكونين فروا بانبعث الشوق والمحبة والتجرد الى الله بقطع التعلقات عن الوجود وما سوى الله تعالى سبحانه ومن صح فراره الى الله صح قراره مع الله وايضا ففروا منه اليه حتى تفنوا فيه فان الحادث لا يثبت عند رؤية القديم وقال سهل رضى الله عنه ففروا مما سوى الله تعالى الى الله ومن المعصية الى الطاعة ومن الجهل الى العلم ومن العذاب الى الرحمة ومن سخطه الى رضوانه وقال محمد بن سماعة رحمه الله حقيقة الفرار ما روى عن النبى عليه السلام انه قال واجأت ظهرى اليك وما روى عنه فى حديث عائشة رضى الله عنها واعوذ بك منك فهذه غاية الفرار منه اليه وقال الواسطى رحمه الله ففروا الى الله معناه ما سبق لهم من الله تعالى الى علمهم وحركاتهم وانفسهم وسئل بعضهم عن قول النبى عليه السلام سافروا تصحوا قال سافروا الينا تجدونا فى اول قدم ثم قرأ ففروا الى الله * هيچكس در قونيا وبخت كه از خود نكريخت * هيچكس باتونه پيوست كه از خود نبريد * وفى كشف الاسرار فرار مقامى است از مقامات روند كان ومنزلى از منازل دوستى كسى را كه اين مقام درست شود نشانش آنست كه همه نفس خود غرامت بيند همه سخن خود شكايت بيند همه كردة خود جناية بيند اميد از كردار خود ببرد وبر اخلاص خود تهمت نهد وا كر دولتى آيد در راه وى از فضل حق بيند واز حكم ازل نه از بهد وكردار خود وهذا موت عن نفسه وهمه خلق زنده از مرده ميراث برد مكر اين طائفه كه مرده از زنده ميراث برد وفى الحديث من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى ابى بكر (انى لكم منه نذير مبين) اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى بالمعجزات الباهرة او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفى امره للرسول عليه السلام بان يأمرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار نفسه كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او تقولوا الها آخر (انى لكم منه) اى من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) وفيه تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه قال فى برهان القرآن الاول متعلق بترك الطاعة والثانى متعلق بالشرك بالله فلا تكرار وفى التأويلات النجمية ولا تجعلوا مع الله فى المعرفة بوحدانيته الها آخر من النفوس والهوى والدنيا والآخرة فتعبدونها بالميل اليها والرغبة فيها فان التوحيد فى الاعراض عنها وقطع تعلقاتها والفرار الى الله منها لان من صح فراره الى الله صح قراره مع الله وهذا كمال التوحيد انى لكم نذير مبين اخوفكم اليم عقوبة البعد وعذاب الاثنينية اذا اشركتم به فى الوجود فانه لا يغفر ان يشرك به (كذلك) اى الامر وهو امر الامم السالفة بالنسبة الى رسلهم من ماذكر من تكذيب قريش ومشركى العرب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم له ساحرا او مجنونا ثم فسره بقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول) من رسل الله (الا قالوا) فى حقه هو (ساحر او مجنون) يعنى اكر معجزه بديشان نمود عمل او را سحر خواندند واكر از بعث وحشر خبر داد قول او را بسخن اهل جنون تنبيه كردند اى فلا تأس على تكذيب قومك اياك (اتواصوا به) انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تفرق ازمانهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها فى حق الانبياء اى أأوصى الاولون الآخرين بعضهم بعضا بهذا القول حتى اتفقوا عليه (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك لبعد الزمان وعدم تلاقيهم فى وقت واحد واثبات لكونه امرا اقبح من التواصى واشنع منه وهو الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم وفيه اشارة الى ان ارباب النفوس المتمردة من الاولين والآخرين مركوز فى جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والاباء والاستكبار فما اتاهم رسول من الانبياء فى الظاهر او من الالهامات الربانية فى الباطن الا انكروا عليه وقالوا ساحر يريد ان يسحرنا او مجنون لا عبرة بقوله كان بعضهم اوصى بعضهم بالتمرد والانكار

والجود لانهم خلقوا على طبيعة واحدة بل هم قوم طاغون بانهم وجدوا اسباب الطغيان من البسعة والتنعم والبطر والغنى قال الشاعر

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

فعكسوا الامر وكان ينبغى لهم ان يصرفوا العمر والشباب والغنى فى تحصيل المطلوب الحقيقى (كما قال الحافظ)

عشق وشباب ورندى مجموعة مرادست * چون جمع شد معانى كوى بيان توان زد (فتول عنهم)

فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء والاستكبار وبالفارسية پس روى بكردان ازمكافات ايشان تاوقتى كه مأمور شوى بقتال وفى فتح الرحمن فتول عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات وقال الواسطى ردهم الى ماسبق عليهم فى الازل من السعادة والشقاوة (فما انت بملوم) على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود واللوم والملامة العذل وبالفارسية نكوهيدن وقال بعض الكبار فتول عنهم فانك لا تهدى من احببت منهم فما انت بملوم بالعجز عن هدايتهم لانك مبلغ وليس اليك من الهداية شئ وقال بعضهم بسبرك الينا فما انت بملوم فى ابلاغ رسالتك واشتغالك فى الظاهر بهم واعلامهم باسباب نجاتهم فانت مستقيم لا يحجبنك ابلاغ الرسالة عن شهود العين (وذكر) اى افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالكلية او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) اى الذين قدر الله ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين يعنى بعناد كافران وجحود ايشان دست از تربيت مسلمانان بازمدار وهمچنان بر تذكير خود ثابت باش كه وعظ را فوائد بسيار ست ومنافع بى شمار فان النصيحة تلين القلوب القاسية وفى الحديث (ما من مؤمن الا وله ذنب قد اعتاده او فينة بعد فينة) اى الساعة بعد الساعة والحين بعد الحين (ان المؤمن خلق مفتونا ناسيا فاذا ذكر ذكر) وقال بعضهم ذكر المطيعين جزيل ثوابى وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائى وقال بعضهم ذكر القاصين منهم عقوبتى ليرجعوا عن مخالفة امرى وذكر المطيعين جزيل ثوابى ليزدادوا طاعة وعبادة لى وذكر المحبين ما شاهدوا من انوار جمالى وجلالى فى الغيب وغيب الغيب ليزيدوا فى بذل الوجود وطلب المفقود ودر فصول آورده كه كلام مذكر بايد كه برده خير مشتمل باشد تا سامعان را سود مند بود اول نعمت خداى بايادمردم دهد تا شكر گزارى نمايند دوم ثواب محنت وبلا ذكر كند تا دران شكيبايى ورزند سوم عقوبت كناهان برشمرد تا ازان باز ايستند وتوبه كنند چهارم مكائد ووساوس شيطانى بيان فرمايد تا از آن حذر نمايند بنجم فنا وزوال دنيا برايشان روشن گرداند تا دل درونه بندند ششم مركرا پيوسته ياد كند تا رقتى را آماده شوند هفتم قيامت را آماده وذكر آن بسيار كويد تا كار آنروز بسازند هشتم دركات دوزخ وانواع عقوبتها آن بيان كند تا از آن بترسند تهم درجات بهشت واقسام نعمتها آنرا برشمارد تا بدان راغب كردند دهم بناى كلام برخوف ورجا نهد يعنى كاهى از عظمت وكبريا وهيبت الهى سخن راند تا ازوى بترسند ووقتى از رحمت ومغفرت ومهربانى او تقرير كند تا وى اميدوار شوند پس هر موعظه كه مشتمل برين سخنانست منفعت مؤمنانست خصوصا اذا كان المذكر عاملا بما ذكرهم به غير ناس نفسه فان تأثير ما شد من تأثير تذكير الغافلين عالم كه كامرانى وتن پرورى كند * اوخويشتن كم است وكرا رهبرى كند * وانما قلنا من تأثيره فانهم قالوا مرد بايد كه كير داند ركوش * ورنوشتست پند بر ديوار * فلا كلام الا فى الاستعداد والتهيؤ للاستماع ولذا قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) قرأ يعقوب ليعبدونى وكذا يطعمونى ويستحملونى كما سيأتى باثبات ياء المتكلم فيهن وصلا ووقفا وحذفها الباقون فى الحالين والعبادة ابلغ من العبودية لان العبودية اظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال قال بعض الكبار العبادة ذاتية للمخلوق لانها ذلة فى اللغة العربية وانما وقع التكليف بالافعال المخصوصة التى هى العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويتخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها اتم استعداد ومتمكنين منها اكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة

مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لافضائه الى استكماله بفعل وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العباد عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتأخر المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره كذا في الارشاد قال سعدي المفتي فاللام حينئذ على حقيقتها فتأمل انتهى والحاصل ان قوله الا ليعبدون اثبات السبب الموجب للخلق فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا قال المولى رمضان في شرح العقائد واستكماله تعالى بفعل نفسه جائز بل واقع فانه تعالى حين اوجد العالم قد استكمل بكمال الموجدية والمعروفية على ما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون وهو كمال اضافي يجوز الخلو عنه انتهى مقصود الهي از همه كمال جلا واستجلاست كه در انسان كامل جمعا وتفصيلا بظهور آمد ودر عالم تفصيلا فقط سؤال طلب اين مقصود نه استكمالست كه مستدعي سبق نقصانست چنانكه اهل كلام ميكويند كه افعال الله معلل باغراض نشايد بودن جواب آنچه محذورست استكمال بغيراست واين استكمال بصفات خوداست نه بغير كذا في تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره وكذا قال في بعض شروح الفصوص ان للحق سبحانه كمالا ذاتيا وكمالا اسمائيا وامتناع استكماله بالغير انما هو في الكمال الذاتي لا الاسمائي فان ظهور آثار الاسماء ممتنع بدون المظاهر الكونية انتهى (قال المولى الجامي) وجود قابل شرط كمال اسمائيست * وكرنه ذات نباشد بغير مستكمل (وقال ايضا) اي ذات رفيع تو نه جوهر نه عرض * فضل وكرمت نيست معلل بغرض * يعني حق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي از وجود عالم وعالميان مستغنيست كما قال تعالى والله هو الغني وچون ظهور كمال اسمائي موقوفست بر وجود اعيان ممكنات پس آنرا ايجاد كرد * تا خود كردد بجمله اوصاف عيان * واجب باشد كه ممكن آيد بميان * ورنه بكمال ذاتي از آدميان * فردست وغني چنانكه خود كرد بيان * والاشاعرة انكروا صحة توجيه تعليل افعال الله تعالى معنى وان كان واقعا لفظا تمسكا بان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لانه تعالى قادر على ايصال تلك المنفعة من غير توسيط العمل فلا يصلح ان يكون غرضا فعندهم لام التعليل يكون استعارة تبعية تشبيها لعبادة العباد بما يغرض علة لخلقه في الترتب عليه واكثر الفقهاء والمعتزلة قالوا بصحته لمنفعة عائدة الى عباده تمسكا بان الفعل الخالي عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال كما في شرح المشارق لابن الملك رحمه الله قال ابن الشيخ استدلت المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على ان افعال الله معللة بالاغراض وعلى ان مراد الله جائز ان يتخلف عن ارادته اذا كان المراد من الافعال الاختيارية للعباد وجه دلالته عليها هو ان وضع اللام لان تدخل على ما هو غرض من الفعل فتكون العبادة غرضا من خلق الجن والانس والغرض يكون مرادا فينتج ان العبادة غرض من جميع الجن والانس وظاهر ان بعضا منهم لم يعبده فتخلف مراده عن ارادته وهو المطابق والجواب عن الاول انه لما دل الدليل القطعي على انه تعالى لا يفعل فعلا لغرض وجب ان يأول اللام في مثل هذه المواضع بان يقال ان الحكم والمصالح التي تترتب على فعله تعالى وتكون هي غاية له لما كان بحيث لو صدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هي غرضا لفعله شبهت بالغرض الحقيقي فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لاجل ذلك التشبيه واطلق عليها اسم الغرض لذلك حتى قيل الغرض من خلق ما في الارض انتفاع الناس به لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وهذا الجواب انما يتأتى في اللام الداخلة على ما هو غاية مترتبة على الفعل ولا ينفع في قوله تعالى الا ليعبدون لان العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس حتى يقال انها شبهت بالغرض من حيث كون الفعل مؤديا اليها وكونها مترتبة عليها فاطلق عليها اسم الغرض ودخل عليها لام الغرض لذلك ولكنه لو تم لكان جوابا عن الاستدلال الثاني لانه مبني

على كون مدخول اللام غرضا فى نفس الامر وما كان غرضا على طريق التشبيه لا يكون مرادا فلا يلزم
من عدم ترتبه على الفعل تخلف المراد عن الارادة فلا يتم الاستدلال واشار المصنف الى جوابه بقوله لما خلقهم
على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها وتقريره ان العبادة ليست غاية مترتبة
على خلقهما فضلا عن ان تكون غرضا ومعنى لام الغاية يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الارادة
وانما دخلت عليها اللام التى حقها ان تدخل على الغرض او على ما شبه به فى كونه مترتبا على الفعل حاملا عليه
فى الجملة تشبيها لها بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة
قابلة لها مغلبة اى قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم الى خلقهم على تلك الصورة ان هدوا الى العبادة
بالدلائل السمعية والعقلية فصار بذلك كانهم خلقوا للعبادة وانها غاية مترتبة على خلقهم فلذلك اطلق عليها
اسم الغاية وقد دخلت عليها لام الغاية مبالغة فى خلقهما على تلك الصورة ولما وجه الآية باخراج اللام عن ظاهر
معناها بجعلها للمبالغة فى خلقهم بحيث تأتى منهم العبادة اشار الى وجه العدول عن الظاهر بقوله ولو حمل
على ظاهره لتطرق اليه المنع والابطال ولزم تعارض الآيتين لان من خلق منهم لجهنم لا يكون مخلوقا
للعبادة انتهى ما فى حواشى ابن الشيخ وقال فى بحر العلوم اى وما خلقت هذين الفريقين الا لاجل العبادة وهى
قيام العبد بما تعبده به وكلف من امتثال الاوامر والنواهى او الا لاطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين
العبادة فى كتبه المنزلة على انبيائه وهذا التقدير صحيح لا تقدير الارادة لان الطلب لا يستلزم المطلوب بخلاف
الارادة كما تقرر فى موضعه فيكون حاصله ما قال بعضهم فى تصوير المعنى الاليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وهذا مستمر على مذهب اهل السنة فانهم خلقوا للعبادة ما عصوا طرفة عين
لكنهم خلقوا للامر التكليفى الطلبى دون الامر الارادى والا لم يتخلف المراد عن الارادة ولما كان لعين العاصى
الثابتة فى الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه اليها الامر التكليفى ولم يكن لتلك العين استعداد الاتيان
بالمأمور به لم يتحقق منها المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية فان قلت ما فائدة التكليف والامر بما يعلم
عدم وقوعه قلت فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة
واهلهما وقيل المراد سقد آه الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما
ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس المؤمنين بدليل ان الصبيان والمجانين مستثنون من عموم
الآية بدليل قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال ابن الملك فان قلت كيف تكون العبادة
علة للخلق ولم تحصل تلك فى اكثر النفوس قلنا يجوز ان يراد من النفوس نفوس المؤمنين لقراءة ابن عباس
رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وان يراد مطلقها بان يكون المراد بالعبادة
قابلية تكليفها كما قال عليه السلام ما من مولود يولد الا على الفطرة واما ان اريد منها المعرفة فلا اشكال لانها
حاصلة للكفرة ايضا كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله انتهى وقال مجاهد
واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا
فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم
السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة
الفلاسفة كما فى الارشاد وقال بعضهم لم اخلقهم الا لاجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندى
ولم اقسرهم عليها اذ لو قسرتهم عليها لوجدت منهم وانا غنى عنهم وعن عبادتهم والحاصل انهم خلقوا للعبادة
تكليفا واختيارا لا جبلة واجبارا فمن وفقه وسدده اقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده جرمها
وعمل بما خلق له وفى الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كما فى عين المعانى وقال الشيخ نجم الدين دايه
فى تأويلاته وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان درة معرفتى مودعة فى صدف عبوديتى فان معرفتى
تنقسم قسمين معرفة صفة جمالى ومعرفة صفة جلالى ولكل واحد منهما مظهر والعبودية مشتملة على
المظهرين بالانقياد لها والتجرد عنها فمن انقاد لها بالتسليم والرضى كما امر به فهو مظهر صفات جمالى واطفى
ومن تمرد عليها بالاباء والاستكبار فهو مظهر صفات جلالى وقهرى فحقيقة معنى قوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اى خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين

منهم

منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذى اردت من خلقهم انتهى والحكمة لا تقتضى
اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك
قيل لولا الحمق لخربت الدنيا ولابد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا
مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة
الالهية ظهور ما اضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان والاخرى
القهر والغضب ولوازمهما وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الاصلى وجود الانسان الكامل الذى هو مرآة
جماله تعالى وكماله وقد وجد والسواد الاعظم هو الواحد على الحق وقال الواحدى مذهب اهل المعانى
فى الآية الا ليخضعوا لى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع
لقضاء الله تعالى مذلل لمشيئته خلقه على ما اراد ورزقه كما قضى لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه وقال
ابن عباس رضى الله عنهما الا ليقروا بالعبودية طوعا او كرها يعنى ان المؤمنين يقرون له طوعا والكافرون
يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره
فالخلق كلهم بهذا له عابدون وعلى هذا قوله تعالى وله ما فى السموات والارض كل له قانتون على معنى ما يوجد
منهم من دلائل الحديث الموجبة لكونها مربوبة مخلوقة مسخرة كما فى التيسير فهذه جملة الاقوال فى هذا الباب
وفى خلقهم للعبادة بطريق الحصر اشارة الى ان الربوبية لله تعالى كما ان العبودية للمخلوقين وهى اخص
اوصافهم حتى قالوا انها افضل من الرسالة ولذا قال تعالى اسرى بعبده لا برسوله وقدم العبد فى اشهد ان محمدا
عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوق فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وان ظهر من
العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله وكماله والعبادات عشرة اقسام الصلاة والزكاة والصوم والحج
وقرآءة القرآن وذكر الله فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قال المولى الجامى) يا نبى الله السلام عليك * انما الفوز
والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو * هستم از عاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان
پست * افتم از پاى اكر نكيرى دست * فينبغى للعبد ان يعبد ربه ويتذلل لخالقه باى وجه كان
من الفرآئض والواجبات والسنن والمستحبات على الوجه الذى امره ان يقوم فيه فاذا كملت فرآئضه وكمالها
فرض عليه فليتفرغ فيما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ولا يحقر شيأ من عمله فان الله ما احتقره
حين خلقه واوجبه فان الله ما كلفك بامر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به واذا واظب على
اداء الفرآئض فانه يتقرب الى الله باحب الامور المقربة اليه ورد فى الخبر الصحيح عن الله تعالى ما تقرب
الى عبد بشئ احب الى مما افترضته وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه
الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر ويده التى بها يبطش ورجله التى بها يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن
استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره
مساءته والقرب الاول هو قرب الفرآئض والقرب الثانى هو قرب النوافل فانظر الى ما تنتجه محبة الله
من كون الحق تعالى قوى العبد من السمع والبصر واليد والرجل فواظب على اداء ما يصح به وجود هذه المحبة
الالهية من الفرآئض والنوافل ولا يصح نفل الا بعد تكملة الفرآئض وفى النفل عينه فروض ونوافل فبما فيه
من الفروض تكمل الفرآئض ورد فى الخبر الصحيح انه تعالى يقول انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها
فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع
قال الله تعالى اكملوا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يؤخذ الاعمال على ذاكم وليست النوافل الا ما لها اصل
فى الفرآئض وما لا اصل له فى فرض فذلك انشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الظاهر بدعة قال الله تعالى
ورهبانية ابتدعوها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة حسنة والذى سنها له اجرها واجر من عمل
بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم شئ ولما لم يكن فى قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل فى نفس
النفل فروض ليجبر الفرآئض بالفرآئض كصلاة النفل بحسب حكم الاصل ثم انها تشتمل على فرآئض من ذكر

فى الركوع والسجود مع كونهم فى الاصل نائمة وهذه الاقوال والافعال قرآن فيها ثم اعلم انه ليس ظاهر الاقتداء بالنبى
سنة حسنة فان لنا اجرها واجر من عمل بها واكثر كالتسنيها اتباعا لكون رسول الله عليه السلام لم يسنها
فان اجرك فى اتباعك له فى ترك التسنين اعظم من اجرك فى التسنين فان النبى عليه السلام لو كان يكره
كثرة التكليف على امته ومن سن فقد كلف وكان النبى عليه السلام اولى بذلك ولكن تركه تشريعا فلهذا قلنا
الاتباع فى الترك اولى واعظم اجرا من التسنين فاجعل حالك كما ذكرنا لك وقد روى عن الامام احمد بن حنبل رحمه
الله انه ما اكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال ما بلغنى كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ اليه
الكيفية فى ذلك تركه وبمثل هذا يقدم عمل هذه الامة على عمل سائر الامم فهذا الامام علم وحقق قوله تعالى
عن نبيه عليه السلام فاتبعونى يحببكم الله وقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة والاقتداء بما من
من فعل وقول وحال اكثر من ان نحيط به وتحصيه فكيف ان نتفرغ لتسن فلا تكلف الامة اكثر مما ورد
(ما اريد منهم) اى من البشر والانس فى وقت من الاوقات (من رزق) لى ولا لانفسهم ولا لغيرهم يعملونه
بكسبهم (وما اريد ان يطعمون) ولا انفسهم ولا غيرهم واصله ان يطعمونى بياء المتكلم وهو بيان لكون شأنه
تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كسائر السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل
معايشهم وتهيئة ارزاقهم فان منهم من يحتاج الى كسب عبده فى نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر يستغنى
به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه من طبخ الطعام واصلاحه واحضاره بين
يديه وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك ونفع العباد وغيره انما يعود عليهم والمعنى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل
رزق ولا رزقهم ولا فى تهيئة بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له
من عبادتى وفى الآية تعريض باصنامهم فانهم كانوا يحضرون لها الطعام كل قربانا كلتها الكلاب ثم بالت
على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الآية دليل على ان الرزق اعم من الاكل كما فى تفسير المناسبات وقال
بعضهم معنى ان يطعمون ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم
عيال احد فقد اطعمه كما جاء فى الحديث يقول الله استطعمتك فلم تطعمنى اى لم تطعم عبدى وذلك ان الاستطعام
وسؤال الرزق يستحيل فى وصف الله (ان الله هو الرزاق) تعليل لعدم ارادة الرزق منهم وهو من قصر الصفة
على الموصوف اى لا رازق الا الله الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه (ذو القوة)
على جميع ما خلق تعليل لعدم ارادته منهم ان يعملوا ويسعوا فى اطعامه لان من يستعين بغيره فى اموره
يكون عاجزا لا قوة له (المتين) الشديد القوة لان القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وهو بالرفع على انه نعت للرزاق
او لذو او خبر بعد خبر وفى التأويلات النجمية ان الله هو الرزاق لجميع الخلائق ذو القوة المتين فى خلق الارزاق
والمرزوقين وفى المفردات القوة تستعمل تارة فى معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود فى الشئ وتارة فى البدن
وفى القلب وفى المحاورة من غيرهما وفى القدرة الالهية وقوله ذو القوة المتين عام فيما اختص الله به من القدرة
وما جعله للخلق انتهى يقول الفقير قد سبق ان القوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف
والله تعالى منزه عن ذلك فهى فى حقه تعالى بمعنى القدرة التامة ويجوز ان يعتبر قوى مظاهر اسمائه وصفاته
ايا ما كانت والمتانة مكتنفة الصلب وبه شبه المتن من الارض ومتنفته ضربت متنه ومتن قوى متنه فصار
متينا ومنه قيل حبل متين ودر ترجمة رشف در معنى قوى ومتين آورده كه قدرت قاهره اش دليل قوت بالغه
كشته وشدت قوتش حجت متانت قدرت شده نه در كارسازى متانتش راغتورى ونه در روزى وبنده نوازى
قدرتش را قصورى * وساند رزق بر وجهى كه شايد * بسازد كارها نوعى كه بايد * بروزى
بى نوايانرا نوازد * برحمت بى كسانرا كارسازد * قال بعضهم رزق الله بالتفاوت ورزق بعضهم الايمان
وبعضهم الايقان وبعضهم العرفان وبعضهم البيان وبعضهم العيان فهؤلاء اهل اللطف والسعادة وبعضهم
التذلل وبعضهم الحرمان وبعضهم الطغيان وبعضهم الكفران فهؤلاء اهل القهر والشقاوة وقال بعضهم
اختبر وا بالنيب الطالب الارزاق وحرمانه وبالطفل العاجز وفوات الارزاق عليه لتعلموا ان الرزق طالب وليس
بمطلوب قال الامام الغزالى رحمه الله فى شرح الاسماء الرزاق هو الذى خلق الارزاق والمرتزقة وأوصلها اليهم
وخلق لهم اسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهى الاقوات والاطعمة وذلك للظاهر وهى الابدان وباطن

وهى المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والاسرار وهذا اشرف الرزقين فان ثمرتها حياة الابد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى لخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر وغاية حفظ العبد من هذا الوصف امران احدهما ان يعرف حقيقة هذا الوصف وانه لا يستحقه الا الله تعالى فلا ينتظر الرزق الا منه ولا يتوكل فيه الا عليه كما روى عن حاتم الاصم انه قال له رجل من اين تأكل فقال من خزائنه فقال الرجل يلقى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل انتم تقولون الكلام فقال لم ينزل من السماء الا الكلام فقال الرجل انا الاقوى لجهادك لتلك فقال لان الباطل لا يقوم مع الحق والثانى ان يرزقه علما هاديا ولسانا مرشدا و يدا منفقة متصدقة و يكون سببا لوصول الارزاق الشريفة الى القلوب باقواله واعماله واذا احب الله تعالى عبدا اكثر حوائج الخلق اليه ومهما كان واسطة بين الله وبين العباد فى وصول الارزاق اليهم فقد نال حظا من هذه الصفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخازن الامين الذى يعطى ما امر به طيبة به نفسه احد المتصدقين واليدى العباد خزائن الله فمن جعلت يده خزانة ارزاق الابدان ولسانه خزانة ارزاق القلوب فقد اكرم بشوب من هذه الصفة انتهى كلام الغزالى فعبد الرزاق هو الذى وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده و يبسط على من يشاء الله ان يبسطه لان الله جعل فى قدمه السعة والبركة فلا يأتى الا حيث يبارك فيه ويفيض الخير وخاصية هذا الاسم لسعة الرزق ان يقرأ قبل صلاة الفجر فى كل ناحية من نواحى البيت عشرا يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها فى كل ناحية ان امكن وفى الاربعين الادريسية سبحانك يا رب كل شئ ووارثه ورازقه قال السهروردى المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاة الامر فاذا اراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوما على الريق رزق ذهنا يفهم به الغوامض وقال الغزالى فى شرح الاسمين القوى المتين القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة والله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوى ومن حيث انه شديد القوة متين وذلك يرجع الى معنى القدرة انتهى وعبد القوى هو الذى يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التى هى قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر اعدائه من شياطين الانس والجن فلا يقار به شئ من خلق الله الا قهره ولا يناويه احد الا غلبه وعبد المتين هو القوى فى دينه الذى لم يتأثر ممن اراد اغواءه ولم يلن لمن ازله عن الحق بشدته لكونه امتن كل متين فعبد القوى هو المؤثر فى كل شئ وعبد المتين هو الذى لم يتأثر من شئ وقال ابو العباس الزروق القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام وقال بعض المشايخ القوى من القوة وهى وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القدرة لان اول ما يوجد فى الباطن من منة العمل يسمى حولا ثم يحس به فى الاعضاء مثلا يسمى قوة وظهور العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان فى كلمة لا حول ولا قوة الا بالله وهو تمثيل للتقريب الى الفهم والا فالله تعالى منزه عن صفات المخلوقين ومن عرف انه القوى رجع بحوله وقوته فى كل شئ الى حوله وقوته والتقريب بهذا الاسم تعلقا من حيث اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير ونفى الدعوى ورؤية المنة له تعالى ونفى خوف الخلق وهموم الدنيا وتخلقا ان يكون قويا فى ذات الله حتى لا يخاف فيه لومة لائم ولا يضعف عن امره بجلال وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فمن تلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم يقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره والمتين هو الذى له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يدانى ولا يقبل الضعف فى قوته ولا يمانع فى امره بل هو الغالب الذى لا يغالب ولا يغلب ولا يحتاج فى قوته لمادة ولا سبب ومن عرف عظمة قوته ومتانتها لم يخف من شئ ولم يقف بهمته على شئ دونه استنادا اليه واعتمادا عليه وخاصية هذا الاسم ظهور القوة لذاكره مع اسمه القوى ولو ذكر على شابة فاجرة عشر مرات وكذلك الشاب (فان للذين ظلموا) اى ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اووضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا وافرا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل انصباء نظرائهم من الامم الحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء قال

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان ابيتم فلنا القليب

قال فى المفردات

الذنوب الدلو الذى ذنب واستعير للنصيب كما استعير السجل وهو الدلو العظيم وفى القاموس الذنوب الفرس الوافر الذنب ومن الايام الطويل الشر والدلو وفيها ماء او الملأى او دون الملأى والحظ والنصيب والجمع أذنبة وذنائب وذناب انتهى (فلا يستعجلون) اصله يستعجلونى بياء المتكلم اى لا يطلبوا منى ان اعجل فى المجيء به لان له اجلا معلوما فهو نازل بهم فى وقته المحتوم يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكان النضر بن الحرث يستعجل بالعذاب فامهل الى بدر ثم قتل فى ذلك اليوم وصار الى النار فعذب اولا بالقتل ثم بالنار (فويل للذين كفروا) پس واى مر آنانرا كه كافر شدند والويل شدة من العذاب والشقاء والهم ويقال واد فى جهنم وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك (من يومهم الذى يوعدون) من للتعليل اى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب لما فى صدر السورة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى واياما كان فالعذاب آت وكل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت دير آيد ولى مى آيد عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود ازان درازى چه سود نوح هزار سال در جهان بسر برده است امروز چند هزار سالست كه مرده است فعلى العاقل ان يتعجل فى التوبة والانابة حتى لا يلقى الله عاصيا ولا يتعجل فى الموت فانه آت البتة وفى الحديث لا يتمنين احدكم الموت ولا يدع به من قبل ان يأتيه انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا اى فانه ان كان محسنا فلعله ان يزداد خيرا وان كان مسيئا فلعل الله يرزقه الانابة اى كه پنجاه رفت در خوابى مكر اين پنج روزه دريابى وفى التأويلات النجمية فان للذين ظلموا من اهل القلوب على قلوبهم بان جعلوها ملوثة بحب الدنيا بعد ان كانت معدن محبة الله ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم من ارباب النفوس بجميع صفاتها يعنى ان فساد القلب بمحبة الدنيا يوازى فساد النفس بجميع صفاتها لان القلب اذا صلح صلح به سائر الجسد واذا فسد فسد به سائر الجسد فلا تستعجلون فى افساد القلب فويل للذين كفروا بنعمة ربهم فى افساد القلب من يومهم الذى يوعدون بافساد سائر صفات الجسد ومن الله العصمة والحفظ

تمت سورة الذاريات بعون خالق البريات فى اواخر جمادى الآخرة من سنة اربع عشرة ومائة والف

سورة الطور مكية وآيها تسع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(والطور) الواو للقسم والطور بالسريانية الجبل وقال بعضهم هو عربى صحيح ولذا لم يذكره الجواليقى فى المعربات وقال ابن عباس رضى الله عنهما الطور كل جبل ينبت قال

لو مر بالطور بعض ناعقة * ما انبت الطور فوقه ورقه

كويند مراد اينجا مطلق كوهست كه اوتاد ارض اند . وفيه منابع ومنافع وقيل بل هو جبل محيط بالارض والاظهر الاشهر انه اسم جبل مخصوص هو طور سينين يعنى جبل المبارك وهو جبل بمدين واسمه زبير سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ولذا اقسم الله تعالى به لانه محل قدم الاحباب وقت سماع الخطاب وورد على محل القدم كثير من الاولياء فظهر عليهم الحال تلك الساعة وقال فى خريدة العجائب جبل طور سينا هو بين الشأم ومدين قيل انه بالقرب من ايلة وهو المكلم عليه موسى عليه السلام كان اذا جاءه موسى للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل فى الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام وهو الجبل الذى دك عند التجلى وهناك خر موسى صعقا وهذا الجبل اذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجرة العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود انتهى كلام الخريدة والعوسج جمع عوسجة وهى شوك كما فى القاموس (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى وهو الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح وآخر سطر فى اللوح المحفوظ سبقت رحمتى على غضبى من اتانى بشهادة ان لا اله الا الله ادخلته الجنة او ما يكتبه الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله نظيره قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه

شبه كاغذ استعير لما يكتب فيه الكتابة من الصحيفة وسمى رقا لانه من رق وقد غلب الاستعمال على هذا الذى هو من جلود الحيوان كما فى فتح الرحمن وقال فى القاموس الرق و يكسر جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق والصحيفة البيضاء انتهى والمنشور المبسوط وهو خلاف المطوى قال الراغب نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها وقيل ممنشور مفتوح لاختم عليه وتكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والمعنى بالفارسية وسوكند بكتاب نوشته در صحيفه كه كشاده كردد بوقت خواندن وعلى تقدير ان يكون ما يكتب فى اللوح يكون الرق المنشور مجازا لان اللوح خلقه الله من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق الله بكل نظرة و يحيى و يميت و يعز و يذل ويفعل ما يشاء (والبيت المعمور) اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح يعنى اسم البيت المعمور الضراح قال السهيلى رحمه الله وهو فى السماء السابعة واسمها عربيا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله و بحمده كان له نور يملأ ما بين عربيا وحربيا وحربيا هى الارض السابعة انتهى وهو حيال الكعبة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة يزوره كل يوم سبعون الفا ملك بالطواف والصلاة ولا يعودون اليه ابدا وحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وهو عدد خواطر الانسان فى اليوم والليلة ومنه قيل ان القلب مخلوق من البيت المعمور وقيل باطن الانسان كالبيت المعمور والانفاس كالملائكة دخولا وخروجا وفى اخبار المعراج رأيت فى السماء السابعة البيت المعمور واذا امامه بحر واذا يؤمر الملائكة فيغوصون فى البحر ويخرجون فينفضون اجنحتهم فيخلق الله من كل قطرة ملكا يطوف قد خلته وصليت فيه وسمى بالضراح بضم الضاد المعجمة لانه ضرح اى رفع وابعد حيث كان فى السماء السابعة والضرح هو الابعاد والتنحية يقال ضرحه اى نحاه ورماه فى ناحية واضرحه عنك اى ابعده والضريح البعيد وقيل كان بيتا من ياقوتة انزله الله موضع الكعبة فطاف به آدم وذريته الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وكان طوله كما بين السماء والارض وذهب بعضهم الى انه فى السماء الرابعة ولا منافاة فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا يقول الفقير والذى يصح عندى من طريق الكشف ان البيت المعمور فى نهاية السماء السابعة فانه اشارة الى مقام القلب فكما ان القلب بمنزلة الاعراف فانه برزخ بين الروح والجسد كما ان الاعراف برزخ بين الجنة والنار فكذا البيت المعمور فانه برزخ بين العالم الطبيعى الذى هو الكرسى والعرش و بين العالم العنصرى الذى هو السموات السبع وما دونها وهذا لا ينافى ان يكون فى كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور كما انه لا ينافى ان يكون الكعبة فى مكة ان يكون فى كل بلدة من بلاد الاسلام مسجد على حدة على صورتها. فكما ان الكعبة ام المساجد و جميع المساجد صورها وتفاصيلها فكذا البيت المعمور اصل البيوت التى فى السموات فهو الاصل فى الطواف والزيارة ولذا رأى النبى عليه السلام ليلة المعراج ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى هو بازاء الكعبة واليه تحج الملائكة وقال بعضهم المراد بالبيت المعمور قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص فان كل قلب ليس فيه ذلك فهو خراب ميت فكانه لا قلب (والسقف المرفوع) يعنى السماء المرفوع عن الارض مقدار خمسمائة عام قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا (قال الكاشفى) يعنى آسمان كه مجمع انوار حكمت ومخزن اسرار فطرتست وياعرش عظيم وذلك لان العرش سقف الجنة وهو محيط بعالم الاجسام كما ان سقف البيت محيط بالجدران ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور من حيث اجتماع السقف مع البيت ومن حيث ان العرش على التقدير الثانى والبيت المعمور متقاربان تقارب السقف بالبيت (والبحر المسجور) اى المملوء وهو البحر المحيط الاعظم الذى منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه الا الله تعالى والبحار التى على وجه الارض خلجان منه وفى هذا البحر عرش ابليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وهى آهلة من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الارض وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافية ثم تغيب وتظهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ثم تغيب فى الماء وفى هذا البحر نبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه الا الله تعالى قال فى القاموس سجر التنور احماه والنهر ملأه والمسجور والموقد والساكن ضد والبحر الذى ماؤه اكثر منه انتهى وقال بعض المفسرين والبحر المسجور

اى الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت والمراد به الجنس وعدد البحار العظيمة سبعة كما ان عدد الانهار العظيمة كذلك وكل ماء كثير بحر روى ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم وفى الحديث (لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا) فان تحت البحر نارا او تحت النار بحرا والبحر نار فى نار وهذا على ان يكون البحر بحر الدنيا وبحر الارض وقال على وعكرمة رضى الله عنهما هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان وهو بحر مكفوف اى من السيلان يمطر منه على الموتى ماء كالمنى بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وعمله بعض المشايخ على صورة احياء الله تعالى يعنى كما انه ينبت النبات بماء المطر فيظهر من الارض فكذا الموتى يخلقهم الله خلقا جديدا فيظهرون من الارض كالنبات ولكن هذا لا ينافى ان يكون هناك ماء صورى فان الانسان من المنى خلق وبصورة ماء كالمنى سينبت والله فى كل شئ حكمة بديعة وقيل هو بحر سماء الدنيا وهو الموج المكفوف لولاه لاحرقت الشمس الدنيا ونزدار باب تحقيق مراد طور نفس است كه موسى القلب بران باحق سبحانه مناجاة ميكند وكتاب مسطور ايمانست كه در رق منشور قلب بقلم رحمت ازلى نوشته شده كه كتب فى قلوبهم الايمان وبيت سرعارفانست كه بنظرات تجليات سبحانى آباد انى يافته وسقف مرفوع روح رفيع القدر والدرجات الى الحضرة است كه سقف خانهٔ دلست وبحر مسجور دلى است با آتش محبت تافته وقال عبد العزيز المكى قدس سره اقسم الله بالطور وهو الجبل وهو النبى صلى الله عليه وسلم كان فى امته كالجبال فى الارض استقرت به الامة على دينهم الى يوم القيامة كما تستقر الارض بالجبال واقسم بالكتاب المسطور وهو الكتاب المنزل عليه المسطور فى اللوح المحفوظ فى رق منشور وهو المصاحف واقسم بالبيت المعمور وهو النبى عليه السلام كان الله بيتا بالكرامة معمورا وعند الله مسرورا مشكورا واقسم بالسقف المرفوع وهو رأس النبى عليه السلام كان والله سقفا مرفوعا وفى الدارين مشهورا وعلى المنابر مذكورا واقسم بالبحر المسجور وهو قلب محمد عليه السلام كان والله من حب الله مملوأ فاقسم بنفس محمد عموما وبرأسه خصوصا وبقلبه ضياء ونورا وبكتابه حجة وعلى المصاحف مسطورا فاقسم الحبيب بالحبيب فلا ورآه قسم وقال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللايحات البرقيات له والطور اى طور الهوية الذاتية الاحدية الفردية المجردة عن الكل والحقيقة الجمعية الصمدية المطلقة عن الجميع وكتاب اى كتاب الوجود مسطور فيه حروف الشؤون الذاتية الكمالية الوجودية والامكانية وكلمات الاعيان العلمية الجلالية والجمالية الوجوبية والامكانية وآيات الارواح والعقول المجردة القهرية واللطفية وسور الحقائق والصور المثالية الحية المقربة والمبعدة فى رق اى رق النفس الرحمانى والامر الربانى منشور على ماهيات الممكنات وحقائق الكائنات ومبسوط على اعيان المجردات وصور الممثلات بالفيض الاقدس والتجلى الذاتى اولا الحاصل به كليات التعينات والظهورات وبالفيض المقدس والتجلى الصفاتى والافعالى ثانيا المتحقق به جزئيات التشخصات والتميزات والقرآن والفرقان اللفظى الرسمى بجميع حروفه وكلماته وآياته وسوره ان هو الا ذكر وقرآن مبين وهذا مكتوب بيد المخلوق ومسطور بخطه وذلك مكتوب بيد الخالق ومسطور بخطه فلذا كان واجب التعظيم ولازم التكريم بحيث لا يمسه الا المطهرون من الحدث مطلقا فيا شقاوة من عقل الكتاب الالهى الرسمى واقبل عليه بالتعظيم والتوقير وغفل عن الكتاب الالهى الحقيقى واهمله عن التعظيم والتوقير بل اقدم عليه بالاهانة والتحقير ويا سعادة من عقلهما ولم يغفل عن واحد منهما ولم يهمل شأنهما بل اقبل على كل منهما بالتعظيم والتكريم انقيادا للشريعة فى تكريم القرآن والفرقان اللفظى واذعانا للحقيقة فى تحريم القرآن والفرقان الوجودى اداء لحق كل مرتبة وقضاء لدين كل منزلة قائما فى كل مقام بالعدل والانصاف مجانبا فى كل حال عن الجور والاعتساف يقول الفقير فى ذلك الكتاب تفصيل عريض آخر لكل من الكتابين الحقيقى والمجازى واقتصرت هنا على شئ يسير مما ذكره لمناسبة المقام والمسئول من الله الجامع الانتفاع بعلمه النافع (ان عذاب ربك لواقع) اى لنازل حتما وهو جواب للقسم قال فى فتح الرحمن المراد عذاب الآخرة للكفار لا العذاب الدنيوى واليه الاشارة فى الارشاد فى آخر السورة المتقدمة (مالهُ من دافع) يدفعه وهو كقوله تعالى لا مرد له من الله وبالفارسية نيست مر ان عذاب را هيچ دفع كننده بلكه بهمه حال واقع خواهد بود وهو خبر ثان لان قال بعضهم الفرق بين الدفع والرفع ان الدفع بالدال يستعمل قبل الوقوع والرفع

بالرآء يستعمل بعد الوقوع وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها من امور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهد بصدق أخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله عليه السلام فى اسارى بدر فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور وصوته يخرج من المسجد فلما بلغ الى قوله ان عذاب ربك لواقع فكانما صدع قلبى حين سمعته فكان اول ما دخل فى قلبى الاسلام فاسلمت خوفا من ان ينزل العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامى حتى يقع بى العذاب ومثل هذا التأثير وقع لعمر رضى الله عنه حين بلغ دار الارقم فسمع النبى عليه السلام يقرأ سورة طه فلان قلبه واسلم فالقلوب المتهيئة للقبول تتأثر بادنى شئ خصوصا اذا كان الواعظ هو القرآن العظيم او التالى هو الرسول الكريم او وارثه المستقيم واما القلوب القاسية فلا ينجع فيها الوعظ كما لم ينجع فى قلب ابى جهل ونحوه (قال الشيخ سعدى) آهنى را كه موريانه بخورد * نتوان برد ازو بصيقل زنك * باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين در سنك * وفى التأويلات النجمية العذاب لاهل العذاب واقع بالفعل لان اشد العذاب ذل الحجاب وكان من دعاء السرى السقطى قدس سره اللهم مهما عذبتنى فلا تعذبنى بذل الحجاب والحجاب واقع فان اعظم الحجاب حجاب النفس ماله من دافع من قبل العبد بل دافع حجاب النفس هو رحمة الله تعالى كما قال تعالى الا ما رحم ربى عبد الله المغاورى مردى بود ازنواحى اشبيليه در بلاد غرب در بعضى اوقات تشويش و پراكندكى بخلق راه يافته بود زنى نزدوى آمد وكفت البته مرا باشبيليه رسان وازدست اين قوم خلاص كن اوزن را بركردن كرفت و بيرون آمد واوازشطار بود وقوى عظيم داشت چون بجاى خلوت رسيد واين زن بغايت جميل بود شيطان اورا بجامعت با آن زن وسوسه داد ونفس تقاضا كرفت فكان حال المرأة حينئذ نظير الحكاية التى قال الشيخ سعدى فيها شنيدم كوسفندى رابزركى * رهانيد ازدهان ودست كركى * شبانكه كارد برحلقش بماليد * روان كوسفند ازوى بناليد * كه از چنكال كركم در ربودى * چو ديدم عاقبت كركم تو بودى * عبد الله باخود كفت اى نفس اين بدست من امانت است وخيانت كردن روا نمى دارم ونفس البته برعصيان حرص مى نمود واوترسيد كه نفس غالب شود وكارى ناشايست در وجود آيد آلت مردى خودرا درميان دوسنك بكوفت وكفت النار ولا العار سبب رجوع او بطريق حق اين بود ودر همان وقت روى بحج نهاد ودر عهد خود يكانه روزكار بود فقد رحمه الله تعالى رحمة خاصة حيث نجاه من يد النفس الامارة ولو وكله الى نفسه لصدر عنه ذلك القبيح وكان سببا لوقوعه فى العذاب فى الدنيا والآخرة اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان التلبس بسبب الشئ تلبس به وكل فعل قبيح ووصف ذميم فهو عذاب حكمى ونار معنوية والعذاب الصورى اثر ذلك فليس من خارج عن الانسان (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته لا لدافع لانه يوهم ان احدا يدفع عذابه فى غير ذلك اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع فى كل وقت والمور الاضطراب والتردد فى المجىء والذهاب والجريان السريع اى تضطرب وتجىء وتذهب وبالفارسية در اضطراب ايد انكاه بشكافد قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل يختلف ابرآؤها بعضها فى بعض و يموج اهلها بعضهم فى بعض ويختلطون وهم الملائكة وذلك من الخوف (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وقال بعضهم تسير الجبال كما تسير السحاب ثم تنشق اثناء السير حتى تصير آخرة كالعهن المنفوش لهول ذلك اليوم ومثله وجود السالك عند تجلى الجلال بالفناء فانه لا يبقى منه اثر وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) الفاء فصيحة والجملة جواب شرط محذوف اى اذا وقع ذلك المور والسير واذا كان الامر كما ذكر فويل وشدة عذاب يوم اذ يقع لهم ذلك وهو لا ينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل الذى هو العذاب الشديد انما هو للمكذبين بالله ورسوله وبيوم الدين لا لعصاة المؤمنين (الذين هم فى خوض) اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب وبالفارسية در شروع كردن باقوال باطله كه استهزا بقرآنست وتكذيب نبى عليه السلام وانكار بعث قال فى فتح الرحمن الخوض التخبط فى الاباطيل شبه بخوض الماء وغوصه وفى حواشى الكشاف الخوض من المعانى الغالبة

فانه يصلح فى الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل كالاحضار لانه عام فى كل شئ ثم غلب استعماله فى الاحضار للعذاب قال لم اكن من المحضرين وقال الذين هم فى خوض ليس صفة تقصيدية لتخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم (يلعبون) يلهون ويتشاغلون بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) الدع الدفع الشديد واصله ان يقال للساتر دع دع اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار دفعا على وجوههم وفى اقفيتهم حتى يردوها ويوم اما بدل من يوم تمورا وظرف لتقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار) اى يقال لهم من قبل خزنة النار هذه النار (التى كنتم) فى الدنيا وقوله (بها) متعلق بقوله (تكذبون) اى تكذبون الوحى الناطق بها (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا المصداق اى النار سحر ايضا وبالفارسية آيا سحرست اين كه مى بينيد فالفاء سببية لاعاطفة لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار فهذا الاستفهام لم يتسبب عن قولهم للوحى هذا سحر والمصداق ما يصدق الشئ واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها يعنى ان الذى ترونه من عذاب النار حق (ام انتم لا تبصرون) اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها) اى ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها (فاصبروا اولا تصبروا) فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه فانه لا خلاص لكم عنها وهذا على جهة قطع رجائهم (سواء عليكم) خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا اولا تصبروا وسواء وان كان بمعنى مستوى لكنه فى الاصل مصدر بمعنى الاستواء والمعنى سواء عليكم الامران اجزعتم ام صبرتم فى عدم النفع لا بد فع العذاب ولا بتخفيفه اذ لا بد ان يكون الصبر حين ينفع وذلك فى الدنيا لا غير نحن صبرنا على الطاعات لم يجزع هنالك اذ الصبر وان كان مرا بصلا لكن آخره حلو وصل (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء على كفرهم واعمالهم القبيحة حيث كان واجب الوقوع حتما بحسب الوعيد لامتناع الكذب على الله كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع وفى التأويلات النجمية انما تجزون ما كنتم تعملون فى الدنيا من الخير والشر لا الذى تعملون فى الآخرة من الصبر والخضوع والخشوع والتضرع والدعاء فانه لا ينفع شئ منها والحاصل ان يقال اخسأ وافيها ولا تكلمون انتهى ثم النار نار ان النار الصورية لاهل الشرك الجلى ومن لحق بهم من العصاة والنار المعنوية لاهل الشرك الخفى ومن اتصل بهم من اهل الحجاب فويل لكل من الطائفتين يوم يظفر الطالب بالمطلوب ويصل المحب الى المحبوب من عذاب جهنم وعذاب البعد والقطيعة والحرمان عن السعادة العظمى والرتبة العليا فليحذر العاقل من الخوض فى الدنيا واللعب بها فان الغفلة عن خالق البريات توقد نيران الحسرات وفى الآية اشارة الى مرتبة الخوف كما ان الآية التى تليها اشارة الى مرتبة الرجاء فان الامن والقنوط كفر زيرا كه امن از عاجزان بود واعتقاد عجز در الله كفر است وقنوط از لئيمان بود واعتقاد لوم در الله كفر است چراغى كه در و روغن نباشد روشنايى ندهد وچون روغن باشد وآتش نباشد ضيا ندهد پس خوف برمثال آتش است ورجاء برمثال روغن وايمان برمثال فتيله ودل برشكل چراغ دان چون خوف ورجا بجمع كنند چراغى حاصل آمد كه در وى هم روغن است كه مدد بقاست هم آتش است كه مادة ضياست آنكه ايمان ازميان هردو مدد ميكيرد از يكى بيقا واز يكى بضيا ومؤمن بيدرقة ضيا راه ميرود و بمدد بقا قدم مى زند والله ولى التوفيق (ان المتقين) عن الكفر والمعاصى (فى جنات ونعيم) النعيم الخفض والدعة والتنعم الترفه والاسم النعمة بالفتح قال الراغب النعيم النعمة الكثيرة وتنعم تناول ما فيه النعمة وطيب العيش ونعمه تنعيما جعله فى نعمة اى لين عيش وفى البحر التنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والمعنى فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم بمعنى الكامل فى الصفة على ان التنوين للتفخيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع والجنة مع كونها اشرف المواضع قد يتوهم ان من يدخلها انما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها ويحفظها لصاحبها كما هو شأن ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه كما قال فى القاموس الناطور اى بالطاء المهملة حافظ الكرم والفضل اعجمى انتهى فلا قال ونعيم افادانهم فيها متنعمون كما هو شأن المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمال

(فاكهين) ناعمين متلذذين وبالفارسية شادمان وازنعمت يابندگان وفى القاموس الفاكه صاحب الفاكهة وطيب النفس ضحوك والناعم الحسن العيش كالناعمة والنعمة الحسنة العيشة (بما آتاهم ربهم) ازكرامتها مبالغة اى وفى فتح الرحمن من انعامه ورضاه عنهم وذلك ان المتنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان حالهم محض سرور ووصفاء وتلذذ ولا يتناولون شيأ من النعيم الا تلذذا لا لدفع الجوع او عطش (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) الوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره والجحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم اى جهنم لانه من اسمائها وهو عطف على آتاهم على ان ما مصدرية اى متلذذين بسبب ايتاء ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم فانها ان جعلت موصولة يكون التقدير بالذى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم فيبقى الموصول بلا عائد واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) اى يقال لهم من قبل خزنة الجنة دائما كلوا واشربوا اكلا وشربا (هنيئا) فهنيئا صفة لمصدر محذوف اوطعاما وشرابا هنيئا فهو صفة مفعول به محذوف فان ترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمرىء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا يعنى كوارنده لاتكدير فيه اى كان بحيث لا يورث الكدر من التخم والسقم وسائر الآفات كما يكون فى الدنيا قال ابن الكمال ومنه يهنئ المشتهر فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ (بما كنتم تعملون) بسببه او بمقابلته قال فى فتح الرحمن معناه ان رتب الجنة ونعيمها بحسب الاعمال واما نفس دخولها فهو برحمة الله وتفضله والاكل والشرب والتهنى ليس من الدخول فى شئ واعمال العباد الصالحة لا توجب على الله التنعيم ايجابا لكنه قد جعلها امارة على من سبق فى علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذى فى الاعمال امام زاهد رحمه الله خرمهره كه هر چند وعده بكردار بنده است اما اصل فضل الهيست واكرنه بيداست كه فردا مزد كردار ما چه خواهد بود ندارد فعل من ازور باز و * كه با فضل تو كردد هم ترازو * بفضل خويش كن فضل مرا يار * بعدل خود بكن با فعل من كار * قال سهل جزآء الاعمال الاكل والشرب ولا يساوى اعمال العباد اكثر من ذلك واما شراب الفضل فهو قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وهو شراب على رؤية المكاشفة والمشاهدة (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا اى معتمدين ومستندين (على سرر) جمع سرير وهو الذى يجلس عليه وهو من السرور اذا كان ذلك لاولى النعمة وسرير الميت تشبيه به فى الصورة والتفاؤل بالسرور الذى يلحق الميت برجوعه الى الله وخلاصه من سجنه المشار اليه بقوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن (مصفوفة) مصطفة قد صف بعضها الى جنب بعض او مرصوفة اى مزينة بالذهب والفضة والجواهر وبالفارسية برتختها بافته بزر والظاهر ان جمع السرر مبنى على ان يكون لكل واحد منهم سرر متعددة مصطفة معدة لازآئر يهم فكل من اشتاق الى صديقه يزوره فى منزله قال الكلبى صف بعضها الى بعض طولها مائة ذراع فى السماء يتقابلون عليها فى الزيارة واذا اراد احدهم القعود عليها تطامنت وانضمت فاذا قعد عليها ارتفعت الى اصل حالها (وزوجناهم بحور عين) واحد الحور حوراء وواحد العين عيناء واتما سمين حورا لان الطرف يحار فى حسنهن وعينا لانهن الواسعات الاعين مع جمالها والباء للتعدية مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بلا واسطة قال تعالى زوجناكها لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم يعنى ان التزويج حينئذ ليس على اصل معناه وهو النكاح وعقد النكاح بل بمعنى تصييرهم ازواجا فلا يتعدى الى مفعولين وبالفارسية و جفت كردانيم ايشانرا بزنان سفيد روى كشاده چشم قال الراغب وقرناهم بهن ولم يجئ فى القرآن زوجناهم حورا كما يقال زوجته امرأة تنبيها على ان ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح انتهى قال فى فتح الرحمن وقرناهم وليس فى الجنة تزويج كالدنيا انتهى يعنى ان الجنة ليست بدار تكليف فشأن تزويج اهل الجنة بالحور بقبول بعضهم بعض الابان يعقد بينهم عقد النكاح قال فى الواقعات المحمودية ان لاهل الجنة بيوت ضيافة يعملون فيها الضيافة للاحباب ويتنعمون ولكن اهليهم لا يظهرن لغير المحارم انتهى يقول الفقير الظاهر ان عدم ظهورهن ليس من حيث الحرمة بل من حيث الغيرة يعنى ان اهل الرجل اشارة الى سره المكتوم فاقتضت الغيرة الالهية ان لا تظهر لغير المحارم كما ان السر لا يفشى لغير الاهل والا فالحل والحرمة من توابع التكليف ولا تكليف هنالك وان كان

مثل الذكر ونحوه من باب التلذذ (والذين آمنوا) مبتدأ خبره الحقنا بهم (واتبعتهم ذريتهم) عطف على آمنوا اى نسلهم (بايمان) متعلق بالاتباع والتنكير للتقليل اى بشئ من الايمان وتقليل الايمان ليس مبنيا على دخول الاعمال فيه بل المراد قلة ثمراته ودناءة قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمعنى واتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصرين عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا (الحقنا بهم ذريتهم) اى اولادهم الصغار والكبار فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اى يكمل سروره ثم تلا هذه الآية وفيها دلالة بينة على ان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لاحد ابويه وتحقيقا للحوقه به فانه تعالى اذا جعلهم تابعين لآبائهم ولاحقين بهم فى احكام الآخرة فينبغى ان يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم فى احكام الدنيا ايضا قال فى فتح الرحمن ان المؤمنين اتبعتهم اولادهم الكبار والصغار بسبب ايمانهم فكبارهم بايمانهم بانفسهم وصغارهم بان اتبعوا فى الاسلام بآبائهم بسبب ايمانهم لان الولد يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه اذا اسلم وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى واحمد وقال مالك يحكم باسلامه تبعا لاسلام ابيه دون امه واما اذا مات احد ابويه فى دار الاسلام فقال احمد يحكم باسلامه وهو من مفردات مذهبه خلافا للثلاثة واختلفوا فى اسلام الصبى المميز وردته فقال الثلاثة يصحان منه وقال الشافعى لا يصحان وفى هدية المهديين اسلام الصبى العاقل وهو من كان فى البيع سالبا وفى الشراء جالبا صحيح استحسانا حتى لا يرث من اقاربه الكفار ويصلى عليه اذا مات وارتداده ارتدادا استحسانا فى قول ابى حنيفة ومحمد الا انه يجبر على احسن الوجوه ولا يقتل لانه ليس من اهل العقوبة وفى الاشباه اى مرتد لا يقتل فقل من كان اسلامه تبعا او فيه شبهة واى رضيع يحكم باسلامه بلا تبعية فقل لقيط فى دار الاسلام وفى الهدية ايضا صبى وقع من الغنيمة فى سهم رجل فى دار الحرب او بيع به فمات يصلى عليه لانه يصير مسلما حكما تبعا لمولاه بخلاف ما قبل القسمة فانه حينئذ يكون على دين ابويه وفى الفتوحات المكية الطفل المسبى فى دار الحرب اذا مات ولم يحصل منه تمييز ولا عقل يصلى عليه فانه على فطرة الاسلام وهذا اولى ممن قال لا يصلى عليه لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو اضعف من الرش والوبل فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه انتهى وان دخل الصبى فى دار الاسلام فان كان معه ابواه او احدهما فهو على دينهما وان مات الابوان بعد ذلك فهو على ما كان كما فى الهدية وان لم يكن معه واحد منهما حين دخل الاسلام يصير مسلما تبعا للدار وللمولى ولو اسلم احد الابوين فى دار الحرب يصير الصبى مسلما باسلامه وكذا لو اسلم احد الابوين فى دار الاسلام ثم سبى الصبى بعده من دار الحرب فصار فى دار الاسلام كان مسلما باسلامه (وما التناهم) وما نقصنا الاباء بهذا الالحاق والا لابغضوهم فى الدنيا شحا كما فى عين المعانى من الت يألت كضرب يضرب قال فى القاموس الته حقه يألته نقصه كآلته ايلاتا (من عملهم) من ثواب عملهم (من شئ) من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة والمعنى ما نقصناهم من عملهم شيأ بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى درجتهم ومنزلتهم بمحض التفضل والاحسان يعنى بلكه بفضل وكرم خود اولاد را رفعت درجه ارزانى فرمودم شيخ الاسلام حسين مروزى از استاد خود احمد بن ابى على سرخسى رحمهما الله نقل ميكند كه ايمان وعمل جز بفضل لم يزلى نيست * درفضل وخدا بند دل خويش مدام * تا فضل نباشد نبود كار تمام * وسألت خديجة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا فى الجاهلية فقال عليه السلام هما فى النار فكرهت فقال عليه السلام لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت فالذى منك قال فى الجنة ان المؤمنين واولادهم فى الجنة وان المشركين واولادهم فى النار كما فى عين المعانى وقال الامام محمد ان الامام الاعظم توقف فى اطفال المشركين والمسلمين والمختار ان اطفال المسلمين فى الجنة واما ما روى انه توفى صبى من الانصار فدعى النبى عليه السلام الى جنازته فقالت عائشة رضى الله عنها طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال عليه السلام او غير ذلك اى اتعتقدين ما قلت والحق غير الجزم به ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا فانما نهاها عن الحكم على معين بدخول الجنة كما فى شرح المشارق لابن الملك وقال المولى رمضان فى شرح العقائد ولا يشهد بالجنة والنار لاحد بعينه بل يشهد بان المؤمنين من اهل الجنة والكافرين من اهل النار وكذا اطفالهم تبعا لهم

وقيل

وقيل هم في الجنة اذ لا اثم لهم وقيل هم في الاعراف ووجهه ان عدم التيقن لعدم العلم بخاتمته واذا مات ولد المؤمن طفلا فخاتمته ايمان لاحالة تبطل اليه الان يكون تابعا لخاتمة ابيه وهي غير معلومة انتهى واختار البعض في اطفال المشركين كونهم خدام اهل الجنة كما في هدية المهديين والاكثرون على انهم في النار تبعا لآبائهم وقال آخرون انهم في الجنة لكونهم غير مكلفين وتوقف فيه طائفة وهو الظاهر كما في شرح المشارق لابن الملك وبقي قول آخر وهو ان الصبيان والمجانين واهل الفترة يرسل اليهم يوم القيامة رسول من جنسهم ويدعون الى الايمان ويمتحن المؤمن بايقاع نفسه في نار هنالك فمن قبل الدعوة ولم يمتنع عن الايقاع المذكور خلص لانها ليست بنار حقيقة والا دخل النار اي جهنم وقال الشيخ روزبهان البقلي في عرآئس البيان عند الآية هذا اذا وقعت فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة لقبول معرفة الله ولم تتغير من تأثير صحبة الاضداد لقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاذا بقيت على النعت الاول ووصل اليها فيض مباشرة نور الحق ولم تتم عليها الاعمال يوصلها الله الى درجة آبائهم وامهاتهم الكبار من المؤمنين اذ هنالك تتم ارواحهم وعقولهم وقلوبهم بمعرفتهم بالله عند كشف مشاهدته وبروز انوار جلاله ووصاله وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون الى درجات كبرآئهم وشيوخهم ما آمنوا باحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس سره من آمن بكلامنا هذا من ورآء سبعين حجابا فهو من اهلنا وقال عليه السلام من احب قوما فهو منهم وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين ولا تعجب من ذلك فانه تعالى مبلغهم الى اعلى الدرجات فاذا كانوا في منازل الوحشة يصلون الى الدرجات العلية فكيف لا يصلون اليها في مقام الوصلة انتهى يقول الفقير يظهر من هذا ان لحوق الابناء الصورية والمعنوية بالاباء في درجاتهم مشروط بالايمان الشرعي والتوحيد العقلي وليس لاطفال المشركين شئ من ذلك فكيف يلتحقون باهل الجنة مطلقا فانما يلتحق المؤمن بالمؤمن لجانستهما واما الايمان الفطري فلا يعتبر في دار التكليف وكذا في دار الجزآء والله اعلم بالاسرار ومنه ترجو الالتصاق بالاخيار (كل امرئ) هر مردى بالغ عاقل مكلف (بما كسب) بانجه كرده باشد از خير وشر (رهين) در كروست روز قيامت يعنى وابسته است بپاداش كردار خود وازان رهايى ندارد وبعمل ديكرى مؤاخذه نيست وزن مكلفه نيز همين حكم دارد كما في تفسير الكاشفي والرهن ما يوضع وثيقة للدين ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان وقال ابن الشيخ ما مصدرية والفعيل بمعنى المفعول والعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس العبد مرهونة به فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك منه الرهن كذلك العمل الصالح ما لم يصل الى الله لا يتخلص نفس العبد المرهونة فالمعنى كل امرئ مرهون عند الله بالعمل الصالح الذى هو دين عليه فان عمله واداه كما هو المطلوب منه فك رقبته من الرهن والا اهلكها وفي هذا المعنى قال عليه السلام لكعب ابن عجرة رضي الله عنه لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت النار اولى به يا كعب بن عجرة الناس صنفان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشر مرهون في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وفي الآية وجه آخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دآئم ثابت مقيم ان احسن ففي الجنة مؤبدا وان اساء ففي النار مخلدا الان في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقي اعمالهم لكونها عند الله من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي من الاعيان يبقى ببقاء عمله قال في الارشاد وهذا المعنى انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها انتهى (وامددناهم) اصل المد الجر واكثر ما جاء الامداد في المحبوب والمد في المكروه والامداد بالفارسية مدد كردن ومدد دادن وفي القاموس الامداد تأخير الاجل وان تنصر الاجناد بجماعة غيرك والاعطاء والاغاثة (بفاكهة) هي الثمار كلها (ولحم مما يشتهون) وان لم يصر حوا بطلبه والمعنى وزدناهم على ما كان من مبادي التنعم وقتا فوقتا مما يشتهون من فنون النعماء وضروب الالاء وذلك

انه تعالى لما قال وما التناهم وفى النقصان يصدق بايصال المساوى دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بالزيادة على ثواب اعمالهم والامداد وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لا تنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها وما فى ما يشتهون للعموم لانواع المطعمان وفى الخبر انك لتشهى الطير فى الجنة فيخر بين يديك شويا وقيل يقع الطائر بين يدى الرجل فى الجنة فيأكل منه قديدا وشويا ثم يطير الى النهر (يتنازعون فيها) نزع الشئ جذبه من مقره كنزع القوس من كبدها والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة والمراد بالتنازع هنا التعاطى والتداول على طريق التجاذب يعنى تجاذب الملاعبة لفرط السرور والمحبة وفيه نوع لذة اذ لا يتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والمعنى يتعاطون فى الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير بالتنازع وبالفارسية بايكديكر دادوستد كنند در بهشت يعنى بهم دهند وازهم ستانند (كأسا) كاسة مملوا زخمر بهشت والكأس قدح فيه شراب ولا يسمى كأسا ما لم يكن فيه شراب كما لا تسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام والمعنى كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها ولما كان الكأس مؤنثة مهموزة انث الضمير فى قوله (لا لغو فيها) اى فى شربها حيث لا يتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام قال ابن عطاء اى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيها الملائكة وشربهم ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم اضياف الله قال الراغب اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولا تأثيم) ولا يفعلون ما يأثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والسب والفواحش كما هو دين المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام لان عقولهم ثابتة غير زائلة وذلك كسكارى المعرفة فى الدنيا فانهم انما يتكلمون بالمعارف والحقائق قال البقلى وصفهم الله فى شربهم لكاسات شراب وصله بالمنازعة والشوق الى مزيد القرب ثم وصف شرابهم انه يورثهم التمكين والاستقامة فى السكر لا يؤول حالهم الى الشطح والعربدة وما يتكلم به سكارى المعرفة فى الدنيا عند الخلق ولا يشابه حال اهل الحضرة حال اهل الدنيا من جميع المعانى ثم انه قد يقع الاكل والشرب فى المنام فيسرى حكمه الى الجسد لغلبة الروحانية كما قال بعض الكبار العيش مع الله هو القوت الذى من اكله لا يجوع واليه اشار عليه السلام بقوله انى لست كهيئتكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى والمراد بذلك الشبع والرى الذى يعود من ثمرة الاكل والشرب يعنى يبيت جائعا فيرى فى منامه انه يأكل فيصبح شبعانا وقد اتفق ذلك لبعضهم بحكم الارث وبقى رائحة ذلك الطعام حين استيقظ نحو ثلاثة ايام والناس يشمونها منه واما غير النبى وغير الوارث فاذا رأى انه يأكل استيقظ وهو جيعان مثل ما نام فصح قوله صلى الله عليه وسلم ان المبشرات جزء من اجزاء النبوة انتهى يقول الفقير فرب شبعان فى دعواه جيعان فى نفس الامر الا ترى حال من اكل فى منامه حتى شبع ثم استيقظ وهو جائع وكذلك حال اهل التلوين فان من شرب شربا من هذه المعرفة يقع فى الدعاوى العريضة كما شاهدناه فى بعض المعاصرين ولا يدرى ان حاله بالنسبة الى حال اهل التمكين كحال النائم فمن سكر من رائحة الخمر ليس كمن سكر من شرب نفسها فاين انت من الحقيقة فاعرف حدك ولا تتعد طورك فان التعدى من قبيل اللغو والتأثيم (قال الجندى) از عشق دم مزن چو نكشتى شهيد عشق * دعوى اين مقام درست از شهادتست (ويطوف عليهم) الطواف المشى حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظا اى ويدور على اهل الجنة بالكأس وقيل بالخدمة (غلمان لهم) جمع غلام وهو الطار الشارب اى مماليك مخصوصون بهم لم يصفهم بان يقول غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم احدا فى الدنيا ان يكون خادما له فى الجنة فيحزن لكونه لا يزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدم لم يعرفهم كما فى حواشى سعدى المفتى (كأنهم لؤلؤ مكنون) حال من غلمان لانهم قد وصفوا اى كأنهم فى البياض والصفاء لؤلؤ مصون فى الصدف لانه رطبا احسن واصفى اذ لم تمسه الايدى ولم يقع عليه غبار وبالفارسية گويا ايشان در صفا ولطافت مرواريد پوشيده اند در صدف كه دست كس بديشان نرسيده او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده

ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف بباب لبيك لبيك (واقبل بعضهم على بعض) وروى مى آرند بعضى از بهشتيان بر بعض ديكر (يتساءلون) اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله من الكرامة وذلك تلذذا واعترافا بالنعمة العظيمة على حسب الوصول اليها على ما هو عادة اهل المجلس يشرعون فى التحادث ليتم به استئناسهم فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا (قالوا) اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (انا كنا قبل) اى قبل دخول الجنة (فى اهلنا) درميان اهل خود يعنى بوديم دردنيا (مشفقين) ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته اووجلين من العاقبة قيد بقوله فى اهلنا فان كونهم بين اهليهم مظنة الامن فاذا خافوا فى تلك الحال فلان يخافوا فى سائر الاحوال والاوقات اولى وقال سعدى المفتى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله وترك العاطف لجعل الثانى بيانا للاول ادعاء للمبالغة فى وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر انتهى يقول الفقير الظاهر ان هذا الكلام وارد على عرف الناس فانهم يقولون شأننا بين قومنا وقبيلتنا كذا فهم كانوا فى الدنيا بين قبائلهم وعشائرهم على صفة الاشفاق وفيه تعريض بان بعض اهلهم لم يكونوا على صفتهم ولذا صاروا محرومين ويدل على هذا ان الاهل يفسر بالازواج والاولاد وبالعبيد والاماء وبالاقارب وبالاصحاب وبالمجموع كما فى شرح المشارق لابن الملك (فمن الله) اى انعم (علينا) بالرحمة والتوفيق للحق يقول الفقير الظاهر ان المن والانعام انما هو بالجنة ونعيمها كما دل عليه قوله (ووقانا عذاب السموم) اى حفظنا من عذاب النار النافذة فى المسام اى ثقب الجسد كالمخر والفم والاذن نفوذ السموم وهى الريح الحارة التى تدخل المسام فاطلق على جهنم لنفوذ حرها فى المسام كالسموم وفى المفردات السموم الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم وقال البقلى هذا شكر من القوم فى رؤية الحق سبحانه اى كنا مشفقين من الفراق فى الدنيا والبعد فى يوم التلاق فمن الله علينا ووقانا من ذلك العذاب المحرق المفنى هذا فى اوائل الرؤية اما اذا استقاموا فى الوصال نسوا ما كان فيهم من ذكر الاشفاق وغيره والاشفاق وصف الارواح والخوف صفة القلوب وقال الجنيد قدس سره الاشفاق ارق من الخوف والخوف اصلب وقال بعضهم الاشفاق للاولياء والخوف لعامة المؤمنين وقال الواسطى قدس سره لاحظوا دعاءهم وشفقتهم ولم يعلموا ان الوسائل قطعت المتوسلين عن حقيقة وحجبت من ادرك من لا وسيلة الا به (انا كنا من قبل) اى من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) اى نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) اى المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب قال الراغب البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله تعالى نحو انه هو البر الرحيم والى العبد تارة فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما وضده العقوق قال فى شرح الاسماء من عرف انه هو البر الرحيم رجع اليه بالرغبة فى كل حقير وعظيم فكفاه ما اهمه ببره ورحمته وقد قال فى حكم ابن عطاء متى اعطاك اشهدك بره واحسانه وفضله ومتى منعك اشهدك قهره وجلاله وعظمته فهو فى كل ذلك متعرف اليك تارة بجماله واخرى بجلاله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجه لك ما يوجب توجهك اليه ولكن انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما واجهك منه فقد قال ابو عثمان المغربى قدس سره الخلق كلهم مع الله فى مقام الشكر وهم يظنون انهم فى مقام الصبر وقال ابراهيم الخواص قدس سره لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله والثانية الشكر له فيجازى عنه من الدنيا مما ابتلى به غيره ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له فى المنع افضل من نظره له فى العطاء وعلامة صدقه فى ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء والتقرب باسم البر تعلقا وجود محبته لاحسانه وترك التدبير معه لما توجه من اكرامه وكثرة الدعاء كما قال انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وتخلقا بالنفع لعباد الله والشفقة عليهم فان البر هو الذى لا يؤذى الذر وفى التأويلات النجمية واقبل بعضهم يعنى القلب

والروح على بعض يعنى النفس يتساءلون قالوا انا كنا قبل اى قبل السير والسلوك فى اهلنا اى فى عالم الانسانية مشفقين اى خائفين من سموم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والشهوات الدنيوية فانها مهب سموم قهر الحق فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى سموم قهره ولولا فضله ما تخلصنا منه بجهدنا وسعينا بل انا كنا من قبل ندعوه ونتضرع اليه بتوفيقه فى طلب النجاة وتحصيل الدرجات انه هو البر يمن يدعوه الرحيم بمن ينيب اليه (فذكر) قال ابن الشيخ لما بين الله ان فى الوجود قوما يخافون الله ويشفقون فى اهلهم والنبى عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء (وقال الكاشفى) آورده اند كه جماعتى مقتسمان بر عقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام تزد قوافل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمد كه فذكر اى فابت على ما انت عليه من تذكير المشركين بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل (فما انت بنعمت ربك) نعمت رسمت بالتاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب اى بسبب انعامه بصدق النبوة وزيادة العقل (وقال الكاشفى) بافضل پروردگار خود يعنى بحمد الله ونعمته او ما انت بكاهن حال كونك منعما عليك به فهو سال لازمة من المنوى فى كاهن لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفى ويجوز ان يجعل الباء للقسم (بكاهن) كما يقولون قاتلهم الله وهو من يتدع القول ويخبر عما سيكون فى عدمه من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفى القاموس كهن له كجعل ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهنا وتكهينا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك فى قوله عليه السلام من سأل عرافا لم تقبل صلاته اربعين ليلة العراف من يخبر بما اخفى من المسروق او الكاهن وامامن سألهم لاستهزائهم او لتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين ليلة فان قلت هذا مخالف لقوله عليه السلام من صدق كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد قلت اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله او ان الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفى هدية المهديين من قال اعلم المسروقات يكفر ولو قال انا اخبر عن اخبار الجن يكفر ايضا لان الجن كالانس لا يعلم غيبا (ولا مجنون) وهو من له جنون وهو زوال العقل او فساده وفى المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفى التعريفات الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الافعال والاقوال على نهج العقل الا نادرا وهو عند ابى يوسف ان كان خاصا فى اكثر السنة فمطبق وما دونه فغير مطبق وفى التأويلات النجمية يشير الى ان طبيعة الانسان متنفرة من حقيقة الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحانى الذى جبل على فطرة الاسلام فى الانسان مودع بالقوة كالجوهر فى المعدن فلا يستخرج الى الفعل الا بجهد جهيد وسعى تام على قانون الشريعة ومتابعة النبى عليه السلام وارشاده وبعده باوشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون فى العلم من المشايخ المسلكين وفى زمان كل واحد منهم الخلق مع دعوى اسلامهم ينكرون على سيرهم فى الاغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله وطلب الحق الا من كتب الله فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو الصدق فى المطلب وحسن الارادة المنتجة من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والا فمن خصوصية طبيعة الانسان ان يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه انتهى يقول الفقير فى الآية تشريف للنبى عليه السلام جدا حيث ان الله تعالى ناب عنه فى الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو ايضا تصريح بما علم التزاما فان الامر بالتذكير الذى هو متعلق بالوحى وان مقتضاه كمال العقل والصدق فى القول يقتضى ان لا يكون عليه السلام

كاهنا ولا مجنونا فهذا النفي بالنسبة الى ظاهر الحال فانه لا يخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فان قوله لا اله نفي للوجود المتوهم الذي يتوهمونه والا فلا شيء غير الاثبات فافهم والله المعين

سيدى كزوهم قدرش برترست * خاك پايش چرخ را تاج سرست (ام يقولون) بلكه مى كويند در حق تو ام المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى الهمزة فيها الانكار ونقل البغوى عن الخليل انه قال ما في سورة الطور من ذكر ام كله استفهام وليس بعطف يعني ليست بمنقطعة وقال في برهان القرآن اعاد ام خمس عشرة مرة وكلها الزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي عين المعاني ام ههنا خمسة عشر وكله استفهام اربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل ام يقولون شاعر ام يقولون تقوله وقد قالوهما وام هم قوم طاغون وام يريدون كيدا وقد فعلوهما وسائرها للانكار وفي فتح الرحمن جميع ما في هذه السورة من ذكر ام استفهام غير عاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره اجاهل انت مع علمه بجهله (شاعر) اى هو شاعر وقد سبق معنى الشعر والشاعر في اواخر سورة يس مفصلا قال الامام المرزوقي شارح الحماسة تأخر الشعراء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لان ملوكهم قبل الاسلام وبعده يتحجون بالخطابة ويعدونها اكمل اسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة ولان الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر ان الاعجاز وقع في النثر دون النظم لان زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة كذا ذكره صاحب روضة الاخبار فان قلت فاذا كان الاعجاز واقعا في النثر فكيف قالوا في حق القرآن شعر وفي حقه عليه السلام شاعر قلت ظنوا انه عليه السلام كان يرجو الاجر على التبليغ ولذا قال تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر فكان عليه السلام عندهم بمنزلة الشاعر حيث ان الشاعر انما يستجلب بشعره في الاغلب المال وايضا لما كانوا يعدون الشعر دناءة حملوا القرآن عليه ومرادهم عدم الاعتداد به فان قلت كيف كانوا يعدون الشعر دناءة وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة قلت كان ذلك من كمال عنادهم او جريا على مسلك اهل الخطابة من الاوائل فاعرف فان هذا زائد على ما فصل في سورة يس وقد لاح بالبال في هذا المقام قال ابن الشيخ قوله ام يقولون الخ من باب الترقي الى قولهم فيه انه شاعر لان الشاعر ادخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقد قيل احسن الشعر اكذبه وكانوا يقولون لا نعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانا نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحينئذ تتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه وذلك قوله سبحانه وتعالى (نتربص به ريب المنون) التربص الانتظار والريب ما يقلق النفوس اى يورث قلقا واضطرابا لها من حوادث الدهر وتقلبات الزمان فهو بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وقيل سميت ريبا لانها لا تدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لا يبقى بل هو متزلزل وفي المفردات ريب الدهر صروفه وانما قيل ريب لما يتوهم فيه من المنكر وفيه ايضا الريب ان تتوهم بالشيء امرا ما فينكشف عما توهمه ولهذا قال تعالى لا ريب فيه والارابة ان تتوهم فيه امرا فلا ينكشف عما تتوهمه وقوله نتربص به ريب المنون سماه ريبا لا من حيث انه مشكك في كونه بل من حيث انه يشكك في وقت حصوله فالانسان ابدا في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه وعلى هذا قال الشاعر

الناس قد علموا ان لا بقاء لهم * لو انهم علموا مقدار ما علموا

انتهى والمنون الدهر والموت والكثير الامتنان كالمنونة والتي تزوجت لمالها فهي تمن على زوجها كالمنانة انتهى وقيل في الآية المنون الموت وريبه اوجاعه وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الدهر يقطع القوى والموت يقطع الاماني والعمر وفي المفردات قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد انتهى وريب منصوب على انه مفعول به والمعنى بل ايقولون ننتظر به نوائب الدهر فيهلك كما هلك غيره من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وغيرهم او ننتظر اوجاع الموت كما مات ابوه شابا وذلك كما تتمنى الصبيان في المكتب موت معلمهم ليتخلصوا من يده فويل لمن اراد هلاك معلمه في الدين وكان محروما عن تحصيل اليقين (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي والامر بالتربص للتهديد قال الراغب التربص انتظار الشخص سلعة كان يقصد بها غلاء او رخصا او امرا ينتظر زواله او حصوله انتهى وفيه عدة كريمة باهلاكهم

وجاء في التفسير ان جميعهم ماتوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع في زماننا ان بعض الوزراء اهان بعض الاولياء فاجلاه وكان ينتظر هلاكه فهلك قبله هلاكا هائلا حيث قتل وقتل معه الوف وفي الآية اشارة الى التربص في الامور ورد دعوة الخلق الى الله والتوكل على الله فيما يجري على عباده والتسليم لاحكامه في المقبولين والمردودين اذ كل يجري على ما قضاه الله (ام تأمرهم احلامهم) اى دع تفوههم بهذه الاقوال الزائفة المتناقضة وفيهم ما هو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز والاحلام العقول قال الراغب وليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (بهذا) اى بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها الى التناقض بعلاقة السببية كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او انه جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة المكنية وفي الكواشي جعلت الحلوم آمرة مجازا واضعفها جمعت جمع القلة قال في القاموس الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا والجمع احلام والحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم ومنه ام تأمرهم احلامهم وهو حليم والجمع حلماء واحلام انتهى وكان قريش يدعون اهل الاحلام والنهى فازرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص رضى الله عنه ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول كادها الله اى لم يعصمها التوفيق وفي الخبر ان الله لما خلق العقل قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل يعنى گفت بوى پشت برگرد پشت برگرد پس گفت روى بازگرد روى بازگرد فانى لم اخلق خلقا اكرم على منك بك اعبد وبك اعطى وبك آخذ قال ابو عبد الله المغربى لما قال له ذلك تداخله العجب فعوقب من ساعته فقيل له التفت فلما التفت نظر الى ما هو احسن منه فقال من انت قال انا الذى لا تقوم الابى قال ومن انت قال التوفيق (وفى المثنوى) جز عنايت كى كشايد چشم را * جز محبت كى نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * در جهان والله اعلم بالرشاد * روى ان صفوان بن امية خرج على رجل فقال انا صفوان بن امية بن خلف ابن فلان فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فارسل اليه وغضب فلما جاء قال ذكلتك امك ما قلت فهاب عمر ان يتكلم فقال عمر ان كان لك تقوى فان لك كرما وان كان لك عقل فان لك اصلا وان كان لك خلق حسن فان لك مروءة والا فانت شر من الكلب (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد مع ظهور الحق لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون قال ابن الشيخ ثم قيل لا بل ذلك من طغيانهم لانه ادخل في الذم من نقصان العقل وابلغ في التسلية لان من طغى على الله فقد باء بغضبه (ام يقولون تقوله) هو ترق الى ما هو ابلغ في كونه منكرا وهو ان ينسبوا اليه عليه السلام انه يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افترآه عليه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى اختلق القرآن من تلقاء نفسه وليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) البتة لان الله ختم على قلوبهم وفي الارشاد فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله الا واحد من العرب اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم وفي كون ذلك مبنيا على العناد اشارة الى انهم يعلمون بطلان قولهم وتناقضه (فليأتوا بحديث مثله) اى اذا كان الامر كما زعموا من انه كاهن او مجنون او شاعر لدعى الرسالة وتقول القرآن من عند نفسه فليأتوا بكلام مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى قال في التكملة المشهور في القراءة بحديث مثله بالتنوين فيكون الضمير راجعا الى القرآن وروى عن البزى انه قرأ بحديث مثله بالاضافة فيكون الضمير راجعا الى النبي عليه السلام (ان كانوا صادقين) فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بمقتضى مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام والاحاطة في ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك واعلم ان الاعجاز اما ان يتعلق بالنظم من حيث فصاحته وبلاغته او يتعلق بمعناه ولا يتعلق به من حيث مادته فان مادته الفاظ العرب والفاظه الفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا

تنبيها على ابتعاد العنصر وانه منظم من عين ما ينتظمون به كلامهم والقرآن معجز من جميع الوجوه لفظا ومعنى ومتميز من خطبة البلغاء ببلوغه حد الكمال فى اثنى عشر وجها ايجازا للفظ والتشبيه الغريب والاستعارة البديعة وتلاؤم الحروف والكلمات وفواصل الآيات وتجانس الالفاظ وتعريف القصص والاحوال وتضمين الحكم والاسرار والمبالغة فى الاسماء والافعال وحسن البيان فى المقاصد والاغراض وتمهيد المصالح والاسباب والاخبار عما كان ويكون (ام خلقوا من غير شئ) من لابتداء الغاية اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لاشئ من عبادة وجزاء فمن للسببية (وقال الكاشفى) آيا آفريده شده اند ايشانرا بى چيزى يعنى بى پدر ومادر مراد آنست كه ايشان آدمى اند از آدميان زاده شده نه جماد ند كه تعقل خود نكنند (ام هم الخالقون) لانفسهم فلذلك لايعبدون الا الله تعالى (ام خلقوا السموات والارض بل لايوقنون) اى اذا استلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته تعالى والايقان بى كمان شدن (ام عندهم خزآئن ربك) جمع خزانة بالكسر وهو مكان الخزن يقال خزن المال احرزه وجعله فى الخزانة وهو على حذف المضاف اى خزآئن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا او اعندهم خزآئن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (ام هم المسيطرون) اى الغالبون الى الامور يديرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية ويتولوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وفى عين المعانى اى الارباب المسلطون على الناس فيجبروهم على ما شاؤا من السطر كانه يخط للمسلط عليه خطا لايجاوزه وفى كشف الاسرار المسيطر المسلط القاهر الذى لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء يقال تصيطر على فلان بالسين والصاد اى سلط انتهى قال فى القاموس المسيطر الرقيب الحافظ والمتسلط والسطر الصف من الشئ الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة ويحرك فى الكل والصطر بالصاد ويحرك السطر وتصيطر تسيطر (ام لهم سلم) منصوب الى السماء وبالفارسية آيا مر ايشانراست نردبانى كه بدان بآسمان بروند قال الراغب السلم مايتوصل به الى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسما لما يتوصل به الى كل شئ رفيع كالسبب قال ابن الشيخ لما ابطل من الاحتمالات العقلية جميع ما يتوهم ان يبنوا عليه تكذيبهم وانكارهم لم يبق لهم الا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو اظهر استحالة فتهكم بهم وقال بل الهم سلم (يستمعون فيه) ضمن يستمعون معنى الصعود فاستعمل بفى وفيه متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يستمعون اى يستمعون صاعدين فى ذلك السلم ومفعول يستمعون محذوف اى الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويلقون بها اطماعهم الفارغة وفى كشف الاسرار فيه اى عليه كقوله فى جذوع النخل اى عليها (فليأت) پس بيايد كه بيارد فالباء الآتى للتعدية وهو امر تعجيز (مستمعهم) شنوندهٔ ايشان كه برآسمان برفتند ويغام غيب شنيدند (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه وبالفارسية بحجتى روشن كه گواه باشد برصدق استماع وى (ام له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله مايكرهون اوتسفيه لهم وتركيك لعقولهم واينان بان من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى بروحه الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية وذلك ان من جعل خالقه ادون حالا منه بان جعل له مايرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم فانه لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمقاء والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ (ام تسألهم اجرا) رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة تاتاوان زده شدند (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة فالمغرم مصدر ميمى بمعنى الغرم والمضاف مقدر وفى الكشاف المغرم ان يلتزم الانسان ماليس عليه وفى فتح الرحمن المغرم مايلزم اداؤه وفى المفردات الغرم مايثوب الانسان من ماله من ضرر بغير جناية منه وكذا المغرم والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين انتهى (مثقلون) محملون الثقل وبالفارسية گران بارشوند فلذلك لايتبعونك يعنى لاعذر لهم اصلا والدين لايباع بالدنيا * زبان ميكند مرد تفسير دان * كه علم وادب ميفروشد بنان * فالامر على الله تعالى كما قال ان اجرى الا على الله وقد سبق تحقيقه فى مواضع متعددة (ام عندهم الغيب)

اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات (وقال الكاشفى) پس ايشان مى نويسند ازان كه خبر بغمبر عليه السلام از اخر قيامت و بعث باطل ست يا كتابت كنند كه موت تو كى خواهد بود (ام يريدون كيدا) اى لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة و يريدون مع ذلك ان يكيدوا بك كيدا واساءة وهو كيدهم برسول الله عليه السلام فى دار الندوة ومكرهم بالقتل والحبس والاخراج فان الكيد هو الامر الذى يسوء من نزل به سواء كان فى نفسه حسنا او قبيحا فالاستفهام فى المعطوف للتقرير وفى المعطوف عليه للانكار وقال بعضهم الكيد ضرب من الاحتيال وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق وقال سعدى المفتى الظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة فان قيل فليكن نزول الطور فى تلك الليلة قلنا قد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما انه نزل بعدها بمكة تبارك الملك وغيرها من السور (فالذين كفروا هم المكيدون) القصر اضافى اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه فانه المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا او هم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته والمراد ما اصابهم يوم بدر من القتل يعنى عند انتهاء سنين عدتها عدة كلمة ام وهى خمس عشرة فان بدرا كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشرة من النبوة (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله) نزهه تعالى (عما يشركون) اى عن اشراكهم فما مصدرية او عن شركة ما يشركونه فما موصول والمضاف مقدر وكذا العائد * برذيل عزتش ننشيند غبار شرك * باوحدتش كسى دم شركت چه سان زند * هركاه افكنند بوصفش خيال را * دست كمالش آتش غيرت دران زند (وان يروا كسفا) اى قطعة (من السماء ساقطا) عليهم لتعذيبهم وفى عين المعانى قطعة من العذاب او من السماء او جانبا منها من الكسف وهو التغطية كالكسوف وفى القاموس الكسفة بالكسر القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف وفى المختار وقيل الكسف والكسفة واحد (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) غليظ او متراكب اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطنا عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم اى الق بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وفى التأويلات النجمية يعنى انهم وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء حتى شاهدوا بالعين لقالوا انما سكرت ابصارنا وليس هذا عيانا ومشاهدة (فذرهم) پس دست بدار ازايشان يعنى حرب مكن بايشان كه هنوز بقتال مأمور نيستى ومكافات ايشان بكنار (حتى يلاقوا) يعاينوا و بالفارسية تاوقتى كه به بينند معاينه (يومهم) مفعول به لا ظرف (الذى فيه يصعقون) اى يهلكون وبالفارسية هلاك كرده شوند وهو على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته اماتته واهلكته قال فى المختار صعق الرجل بالكسر صعقة غشى عليه وقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض اى مات وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ قال ابن الشيخ المقصود من الجواب عن الاقتراح المذكور بيان انهم مغلوبون باطجة مبهوتون وان طعنهم ذلك ليس الا للعناد والمكابرة حتى لو جيئناهم فى جميع مقترحاتهم لم يظهر منهم الا ما يبتنى على العناد والمكابرة فلذلك رتب عليه قوله فذرهم بالفاء (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ) اى شيأ من الاغناء فى رد العذاب و بالفارسية روزى كه نفع نكند و باز ندارد ازايشان مكر ايشان چيزى را از عذاب وهو بدل من يومهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى رفع العذاب عنهم (وان للذين ظلموا) اى وان لهؤلاء الظلمة ابى جهل واصحابه (عذابا) آخر (دون ذلك) غير ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين كما مر فى سورة الدخان او ورآءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كما ذكر لفرط جهلهم وغفلتهم اولا يعلمون شيأ اصلا وفيه اشارة الى ان منهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا فالعالم الغير العامل والجاهل سواء فعلى العاقل ان يحصل علوم الآخرة ويعمل بها قال بعض الكبار العلم علمان علم تحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت فينبغى الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الاحكام الشرعية فلا ينبغى النظر فيه الا بقدر ما تمس الحاجة اليه فى الوقت فان تعلق تلك العلوم انما هو بالاحوال الواقعة فى الدنيا لا غير وعلم ليس له حد يوقف عنده

وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة اذ العلم بمواطنها يؤدى العالم بها الى الاستعداد لكل موطن بما يليق به
لان الحق تعالى بنفسه هو المطالب فى ذلك اليوم بارتفاع الوسائط وهو يوم الفصل فينبغى للانسان العاقل
ان يكون على بصيرة من امره معدا الجواب عن نفسه وعن غيره فى المواطن التى يعلم انه يطلب منه الجواب فيها
فلهذا الحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله انتهى وفى الآية اثبات عذاب القبر فان الله تعالى يحيى العبد
المكلف فى قبره ويرد الحياة اليه ويجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه
وما يجيب به ويفهم ما اتاه من ربه وما اعده له من كرامة وهوان ولقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما اخبر
عليه السلام بفتنة الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان يا رسول الله ايرجع الى عقلى قال نعم قال
اذا اكفيكهما والله لئن سألانى لاسألنهما واقول لهما انا بى الله ثم ربكما انتما وانكرت الملحدة ومن تمذهب
من الاسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وانه ليس له حقيقة وقد رؤى ابو جهل فى جانب مصرعه فى بدر
انه خرج من الارض وفى عنقه سلسلة من نار يمسك اطرافها اسود وهو يطلب الماء حتى ادخله الاسود
فى الارض بجذب شديد واختلاف احوال العصاة فى عذاب القبر بحسب اختلاف معاصيهم واكثر عذاب القبر
فى البول فلا بد من التنزه عنه وسمع البهائم عذاب القبر وانما لم يسمع من يعقل من الجن والانس وكان
عليه السلام يدعو ويقول اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات
ومن فتنة المسيح الدجال ويجنى المؤمن من اهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة اشياء الاول الرباط فى سبيل الله
ولو يوما وليلة والثانى الشهادة بان يقتل فى سبيل الله والثالث سورة الملك فان من قرأها كل ليلة لم يضره
الفتان والرابع الموت مبطونا فانه لا يعذب فى قبره والمراد بالمبطون صاحب الاسهال والاستطلاق والخامس
الوقت ففى الحديث من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقى فتنة القبر نسأل الله سبحانه ان يعصمنا من الزلل
ويحفظنا من الخلل ويجعلنا فى القبر والقيامة من الآمنين ويبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين بجاه
النبى الامين والانبياء المرسلين والملائكة المقربين (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك
فيما بينهم مع مقاساة الاحزان والشدائد ولا تكن فى ضيق مما يمكرون بقول الفقير امر الله تعالى نبيه عليه السلام
بالصبر لحكمه لا لاذى الكفار وجفائهم تسهيلا للامر عليه لان فى الصبر لحكمه حلاوة ليست فى الصبر للاذى
والجفاء وان كان الصبر له صبرا للحكم فاعرف (فانك باعيننا) اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع
العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء فى الحفظ وبكثرة اسبابه اظهار للتفاوت بين الحبيب والكليم حيث
افرد فيه العين والضمير كما قال ولتصنع على عينى وفى التأويلات النجمية اى لاحكم لك فى الازل فانه لا يتغير
حكمنا الازلى ان صبرت وان لم تصبر ولكن ان صبرت على قضائى فقد جزيت ثواب الصابرين بغير حساب فانك
باعيننا نعينك على الصبر لاحكامنا الازلية كما قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وفى عرائس البيان للبقلى
ذكر قوله وربك بالغيبة لانه فى مقام تفرقة العبودية والرسالة تقتضى حاله حال المشقة ولذلك امره بالصبر ولما ثقل
عليه الحال نقله من الغيبة الى المشاهدة بقوله فانك باعيننا اى لتحفظك من الاعوجاج والتغير فى جريان احكامنا
عليك حتى تصير مستقيما بنا لنا فينا ونحن نراك بجميع عيون الصفات والذات بنعت المحبة والعشق تنظر بها
اليك شوقا اليك وحراسة لك فحرسك بها حتى لا يغيرك غيرها من الحدثان عنا ونرفع بها عنك طوارق قهرنا فانك
فى مواضع عيون محبتنا وانت فى اكناف لطفنا انظر كيف ذكر الاعين وليس فى الوجوه اشرف من العيون ومن
احتصن بالله كان فى حفظه ومن كان فى حفظه كان فى مشاهدته ومن كان فى مشاهدته استقام معه ووصل اليه
ومن وصل اليه انقطع عما سواه ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين قال بعضهم كنا مع ابراهيم بن ادهم
قدس سره فاتاه الناس وقالوا يا اسحق ان الاسد وقف على طريقنا فاتى ابراهيم الى الاسد وقال له يا ابا الحرث
ان كنت امرت فينا بشئ فامض لما امرت به وان لم تؤمر بشئ فتنح عن طريقنا فادبر الاسد وهو يهمهم
والهمهمة ترديد الصوت فى الصدر فقال ابراهيم وما على احدكم اذا اصبح وامسى ان يقول اللهم احرسنا بعينك
التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا وقال الخواص
قدس سره كنت فى طريق مكة فدخلت الى خرابة بالليل واذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بى هاتف اثبت فان
حولك سبعين الف ملك يحفظونك يقول الفقير يحتمل ان يكون هذا الحفظ الخواصى بسبب بعض الادعية وكان

يلازمه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وقرأ ثلاث آيات آخر سورة الحشر هو الله الذي لا اله الا هو الى آخر السورة حين يصبح وكل الله به سبعين الف ملك يصرسونه وكذلك اذا قرأها حين يمسي وكل الله به سبعين الف ملك يحرسونه ويحتمل ان يكون ذلك بسبب ان الخواص من احباب الله والحبيب يحرس حبيبه كما روى انه ينزل على قبر النبي عليه السلام كل صباح سبعون الف ملك ويضربون اجنحتهم عليه ويحفظونه الى الليل ثم ينزل سبعون الفا غيرهم فيفعلون به الى الصباح كما يفعل الاولون وهكذا الى يوم القيامة (وسبح) اى تزهه تعالى عما لا يليق به حال كونك ملتبسا (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من اى مقام قمت قال سعيد ابن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك اى سبح الله ملتبسا بحمده فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه وهو بالغين المعجمة والطاء المهملة الكلام الردئ القبيح واختلاط اصوات الكلام حتى لا يفهم فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفي فتح القريب فقد غفر له يعني من الصغائر مما لم يتعلق بحق آدمي كالغيبة وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش الى ان يدخل في الصلاة لما روى عن عاصم ابن حميد انه قال سألت عائشة رضي الله عنها باي شئ يفتتح رسول الله عليه السلام قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (ومن الليل فسبحه) افراد بعض الليل بالتسبيح والصلاة لان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل يقول الفقير ولان الليل زمان المعراج والصلاة هو المعراج المعنوي فمن اراد ان يلتحق برسول الله عليه السلام في معراجه فليصل بالليل والناس نيام اى في جوفه حين غفلة الناس ولشرف ذلك الوقت كان معراجه عليه السلام فيه لاقرب الصباح لان في قربه قد يستيقظ بعض النفوس للحاجات وان كان السحر الاعلى مما له خواص كثيرة (وادبار النجوم) بكسر الهمزة مصدر ادبر والنجوم جمع نجم وهو الكوكب الطالع يقال نجم نجوما ونجما اى طلع والمعنى ووقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وفي الآية دليل على ان تأخير صلاة الفجر افضل لانه امر بركعتي الفجر بعد ما ادبر النجوم وانما ادبر النجوم بعد ما يسفر قاله ابو الليث في تفسيره وقال اكثر المفسرين ادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم بضوء الصبح وفي الحديث ركعتا الفجر اى سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وفيه بيان عظم ثوابهما يقول الفقير في قولهم وذلك حين الخ نظر لان السنة في سنة الفجر انه يأتي بها في اول الوقت لان الاحاديث ترجحه فالتأخير الى قرب الفرض مرجوح واول وقتها هو وقت الشافعي وليس للنجوم ادبار اذ ذاك وانما ذلك عند الاسفار جدا وقال سهل قدس سره صل المكتوبة بالاخلاص لربك حين تقوم اليها ولا تغفل صباحا ولا مساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك في كل الاوقات وفي التأويلات النجمية قوله وسبح الخ يشير الى مداومته على الذكر وملازمته بالليل والنهار انتهى وقد سبق بيانه في آخر سورة ق قال بعض الكبار من سوء ادب المريد ان يقول لشيخه اجعلني في بالك فان في ذلك استخداما للشيخ وتهمة له وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له اسألك مرافقتك في الجنة حيث قال للسائل اعني على نفسك بكثرة السجود فحوله الى غير ما قصد من الراحة فعلم الرياضة واجب تقديمه على الفتح في طريق السالكين لا المجذوبين والله عليم حكيم انتهى وفي الحديث من خاف ان لا يقوم من آخر الليل فليوتر اوله ومن طمع ان يقوم آخره فليوتر آخر الليل فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك افضل يقول الفقير كان التهجد فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان يؤخر الوتر الى آخر الليل اما لما ذكر من شهود الملائكة في ذلك الوقت واما لان الوتر صلاها عليه السلام اول ليلة المعراج وكان المعراج بعد المنام فناسب فصلها عن العشاء وتأخيرها وفي ختم هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الآتية بالنجم ايضا من حسن الانتهاء والابتداء ومن الاسرار

مالا يخفى على اهل التحقيق

تمت سورة الطور بعون الله الغفور فى اواخر رجب الفرد من سنة اربع عشرة ومائة والف

سورة النجم مكية وآيها احدى اوثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم) سورة النجم اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقراءتها فى الحرم والمشركون يستمعون نزلت فى شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ابى لهب فى رواية فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفينى هذا وفى رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فانه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وفى رواية وصحت امية بن خلف وقد يقال لا مانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابو لهب ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد رأيت الرجل اى الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات وانما سجد المشركون لان النبى عليه السلام لما بلغ الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى ألقى الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى كما سبق فى سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا انه من القرآن فسجدوا لتعظيم آلهتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير ايمان اذ هم لم يسمعوا الا ما القى الشيطان فى آذان المشركين واراد بالغرانيق العلى الاصنام شبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم النون المفتوحة او غرنوق بضم الغين والنون ايضا او غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركى او ما يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترفع فى السماء فالاصنام مشبهة بها فى علو القدر وارتفاعه قال بعضهم والنجم اول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى ان اقرأ باسم ربك اول سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها اوآتلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم اصحاب معانى گفتند قسم در قرآن بر دو وجه است يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فوربك فيعزتك والقرآن المجيد وهمچنين حروف تهجى در اوائل سور هر حرفى اشارتست بصفتى از صفات حق وقسم بر ان يادكرده وجه دوم قسمست بمخلوقات وآن بر چهار ضربست يكى اظهار قدرت را چنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا واشاله تنبه العباد على معرفة القدرة فيها ديگر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله لا اقسم بيوم القيامة اقسم بها ليعلم هيبته فيها سوم قسم يادميكند اظهار نعمت را تا بندگان نعمت خود از الله بشناسند وشكر آن بگزارند كقوله والتين والزيتون چهارم قسم است ببعض مخلوقات بيان تشريف را تا خلق عزو شرف آن چيز بدانند كه قسم بوى يادكرده كقوله لا اقسم بهذا البلد يعنى مكة وكذلك قوله وطور سينين وهذا البلد الامين ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام لعمرك وهذا على عادة العرب فانها تقسم بكل ما تستعظمه وتريد اظهار تعظيمه وقيل كل موضع اقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم يعنى برب النجم ورب الذاريات واشباه ذلك والمراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها ومنه قوله عليه السلام ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلى رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم ايضا وبألية الحمل لانها تطلع بعد بطن الحمل وهى سبعة كواكب ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراها كلها القوة جعلها الله فى بصره وقال فى عين المعانى وهى سبعة انجم ظاهرة والسابع تتمحن به الابصار وكانت قريش تجلها وتقول احسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الارض زين السماء وكانت رحلتاها عند طلوعها وسقوطها فاذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف واذا طلعت بالعشى عدوها من الشتاء قال الشاعر

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

وما جنس النجوم وهويه كما قال تعالى (اذا هوى) غروبه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثانى هويا بوزن قبول اذا غرب فان الهوى سقوط من علو الى اسفل وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد والعامل فى اذا القسم او المقسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك اتيتك اذا احمر البسر فلا يلزم عمل فعل

الحال فى المستقبل يعنى ان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان فيكون المعنى اقسم الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان ثم ان الله تعالى اقسم بالنجم حين هوى اى وقت هويه لان شأنه ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة فى البر والجارية فى البحر الى سواء السبيل والسعت (ماضل صاحبكم) هو جواب القسم اى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة وهذا دليل على ان قوله ووجدك ضالا ليس من ضلال النبى فانه عليه السلام قبل الوحى وبعده لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الامور وفيه بيان فضل النبى عليه السلام ان الله تعالى قال فى حق آدم عليه السلام وعصى آدم ربه فغوى وقال فى حقه ماضل صاحبكم (وماغوى) النفى هو الجهل المركب قال الراغب النفى جهل من اعتقاد فاسد وذلك ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقد اصلا لاصالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شئ فاسد وهذا الثانى يقال له غى فعطفه على ماضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشأن الاعتقاد بمعنى انه فرق بين النفى والضلال وليسا بمعنى واحد فان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الاقوال والافعال والاخلاق والعقائد التى شرعها الله وبينها لعباده فالمعنى وما اعتقد باطلا قط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ اصلا وكانوا يقولون ضل محمد عن دين آبائه وخرج عن الطريق وتقول شيأ من تلقاء نفسه فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيما له والخطاب لقريش وارداده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله واساطتهم خبرا بيرآته عليه السلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما كما فى الارشاد (وقال الكاشفى) وتسمية صاحب بجهت آنست كه حضرت پيغمبر عليه السلام مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان ويؤيد ما فى الارشاد قول الراغب فى المفردات لا يقال الصاحب فى العرف الا لمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة سمى النبى عليه السلام صاحبهم تنبيها انكم صحبتموه وبرتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلا وجنة وتقييد القسم بوقت الهوى لان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدى المفتى ثم التقييد بوقت الهوى اى الغروب لكونه اظهر دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام لا احب الآفلين قال ابن الشيخ فى حواشيه وفيه لطيفة وهى ان القسم بالنجم يقتضى تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للالهية بافوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فان لفظة النجم دلت على طلوعه فان اصل النجم الكوكب الطالع وقال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه اراد بالنجم محمدا عليه السلام اذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول كفته اند آن روز كه اين آيت فرو آمد ورسول خدا بر قريش آشكارا كرد عتبة بن ابى لهب كفت كفرت برب النجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلبا من كلابك بعد ازان عتبه بتجارت شام رفت باپدر خويش ابولهب درمنزلى ازمنازل راه فرو آمدند وآنجا ديرى بود راهبى ازدير فرو آمد وكفت هذه ارض مسبعة درين منزل سباع فراوان بود تكريد تا خويش را ازسباع نكاه داريد ابولهب اصحاب خويش را كفت اين پسر مرا نكاه داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد در وى رسد ايشان همه كردوى در آمدند واورا درميان كرفتند وپاس او مى داشتند درميانهٔ شب رب العالمين خواب بر ايشان افكند وشير بيامد وبايشان در كذشت واطمة برعتبه زد واورا هلاك كرد ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلى اذا سجد والغازى اذا قتل شهيدا والعالم اذا مات ووضع فى قبره فان هؤلاء نجوم والاخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء امتى كالنجوم بهما يهتدى فى البر والبحر وقال الامام الغزالى رحمه الله هم الصحابة اذا ماتوا لقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الاسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الارض وقال بعضهم هو قسم بنور المعرفة اذا وقع فى القلب قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (وقال الكاشفى) ونزد محققان سوكند يادكرده

بستارة دل حضرت محمد عليه السلام بر فلك توحيد منقطع شد از ماسوى الله تعالى وايضا اقسم الله بنجم الالهام حين سقط من صحائف الغيوب الى معادن القلوب وفى التأويلات النجمية قال الاخفش النجم نبت لا ساق له فيكون هويه سقوطه على الارض كما قال والنجم والشجر يسجدان يشير الى ان الله تعالى ينبت حبة المحبة الدآئمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التى وقعت وسقطت من روض سماء ذاته المطلقة الكلية الجمعية الاحاطية فى ارض قلب نبيه وحبيبه القابل لانبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرءآنية وشقائق التجليات الربانية وازهار التنزلات الحقانية وعرار اللطائف الاحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وامثالها وجواب القسم ما ضل صاحبكم وما غوى وبه يشير الى ان وجود النبى عليه السلام لما كان اول نور وحدانى بسيط علوى لطيف شعشعانى تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الازلية من غير واسطة كما اخبر عنه بقوله انا من الله والمؤمنون منى وليست فيه ظلمة الوسائط الامكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغى بل هو على نوريته الاصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهى باق كما هو ما اثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية وما ضل بامر الطبيعة وما غوى بحكم البشرية فانه صلى الله عليه وسلم قائم بالحق خارج عن الطبع كما اخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله لست كاحدكم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع واحكامه انتهى يقول الفقير امده الله القدير لفظ النجم نون هى خمسون بحساب ابجد وجيم هى ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هى اربعون فاشار الى النبى عليه السلام بعث عند الاربعين وجعل خاتم الانبياء والمرسلين ومكث فى مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم فى هذه الآية كما سماه سراجا منيرا فى آية اخرى لانه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالى غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته الى المدينة ولذا اقسم الله على عدم ضلاله وغيه لانه فى غروبه ذلك وحركته راشد مهدى حيث كان بامر الله تعالى واذنه فلما غرب من مكة اظلم الدنيا على قريش وصاروا فى ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة اشرقت الارض على المؤمنين حتى انهم وقعوا فى البدر التام فى السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لوآء حبيبه بنور النصرة على الاعدآء ببدر وصار حال الاعدآء الى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وسر قوله عليه السلام لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله اى ينقطع اهل الذكر المتصل وكان هو النبى عليه السلام فى مكة وبخروجه عنها وبمفارقته عن ارضها واصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع اهل الذكر الدآئم من الارض ففيه الناس يعنى الناسين لا يعرفون قدر اهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم مع ان فى ذلك هلاكهم لانهم ملكوتهم وبانقطاع الملكوت والارواح عن الملك والاجسام يزول الملك وتخرب الاجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا ان لله رجالا متصرفين فى اقطار الدنيا ولو فى دار الحرب فانه لابد للوجود من فيض البقاء والامداد امدنا الله واياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده امين امين

(وما ينطق عن الهوى) يقال نطق ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعانى كما فى القاموس فلا يستعمل فى الله تعالى لان التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم اذا احبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مائل الى ما يهواه فى امر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله انبياءه فقال لداود عليه السلام ولا تتبع الهوى ولنبينا عليه السلام ولا تتبع اهوآءهم ولم يمل احد من الانبياء اليه بدليل قوله عليه السلام ما اطلى نبى قط يقال اطلى الرجل اذا مال الى هواه حكى عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لا مخلص لاحد عن الهوى ولو كان فلانا عنى به النبى عليه السلام حيث قال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقلت له اما تستحيى من الله تعالى فانه ما قال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ما كان من عند الله تعالى ثم حصل لى غم وهم فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لا تغتم فقد كفينا امره

ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل في الطريق نعوذ بالله من الاطالة على الانبياء وورثتهم الاولياء وضمن ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء اى وما ينطق بالهوى كما يقال رميت عن القوس اى بالقوس وفي التنزيل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى آلهتنا عن قولك اى بقولك قال ابن الشيخ قال اولا ماضل وما غوى بصيغة الماضي ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل يا ناظر الحاله قبل البعثة وبعدها اى ماضل وما غوى حين اعتزلكم وما تعبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الان حين يتلو عليكم آيات ربه انتهى يقول الفقير فيه بعد كما لا يخفى والظاهر ان صيغة الماضي باعتبار قولهم قد ضل وغوى اشارة الى تحقق ذلك في زعمهم واما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق في كل حال والله اعلم بكل حال (ان هو) اى ما الذي ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى (يوحى) اليه بواسطة جبريل عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي يعني ان فائدة الوصف التنبيه على انه وحي حقيقة لا انه يسمى به مجازا والوحى قد يكون اسما بمعنى الكتاب الالهي وقد يكون مصدرا وله معان الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وفيه اشارة الى ان النبي عليه السلام قد فنى عن ذاته وصفاته وافعاله في ذات الله وصفاته وافعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا اثر ولا عين فكان ناطقا ينطق الحق لا ينطق البشرية فلا يتوهم فيه ان يجري عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة اذ هو محفوظ كما ان النبي عليه السلام معصوم قال بعض الكبار من وضع من الغفر آه ورد من غير الوارد في السنة فقد اساء الادب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك بتعريف من الله تعالى فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلي قدس سره فانه سافر في بحر القلزم مع نصراني يقصد الحج فتوقف عليهم الريح اياما فرأى النبي عليه السلام في مبشرة فلقنه اياه فقرأه وامر النصراني بالسفر فقال واين الريح فقال افعل فانه الآن يأتيك فكان الامر كما قال واسلم النصراني بعد ذلك وقس عليه الالهام والتعريف في اليقظة وقد اخبر ابو يزيد البسطامي قدس سره انه يولد بعد وفاته بمدة طويلة نفس من انفاس الله وهو الشيخ ابو الحسن الخرقاني قدس سره فكان كما قال (وكذا قال صاحب المثنوى) لوح محفوظ نيست اورا پيشوا * از چه محفوظ نيست محفوظ از خطا * در نجوم نيست وفي رمل نيست ونه خواب * وحى حق الله اعلم بالصواب * از پى رو پوش عامه در بيان * وحى دل كويند اورا صوفيان * وحى دل كيرش كه منظر كاه اوست * چون خطا باشد چو دل آكاه اوست * مؤمنا ينظر بنور الله شدى * از خطا وسهو ايمن آمدى (علمه) اى القرآن الرسول اى نزل به عليه وقرأه عليه وبينه له هذا على ان يكون الوحى بمعنى الكتاب وان كان بمعنى الالهام فتعليمه بتبليغه الى قلبه فيكون كقوله نزل به الروح الامين على قلبك (شديد القوى) من اضافة الصفة الى فاعلها مثل حسن الوجه والموصوف محذوف اى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة في ابداء الخوارق ويكفيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفنفه نفنفة بجناحه يعني بانزدويرا بجناح خود بادى والقاه في اقصى جبل في الهند وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده في اسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) اى حصافة يعني استحكام في عقله ورأيه ومتانة في دينه قال الراغب امررت الحبل اذا فتلته والمرير والممرر المفتول ومنه فلان ذو مرة كأنه محكم الفتل وفي القاموس المرة بالكسر قوة الخلق وشدته والجمع مرر وامرار والعقل والاحصاد والاحكام والقوة وطاقة الحبل كالمريرة فذو مرة جبريل عليه السلام والمريرة الحبل الشديد الفتل (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام جبريل واستقر على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحا اى مزينا بالجواهر دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى كصورة دحية امير العرب وكما ان ابراهيم عليه السلام في صورة الضيف وداود عليه السلام في صورة الخصم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه

فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبل حرآء وهو الجبل المسمى بجبل النور فى قرب مكة فقال ان الارض لا تسعنى ولكن انظر الى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله كما خر موسى فى جبل الطور فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وذلك فان الجسد وهو فى الدنيا لا يحمل رؤية ما هو خارج عن طور العقل فنهار رؤية الملك على صورة جبل عليها واعظم منها رؤية الله تعالى فى هذه الدار قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير نبينا عليه السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتى وروى ان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه قال يا رسول الله ارنى جبرآئيل فى صورته قال انك لا تستطيع ان تنظر اليه قال بلى يا رسول الله ارنيه فقعد ونزل جبرآئيل على خشبة فى الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها اذا طافوا فقال عليه السلام ارفع طرفك يا حمزة فانظر فرفع عينيه فاذا قدماه كالزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه وروى انه رآه على فرس والدنيا بين كلكليها وفى وجهه اخدود من البكاء لو القيت السفن فيه لجرت وانما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الامر مرة فى عالم الكون والفساد واخرى فى المحل الارفع الاعلى وانما قام بصورته ليؤكد ان ما يأتيه فى صورة دحية هو هو فانه اذا رآه فى صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ما وفى كشف الاسرار فان قيل كيف يجوز ان يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد قلتم ان جبرآئيل اتى رسول الله مرة فى صورة رجل ومرة فى صورته التى ابتدأه الله عليها وان ابليس اتى قريشا فى صورة شيخ من اهل نجد فالجواب عنه ان تغيير الصور الذى هو تغيير التركيب والتأليف لا يقدر عليه الا الله واما صفة جبرآئيل فجعل الله تعالى تنبيها للمصطفى عليه السلام وليعلم انه امر من الله اذ رآه فى صور مختلفة فان ذلك لا يقدر عليه الا الله وهو ان يراه مرة قد سد الافق واخرى يجمعه مكان ضيق واما ابليس فكان ذلك منه تخييلا للناظرين وتمويها دون التحقيق كفعل السحرة بالعصى والحبال قال الله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليهم من سحرهم انها تسعى انتهى ما فى الكشف وقال فى احكام المرجان قال القاضى ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور اى صور الانس والبهائم والطير وانما يجوز ان يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله او على فعل اذا فعله نقله الله من صورته الى صورة اخرى يجرى العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزآء واذا انتقضت بطل الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول فى تشكيل الملائكة من ذلك انتهى وقال والهى الاسكوبى فيه ان من قال تمثل جبريل وتصور ابليس ليس مراده انهما احدثا تلك الصورة وانما المراد عن قدرة انفسهما بل باقدار الله على التمثيل والتصوير كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية ما فى الباب ان العامل عن طريق اقدار الله به من الاسباب المخصوصة انتهى وقال فى انسان العيون فان قيل اذا جاء جبريل على صورة الآدمى دحية او غيره بل هى الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير روح او ميتا اجيب بان الجائى يجوز ان لا يكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل فى الملائكة قدرة على التطور والتشكل باى شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزآئد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرآئى فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد ان الحق تعالى يظهر فى صورة على واولاده الاثنى عشر رضى الله عنهم ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف فى جسد آخر غير جسدها المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء انواع وعد منها ان يكون له اجساد متعددة قال وهذا هو الذى يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ عبد القادر الطبطوطى فقد ذكر الجلال السيوطى انه رفع اليه سؤال

في رجل حلف بالطلاق ان ولي الله الشيخ عبد القادر الطبسطوطي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما فارسلت قاصدي الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال لو قال اربعون اني بت عندهم لصدقوا فافتيت بانه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعراني واخبرني من صحب الشيخ محمد الخضري انه خطب في خمسين بلدة في يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم اماما واما الشيخ حسين ابو علي المدفون بمصر المحروسة فاخبرني عنه اصحابه ان التطور كان دابه ليلا ونهارا حتى في صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض اعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلا ورموه على كوم بعيد ثم اصبحوا فوجدوه قائما يصلي وفي جواهر الشعراني وصورة التطور ان يقدر الله الروح على تدبير ما شاءت من الاجسام المتعددة بخلعة كن فللاولياء ذلك في الدنيا بحكم خرق العادة واما في الآخرة فان نفس نشأة اهل الجنة تعطي ذلك فيدبر الواحد الاجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر اعضاء البدن فتكون تسمع وانت تبصر وتبطش وتمشي ونحو ذلك وفي الفتوحات المكية والذي اعطاه الكشف الصحيح ان اجسام اهل الجنة تنطوي في ارواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون في اي صورة شاؤا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الارواح انتهى وفي انسان العيون عالم المثال عالم متوسط بين عالم الاجساد والارواح الطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب اولى من جواب ابن حجر بان جبرائيل كان يندمج بعضه في بعض وهل مجيء جبرائيل في صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه دحية الكلبي كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد في صورته اعلاما من الله تعالى انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي عندي فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولا سيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحرك ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك الصورة الا ان يدعي انه من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمي غيره بقي هنا كلام وهو ان السهيلي رحمه الله ذكر ان المراد بالاجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب انتهى يقول الفقير هذا كلام عقلي ولا منع من ان يجمع الملك بين قوة روحانية وبين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك كجناح الطير او غيره فان المعقولات مع المحسوسات تدور والجمع انسب بالحكمة والصق بالقدرة وقد اسلفنا مثل هذا في اوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند اولي الالباب وانما يقتضي المقام ان يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا ازيد ولا انقص ولم اظفر ببيانه لا في كلام اهل الرسوم ولا في اشارات اهل الحقائق والذي يدور بالبال الهاما من الله تعالى لا تعملا وتأملا ان النبي عليه السلام انما عرج ليلة الاسراء بالفناء التام ولذا وقع الاسراء في الليل الذي هو مظهر الفناء دون النهار الذي هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعا على مراتب الاسماء السبعة التي آخرها القيوم القهار وللاشارة الى هذا جعلت منارات الحرم المكي سبعا لان سر البقاء انما ظهر في حرم النبي عليه السلام ولذا جعلت منارته خمسا على عدد مراتب البقاء التي اشير اليها بالاسماء الخمسة الباقية من الاثني عشر التي آخرها الاحد الصمد وكل واحد من تلك الاسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها الى الاسماء الحسنى مع احدية جمعها فيكون مجموعها بهذا الحسب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبي عليه السلام في الفناء لم يتجاوز تلك الليلة مقامه الذي هو سدرة المنتهى حتى قال لو دنوت انملة لاحترقت وتجاوزه النبي عليه السلام الى مستوى العرش وقهره وغلب عليه في ذلك فانتهى سير جبريل الى الاسم القيوم فصار مقهورا تحت سير النبي عليه السلام وقائما في مكانه وقائما بوحيه للقلوب ولذا سمي بروح القدس لحياة القلوب بوحيه كحياة الاجساد بالارواح فله من تلك الاجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى وانتهى سير النبي عليه السلام الى الاسم القهار فصار ما حصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح معنوية فظهر ان القوة النبوية ازيد

من

من القوة الملكية لانها القوة الالهية وقد قال تعالى يد الله فوق ايديهم فان جبريل لكونه من الايدى انما يستفيد اليد والقوة من يد النبى عليه السلام وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين (وهو بالافق الاعلى) حال من فاعل استوى والافق هى الدائرة التى تفصل بين مايرى من الفلك وبين مالا يرى والافق الاعلى مطلع الشمس كما ان الافق الادنى مغربها والمعنى والحال ان جبريل بافق الشمس اى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وبالفارسية وبكنارة بلند تربود از آسمان يعنى نزديك مطلع افتاب ومنه يعلم ان مطلع الشمس ومغربها كرأس الانسان ورجله وان كانت الدنيا كالكرة على ماسلف وايضا مثل روح الانسان وجسده فان الروح علوى والجسد سفلى وقد طلع من عالم الارواح وغرب فى عالم الاجسام (ثم دنا) اى اراد الدنو من النبى عليه السلام حال كونه فى جبل حرآء والدنو القرب بالذات او بالحكم ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة كما فى المفردات (فتدلى) التدلى استرسال مع تعلق اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلقه به فدنا من النبى عليه السلام يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وفى الحديث لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله اى على علمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان وادلى دلوه والدلو والثمر المعلق وبالفارسية اونك (فكان) اى مقدار امتداد مابينهما وهو المسافة (قاب قوسين) من قسى العرب اى مقدارهما فى القرب وذكر القوس لان القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الاشياء بالقوس وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبرآئيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار مابين الوتر والقوس كانه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب واصله ان المتحابين من العرب كانا اذا اراد اعقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما فاصطفا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا لانه يقاس به المذروع اى يقدر فلم يكن قريبا قرب التصاق ولا بعيدا بحيث لا يتأتى معه الافادة والاستفادة وهو الحد المعهود فى مجالسة الاحباء المتأدبين (اوادنى) اى على تقديركم ايها المخاطبون كما فى قوله او يزيدون فان التشكيك لا يصح على الله فاو للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القرآن اى لورأهما رآئى منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب اوادنى اى لا التبس عليه مقدار القرب والمراد اى من قوله ثم دنا الى قوله اوادنى تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكلما دنا جبريل من النبى عليهما السلام انتقص فلما قرب منه مقدار قوسين رآه على صورته التى كان يراه عليها فى سائر الاوقات حتى لا يشك انه جبريل وهنا كلام آخر يجىء بعد تمام الآيات (فاوحى) اى جبرآئيل (الى عبده) اى عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض والمراد بالعبد المشرف بالاضافة الى الله هو الرسول عليه السلام كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده (ماأوحى) اى من الامور العظيمة التى لا تفى بها العبارة اوفاوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ماأوحى (ما كذب الفؤاد) اى فؤاد محمد عليه السلام وما نافية (مارأى) ما موصولة وعائدها محذوف اى مارآه ببصره من صورة جبريل اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره قال بعضهم كذب مخففا ومشددا بمعنى واحد وقال بعضهم من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ما كذب فؤاده فيما رآه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول ذلك ان لو قال له لا اعرفك ولا اعتقدبك (افتمارونه على مايرى) اى أتكذبون محمدا عليه السلام فتجادلونه على مايراه معاينة من صورة جبريل فالفاء للعطف على محذوف اوابعد ماذكر من احواله المنافية للمماراة فتمارونه فالفاء للتعقيب وذلك ان النبى عليه السلام لما اخبر برؤية جبريل تعجبوا منه وانكروا والمماراة والمرآة المجادلة بالباطل فكان حقه ان يتعدى بفى يقال جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فتعدى تعديتها لان المماري يقصد بفعله غلبة الخصم واشتقاقه من حرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يجرى ما عند صاحبه يقال مريت الناقة مريا مسحت ضرعها للدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى اوغيره يقول الفقير كان للظاهر ان يقال على ما رأى وجوابه انه لما كان اثر الرؤية باقيا صح ان يقال يرى وايضا ان رؤية جبريل مستمرة الى وقت الانتقال ولو على غير صورته الاصلية وقال الحسن البصرى رحمه الله وجماعة علمه شديد القوى اى علمه الله وهو وصف

من الله نفسه بكمال القدرة والقوة ذو مرة اى ذو احكام الامور والقضايا وبين المكان الذى فيه علمه بلا واسطة فاستوى اى محمد عليه السلام وهو بالافق الاعلى اى فوق السموات ثم دنا پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت احديت يعنى مقرب درگاه الوهيت گشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتن كرد يعنى بمجدهٔ خدمت آورد خدايرا وچون اين مرتبه بواسطهٔ خدمت يافته بود ديگر باره در وظيفهٔ خدمت افزود ودر مجدهٔ وعدهٔ قرب نيز هست كه اقرب ما يكون العبد من ربه ان يكون ساجدا فكان قاب قوسين اوادنى كايتست اذ تأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطهٔ تقرب بافهام درصورت تمثيل مؤدى شده چه عادت عظماء عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدى وتوثيق عهدى خواستندى كه بغض بدان راه نيابد هريك از متعاقدان كمان خود حاضر ساخته بايكديگر انضمام دادندى وهردو بيكبار قبضتين را كرفته وبيكبار كشيدو باتفاق يك تير ازان بينداختى واين صورت ازايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلى ميان ما تحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد اصلى بروجهى ثبوت يافت كه بعد ازان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديگرست پس كويا درين آيت باعنايت آن معنى مؤدى شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر باحق سبحانه وتعالى بمثابهٔ تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود درگاه خداست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بمنزلهٔ دل مطهر او فكان قاب قوسين مقام روح مطيب اوادنى بمرتبهٔ سر منور او ونفس او درمكان خدمت بود ودل او درمنزل محبت وروح او درمقام قربت وسر او درمرتبهٔ مشاهدت شيخ ابوالحسين نورى را قدس سره ازمعنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرائيل نكنجند نورى كيست كه ازان سخن تواند كفت * خيمه برون زدز حدود وجهات * پردهٔ او شد تتق نور ذات * تيركى هستى ازو دور كشت * پردكى پردهٔ آن نور كشت * كيست كزان پرده شود پرده ساز * زمزمهٔ كويد ازان پرده باز * ويدل على ان ضمير دنا يعود اليه عليه السلام انه قال فى رواية لما اسرى بى الى السماء قرنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين اوادنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم اى بوقوفهم على اخبارهم ولافضحهم عند الامم اى لتأخرها عنهم وقال بعض الكبار ثم دنا اشارة الى العروج والوصول وقوله فتدلى الى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة اشارة الى الوصول الى عالم الصفات المشار اليه بقوله تعالى الله الصمد وقوله اوادنى اشارة الى الوصول الى عالم الذات المشار اليه بقوله تعالى الله احد فى سورة الاخلاص فحاصل المعنى ثم دنا اى الى الحق من الخلق فتدلى الى الخلق من الحق فكان قاب قوسين فى مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق اوادنى فى الوحدة الاحدية المختصة بغيب ذات الحق واذا هنا امران الاول الوصول الى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء فى الصفات فقط والثانى الوصول الى مرتبة اوادنى وذلك بفناء فى الصفات والذات معا فان يسر الله النزول والبقاء يكمل الامر فى هاتين الجهتين ولعمرى عزيز اهل هذا المقام جدا وقال بعضهم ضمير دنا الى آخره يعود الى الله تعالى قال فى كشف الاسرار ردنو الله من العبد على نوعين احدهما باجابة الدعوة واعطاء المنية ورفع المنزلة كما فى قوله فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والثانى بمعنى القرب فى الحقيقة دون هذه المعانى كقوله ثم دنا فتدلى انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى اى زاد فى القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين اوادنى فمعنى الدنو والتدلى الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه الى السماء الدنيا كل ليلة حتى لا يبقى ثلث الليل الاخير وهو ان ذلك عند اهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل فى خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو فى حقهم حقيقة وفى حقه تعالى مجاز كما فى انسان العيون قال القاضى ابو الفضل فى كتاب الشفاء اعلم ان ما وقع فى اضافة الدنو والقرب من الله اوالى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام قال فى فتح الرحمن فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة اجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب

بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتحصيل المأمول فاوحى الى عبده ما اوحى قال فى الاسئلة المخصمة اجمل ولم يفسره لانه كان يطول ذكر جميع ما اوحى اليه فذكره جملة من غير تعرض الى التفصيل فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وقالت الشيوخ ستر الله بعض ما اوحى الى عبده محمد عليه السلام عن الخلق اما سترا على حاله لئلا يطلع عليه غيره فان ذلك لا يتعلق بغيره وانما ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار ما لا يطلع عليه الاجانب والاغيار قال عليه السلام لى وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وسمعت الشيخ ابا على الفارسى رحمه الله يقول فى هذه الآية قولا يطول شرحه وقصاراه يرجع الى انه تعالى ستر بعض ما اوحى الى نبيه عن الخلق لما علم ان علمهم بذلك يفترعن السير فى صراط العبودية اتكالا على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه حيث قال معاذ اخبر الناس بذلك يارسول الله فقال لا تخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى

لا يكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله * نور تحير فى بحر من التيه

(وقيل) دردى كه من از عشق تو دارم حاصل * دل داند ومن دانم ومن دانم ودل (قال الكاشفى) بعض علما كويند كه اولى آنست كه تعرض آن وحى نكنيم ودر پرده بكذاريم وجمعى كويند آنچه ازان وحى در چيزى ويا اثرى بما رسيده ذكر آن هيچ نقصان ندارد ودر امانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطى تمام يافته اينجا بسه وجه اختصاص مى يابد اول آنكه مضمون وحى اين بود كه يا محمد لولا انى احب معاتبة امتك لما حاسبتهم يعنى اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه با امت تو والابساط محاسبة ايشان طى مى كردم دوم آنكه اى محمد انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند انت وانا وماسوى ذلك تركته لاجلك سوم آنكه امت تو طاعت من بجاى مى آرند وعصيان نيزمى ورزند طاعت ايشان برضاء منست ومعصيت ايشان بقضاء من پس آنچه برضاء من از ايشان ثابت شود اكرچه اندك وباقصور بود قبول كنم زيرا كه كريم وآنچه بقضاء من از ايشان در وجود آيد اكرچه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيرا كه رحيم وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقيل كن آيسا من الخلق فليس بايديهم شئ واجعل صحبتك معى فان مرجعك الى ولا تجعل قلبك معلقا بالدنيا فانى ما خلقتك لها وقيل اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه آمن الرسول الخ بغير واسطة جبريل وقيل اوحى اليه عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به وروى انه عليه السلام قال شكا الى الله ليلة المعراج من امتى شكايات الاولى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد والثانية لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون منى ويصالحون خلقى والرابعة ان العزة لى وانا المعز وهم يطلبون العزة من سواى والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها قال قل لامتك ان احببتم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة نعمى عليكم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به لانى احب عبادى وان انتم استحييتم من احد بلطفاتكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وقيل اوحى الله اليه يا محمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم فى القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم اجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الاخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم قال بعضهم ان ما اوحى اليه مفسر فى الاخبار ونطقت به الروايات من اهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه لا يعلم به احد سواه

بلاواسطة اى فى العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته وقال البقلى ابهم الله سر ذلك الوحى الخفى على جميع فهوم الخلائق من العرش الى الثرى بقوله ما اوحى لانه لم يبين اى شئ اوحى الى حبيبه لان بين المحب والمحبوب سرا لا يطلع عليه غيرهما وانه لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتوا جميعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لانها انباء غيبية واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم يقول الفقير لاشك ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى الكل وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الالهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذى بينه وبين الله المشار اليه بقوله لى مع الله وقت الخ فانه تجلى مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فان لهم نصيبا من هذا المقام حيث ان بعض علومهم يرتحل معهم الى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدى اليه اما لكونه من خصائصهم واما لفقدان من يستعد لادائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبى فى الاولين وبقى معه الرسالة ولم يقبلها احد من امته لعدم الاستعداد فيهم وفى التأويلات النجمية فى هذه الآية يشير الى ان الله تعالى من مقام جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل اوحى او تجلى فى صورة الوحى لعبده المضاف الى هاء هويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو ان وجود لك يا محمد عين وجود المتعين باحدية جمع جميع الاعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة فى عين كونها موجودة مطلقا عن هذا التعين والجمع والاطلاق ما كذب الفؤاد ما رأى اعلم ان الحرى ان كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وان كان هو الله تعالى على ما ذهب اليه البعض فقد اختلفوا فى انه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الاسرى بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه فى فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه الفؤاد اى لم يقل فؤاده له ان ما رأيته هاجس شيطانى وانه ليس من شأنك ان ترى الرب تعالى بل تيقن ان ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم رآه بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا الاحتجاج فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره يقول الفقير يراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى ان يفضل النبى عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك ان الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا وكانت عائشة رضى الله عنها تقول من زعم بان محمدا رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله قال فى كشف الاسرار قول عائشة نفى وقول ابن عباس بانه رآه اثبات والحكم للمثبت لا للنافى قلنا نفى انما نفاه لانه لم يسمعه والمثبت انما اثبته لانه سمعه وعلمه انتهى وقول ابى ذر رضى الله عنه للنبى عليه السلام هل رأيت ربك قال نورانى اراه بالنسبة الى تجرد الذات عن النسب والاضافات اى النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال فى عين المعانى ولا يثبت مثل هذا الرؤية بالعين الا بالاجماع وفى كشف الاسرار قال بعضهم رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح انه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى وفى الكواشى يستحيل رؤيته هنا عقلا ونعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم ايضا انتهى قال ابن الشيخ اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولان مذهب اهل السنة الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل العلم بخلق حدرك المعلوم فى البصر كما قدر ان يحصله بخلق حدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع مما ينبغى عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف بالله ان محمدا رأى ربه ليلة المعراج وحكى النقاش عن الامام احمد رحمه الله انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضى الله عنهما بعينه رآه حتى انقطع نفس الامام احمد كلام سرمدى فى نقل بشنيد خداوند جهانرا

بی جهت دید دران دیدن که حیرت حاصلش بود دلش در چشم و چشمش در دلش بود قال بعض الكبار الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار انما هو عدم معرفتهم له والا فهم يرونه ولا يعرفون انه هو على غير ما يتعقل بالبصر فانظر حجاب عليه دآئما فانه تعالى جل عن التكييف دنيا واخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه واكثر من هذا الافصاح لا يكون انتهى يقول الفقير نعم ان الله جل عن الكيفية في الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فان الشهود في الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه في الآخرة فان القلب يتقلب هناك قالبا فيفعل القالب هنالك ما يفعله القلب والسر في هذه الدار فاذا كانت لطافة جسم النبي عليه السلام تعطي الرؤية في الدنيا فما ظنك بلطافته ورؤيته في الآخرة فيكون شهوده اكمل شهود في الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح في صورة الجسم قال في التأويلات النجمية اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى بصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى باحدية جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع اطلاقه في عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والاطلاق واللا اطلاق انتهى هذا وليس ورآء عبادان قرية وقال البقلي رحمه الله ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لان رؤية العين سرينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لان رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص اراه جماله عيانا فرأه ببصره الذي كان مكسوا بنور ذاته وصفاته وبقي في رؤيته عيانا ما شاء الله فصار جسمه جميعه ابصارا رعاية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية الى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى ما رأى عينه ولم يكن بين ما رأى بعينه وبين ما رأه بفؤاده فرق فازال الحق الابهام وكشف العيان بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى حتى لا يظن الظان ان ما رأى الفؤاد ليس كما رأى ببصره اى صدق قلبه فيما رأه من لقائه الذي رأه ببصره بالظاهر اذ كان باطن حبيبه هنالك ظاهرا وظاهره باطنا بجميع شعراته وذرات وجوده وليس في رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بان يغيب عن الرؤية شئ من وجوده فبالغ الحق في كمال رؤية حبيبه ولذلك قال عليه السلام رأيت ربي بعيني وبقلبي رواه مسلم في صحيحه قال ابن عطاء ما اعتقد القلب خلاف ما رأته العين وقال ليس كل من رأى فسكن فؤاده من ادراكه اذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول عليه السلام كان محمولا فيها في فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيما شوهد به (افتمارونه على ما يرى) آيا مجادله ميكنيد باحمد برآنچه ديد در شب معراج ومجادله آن بودكه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود پرسيدند وقال بعضهم افتجادلونه على رؤية الله تعالى اى ان رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه في ذلك وينكرونها وفي التأويلات النجمية يشير الى مماراة المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلتهم في شهود الخلق من دون الحق اقيامهم في مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية اعاذنا الله واياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب (ولقد رآه نزلة اخرى) الضمير البارز في رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها والمعنى وبالله لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة اخرى من النزول وذلك انه كان للنبي عليه السلام في ليلة المعراج عروجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات المفروضة فيكون لكل عروجة نزلة فرأى جبريل في بعض تلك النزلات (عند سدرة المنتهى) وهو مقام جبرآئيل وكان قد بقي هنالك عند عروجه عليه السلام الى مستوى العرش وقال لو دنوت انملة لاحترقت قال عليه السلام رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت وعند يجوز ان يكون متعلقا برأى وان يكون حالا من المفعول المراد به جبرآئيل لان جبرآئيل لكونه مخلوقا يجوز ان يراه النبي عليه السلام في مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهي شجرة تنبت في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كما قاله الزمخشري او اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل ينتهي اليها الملائكة ولا يتجاوزونها لان جبرآئيل رسول الملائكة اذا لم يتجاوزها فغيره بالحري ان لا يتجاوزها غيره فاعلاها جبرآئيل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكان

خواص الامة يشتركون مع النبي عليه السلام في جنة عدن بدون ان يتجاوزوا الى مقامه المخصوص به
فكذا الملائكة يشتركون مع جبرآئيل في السدرة بدون ان يتعدوا الى ماخص به من المكان وقيل اليها ينتهي
علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ماوراءها وذلك لان الاعمال الصالحة في عليين ولا تعرج اليه الا على يد
الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة الى اعمال الامة واما خواص الامة فلهم من الاعمال
ما لا يقف عندها بل يتجاوز الى عالم الارواح فوق مستوى العرش بل الى ماوراءه حيث لا يعلمه الا الله
تلك هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة اذ لا يدخل مقامها احد
وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء لانها في ارض الجنان او ينتهي اليها ما يهبط من فوقها من الاحكام
ويصعد من تحتها من الآثار وعن ابي هريرة رضي الله عنه لما اسري بالنبي عليه السلام انتهى الى السدرة
فقيل له هذه السدرة ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك يعني ميرسد بدين هركس ازامت تو كه
رفته باشد برسنت تو وقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي الخلائق
وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وبالجملة هي شجرة غير شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هي شجرة طوبى
ولو ان راكبا ركب بجنبه وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذي ركب منه تحمل لاهل
الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمار وكل ورقة منها وضعت في الارض لاضاءت اهلها قيل اضافة السدرة
الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك او اضافة
المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك
على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله تعالى قال الى ربك المنتهى واضافة السدرة اليه
كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم المرئي هو الله تعالى يعني ان محمدا عليه السلام
رأى ربه مرة اخرى يعني مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه اشعار بان الرؤية الثانية كانت كالرؤية الاولى
بنزول ودنو فقوله عند لا يجوز ان يكون حالا من المفعول المراد به الله تعالى لان الله تعالى منزه عن ان يحل
في زمان او مكان فهو متعلق برأى يعني انه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عند سدرة المنتهى على ان يكون
الظرف ظرفا لرأى ورؤيته لا للمرئي كما اذا قلت رأيت الهلال فقيل لك اين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية
وجعل ابن برجان الاسراء مرتين الاولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لا يتأتى الا بتنزل يقطع مسافات
البعد التي هي الحجب ليصير به بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة اخرى وعين الوقت بتعيين المكان فقال
عند سدرة المنتهى كما في تفسير المناسبات وروى عن وكيع عن كعب الاحبار انه قال رأى ربه مرة اخرى فقال
ان الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها قالت
قد اقشعر جلدي من هيبة هذا الكلام فقيل لها يا ام المؤمنين اليس يقول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
فقالت انما سألت النبي عليه السلام عن ذلك فقال رأيت جبرآئيل نازلا في الافق على خلقته وصورته
انتهى وقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين يقول الفقير لما كان هذا المقام لا يخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل
كفر وامن انكر المعراج الى المسجد الاقصى لثبوته بالنص القطعي وهو قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
الخ وضلل وامن انكره الى ما فوقه لثبوته بالخبر المشهور قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان معراجه
عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها وفي التأويلات النجمية يشير الى رد
استحجاب اهل الحجاب شهود النبي عليه السلام الحضرة الالهية في المظاهر الكونية والمجالي الغيبية وأنى لهم
هذا الاستحجاب والاستغراب وما قيده في حضرة دون حضرة وفي مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة
بعد مرة وساعة بعد ساعة بل ما احتجب لحظة منه تعالى وما غاب عنه لمحة مرة شاهده به في مقام احديته
بفنائه عنه ونزلة عاينه في مقام واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الاحدي الى المشهد الواحدي المسمى
سدرة المنتهى التي من شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها اليها بحسب الاعمال والاقوال
والافعال والاحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة اظلالها واقلالها واغصانها كما في شجرة الكثرة التي هي
الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال المتعينات بها بالوجود العيني الخارجي انتهى وقال البقلي
ما الرؤية الثانية اقل كشفا من الرؤية الاولى ولا الاولى باكشف من الرؤية الثانية اين انت لو كنت اهلا لقلت لك انه

عليه

عليه السلام رأى ربه فى لحافه بعد ان رجع من الحضرة ايضا فى تلك الساعة وما غاب قلبه من تلك الرؤية لحظة
وماذكر سبحانه بيان لان ما رأى فى الاولى فى الامكان وما رأى عند سدرة المنتهى كان واحدا لان ظهوره هناك
ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولا بالزمان اذ القدم منزه عن المكان والجهات وكان العبد
فى المكان والرب فى الامكان وهذا غاية فى كمال تنزيهه وعظيم لطفه اذ تجلى نفسه لقلب عبده وهو فى الامكان
والعبد فى مكان والعقل ههنا مضمحل والعلم متلاشى لان العقول عاجزة والاوهام متحيرة والقلوب والهة
والارواح سائرة والاسرار فانية وفى هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه اذ رأه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
ظن عليه السلام ان ما رأه فى الاولى لا يكون فى الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلما رأه ثانية علم انه لا يحجبه
شئ من الحدثان وعادة الكبراء اذا زارهم احد يأذون معه الى باب الدار اذا كان كريما فهذا من الله اظهار كمال
حب حبيبه وحقيقة الاشارة انه سبحانه اراد ان يعرف حبيبه مقام الالتباس فلبس الامر واظهر المكر
بان بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كما بان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه بكمال المعرفة اذ ليس يعارف
من لم يعرف حبيبه فى البسة مختلفة انتهى ولما اراد سبحانه ان يعظم السدرة ويبين شرفها قال (عندها)
اى عند السدرة (جنة المأوى) والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به
بالفاعلية واضافة الجنة الى المأوى مثل اضافة مسجد الجامع اى الجنة التى يأوى اليها المتقون اى تنزل فيها
وتصير وتعود اليها ارواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامكاه متقيان باشد مأوى ومكان ارواح شهداست
اواوى اليها آدم وحواء عليهما السلام يقال اويت منزلى واليه او ياواو ياعدت واويته نزلته بنفسى
والمأوى المكان قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر آدم عليه السلام انزل من جنة المأوى التى هى
اليوم مقام الروح الامين جبريل عليه السلام وهى اليوم برزخ لذرية آدم ونزل اليها جبرآئيل من السدرة
بنزول آدم وهذه الجنة لا تقتضى الخلود لذاتها فلذلك امكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق الى ان يكون
ملكا بعد سجود الملائكة له بغرور ابليس اياه ووعده فى الخلود رغبة فى الخلود والبقاء مع جبرآئيل والجنة
التى عرضها السموات والارض تقتضى الخلود لذاتها يعلم من دخلها انه لا يمكن الخروج منها اذ لا سبيل
للكون والفساد اليها قال تعالى فى وصف عطائها انه غير مجذوذ اى غير منقطع انتهى فالجنة التى عرضها
السموات والارض ارضها للكرسى الذى وسع السموات والارض وسقفها العرش المحيط فهى محيطة
بالجنان الثمان وليست هى الجنة التى انزل منها آدم كذا افاده الشيخ ايضا فى كتاب تلقيح الاذهان وقال نجم الدين
رحمه الله فى تأويلاته يشير الى ان الجنة العلية التى يسبح بها الجانبين العاشقون عن اثنائيتهم فى مقعد صدق
عند مليك مقتدر وفى قوله عندها اشارة الى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى
لانتهاء ارواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والاخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات اليها (اذ يغشى
السدرة ما يغشى) زيادة فى تعظيم السدرة واذ ظرف زمان رأه لما بعده من الجملة المنفية فان ما النافية لا يعمل
ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رأى محمد جبرآئيل
عند السدرة وقت ما غشيها وغطاها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفا ولا كما وفى الحديث (وغشيها
الوان لا ادرى ما هى فليس احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها) وعنه عليه السلام رأيت السدرة يغشاها
فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف اى جماعة
من طيور خضر وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب (كما قال الكاشفى) وكويند بر حوالى آن فرشتكان
طيران ميكردند چون پروانها زرين وقيل يغشاها سبحات انوار الله حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت
اقوى من الجبل حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وذلك لان الجبل كان فى عالم الملك الضعيف والسدرة فى عالم
الملكوت القوى ولذا لم يخر عليه السلام هنا لما مغشيا عليه حين رأى جبرآئيل كما غشى عليه حين رآه فى الافق
الاعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة امثال الغربان حين
يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها اويزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها
الملائكة النازلون للقاء النبى عليه السلام فانهم استأذنوا للقائه فاذن لهم وقيل لما توه بغير نثار فجاء كل واحد

منهم بطبق من اطباق الجنة عليه من اللطائف مالا يحصى فنثروه بين يديه تقربا اليه وفي الحديث (انه اعطى رسول الله عندها يعني السدرة ثلاثا) يعني منه جبر الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من امته لا يشرك بالله شيأ وفي التأويلات النجمية يشير الى تعظيم المظاهر الاسمائية والصفاتية الجمالية اللطيفة والجلالية القهرية الغاشية الساترة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لان الاسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وان كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعمودها مغشية مستورة بكثرة اغصانها واوراقها وازهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شأن الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الاحدية ومن حيث الاعتبار العقلي غيرها فافهم جدا لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى وقال البقلي رحمه الله ابهم ما غشيها لان العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول في الاماكن وكانت الشجرة مرآة لظهوره سبحانه ما الطف ظهوره لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون بعد معرفتهم به آمنا به

(ما زاغ البصر) الزيغ الميل عن الاستقامة اى ما مال بصر رسول الله عليه السلام ادنى ميل عما رآه (وما طغى) وما تجاوز مع ما شاهد هنالك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على ان رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام يقظة بقوله ما زاغ البصر الخ لان وصف البصر بعدم الزيغ يقتضي ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه واما القول بانه يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهي ههنا معدومة (قال الكاشفي في معنى الآية) ميل نكرد چشم محمد عليه السلام و بجيب وراست نكريست ودر نگذشت از حد يكه مقرر بود نكريستن و يرا در ين آيت ستايش آن حضرتست بحسن ادب وعلو همت كه دران شب پر تو التفات بر هيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند وديدهٔ دل بجز مشاهدهٔ جمال بي زوال الهي نكشود * در ديده كشيده كحل ما زاغ * في راغ نكاه كرد وفي باغ * ميراند براق عرش پرواز * تا جلوهٔ ناز و پردهٔ راز * پس پرده ز پيش ديده بر خاست * بي پرده بديد آنچه دل خواست * وفي التأويلات النجمية يشير الى تحقق النبي عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلي الذي هو الخلق المطلق عما سواه لانه قال الفقر فخري واى فقر اعظم وانعم من ان يخرج العبد عن وجوده الكلي المجازي و يقوم بالوجود الحقيقي و يظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله اى لا عبد له غيره يعني ما مال بصر ملكه الجسماني الى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحاني الى عالم الآخرة وتعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحدا واجتمعا اتحادا كليا واجتماعا حقيقيا من غير فتور وقصور على شهود الحق واسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وايضا ما زاغ عين ظاهره الى الكثرة الاسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين ولاحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم والا تندم وقال البقلي رحمه الله هذه الآية في الرؤية الثانية لان في الرؤية الاولى لم يكن شئ دون الله لذلك ما ذكر هناك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب في محل الاستقامة وشوقه الى مشاهدة ربه اذ لم يمل الى شئ دونه وان كان محل الشرف والفضل وفي كشف الاسرار موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه (ارني انظر اليك) اورا بصمصام غيرت (لن تراني) جواب دادند پس چون تا وان زدهٔ آن سؤال كشت بغرامت (تبت اليك) وا ديد آمد باز چون نوبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديدهٔ ويرا نوتياى غيرت (لا تمدن عينيك) در كشيدند كفتند اى محمد ديده كه با آن ديده ما را خواهي ديكر نكر تا بعاريت بكس ندهي مهتر عصابهٔ عزت ما زاغ البصر و ما طغى بر ديدهٔ خود بست بزبان حال كفت * بر بندم چشم خويش وننكشايم نيز * تا روز زيارت تو اى يار عزيز * تا لاجرم چون حاضر حضرت كشت جمال وجلال ذو الجمال والجلال بر ديدهٔ او كشف كردند كه

ما كذب الفؤاد ما رأى * همه تن ذكر كردد چون باتو راز كنم * همه كمال تو بينم چو ديده باز كنم

ان تذكرته فكلي قلوب * او تاملته فكلي عيون

وكفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات باز كشت باوى نور هيبت بود وعظمت لاجرم هر كه دروى نا ديست تا بينا كشت باز مصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدت باز كشت باوى

نورانس بود تا هركه بروى نكريد بينايى او بيفزود ان مقام اهل تكوين است واين مقام ارباب تمكين
(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التى هى كبراها
وعظماها فارى من عجائب الملك والملكوت مالا يحيط به نطاق العبارة فقوله من آيات ربه حال قدمت
على ذيها وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام وهو التعظيم والمبالغة ولذا لم يحمل على التبعيض
على ان يكون هو المفعول ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيأ عظيما من آيات ربه
وان يكون من مزيدة يعنى على مذهب الاخفش وكان الاسرآء ليلة السابع والعشرين من رجب على ما عليه
الاكثر فى السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما فى تفسير المناسبات وفيه اشكال فان هذه السورة
نزلت فى السنة الخامسة من النبوة على ما مر فى اول السورة قال المفسرون رأى عليه السلام اى ابصر تلك
الليلة رفرفا اخضر سد افق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهو صورة همته
البسيطة العريضة المحيطة بالآفاق مطلقا لانه عليه السلام فى سفر العالم البسيط ولا يصل اليه الا من له
علو الهمة مثله وقد قال حسان رضى الله عنه فى نعته عليه السلام

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوآئف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى وما فى الجنان لاهل الايمان وما فى النيران
لاهل الطغيان والظلم والانوار وما يعجز عنه الافكار وتحار فيه الابصار ومن ذلك ما رآه فى السموات من الانبياء
عليهم السلام اشارة بكل نبى الى امر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام ابو القاسم السهيلى رحمه الله
فى الروض الانف والذى اقول فى هذا ان مأخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير يقولون
من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى فى شدة او رخاء او غير ذلك من الامور
التى اخبر بها عن الانبياء فى القرءآن والحديث مثلا من رأى آدم عليه السلام فى مكان على حسنه وجماله
وكان للولاية اهلا ملك ملكا عظيما لقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ومن رأى نوحا عليه السلام
فانه يعيش عيشا طويلا ويصيبه شدة واذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى ابراهيم عليه السلام فانه يعق اباه
ويرزق الحج وينصر على اعدآئه ويناله هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام
فانه يكذب عليه ويظلم ويناله شدة ويحبس ثم يملك ملكا ويظفر ومن رأى موسى وهرون عليهما السلام
فان الله يهلك على يده جبارا عنيدا ومن رأى سليمان عليه السلام فانه يلى القضاء او الملك او يرزق الفقه
ومن رأى عيسى عليه السلام فانه يكون رجلا مباركا نفاعا كثير الخير كثير السفر فى رضى الله ومن رأى نبينا
صلى الله عليه وسلم وليس فى رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وان رآه فى ارض جدب اخصبت او فى ارض قوم
مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فان كان مغموما ذهب غمه وان كان مديونا قضى الله دينه وان كان
مغلوبا نصر وان كان محبوسا اطلق وان كان عبدا اعتق وان كان غائبا رجع الى اهله سالما وان كان معسرا اغناه
الله وان كان مريضا شفاه الله تعالى وحديث الاسرآء كان بمكة ومكة حرم الله وامنه وقطانها جيران الله لان فيها
بيته فاول من رأى عليه السلام من الانبياء كان آدم عليه السلام الذى كان فى امن الله وجواره فاخرجه ابليس
عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من احوال النبى عليه السلام حين اخرجه اعدآؤه من حرم الله
وجوار بيته وكربه ذلك وغمه فاشبهت قصته فى هذا قصة آدم مع ان آدم تعرض عليه ارواح ذريته البر والفاجر
منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان ارواح اهل الشقاء لا تلج فى السماء ولا تفتح لهم ابوابها ثم رأى
فى الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود اما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته
وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله الى المدينة صار
الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه
فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره كما قال عند الموت
(وفى المثنوى) چون سفيها نراست اين كار وكيا * لازم آمد يقتلون الانبيا * ومما يؤثر عن سعيد
ابن المسيب رحمه الله الدنيا بذلة تميل الى الابذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس واما لقاؤه ليوسف
عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك ان يوسف ظفر

باخوته بعد ما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم الآية وكذلك نبينا عليه السلام اسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم ثم لقاؤه لادريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا وادريس اول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شأنه عليه السلام حتى اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال ابو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل كسجل وزبرج لقد امر امر ابن ابي كبشة حين اصبح يخافه ملك ابن ابي الاصفر وكتب عليه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه واهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم جلي نحو ما اوتي ادريس ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين امر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بني اسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من ارض الشأم وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد ان اتى به اسيرا وافتتح مكة وادخل اصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة اي بازائها ومقابلتها واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة واذن في الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان آخر احوال النبي عليه السلام حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عليه السلام عند اهل التأويل تؤذن بالحج لانه الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال في موضع آخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان رآه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج انتهى يقول الفقير رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضي الله عنه في الفكوك انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن كما قيل

كالشمس تمنعك اجتلاءك وجهها * فاذا اكتست برقيق غيم امكنا

انتهى واما ارآءة الآيات لارآءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية اشهده تعالى في تلك المشاهد ليكمل له الرؤية في جميع المراتب والمشاهد ومن المحال ان يدعو كريم كريما الى داره ويضيف حبيب حبيبا في قصره ثم يتستر عنه ولا يريه وجهه وفي التأويلات النجمية يشير الى ان لله تعالى آيات كبرى وصغرى اما الآيات الكبرى فهي الصفات القديمة الازلية المسماة عند القوم بالائمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هي الاسماء الالهية التي قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى وانما سميت الاولى بالكبرى والثانية بالصغرى لان الصفات مصادر الاسماء ومراجعها كما ان الحي يرجع في الوجود الى الحياة والعليم الى العلم والقادر الى القدرة ولان الاسماء مظاهر الصفات كما ان الحي يرجع في الوجود الى الافعال والافعال مظاهر الاسماء والآثار مظاهر الافعال واما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وان كانت من آيات الله كما قال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى لان شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لان الله تعالى اذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لابد للعبد ان يصير حيا بحياته عليما بعلمه قديرا بقدرته تلخيص المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى سماء الجمعية الوحدانية وادرج في نور الفردانية تجلى الحق سبحانه اولا بصورة هذه الصفات الكبرى التي هي مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو بحيث صارت حياته مادة حياة العالم كله علويه وسفليه روحانيه وجسمانيه معدنيه ونباتيه وحيوانيه وانسانيه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال لولاك لما خلقت الافلاك وقال عليه السلام انا من الله والمؤمنون مني وكذا صار علمه محيطا بجميع المعلومات الغيبية

الملكوتية كما جاء في حديث اختصام الملائكة انه قال فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت علم
الاولين والآخرين وفي رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها اعناق الجبابرة وضرب بالسيف
رقاب الاكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فما بقين ولا بقوا وببركة هذا التجلي الجمعي الكلي الاحاطي صار آدم
بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما اخبر في كتابه العزيز اني جاعل في الارض خليفة واسجد الله الملائكة
لتلألؤ نوره الوحداني في وجه آدم هذا تحقيق قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اللام جواب القسم
ومن مزيدة انتهى وقال البقلي رحمه الله اراه سبحانه من آياته العظام ما لا يقوم برؤيتها احد سواه اي المصطفى
عليه السلام وذلك بان البسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وذلك ببروز انوار
الصفات في الآيات وتلك الآيات لو رآها احد لاستغرق في رؤيتها فكان من كمال استغراقه في بحر الذات
والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن عطاء رأى الآيات فلم تكبر في عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله
بالكبير المتعال قال جعفر شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الاخبار عنها (افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى) هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف اصله لوية فاسكنت الياء وحذفت
لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لات فهي فعلة من لوى
لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمي قال سعدي المفتي فان قلت هذا يختص بقرآءة
الكسائي فانه يقف على اللات بالهاء واما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز ان تكون من تلك المادة قلت
لا نسلم ذلك فانهم انما يقفون بها مراعاة لصورة الكتابة لا غير انتهى والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي
سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول يا عز كفرانك
لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك فخرجت من اصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي
تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك لن تعبد ابدا
وفي القاموس العزى صنم او سمرة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عرق الى البستان
بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم
البيت واحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لان دماء المناسك تمنى عندها اي تراق ومنه
منى وفي انسان العيون مناة صنم كان للاوس والخزرج ارسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الاشهلي
رضي الله عنه في عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ما تريد قال
هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل
وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى ووصف
مناة بالثالثة تأكيدا لانها لما عطفت عليهما علم انها ثالثتهما والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار
اي مناة الحقيرة الذليلة لان الاخرى تستعمل في الضعفاء كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اي ضعفاؤهم
لرؤسائهم قال ابن الشيخ الاخرى تأنيث الآخر بفتح الخاء وهو في الاصل من التأخر في الوجود نقل في الاستعمال
الى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما اثبت له ولا يصح حمل الاخرى في الآية على هذا المعنى العرفي
اذ لا مشاركة لمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى
وقد جوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبي يعني ان العزى شجرة
وهي لكونها من اقسام النبات اشرف من مناة التي هي صخرة وجماد فهي متأخرة عنها رتبة ويقال ان المشركين
ارادوا ان يجعلوا لالهتهم من الاسماء الحسنى فارادوا ان يسموا واحدا منها الله فجرى على السنتهم اللات وارادوا
ان يسموا واحدا منها العزيز فجرى على السنتهم العزى وارادوا ان يسموا واحدا منها المنان فجرى على السنتهم
المناة وقال الراغب اصل اللات اللاه فحذفوا منه الهاء وادخلوا التاء فيه فانثوه تنبيها على قصوره عن الله
وجعلوه مختصا بما يتقرب به الى الله في زعمهم وقال السهيلي اصل هذا الاسم اي اللات لرجل كان يلت السويق
للحجاج بسمن واقط اذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل باطعامه في كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذي
كان يلت فيه السويق منسكا ثم سنح الامر بهم الى ان عبدوا تلك الصخرة التي كان يقعد عليها ومثلوها صنما
وسموها اللات اعني لت السويق ذكر ذلك كثير ممن الف في الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قرآءة من يشدد

اللات اى التامنه وقد قرأ به اى بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما فى القاموس ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعجيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله فى ملكه وملكوته وجلالة وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته تعالى او هذه الاصنام هيا كل الملائكة التى هن بناته تعالى وفى التأويلات النجمية يخاطب عبدة الاصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنية الخسيسة الحقيرة الواقعة فى ادنى المراتب لخسة وضعها ودناءة قدرها ويستفهم منهم انكارا لهم وردا عليهم اخبرونى عن حال آلهتكم التى اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الالهية من الايجاد والاعدام والنفع والضر وامثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلومياتكم على انفسكم ونهاية جهولياتكم بالاله الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (قال المغربى رحمه الله) بود وجود مغربى لات ومنات او بود * نيست بتى چو بود او ودرهمه سومنات تو (ألكم الذكر وله الانثى) توبيخ مبنى على التوبيخ الاول والمعنى بالفارسية آياشمارا فرزندان نر باشند ومر خدايرا ماده (تلك) اشارة الى القسمة المتفهمة من الجملة الاستفهامية (اذا) آنهنكام كه چنين باشد (قسمة ضيزى) اى جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور يعنى ان اصله ضيزى بضم الضاد من ضاز فى الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى البيض فان اصله بيض بضم الباء لانه جمع ابيض كحمر فى جمع احمر وذلك فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وفيه اشارة الى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعنى المختصون ذكر الروح لكم وان كان ميتا بابتلاء ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون انثى النفس فى عبوديتها واتباع مراداتها وانقيادا وامرها ونواهيها اشركاله تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ماهذا الاقسمة الجور والجائر لا قسمة العدل والعادل (ان هى) الضمير للاصنام اى ما الاصنام باعتبار الالوهية التى تدعونها اى باعتبار اطلاق اسم الاله (الا اسماء) اى اسماء محضة ليس تحتها مسميات اى ماتنبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ما اصلا كما اذا اردت ان تحقر من هو ملقب بما يشعر بالمدح وتقامة الشان تقول ماهو الا اسم (قال المولى الجامى) مرد جاهل جاه كيتى را لقب دولت نهد * همچنان آماس بيند طفل كويد فربهست (وقال فى ذم ابناء الزمان) شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع * هم ذئاب فى ثياب اثياب فى ذئاب * ويجوز الحمل على الادعاء (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعلها اسما للمسمى واذا قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التى يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية اى ماهى الا اسماء خالية من المسميات وضعتموها (انتم وآباؤكم) بمقتضى اهوائكم الباطلة (ما انزل الله بها) اى بصحة تسميتها (من سلطان) برهان تتعلقون به جميع القرآن انزل بالانعقاد الا فى الاعراف فانه نزل بالتشديد (ان يتبعون) التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبايحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اى ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الاتوهم ان ماهم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء فما موصولة ويجوز كونها مصدرية والالف واللام بدل الاضافة وهو معطوف على الظن وفى التأويلات النجمية يقول ليست هذه الاصنام التى تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية الا اسماء صور وهمية لا مسميات لها اوجدتها اوهامكم الضعيفة واحركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التى هى بمرتبة آبائكم ليس لها عند اصحاب الطلب

وارباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هي خشب مسندة ما جعل الله في تلك الاصنام النفسية والهوآئية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف في الاشياء في الايجاد والاعدام والقهر واللطف والنفع والضر والاشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وانسانها كلها مظاهر الاسماء الالهية ومجالي الصفات الربانية الجمالية والجلالية اي اللطفية والقهرية تجلى الحق في الكل بحسب الكل لا بحسبه الا الانسان الكامل فانه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله في الارض وانتم ايها الجهلة الظلمة ما تتبعون تلك الصفات الالهية وما تشهدون في الاشياء تلك الحقائق الروحانية والاسرار الربانية المودعة في كل حجر ومدر بل اعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية الظلمانية عن ادراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد وآثرتم هوى النفس المشومة على رضى الحق وذلك هو الخسران المبين وان الظن لا يغني من الحق شيأ انتهى وقال الجنيد قدس سره رأيت سبعين عارفا قد هلكوا بالتوهم اي توهموا انهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن ادراك حقيقة الحق وما ادركوا فهو اقدارهم وجل قدر الحق عن ادراكهم قال تعالى وما قدروا الله حق قدره ولذلك اجترأ الواسطي رحمه الله في حق سلطان العارفين ابي يزيد البسطامي قدس سره بقوله كلهم ماتوا على التوهم حتى ابو يزيد مات على التوهم وقال البقلي يا عاقل احذر مما يغوي اهل العزة بالله من الاشكال والمخاييل التي تبدو في غواشي ادمغتهم وهم يحسبون انها مكاشفات الغيوب ونوادر القلوب ويدعون انها عالم الملكوت وانوار الجبروت وما يتبعون الا اهوآء نفوسهم ومخاييل شياطينهم التي تصور عندهم اشكالا وتمثالا ويزينون لهم انها الحق والحق منزه عن الاشكال والتمثال اياك يا صاحبي وصحبة المسلوسين الجاهلين الحق الذين يدعون في زماننا بمشاهدة الله ومشاهدة الله حق للاولياء وليس بمكشوف للاعدآء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) حال من فاعل يتبعون او اعتراض واياما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسول وانزال الكتاب اقبح فالهدى القرءآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه اشارة الى افساد استعدادهم الفطري الغير المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم في الغواشي الظلمانية الطبيعية فانهم مع ان جاءهم من ربهم اسباب الهدى وموجباته وهو النبي عليه السلام والقرءآن وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة النفس وموافقة الهوى واعرضوا عن التوجه الى الولي والمولى وذلك لان هداهم ما جاءهم الا في يوم الدنيا لا في يوم الازل ومن لم يجعل الله له نورا في يوم الازل فما له من نور الى يوم الابد واعلم ان الهدى ضد الهوى فلا بد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار ليس لولي كرامة الا بحكم الارث لمن ورثه من الانبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام ان يمشي في الهوآء والماء ومن هو وارث لمحمد عليه السلام له المشي على الهوآء والماء لعموم مقامه وفي الحديث (لو ازداد عيسى يقينا لمشى في الهوآء) اي بموجب قوة يقينية لا بموجب صدق اتباعي ولا نشك ان عيسى عليه السلام اقوى يقينا من سائر الاولياء الذين يمشون في الهوآء بما لا يتقارب فانه من اولي العزم من الرسل فعلمنا قطعا ان مشي الولي منا في الهوآء انما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى اصدق في تبعيته لمحمد عليه السلام من جميع الاولياء فله القدرة بذلك على المشي على الهوآء وان ترك ذلك من نفسه وبالجملة فلا يمشي في الهوآء الا من ترك الهوى * هوى وهوس را نماند ستيز * چو بينند سر پنجهٔ عقل تيز (ام للانسان ما تمنى) ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى نفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وبناء على اصل لكن لما كان اكثره عن تخمين صار الكذب له املك فاكثر التمني تصوير ما لا حقيقة له والمعنى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(وقال الكاشفي) آيا هست مر انسان را يعني كافر را آنچه او زو برد از شفاعت بتان يا آنكه كويد جز انبوت

بفلان وفلان نداد ند وقيل ام للانسان ما اشتهى من طول الحياة وان لا بعث ولا حشر وفى الآية اشارة الى ان للانسان استعداد الكمال وهو الغناء عن انانيته والبقاء بهويته الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له فى بعض الاوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم عن بلوغ مطلوبه ولا يتهيأ له كل ما تمناه اذ كل ميسر لما خلق له ثم من خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لا يقدر ان يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن ان يجعل نفسه مظهر اللطف توان بالكردن زرنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه * وانما تمنى لما ليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن اى هو الاول فى عين آخريته والظاهر فى عين باطنيته وسئل الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بالجمع بين الضدين لان الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعدد وتنافى التعينات لا يقدح فى وحدة الهوية المطلقة كما ان تنافى الزوجية والفردية لا يقدح فى العدد وتضاد السواد والبياض لا يقدح فى اللون المطلق قال الحسين رحمه الله الاختيار طلب الربوبية والتحقق الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده نظرهم بمنيتهم (فلله الآخرة والاولى) تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وفى التأويلات النجمية يشير الى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الاخروى والدنيوى يعنى لا يملك الانسان شيأ حتى يتمكن من تحصيل ما تمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الآخرة من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء ان يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لاسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنتجة للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة وموافقة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء ان يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولاذلك يزيد فى ملكه ولاهذا ينقص من ملكه وكلتا يدى الرحمن ملأى سحاء (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ) اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اى وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله شيأ من الاغناء فى وقت من الاوقات اى لا تنفع شيأ من النفع وهو القليل منه او شيأ اى احدا وليس المعنى انهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم لا يشفعون لانه لا يؤذن لهم كما قال تعالى (الا من بعد ان يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) ان يشفعوا له (ويرضى) ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام وفى الآية اشارة الى ان ملك الروح يشفع فى خلق النفس الامارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن اوصافها الذميمة والترقى الى مقام الغناء والبقاء ولكن لا تنفع شفاعته فى حقها لعلمه القديم الازلى بعدم استعدادها للترقى من مقامها اللهم الا ان تقبل شفاعته فى حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الالهى لصفاء فطرته الاولى وبقاء قابليته الكبرى للترقى فى المقامات العلية بالخروج عن موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول فى موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اى كل يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى فاللام فى الملائكة للتعريف الاستغراقى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا قال ابن الشيخ فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون انه يحشر عليه اجيب بانهم ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لا نحشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ما حكى الله عنهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا ما كانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى وردبه الرسل فهم

لايؤمنون بها على وجهها واعلم ان الملائكة ليسوا بذكور ولا اناث وفى الحديث (اتانى جبرآئيل فى اول ما اوحى الى فعلمنى الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه) اى رش بها فرجه اى محل الفرج من الانسان بناء على انه لا فرج له وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه ليس ذكرا ولا انثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له آلة ليست كآلة الذكور ولا كآلة الانثى كما قيل بذلك فى الخنثى و يقال لذلك فرج ويمكن حمل الفرج على ما يقابل الفرج من الازار (ومالهم به من علم) حال من فاعل يسمون اى يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا (ان يتبعون) اى ما يتبعون فى ذلك ليس بتكرار لان الاول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم الملائكة (الا الظن) الفاسد (وان الظن) اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يغنى من الحق شيأ) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشئ لا يدرك ادراكا معتبرا الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقية وانما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها كمسائل علم اصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم ايمان المقلد وقيل الحق بمعنى العلم اى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اى ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعى والاجتهاد فى السير الى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية الى ان يصلوا الى عين الجمع ويغرقوا فى بحر التوحيد ويشهدوا الحقائق والمعانى المجردة بنور الوحدة الحقيقية الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية الاسمائية ان الافراد يتفاوتون فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة قال بعض الكبار اصحاب الكشف الخيالى غلطهم اكثر من اصابتهم لان الخيال واسع والذى يظهر فيه يحتمل التأويلات المختلفة فلا يقع القطع بما يحصل منه الا بعلم آخر وراء ذلك وانما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة فى نفسه بل هو امر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط فى الخيال لكونه ليست له حقيقة فى نفسه وانظر الى اشارته عليه السلام فى الكشف الخيالى وكونه يقبل الاصابة والغلط لما اتاه جبرآئيل بصورة عائشة رضى الله عنها فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك فقال عليه السلام ان يكن من عند الله يمضه بخلاف ما لو اتاه ذلك بطريق الوحى المعهود المحسوس له او بطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين و للعلم فانه اذا لا يمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذى يشعر بالتردد المحتمل الذى يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها * سيراب كن زبحر يقين جان تشنه راه * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) اى فاعرض يا محمد عن دعوة من اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى ولم يؤمن به وهو القرآن المنطوى على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة ولا تهتم لك على اسلامه او عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمهروب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل والنهى عن الدعوة لا يستلزم نهى الآية بآية القتال بل الاعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها فالمعنى اعرض عنهم ولا تشتغل باقامة الدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبى الدنيا والراغبين فيها لان احدا لا يقبل على الدنيا الا بعد الاعراض عن الله باسيه دل جه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنك * قال ابن الشيخ اعلم ان النبى عليه السلام كالطبيب للقلوب فامره الله تعالى فى معالجة القلوب بما عليه الاطباء فى معالجة المرضى فان المرض اذا امكن علاجه بالغذآء لا يستعملون فى ازالته الدوآء واذا امكن ازالته بالدوآء الضعيف لا يستعملون الدوآء القوى والكى فلذلك امر عليه السلام بالذكر الذى هو غذآء القلوب حيث قال قولوا لا اله الا الله فان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذآء تطمئن النفوس فانتفع به ابو بكر ومن كان مثله رضى الله عنهم ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والامر به ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون فلما لم ينتفعوا اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله عمن تولى الخ اشارة الى ما قلنا

فان التولى عن ذكره كناية عن ملزومه الذى هو ترك النظر فى دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله ولم يرد الخ اشارة الى انكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب فلا يخاف ولا يرجع عما هو عليه ومن ترك النظر فى دلائل الله لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى فى الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعاملة و المسارعة الى المقاتلة انتهى كلامه ثم اعلم ان كل ما يبعد العبد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد والورع والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال فهو ممن لم يرد الا الحياة الدنيا فضاع جميع احواله وكسد جملة اقواله وافعاله اذ لا ربح له عند الله ولا ثمرة زعمرواى پسر چشم اجرت مدار * چودر خانه زيد باشى بكار * ولا يغترن هذا بحصول بعض الكشوف واقبال اهل الدنيا عليه فانه ثمرة عاجلة له وماله فى الآخرة من خلاق الا ترى ان ابليس عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال انظرنى الى يوم يبعثون امهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له فى حياته الدنيوية (ذلك) اى امر الدنيا وفى بحر العلوم اى ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وفى الارشاد اى ما اداهم الى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجدديهم الدعوة والارشاد كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فبلغ اسم مكان وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر همتهم على الدنيا الدنية التى هى ابغض الخلق الى الله تعالى بشهادة قوله عليه السلام ان الله لم يخلق خلقا هو ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها رواه ابو هريرة رضى الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه انه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة الى ما هو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فما ورد من ايلاء الله تعالى عن الدنيا فباعتبار ما كان منها بعدا عن الله تعالى وشغلا عنه كما قال بعض اهل الحقيقة ما الهالك عن مولاك فهو دنياك ومشؤم عليك وما ما يقربك الى الله ويعين الى عبادته فممدوح كما قال عليه السلام لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه (وفى المثنوى) چيست دنيا از خدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال را كز بهر دين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى پشتى است * چون كمال مال وملك را ازدل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب ان لا يشق احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم العبرة الاخرى على غير الهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال الخير الى الآخرة ويقولون اعمال الآخرة والحال انهم ما عملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فللدنيا اجر المصيبة التى فى اولادها ومن اولادها انا نصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة اجهل انتهى واعلم ان الارادة والنية واحد وهو قصد قلبى ينبعث الى قلب الانسان بالبعث الالهى فهذا البعث الالهى ان كان بالغلبة على ما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر وسائقه هو الشيطان وان كان بالتقوى فهو من اسم الهادى وقبضة الجمال ويد اللطف وسائقه هو الملك والاول من عالم العدل والثانى من عالم الفضل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ثم ان نية الانسان لا تخلو اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوء نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله فهو احسن نية وعملا فالاول حال الكفار والثانى حال المنافقين والثالث حال الابرار والرابع حال المقربين وقد اشار الحق سبحانه وتعالى الى احوال المقربين عبارة والى احوال غيرهم اشارة فى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون قد فروا الى الله من جميع ما فى ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شىء سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير

المولى

المولى فكانوا احسن نية وعملا هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض وتكرير لقوله وهو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال ابدا ومن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانه من القبيل الاول وفيه اشارة الى النفس الكافرة وبهود صفاتها فانهم لا يقبلون الدعوة لانتفاء استعدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر في الازل لا يكون مظهر اللطف في الابد وبالعكس وفي الحديث القدسي (خلقت الجنة وخلقت لها اهلا وخلقت النار وخلقت لها اهلا فطوبى لمن جعلته اهلا للجنة وويل لمن جعلته اهلا للنار) قال بعض الكبار النفس لا تفعل الا لحاجة من القرين والمزاج ممن لا قدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الاكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام الخير عادة والشر لحاجة فهو بشارة عظيمة من عالم بالامور عليه السلام فانه اخبر ان النفس خيرة بالذات لان اباها الروح القدسي الطاهر وما تقبل الشر الا لحاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها (ولله ما في السموات وما في الارض) اى خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين اساؤا) بدكردند (بما عملوا) اى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا شبه نتيجة عمله لكل واحد من الفريقين وهى مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فادخل لام العلة عليها وصح بذلك تعلقها بقوله اعلم * هين مراقب باش كردل بايدت * كز فى هر فعل چيزى زايدت (ويجزى الذين احسنوا) اى اهتدوا (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزاء او بسبب اعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة (الذين يجتنبون كبائر الاثم) صفة للذين احسنوا او بدل منه لكن قال سعدى المفتى لا حسن فى جعل الذين الخ مقصودا بالنسبة وجعل الذين احسنوا فى حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى يقول الفقير الاجتناب من باب التفعيل بالمجة وهى اقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال فى صلته دون صلة الموصوف او المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعنى للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغى ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها فى باقى الازمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لا سيما الاولاد وهى الموؤدة وقال ابن جبير هى ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفى الحديث (اياكم والمحقرات من الذنوب) قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الى سبعين اقرب وتمام التفصيل سبق فى حمعسق فى تفسير الآية (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال (الا اللمم) اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك المت بكذا اى نزلت به وقاربته من غير مواقعة والم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لان المراد باللمم الصغائر وهى لا تدخل فى الكبائر والمعنى الا ما قل وصغر فانه مغفور لمن يجتنب الكبائر يعنى ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هى النظر بلا تعمد فان اعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى ان نبهان التمار اتته امرأة لتشترى التمر فقال لها ادخلى الحانوت فضمها وقبلها فقالت المرأة خنت امانتك ولم تقض حاجتك فندم وذهب الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل هى الخطرة من الذنب اى ما خطر من الذنب على القلب بلا عزم وازقوت بفعل بايد وقيل

كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة عليه قال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام ان للشيطان ولملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الالهام وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناها الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا الما فالاستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما رأيت شيأ اشبه باللمم مما نقله ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله عليه السلام ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشى والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وفى الاسئلة المخصمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة امر الله تعالى لكن بعضها اكبر من بعض عند الاضافة ولا كبيرة اعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش ايضا الا ان الله تعالى اراد باللمم الفاحشة التى يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم ابو هريرة رضى الله عنه (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فاجمله تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وفى التأويلات النجمية كبائر الاثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى الشائع فى نيران النفس ومحبة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها اما فاحشة محبة النفس الامارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة واما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها واما فاحشة محبة الدنيا فالاعراض عن الله والاقبال على ماسواه قوله الا اللمم اى الميل اليسير الى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ فان مباشر الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال ان ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازى بنور الوجود الحقيقى بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلاهوتيته انتهى قال بعض الكبار من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى ادآء واجب اوجبه الحق عليه واما تعبد العبد فمخلوق عن امر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رأيحة امر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى وقال بعض العارفين من المحال ان يأتى مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفرغ منها الا ويجد فى نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلاشك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فانه لابد للمؤمن ان يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارهها ومؤمنا بانها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيء فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد قال تعالى فيهم عسى الله ان يتوب عليهم يعنى ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل ان يندم على المعاصى الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وان كان الله واسع المغفرة فانه تعالى ايضا شديد البطش والاخذ نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (هو) تعالى (اعلم) منكم (بكم) اى باحوالكم يعلمها (اذ انشأكم) اى خلقكم فى ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا (واذ أنتم اجنة) ووقت كونكم اجنة (فى بطون امهاتكم) على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله وضرره والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد ما دام فى البطن وهو فعيل بمعنى مفعول اى مدفون مستتر والجنين الدفين فى الشيء المستتر فيه من جنه اذ استره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا وسقطا وفى الاشباه هو جنين ما دام فى بطن امه فاذا انفصل ذكرا فصبي ويسمى رجلا كما فى آية الميراث الى البلوغ فغلام الى تسعة عشر فشاب الى اربعة وثلاثين فكهل الى احد وخمسين فشيخ الى آخر عمره هذا فى اللغة وفى الشرع يسمى غلاما الى البلوغ وبعده شابا وفق الى ثلاثين فكهل الى خمسين فشيخ وقامه فى ايمان البزازية فان قيل الجنين

اذا كان اعماله مادام فى البطن فافائدة قوله تعالى فى بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لايخفى عليه شئ من احواله (فلاتزكوا انفسكم) الفاء لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلاتثنوا عليها بالطهارة عن المعصية بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاء خود را به بى كاهى وبسيارى خير وخوبى اوصاف وقال الحسن رحمه الله علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلاتزكوا انفسكم ولاتطهروها عن الآثام ولاتمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية والتحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية * همان به كه آبستن كوهرى * كه همچون صدف سر بخود در برى * اكر مشك خالص نددارى مكوى * وكر هست خود فاش كردد بيوى * منه آب زرجان من برنشيز * كه صراف دانا نكيرد بچيز * واما من زكاء الغير ومدحه فقد ورد فيه (احثوا فى وجه المداحين) اى الذين يمدحون بما ليس فى الممدوح (التراب) على حقيقته او هو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل المراد به ان لايعطوهم شيأ لمدحهم او معناه الامر بدفع المال اليهم لينقطع لسانهم ولايشتغلوا بالهجو وفيه اشارة الى ان المال حقير فى الواقع كالتراب قال ابو الليث فى تفسيره المدح على ثلاثة اوجه الاول ان يمدحه فى وجهه فهو الذى نهى عنه والثانى ان يمدحه بغير حضرته ويعلم انه يبلغه فهذا ايضا ينهى عنه ومدح يمدحه فى حال غيبته وهو لايبالى بلغه اولم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس بهذا انتهى (وفى المثنوى) خلق ما در صورت خود كرد حق * وصف ما از وصف او كيرد سبق * چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى را مدح جويى نيز خوست * خاصه مرد حق كه در فضلست چست * پرشود زان باد چون خيك درست * ورنه باشد اهل زان باد دروغ * خيك بدريدست كى كيرد فروغ * واما المدح بعد الموت فلا بأس به اذا لم يجاوز الحد كالروافض فى مدح اهل البيت (هو اعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ماعمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر وفى التأويلات النجمية يشير به الى ان علم الانسان بنفسه علم اجمالى وعلمه تعالى به تفصيلى والعلم التفصيلى اكمل واشمل من العلم الاجمالى وايضا علم الانسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو متناه بحسب تناهى قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق اذ علمه عين ذاته فى مقام الاحدية غير ذاته فى مقام الواحدية والعلم المطلق احوط واجمع من العلم المقيد وايضا الانسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية اخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والانسان غير عالم بها على كيفية علم الله اذ لايعلم الله الا الله كما قال وما قدروا الله حق قدره اللهم الا ان يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق اعلمية الحق تعالى وقوله وهو اعلم بمن اتقى اى بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل مايصدر عنه من العلم والعمل اليه فانه هو المؤثر فى الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود (افرأيت الذى تولى) اى اعرض عن اتباع الحق والثبات عليه وبالفارسية آيا ديدى ان كسى را كه از پيروئ حق روى بكردانيد (واعطى قليلا) اى شيأ قليلا من ماله او اعطاء قليلا وبالفارسية وبداد اندكى از مال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو (واكدى) اى قطع عطيته وامسك بخلا من قولهم اكدى الحافر اى حافر البئر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيأ فلم يصل اليه ولم يحمه ولم يبلغ آخره وفى القاموس اكدى بخل اوقل خيره اوقل عطاءه وفى تاج المصادر قوله تعالى واكدى اى قطع القليل قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعنى در پى حضرت رسالت ميرفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او وطمع النبى عليه السلام فى اسلامه فعيره بعض المشركين وعاتبه وقال له تركت

دين الاشياخ وضلالتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يحمل عنه العذاب وكل شئ يخافه فى الآخرة ان اعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوى واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى فالذم آيل الى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم ان الآية مسوقة لذم فعل المتولى وقطع العطاء عن المحمل المذكور ليس بمذموم (وقال الكاشفى) واكدى وبازداشت باقى را پس جهل وبخل بايكديكر جمع كرد يقول الفقير الظاهر ان الآية مسوقة لذم التولى وسوء الاعتقاد فى نفع الحمل يوم القيامة كما دلت عليه الآية الآتية وقوله واعطى قليلا واكدى مجرد بيان لحال المتولى والمعطى فيما جرى بينه وبين المحمل لا ذم لبخله فى ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث انه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل انفق الوليد على اصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى انه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعده من الآيات وفيه اشارة الى السالك المنقطع فى اثناء السلوك الراجع من السير الى الله الى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمته المشؤمة من المجاهدات البدنية والرياضات النفسانية بعد ان صرف فى طريق السير والسلوك قلسا من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف فى طريق السعى والاجتهاد فى الله وصرف بقية رأس مال عمره فى تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش (أعنده) آيا نزديك اوست (علم الغيب فهو يرى) الفاء للسببية والرؤية قلبية اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ ارأيت بمعنى اخبرت واعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرنى هذا المعطى المكدى هل عنده علم ما غاب عنه من احوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (ام) اهو بما فى (لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) اى اسفار التوراة قال الراغب الصحيفة المبسوطة من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة وقال التوشتانى المصحف مثلث الميم ما جمع فيه القرآن والصحف (وابراهيم الذى وفى) عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم الذى وفى اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات كما مر فى سورة البقرة او امر به من غير اخلال واهمال يقال اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه تاما وافيا ويجوز ان يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما عاهد الله اى بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك اهله وولده فى واد غير ذى زرع وروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وجده اكرمه والا نوى الصوم ونعم ما قيل وفى بيذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للاخوان وعن النبى عليه السلام وفى عمل كل يوم باربع ركعات وهى صلاة الضحى وفى الحديث القدسى (ابن آدم اركع لى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره) وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآيتين ذكره احمد فى مسنده الآيات الثلاث فى عين المعانى وعن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله كم من كتاب انزل الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لكيلا ترد دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كانت من كافر وكان فيها امثال منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه ويفكر فى صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ويأتى ما نقل من صحف موسى فى آخر سورة سبح اسم ربك الاعلى كذا فى فتح الرحمن وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التوراة اشهر عندهم واكثر يقول الفقير وايضا هو من باب الترقى من الاقرب الى الابعد

لكون

لكون الاقرب اعرف وايضا ان موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف ابراهيم (الا تزر وازرة وزر اخرى) اصله ان لا تزر على ان ان هي مخففة من الثقيلة وضمير الشأن هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو انه اى الشأن لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس اخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني من عقابه فالمراد بالوازرة هي التي يتوقع منها الوزر والحمل لا التي وزرت وحملت ثقلا والا فكان الظاهر ان يقال لا تحمل فارغة وزر اخرى اذ لا تحمل مثقلة بوزرها غير الذي عليها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم ولا يقدح في ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا اذ ليس المعنى ان عليه اثم مباشرة سائر القاتلين بل المعنى ان عليه فوق اثم مباشرته للقتل المحظور اثم دلالته وتسبيبه لقتل هؤلاء وهما ليستا الا من اوزاره فهو لا يحمل الا وزر نفسه وكذا قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره (وان ليس للانسان الا ما سعى) ان مخففة من الثقيلة كاختها معطوفة عليها وللانسان خبر ليس والا ما سعى اسمها وما مصدرية ويجوز ان تكون موصولة والسعي المشي الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا والمعنى وانه اى الشان ليس للانسان في الآخرة الا سعيه في الدنيا من العمل والنية اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله فهو بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر الآية يدل على انه لا ينفع احدا عمل احد واختلفوا في تأويلها فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عدم اثابة الانسان بسعي غيره وفعله منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم فيدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان ابيه ويشفع الله الآباء في الابناء والابناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها من محفة وقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبي عليه السلام ان امي افتلتت نفسها اى ماتت فجأة فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول ويشهد له ان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره روى ان عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن رضي الله عنه بعد موته واعتقت عنه وقال سعد للنبي عليه السلام ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء فحفر بئرا وجعلها في سبيل الله وقال القرطبي في تذكرته ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى خالصا في السيئة بدليل قوله عليه السلام قال الله اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة والقرآن دال على هذا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل وان ليس للانسان الا ما سعى الا ان الله يتفضل عليه بما لم يجب له كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ضعف الى الف الف حسنة وقد تفضل الله على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل والحاصل ما كان من السعي فمن طريق العدل والمجازاة وما كان من غير السعي فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى اوسع واعظم من ذلك فانه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيئات فرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة والطريقة من الطريق الاولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريقة الثانية قال في الاسئلة المفحمة اشارت الآية الى اصل النجاة المعهودة في حكم الشريعة فان النجاة الاصلية الموعود بها في الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهي النجاة بشرط المجازاة والمكافاة فما الذي هي من غير طريق المجازاة والمكافاة فهي بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام حيث قال ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي اترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للخطائين المتلوثين وبيان الكتابة الى الرسول عليه السلام وسمعت الامام ابا بكر الفارسي بسمرقند يقول سمعت الاستاذ

اما اسحق الاسفرايني يقول ان عبد الله بن طاهر امير خراسان قال للحسن بن الفضل البيهقي اشكلت على ثلاث آيات اريد ان تكشف عني وتشفي الغليل اولاها قوله تعالى في قصة ابن آدم فاصبح من النادمين وصح الخبر بان الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة في حق قابيل وثانيتها قوله تعالى كل يوم هو في شأن وصح الخبر بان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وثالثتها قوله تعالى اضعافا مضاعفة فاجابه وقال اما الآية الاولى فالندم لم يكن توبة في شريعة من الشرائع وانما صار توبة في شريعة محمد عليه السلام تخصيصا له على ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وانما كان على حمله حين حمله على عاتقه اياما فلم يعلم ماذا يعمل به لانه كان اول قتيل حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه واما الآية الثانية فان الشأن المذكور فيها ما هو التقدير بطريق الابتداء وانما هو سوق المقادير الى المواقيت واما الآية الثالثة فهو انه ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل والجازاة وله ان يجزيه بواحد عشرا واضعافا مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبد الله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين الف درهم وقد ذكر الخراط في كتاب النبور قال سنة في الانصار اذا حملوا الميت ان يقرؤا معه سورة البقرة يقول الفقير فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لان الذكر من القرآن واذا كان على الذاكر ان ينوي التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد احسن من قال

زر والديك وقف على قبريهما * فكأنني بك قد حملت اليهما

في ابيات يقول في آخرها وقرأت من آي الكتاب بقدرما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال الشيخ تقي الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير والثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ولاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا الانتفاع بسعي الغير والثالث ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منتفعة بعمل الغير والخامس ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعي اذا اتامت فليغسلني فلان اي من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وان الجار الصالح ينتفع بجواره في الحياة والممات كما جاء في الاثر وان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة اخرى والاعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع ان جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة ايضا فلا بد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على ان الانسان لا ينتفع الا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله الا بقدر سعيه ولا يزداد وهو يخالف الاقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب اعماله ولا يصح ان يأتي بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فاجابوا عنه بوجوه منها انه منسوخ ومنها انه في حق الكافر ومنها انه بالنسبة الى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها ان الانسان انما ينتفع بعمل غيره اذا نوى الغير ان يعمل له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكان سعي الغير بذلك كانه سعيه وايضا ان سعي الغير انما ينفعه اذا لم يوجد له سعي قط فاذا وجد له سعي بان يكون مؤمنا صالحا كان سعي الغير تابعا لسعيه فكانه سعى بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد في الايمان والعمل الصالح فكانه سعى بتأييد عضو اخيه وسد ثلمته فكان سعيه سعيه والحاصل انه لما كان مناط منفعة كل ما ذكر من القرآن عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منه نفع ما بد ونهما جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام غيره اليه وفي اول باب الحج عن الغير

من الهداية الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة اوصوما اوصدقة اوغيرها عند اهل السنة والجماعة
وفى فتح الرحمن واختلفوا فى الائمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة وهى هدى ثواب
للميت المسلم فقال ابو حنيفة واحمد يصل ذلك اليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعى
يجوز ذلك فى الصدقة والعبادة المالية وفى الحج واما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقراءة القرآن
وغيره لا يجوز ان يكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للانسان جعل ثواب عمله مطلقا لغيره ولا يصل اليه
ولا ينفعه لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولان الثواب الجنة وليس فى قدرة العبد ان يجعلها لنفسه
فضلا عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل ان يحج فقال ابو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه
الا ان يوصى بذلك وقال الشافعى واحمد لا يسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج
عن نفسه هل يصح ان يحج عن غيره فقال ابو حنيفة ومالك يصح ويجزى عن الغير مع الكراهة وقال الشافعى
واحمد لا يصح ولو فعل وقع عن نفسه واما الصلاة فهى عبادة بدنية لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق
وعند ابى حنيفة اذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع بر او صاع من تمر او شعير او قيمة ذلك
فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع اليه عدد مخصوص فيجوز ان يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة
صلوات ولا يجوز ان تدفع فدية صلاة لاكثر من مسكين ثم لا بد من الايصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير
لزوم وذلك عند ابى حنيفة خلافا للثلاثة وروى ان رجلا سأل النبى عليه السلام فقال كان لى ابوان ابرهما
حال حياتهما فكيف ابرهما بعد موتهما فقال ان من البر بعد البر ان تصلى لهما مع صلاتك وتصوم لهما
مع صومك رواه الدارقطنى عن على رضى الله عنه وهذا الحديث حجة لابى حنيفة فى تجويزه جعل العبادة
البدنية ايضا لغيره خلافا للشافعى كما مر وروى ايضا من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد عشر مرات
ثم وهب اجرها للاموات اعطى من الاجر بعدد الاموات رواه الدارقطنى عن انس بن مالك رضى الله عنه
مرفوعا فهذا ايضا حجة له فى تجويزه جعل ثواب التلاوة للغير خلافا للشافعى وروى عن النبى عليه السلام
انه ضحى بكبشين املحين احدهما عن نفسه والاخر عن امته المؤمنين متفق عليه اى جعل ثوابه لها وهذا
تعليم منه عليه السلام بان الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا
قال الحسن البصرى رحمه الله رأيت عليا رضى الله عنه يضحى بكبشين وقال ان رسول الله اوصانى ان اضحى
عنه وكان الشيخ الفقيه القاضى الامام مفتى الانام عز الدين بن عبد السلام يفتى بانه لا يصل الى الميت ثواب
ما يقرأ او يحتج بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فلما توفى رآه بعض اصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له
انك كنت تقول لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ او يهدى اليه فكيف الامر فقال له كنت اقول ذلك فى دار الدنيا
والان فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك وقد قيل ان ثواب القرآءة للقارئ
وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
قال القرطبى ولا يبعد من كرم الله ان يلحقه ثواب القرآءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب ما يهدى بعد القرآءة
القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب
المتقربون الى الله بمثل القرآن انتهى يقول الفقير فيه حجة على من انكر من اهل عصرنا جهر آية الكرسى
اعقاب الصلوات واوجب اخفاءها وتلاوتها لكل واحد من الجماعة وذلك لان استماع القرآن اوجب
من تلاوته فاذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كلهم قرؤا جميعا واذا جاز وصول ثواب القرآءة والاستماع
جميعا الى الميت فما ظنك بالحى اصلحنا الله وايا كم وروى ان بعض النساء توفيت فرأتها فى المنام امرأة كانت
تعرفها واذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما فى هذه الاوعية فقالت فيها هدية اهداها الى
ابوا ولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيأ من القرآن واهديته
اليها وفى الحديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له
قال القرطبى القرآءة فى معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك
فى شرح الحديث (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) اى تجدد الثواب له (الا من ثلاث صدقة جارية) كالاوقاف
(او علم ينتفع به) قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام متناول ما خلفه من تصنيف او تعليم

فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا (او ولد صالح يدعو له) قيد بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلتحق بالاب من سيئة ولده اذا كانت نيته فى تحصيل الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سوآء دعا لابيه او لا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سوآء دعا له من اكلها او لم يدع وكذلك الام قال بعض الكبار النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فان ابن آدم اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم بثه فى الناس او ولد صالح يدعو له وفى لفظ الصدقة الجارية اشارة الى افضلية الماء ولذا حفر سعد بئرا لامه فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو الى يوم القيامة واما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل ان المراد بهذا الحديث عمله المضاف الى نفسه فهو منقطع واما العمل المضاف الى غيره فلا ينقطع فللغير ان يجعل ماله من اجر عمله الى من اراد وقال بعضهم فى الآية ليس كل عمل للانسان انما بعضه لله مثل الصوم كما قال الصوم لى وانا اجزى به فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء بهذا الحديث وظن ان الصيام مختص بعامله موفر له اجره لا يؤخذ منه شئ لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فان الحقوق تؤخذ من جميع الاعمال صياما كان او غيره وقيل ان الصوم اذا لم يكن معلوما لاحد ولا مكتوبا فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبأه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح اولئك عليه سيئاتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر باصحابها لزوالها عنهم ولا به لان الصوم جنته وهذا تأويل حسن دافع للتعارض قال البقلى رحمه الله فى تأويل الآية ليس للصورة الانسانية الا ما سعت من الاعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها اليها من درجات الجنان اما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحانى الذى فى تلك الصورة فانه اذا استوفى درجات الجنان التى هى جزآء اعماله الصالحة تمتع ايضا بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وايضا ليس للانسان الا ما يليق بالانسان من الاعمال واما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فاذا وصل الى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له انما ذلك لله وان كان هو متمتعا به وقال ابن عطاء ليس للانسان من سعيه الا ما نواه ان كان سعيه لرضى الرحمن فان الله يرزقه الرضوان وان كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصرابادى سعى الانسان فى طريق السلوك لا فى طريق التحقيق فاذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه واما قول العارف الجامى سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك و بوى كنند فقد لا ينافيه فانه لا فائدة فى السعى بدون الجذبة الالهية فالسعى منسوب الى السالك والجذبة مضافة الى الله تعالى واما المنتهى فالسعى والجذبة بالنسبة اليه كلاهما من الله تعالى اذ ليس بمتحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم ان الطريق قد يثنى كطريق الحج من البر والبحر واما طريق الحق فمفرد اى من حيث الجمعية الوحدانية والا فالطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فعند النهاية يحصل الالتقاء ولذا قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع انه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وان كان المرئى واحدا ثم ان الله يوصل السالك بعد موته الى محل همته لانه كانه حاصل بسعيه وقد مر تحقيقه فى محله نسأل الله الوصول الى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب (وان سعيه) اى سعى الانسان وهو عمله كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وهو مع خبره معطوف على ما قبله من الا تزر الخ على معنى ان المذكورات كلها فى الصحف (سوف يرى) اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من اريته الشئ عرضته عليه وفيه اشارة الى ان الانسان له مراتب فى السعى وبحسب كل مرتبة يجد سعيه فى الحال لا يزيد ولا ينقص وايضا فى المآل واول مراتبه فى السعى مرتبة النفس وسعيه فى هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية والمخالفات الطبيعية اذ العلاج بضدها واثر هذا السعى ونتيجته حصول الجنات التى تجرى من تحتها الانهار والحور والقصور والغلمان كما اخبر الكتاب العزيز فى غير موضع والمرتبة الثانية

والسعى

والسعي فيها تصفية القلب عن صدأ ظلمات البشرية وغطاء كدورات الطبيعية واثر هذا السعي ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزخارفها ومالها ومباهاتها والمرتبة الثالثة والسعي فيها تحلية السر بالصفات الالهية والاخلاق الربانية واثر هذا السعي ونتيجته حصول شواهد التجليات الصفاتية والاسمائية والمرتبة الرابعة والسعي فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية واثر هذا السعي ونتيجته هو الفناء عن انانيته والبقاء بهويته الاحدية المطلقة عن التقييد والاطلاق والالا تقييد وللاطلاق وقال الواسطي في الآية انه لم يكن له ما يستحق به شيء من الثواب وقال سهل سوف يرى سعيه فيعلم انه لا يصلح للحق ويعلم ما الذي يستحق بسعيه وانه لولم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه (ثم يجزاه) اى يجزى الانسان بسعيه اى جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل (الجزاء الاوفى) اى الاوفر الاتم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق وان ليس للانسان الا ما سعى فملك في بدايته وان سعيه سوف يرى ذلك في توسط اموره ثم يجزاه الجزاء الاوفى ذلك في نهايته وله نهايتان باعتبار الفناء والبقاء ففي الفناء يحصل الجزاء الذي هو الشهود وفي البقاء يحصل الجزاء الذي هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما تركه في بدايته سلوكه من المباحات المشروعة من الاكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة في معايش الدنيا واسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد الى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة اذا اصلا (وان الى ربك المنتهى) مصدر بمعنى الانتهاء اى انتهاء الخلق في رجوعهم الى الله تعالى بعد الموت لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازيهم باعمالهم وفي الحقيقة لمنتهاء الخلق اليه تعالى في البداية والنهاية ألا الى الله تصير الامور اذ لا اله الا هو (وفي المثنوى) دست بر بالاى دست اين تاكجا * تابيزدان كه اليه المنتهى * كان يكى دريا ست بى غور وكران * جمله دريا ها چو سيلى پيش آن * حيلها وچارها كرازدهاست * پيش الا الله انها جمله لاست * قال ابن عطاء من كان منه مبدأه كان اليه منتهاه واذا وصل العبد الى معرفة الربوبية يصرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال ان تعتقد انه مفعل الكل بقوله هو الاول وعند ذلك تطلب المعلولات منه الابتداء واليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقي المعلل بها قال بعض الكبار من ادل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك غير ان اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا ندعوه به ولا نطلقه عليه فاعلم ذلك (وانه) تعالى (هو) وحده (اضحك وابكى) الضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الاضواحك والبكاء بالمد سيلان الدمع عن حزن وعويل يقال اذا كان الصوت اغلب كالرغاء وسائر هذه الابنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال اذا كان الحزن اغلب وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اشارة الى الفرح والترح وان لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء اسالة دمع كما في المفردات والمعنى هو خلق قوى الضحك والبكاء في الانسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والانسان لا يعلم حالك القوة او هما كنايتان عن السرور والحزن كانه قيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء او عما يسر ويحزن وهو الاعمال الصالحة والاعمال الطالحة او اضحك في الدنيا اهل النعمة وابكى اهل الشدة والمصيبة او اضحك في الجنة اهلها وابكى في النار اهلها او اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر او الاشجار بالانوار والسحاب بالامطار او القرطاس بالارقام والاقلام بالمداد او اضحك الفرد وابكى البعير او اضحك بالوعد وابكى بالوعيد او اضحك المطيع بالرضى وابكى العاصي بالسخط او اضحك قلوب العارفين بالحكمة وابكى عيونهم بالحزن والحرقة او اضحك قلوب اوليائه بانوار معرفته وابكى قلوب اعدائه بظلمات سخطه او اضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وابكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله او اضحك بالاقبال على الخلق وابكى بالادبار عنه او اضحك الاسنان وابكى اللجنان او بالعكس قال الشاعر

للسن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق

يا ويح بالك بين لا دموع لها * ورب ضاحك سن ما به رمق

او اضحك بتجليه اللطفي الجمالي القلب المنور بنور اللطف والجمال وابكى بتجليه القهري الجلالي النفس المظلمة

بظلمة القهر والجلال او اضحك بتجليه الجلالى النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وابكى بتجليه الجمالى القلب على النفس عند غلبة انوار القلب على النفس وفى الآية دلالة على ان كل ما يعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك و البكاء قالت عائشة رضى الله عنها مر النبى عليه السلام على قوم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبريل فقال اتت هؤلاء فقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى وسئل طاهر المقدسى أتضحك الملائكة فقال ما ضحكت بشر دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبى عليه السلام لجبرآئيل مالى لم ارميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقيل لعمر رضى الله عنه هل كان اصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون قال نعم والله والايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وعن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضى الله عنه أكنت تجالس النبى عليه السلام قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون اشياء من امر الجاهلية فيضحكون و يتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى عليه السلام ولقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى ارالك لاهيا كانك آمن فقال مالى ارالك عابسا كانك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله تعالى احبكما الى احسنكما ظنا بى وروى احبكما الى الطلق البسام وقال الحسن يا ابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار و بكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة بقوله ان ابنى من اهلى وقال كعب لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى احب الى من ان اتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط * بران ازدو سر چشمهٔ ديده جوى * ورآ لايشى دارى ازخود بشوى (وانه هو اماتا واحيا) لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره لا خلقا ولا كسبا فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله على العادة فللعبد نقض البنية كسبا دون الاماتة وبالفارسية قادر براماتة واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت اجل در دنيا وزنده ميسازد در قبر يا او سازندهٔ اسباب موت وحياتست وكفته اند مرده ميسازد كافر انرا بتكرت وزنده ميكند مؤمنانرا بمعرفت وبقول بعضى اماته واحيا بجهل وعلم است يا بخذل وجود يا بعدل وفضل يا به منع واعطا وقيل الخصب والجدب اوالآباء والابناء اويقظ وانام اوالنطفة والنسمة ونزد محققان بهيبت وانس يا باستتار وتجلى وامام قشيرى فرموده كه بميراند نفوس زاهدانرا با ثار مجاهدت وزنده كرداند قلوب عارفانرا بانوار مشاهدت يا هركه رامرتبهٔ فنا فى الله رساند جرعهٔ از ساغر بقا بالله چشاند اوامات النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية واحيى القلب بالصفات الروحانية والاخلاق الربانية اوامات النفس بغلبة القلب عليها واحيائه اوامات القلب باستيلاء النفس عليه واحيائها وهذه الاحكام المختلفة مادام القلب فى مقام التلوين فاما اذا ترقى الى مقام الاطمئنان والتمكين فلا يصير القلب مغلوبا للنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب ابدالآباد الى ان تموت تحت قهره بامر ربه يقول الفقير قدم الاماتة على الاحياء رعاية للفاصلة ولان النطفة قبل النسمة ولان موت القلب قبل حياته ولان موت الجسد قبل حياته فى القبر وايضا فى تقديم الاماتة تعجيل لاثر القهر لينتبه الخاطبون وايضا ان العدم قبل الوجود ثم ان مآل الوجود الى الفناء والعدم فلا ينبغى الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق (وانه) وآنكه خداى تعالى (خلق الزوجين) يا فريد ازانسان دوصنف وفى بعض التفاسير من كل الحيوان وفيه ان كل حيوان لا يخلق من النطفة بل بعضه من الريح كالطير فان البيضة المخلوقة منها الدجاجة مخلوقة من ريح الديك (الذكر والانثى) نر وماده (من نطفة) هى الماء الصافى ويعبر بها عن ماء الرجل كما فى المفردات (اذا تمنى) تدفق فى الرحم وتصب وبالفارسية ازآب منى وقتى كه ريخته شود در رحم وآدم وحوا وعيسى عليهم السلام ازين مستثنى اند فهو من امنى يمنى امناء وهو بالفارسية منى آوردن قال تعالى افرأيتم ما تمنون وفى القاموس منى وامنى ومنى بمعنى اومعنى تمنى يقدر منها الولد من مناه الله يمنيه قدره اذ ليس كل منى يصير ولدا وفيه اشارة الى انه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفا بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمى الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب الدنيوية والاخروية من نطفة

واقعة كائنة مستقرة فى رحم الارادة الازلية اذا تمخى اذا تحرك وتدفق فى رحم الارادة القديمة واذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة ولشرفه الرتبى وان كان الاصل فى العالم الانوثة ولذلك سرت فيه بأسره ولكن لما كانت فى النساء اظهر حببت للاكابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه فى مهر امرأة عشر سنين وحتى ان اعظم ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لا يخلو العوالم عن نكاح صورى او معنوى كان نصف الخلق الذكر ونصفه الانثى وان شئت قلت الفاعل والقابل والانسان برزخ هاتين الحقيقتين (وان عليه) اى على الله تعالى (النشأة الاخرى) اى الخلقة الاخرى وهو الاحياء بعد الموت وفاء بوعده لا لانه يجب على الله كما يوهمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح بان الحكمة الالهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزاء والمكافأة وايصال المؤمنين بالتدريج الى كمالهم اللائق بهم ولو اراد تعجيل اجورهم فى هذه الدار لضاقت الدنيا بأسرها واحد منهم فاظنك بالباقى ومن طلب تعجيل نتايج اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الادب وعامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته واما اذا استقام العبد فى مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة تما او كرامة فان من الادب قبولها ان كانت مطهرة من شوائب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم ان النشأة الاخرى الصورية مترتبة على كمال الغناء الصورى مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الروح فكذا النشأة الاخرى المعنوية وهى البقاء والاتصاف بالصفات الالهية موقوفة على تمام الغناء المعنوى والانسلاخ عن الاوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الفيض وبالجملة فلابد فى كلتا النشأتين من صحة المزاج الا ترى ان الجنين اذا فسد فى الرحم سقط بل الرحم اذا فسدت لم تقبل العلوق والى الولادة الثانية التى هى النشأة الاخرى اشار عيسى عليه السلام بقوله ان يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السموات حقائقها وانوارها واسرارها فكل نبى وولى وارث متحقق بهذا الولوج والولادة الثانية (وانه هو اغنى) اعطى الغنى للناس بالاموال (واقنى) واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال اى يتخذ اصلا ويدخر بان يقصد حفظه استثمارا واستنماء وان لا يخرج عن ملكه وفى المثل لا تقتن من كلب سوء جروا يقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وفى تاج المصادر الاقناء سرمايه دادن وخشنود كردن قال بعضهم اغنى الناس بالكفاية والاموال واعطى القنية وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الفضالى اغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن واقنى بالابل والبقر والغنم والدواب وافراد القنية بالذكر اى بعد قوله اغنى لانها اشرف الاموال وافضلها او معنى اقنى ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية والاوفق لما تقدمه من الآى المشتملة على مراعاة صنعة الطباق ان يحمل على معنى افقر على ان يكون الهمزة اى فى اقنى للازالة كما قاله سعدى المفتى قال الجنيد قدس سره اغنى قوما به وافقر قوما عنه وقال بعضهم فيه اشارة الى افاضة الفيض الالهى على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك وابقاء ذلك الفيض الالهى عليه بحيث لا يستهلك ذلك الفيض ولا يضمحل تحت غلبة ظلمة النفس الامارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فانه لعدم تمكنه فى بعض الاوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف اليه وهو المعنى بقوله اقنى اى جعل فيه ذلك النور قنية ثم ان الآية دلت على اباحة التأثل من الاموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب اى امساكه بلا فائدة من جهة حفظ الزرع او الضرع او نحو ذلك والنفس الامارة اشد من الكلب العقور ففى اقتناء الروح النامى مندوحة عن اقتنائها لانها ابتر عقيم لا خير فيها الا ترى ان مرتبة النفس والطبيعة تبقى هنا ولا تستصحب الانسان الكامل فى النشأة الجنانية اذ الجنان كالمرعى الطيب والروض الانف فلا يرعى فيها الا الروح الطيب والجسد النظيف (وانه هو رب الشعرى) اى رب معبودهم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهو اشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهى احدى الشعريين يعنى الشعرى شعريان احداهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب ان الشعريين اختاسهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت

لقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين ما سال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم فقال لقومه ان النجوم تقطع السماء عرضا وهذه تقطعها طولا فليس شئ مثلها فعبدتها خزاعة وخالف ابو كبشة قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن ابى كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه اليه وان كان الامر كذلك اى لان اباكبشة احد اجداد النبى عليه السلام من قبل امه بل يريدون به موافقته عليه السلام له فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد فالنبى عليه السلام كما وافق اباكبشة فى مخالفة قريش بترك عبادة الاصنام خالفه ايضا بترك عبادة الشعرى وهو اشارة الى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التى عبدها خزاعة اهل الاهواء وابو كبشة اهل البدع من الفلاسفة والزنادقة (وانه اهلك عادا الاولى) هى قوم هود عليه السلام اهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح اى المراد بعاد جميع من انتسب الى عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وصفهم بالاولية ليس للاحتراز عن عاد الاخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الامم بعد قوم نوح قال فى التكملة وصف عاد بالاولى يدل على ان لها ثانية فالاولى هى عاد بن ارم قوم هود والثانية من ولدها وهى التى قاتلها موسى عليه السلام بارجاء كانوا تاسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهى التى نجت من قوم عاد مع بنيها الاربعة عمرو وعمر وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العمالين (وثمود) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه لمنع ما النافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام اهلكهم الله بالصيحة (فما ابقى) اى احدا من الفريقين ويجوز ان يكون المعنى فما ابقى عليهما فالابقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن وانما لم يترحم عليهم لكونهم من اهل الغضب ورحمة الله لاهل اللطف دون القهر وفيه اشارة الى التربية فاولا باللطف وثانيا بالعتاب وثالثا بالعقاب فان لم يحصل التنبه فبالازالة والاهلاك وهكذا عادة الله فى خلقه فليتنبه العباد وليصافظوا على المراتب فى تربية عبيدهم واما تهم وخدمهم مطلقا (وقوم نوح) عطف عليه ايضا (من قبل) اى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم) اى قوم نوح (كانوا هم اظلم) لنبيهم (واطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعوته قريبا من الف سنة وما آمن معه الا قليل * بايد دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين در سنك * وفيه اشارة الى اهلاك صفات القلب من قبل ان يتمكن فى سفينة التوحيد فانهم كانوا مذبذبين منقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل الى النفس وصفاتها (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط عليه السلام يعنى شهرستان قوم لوط عليه السلام ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم وهو منصوب عطفا على عادا اى واهلك المؤتفكة وقيل هو منصوب بقوله (اهوى) اى اسقطها الى الارض مقلوبة بعد ان رفعها على جناح جبريل الى السماء فالا هو آ بمعنى انداختن وقال الزجاج القاها فى الهاوية (فغشاها ما غشى) من فنون العذاب (وقال الكاشفى) پس بپوشانيد آن شهرها را آنچه بپوشانيد يعنى سنكهاء نشان داده بران باريد وفيه من التهويل والتفظيع مالا غاية ورآءه قوله ما غشى مفعول ثان ان قلنا ان التضعيف للتعدية اى البس الله المؤتفكة ما البسها اياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فحذف المفعول الاول مذكوران والثانى محذوف ان قلنا انه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم وفى الآية اشارة الى قرية انقلاب وانقلابها من اعلى الكمال الى اسفل النقصان ومن اعتدال المزاج الى انحرافه وذلك سبب ظلم النفس الامارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها الآية (فبأى آلاء ربك تتمارى) الآلاء النعم واحدها الى والى والى كما فى القاموس والتمارى والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية اى شك وتردد قال فى تاج المصادر التمارى بشك شدن وبايكديكر بدتهيدن واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الالهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل واحد وجعل الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نعم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات

وعبر للمعتبرين قال فى بحر العلوم وهلاك اعدآء الله والنجاة من محبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من اعظم آلائه الواصلة الى المؤمنين قال المتنبى ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد
وقد امر نوحا بالحمد على ذلك فى قوله فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقد حمد هو بنفسه على ذلك فى موضع آخر تعليما لعباده حيث قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس ابى جهل قد قطعت فى غزوة بدر وفى التأويلات النجمية يشير الى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التى عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمماراة فيها والخطاب لافراد الامة لاشتمال النبى عليه السلام على امته كما قال ان ابراهيم كان امة قانتا انتهى ومعنى الآية اذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأى نعمة من نعم ربك تتشكك بانها ليست من عند الله او فى كونها نعمة وبالفارسية پس بكدامين از نعمتهاء آفريدكار خود شك مى آرى وجدال ميكنى فكما نصرت اخوانك من الانبياء الماضين ونصرت اولياءهم واهلكت اعداءهم فكذلك افعل بك فلا يكن قلبك فى ضيق وحرج مما رأيت من اصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر اى هذا القرآن الذى تشاهدونه انذار كائن من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها او الى الرسول والنذير بمعنى المنذر اى هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى التأويلات النجمية يشير الى القرآن او الى الرسول وشبه انذارهما بانذار الكتب الماضية والرسل المتقدمة يقول الفقير فيه اشارة الى نذارة كل ورثته عليه السلام فان كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الاولى لاتحاد كلمتهم ودعوتهم الى الله على بصيرة وكذا ما الهموا به من الانذارات بحسب الاعصار والمشارب فطوبى لاهل المتابعة وويل لاهل المخالفة بكوى آنجه دانى سخن سودمند * وكرهيچ كس رانيايد بسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ بجراحق نكردم بكوش * بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجور قوى * مكو شهد شيرين شكر فايقست * كسى راكه سقمونيا لايقست * چه خوش كفت بكروزدار وفروش * شفا بايدت داروى تلخ نوش (ازفت الآزفة) فى ايراده عقيب المذكورات اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة تعظيما للنبى عليه السلام وان كانوا معذبين فى الدنيا ايضا فى الجملة واللام للعهد فلذا صح الاخبار بدونها ولو كانت للجنس لما صح لانه لافائدة فى الاخبار بقرب آزفة ما فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لافائدة فيه ايضا قلت فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الانذار والازف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال ازف الترحل كفرح ازفا وازوفا دنا والازف محركة الضيق كما فى القاموس والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة اى فى الدلالة على كمال قربها لما فى صيغة الافتعال من المبالغة ففى الآية اشارة الى كمال قربها حيث نسب القرب الى الموصوف به (ليس لها من دون الله كاشفة) اى ليس لها نفس قادرة على كشفها اى ازالتها وردها عند وقوعها فى وقتها المقدر لها الا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر اى ازاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر اوليس لها الان نفس كاشفة بتأخيرها الا الله فانه المؤخر لها يعنى لو وقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله فالكشف بمعنى الازالة لا بالكلية بل بالتأخير الى وقتها اوليس لها كاشفة لوقتها الا الله اى عالمة به من كشف الشئ اذا عرف حقيقته اومبينة له متى تقوم وفى القرآن لا يجليها لوقتها الا هو اوليس لها من غير الله كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة واما جعل التاء كالمبالغة كناء علامة فالمقام يأباه لايهامه ثبوت اصل الكشف لغيره وفى الآية اشارة الى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهى ظهور الحقيقة المثلى لاهل الفناء عن نفوسهم والاقبال على الله بجمع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة الى اهل الحجاب لانهم مستغرقون فى بحر الغفلة مستهلكون فى أسر الشهوة والانسان فان فى كل آن وزمان وماله شعور بذلك فيا ليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا القيامة العارفين دآئمة اى لانهم فى شهود الامر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الامام على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء

ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه ووصل الى حق اليقين وتمكن فى مقام التحقيق والله المعين
(اغن هذا الحديث) آيا ازين سخن كه قرآنست (تعجبون) انكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف سببه (وتضحكون) استهزآء مع كونه ابعد شئ من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه (ولا تبكون) سرزنا على ما فرطتم فى شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة روى انه عليه السلام لم يرضاحكا بعد نزول هذه الآية وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم وروى ان النبى عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى فقال له من هذا فقال فلان فقال جبرآئيل انا نزن اعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم وفى الحديث (ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) وذلك فان الحزن يؤدى الى السرور والبكاء الى الضحك (قال الصائب) منال از ساكن بيت الحزن از چشم تاريكى * كه خواهد صيقلى كشت از جمال روشن يوسف (وقال) خنده كردن رخنه در قصر حيات افكند نست * خانه در بسته باشد تا نمين باشد كسى (وانتم سامدون) اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير فى سيره اذا رفع رأسه قال الراغب السامد اللاهى الرافع رأسه او مغنون لتشاغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع او خاشعون بامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر كما فى الارشاد (فاسجدوا لله واعبدوا) الفاء لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزآء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك او بشر فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع كالاصنام والكواكب قال فى عين المعانى فاسجدوا اى فى الصلاة والاصح انه على الانفراد وهى سجدة التلاوة انتهى وهذا محل سجود عند ابى حنيفة والشافعى واحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه صح عن رسول الله عليه السلام انه سجد بالنجم يعنى بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجد وسجد معه المؤمن والمشرك والانس والجن كما سبق وليس براهما مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قرأ على النبى عليه السلام والنجم فلم يسجد فيها (قال الكاشفى) اين سجدة دوازدهم است از سجدات قرآنى در فتوحات اين را سجدة عبادت كفتند كه امر الهى بذلت ومسكنت مقترنست بوى وجز سالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر منزل سر اين سخن نرسيده اند وفى تأويلات البقلى اى اذا قرب ايام الوصال فاشتاقوا وسارعوا فى بذل الوجود ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الارباب لوجود كشف النقاب قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب البرقيات له يعنى اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لا بالنفس اذا سجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد وعبادته بالاذعان فى مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك فى مرتبة الحقيقة حتى يكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة الى الله فى المرتبة الاولى وصرف وصلة الى الله فى المرتبة الثانية وتكونوا من المقربين اولا ومن الواصلين ثانيا هذا شأن عباد الله الموحدين المخلصين الفانين فى الله الباقين بالله واما طاعة من عداهم فبانفسهم وهواهم لعدم تخلصهم عن الشوآئب النفسانية فى مقام الشريعة وعن الشوآئب الغيرية فى مقام الحقيقة واعلم ان سجدة القالب وعبادته منقطعة لانقطاع سببها ومحلها وموطنها لانها حادثة فانية زآئلة واما سجدة القلب وعبادته وهى فناؤه فى الله ازلا وابدا بحسب نفسه وان كان باقيا بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هى دآئمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها ازلا وابدا والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول الى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا حبب الى النبى عليه السلام ثلاث الطيب والنساء والصلاة اما الاول فلانه يوجد فى نفسه ذوق الانس والمحاضرة

واما الثاني فلانه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة واما الثالث فلانه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الاذواق انما يتحقق بها من الانس من هو الانسان الحقيقي المتحقق بسر الحضرة الاحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المتنعم بانسانيته انتفاعا تاما واما الانسان الحيواني فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه انما هو الشهوات الطبيعية والانسان الاول في اعلى عليين والثاني في اسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الاوج والحضيض وبكمال علو الاول قد يستغني عن الاكل والشرب كالملائكة بالاذواق الروحانية والتجليات الربانية وبذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثاني يأكل كما تأكل الانعام فلا يقتنع في اليوم والليلة بمرة من الاكل بل يحتاج الى مرات منها والا يقع في الاضطراب والذبول والخمول وربما تؤدي قلة الاكل الى هلاكه كما حكي ان شخصين احدهما سمين والآخر هزيل حبسا في تهمة ومنع عنهما الغذاء اسبوعا فبعد الاسبوع تبين ان ليس لهما جرم فاذا السمين قدمات والهزيل حي وذلك لان من اعتاد الاكل اذا لم يجده هلك

تمت سورة النجم بعون الله تعالى في الحادي عشر من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف ويتلوها سورة القمر وآيها خمس وخمسون وهي مكية عند الجمهور والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة) الاقتراب نزديك آمدن والساعة جزء من اجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيها بذلك لسرعة حسابها او لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم او لغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لانه ما بقي من الدنيا الا القليل كما قال عليه السلام ان الله جعل الدنيا كلها قليلا فما بقي منها قليل ومثل ما بقي مثل الشعب اي الغدير شرب صفوه وبقي كدره فالاقتراب يدل على مضي الاكثر ومضي الاقل عن قريب كما مضى الاكثر وبيانه انه مضى من يوم السبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح ان مدة هذه الامة تزيد على الف بضوار بعمائة سنة الى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة الى خمسمائة سنة بعد الالف لعدم ورود الاخبار في ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند اهل الظواهر والبواطن من اهل السنة وقد قال عليه السلام الآيات بعد المائتين والمهدي بعد المائتين فينتهي دورة السبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا آدم ونبينا عليهما السلام اي وجودهما من اشراط الساعة كما قال عليه السلام مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان فاذا كان وجوده من اشراط الساعة فمعجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك يقول الفقير فان قلت فكم عمر الدنيا باسرها وما قول العلماء فيه قلت اتفقوا على حدوث الدنيا وما قطعوا بشيء في مدتها والذي يلوح لي والله اعلم بحقيقة المدة انها ثلاثمائة وستون الف سنة وذلك لانه قد مثل دور السبلة بجمعة من جمع الآخرة اي سبعة ايام وكل يوم من ايام الآخرة الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة ولا شك ان بالجمعة اي الاسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت يا آدم جئت وقد انقضى شبابي يعني انقضى من عمرها ستون الف سنة تقريبا وهي اجمال ما ذكرنا من المدة ولا شك ان ما بين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم انما جاء الى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقي شيء قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال ان عمر الدنيا سبعون الف سنة فاعرف جدا فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لان كل آت قريب وان طالت مدته فكيف اذا قصرت واما قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا فبالنسبة الى الغافلين المنكرين ولا عبرة بهم والحكمة في ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيها لعباده على ان الساعة من اعظم الامور الكونية على خلقه من اهل السموات والارض واما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه واخفاه عن عباده لانه اصلح لهم ولذا كان كل نبي قد انذر امته الدجال وفي الحديث (ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم والمراد بالكذابين الدجالة وهم الائمة المضلون يقول الفقير لا شك ان انذار الانبياء عليهم السلام حقيقة من امثال هؤلاء الدجالة من امتهم اذ لم يخل قرن منهم والا فهم يعرفون ان الساعة

انما تقوم بعد ظهور ختم النبيين وختم الامم وان الدجال الاعور الكذاب متأخر عن زمانه وانما يخرج في الالف الثاني بعد المائتين والله اعلم فكل كذاب بين يدي الساعة سوآء كان قبل مبعث النبي عليه السلام او بعده فانما هو من مقدمات الدجال المعروف كما ان كل اهل صدق من مقدمات المهدي رضي الله عنه (وانشق القمر) الانشقاق شكافته شدن دلت صيغة الماضي على تحقق الانشقاق في زمن النبي عليه السلام ويدل عليه قرآءة حذيفة رضي الله عنه وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدآئن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة ابن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضي الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه اخذ اكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال انه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى اذا السماء انشقت والتعبير بالماضي للدلالة على تحققه على انا نقول يجوز ان يكون انشقاقه مرتين مرة في زمانه عليه السلام اشارة الى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفي فتح الباري لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبي اسند ابو اسحق الزجاج عشرين حديثا الا واحدا في تفسيره الى رسول الله عليه السلام في انشقاق القمر وفي شرح الشريفي للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدي المفتي فيه انهم لم يجعلوا حديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد رواه ستون او اكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى يقول الفقير قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث اي حديث من كذب الخ من المتواتر كما في اصول الحديث على انه يجوز ان لا يكون بعض ما رواه جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرآئطه امام زاهد رحمه الله آورده كه شبي ابو جهل وجهودي بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابو جهل كفت اي محمد آيتي بمن نماي والا سر تو بشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهي ابو جهل بچپ وراست نكريست كه چه خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودي كفت او ساحرست او را بكوي كه ماه را بشكافد كه سحر در زمين متحقق ميشود وساحر را در آسمان تصرف نيست ابو جهل كفت اي محمد ماه را براي ما بشكاف آن حضرت انكشت شهادت برآورد واشارت فرمود ماه را بشكافت في الحال دو نيم شد يك نيم بر جاي خود قرار كرفت ويكي ديكر جايي ديكر رفت وباز كفت بكوي تا ملتئم شود اشارت كرد هر دو نيمه بهم پيوستند * شق كشت ماه چارده بر لوح سبز چرخ * چون خامهٔ دبير ز تيغ بنان او (قال العطار قدس سره) ماه را انكشت او بشكافته * مهر از فرمانش از پس تافته (وفي المثنوي) پس قمر كه امر بشنيد وشتافت * پس دو نيمه كشت بر چرخ وشكافت (وقال الجامي) چو مه را بر سر تير اشارت * زد از سبابهٔ معجز بشارت * دو نون شد ميم دور حلقهٔ ماه * چهل را ساخت او شصت از دو پنجاه * بلي چون داشت دستش بر قلم پشت * رقم زد خط شق بر مه بر انكشت * يهودي ايمان آورد وابو جهل لعين كفت چشم ما بسحر رفته است وقمر را منشق بما نموده وقال بعض المفسرين اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا الايمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام اصبعه وامر القمر بان ينشق نصفين فانفلق فلقتين اي شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت في موضعه وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حرآء بين فلقي القمر فعلى هذا فالنصفان ذهبا جميعا عن موضع القمر فقال بعضهم نصف ذهب الى المشرق ونصف الى المغرب واظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا في وسط السماء كما كان اول مرة فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر جميع اهل الارض فاسئلوا من يأتيكم من البلاد هل رؤا هذا يعني از جماعت مسافران كه از اطراف آفاق برسند سؤال كنيد تا ايشان ديده اند يا نه فسألوا اهل الآفاق فاخبروا كلهم بذلك يعني چون از آينده ورونده پرسيدند همه جواب دادند كه در فلان شب ماه را دو نيمه ديديم وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل رآه كذلك جميع اهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه

جماعة خاصة خصت رؤيته بمن التزج وقوته ولا يأبه قد يكون القمر حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض ولا يخفى بعدهم ان انشقاق القمر آية لمكة جرى مع طائفة في جمع ليلة وسط الناس نيام كما في انسان العيون وتعالى في الاستة الخمسة لا يستبعد اختلافهم من خوم دون خوم بسبب غيم او نحوه يمنع من رؤيته اي فكان انشقاق القمر صحيحا لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم في جميع الاقطار القاصية والدانية وادا وقع فيه الاختلاف كما وقع في المعراج والرؤية والى انشقاق القمر اشار الامام السبكي في تائيته بقوله

وبدر الدجى انشق نصفين عندما ❊ اراءت قريش منك اظهار آية

وصاحب التصيدة قال بديعيته بقوله

اضحت بالقمر الشق ان له ❊ من قلبه قبة مبرورة القسم

يعني لو اقسم احد ان القمر انشق تسبة وشبها بقلبه انشق يكون بارا وصادقا وصاحب الهمزية بقوله

شق من صدره وشق له البد ❊ ر ومن شرط كل شرط براءه

اي شق من صدره عليه السلام وشق لاجل القمر ليلة اربع عشرة واما شق له لان من شرط كل شرط براءة لانه لما شق صدره جوزي على ذلك بالعلم مشابهة في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بنص القرآن (كما قال السائب) هر محق سقسة راستي بود ❊ شد همزبان حق چو زبان كليم سوخت ❊ موسى كليم را انشقاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمر بود چه عجب كه بحر بر موسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مركوب وملوس امت دست آدمى بدو نرسد وقمر آدمى روى تر دايد اعجوبه مملكت انشقاق قمر است كه ميان ازدو بافته آن عابر ودست جن وانس از رسيدن روى قمر ويبان. شق الصدر انه قالت حليمة امه عليه السلام من الرضاعة وهو من بنات بني سعد بن بكر اسلمت مع اولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة ومسكان يبعد ابن خمس سنين على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما انتصف النهار اذا الغلمان اسرعوا عدوا وقد علاهم الفزع باكين ينادي يا امحمد يا امحمد وكان ذكر الخ القريشي قارا كما طمئنانه الامينة قلت وما قصته قالوا بينما نحن نرعى بالجبل اذا اتانا رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق صدره الى عانته فقال له الاسقف لما قالت خاطبت انا وزوجي فسعى سعيا فاذا انا به قاعد على ذروة الجبل شاخص ببصره نحو السماء يتبسم فانكببت عليه فقبلت بين عينيه فقلت له بابي انت مالي وما الذي دهاك قال خير ايامه بينما انا قائم مع اخوتي نتعاذف بالجبل اذا اتاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي رواية فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران وفي رواية كوكبان والمراد ملكان وهما جبرآئيل وميكائيل وفي رواية اتاني ثلاثة رهط اي وهم جبرآئيل وميكائيل واسرافيل لان جبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب وميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الاجساد واسرافيل مظهر الحياة مطلقا فبيد احدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر مملوء ثلجا هو ثلج اليقين فاخذاني من بين اصحابي وانطلقوا بي الى ذروة الجبل وفي رواية الى مشفر الوادي فاضجعني بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا فشق صدري وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما ثم ادخل يده في جوفي فاخرج احشائي يشق فغسلها بذلك الثلج فاهم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها مكانها وقام الثاني وقال للاول تنح فنحا فجاء ملاء من لؤلؤ فغرسني فادخل يده في جوفي فانتزع قلبي وشقه باثنين فاخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان اي محل غمزه ومحل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان تلك العلقة خلقها الله في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يقبي دما اسود حتى رأيته من نور التوحيد فيغسل به شرح الصدر وشق القلب ايضا ولا يلزم من وجود التبادل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء بالفعل قبل هذا الشق فانه عليه السلام معصوم على كل حال فان قلت خلق الله هذا التبادل في هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلق فيها قلت لانه من جملة الاجزآء الانسانية فلتت تكميل الخلق الانساني شهرت تكرمة له اي لانه لو خلق خاليا عنها لتظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير علقة وهي جلدة الذكر التي يقطعها الخاتن واجيب بالفرق بينهما لان العلقة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على ازالتها من كشف العورة كان تخلي الخلقة الانسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام ثم حشا قلبي بشئ كان معه وهو الحكمة والايمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور فصار الناظرون

دونه وفى رواية واقبل الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه ولا مانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ ما فيه وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب اليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم ابليس لان العدو يجيء من وراء ولذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام انا الساعة اجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى وقام الثالث فقال تنحيا فقد انجز تماما امر الله فيه فدنا منى وامر يده على مفرق صدرى الى منتهى الشق فالتأم وانا انظر اليه وكانوا يرونه اثرا كاثر المخيط فى صدره وهو اثر مرور يد جبريل ثم انهضنى من الارض انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذى شق صدرى زنه بعشرة من امته فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم ثم قال دعه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم يقول الفقير هذا يدل على انه عليه السلام كما انه افضل من كل فرد فرد من افراد الموجودات فكذا افضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال فى كونه افضل من المجموع توقف لانه جهل بشأنه العالى وانه احدية مجموع الاسماء الالهية وبرزخيتها فاعرف قال عليه السلام ثم انكبوا على وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا يا حبيباه انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وتركونى قاعدا فى مكانى هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وانا انظر اليهم ولو شئت لاريتك موضع دخولهم واعلم ان صدره الشريف شق مرارا مرة لاخراج حظ الشيطان كما مر لانه لا يليق به وعند مجيء الوحى لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل اسراره ففى شرح الصدر مرارا مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوى لا كامل امته ولا بد منه فى حصول الفيض الالهى يسره الله لى ولكم ثم انه بقى هنا معنى آخر كما قاله البعض وهو ان انشقاق القمر مجاز عن وضوح الامر ولا يبعد ان يحمل بيت المثنوى على ذلك وهو * سايه خواب آرد ترا همچون سمر * چون برآيد شمس انشق القمر * اى وضح الامر واستبان وذلك لانه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفى ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب فان المراد وضوح الامر فى آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لادنى سالك منهم فى مدة قليلة ما لم ينكشف للامم الماضية فى مدة طويلة وذلك لان الله تعالى قال فى حق يوم القيامة يوم تبلى السرآئر فاذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الامور اكثر والخفايا اظهر وقال البقلى رحمه الله علم الله انتظار ارواح الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والاولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول فى جواره فبشرهم الله تعالى بانه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فاراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا ان الله تعالى يريد بالعالمين اتيان الساعة التى فيها كشوف العجائب وظهور الغرآئب من آيات الله وصفاته وذاته وفى التأويلات النجمية اعلم ان الساعة اى القيامة ساعتان الكبرى وهى عامة بالنسبة الى جميع الخلائق وهى التى اقتربت والصغرى وهى خاصة بالنسبة الى السالكين الى الله برفع الاوصاف البشرية وقطع العلائق الطبيعية السائرين فى الله بالتجلى بالاوصاف الالهية والاخلاق الربانية الراجعين من الحق الى الخلق بالبقاء الحقانى بعد الفناء الخلقانى وبالجمع بعد الفرق وهى اعنى الساعة الصغرى واقعة اليوم فى كل آن ولله تجلى جلالى يفنى وجمالى يبقى واليه اشارة قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باستيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلا جرم وقعت الساعة بالنسبة الى القلب الحى المنور بالنور الالهى ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون والله الموفق والمعين (وان يروا) يعنى قريشا (آية) من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها (يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) مطرد دآئم يأتى به محمد عليه السلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال اطرد الشئ تبع بعضه بعضا وجرى وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة حتى قالوا ذلك وفيه تأييد على ان انشقاق القمر قد وقع لا انه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لانه لو لم يكن

الانشقاق من جنس الآيات لم يكن ذكر هذا القول مناسبا للمقام اومطردا بالنسبة الى جميع الاشخاص والبلاد حيث رأوه منشقا وقال بعضهم آن جادو بيست دانم وروند ه ازز مين تا آسمان ويجوز ان يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام اى قوى مستحكم لا يمكن ازالته اوقوى شديد يعلو كل مصر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى عن قريب تنبية لانفسهم وتعليلا فهو من المرور (وكذبوا) اى بالنبي عليه السلام وما عاينوه من المعجزات التي اظهرها الله على يده (واتبعوا اهوآءهم) التي زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره اوكذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهوآءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله اولم يصبه شيء اوانه خسوف في القمر وظهور شيء من جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر فهذا هو آوهم الباطلة * بدكانى لازم بد باطنان افتاده است * كوشة از خلق جا كردم كمين بنداشتند * وذكرهما بلفظ الماضي اى بعد ما عرضوا ويقولوا بلفظ المستقبل للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وفيه اشارة الى المحجوبين المستغرقين في بحر الدنيا وشهواتها فانهم اذا ظهر لهم خاطر رحماني بالاقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحماني وينفوه ولا يلتفتوا اليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب الدنيا ومتابعة النفس وموافقة الهوى ويرموه بالكذب وربما يرى بعضهم في منامه انه لبس خرقة الفقر آه من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على ان تجرده ليس من باطنه فتجرده الظاهري وملاحظة الغناء القشري ليس بنافع له جدا (وكل امر مستقر) اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي عليه السلام فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهوره والحال وعدم الحاجة الى التصريح به اوكل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان اونصرة في الدنيا وشقاوة اوسعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر يعني ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شيء من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فان الحقائق انما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اى كل نبأ وان طالت مدته فلابد ان ينتهي الى غايته وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفي عين المعالي وكل امر وعدهم الله كائن في وقته اى لا يتغير شيء عن مراد الله ولا يغيره احد دون الله فهو يمضيه على الخلق في وقته لانه مستقر لا يزول وفيه اشارة الى ان امر محمد الروح وامر ابي جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها اما الى السعادة الابدية بواسطة التخلق بالاخلاق الالهية واما الى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية (ولقد جاءهم) اى بالله لقد جاء اهل مكة في القرآن (من الانباء) جمع نبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم اوغلبة ظن ولا يقال للخبر في الاصل نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة اي انباء القرون الخالية اوانباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف اليه وهو سال مما بعده (ما فيه مزدجر) اى ازدجار من تعذيب ان اريد بالانباء انباء القرون الخالية اووعيد ان اريد بها انباء الآخرة اوموضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اى هو في نفسه اسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب في المخرج اولتحصيل التناسب فان التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعني ان اصله من تجر لانه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس والدال تناسب الزاى في الجهر وتناسب التاء في المخرج يقال زجره وازدجره اى نهاه عن السوء ووعظه غير ان افتعل ابلغ في المعنى من فعل قال الراغب الزجر طرد بصوت يقال زجرته فانزجر ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت تارة وقوله تعالى من دجر اى طرد ومنع عن ارتكاب المأثم (حكمة بالغة) غايتها متناهية في كونها حكمة لا خلل فيها اوقد بلغت الغاية في الانذار والنهي والموعظة وهو بدل من ما اوخبر لمحذوف وفي القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفي المفردات الحكمة اصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الاشياء اوايجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات واذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه

الحكمة وهي علمية وعملية فالحكمة النظرية بمعاني المعارف الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها
هي اسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما بينهم فتضرهم او تهلكهم (فما تغن النذر)
نفي للاغناء فمفعول تغن محذوف اى لم تغن النذر شيئا واستفهام انكار فما منصوبة على انها مفعول مقدم
لتغن اى فاى اغناء تغن النذر اذا خالفوا وكذبوا الى لا تنفع كثرة ما تغن الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فيه اشارة الى عدم انتفاع النفوس المتمردة بانذار منذر الروح
وانذار منذر القلب اذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار
لا يؤثر فيهم البتة ولا ينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بكردان از ايشان تا وقت امر بقتال
ومنتظر باش جزا ايشان را (يوم يدع الداع) اصله يوم يدعو الداعي بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو
في التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت في الخط ايضا اتباعا للفظ واسقطت الياء من الداعي للاكتفاء بالكسر
تخفيفا قال بعضهم حذفت الياء من الداعي مبالغة في التخفيف اجراء لال مجرى ما عاقبها وهو التنوين
فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه ويوم منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل
عليه السلام ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو الاموات وينادي قائلا ايتها العظام البالية
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء او ان اسرافيل ينفخ
وجبريل يدعو وينادي بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم هو مجاز كالامر في قوله
تعالى كن فيكون يعني ان الدعاء في البعث والاعادة مثل كن في التكوين والابتداء بان لا يكون ثمة داع
من اسرافيل او غيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيته وعدم تخلف مراده عن ارادته كما لا يتخلف
اجابة دعاء الداعي للمطاع بقول القفير الاولى بقاؤه على حقيقته لان اسرافيل مظهر الحياة ويده الصور والله
تعالى ربط الاشياء بعضها ببعض وان كان الكل باراداته ومشيئته (الى شئ نكر) بضمتين صفة على فعل وقرئ
بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر اى منكر فظيع ينكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة
ومنه منكر ونكير لفتانى القبر لانه لم يعهد عند الميت مثلهما (خشعا ابصارهم) حال من فاعل (يخرجون)
والتقديم لان العامل فعل متصرف اى يخرجون (من الاجداث) جمع جدث محركة وهو القبر اى من
قبورهم حال كونهم ازلة ابصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة واكثر
ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة اكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب كما روى اذا ضرع القلب
خشعت الجوارح وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه في سائر الجوارح وكذلك سائر ما في نفس
الانسان من حياء وخوف ونحوه انما يظهر في البصر (كانهم جراد) اى يشبهون الجراد وهو بالفارسية ملخ
سمي بذلك لجرده الارض من النبات يقال ارض مجروذة اى اكل ما عليها حتى تجردت كما في المفردات (منتشر)
في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار ومثله قوله كالفراش المبثوث (مهطعين الى الداع) حال ايضا
اى مسرعين الى جهة الداعي ماديي اعناقهم اليه او ناظرين اليه لا يقلعون ابصارهم يقال هطع الرجل
اذا اقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب رأسه واهطع في عدوه اذا اسرع
كما في الجوهري وفيه اشارة الى ذلة ابصار النفوس وعلتها فانها مدت من حب الدنيا وانطفاء ابصار القلوب
عن شواهد الحق وانطماس ابصار الارواح عن شهود الحق والى ان هذه النفوس الرديئة تخرج من قبور
صفاتها الرذيلة كالجراد الذي يسعى على اكل زروع مزارع القلب من الاخلاق الروحانية منتشرين في مزارع
الروح ومغارس القلب بالفساد والافساد وتربى هذه النفوس الخبيثة مسرعة الى اجابة داعي الشهوات
النفسانية واللذات الجسمانية راغبة الى دعوته مقبلة على طلبه (يقول الكافرون) استئناف وقع جوابا
عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون
(هذا يوم عسر) اى صعب شديد علينا فيكثرون بعد الخروج من القبور واقفين اربعين سنة يقولون ارحنا
عن هذا ولو الى النار ثم يؤمرون بالحساب وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا
في تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسيرلهم ببركة ايمانهم واعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين
ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم ايضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون

فى الذى هم عليه من الامن لما هم النبيون عليه من الخوف على اممهم يعنى ان الانبياء والرسل عليهم السلام يخافون على اممهم للشفقة التى جبلهم الله عليها للخلق فيقولون فى ذلك اليوم سلم سلم وان كان لا يحزنهم الفزع الاكبر لانهم آمنون من خوف العاقبة وفيه اشارة الى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لا نجاة لنا ولا منجاة الا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب وما يقدرون على ما يقولون لافساد استعدادهم بيد الامانى الكاذبة واختيار تلك الامانى الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الاخروية فعلى العاقل ان يختار الباقى على الفانى ولا يغتر بالامانى بل يجتهد قبل الموت باسباب الخلاص والنجاة لكى يحصل له فى الآخرة النعيم والدرجات والا فاذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفرا فى الغد فلا ينفع الاسف والويل نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من الذين اجابوا داعى الله ورسوله وتشرفوا بالعمل بالقرءان وقبوله و ييسر لنا الفناء المعنوى قبل الفناء الصورى و يهيء لنا من امرنا رشدا فانا آمنا به ولم نشرك بربنا احدا وهو المعين فى الآخرة والاولى و بيده الامور ردا وقبولا (كذبت قبلهم قوم نوح) اى فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح او كذبوا نوحا فالمفعول محذوف وهو شروع فى تعداد بعض الانباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذبوا عبدنا) نوحا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ فالمكذب فى المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية فى الذكر فان التفصيل يعقب الاجمال وفى ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فان تكذيب عبد السلطان اشنع من تكذيب عبد غيره وفيه اشارة الى انه لا شئ اشرف من العبودية فان الذلة الحقيقية التى يقابلها مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهى المرادة بالتواضع وهى غير التملق فان التملق لا عبرة به وفى الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) اى ليس الفخر لى بالرسالة وانما الفخر لى بالعبودية وخصوصا بالفقر الذى هو الخروج عن الوجود المجازى بالكلية (وقالوا) فى حقه هو او قالوا له انك (مجنون) اى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون واختلال العقل وهو مبالغة فى التكذيب لان من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لا يقول الا ما لا يقبله العقل و يأباه (وازدجر) عطف على قالوا فهو من كلام الله اى وزجر عن التبليغ بانواع الاذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب وازدجر اى طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو ان يقال اعزب عنى وتنح ووراءك وقيل هو من جملة ما قالوه اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته اى افسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه اشارة الى ان كل داع حق لا بد وان يكذب لكثرة اهل البطلان وغلبة اهل البدع والاهواء والطغيان وذلك فى كل عصر وزمان وايضا قوم نوح الروح وهم النفس الامارة وصفاتها لا يقبلون دعوته الى الله لانهماكهم فى الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين فى جميع الحالات والمقامات * اين جهان شهوتى بتخانه ايست * انبيا وكافران را لانه ايست * ليك شهوت بندة پاكان بود * زر نسوزد زانكه نقد كان بود * ذلة الارواح من اشباحها * عزة الاشباح من ارواحها كم نشين بر اسب توسن بى لكام * عقل ودين را پيشوا كن والسلام (فدعا ربه) اى لما زجروا نوحا عن الدعوة وبلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه (انى) اى بانى (مغلوب) من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) اى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا فيفيق و يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما اذن الله له بالدعاء للاهلاك دعا فاجيب كما قال فى الصافات ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (ففتحنا ابواب السماء) اى طرقها و بالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاء آسمانرا از طرف مجره كما قال على رضى الله عنه (بماء منهمر) الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره ويهمره صبه فهمر هو وانهمر اى انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصبابا شديدا كما ينصب من افواه القرب لم ينقطع اربعين يوما وكان مثل الثلج بياضا وبردا وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء فى قوله بما للاستعانة و جعل الماء كالالة لفتح ابواب السماء وهو ظاهر او للملابسة (وفجرنا الارض عيونا) اى جعلنا الارض كلها كانها عيون

منفجرة اى جارية وكان ماء الارض مثل الحميم حرارة واصله وفجرنا عيون الارض فغير عن المفعولية الى التمييز فضاء لحق المقام من المبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض يكفى فى صحة تفجر ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا ابرز آه الارض كلها بجعلها عيون الماء ولاشك فى انه ابلغ (فالتقى الماء) اى ماء السماء وماء الارض وارتفع على اعلى جبل فى الارض ثمانين ذراعا والافراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد (على امر قد قدر) اى كائنا على حال قد قدره الله من غير تفاوت اوعلى حالة قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض اوعلى امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل يقول الفقير انما وقع العذاب بالطوفان العام لان الماء اشارة الى العلم فلما لم ينتفعوا بعلم نوح عليه السلام فى المدة الطويلة ولم تغرق ارواحهم فيه اخذوا بالماء حتى غرقت اجسادهم وتأثير الطوفان يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل (وحملناه) اى نوحا ومن آمن معه (على ذات الواح) اى سفينة صاحبة اخشاب عريضة فان الالواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشبا اوعظما وكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت فى ارض الهند ومن خشب شمشاد ويقال من الجوز (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد يقهر يقال دسره بالرمح وروى انه ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ دسره البحر سمى به المسمار لانه يدسر به منفذه اى يدفع قال فى عين المعانى دسرت بها السفينة اى سدت اولانها تدسر اى تدفع بالدق فقوله ذات الواح ودسر صفة للسفينة اقيمت مقامها بان يكنى بها عنها كما يكنى عن الانسان بقولهم هو مستوى القامة عريض الاظفار (تجرى باعيننا) اى تجرى السفينة وتسير بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل باوليائنا يقال مات عين من عيون الله اى ولى من اوليائه (جزآء لمن كان كفر) مفعول له لما ذكر من فتح ابواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة اى فعلنا ذلك المذكور اجرا ونوابا لنوح لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله على امته ورحمة اى نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها (ولقد تركناها) اى السفينة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله بباقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رمادا وفى تفسير ابى الليث قال بعضهم يعنى تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريبا من خروج النبى عليه السلام وقيل بقيت خشبة من سفينة نوح هى فى الكعبة الان وهى ساجة غرست حتى ترعرعت اربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست اربعين سنة وقيل بقى بعض خشبها على الجودى الى هذه الاوقات يقول الفقير لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة والا فهو ليس بافضل من اخشاب منبر نبينا صلى الله عليه وسلم فى المدينة وقد احترقت او اكلتها الارضة فاتخذت منشطا ونحوه مما يتبرك به الا ترى ان مقام ابراهيم عليه السلام مع كونه حجرا صلدا لم يبق اثره بكثرة مسح الايدى ثم لم يبق نفسه ايضا على ما هو الاصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفى عين المعانى ولقد تركناها اى الغرق العام وهى اضمار الآية قبل الذكر كقوله انها تذكرة وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت آية للناس يقول الفقير كيف يعرفونها ولم يكن فى الدنيا قبل الطوفان الا البحر المحيط وذلك ان الله تعالى امر الارض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقى ماء السماء لم تبتلعه الارض فهذه البحور على وجه الارض منها واما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جرز عن الارض حين خلق الله الارض من زبده واليه الاشارة بقوله وكان عرشه على الماء اى العذب والبحور سبعة منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجارا فجاء جبريل وعلمه صنعة السفينة (فهل من مدكر) اى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيضاف من الله ويترك المعصية واصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فادغمت الذال فى التاء ثم قلبت دالا مشددة (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار اصله نذرى بالياء حذفت

اكتفاء بالكسرة وحد العذاب وجمع الانذارات اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقابل الانذارات آلتى هي نعم ورحمة تواترت عليهم فلم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى اواخر القصص الاربع تنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار اى و بالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم كما قال فانما يسرناه بلسانك ووشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) اى للتذكير والاتعاظ وعن الحسن عن النبى عليه السلام لولا قول الله ولقد يسرنا القرآن للذكر لما اطاقت الالسن ان تتكلم به (فهل من مدكر) انكار ونفى للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قرأت على النبى عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام فهل من مدكر بالدال قال فى برهان القرآن قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما فى كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه و يعظ غيره وفى الآيات اشارة الى مغلوبية نوح القلب فى يد النفس الامارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فاجابه الله حتى غلب صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وافاض من سماء الارواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن ارض البشرية عيون المعارف والحقائق فاهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه اشارة اخرى وهى انه اذا زاد الكشف والعيان تستشرف الارواح على الفناء فيدخلها الله فى سفن العصمة و يجريها بشمال العناية وايضا ان الانبياء والاولياء سفن عنايته تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق فى بحار الضلالة و ظلمات الشقاوة لانهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل فى جوار الرحمن (وفى المثنوى) اينچنين فرمود آن شاه رسل * كه ممكن كشتى درين دريای كل * يا كسى كودر بصيرتهای من * شد خليفه راسق برجای من * كشتى نوحيم دردريا كه تا * رونكردانى زكشتى اى فتى * نسأل الله سبحانه ان يحفظنا فى سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال و يعصمنا عن الزيغ والضلال (كذبت عاد) اى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب (فكيف كان عذابى ونذر) هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لالتهويله وتعظيمه وتجييهم من حاله بعد بيانه كما قبله ومابعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابى وانذارا فى اهم فالنذر جمع نذير بمعنى الانذار (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما اجمل اولا وصرصر من الصر وهو البرد او من صر الباب والقلم اى صوت اى ارسلنا وسلطنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت والهبوب وهى ريح الدبور وتقدم تفصيله فى فصلت وغيرها (فى يوم نحس) النحس ضد السعد اى شؤم (مستمر) صفة ليوم او نحس اى مستمر شومه عليهم او ابد الدهر فان الناس يتشاءمون باربعاء آخر الشهر قال ابن الشيخ واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالاربعاء الذى يكون فى آخر الشهر بناء على قوله تعالى فى يوم نحس مستمر ومعلوم ان ليس المراد انه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحوستها فى حق الانبياء والمؤمنين وفى الروضة الاربعاء مشؤم عندهم والذى لا يدور وهو آخر اربعاء فى الشهر اشأم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر

لقاؤك للمبكر فال سوء * ووجهك اربعاء لا يدور

وقيل يحمد فى الاربعاء الاستحمام فانه يقال يخلط فى ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الامور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحوسته ازمنة ممتدة الى ان اهلكهم فاليوم بمعنى الحين والا فاليوم الواحد لا يمكن ان يستمر سبع ليال وثمانية ايام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان او المعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة الى الاشخاص او مشتد مرارته اى بشاعته وكان ابتداؤه يوم الاربعاء آخر الشهر بمعنى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى غروب الاربعاء الآخر وروى انه كان آخر ايامهم الثمانية فى العذاب يوم الاربعاء وكان سلخ صفر وهى المسوم فى سورة الحاقة

(تنزع الناس) صفة لريحا اى ريحا تقلعهم روى انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى وقال مقاتل تنزع ارواحهم من اجسادهم وقال السهيلى دامت عليهم سبع ليال وثمانية ايام كيلا ينجو منهم احد ممن فى كهف اوسرب فاهلكت من كان ظاهرا بارزا وانتزعت من البيوت من كان فى البيوت اوهدمتها عليهم واهلكت من كان فى الكهوف والاسراب بالجوع والعطش ولذلك قال فهل ترى لهم من باقية اى فهل يمكن ان يبقى بعد هذه الثمانية الايام باقية منهم (كانهم اعجاز نخل منقعر) حال من الناس والاعجاز جمع عجز وعجز الانسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخر الامور والنخل من الجنس الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيرا يسمى جمعا نظرا الى المعنى الجنسى والمنقعر المنقلع عن اصله يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت وفى المفردات منقعر اى ذاهب فى قعر الارض وانما اراد تعالى ان هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخل الذاهب فى قعر الارض فلم يبق لهم رسم ولا اثر انتهى والمعنى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وقال بعضهم كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون ارجلهم غائرة نافذة فى الارض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم فكانها قلعت اعجاز نخل منقعر وقال ابو الليث صرعتهم وكبتهم على وجوههم كانهم اصول نخل منقلعة من الارض فشبههم لطولهم بالنخل الساقطة قال مقاتل كان طول كل واحد منهم اثنى عشر ذراعا وقال فى رواية الكلبى كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعا فاستهزؤا حين ذكر لهم الريح فخرجوا الى الفضاء وضربوا بارجلهم وغيبوا فى الارض الى قريب من الركبة فقالوا قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الارض وجعلت ترفع كل اثنين وتضرب احدهما بالآخر بعدما ترفعهما فى الهوآء ثم تلقيهما فى الارض والباقون ينظرون اليهما حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع انينهم من تحت التراب كذا وكذا يوما وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها فى قوله اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وكذا قوله جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح عاصفة (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما فى الارشاد وقال فى برهان القرآن اعاد فى قصة عاد فكيف كان عذابى ونذر مرتين لان الاول فى الدنيا والثانى فى العقبى كما قال فى هذه القصة لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وقيل الاول لتحذيرهم قبل هلاكهم والثانى لتحذير غيرهم بعد هلاكهم انتهى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق وفيه اشارة الى اهل النفوس الامارة فانهم بواسطة انهماكهم فى الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله ومؤآئد كرمه فارسل الله عليهم صرصر ريح اهوآئهم الظلمانية وبدعهم الشيطانية فى يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على ارض الهوان والخذلان كانهم اعجاز نخل منقلع عن تخوم الارض ساقط على وجه الارض مثل اجساد جامدة بلا رؤس نعوذ بالله من تجليات قهره وتسلط عذابه وغضبه فى يومه وشهره فعلى العاقل ان يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الاية الكبرى

چو بر كشته بختى درافتد به بند * ازو نيكبختان بكيرند پند * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * فلو آمن ايمان يأس اوتاب توبة يأس لم يقبل * فراشو چو بينى در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * مرو زير بار كناه اى پسر * كه حمال عاجز بود در سفر * كما ورد خفف الحمل فان العقبة كؤود * پى نيك مردان بايد شتافت * كه هركه اين سعادت طلب كرد يافت * وليكن تو دنبال ديو خسى * ندانم كه در صالحان كى رسى * ثم ان سبب هلاك عاد بالريح اعتمادهم على قوتهم والريح اشد الاشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون فلا يعتمدوا على قواهم وفيه اشارة الى ان الريح هو الهوآء المتحرك فالخلاص من ذلك الهوآء انما هو بترك الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من فضله ذلك (كذبت ثمود بالنذر) اى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح عليه السلام او بالرسل فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرآئع (فقالوا ابشرا منا) اى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده فاداة الاستفهام داخلة على الفعل وان كان تقديرا

كما هو الاصل (واحدا) اى منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وتأخير هذه الصفة عن منا للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة (نتبعه) فى امره (انا اذا) اى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة وايضا ليس بملك لما كان فى اعتقادنا للكبرة من التنافى بين الرسالة والبشرية (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) اى جنون فان ذلك بمعزل عن مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم حتى قالوا ان اتبعناه كنا اذا كما تقول (ءالقى الذكر) اى الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هو احق بذلك والاستفهام للانكار ومن بيننا حال من ضمير عليه اى أخص بالرسالة منفردا من بين آل ثمود والجمال الذى فيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا (بل هو كذاب اشر) اى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطر على الترفع علينا بمجرد ادعاء واشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود يسند وستيزنده وسبكسار وبابه علم والاشر التجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا (سيعلمون غدا من) كيست فهو استفهام (الكذاب الاشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعد له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم الذى يلى يومك الذى انت فيه والمراد به وقت نزول العذاب فى الزمان المستقبل لا يوم بعينه ولا يوم القيامة لان قوله انا مرسلوا الناقة استئناف لبيان مبادى الموعود حتما والمعنى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع والتجبر اصالح هو ام من كذبه وفيه تشهير بفضل صالح حيث ان الله تعالى يسلب عنه بنفسه الوصف الذى اسندوه اليه من الكذب والاشر فان معناه لست انت بكذاب اشر بل هم (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها من الهضبة التى سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل خلق من صخرة واحدة او الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولا يكون الا فى حمر الجبال كما فى القاموس روى انهم سألوه متعنتين ان يخرج من صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهى التى اتت عليها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفصل فاوحى الله اليه انا مخرجوا الناقة على ما وصفوا (فتنة لهم) اى امتحانا فان المعجزة محنة واختبار اذ بها يتميز المثاب من المعذب (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على اذيتهم صبرا بليغا (ونبئهم) اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب) اى كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه (محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته فليس معنى كون الماء مقسوما بين القوم والناقة انه جعل قسمين قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما وقسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفرمنها حيوانا تهم اولقلة الماء (فنادوا) پس بخواندند قوم ثمود (صاحبهم) هو قدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهو مشؤوم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف لانه كان عاقر الناقة كما سيجىء وكان قصيرا شريرا ازرق اشقر احمر وكان يلقب باحيمر ثمود تصغير احمر تحقيرا وفى كشف الاسرار يقال له احمر ثمود وقيل اشأم عاد يعنى عادا الاخرة وهى ارم تشاءم به العرب الى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قيل السجاوندى فى عين المعانى وقد ذكره زهير فى شعره

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم * كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل هو غلط وهو احمر ثمود انتهى (فتعاطى فعقر) التعاطى مجاز عن الاجتراء لان التعاطى هو تناول الشئ بتكلف وما يتكلف فيه لابد ان يكون امرا هائلا لا يباشره احدا لا بالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء فى فعقر والا فالعقر لا يتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر اى ضرب به قوائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة (قال الكاشفى) بحركت عقر ناقه دوزن بودند عنيزة ام غنم وصدوق بنت المختار وفى التفاسير صيقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قد اضرت بمواشيها پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهر را بوصال خود وعنيزه يكى از دختران خود را نامزد قدار كرده وهردو براه كذر ناقه كمين كردند چون ناقه از آب باز كشت اول بمصدع رسيده اوتيرى

بیفکند که پایهای ناقه بهم دوخت قدار نیز از کمین کاه بیرون آمده بشمشیر ناقه را پی کرد فعنی فنادوا صاحبهم فنبهوه علی مجیئها وقربها من مکمنه اوانه لما هم بها هابها فناداه اصحابه فشجعوه اونادی مصدع بعد ما رماها بسهم دونك الناقة فاضربها فضربها وچون از پای درآمد اورا قطعه قطعه کردند ومیان قوم منقسم ساختند وبچه او حنو برآمده سه بانك کرد واز آنجا بآسمان رفت وکفتند اونیز کشته شد وبعد از سه روز عذاب ثمود نازل شد (فکیف کان عذابی ونذر) الکلام فیه کالذی مر فی صدر قصة عاد (انا ارسلنا علیهم صیحة واحدة) هی صیحة جبریل علیه السلام وذلك لانها هی الجزآء الوفاق لفعلهم فانهم صاروا سببا لصیحة الولد بقتل امه وفی الحدیث (لا توله والدة بولدها) ای لا تجعل والهة وذلك فی السبایا بان یفرق بینها وبین ولدها وفی الحدیث (من فرق بین والدة وولدها فرق الله بینه وبین احبته یوم القیامة) کما فی المقاصد الحسنة للسخاوی (فکانوا) ای فصاروا لاجل تلك الصیحة بعد ان کانوا فی نضارة وطیب عیش (کهشیم المحتظر) الهشم کسر الشیء الرخو کالنبات والهشیم بمعنی المهشوم ای المکسور وهو الیابس المتکسر من الشجر وغیره والحظر جمع الشیء فی حظیرة والمحظور الممنوع والمحتظر بکسر الظاء الذی یعمل الحظیرة ویتخذها قال الجوهری الحظیرة التی تعمل للابل من الشجر لتقیها البرد والریح والمعنی کالشجر الیابس الذی یتخذه من یعمل الحظیرة او کالحشیش الیابس الذی یجمعه صاحب الحظیرة لماشیته فی الشتاء (ولقد یسرنا القرآن للذکر فهل من مدکر) وفی الآیات اشارة الی ثمود النفس الامارة بالسوء ومعاملتها مع نذیر القلب فانه یدعوها الی الانسلاخ عن الصفات البشریة والتلبس بالصفات الروحانیة وهی تدعی المجانسة معه اذ النفس والقلب والروح بل النفس اخت القلب من جانب ایسر البطن وکذا تدعی تقدم رتبتها علی القلب وتصرفها فی القالب وما یحتوی علیه من القوی البشریة والطبیعیة وتأخر رتبة القلب لانه حصل بعد ازواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس علی القلب استنکفت النفس عن اتباعه والامتثال لاوامره وما عرفت ان تقدم الشرف والحسب اعلی وافضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحکماء توانکری بهنرست نه بمال وبزرکی بعقلست نه بسال وقال بعضهم

وما ینفع الاصل من هاشم * اذا کانت النفس من باهله

وهی قبیلة عرفت بالدناءة والخساسة جدا فخطأت النفس نذیر القلب مع ان الخاطئة نفسها وامتحنته باخراج الناقة وذلك ان حقیقة النفس واحدة غیر متعددة لکن بحسب توارد الصفات المختلفة علیها تسمی بالاسماء المختلفة فاذا توجهت الی الحق توجها کلیا تسمی بالمطمئنة واذا توجهت الی الطبیعة البشریة توجها کلیا تسمی بالامارة واذا توجهت الی الحق تارة والی الطبیعة اخری تسمی اللوامة فثمود النفس الامارة طلبت علی جهة المکر والاستکبار من صالح رسول القلب المرسل من حضرة الروح ان تظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل النفس الامارة بان یبدل صفتها من الاماریة الی الاطمئنان فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسئولها فاجابه اظهارا للقدرة والحکمة حتی غلبت انوار الروح وانطمست ظلمة النفس کما ینطمس عند طلوع الشمس ظلام اللیل وکان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق کما کان للنفس الامارة شرب خاص من المشارب الجسمانیة فنادی الهوی واعوانه بعضهم بعضا باستخلاص النفس الامارة عن استیلاء نور الروح علیها مخافة ان ینغمس الهوی ایضا تحت هذا النور فتعاطی بعض اصحاب الهوی ذلك وکانت النفس الامارة ما تمکنت فی مقام الاطمئنان تمکنا مستحکما بحیث لا تتأثر بل کان لها بقیة تلوین فقتلوها بابطال طمأنینتها فرجعت القهقری فانقهرت النفس والهوی تحت صیحة القهر وصارت متلاشیة فی حضرة القهر والخذلان محترقة بنار القطیعة والهجران کما قال فکیف کان عذابی ونذر فمن کان اهل الذکر والقرآن ای الشهود الجمعی یعتبر بهذا الفراق ویجتهد الی ان یصل الی نهایة الاطمئنان علی الاطلاق فان النفس وان تبدلت صفتها الاماریة الی المطمئنة لا یؤمن مکرها وتبدلها من المطمئنة الی الاماریة ولو وکلت الی نفسها طرفة عین لعادت المشؤومة الی طبعها وجبلتها کما کان حال بلعام وبرصیصا ولذا قال علیه السلام لا تکلنی الی نفسی طرفة عین ولا اقل من ذلك وقال الجنید قدس سره لا تألف النفس الحق ابدا الا تری ان الذمی وان قبل الخراج فانه لا یألف المسلم الفة مسلم وفرخ

الغراب وان ربى من الصغر وعلم فانه لايخلو من التوحش فالنفس ليست باهل الاصطناع والمعروف والملاطفة ابدا وانما شأنها تضييقها ومجاهدتها وريا ضتها الى مفارقة الروح من الجسد (ولذا قال فى المثنوى)

اندرين رهى خراش وهى تراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * ومنه يعلم سر قولهم ان ورد الاستغفار لايسقط بحال ولذا قال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى ان يجعلنا من العلماء العاملين والادباء الكاملين بسر النبى الامين (كذبت قوم لوط بالنذر) اى بالانذارات او بالمنذرين كما سبق (انا ارسلنا عليهم حاصبا) اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء وهى حجارة دون ملء الكف قال الحصب الرمى بالحصى الصغار ومنه الحصب موضع الجمار وقول عمر رضى الله عنه حصبوا المسجد والحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وتذكيره مع اسناده الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لتأويلها بالعذاب يقول الفقير لعل سر تعذيبهم بالحجارة لانهم جهروا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا لطفهم الى غير محل الحرث فرماهم الله بالجهر ومن ثمة ذهب احمد بن حنبل رحمه الله الى ان حكم اللوطى ان يرجم وان كان غير محصن وايضا انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به واما الريح فلانهم كانوا يضرطون فى مجالسهم علانية ولا يتحاشون واما انقلاب قراهم فلانهم كانوا يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب اعمالهم وايضا قلبوا الحقيقة وعكسوها بان تركوا محل الحرث واتوا الادبار (الا آل لوط) وهم اهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعنى لوطا وابنتيه وفى كشف الاسرار يعنى بناته ومن آمن به من ازواجهن (نجيناهم بسحر) اى فى سحر من الاسحار وهو آخر الليل او السدس الاخير منه وفى المفردات السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل اسما لذلك الوقت ويجوز ان يكون حالا اى ملتبسين بسحر روى ان الله امره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه (نعمة من عندنا) اى انعاما كائنا مناوهو علة لانجينا ويجوز ان يكون مصدرا من فعله او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام (كذلك) اى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة يعنى كذلك ننجى المؤمنين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اى اخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية واصله تماريوا على وزن تفاعلوا (ولقد راودوه عن ضيفه) المراودة ان تنازع غيرك فى الارادة فتريد غير ما يريده وسبق تحقيقها فى سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد ارادوا من لوط تمكينهم ممن اتاه من اضيافه وهم الملائكة فى صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظنا منهم انهم بشر (فطمسنا اعينهم) الطمس المحو واستئصال اثر الشئ اى فمسحناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم يرلها شق روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركتهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط والصفق الضرب الذى ليس له صوت (فذوقوا) اى فقلنا لهم على السنة الملائكة ذوقوا (عذابى ونذر) والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب وفيه اشارة الى ان طمس الابصار كان من نتائج مسح الابصار ولذا ورد فى القرآن وتحشره يوم القيامة اعمى لانه اعرض عن ذكر الله ولم يلتفت اليه اصلا (ولقد صبحهم بكرة) التصبيح بامداد بنزديك كسى آمدن اى جاءهم وقت الصبح (عذاب) اى الخسف والحجارة (مستقر) يستقر بهم ويثبت لايفارقهم حتى يفضو بهم الى النار يعنى عذاب دائم متصل بعذاب الآخرة وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهى به والحاصل ان العذاب الذى هو قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذى نزل بهم من طمس الاعين فانه عذاب دنيوى غير موصول بعذاب الآخرة واما عذاب الخسف والحجارة فموصول بها لانهم بهذا العذاب ينتقلون الى البرزخ الموصول بالآخرة كما اشار اليه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما ان ازمنة الدنيا يتصل بعضها ببعض (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى

فبأى آلاء ربكما تكذبان و ويل يومئذ للمكذبين ونحوهما من الآيات والتعنيف والمواعيد والزواجر والقوارع فان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الاسماع والقلوب وتثبيتا لها فى الصدور وكلما زاد تكرير الشئ وترديده كان اقره فى القلب وامكن فى الصدر وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان وفى القصة اشارة الى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الامارة ومعاملة الله بهم من انجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية واهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التى هى شهوة الجماع يجب عليه ان يقهر تلك الصفة ويكسرها باجهاد ذكر لا اله الا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التى هى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة والجمود الذى هو تفريطها فالعفيف من يباشر الامور على وفق الشرع والمروة بخلاف اهل الشهوة فان الشهوة حركة للنفس طلبا للملايم وحال النفس اما افراط او تفريط فلا بد من اصلاحهما من جميع القوى والصفات فانها هى التى حملت الناس على الفجور وايقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور نعمى تازد اين نفس سركش جنان كه عقلش نواند كرفتن عنان فنسأل الله العون والتوفيق والثبات فى طريق التحقيق (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بالنذر اى وبالله لقد جاءهم الانذارات من جهة موسى وهرون عليهما السلام كانه قيل فاذا فعلوا حينئذ فقيل (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر (فأخذناهم) بالعذاب عند التكذيب (أخذ عزيز) لا يغالب يعنى كرفتن غالبى كه مغلوب نكردد در كرفتن (مقتدر) لا يعجزه شئ والمقصود ان الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا اخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الاغراق فى بحر القلزم او النيل يقول الفقير لعل سر الغرق ان فرعون وصل الى موسى بسبب الماء الذى ساقه اليه فى تابوته فلم يشكر لانعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث اهلكه الله وقومه بالماء الذى هو سبب الحياة لغيرهم ووجه ادخال الطمس فى العذاب بالنسبة الى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه فى الآيات بالاضافة الى آل لوط ظاهر لان المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون (أكفاركم) يا معشر العرب (خير) عند الله قوة وشدة وعدة وعدة (من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيا ذكرين الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا (ام لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اى بل الكم براءة وامن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الانكار يعنى لم ينزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امن من عذاب الله (ام يقولون) جهلا منهم (نحن جميع منتصر) تبكيت والتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبايحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع اى بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن اولوا حزم ورأى اجر نا مجتمع لا نرام ولا ننضام او منتصر من الاعداء منتقم لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا على ان يكون افتعل بمعنى تفعل كاختصم والافراد فى منتصر باعتبار لفظ الجميع قال ابو جهل وقد ركب يوم بدر فرسا كميتا كان يطعمه كل يوم فرقا من ذرة وقد حلف انه يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فقتلوه يومئذ وجز رأسه الى رسول الله ابن مسعود رضى الله عنه وفيه اشارة الى كفار صفات النفس واختلاف انواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والبهوائية والحيوانية وتناصر بعضها بنصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض (سيهزم الجمع) ردوا بطال لذلك والسين للتأكيد اى سيهزم جمع قريش البتة (ويولون الدبر) اى الادبار والتوحيد لارادة الجنس يعنى ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله عليه السلام لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية

(بل الساعة موعدهم) اى ليس هذا اتمام عقوبتهم بل القيامة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة) اظهارها فى موقع اضمارها للتربية تهويلها (ادهى) اعظم داهية وفى اقصى غاية من الفظاعة والداهية الامر الفظيع لا يهتدى الى الخلاص منه (وامر) اشد مرارة وفى اقصى نهاية من المرارة وحاصله ان موقف القيامة اهول من موقف بدر وعذابها اشد واعظم من عذابه لان عذاب الدنيا مثل الاسر والقتل والهزيمة ونحوها انموذج من عذاب الآخرة كما ان نارها جزء من سبعين جزأ من نارها (ان المجرمين) اى المشركين من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) اى فى هلاك ونيران مسعرة والتسعير اتش نيك آفروختن وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون) منصوب اما بما يفهم من قوله فى ضلال اى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) سقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف وقيل اسم لطبقتها الخامسة من سقرته النار اذا بوخته اى غيرته والمس كاللمس وهو ادراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا حرها والمها فان مسها سبب للتألم بها فمس سقر مجاز عن المها بعلاقة السببية وفى القاموس ذوقوا مس سقر اى اول ما ينالكم منها كقولك وجد مس الحمى انتهى وعن النبى صلى الله عليه وسلم اول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد اتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلمت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان عالم وفلان قارئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل آتاه الله تعالى من انواع المال فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال ما تركت من شئ يحب ان ينفق فيه الا انفقت فيه لك قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار وعن عطاء السلمى قال خرجت يوما مع اصحابى نستسقى فاتيني سعدون فقال يا عطاء خرجتم بقلوب سماوية او بقلوب ارضية قلت بل بقلوب سماوية فقال يا عطاء لا تتعوج فان الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له ادع الله حتى يسقينا فرفع رأسه الى السماء فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال بحرمة ما كان بينى وبينك البارحة ان تسقينا فلم يفرغ من كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام فى تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والاخلاص لله تعالى ومن بقى فى صفات نفسه واعرض عن الحق واقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجر فى نار جهنم البعد والطرد ويذوق حرنار الهجران والخذلان (انا كل شئ) من الاشياء وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (خلقناه) حال كون ذلك الشئ ملتبسا (بقدر) متعين اقتضته الحكمة التى عليها يدور امر التكوين فقدر بمعنى التقدير وهو تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه او خلقناه مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه لا يغير ولا يبدل (مصرع) قضى الله امرها وجف القلم * سر بر خط لوح ازلى دار وخوش * كز هر چه قلم رفته قلم در نكشند * فالمراد بالقدر تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل فى جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات فى اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها فى الاعيان بعد حصول شرائطها ولذا عبر بالخلق فانه انما يتعلق بالوجود الظاهرى فى الوقت المعين وفى الحديث (كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء) وعنه عليه السلام (كل شئ بقدر الله حتى العجز والكيس) وعنه عليه السلام (لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره قال فى كشف الاسرار مذهب اهل سنت آنست كه نيكى وبدى هر چند فعل بنده است وبنده بدان مثاب ومعاقب است اما بخواست الله است وبقضا وتقدير او چنانكه رب العزة گفت (قل كل من عند الله) وقال تعالى (انا كل شئ خلقناه بقدر) وقال عليه السلام القدر خيره وشره من الله فمن الا يقدر على القدرية والمعتزلة والخوارج وفى التأويلات النجمية خلقنا كل شئ اى موجود علمى وعينى فى الازل بمقدار معين مثل ما قال الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اى كل شئ مخلوق على مقتضى استعداده الذاتى وقابليته

الاصلية الازلية لا زائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالي رحمه الله ليس في الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخيلا وهو جواد ولكان عاجزا وهو قادر (وما امرنا) لشئ نريد تكوينه (الا واحدة) اى كلمة واحدة لا تثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الافعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة (كلمح بالبصر) في اليسر والسرعة فان اللمح النظر بالجملة فمعنى كلمح كنظر سريع قال في القاموس لمح اليه كمنع اختلس النظر كالمح وفي المفردات اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ لما تضمنت الآيات السابقة على وعيد كفار اهل مكة بالاهلاك عاجلا وآجلا والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جيء بقوله انا كل شئ خلقناه بقدر تأكيد الوعيد والوعد يعني ان هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت في اللوح مقدر عند الله لا يزيد ولا ينقص وذلك على الله يسير لان قضاءه في خلقه اسرع من لمح البصر وقيل معنى الآية معنى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعض الكبار ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون انما المراد بها المعنى الذي به كان ظهور الاشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل انسان له في باطنه قوة كن وماله في ظاهره الا المعتاد وفي الآخرة يكون حكم كن منه في الظاهر وقد يعطي الله ذلك لبعض الرجال في هذه الدار بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تصرف بها في عدة مواطن منها قوله في غزوة تبوك كن اباذر فكان اباذر ثم لا يخفى انه لم يعط احد من الملائكة وغيرهم حرف كن انما هي خاصة بالانسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة وفي التأويلات النجمية وما امرنا تجلينا للاشياء كلها علويها وسفليها الا تجلي واحد اى وحداني الوصف لا كثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة في المرآت المتكثرة يظهر في الكبير كبيرا وفي الصغير صغيرا وفي المستطيل مستطيلا وفي المستدير مستديرا والصورة على حالتها المخلوقة عليها باقية لا تغير ولا تبدل بها كما يلمح الناظر ويرى في اللمحة الواحدة ما يحاذي بصره (ولقد اهلكنا اشياعكم) اى اشباهكم في الكفر من الامم جمع شيعة وهو من يتقوى به الانسان وينتشر عنه كما في المفردات وقال في القاموس شيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بذلك فيضاف وفيه اشارة الى انا بقدرتنا الازلية وحكمتنا البالغة اهلكنا واقتنا اشباهكم وامثالكم يا ارباب النفوس الامارة ويا اصحاب القلوب الجوالة اما بالموت الطبيعي واما بالموت الارادي فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا ويختار لنفسه الاليق والاحرى (وكل شئ فعلوه) من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل (في الزبر) اى في ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالي رحمه الله كل شئ فعله الامم في كتب انبيائهم المنزلة عليهم كافعال كفار زماننا في كتابنا (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال استطره كتبه كما في القاموس قال يحيى بن معاذ رحمه الله من علم ان افعاله تعرض عليه في مشهد الصدق وانه مجازى عليها اجتهد في اصلاح افعاله واخلاص اعماله ولزم الاستغفار على ما سلف من افراطه وقد روى ان النبي عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلا فقال انما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وحضر جميع القوم فانطلق كل واحد منهم يحطب بقدر ما يجيء به العود والاخر بالعود حتى جمعوا سوادا واججوا نارا فانضجوا خبزهم وان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه الا ان يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ولقد احسن من قال

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذا التقى * واصنع كماش فوق ار * ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

(ان المتقين) اى من الكفر والمعاصي (في جنات) اى بساتين عظيمة الشان بحيث لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها (ونهر) اى انهار كذلك يعني انهار الماء والخمر والعسل واللبن والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل (في مقعد صدق) خبر بعد خبر وهو من اضافة الموصوف الى الصفة والصدق بمعنى الجودة والمعنى في مكان مرضي ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فانها قل ان سلمت من ذلك (عند مليك) المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك ابلغ من الملك وهو بالفارسية بادشاه والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لا يقادر قدر ملكه فلا شئ

الا وهو تحت ملكوته فاى منزلة اكرم من تلك واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها (مقتدر) قادر لا يعجزه شئ قال امره فى الاقتدار وفى التأويلات النجمية يعنى المتقين بالله عما سواه فى جنات الوصلة بانهار مياه المعرفة والحكمة ينغمسون فيها ويخرجون منها درر المعارف ولآلئ العوارف فى مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية فى مقام العندية كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ودر كشف الاسرار آورده كه كلمة عند رتبة تقريب وتخصيص دارد يعنى اهل قرب فرادا دران سرا بدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امر وزدرين سرا مخصوص با آن بوده كه (ابيت عند ربى) وچون رتبة كه فردا خواص بآن نازند امر وزبراى ادناى وى بوده پس ازمرتبة اعلاى فردا اى او كه شان تواند داد * اى محرم سر لايزالى * مرآت جمال ذى الجلالى * مهمان ابيت عند ربى * صاحب دل لاينام قلبى * ازقربت حضرت الهى * هستى بمثابة كه خواهى * قربى عبارتش نسنجد * درحوصلة خرد نكنجد * كم گشته بود عبارت آنجا * بلكه نرسد عبارت آنجا * وفى الآية اشارة الى ان التقوى توصل العبد الى جنات الدرجات وانهار العلوم والمعارف الحقيقية الالهية ثم الى مقام الصديقين ثم الى مقام الوحدة الذاتية المشار اليها بالعندية قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا اهل الصدق وهو المقام الذى يصدق الله فيه وعده لاوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم قيمت وعز آن بقعه نه بمرغ بريان وجوى روان وخيرات حسان است بلكه بديدار چنانكه قيمت صدف بدرشاهوار كما قيل وما عهدى بحب تراب ارض * ولكن من يحل بها حبيب

اى خوشا عيشا كه مؤمنا براست دران مجلس انس وحظيرة قدس بادية انتظار بريده بكعبة وصال رسيده خلعت رضا بوشيده شربت سرور از چشمة وفا نوشيده عيش بى عتاب ونعمت بى حساب وديدار بى حجاب يافته روى صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة انه قال فى هذه الآية ان اهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرؤن عليه القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى هو مجلسى على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة باعمالهم فلم تقر اعينهم بشئ قط كما تقر اعينهم بذلك ولم يسمعوا شيأ اعظم ولا احسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين قريرة اعينهم الى مثلها من الغد قال بعضهم فى الآية هم الذين لا تحجبهم الجنة ولا النعيم ولا شئ عنه تعالى قال البقلى يا اخى هؤلاء غرباء الله فى الدنيا والآخرة ادخلهم فى اغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لا يطلع عليه الا اهل الصدق فى طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم الفقراء جلساء الله سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الغريب قال الغريب من اذا طالبه الخلق فى الدنيا لم يجدوه ولو طالبه ما لك فى النار لم يجده ولو طالبه رضوان فى الجنة لم يجده قيل اين يكون يا ابا يزيد فقال ان المتقين فى جنات الخ فلابد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الانسان الى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب اما الصدق فى القول فبصون اللسان عن الكذب الذى هو اقبح الذنوب قال عليه السلام التجار هم الكفار فقيل أليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وفى الحديث (اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) واما الصدق فى الحال فبصون الحال عما ينقصه مثلا اذا عزم على امر وحال من التسليم والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض واهل السلوك يتفاوتون فى صدق الحال اشد الاهتمام روى ان واحدا منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوما واودع خرقته عند الشيخ فى الحرم الشريف وقال ان صحبتى الآن لامرأة عشقتها فانا لا اريد ان اكون كاذبا فى حالى بان البس لباس العشاق وانا على تلك الحال ثم انه بعد ايام جاء واخذ خرقته وقال الحمد لله الذى خلصنى منها وعدت الى حالى ومن قبيل الصدق فى الحال صدق المريد فى ارادته فانه اذا وقع منه حركة مخالفة لارادة الشيخ فهو كاذب فى ارادته فان المريد من لم تخف ارادته فى ارادة الشيخ ففى اى مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثا لرفع الدرجات قال الشاعر

سيعطى الصادقين بفضل صدق * نجاة فى الحياة وفى الممات

وسبب هذا الشعر ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون فاسرهم الروم مرة فقال لهم الملك انى اجعلكم ملوكا

فاوتو بحكم بنا فى ان قبلتم النصرانية فابوا وقالوا يا محمد اه فادخل اثنين فى الزيت المغلى واخذ الثالث على وسلط عليه ابنته وكانت من اجمل النساء فاخذ الشاب فى صيام النهار وقيام الليل فآمنت البنت وخرجا الى الشام فجاء اخواه الشهيدان مع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما اخوهما عن حالهما فقالا ما كانت الا التى رأيت حتى دخلنا فى الفردوس وان الله تعالى ارسلنا اليك نشهدك ونبجل بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما ابياتا منها ما ذكرناه وروى جنيد البغدادى قدس سره عن امير المؤمنين على رضى الله عنه انه قال الصوف ثلاثة احرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو ود وورد ووفاء والفاء فقر وفرد وفناء فاذا الفقير وجد هذه الصفات فى الصوفى لا يكون صوفيا قال سهل رحمه الله اول خيانة الصديقين حديثهم مع انفسهم وسئل فتح الموصلى رحمه الله عن الصدق فادخل يده فى كير الحديد واخرج حديدة محماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق قال جنيد البغدادى رحمه الله الصادق يتقلب فى اليوم اربعين مرة والمرائى يثبت على حالة واحدة اربعين سنة وذلك لان مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لا يشارفون الحظوظ والاغراض نسأل الله العافية

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر فى العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم فى سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف وتاليها سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية اومدنية وآياتها اربع اوثمان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرحمن) مبتدأ خبره ما بعده اى الذى له الرحمة الكاملة الشاملة كما يأتى فى بعض الدعاء رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لانه عم الرزق فى الدنيا كما قيل * ادیم زمین سفرهٔ عام اوست * برین خوان یغما چه دشمن چه دوست * وخص المؤمنين بالعفو فى الآخرة وبالفارسية خداوند بخشايش بسيار كه رحمت او همه چيز را رسيده * والرحمة فى الحقيقة العطف والحنو اعنى الميل الروحانى ومنه الرحم لانعطافها الحسى على ما فيها واريد بها بالنسبة الى الله تعالى ارادة الخير او الانعام لان من عطف على احد اصابه باحدهما قال الامام الغزالى رحمه الله الرحمن هو المعطوف على العباد بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد بالآخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا انتهى ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والاخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذى هو اسم الذات المشتمل على جميع الاسماء والصفات ليسند اليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن اعظم النعم شأنا لانه مدار لجميع السعادات ولذا قال عليه السلام اشراف امتى حملة القرآن اى ملازموا قرآءته واصحاب الليل وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها بدأ به فقال (علم) محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن) بواسطة جبريل عليه السلام وبواسطة محمد عليه السلام غيره من الامة (قال الكاشفى) يعنى آسان كردانيده مر او را آموختن ودیگر انرا آموزانيدن قال ابن عطاء رحمه الله لما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها اراد ان يخص امة محمد بخاصة مثله فقال الرحمن علم القرآن اى الذى علم آدم الاسماء وفضله بها على الملائكة هو الذى علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الامم فقيل له متى علمهم قال علمهم حقيقة فى الازل واظهر لهم تعليمه وقت الايجاد وفيه اشارة الى ان تعليم القرآن وان كان فى الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة فى المعنى من الوجه الخاص على ما سيزيد وضوحا فى محله ان شاء الله تعالى وقال بعضهم علم القرآن اى اعطى الاستعداد الكامل فى الازل لجميع المستعدين ولذلك قال علم القرآن ولم يقل علم الفرقان كما فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان فان الكلام الالهى قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لا يتوقف على خلق الانسان وظهوره فى هذا العالم وانما الموقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفى الآية اشارة الى ان التعليم والتسهيل انما هو من الله تعالى لا من المعلمين والحافظين وقد علم آدم الاسماء ووفقه لتعلمها وسهله باذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال وعلمناه صنعة لبوس

لكم وعلم عيسى علم الطب كما قال ويعلمه الكتاب والحكمة وعلم الخضر العلم اللدنى كما قال وعلمناه من لدنا علما وعلم نبينا عليه السلام القرآن واسرار الالوهية كما قال وعلمك مالم تكن تعلم وعلم الانسان البيان قال فى فتح الرحمن ومن الدليل على ان القرآن غير مخلوق ان الله تعالى ذكره فى كتابه العزيز فى اربعة وخمسين موضعا مافيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا اشار اليه وذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا كلها يدل على خلقه وقد اقترنا فى هذه السورة على هذا النحو قال المولى ابو السعود رحمه الله ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تبيينا للمعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير قال الراغب البيان الكشف عن الشئ وهو اعم من النطق لان النطق مختص بالانسان وسمى الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود واظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذهو الذى يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الانسان الشامل لجميع اصنافه وافراده وفى بحر العلوم خلق الانسان اى آدم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية انتهى يقول الفقير فيه اشارة الى ان الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سوآء كان التعليم بواسطة اولا فان قلت كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسى عار عن جميع الاكسية قلت نعم ولكنه فى مراتب التنزلات والاسترسالات لابد له من الكسوة فالعربية مثلا كسوة عارضة بالنسبة الى الكلام فى نفسه وقد ذقنا فى انفسنا انه يجيء الالهام والخطاب تارة باللفظ العربى واخرى بالفارسى و بالتركى مع كونه بلا واسطة ملك لان الاخذ عن الله لا ينقطع الى يوم القيام وذلك بلا واسطة وان كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك (الشمس والقمر بحسبان) مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حسابا بالكسر وحسبانا بالضم واما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم اواقل وفيه اشارة الى شمس فلك البروج وقمركزة القلب وسيرانهما فى بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الاسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وامر مقسوم (والنجم) اى النبات الذى ينجم اى يطلع من الارض ولاساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك (والشجر) الذى له ساق وفى المشتق كل نابت اذا تر لحق يبزر انقطع فليس بشجر وكل شئ يبزر ولا ينقطع من سنته فهو شجر (يسجدان) اى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا او يسجد ظلهما على مابين فى قوله تعالى يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكفته اند مارا برسجود ايشان وقوف نيست چنانچه برتسبيح ايشان كما قال تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ذكر فى مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذى هو اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب واخلاء الجمل الاولى عن العطف لورودها على منهاج التعديد تنبيها على تغاعده فى الشكر كما فى قولك زيدا غناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل احدا بأحد واما عطف جملة والنجم على ماقبلها فلتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى ولما كانت هذه الاربعة مغايرة لجنس الانسان فى ذاته وصفاته غير النظم بايرادها فى صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما وضعا وطبعا صورة ومعنى وفيه اشارة الى سجود نجم العقل الذى به يهتدى الى معرفة الاشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر الى الحقائق الالهية والمعارف الربانية لعدم قوة ادراكه اياها مستعدا بنفسه غير مستفيد عن الفيض الالهى بطريق الكشف والشهود والى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره فى القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من ادراك الحقائق على ماهى عليه كما قيل العقل والفكر جالا حول سرادق الكون فاذا نظرا الى المكون ذاتا وكيفا لاوهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وانى للخلق المحدث

بمعرفة الخالق القديم وما قدروا الله حق قدره (والسماء رفعها) انتصابه بمحذوف يفسره المذكور
اى خلقها مرفوعة محلا كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه وتنزل
اوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم رفعها من السفل الى العلو سقفا لمصالح العباد وجعل مابينهما
مسيرة خمسمائة عام وذلك لان السماء دخان ظاربه موج الماء الذى كان فى الارض (ووضع الميزان) اى شرع
العدل وامر به بان وفر كل مستحق لما استحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال
عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو مايعرف به مقادير
الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما فالمعنى خلق كل ماتوزن به الاشياء ويعرف مقاديرها موضوعا مخفوضا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وماتعبدهم به من التسوية والتعديل فى اخذهم واعطائهم
قال سعدى المفتى وانت خبير بان قوله ان لاتطغوا فى الميزان واقيموا الوزن اشد ملايمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر
عليه الزمخشرى (قال الكاشفى) ووضع الميزان وبيافريد يامنزل كردانيد ترازورا بالهام داد خلق را بكيفيت
ايجاد آن ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وكان ذلك فى زمان نوح عليه السلام اذلم يكن قبله كيل ووزن
وذرع قال قتادة فى هذه الآية اعدل يا ابن آدم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل
صلاح الناس (ان لاتطغوا فى الميزان) ان ناصبة ولانافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان اى وضعه
لئلا تطغوا فيه ولاتعتدوا ولا تتجاوزوا الانصاف وبالفارسية ازحد نكذريد در ترازو بوقت داده وستد يعنى
ازعدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نماييد قال ابن الشيخ الطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل
قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى هو آلة التسوية قال طغيانه البخس اى النقص * چون ترازوى تو
كج بود ودغا * راست چون جوئى ترازوى جزا (واقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل اى اجعلوه
مستقيما به وفى المفردات الوزن معرفة قدر الشئ والمتعارف فى الوزن عند العامة مايقدر بالقسطاس
والقبان وقوله واقيموا الوزن بالقسط اشارة الى مراعاة المعدلة فى جميع مايتحراه الانسان من الافعال والاقوال
(ولا تخسروا الميزان) يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته نقصته وبابه ضرب واما خسر بالبيع فبالكسر
كما فى المختار وقال فى القاموس خسر كفرح وضرب ضل والخسر والاخسار النقص اى لاتنقصوه
لان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه قال سعدى المفتى المراد لاتنقصوا الموزون فى الميزان لا الميزان
نفسه امرا اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه (قال الكاشفى) اين همه
تأكيد اهل ترازو جهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند * هر جو وهر حبه كه
بازوى تو * كم كند از كيد ترازوى تو * هست يكايك همه برجاى خويش * روز جزا جمله
بيارند پيش * باتو نمايند نهانيت را * كم دهى وبيش ستانيت را * روى عن مالك بن دينار رحمه الله
انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى اكاف الصعود عليهما قال فسألت اهله
فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما
ثم سألت الرجل فقال مايزداد الامر على الا عظما وفى المفردات قوله ولاتخسروا الميزان يجوز ان يكون
اشارة الى تحرى العدالة فى الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه فى الوزن ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى تعاطى
مالا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه فمن خفت موازينه وكلا المعنيين يتلازمان
وكل خسران ذكره الله فى القرآن فهو على هذا المعنى الاخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية
والتجارات البشرية يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الارض هو الاشارة الى انه بالعدل
قامت السموات والارض كما ورد فى الحديث والى انه لابد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا
ولايتجاوز احدهما الاخر والاعتدال الحقيقى هو الوقوف بين طرفى الافراط والتفريط المذمومين عقلا وشرعا
وعرفا والموزونات هى الامور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبنى على الاستعداد الذاتى (والارض وضعها)
اى خفضها مدحوة على الماء اى مبسوطة (للانام) اى لمنافع الانام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق
والجن والانس مما على الارض كما فى القاموس فهى كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها

وقال

وقال ابن عباس رضي الله عنهما الناس ويدل عليه قوله

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا مثل

وقال قتادة كل ذي روح لانه ينام وقيل من ونم الذباب همس وفيه اشارة الى بسط ارض البشرية لينتعش كل قبيلة بما يلايم طبعها اما انتعاش اهل النفوس البشرية فباستيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما انتعاش اصحاب القلوب المعنوية فبالواردات القلبية والالهامات الغيبية واما انتعاش ارباب الارواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية واما انتعاش صناديد الاسرار اللاهوتية القدسية فبالتجليات الذاتية الاحدية المغنية لكل ماسواه (فيها فاكهة) ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ فاكهة تشعر باختلاف الانواع (والنخل ذات الاكمام) وهي اوعية الثمر وغلفها قبل التفتق يعني خوشهاء آن در غلاف جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذي يكون فيه الثمر اول ظهورها تامادامكه منشق نشده در غلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعني درخت خرما اوهواى الكم كل مايكم بضم الكاف من باب نصراى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطي الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شصم النخل بالفارسية دل درخت خرما والكفرى الثمر (والحب) ودرزمين دانه است وهو كل ما يتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) هوورق الزرع اوورق النبات اليابس كالتبن (قال الكاشفي) وعصف كاهيست كه ازودانه جدا ميشود وفي المفردات العصف والعصيفة الذي يعصف من الزرع قال في تاج المصادر العصف برك كشت ببريدن (والريحان) قال في المفردات الريحان ماله رآيحة وقيل الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما في قوله والحب ذو العصف وقيل للاعرابي الى اين قال اطلب ريحان الله اى من رزقه والاصل ماذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا الرزق او المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذي يشم وهو كل ماطابت رآيحته من النبات اوالشاه سفرم وعند الفقهاء الريحان مالساقه رآيحة طيبة كالورقه كالآس والورد مالورقه رآيحة طيبة فقط كالياسمين كذا في المغرب قال ابن الشيخ كل بقلة طيبة الرآيحة سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رآيحة طيبة اى يشم يقال راح الشئ يراحه ويريحه واراح الشئ يريحه اذا وجد ريحه وفي الحديث (من قتل نفسا معاهدة لم يرح رآيحة الجنة) ويروى لم يرح من راحه يريحه والريحان في الاصل ريوحان كفيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما في ميت اوكفوعلان قلبت واوه ياء للتخفيف اوللفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام لعمومه لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان وكذا في ذكر ابوى الفريقين بقوله خلق الانسان وخلق الجان اشعار بان الخطاب لهما جميعا والآلاء النعم واحدها الى والي والو والى والى كما في القاموس قال في بحر العلوم الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر فساد ما قيل من ان الآلاء هي النعم الظاهرة كخصب والنعماء هي النعم الباطنة والصواب انهما من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن وفي التأويلات النجمية الآلاء هي النعمة الظاهرة والنعماء الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لانها كل نعمة ظاهرة بالنسبة الى اهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من افراد آلاء مالكما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير راى للحمل على الاقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها روى عن جابر رضي الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها قال مالي اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال في بحر العلوم وفيه دلالة بينة على ان الآلاء اراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق اليه بعض الاوهام انتهى قال في آكام المرجان دلت الآية على ان الجن كلهم مكلفون ولا خلاف فيه بين اهل النظر وزعمت الحشوية انهم مضطرون الى افعالهم وانهم ليسوا مكلفين

والدليل على انهم مكلفون ما فى القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوآئلهم وشرهم وذكر ما اعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لا يفعلها الا من خالف الامر والنهى وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من ان لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك ايضا انه كان من دين النبى عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وانهم يدعون الى الشر والمعاصى ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآية فى هذه السورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وكقولك لرجل احسنت اليه بانواع الايادى وهو ينكرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا وقال الشاعر

لا تقطعن الصديق ما طرفت * عينا لقول كاشح اشر

ولا تملن من زيارته * زره وزره زر ثم زد وزر

وقال فى برهان القرآن تكررت الآية احدى وثلاثين مرة ثمانية منها ذكرها عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدآئع صنعه وبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدآئدها على عدد ابواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها الا ان فى خوفها ورد فيها نعما توازى النعم المذكورة اولا نها حلت بالاعداء وذلك بعد من اكبر النعماء وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنات واهلها على عدد ابواب الجنة وثمانية اخرى بعدها للبنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبعة السابقة يقول الفقير من لطائف اسرار هذا المقام ان لفظ ال فى اول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة الجليلة دل على تلك الاحدى والثلاثين (خلق الانسان من صلصال كالفخار) بيافريد انسانرا از كل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى آواز كند * الصلصال الطين اليابس الغير المطبوخ فالذى له صلصلة اى صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام انه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار الخزف اى الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس اذا نقر كانه صوت يصور من يكثر التفاخر اولانه اجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا ثم صب عليه ماء الاحزان فلا ترى ابن آدم الا يكابد حزنا فلا تنافى بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين (وخلق الجان) اى الجن او ابا الجن او ابليس وبه قال الخصال وفى الكشف الجان ابو الجن كما ان الانسان ابو الانس وابليس ابو الشياطين (من مارج) اى من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا وقد من مرج امر القوم اذا اختلط واضطرب فمعنى من مارج من لهب مختلط (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب وفى كشف الاسرار خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم من النار التى بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولا ترى السماء الا من وراء تلك الكلة در باب نهم از سفر ثانى فتوحات مذكورست كه مارج آتشست ممتزج بهوا كه انرا هواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست از دو عنصر آتش وهوا وآدم آفريده شده از دو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند انرا طين كويند وچون هوا وآتش مختلط كردد انرا مارج خوانند وچنانكه تناسل در بشر بالقاء آبست در رحم تناسل در جن بالقاء هواست در رحم انثى وميان آفرينش جان وآدم شصت هزار سال بود (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة المكائنات وفيه اشارة الى ان الحق سبحانه تجلى لحقيقة انسان الروح بصورة صفة صلصال اللطف والجمال ولحقيقة ابليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار احدهما مظهرا لصورة لطفه والاخر لصورة قهره فبأى آلاء ربكما تكذبان ايها الروح اللطيف والنفس الخبيثة لان كل واحد منكما قد ذاق ما جبل عليه من اللطف والقهر والطيب والخبث (رب المشرقين ورب المغربين) خبر مبتدأ محذوف اى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة يعنى ان ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق

والمغرب فانه يفهم منه ان له ما بينهما ايضا قال فى كشف الاسرار احد المشرقين هو الذى تطلع منه الشمس
فى اطول يوم من السنة والثانى الذى تطلع منه فى اقصر يوم و بينهما مائة وثمانون مشرقا وكذا الكلام
فى المغربين وقيل احد المشرقين للشمس والثانى للقمر وكذا المغربان واما قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
ما بين المشرق والمغرب قبلة يعنى لاهل المشرق وهو ان تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء
على يسارك فتكون مستقبل القبلة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال
الهوآء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فى وقته الى غير ذلك (مرج البحرين) اى ارسلهما
من مرجت الدابة اذا ارسلتها وخليتها للرعى والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب و بالفارسية راها دادم
دو دريارا كه يكى خوش وشيرين و يكى تلخ وشور (يلتقيان) حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة
اى يتجاوران و يتماسان سطوحهما الا فصل فى مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله
فراسخ لا يتغير طعمها وقيل ارسل بحر فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه
قال سعدى المفتى وعلى هذا فقوله يلتقيان اما حال مقدرة ان كان المراد ارسالهما الى المحيط او المعنى اتحاد
اصليهما ان كان المراد ارسالهما منه فلكل وجه (بينهما برزخ) اى حاجز من قدرة الله تعالى ومن الارض والبرزخ
الحائل بين الشيئين ومنه سمى القبر برزخا لانه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الايمان لانها طائفة
بين الشك واليقين (لا يبغيان) اى لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية مع ان شأنهما
الاختلاط على الفور بل يبقيان على حالهما زمانا ما يسيرا مع ان شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما
عن الآخر على الفور او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما من الارض لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها
مسكنا ومهادا فقوله لا يبغيان اما من الابتغاء وهو الطلب اى لا يطلبان غير ما قدر لهما او من البغى وهو مجاوزة
كل واحد منهما ما حد له (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس من البحرين شئ يقبل التكذيب لما فيه
من الفوائد والعبر (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور يقال يلقيه البحر
فى البصرة وقال فى خريدة العجائب اللؤلؤ يتكون فى بحر الهند وفارس والمرجان ينبت فى البحر كالشجر واذا كلس
المرجان عقد الزيبق فمنه ابيض ومنه احمر ومنه اسود وهو يقوى البصر كحلا و ينشف رطوبتها انتهى وقيل
اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره واعلم انه ان اريد بالبحرين هنا بحر فارس و بحر الروم فلا حاجة فى قوله منهما
الى التأويل اذ اللؤلؤ والمرجان بعض يخرجان منهما لان كلا منهما ملح ولا عذب فى البحار السبعة الا على
قول من قال فى الآية يخرج من ملح بحرى فارس والروم ومن عذب بحر الصين وفى بحر العلوم ان اللؤلؤ يخرج
من بحر فارس والمرجان من بحر الروم يعنى لا من كليهما وان اريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما
حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من البحر الملح ومع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما يقال
يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى وهو الاظهر اولانهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وهذا
يحتمل معنيين احدهما ان الملتقى اسم مكان والخروج بمعنى الانتقال من الباطن الى الظاهر فانه قال الجمهور
يخرج من الاماكن من المواضع التى يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور
عند الغواصين والثانى انه مصدر ميمى بمعنى الالتقاء والخروج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فانه يحدث
و يتكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازى يكون العذب كالقماح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة
مولاه ان تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر لان الصدف تفتح افواهها للمطر فيكون الاصداف كالارحام
للنطف وماء البحر كالجسد الغاذى و يدل على انه من المطر ما اشتهر من ان السنة اذا اجدبت هزلت الحيتان
وقلت الاصداف والجواهر وعلى هذا فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد وازخريد وفروخت آن فوائد يابيد نعم ظاهر است پس بكدام ازين
نعمتها پروردكار خود تكذيب ميفرمائيد وكفته اند مراد بحر آسمان و بحر زمين است كه هر سال متلاقى شوند
وابر حاجزست كه منع ميكند دريا آسمانرا از نزول و دريا زمين را از صعود و دريا فلك قطرات بردر يا زمين
ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان درمنعقد كردد وقيل البحران على وفاطمة رضى الله عنهما والبرزخ النبى
صلى الله عليه وسلم و يخرج منهما الحسن والحسين رضى الله عنهما وقيل هما العقل والهوى والبرزخ بينهما

لطف الله و يخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة و يخرج منهما الشوق والتوبة لايبغيان لاتؤثر المعصية فى المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة والوفاة والبرزخ الاجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر و يخرج منهما الحق والصواب امام قشيرى رحمه الله فرموده كه بحرين خوف ورجاست باقبض و بسط و برزخ قدرت بى علت ولؤلؤ احوال صافيه ومرجان لطايف وافيه صاحب كشف الاسرار شرح ميكند كه بحر خوف ورجا عامة مسلمانراست وازان كوهر زهد وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد و بحر قبض و بسط خواص مؤمنانراست وازان جواهر فقر ووجد زايد وبحر انس وهيبت انبيا وصديقانرا كه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا بياسايد * زقعر بحر فنا كوهر فنا يابى * وكرنه غوطه خورى اين كهر كجا يابى * وقال بعض الكبار يشير الى مروج بحر الروح وحركته بالتجليات الذاتية والى مروج بحر القلب وحركته بالتجليات الصفاتية والتقائهما فى مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوى بين هذين البحرين المشار بهما الى ماذكر بحيث لايبغى بحر الروح على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال وما منا الا له مقام معلوم يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من باحة بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من لجة بحر القلب و يجوز ان يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح و بحر القلب مع بقاء امتياز ما بينهما وقال بعضهم يشير الى بحر القدم والحدوث و بحر القدم عذب من حيث القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية و بينهما حاجز عزة وحدانيته بحيث لايختلط احدهما بالآخر لانه منزه عن الحلول فى الاماكن والاستقرار فى المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والاسماء والنعوت ومن بحر الحدوث العلم والمعرفة والفطنة وايضا يشير الى بحر القلب الذى هو بحر الاخلاق المحمودة وبحر النفس الذى هو بحر الاخلاق المذمومة ولا يختلطان بحيث يصير القلب نفسا والنفس قلبا لان بينهما العقل والعلم والشريعة والطريقة فاذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الايمان والايقان والصفاء والنور والطمأنينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد وبين الرب بحران عميقان احدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لان الله تعالى يقول واعتصموا بحبل الله جميعا وبحر الهلاك وهو الدنيا من ركن اليها هلك انتهى (وله الجوار) هذه اللام لها معنيان احدهما انها لام الملك والثانى انها لام الاستحسان والتعجب كقولهم لله انت لله درك كما فى كشف الاسرار بكسر الراء اصله الجوارى بالياء بمعنى السفن جمع جارية اقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ اعلم ان الاركان الاربعة التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان و بين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان و بين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهواء له تأثير عظيم فى جرى السفينة كالاعلام فقال وله الجوار وخصها بالذكر لان جريانها فى البحر لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شأنها الجرى فى البحر وان كانت واقفة فى الساحل والمراسى كما تسمى المملوكة ايضا جارية لان شأنها الجرى والسعى فى حوائج سيدها (المنشآت) المرفوعات الشرع على ان يكون من انشأه اذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذى يسمى بالفارسية بادبان ولا يبعد ان يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فيكون جارية على ماهى له كما فى حاشية سعدى المفتى او معنى المنشآت المصنوعات اى المخلوقات على ان يكون من انشأه الله اى خلقه (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل اى كالجبال الشاهقة عظما وارتفاعا وهو حال من ضمير المنشآت والسفن فى البحر كالجبال فى البر كما ان الابل فى البر كالسفن فى البحر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر يابسات لقطع المسافات الكثيرة فى الاوقات القليلة وحصول المعاملات والتجارات لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه اشارة الى جريان سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشراع باحكام الشريعة وآداب الطريقة فى بحر الوحدة الحقيقية كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية

والالهامات

والالهامات الغيبية على تلون ارباب الطريقة كما في التأويلات النجمية (كل من عليها فان) العام كناية عن غير مذكور كقولهم انا نحن السقيه بريد لبنه والمعنى كل من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن التغليب على الوجه في اهل من الثقلين فان اي هالك لا محالة يعني سر الخيام كما في شوند وانما استثنى هذه الآية قالت الملائكة هلكت بنو آدم فلا زالت كل نفس ذائقة الموت ايشنوا بهلاك انفسهم فلت لهم اجسامها لطيفة وارواحها متعلقة بتلك الاجسام كارواح الانسان واما الارواح المجردة المهيمة العالية فلا تتغير (ويبقى وجه ربك) اي ذاته ومنه كرم الله وجهه اي ذاته فالوجه المضاف المعروف استعير للذات لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال القاضي ولو استعيرت جهات الموجودات وتخصصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله الذي يلي جهته المنتهي قال سعدي المفتي في حاشية هذا الحل هذا اشارة الى وجه آخر وهو ان يكون الوجه بمعنى القصد اي ما يقصد وينوى به الله والجهات بمعنى المقاصد وفي العبارة نوع تسامح وقوله يلي جهته اي يقصده والاضافة للبيان اي يتوجه اليه انتهى وقال ابن الشيخ اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لا يخلو عن وجه يتوجه اليها كما ذكر في قوله في جنب الله اي كل من عليها من الثقلين وما استكثر به من الاعمال هالك الا ما توجه به جهة الله وعلوا لابتغاء مرضاته انتهى وقال الشيخ ابن فخر الدين رحمه الله الماهيات تنقسم الى ثلاثة اقسام واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود اما الواجب فهو وجود بحت واما الممتنع فهو عدم محض واما الممكن فهو مركب منهما وذلك لان له وجودا وماهية عارضة على وجوده فماهيته باعتباري معدوم في الخارج لا يقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجود موجود لا يقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجودا ومخلوقا من وجوه وعدم وهذه الجهة تقبل الوجود والعدم ومن هنا ظهر حقيقة ما قال البيضاوي ولو استقريت الخ وما قاله الشيخ الاكبر قدس سره الاظهر في تفسير قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه حيث قال الضمير راجع الى الشيء انتهى (ذو الجلال والاكرام) صفة وجه اي ذو الاستغناء المطلق او المعظمة في ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عنات صفاته تعالى ولقد تعالى عليه السلام الظوا يا ذا الجلال والاكرام يعني ملازم يكون سيدنا ذا الجلال والاكرام وفي تاج المصادر الالتظاظ ملازمة كرفتن ودر آمختن باران والالحاح ايضا وفي القاموس اللظ اللزوم والالحاح وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الاجابة وفي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء قال الطيبي كيف افرد الضمير في قوله وجه ربك وثناه في ربكما والمخاطب واحد قلت اقتضى الاول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الامر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجا اوليا ولا كذلك الثاني فتركه على ظاهره وفي قوله كل من عليها خان اشارة الى فناء كل من على ارض البشرية اما بالموت الطبيعي منغمسا في بحر الشهوات الحيوانية والذات الجسمانية واما بالموت الارادي منسلخا عن الصفات البشرية متلبسا بالصفات الروحانية وتقليب من اشارة الى ذوي العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فانهم بذكاء فطرتهم ونقاء طينتهم يشهدون عن الاحكام الطبيعية ويقرون بالتجليات الالهية وبقوله ويبقى وجه الخ اشارة الى فناء الكثرة النسبية الامكانية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية فبأي آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا من افناء الحياة المجازية وابقاء الحياة الحقيقية واظهار الصفة اللطفية في حق مستحق اللطف واظهار الصفة القهرية في حق مستحق القهر لعله المحيط باستعدادهما وقابلية ايجادهما وتقديرهما بنظر التحقيق في الكون واهله ازلا رأيت حقيقة فنائه وفناء اهله وان كان في الظاهر على رسم الوجود لان من يكون قيامه بغيره فهو فان في الحقيقة اذ لا يقوم بنفسه ولا تنفك عنه في الحقيقة فان الوجود الحقيقي وجود القيوم الذات التي على نفسه بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (قال الشيخ المغربي)

نسلمه حتى نحل ضمانه ... علينا ليوم الحشر ارض ونخدع

نيست والزهست بنشناختي بابي نجات (وقال المولى الجامي) تو ميداني كه چيست نقد عمر بيمقدار اوست *

هم خود الست كي بد وهم خواند بي كند * وقد ذكر وجوب الباقي لبقية الكلوب الاشتاق اي الباقي لكم
ابدا الا تفقوا فان لكم ما وجدتم في الدنيا من كشفه بما لي وتقدس ذلك لكم بالاحتجاب لبقاء وقت ذكر الجلال
تهييج لاهل المحبة والهيبة وفي كاف الوحدة اشارة الى حبيبه عليه السلام يعني حيث كشفت الوجه فاق لك ابدا
ارأيت وجهي خاصة قل ثم الصاق اتباع لك في النظر الى وجهي فاهل الكشف لك ثم للعموم واعلم ان وجود
الباقي جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفي الحديث (ان الله يتجلى لابي بكر خاصة و يتجلى للمؤمنين عامة
(يسأله) من هو اهله او ايمن يطلبنه ازوى (من في السموات والارض) فاطبة ما يحتاجون اليه
في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال وبلسان الحال فانهم كافة
من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما
بينهم وبين العناية الالهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود اصلا منهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء
والسؤال وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاهل السماء يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة
وفي كشف الاسرار مؤمنان ذكروه اندعا بدان وبيارغان هر سؤال بريكي برقدر همت او ونواخت هريكي سزاي
حوصلة او * هركسي ازهمت والاي خويش * سود بردر خور كالاي خويش * عابد همه
ازو خواهد عارف خود او را خواهد احمد بن ابي الحواري حق را بخواب ديد گفت جل جلاله يا احمد
كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني

فسرت اليك في طلب المعالي * وسار سواك في طلب المعاش

(كل يوم) اي كل وقت من الاوقات وهو اليوم الالهي الذي هو الان الغير المنقسم وهو بطن الزمان في الحقيقة
(هو) تعالى (في شان) من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني آخرين
ويأتي باحوال ويذهب باحوال من الغنى والفقر والعزة والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح البالغة وفي الحديث (من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع قوما ويضع آخرين) قال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة
وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي و يميت و يعز و يذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان
وهو مأخوذ من قوله عليه السلام ان الرب لينظر الى عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدئ و يعيد وذلك
من حبه خلقه ويدل على هذا الحب ما يقال من ان الله تعالى يحيي كل يوم الفا وواحدا ويميت الفا فالحياة الفانية
اذا كانت خير التحصيل الحياة الباقية فاظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن عيينة الدهر كله عند الله يومان
احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم
القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب قال مقاتل نزلت الآية في اليهود حين قالوا ان الله
لا يقضي يوم السبت شيأ فكذبهم الله وقوله كل ظرف للدال عليه هو في شأن اي يقلب الامور كل يوم او يحدثها
كل يوم او نحوه كما في بحر العلوم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه وفي بحر
الحقائق يشير الى تجلي الحق في كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولا نهاية للتجليات
فبأي آلاء ربكما تكذبان من تجلي الحق بصور مطلوبكم وايجاده من كتم العدم و جود محبوبكم
كل يوم هو في شان جه شانست بدو * هر زمان جلوه ديكر شود از پرده عيان * جلوه حسن تراغايت
و پايانى نيست * يعني اوصاف كمال تو ندارد پايان * قال البقلي يسأله من في السموات من الملائكة
كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب و يسأله الراجي الوصول الى محل الفرح
و يسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته و يسأله المحب ان يصل اليه و يسأله المشتاق ان يراه و يسأله العاشق
ان يقربه منه و يسأله العارف ان يعرفه بمزيد المعرفة و يسأله الموحد ان يفنيه فيه و يستغرق في بحر
وجوده و يسأله الجاهل ما يحتجب عنه و يسأله العالم ما يعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم
هو تعالى في كل يوم هو في شأن والشان الحالي والامر العظيم (سنفرغ لكم) اي سنتجرد لحسابكم
وجزائكم فذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى

حينئذ الاشأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فان الفراغ يلزمه التجرد والاخلاص
المراد بالفراغ من الشغل لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه
سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلني عنه والمراد التوفر على التكاية فيه والانتقام
منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلافه على الاول (ايه الثقلان) قال الراغب الثقل والخفة متقابلان
وكل مايترجح على مايوزن به او يقدر به يقال هو ثقيل واصله فى الاجسام ثم يقال فى المعانى اثقله الغرم
والوزر انتهى والمراد هنا الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يعنى انهما شبها بثقل الدابة وفى حواشى
ابن الشيخ شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والانس والجن جعلا اثقالا محمولة عليها وجعل
ماسواهما كالعلاوة اولزانة آرائهما اولانهما مثقلان بالتكليف اولعظم قدرهما فى الارض كما فى الحديث
(انى خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى) وقال الصادق رضى الله عنه سميا ثقلين لانهما يثقلان بالذنوب
اولما فيهما من الثقل وهو عين تأخرهما بالوجود لان من عادة الثقيل الابطاء كما ان من عادة الخفيف الاسراع
والانس اثقل من الجن للركن الاغلب عليهم (فبأى آلاء ربكما) التى من جملتها التنبيه على ماسيلقونه
يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب (تكذبان) باقوالكما واعمالكما قال فى كشف الاسرار
اعلم ان بعض هذه السورة ذكر الشدائد والعذاب والنار والنعمة فيها من وجهين احدهما فى صرفها
عن المؤمنين الى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضى شكرا عظيما والثانى ان فى التخويف منها والتنبيه عليها
نعمة عظيمة لان اجتهاد الانسان رهبة مما يؤلمه اكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه (يامعشر الجن والانس)
هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة
فخوطبوا بما ينبىء عن ذلك لبيان ان قدرتهم لاتفى بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه
غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذى لاعدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الاحاد تقول احد عشر
واثنا عشر وعشرون و ثلاثون اى اثنى عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل مغشر فكانه قيل محل العشر
الذى هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لتقدم خلقه والانس على الجن فى قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن لفضله فان التقديم يقتضى الافضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى انه سيجيء
وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة ان يقال فلم ذلك مع علمه
من كمال الاهتمام به فاشار الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق
باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت فاذا لم يخف ذلك
قسم الدهر كله الى قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف
والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحدة من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا
والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب عما قضاه فيهما فقوله يامعشر الجن متعلق
بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد (ان استطعتم) لم يقل ان استطعتما لان كل واحد منهما فريق كقوله
فاذا هم فريقان يختصمون اى كل فريق منهم يختصم بجمع الضمير هنا نظرا الى معنى الثقلين وثناه فى قوله
يرسل عليكما كما سيأتى نظرا الى اللفظ اى ان قدرتم على (ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) قال
فى القاموس النفاذ جواز الشئ عن الشئ والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه
من الشق الآخر وسائره فيه كالنفذ وتنفذهم جازهم وتخلفهم كانفذهم والنافذ الماضى فى جميع اموره انتهى
والاقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله
فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى وهو امر تعجيز والمراد انهم لايفوتونه
ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) اى بقوة وقهر وانتم من ذلك
بمعزل بعيد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الانس والجن فلا يأتون وجها الا وجدوا
الملائكة احاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لايقدر احد على الفرار يوم القيامة كذلك لايقدر فى الدنيا
فيدركه الموت والقضاء لامحالة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) هو لهب خالص لادخان فيه او دخان النار وحرها

كما فى القاموس قال سعدى المفتى والله اعلم بانها استئناف جوابا عن سؤال الداعى الى الهرب والفرار وان ذلك حين يساق الى المحشر كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما اى يرسل عليكما لهيب بلا دخان ليسوقكم الى المحشر (من نار) متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم (ونحاس) اى دخان اصفر مذاب يصب على رؤسهم وفى المفردات النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه فى اللون بالنحاس وفى القاموس النحاس مثلثة عن ابى العباس الكواشى القطر والنار وما سقط من شرار الصفر او الحديد اذا طرق (فلا تنتصران) اى لا تمتنعان من ذلك العذاب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من بيان عاقبة الكفر والمعاصى والتحذير عنها فانها لطف ونعمة واى لطف ونعمة (فاذا انشقت السماء) اى انصدعت يوم القيامة وانفكت بعضها من بعض لقيام الساعة او انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وفى الخبر من نار جهنم اذا كشف عنها (فكانت وردة) كوردة حمراء فى اللون وهى الزهرة المعروفة التى تشم والغالب على الورد الحمرة كما قال

ولو كنت وردا لونه لعشقتنى * ولكن ربى شانى بسواديا

وقيل لان اصل لون السماء الحمرة وانما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولان لون النار اذا خالط الازرق كساه حمرة (كالدهان) خبر ثان لكانت اى كدهن الزيت فكانت فى حمرة الوردة وفى جريان الدهن اى تذوب وتجرى كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن فى رقتها وذوبانها وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالادام لما يؤتدم به وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال قال سعدى المفتى ناصب اذا محذوف اى كان ما كان من الامر الهائل الذى لا يحيط به نطاق العبارة او رأيت امرا عظيما هائلا وبهذا الاعتبار تتسبب هذه الجملة عما قبلها لان ارسال الشواظ يكون سببا لحدوث الامر الهائل او رؤيته فى ذلك الوقت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) اى يوم اذ انشقت السماء حسب ما ذكر (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج فى تمييز المذنب عن غيره الى ان يسأل عن ذنبه ان اراد احد ان يطلع على احوال اهل المحشر وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف خوفا جاعلى اختلاف مراتبهم واماكنه فورب لنسألنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فانه اعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه ايضا لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وخص ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى واراد بالجان الجن كما يقال تميم يراد واحده (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وفيه اشارة الى شعاشع انوار الطاعة والعبادة على صحائف وجنات انس الروح والى تراكم ظلمات المعصية والتمرد وسلاسل الطغيان واغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة واعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد فبأى آلاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المنقادين فى هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين فى ذلك اليوم فان الانتقام من الاعداء نعمة على الاحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكمال الانتقام بافناء اوصاف النفس الامارة بالكلية (يعرف المجرمون بسيماهم) السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون باضداد ذلك (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) النواصى جمع ناصية وهى مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيأ من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار او تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتجرهم على وجوههم او يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من المواعظ والزواجر (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على ارادة القول اى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ (يطوفون بينها) اى يدورون بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن)

اى ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه اى يطوفون من النار الى الحميم ومن الحميم الى النار دهشا وعطشا ابدا من اني يأني فهو آن مثل قضى يقضى فهو قاض اذا انتهى فى الحر والغليان قال ابو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم الى الزقوم الذى طلعها كرؤس الشياطين فأكلوا منها فاخذت فى حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأتوا بالحميم فاذا اقتربوه الى وجوههم تناثر لحم وجوههم ويشربون فتقطع امعاؤهم ويخرج جميع ما فيها ثم يلقى عليهم الجوع مرة يذهب بهم الى الحميم ومرة الى الزقوم وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد اشير الى سركون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا فالآلاء فى امثالها حكاياتها فقط للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى بخلاف ما فصل فى اول السورة الى قوله كل يوم الخ فانها نعم واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها وفى الآية اشارة الى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة والاخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فانه لا يقطع العطش ولا يروى الظمآن وانما ينفع للانسان فى الدنيا والآخرة العلم القطعى والكشف الصحيح الا ترى الى علوم اهل الجدل فانها فى حكم الجهل لان اهلها منغمسون فى الشهوات واللذات مستغرقون فى الاوهام والخيالات ولهذا نبه الله الامام الغزالى رحمه الله وايقظه ونظر فاذا علومه التى صرف شطرا من عمره فى تعلمها وتعليمها لا تنقذه فى الآخرة رجع الى كتب الصوفية فتيقن انه ليس انتفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وافعاله وحقائق القرآن واسراره فترك التدريس ببغداد وخرج الى طلب اهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من امره ما كان وقد قال ابو يزيد البسطامى قدس سره اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت وقال الامام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سرهما عرفت ربك قال بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس فى تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها فى الدنيا عن اوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الاعمال وقبايح الاحوال * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور (ولمن خاف مقام ربه) وبراى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع فى تعداد النعم الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين فالاضافة للاختصاص الملكى اذ لا ملك يومئذ الا الله تعالى قال فى عين المعانى نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين شرب لبنا على ظمأ فاعجبه ثم اخبر انه من غير حل فاستقاء فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه رحمك الله لقد انزلت فيك آية وذخل فيه من يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله (جنتان) جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى على طريق التوزيع فان الخطاب للثقلين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد وقال فى الموضح دو باغ دهد ايشانرا در بهشت كه يكى از ايشان صد ساله راه طول وعرض داشته باشد ودر ميان هر باغ سراهاى خوش وحوران دلكش وقال الاستاذ القشيرى رحمه الله جنة معجلة هى لذة المناجاة والتلذذ بحقائق المشاهدات وما يرد على قلوبهم من صدق الواردات وجنة مؤجلة وهى الموعودة فى الآخرة وفى بحر العلوم قيل جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى لان الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله عليه السلام ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد هم على الاعراف حائط الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار يقول الفقير قد سبق فى اواخر الاحقاف ان المذهب ان الجن فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا لانهم مكلفون مثلهم وان لم نعلم كيفية ثوابهم فارجع الى التفصيل فى تلك السورة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق ويقرع

فقلت انظروا من هو فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحي فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال
دعوتك في مسئلة ان ام محمد يعني زبيدة قلت لها اني امام العدل وامام العدل في الجنة فقالت انك ظالم عاص قد
شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت في معصية
فهل تخاف الله في تلك الحال او بعدها فقال اي والله اخافه خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة
واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفني وامرني بالانصراف فلما رجعت الى داري رأيت البدر
متبادرة الي قال بعضهم هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق
الامور وسكوت الكل من الانبياء والاولياء لظهور القدرة والجبروت فلابد من الخوف من القيام في ذلك المقام
الهائل مالك دينار كفته دلي كه درو خوف نه همچون خانهٔ كه درو خداوند نه خانهٔ كه درو خداوند نبود
عنقريب آن خانه خراب شود ودلي كه درو خوف بود علامتش آنست كه خاطر را از حرمت پر كند واخلاق را
مهذب كرداند واطراف بادب دارد ابو القاسم حكيم كفته كه ترس از خالق ديكر است وترس از مخلوق ديكر
هر كه از مخلوق ترسد از وي بكريزد وهر كه از خالق ترسد باوي كريزد يقول الله تعالى (ففروا الى الله) ترس از الله
باشهوت ودينار نسازد هر كه اسير شهوت كشت ترس از دل وي رخت برداشت ودر دست ديو افتاد تا بهر دري كه
ميخواهد اورا مي كشد در آثار بيارند كه يحيى عليه السلام بر ابليس رسيده ودر دست ابليس بندها ديد
از هر جنس وهر رنك كفت اي شقي اين چه بندهاست كه در دست تو مي بينم كفت اين انواع شهوات فرزند
آدم است كه ايشانرا باين در بند آرم وبر مراد خويش مي دارم كفت يحيى را هيچ چيز شناسي كه با آن در وي طمع كني
كفت نه مكر يك چيز كه هر كه كه طعام سير خورد كراني طعام اورا ساعتي از نماز وذكر الله مشغول دارد يحيى كفت
از خداي عز وجل پذيرفتم وباوي عهد بستم كه هركز طعام سير نخورم بزركي را پرسيدند كه خداي تعالى با اندوه
كنان وترسندكان چه خواهد كفت اكر اندوه براي او دارند ومحمل ترس از بهر او كشند هنوز نفس ايشان منقطع
نشده باشد كه جام رحيق بر دستشان نهند بران نبشته كه الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة * اندوه
غريبان بسر آيد روزي * در كار غريبان نظر آيد روزي * ترسندكانرا واندوه كنانرا چهار بهشت است
دو بهشت سيمين ودو بهشت زرين كما قال عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان
من ذهب آنيتهما ومافيهما وفي التأويلات النجمية يشير الى من يخاف مقام الشهود ابقاء على نفسه
لان الشهود الحقيقي يفني الشاهد عن شاهديته في المشهود ويبقيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة اذ لا لذة
في اوائل المشاهدة واليه اشار عليه السلام اللهم ارزقنا لذة النظر الى لقائك وبهذا المعنى كان يقول لعائشة
رضي الله عنها حين يغيب عن حسه كلميني يا حميراء للتبليغ والارشاد وقوله جنتان اي جنة الفناء في نعمة
المشهود وجنة البقاء بالمشهود قوله مقام ربه اي مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأي آلاء ربكما تكذبان
من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله (ذواتا افنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على
ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفي تثنيتها
لغتان الرد على الاصل فان اصلها ذوية لانها مؤنثة ذوي والتثنية على اللفظ على ان يقال ذاتا والافنان جمع فن
اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن وهو الغصن المستقيم طولا او الذي يتشعب من فروع الشجرة
اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل وتجتني منها الثمار
يعني ان في الوصف تذكيرا لها على سبيل الكناية كانه قيل ذواتا اوراق واثمار واظلال (فبأي آلاء ربكما تكذبان)
وليس فيها شيء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة اخرى لجنتان فصل بينهما بقوله
فبأي الخ مع انه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ اي في كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجري
كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل لما علم من وصف انهار الجنة لا من حذف المفعول وقيل تجريان
من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهم تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى
السلسبيل وقال ابو بكر الوراق رحمه الله فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله
تعالى * بران از دو سر چشمهٔ ديده جوي * ور آلايشي داري از خود بشوي * نريزد خدا آب روي كسي *

كه ريزد كناه آب چشمش بسى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وفيه اشارة الى ان فى جنة الفناء عينا يجرى فيها ماء الحياة وهى البقاء بعد الفناء وفى جنة البقاء عينا يجرى فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم انواع المعارف والحكم واصناف الموآئد والنعم فبأى آلاء ربكما تكذبان يا اصحاب السكر والغيبة و يا ارباب الصحو والحضور كما فى التأويلات النجمية (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان معهود وغريب لم يره احد ولم يسمع او رطب و يابس او حلو وحامض و يقال لونان و قيل فى المنظر دون المطعم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما فى الدنيا حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وذلك لان ما فى الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات كزقوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لا يوجد فيها اللون الاسود ايضا لانه من آثار الجلال والجملة صفة اخرى لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من هذه النعم اللذيذة (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين اى جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين (على فرش) جمع فراش بالكسر وهو ما يفرش و يبسط ويستمهد للجلوس و النوم (بطائنها) جمع بطانة وهى بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر (من استبرق) قرأ ورش عن نافع ورويس عن يعقوب من استبرق بحذف الالف وكسر النون لالقاء حركة الهمزة عليها والباقون باسكان النون وكسر الالف وقطعها والاستبرق ما غلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع الوان وجعل اسما فاعرب اعرابه وقد سبق شرحه فى الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها يعنى ان الظهارة كانت اشرف واعلى كما قال عليه السلام لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيها بالادنى على الاعلى وقيل ظهائرها من سندس او من نور او هو مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (وجنى الجنتين دان) جنى اسم بمعنى المجنى كالقبض بمعنى المقبوض لقول على رضى الله عنه هذا جناى وخياره فيه * وكل جان يده الى فيه ودان من الدنو وهو القرب اصله دانو مثل غازو اى ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع و بالفارسية وميوه درختان آن دو بهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرد يده بعد ولا شوك وكفته اند كسانى كه تكيه دارند وميوه آرزو كنند شاخ درخت سر فرود آرد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى در آيد يقول الفقير ان البعد انما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة فى الجنة واهلها اجسام لطيفة نورانية فى صور الارواح وقد قال من قال (مصرع) بعد منزل نبود در سفر روحانى وايضا ان الطاعات فى الدنيا كانت فى مشيئة المطيع فثمراتها ايضا فى الجنة تكون كذلك فيتناولها بلا مشقة بل لا تناول اصلا فان سهولة التناول تصوير لسهولة الاكل فتلك الثمار تقع فى الفم بلا اخذ على ما قال البعض (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه الآلاء اللذيذة الباقية (فيهن) اى فى الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله متكئين (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل الى منصوبه تخفيفا ومتعلق القصر وهو على ازواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيأ احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجك وقصر الطرف ايضا من الحياء والغنج وچون قصر الطرف بر معناى حيا وغنج بود معنى قاصرات الطرف آنست كه كنيزكان بهشتى نازنينان اند از ناز فروشكسته چشمان اند * وقد يقال المعنى قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رأهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن لكمال حسنهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب اذا افتضها بالتدمية اى اخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكر ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى القاموس الطمث المس والمعنى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعنى حوران كه براى انس مقرر اند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وآنانكه براى جن مقرر اند جن

نيز در ايشان تصرف نكرده باشد فهن كالرياض الانف وهى التى لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لتحصيلهن اذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على ان الجن من اهل الجنة وانهم يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضى ذلك اذ لو لم يطمثوا كمن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به ولكن ليس لهم ماء كماء الانسان بل لهم هوآء بدل الماء وبه يحصل العلوق فى ارحام اناثهم كما فى الفتوحات المكية وهذا يستدعى ان لا تصح المناكحة بين الانس والجن وكذا العكس وقد ذهب الى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب آكام المرجان واما قول ابن عباس رضى الله عنهما المخنثون اولاد الجن لان الله ورسوله نهيا ان يأتى الرجل امرأته وهى حائض فاذا اتاها سبقه اليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على ان جماعهم كجماع الانس وان من جماعهم الانس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان فى الطعام الذى لم يسم عليه ونحوه فهو افساد بالخاصية واضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم ان هؤلاء اى قاصرات الطرف من حور الجنة المخلوقات فيها ما يبتذلن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبى والكلبى من نساء الدنيا اى لم يجامعهن بعد النشأة الثانية احد سوآء كن فى الدنيا ثيبات او ابكارا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه النعم التى هى لتمتع نفوسكم وفيه اشارة الى ان فى الجنات للفانين فى الله الباقين به حورا من التجليات الذاتية والمعارف الالهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الاغيار لا يتبرجن ولا يظهرن على غير اربابهن لم يطلع عليهن انس الروح ولا جان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفسهم وكثافة طينتهم (كانهن الياقوت والمرجان) صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان واما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه احمر وابيض واصفر واخضر وازرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على مر الليالى والايام وهو عزيز قليل الوجود سيما الاحمر وبعده الاصفر اصبر على النار من سائر اصنافه واما الاخضر منه فلا صبر له على النار اصلا وفى الطب اجود اليواقيت واغلاها قيمة الياقوت الرمانى وهو الذى يشابه النار فى لونه ومن تختم بهذه الاصناف أمن من الطاعون وان عم الناس وأمن ايضا من اصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيئا منها او تختم به كان معظما عند الناس وجيها عند الملوك واكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد فى القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقال قتادة فى صفاء الياقوت وبياض المرجان روى عن ابى سعيد فى صفة اهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها وعنه عليه السلام اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على اثرهم كاشد كوكب اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من ورآء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووجور مجامرهم الالوة وريحهم المسك وعنه عليه السلام ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورآء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورآئه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع وفيه اشارة الى ان هذه الحورآء العرفانية والحسناء الاحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الاحمر ومن طراوة الفطرة كالمرجان الابيض فبأى آلاء ربكما تكذبان ابالمشبه ام بالمشبه به (هل جزآء الاحسان الا الاحسان) هل يجيء على اربعة اوجه الاول بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى والثانى بمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والرابع بمعنى ما الجحد كما فى هذه الآية اى ما جزآء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وعن انس رضى الله عنه انه قال قرأ رسول الله عليه السلام هل جزآء الخ ثم قال

هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزآء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي بحظيرة قدسي برحمتي (قال الكاشفي) حاصل آيت آنست جزآء نيكي نيكست پس جزا دهند طاعات را باضعاف حسنات ومكافات كنند شكرها بزياده وتفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعارا باجابت وسؤال بعطا واستغفار را بمغفرت وخوف دنيارا بامن آخرت وجزآء فنا في الله بقا بالله * هركه دروراه محبت شد فنا * يافت از بحر لقا در بقا * هركه اشمشير شوقش سر بريد * ميوهٔ وصل از درخت شوق چيد * فغاية الاحسان من العبد الفناء في الله ومن المولى اعطاء الوجود الحقاني اياه فعليك بالاحسان كل آن وحين فان الله لا يضيع اجر المحسنين حكي ان ذا النون المصري قدس سره رأى مجوزا كافرة تتفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال انه لا يقبل من الاجنبي فقالت افعل قبل اولم يقبل ثم انه رآها في حرم الكعبة فقالت ياذا النون احسن الي نعمة الاسلام بقبضة من الحبة وروى ان مخلوقا مهيبا اعترض في طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم لعله عطشان فأخذ بيد سيفا وبيد قربة ماء حتى دنا اليه فصب في فمه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم انه نام في الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقي وحيدا في البرية وفي تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وامره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فاقسم عليه من هو فقال انا الذي رفعت عطشي بقربة الماء وروى ان امرأة اعطت لقمة للسائل فاخذ ذئب ولدها في العصر آء فظهر شخص فاخرجه من فم الذئب واعطاها اياه وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن الاحسان ان يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض اهل التحقيق الجنة جزآء الاعمال واما جزآء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى احسن صنوف الاحسان يروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت اي هذه الكلمة الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وعن ابي ذر رضي الله عنه قال يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال عليه السلام اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها بعشر امثالها فقال يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات فقال عليه السلام هي احسن الحسنات ويكفي في شرف التوحيد ان الايمان الذي هو اصل الطاعات وتنوير القلب الذي هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من اكدار السوى انما يحصل به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فالخائفون قسمان المقربون واصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الادنى مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الاوليان افضلان من الاخريين كفضل المقربين على الابرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب اي ومن دونهاتين الجنتين الى العرش اي اقرب اليه وارفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير (كما قال الكاشفي) وبجزاين بوستان كه مذكور شد دو بوستان ديكرست وكفته اند دو بوستان اول از زر است براى سابقان واين دو بوستان از نقره براى اصحاب يمين واطلقهما صاحب كشف الاسرار حيث قال ومن دون الجنتين الاوليين جنتان اخريان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ولكل رجل وامرأة من اهل الجنة جنتان احداهما جزآء عمله والاخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم اربع جنان في الجهات الاربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة ويكون امتع لانه ابعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معاني من دونهما فوقهما او من دون صفتيهما او من دونهما في الدرج اوامامهما اوقبلهما (وفلاة من دونها سفر طال وميل يفضي الى اميال) ويؤيد معنى الادنى مرتبة نول الشيخ نجم الدين في تأويلاته يشير الى جنتي الابرار القائمين بالاعمال الصحيحة والاقوال المستقيمة الناظرين في المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعني ان لهم جنتين من دون جنتي المذكورين اعني لفائقين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مما ذكر من الجنتين (مدهامتان) صفة لجنتان يقال ادهام الشئ يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفي تاج المصادر في باب الافعيلال لادهيمام سياه شدن لان الدهمة بالضم السواد والادهم الاسود ومنه قوله تعالى مدهامتان اي سوداوان يعني علالوتهما دهمة وسواد من شدة الخضرة والري وان شئت قلت خضراوان تضربان

الى السواد من شدة الخضرة وبالفارسية دوبهشت سبز از بسیاری سبزی بسیاهی رسیده والنظر الى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند النوم وهو الكحل الاسود وافضل جوده الاصفهاني وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالا ويقوى اعصابها ويمنع عنها كثيرا من الافات والاوجاع سيما الشيخ والعجائز وان جعل معه شئ من المسك كان غاية في النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف ويمنع الرعاف اذا كان من اغشية الدماغ وفي الحديث (خيرا كحالكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر) كما في زيدة العجائب وفي قوله مدهامتان اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه ودل هذا على فضل الاولين على الاخريين قال في التأويلات النجمية يشير به الى غلبة القوة النباتية على اصحاب هاتين الجنتين وهم اصحاب اليمين والى غلبة القوة الروحانية على اصحاب الجنتين الاولين لان فيهما كثرة الاشجار والفواكه وهم المقربون (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث تتمتع ابصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين وتنتفع انوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء اذا قرأ في الصلاة آية واحدة هي كلمة واحدة نحو قوله تعالى مدهامتان او حرف واحد نحو ق وص ون فان كل حرف منها آية عند البعض فالاصح انه لا يجزى عن فرض القراءة لانه لا يسمى قارئا لان القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض في الترتيل (فيهما عينان نضاختان) يقال نضضه كنعه رشه ونضخ الماء اشتد فورانه من ينبوعه كما في القاموس اى فوارتان بالماء لا تنقطعان وبالفارسية جوشنده باب يعنى هر چند از وبردارند دیگر جوشد وهذا يدل ايضا على فضل الاولين على الاخريين لانه تعالى قال في الاولين عينان تجريان وفي الآخرين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران وهو يتحقق بان يكون الماء بحيث كلما اخذ منه شئ فار آخر مكانه ولا يكفى هذا القدر في جريانه فلا شك ان الجرى ابلغ منه وقال ابن عباس رضى الله عنهما نضاختان بالمسك والعنبر وقال الكلبي بالخير والبركة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث يحصل لكم الرى من شراب تينك العينين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار فاكهة ودوا يعنى بحسب حال الدنيا والا فالكل في الجنة للتفكه ومن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا او رطبا لم يحنث خلافا لصاحبيه يعنى ان ابا حنيفة لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث من حلف ان لا يأكل فاكهة فأكل تمرا او رمانا عنده وكنا الحكم عنده وفي العنب ومن جعلهما من الفاكهة حملهما على التخصيص بذكرهما بيانا لفضلهما كما مر آنفا وقد سبق بيان النخل مفصلا قال ابن عباس رضى الله عنهما بنخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليس من الزبد ليس له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى في غير اخدود والرمان من الاشجار التي لا تقوى الا بالبلاد الحارة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما قمصت رمانة قط الا بجنة من الجنة وقال الامام على رضى الله عنه اذا اكلتم الرمان فكلوه بعض شحمه فانه دباغ للمعدة وما من حبة منه تقيم في جوف مؤمن الا انارت قلبه واخرجت شيطان الوسوسة منه اربعين يوما وفي الحديث (من اكل رمانا انار الله قلبه اربعين يوما) ولا يخفى ما في جمع الرمان مع انار من اللطافة واجوده الكبار الحلو الملبس وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة وينفع من الخفقان ويزيد في الباءة وقشره تهرب منه الهوام وفي التأويلات النجمية يشير الى ضعف استعداد اصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين لان الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء في البيت تدل على ضعف مزاج ساكن البيت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه (فيهن خيرات حسان) صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لان خيرا الذى بمعنى اخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات ومعناها بالفارسية زنان بركزيده وقيل في تفسير الخيرات اى السن بدمرات ولا يخرات الدمر النتن والخر بالتحريك النتن في الفم والابط وغيرهما ولامتطلعات التطلع چشم داشتن وقولهم عافى الله من لم يتطلع في فك

اى لم يتعب كلامك (ولا متشوفات) التشوف خويشتن آراستن وچشم داشتن ويعدى بالى وفى القاموس شغفته شوقا حلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين والى الخير تطلع ومن السطح تطاول وتنظر واشرف (ولا دربات) يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حد والذربة بالكسر السليطة اللسان (ولا سليطات) السلط واسلط الشديد والطويل اللسان (ولا طماحات) يقال طمح بصره اليه كمنع ارتفع والمراة طمحت فهى طامح وكتاب الكشوف (ولا طوافات فى الطرق) اى دقارات (حسان) جمع حسنة وحسناء اى حسان الخلق والخلق يعنى نيكورويان ونيكوخويان وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الاول مابعد الآية وفى الحديث (لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على السموات والارض لاضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصابتها على رأسها خير من الدنيا ومافيها) وروى لو ان حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها (وروى انهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس) يعنى ما ايم بانعمت كه درويش نمى شويم (الراضيات فلا نسخط) يعنى ما ايم راضى كه غضب نمى كنيم (نحن الخالدات فلا نبيد) يعنى ما ايم جاويدكه هلاك نمى شويم (طوبى لمن كانه وكان لنا) وفى الاثر اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبتهن والله غلبتهن وفيه بيان ان هاتين الجنتين دون الاوليين لانه تعالى قال فى الاوليين فى صفة الحور العين كانهن الياقوت والمرجان وفى الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان قال فى التأويلات النجمية فيهن خيرات حسان من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف ايضا يدل على ان جنة المقربين افضل من جنة الابرار واصحاب اليمين لان ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الاخلاق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد انعم عليكم بما به تستمتعون من النساء (حور) بدل من خيرات جمع حوراء وهى البيضاء ووصفت فى غير هذه الآية بالعين وهى جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم شديدة سواد العين يعنى سياه چشمان اند (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن وحبسن (قال الكاشفى) از چشمها ميكانكان نكاه داشته ودر خيمها داشته وفيه اشارة الى انهن لا يظهرن لغير المحارم وان لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لانهن من قبيل الاسرار وهى تصان عن الاغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة اى محتدرة مستورة لا تخرج ومقصورات الطرف على ازواجهن لا يبغين بهم بدلا والخيام جمع خيمة وهى القبة المضروبة على الاعواد هكذا جميع خيام الدنيا وهى لا تشبه خيام الجنة الا بالاسم فانه قد قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها اهلون ما يرون الاخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا وكفته اند مراد خانها ست يعنى مستورات فى الجبال وحجله خانه بود براى داماد وعروس قال فى القاموس الحجلة محركة كالقبة وموضع يزين بالثيبات والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلى رحمه الله وصف الله جوارى جنانه التى خلقهن لخدمة اوليائه والبسهن لباس نوره واجلسهن على سرير انسه فى جمال قدسه وضرب عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن ازواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لا يصرفن ابصارهن فى انتظارهن عن مسالك الاولياء من ازواجهن الى غيره وفى الآية اشارة الى ان الاسماء تنقسم بالقسمة الاولى قسمين بعضها كونية اى لها مظاهر فى الكون وبعضها غير كونية اى ليس لها مظاهر فى الكون بل هى من المستأثرات الغيبية كما جاء فى دعاء النبى عليه السلام اللهم انى اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا او استأثرت به فى علم غيبك المكنون وقوله حور مقصورات يعنى ان من خصائص هاتين الجنتين ان فيهما معانى وحقائق ما ظهرت مظاهرها فى هذا العالم بل بعد فى خيام الغيب المكنون فى جنة السر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد خلق من النعم ما هى مقصورة ومحبوسة لكم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كالذى مر فى نظيره فى جميع الوجوه وقال بعضهم اى قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال فى كشف الاسرار كرر ذلك زيادة فى التشويق وتأكيدا للرغبة وفيه انه ليس بتكرير لان الاول فى ازواج المقربين وهذا فى ازواج الابرار قال محمد بن كعب ان المؤمن يزوج الف ثيب والف بكر والف حوراء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع انها ليست كنعم الدنيا اذ قد تطمث المرأة فى الدنيا ثم يتزوجها آخر ثيبا فهن نعم باكورة

فيالها من طيب وصالها ويالها من حسنها وبراعة جمالها لا يقدر احد على حكايتها ولا يبلغ وصف الى نهايتها
والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى (متكئين) حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم (على رفرف)
اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب او ضرب من البسط
او الوسائد قال في المفردات الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معانى الرفرف الرياض وكان
بساط انوشروان ستين ذراعا في ستين ذراعا يبسط له في ايوانه منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر
الربيع وينشر اذا عدمت الزهور وفي القاموس الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط وفضول المحابس
والفرش وكل ما فضل فثنى والفراش والرقيق من الديباج (خضر) نعت لرفرف جمع اخضر والخضرة احد
الالوان بين البياض والسواد وهو الى السواد اقرب فلهذا سمى الاسود اخضر والاخضر اسود (وعبقرى)
عطف على رفرف والمراد الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله (حسان) حملا على المعنى وهو جمع حسن
والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد كثير الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقال قطرب ليس
هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى وبختى قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن
والعبقرى ضرب من البسط كالعباقرى انتهى وفي المفردات قيل هو موضع للجن ينسب اليه كل نادر
من انسان وحيوان وثوب قال الله تعالى وعبقرى حسان وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلا لفرش
الجنة وفي التكملة عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشى كانت العرب اذا رأت شيأ نسبته اليه فخاطبهم الله
على عادتهم وفي فتح الرحمن العبقرى بسط حسان فيها صور وغير ذلك والعرب اذا استحسنت شيأ واستجادته
قالت عبقرى قال ابن عطية ومنه قول النبي عليه السلام رأيت عمر بن الخطاب في المنام يستقى من بئر فلم ار
عبقريا يفرى فريه اى سيدا يعمل عمله وقيل عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابى ويجيدها فنسب اليه
كل شئ جيد حسن وبالفارسية وبساطى قيمتى درغايت نيكويى قوله تعالى في الاوليين متكئين
على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهارة لرفعة شأنها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام
وفي الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقرى وبه يعلم تفاوت ما بينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقرى
موشى والديباج اعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرحه
وشوقه اليه يمينا وشمالا وحيثما يريده الولى وروى في حديث المعراج ان رسول الله عليه السلام لما بلغ
سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سيد العرش فذكر عليه السلام انه طار بى يخفضنى
ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل
فالرفرف خادم بين يدى الله من جملة الخدم مختص بخواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها
الانبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفرشهم يرفرف بالولى ويطير به
على حافات تلك الانهار وحيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير ان يكون
دون من الدنو ومعنى من دونهما ارفع منهما كما لا يخفى ويدل عليه ان الرفرف اعظم خضرة من الفرش
المذكورة في قوله متكئين على فرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون
(تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر من السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام
اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء
المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة
دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام
عليكما اى ثم السلام عليكما قال في فتح الرحمن وهذا الموضع مما اريد فيه بالاسم مسماه وفي التأويلات النجمية هذا
يدل على ان الاسم هو المسمى لان المتعالى هو المسمى في ذاته لا الاسم وان كان فتبعيته وكذا الموصوف بالقهر
واللطف والجلال والاكرام هو المسمى فحسب انتهى وفي الامالى وليس الاسم غير المسمى وفي شرح الاسماء
الحسنى للزروقى الصحيح ان الاسماء غير المسمى واباه قوم وفصل آخرون وتوقف آخرون امتناعا لكن السلف
لم يتكلموا في الاسم والمسمى ولا في الصفة والموصوف ولا في التلاوة والمتلو طلبا للسلامة وحذرا على الغير
وهو الورع (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير كفته اند اول چيزى كه

از قرآن در مکه بر قریش آشکارا خواندند بعضی آیات از اول این سوره بود روایت کردند از عبد الله ابن مسعود رضی الله عنه گفت صحابهٔ رسول علیه السلام مجتمع شدند گفتند تا این غایت مردم قریش از قرآن نشنیدند درمیان ما کیست که ایشانرا قرآن بشنواند آشکارا عبد الله بن مسعود گفت انکس من باشم گفت قرآن آشکارا برایشان خوانم اگرچه ازان رنج وگزند آید پس بیامد ودر انجمن قریش بایستاد وابتداء سورهٔ رحمن در گرفت وخلقی ازان آیات برخواند قریش چون آن بشنیدند از سر غیظ وعداوت اورا زخمها کردند ورنجانیدند پس چون بعضی خوانده اورا فرا گذاشتند وبنزدیک اصحاب بازگشت فقالوا هذا الذی خشینا علیک یا ابن مسعود وعن عائشة رضی الله عنها قالت کان رسول الله صلی الله علیه وسلم اذا سلم من الصلاة لم یقعد الا مقدار ما یقول اللهم انت السلام ومنک السلام تبارکت یا ذا الجلال والاکرام کافی کشف الاسرار قال الزروقی ذو الجلال والاکرام هو الذی له العظمة والکبریاء والافضال التام المطلق من عرف انه ذو الجلال والاکرام هابه لمکان الجلال وانس به لمکان الاکرام فکان بین خوف ورجاء وهو اسم الله الاعظم وقال بعضهم اسماء الله تعالی کلها اعظم لدلالتها علی العظیم فانه اذا عظم الذات والمسمی عظم الاسماء والصفات وانما الکلام فی ذکرها بالحضور والشهود والاستغراق فی بحر الجود وهو ذکر الکمل من افراد الانسان نسأل الله تعالی ان یجعلنا من الذاکرین له ظاهرا وباطنا اولا وآخرا

تمت سورة الرحمن بعون الملک المنان فی اواخر ذی القعدة الشریف من شهور سنة اربع عشرة ومائة والف

سورة الواقعة مکیة وایها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحیم

(اذا وقعت الواقعة) انتصاب اذا بمضمر ای اذا قامت القیامة وحدثت وذلک عند النفخة الثانیة یکون من الاهوال مالا یفی به المقال سماها واقعة مع ان دلالة اسم الفاعل علی الحال والقیامة مما سیقع فی الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اختیر اذا وصیغة الماضی فالواقعة من اسماء القیامة کالصاخة والطامة والآزفة (لیس لوقعتها کاذبة) قال الراغب یکنی عن الحرب بالوقعة وکل سقوط شدید یعبر عنه بذلک قال ابو اللیث سمیت القیامة الواقعة لصوتها والمعنی لا یکون عند وقوعها نفس تکذب علی الله وتفتری بالشریک والولد والصاحبة وبانه لا یبعث الموتی لان کل نفس حینئذ مؤمنة صادقة مصدقة واکثر النفوس الیوم کاذبة مکذبة فاللام للتوقیت والکاذبة اسم فاعل اولیس لاجل وقعتها او فی حقها کذب بل کل ما وعد فی شأنها من الاخبار حق صادق لا ریب فیه فاللام للتعلیل والکاذبة مصدر کالعاقبة (خافضة) ای هی خافضة لاقوام (رافعة) لآخرین وهو تقریر لعظمتها علی سبیل الکنایة فان الوقائع العظام یرتفع فیها اناس الی مراتب ویتضع اناس وتقدیم الخفض علی الرفع للتشدید فی التهویل قال بعضهم خافضة لاعدآء الله الی النار رافعة لاولیاء الله الی الجنة او تخفض اقواما بالعدل وترفع اقواما بالفضل او تخفض اقواما بالدعاوی وترفع اقواما بالحقائق وعن ابن عباس رضی الله عنهما تخفض اقواما کانوا مرتفعین فی الدنیا وترفع اقواما کانوا متضعین فیها آن روز بلال درویش وار رضی الله عنه می آرند باتاج وحله ومرکب برد ابرد میرنند تا بفردوس اعلی برند وخواجهٔ اورا امیة بن خلف بااغلال وانکال وسلاسل بروی می کشند تا بدرکهٔ اسفل برند آن طیلسان پوش منافق رابا آتش می برند وان قبا بستهٔ مخلص رابه بهشت می فرستند ان پیر مباحاتی مبتدع رابا آتش قهری سوزند وآن جوان خراباتی معتقد را بر تخت بخت می نشانند * تا پیر مباحاتی که بی مرکب فرومانده * بسارند خراباتی کمر زین بر شیر نر بندد (اذا رجت الارض رجا) الرج تحریک الشیء وازعاجه والرجرجة الاضطراب ای خافضة رافعة اذا حرکت الارض تحریکا شدیدا بحیث ینهدم ما فوقها من بناء وجبل ولا تسکن زلزلتها حتی تلقی جمیع ما فی بطنها علی ظهرها (وبست الجبال بسا) ای فتت حتی صارت مثل السویق الملتوت من بس السویق اذا لته والبسیسة سویق یلت فیتخذ زادا اوسیقت وسیرت من اماکنها من بس الغنم اذا ساقها (فکانت) ای فصارت بسبب ذلک (هباء) ای غبارا وهو ما یسطع من سنابک الخیل او الذی یری فی شعاع الکوة او الهباء ما یتطایر من شرر النار او ما ذوته الریح من الاوراق (منبثا) ای منتشرا متفرقا وفی التفسیر ان الله تعالی یبعث ریحا من تحت الجنة فتقل الارض والجبال

و تضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى تصير غبارا و يسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار كقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة وقال بعضهم ان هذه الغبرة هي التراب الذي اشار اليه تعالى بقوله يا ليتني كنت ترابا وسيجيء تحقيقه في محله وفي الآية اشارة الى قيامة العارفين وهي قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهي تخفض القوى الجسمانية البشرية المقتضية لاحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الالهية المستدعية لانوار الوحدة وصرصر هذه القيامة اذا ضربت على ارض البشرية ومرت على جبال الانانية الانسانية جعلت تعينهما متلاشيا فانيا في ذاتهما وصفاتهما لا اسم لهما ولا رسم ولا اثر ولا عين بل هباء منبثا لا حقيقة له في الوجود كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده واليه الاشارة بقولهم اذا تم الفقر فهو اليه ولا بد في سلوك طريق الحق من ارشاد استاذ حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على القوى الجسمانية كما قال العارف الرباني ابو سعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط (ازواجا) اى اصنافا (ثلاثة) اثنان في الجنة وواحد في النار وكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج فردا كان او شفعا (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) تقسيم للازواج الثلاثة فاصحاب الميمنة مبتدأ خبره ما اصحاب الميمنة على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والاصل ما هم اى اى شيء هم في حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل ما عرفت حالهم اى شيء فاعرفها وتعجب منها فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال تحوز يد وما زيد حيث لا يقال الا في موضع التعظيم والتعجب واصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن اى بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل اى بجانب الشمال كما تقول فلان مني باليمين والشمال اذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد ما يلزم من جهتي اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه او الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او الذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيفضى بهم الى النار او اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم او اصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق قال الله تعالى في حقهم هؤلاء من اهل الجنة ولا ابالي واصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من اهل النار ولا ابالي وفي القاموس اليمن البركة كالميمنة يمن فهو ميمون وايمن والجمع ميامين وايامن واليمين ضد اليسار والجمع ايمن وايمان وايامن وايامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة (والسابقون السابقون) هم القسم الثالث من الازواج الثلاثة اخر ذكرهم ليقترن ببيان محاسن احوالهم واصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في غيره من التقديم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقوله انا ابو النجم وشعري شعري او السابقون الاول مبتدأ والثاني تأكيد له كرر تعظيما لهم والخبر جملة قوله اولئك الخ وفي البرهان التقدير عند بعضهم السابقون ما السابقون فحذف ما الدلالة ما قبله عليه وهم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان او الذين سبقوا في حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف كما قال الراغب يستعار السبق لاحراز الفضل وعلى ذلك والسابقون السابقون اى المتقدمون الى ثواب الله وجنته بالاعمال الصالحة (اولئك) الموصوفون بذلك النعت الجليل وهو مبتدأ خبره قوله (المقربون) اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية يقول الفقير عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانها وسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن فانه يظهر منه ان الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذي هو سقف الجنة ولم يقل اولئك المقربون لانهم بتقريب ربهم سبقوا لا بتقرب انفسهم ففيه اشارة الى الفضل العظيم في حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اى كائنين في جنات النعيم يعني في بوستان نهاء مشتمل بر انواع نعمت قيل السابقون

اربعة سابق امة موسى عليه السلام وهو خربيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابق امة محمد عليه السلام وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال كعب هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فانهم كادوا ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم والمراد باهل القرآن الملازمون لقرآءته والعاملون به وكان خلق النبى عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى بعض تحريراته العباد ثلاثة اصناف صنف هم اهل النسيان وصنف هم اهل الذكر وصنف هم اهل الاحسان والصنف الاول اهل الفتور مطلقا وليس فيه بوجه من الحضور شئ اصلا وهم اهل البعد قطعا وليس لهم من القرب شئ جدا وهم اصحاب المشأمة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة وهم ارباب الغضب والقهر والجلال ولهم فى نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثانى اهل الفتور من وجه واهل الحضور من وجه وهم اهل البعد بوجه واهل القرب بوجه وهم اصحاب الميمنة واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وهم ارباب الرحمة واللطف والجمال ولهم فى نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث اهل الحضور مطلقا وليس فيهم بوجه من الفتور شئ اصلا وهم اهل القرب مطلقا وليس لهم من البعد شئ اصلا وهم السابقون والسابقون السابقون اولئك المقربون وهم اصحاب كمال الرضى والاجتباء والاصطفاء ولهم فى سر نعيم جنة الوصال دوام العصبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلى الوجه الحق والجمال المطلق وهم ارباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الاول وقفا بلا وجه فى الظاهر والباطن والثانى وجه بلا وقفا فى الظاهر وقفا بلا وجه فى الباطن والثالث وجه بلا وقفا فى الظاهر والباطن لكونهم على تعين الوجه المطلق وفى رسالته العرفانية اصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا وقفا فى الظاهر لحصول الرؤية لهم ووقفا بلا وجه فى الباطن اى لعدم انكشاف البصيرة لهم واصحاب الشمال وقفا بلا وجه فى الظاهر اى باعتبار البداية ووجه بلا وقفا فى الباطن اى باعتبار النهاية وقال فى اللايحات البرقيات له ذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من التجار ولهم رد مطلقا فانهم يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الابرار ولهم قبول بالنسبة الى من تحتهم لا بالنسبة الى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق اهل البداية من المقربين وقبولهم نسبى ايضا وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم اهل الوسط من المقربين وقبولهم اضافى ايضا وذكر بعضهم كان مطلقا حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الاطوار بالقلب وانس المذكور ومشاهدة الانوار بالروح والفناء فى المذكور ومعاينة الاسرار بالسر فلهم قبول مطلقا وليس لهم رد اصلا لان كمالهم وتمامهم كان حقيقيا جدا وهم ارباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الكاملين الاكملين وفى التأويلات النجمية يشير الى مراتب اعاظم المملكة الانسانية ومقامات اكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجودا ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الاخيرة صاحبة المشأمة اما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة لتيمنه والتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والاسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها وميشوميتها وتلطخها عند اجابة دواعى الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد واما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال ورحمتى وسعت كل شئ وقال رحمتى سبقت غضبى اذ جعل النفس برزخا بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا وتارة من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن بهما ان شاء الله تعالى كما قال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وبقوله فى جنات النعيم يشير الى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الافعال لان السابقين المقربين هم الفانون فى الله بالذات والصفات والافعال والباقون بالله بالذات والصفات والافعال ولصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزآء وفاقا وهذه الجنات كلها شاملة للنعيم الدنيوى والاخروى ان فهمت الرموز الالهية فزت بالكنوز الرحمانية (ثلة من الاولين) اى هم امم كثيرة من الاولين غير محصورة

العدد وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وهذا التفسير مبنى على ان يراد بالسابقين غير الانبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين هم كثيرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بنى آدم وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين اى جماعة (وقليل من الآخرين) اى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام (ان امتى يكثرون سائر الامم) اى يغلبونهم بالكثرة فان اكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعى هؤلاء من تابعى اولئك مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفا فالمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاول وفى الحديث (انا اكثر الناس تبعا يوم القيامة) ولا يرده قوله تعالى فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى انفسهما لا تنافى اكثرية احدهما من الآخر وسيأتى ان الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم وهو المختار كما فى بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضى عنه فنزل قوله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) يعنى كريان شدو گفت يا نبى الله ما با تو گرويديم وتصديق كرديم وازما اهل نجات نيامد مكر اندك اين آيت آمدكه (وثلة من الآخرين) حضرت صلى الله عليه وسلم آيت بروى خواند وعمر فرمودكه رضينا من ربنا وفى الحديث (اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة يعنى كونكم نصف اهلها بسبب انها لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم فى اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود او كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر اى فلا يستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا وهذه الامة منها ثمانون قال السهيلى رحمه الله فى كتاب التعريف والاعلام قال عليه السلام نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فهم اذا محمد صلى الله عليه وسلم وامته واول سابق الى باب الجنة محمد عليه السلام وفى الحديث (انا اول من يقرع باب الجنة فادخل ومعى فقراء المهاجرين) واما آخر من يدخل الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقى احد فى النار ممن يقول لا اله الا الله * نماند برزندان دوزخ اسير * كسى را كه باشد چنين دستگير * يقول الفقير هذه خلاصة ما اورده اهل التفسير فى هذا المقام والذى يلوح لى ان المقربين وان كانوا داخلين فى اصحاب اليمين الا ان المراد بقوله تعالى وثلة من الآخرين هى الثلة التى من اصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الازواج وتبيين كل فريق منهم على حدة وكلامنا فى المقربين خصوصا اعنى السابقين من هذه الامة هل هم اقل من سابقى الامم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى وقليل من الآخرين او هم اكثر كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر انهم اكثر مثل اصحاب اليمين والاية محمولة على متقدمى هذه الامة ومتأخريها كما اشير اليه سابقا وذلك لان النبى عليه السلام شبه علماء هذه الامة بانبياء بنى اسرائيل ولا شك ان الانبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الامة لا نهاية لهم دل عليه ان الاولياء فى كل عصر من اعصار هذه الامة عدد الانبياء وهم مائة الف واربعة وعشرون الفا وقد يزيد عددهم على عدد الانبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت ان كل اربعين مؤمنا فى قوة ولى عرفى فاذا كان صفوف هذه الامة يوم القيامة ثمانين فظاهر ان عددهم يزيد على عدد الاولين وبزيادة العدد يزيد الاولياء اصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد الاولياء المقربون السابقون فان فى العدد المذكور منهم الغوث والاقطاب والكمل فاعرف وفى التأويلات النجمية يشير بقوله ثلة من الاولين الى كثرة ارباب القلوب صواحب التجليات الجزئية الصفاتية والاسمائية وكثرة اصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله وقليل من الآخرين المحمديين يشير الى ارباب الارواح الظاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن كثرات الاسماء والصفات الاعتبارية (على سرر موضونة) حال اخرى من المقربين والسرر جمع سرير بالفارسية تخت والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل ان يقبل بعضهم على بعض

اما بالذات واما بالعناية والمودة اى مستقرين على سرر متكئين عليها اى قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب وقال ابو الليث متقابلين فى الزيارة (وقال الكاشفى) برابر يكديكر يعنى روى باروى تابديدار يكديكر مستأنس ومسرور باشند (يطوف عليهم) اى يدورحولهم للخدمة حال الشرب وغيره (ولدان) جمع وليد وخدمة الوليد امتع من خدمة الكبير يعنى خدمت كودك زيباترست ازخدمت كبار (مخلدون) مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها لانهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء لا يتغير قال فى الاستلة المفحمة هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والجواب انهم لا يموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى وازين معلوم شدكه اين كودكان راحق تعالى بمحض كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان فهم للخدمة لا غير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها وفى الحديث (اولاد الكفار خدام اهل الجنة) والمخلد الولدان يشهد لابى حنيفة رحمه الله فى ان اطفال المشركين خدم اهل الجنة لان الجنة لا ولادة فيها ويجوز ان يكون معنى مخلدون مقرطون يعنى آراستكان بكوشوارهاى زرين والخلد السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون اومسورون اولا يهرمون ابدا اولا يجاوزون حد الوصافة كما فى القاموس وقال فى كشف الاسرار الخلادة القلادة لغة قحطانية (باكواب) من الذهب والجواهر اى باآنية لا عرى لها ولا خراطيم وهى الاباريق الواسعة الرأس لا خرطوم لها ولا يعوق الشارب منها عائق عن شرب من اى موضع اراد منها فلا يحتاج ان يحول الاناء من الحالة التى تناوله بها ليشرب (واباريق) جمع ابريق وهو الذى له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل انها اعجمية معربة آبريز اى باآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والابريق لغسل الايدى والكاس لشرب الخمر كما قال (وكأس من معين) اى وبكأس من خمر جارية من العيون اخبر ان خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون فى اوعية بل هى كثيرة جارية كما قال وانهار من خمر والكأس القدح اذا كان فيها شراب والا فهو قدح يقال معن الماء اذا جرى فهو فعيل بمعنى الفاعل اوظاهرة تراها العيون فى الانهار كالماء المعين وهو الظاهر الجارى فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه اذا شخصه وميزه بعينه قال فى القاموس المعن الماء الظاهر ومعن الماء اساله وامعن الماء جرى والمعنان بالضم مجارى الماء فى الوادى فان قلت كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكأس فالجواب ان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى الاوانى المتعددة ويشربون بكأس واحدة (لا يصدعون عنها) الصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر اى لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقة لا يصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول وليست فى خمر الجنة بل هى لذة بلا اذى (ولا ينزفون) اى لا يسكرون يعنى لا تذهب عقولهم اولا ينفد شرابهم من انزف الشارب اذا نفد عقله اوشرابه فالنزف اما للعقل وهو من عيوب خمر الدنيا اوللشراب فان بنفادها تختل العصبة (وفاكهة مما يتخيرون) يقال تخيرت الشئ اخذت خيره اى يختارونه ويأخذون خيره وافضله من الوانها وكلها خيار وهو عطف على باكواب اى يطوف عليهم ولدان بفاكهة وهو ما يؤكل من الثمار تلذذا لا لحفظ الصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء فى الجنة وليس ذلك كفوت الدنيا الذى يتناوله من يضطر اليه ويضيق عليه لتأخره عنه وهو اشارة الى انه يتناول المأكولات التى يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذى هو سيد الادام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الابل ويعز عندهم لحم الطير الذى هو اطيب اللحوم ويسمعون بها عند الملوك فوعدوها فقيل (ولحم طير مما يشتهون) اى يتمنون مشويا اومطبوخا يتناولونها مشتهين لها لا مضطرين ولا كارهين وآن آن بودكه مؤمنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودر پيش ايشان برشاخ طوبى نشيند وآوازدهدكه من آنم كه هيچ چشمه نيست در بهشت كه ازان نچشيده ام وهيچ درخق نيست كه من ازميوة آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت ويرا آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى در كردد وبر سر خوان افتد سه قسمت شود يكى پخته ويكى قديد ويكى بريان

پس بهشتی چندانکه خواهد بخورد دیگر باره بقدرت حق زنده شود و بر برد وفی الاسئلة المفحمة قال وفاكهة
مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فغاير بين اللفظين والجواب لان الفواكه كما تكون للاكل تكون ايضا للنظر
والشم واما لحم الطير فمختلف الشهوات فى اكل بعض اجزآئه دون البعض ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشهى
من الجماع قال (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها اولهم حور عين اى نساء وحور
جمع حورآء وهى البيضاء او الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهى الواسعة الحسنة
العين وهن خلقن من تسبيح الملائكة كما فى عين المعانى (كامثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور او حال اى الدر المخزون
فى الصدف لم تمسه الايدى ولم تره الاعين او المصون عما يضر به ويدنسه فى الصفاء والنقاء ولما بالغ فى وصف
جزآئهم بالحسن والصفاء دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزآء من جنس العمل فقال (جزآء بما كانوا
يعملون) مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزآء باعمالهم الصالحة فى الدنيا فما جزآء الاحسان الا الاحسان
فالمنازل منقسمة على قدر الاعمال واما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا بعمل عامل فمن طمع فى ان
يدخل الجنة ويأكل من اللحم اللذيذ ويشرب من الشراب الهنيء ويستمتع بالحور العين آثر وجه زواجها
ويروى ان الحورآء اذا مشت سمع تقديس الجلاجل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت
يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران اى تصوتان بالتسبيح على كل امرأة
سبعون حلة ليست منها حلة على لون الاخرى وسبعون لونا من الطيب ليس منها لون على لون الآخر لكل امرأة
سبعون سريرا من ياقوت احمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق وفوق السبعين
فراشا سبعون اريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد
لآخر لقمة منه لذة لا يجدها لاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت احمر عليه سواران من ذهب
موشح بياقوت احمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا واعرس بها فى دار
لا يخربها دوران البلايا واسبك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا وروى انهن خلقن من الزعفران كما فى كشف
الاسرار (لا يسمعون فيها لغوا) اى باطلا قال فى القاموس اللغو واللغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره
وفى المفردات اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت
العصافير ونحوها من الطيور (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم اى لا لغو فيها ولا تأثيم
ولا سماع والاثم اسم للافعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام (الا قيلا) اى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا
والاستثناء منقطع اى لكنهم يسمعون فيها قولا سلاما سلاما او هو من باب لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى فى انه من التعليق بالمحال ومعنى سماعهم السلام انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع
كل من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدأ او ردا وفى الآية اشارة الى ان جنات السابقين المقربين صافية
عن الكدورات المنغصة لساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول اهلها الا مع الحق
ولا يسمعون الا من الحق تجلى الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن
للقربات والكرامات اعلم ان اعز السلام سلام الله على عباده كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم سلام الارواح
العالية كما حكى عن بعض الصالحين انه قال كان لى ابن استشهد فلم اره فى المنام الا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثنى عشر ترآءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى الم تكن ميتا فقال لا ولكنى استشهدت
وانا حى عند الله ارزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى فى اهل السماء الا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر
الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم يقول الفقير شاهدت فى الحرمين
الشريفين حضور الارواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت انا فى السحر الاعلى
عند مقام جبرآئيل على الخلفاء الاربعة والملائكة الاربعة ولله الحمد على ذلك.

سلام من الرحمن نحو جنابه * لان سلامى لا يليق ببابه

(واصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين
وهو مبتدأ خبره جملة قوله (ما اصحاب اليمين) اى لا تدرى ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم
وكوامل محاسنهم (فى سدر) اى هم فى سدر (مخضود) اى غير ذى شوك لا كسدر الدنيا فان سدر الدنيا

مخلوق بشوك وسدر الجنة بلا شوك كانه خضد شوكه اى قطع ونزع عنه شوكه سدر مخضود اما من باب الالتفاتة فى التشبيه او مجاز بعلاقة السببية فان الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود اى مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والسدر شجر النبق وهو ثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقه الحرض وفى المفردات السدر شجر قليل الغذاء عند الاكل وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثلا لظل الجنة ونعيمها قال بعضهم ليس شئ من ثمر الجنة فى خلف كما يكون فى الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وطلح منضود) قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من اسفله الى اعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد كما ان اوراق السدر صغار وهو ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وان كان لا يؤكل منه شئ وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن مجاهد كان لاهل الطائف وادى محسر فيه الطلح والسدر فقالوا يا ليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يحبهم ويحبون مثله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا (وظل ممدود) ممتد لا ينقطع ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشئ الذى لا ينقطع ممدود وفى الحديث (فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها) وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون فى اصلها ويتذكر بعضهم ويشتهى لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا وقال فى كشف الاسرار ويحتمل ان الظل عبارة عن الراحة تقول فلان فى ظل فلان اى فى كنفه لانه لا شمس هناك انتهى يقول الفقير بل المراد منه الراحة كما فى قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا لانه انما يحتاج المرء فى الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته فى بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام السلطان ظل الله فى ارضه يأوى اليه كل مظلوم اى يستريح عند عدله ومنه قولهم سدد الله ظلاله اى ظلال عدله ورأفته حتى يصل اثر الاستراحة الى الناس كلهم (وماء مسكوب) يسكب لهم ويصب اينما شاؤا وكيفما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير اخدود ولا ينقطع يعنى كون الماء مسكوبا كثيرا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا غير مختص ببعض الاماكن والكيفيات او عن كونه سياريا واكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا يخلو يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجارى حتى يجرى فى الهواء على حسب الاشتهاء كانه مثل حال السابقين بما تصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين بما تصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين فكما ان بينهما تفاوتا فكذا بين حاليهما (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناولها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصدها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفى الحديث (ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله مكانها ضعفين (وفرش) جمع فرش وهو ما يبسط ويفرش اى هم فى بسط (مرفوعة) اى رفيعة القدر او مرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والارض وهو مسيرة خمسمائة عام او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش هى النساء حيث يكنى بالفراش وباللباس والازار عن المرأة وفى الحديث (الولد للفراش) فسمى المرأة فراشا وارتفاعهن كونهن على الارائك دل عليه قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء) وعلى الاول اضمرهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولاد ابتداء واعادة اما الابتداء فكما فى الحور لانهن انشأهن الله فى الجنة من غير ولادة واما الاعادة فحكما فى نساء الدنيا المقبوضة عجائز فى الحديث (هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا) جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد (رمصا) جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع فى الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر ابكارا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال عليه السلام ليس هناك وجع وقد فعل الله فى الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى واصلحنا له زوجه سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال جعلها

شابة بعد ان كانت عجوزا وولودا بعد ان كانت عقيما وذلك قوله تعالى (فجعلناهن) بعد ان كن عجائز (ابكارا) اى عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة اول النهار وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر اوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التي لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدى المفتى ان اريد بالانشاء معنى الابداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله ابكارا حال وان اريد به الاعادة فهو بمعنى التصيير وابكارا مفعوله الثانى قال بعضهم دل قوله فجعلناهن ابكارا على ان المراد بهن نساء الدنيا لان المخلوقة ابتداء معلوم انها بكر وهن افضل واحسن من حور الجنة لانهن عملن الصالحات فى الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضى الله عنه قالت عجوز عند عائشة رضى الله عنها من فى عامر يا رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهى تبكى فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) جمع عروب كرسل جمع رسول وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التعقل واشتقاقه من اعرب اذا بين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفى المفردات امرأة عروبة معربة بجمالها عن عفتها ومحبة زوجها وفى بعض التفاسير عربا اى كلامهن عربى (اترابا) جمع ترب بالكسر وهى اللدة والسن ومن ولد معك وهى تربى اى مستويات فى السن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن والقامة ستون ذراعا على سبعة اذرع على قامة ابيهم آدم شباب بيض مكحلون احسنهم كالقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدرى فى السماء يبصر وجهه فى وجهها وتبصر وجهها فى وجهه لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد وفى الحديث (ان الرجل ليفتض فى الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله ابكارا وقال عليه السلام (ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا ودر تبيان آورده كه جملرا بيهشت آرند بدين سن سازند وبشوهر دهند وعجوزه را نيز رد كنند بدين سن اگر شوهر نداشته باشد در دنيا يعنى از اهل بهشت دهند واگر شوهر داشته باشد اما شوهر او از اهل بهشت نبوده چون امراة فرعون اورا بيكى از بهشتيان دهند واگر زوج او بهشتى بود باز بدو ارزانى دارند واگر زياده از يك شوهر داشته باشد وهم بهشتى باشند بزوج آخرين نامزد كنند وفى الحديث (ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء) الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق وفى الحديث (تقول الحور آه لولى الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد اكرمك به العزيز اشرفت عليك بدلالى وغنجى واترابى وانت قاعد بين اصحابك تخطبنى الى الله فترى شوقك كان يعدل شوقى او جدك كان يعدل جدى والذى اكرمنى بك واكرمك بى ما خطبتنى الى الله مرة الا خطبتك الى الله سبعين مرة فالحمد لله الذى اكرمنى بك واكرمك بى (لاصحاب اليمين) متعلقة بانشأنا (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين وفى الحديث (هم جميعا من امتى) اى الثلثان من امتى فعلى هذا التابعون باحسان ومن جرى مجراهم ثلة اولى وسائر الامة ثلة اخرى فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما فتقابل عرضت على الامم فجعل يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى معه الرهط والنبى ليس معه رهط والنبى ليس معه احد فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى رواية عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة باتباعها حتى اتى على موسى فى كبكبة من بنى اسرائيل اى فى جماعة منهم فلما رأيتهم اعجبونى فقلت اى رب من هؤلاء قيل هذا اخوك موسى ومن معه من بنى اسرائيل فقلت فاين امتى قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال وهو جمع ظرب ككتف وهو ما نتأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط او الصغير كما فى القاموس قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين

فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب وان عجزتم فكونوا من الافق فانى قدرأيت ثمة اناسا يتهاوشون كثيرا يعنى اكرعاجزايد يس باشيدازاهل افق كه من ديدم انجا مردم بسيار مختلط بودند قال فى القاموس الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهويشة الجماعة المختلطة والهواشات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش فى الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهايشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم خالطهم وروى انه قال صلى الله عليه وسلم انى لارجوان تكونوا شطر اهل الجنة ثم ثلاثة من الاولين وثلة من الآخرين يقول الفقير الذى يتحصل من هذا ان الابرار كثير من هذه الامة فى اوآ ئلها واواخرها وكذا من الامم السابقة واما السابقون فكثير من هذه الامة فى اوآ ئلها دون اواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصرى رحمه الله حيث قال رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء اشد منكم فرحا بالرخاء لورأيتموهم قلتم مجانين ولورأوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولورأوا اشراركم حكموا بانهم لايؤمنون بيوم الحساب ان عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم انتهى واما السابقون من الامم السالفة فان انضم اليهم الانبياء فهم اكثر من سابق هذه الامة والافلا كما حققناه سابقا وذلك ان زهاد الامم وان كانوا اكثر من زهاد هذه الامة لكنهم لعدم استقرار اكثرهم على اليقين قلوا واما هذه الامة فمن قلتهم بالنسبة اليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد فى بعض الاخبار (واصحاب الشمال) شروع فى تفصيل احوالهم وهم الكفار لقوله تعالى والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة (ما اصحاب الشمال) اى لاتدرى مالهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة (فى سموم) اى هم فى حر نار تنفذ فى المسام وهى ثقب البدن وتحرق الاجساد والاكباد قال فى القاموس السموم الريح الحارة تكون غالبا فى النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (وحميم) وهو الماء المتناهى فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود بهيم فان اليحموم الدخان والاسود من كل شئ كما فى القاموس يفعول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب اسود يحموم اذا كان شديد السواد قال الفحالة النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها اسود ولذا لايكون فى الجنة الاسود الا الخال واشفار العين والحاجب يقول الفقير فيه تحذير عن شرب الدخان الشائع فى هذه الاعصار فانه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع مالشربه من الغوآئل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلى به اذهو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف فى التفاسير (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) ولانافع من اذى الحر لمن يأوى اليه نفى بذلك مااوهم الظل من الاسترواح يعنى انه سماه ظلا ثم نفى عنه وصفية البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل والكرم صفة لكل مايرضى ويجرى فى بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع اذى الحر وان لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كمن فى البيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهوآء فان من يأوى اليها يتخلص بها عن اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لايستأهلون للظل البارد والكريم الذى هو لاضدادهم فى الجنة (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بماذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم واترفته النعمة اطغته وانعمته وقلان اصر على البغى والمترف كمكرم المترول يصنع مايشاء فلا يمنع كما فى القاموس اى انهم كانوا قبل ماذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلاجرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) اى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برفيها وقال بعضهم الحنث هنا الكذب لانهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لايبعث الله من يموت يقول الفقير يدل على هذا ما يأتى من قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون والحكمة فى ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر فى اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لاتستوجبه طاعة مطيع وشكر شاكر وان العقاب منه تعالى عدل فاذا لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما وفى الآية اشارة الى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل مافيه برد اليقين كسائر الظلال ولايسكن حرارة عطشهم

من طلب الدنيا واذاتها وما فيه كرم الهمة ايضا حتى يعينهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لا يزالون يطلبون من الدنيا ما ليس فيها من الاستراحة والاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين يعني ما كان استغلالهم بشجرة الجهل المركب التي ليس فيها برد اليقين ولا كرم الهمة الا بسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات واللذات قبل دخولهم في الوجود العيني وايضا كان استغلالهم بشجرة الجهل لانهم كانوا في محبة النفس والدنيا متمكنين في الازل اذ الحب العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم (حب الدنيا رأس كل خطيئة * مر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلة ديگر است * برمرد هشيار دنيا خست * كه هر مدتى باى ديگر كست (وكانوا) مع شركهم (يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا) آياوقتى كه بميريم (وكنا ترابا وعظاما) اى كان بعض اجزآء تنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما تخمرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزآء البادية واذا محضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لانفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للانكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكارهم به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة (أو آباؤنا الاولون) الواو للعطف على المستكن في المبعوثون يعني آيا مادران وپدران پيشين ما نيز مبعوث شوند (قل) رد الانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين والآخرين) من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وبالفارسية بدرستى كه پيشينيان ازاباء شما وغير آن وپيشينيان ازشما وغير شما وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي (لمجموعون) بعد الموت وكانه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بالى ولذا قال (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المضروب المبين للشئ ينتهي عنده او يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهي الدنيا عنده واول جزء منه فالميقات الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الاحرام للحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم) الخطاب لاهل مكة واضرابهم عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة (ايها الضالون) عن الحق والهدى (المكذبون) اى البعث (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدئون الاكل من شجر هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم عار في اللمس منتن في الرائحة وهي الشجرة الملعونة في القرآن قال اهل الحقيقة سدرة المنتهى اغصانها نعيم لاهل الجنة واصولها زقوم لاهل النار فهي مبدأ اللطف والقهر والجمال والجلال (فمالئون) پس پر كنندگان باشيد يقال ملأ الاناء فهو مملوء من باب قطع والملئ بالكسر مقدار ما يأخذه الاناء اذا امتلأ (منها) اى من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى (البطون) اى بطونكم من شدة الجوع او بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله اى لا يكتفي منكم بنفس الاكل كما يكتفي من يأكل الشئ تحلة القسم بل تلزمون بان تملأ وامنها البطون اى بملأ كل واحد منكم بطنه او بطون الاعداء والاول اظهر والثاني ادخل في التعذيب (فشاربون عليه) اى على شجر الزقوم اى عقيب ذلك بلا ريث لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ (من الحميم) اى الماء الحار في الغاية (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى الى ان تموت او تسقم سقما شديدا جمع اهيم وهيماء فاعل هيم كاحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الابل العطاش وفيه بيان لزيادة العذاب ايضا اى لا يكون شربكم ايها الضالون كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده

مؤلفا

مؤلما معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون بان تشربوا منه مثل ما يشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى وفى الآية اشارة الى افراط النفس والهوى فى شرب ماء حميم الجهل والضلال وفى اكل زقوم المشتهيات المورثة للوبال ولغاية حرصها لا تزيد الا جوعا وعطشا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب * كجا ذكر كنجد در انبان آز * بسختى نفس ميكند پادراز (هذا) الذى ذكر من الزقوم والحميم اول ما يلقونه من العذاب (نزلهم) اى رزقهم المعد لهم اى كالنزل الذى يعد للنازل مما حضر مكرمة له (يوم الدين) اى يوم الجزآء فاذا كان ذلك نزلهم فما ظنك بحالهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم ما لا يخفى كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان ما يعد لهم فى جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) اى فهلا تصدقون ايها الكفرة بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شئ او بالبعث فان من قدر على الابدآء قدر على الاعادة اعلم ان الله تعالى اذا اخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به الى ذاته وصفاته واسمائه كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما قال انا انزلناه واذا اخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير الى ذاته المطلقة كما قال انى انا الله رب العالمين هذا اذا كان القائل المخبر هو الله تعالى واما اذا كان العبد فينبغى ان يقول انت يا رب لا انتم لايهامه الشرك المنافى لتوحيد القائل ولذا يقال اشهد ان لا اله الا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده ويظهر تصديقه (أفرأيتم ما تمنون) اى تقذفونه وتصبونه فى ارحام النساء من النطف التى يكون منها الولد فقوله أفرأيتم بمعنى اخبرونى وما تمنون مفعوله الاول والجملة الاستفهامية مفعوله الثانى يقال امنى الرجل يمنى لا غير ومنيت الشئ امنيه اذا قضيته وسمى المنى منيا لان الخلق منه يقضى (أءنتم تخلقونه) اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا فى بطون النساء ذكرا او انثى (ام نحن الخالقون) له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة وفيه اشارة الى معنى ان وقوع نطف الاعمال والافعال وموادها فى ارحام قلوبكم ونفوسكم بخلقى وارادتى لا بخلقكم وارادتكم ففيه تخصيص مواد الخواطر المقتضية للافعال والاعمال والاقوال الى نفسه وقدرته وسلبها عن الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فمنهم من يموت صغيرا ومنهم من يموت كبيرا يقول الفقير قيل لى فى بعض الاسحار فاصبر ولا يكون الا ما قدر الله تعالى فمرضت بعد ايام ابنتى امة الله حتى ماتت جعلها الله فرطا وذخرا وشافعة ومشفعة وقد ثبت ان ابراهيم عليه السلام تعلق باسمعيل فابتلى بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلى بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضى بها (وما نحن بمسبوقين) اى انا قادرون (على ان نبدل) منكم (امثالكم) لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم باشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا اى غلبته عليه وغلب فلان فلانا على الشئ اذا اخذه منه بالغلبة (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والاطوار لا تعهدون بمثلها وقال الحسن البصرى رحمه الله اى نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم اذ لم تؤمنوا برسلنا يعنى لسنا عاجزين عن خلق امثالكم بدلا منكم ومسخكم من صوركم الى غيرها ويحتمل ان الآية تنحو الى الوعيد فالمراد اما انشاؤهم فى خلق لا يعلمونها او صفات لا يعلمونها يعنى كيفيات من الالوان والاشكال وغيرها وفى الحديث (ان اهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد) وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهرا لصفات غير صفاتهم التى هم عليها اذ توارد الصفات المختلفة المتباينة على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال الا ترى الى الجوهر الواحد فانه يصير تارة فضة واخرى ذهبا بطرح الاكسير (ولقد علمتم النشأة) اى الخلقة (الاولى) هى خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم من التراب (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزآء وسبق المثال * آنكه ما را ز خلوت نابود * مى كشد تا بجلوه كاه وجود * بار ديكر كه از سموم هلاك * روى پوشيم زير پردهٔ خاك * هم تواند

بامر كن فيكون * كارداز كوشهٔ لحد بيرون * وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وفى الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ما كان من قبيل العلم فهو صحيح (وفى المثنوى) مجتهد هركه كه باشد نص شناس * اندر آن صورت نينديشد قياس * چون نيايد نص اندر صورتى * از قياس آنجا نمايد عبرتى * اين قياسات وتحرى روز ابر * تا بشب مر قبله را كردست حبر * ليك با خرشيد وكعبه پيش رو * اين قياس واين تحرى را مجو * ومنه يعلم بطلان قياس ابليس فانه قياس على خلاف الامر عند وروده (كما قال فى المثنوى) اول آنكس كين قياسكها نمود * پيش انوار خدا ابليس بود * كفت نار از خاك بى شك بهتر است * من ز نار واو ز خاك اكدر است * پس قياس فرع بر اصلش كنيم * او ز ظلمت ما ز نور روشنيم * كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل را محراب شد * وفيه اشارة الى انا اذا قدرنا على انشاء النشأة الاولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر الا ترى الى محرومى البداية مرزوقى النهاية مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله اسرارهم فان الله تعالى انشأهم نشأة اخرى ولو بعد حين (أفرأيتم) اخبرونى وبالفارسية اخبار كنيد (ما تحرثون) اى تبذرونه من الحب وتعملون فى ارضه بالسقى ونحوه والحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع (ءانتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يربو وينمو الى ان يبلغ الغاية (ام نحن الزارعون) اى المنبتون لا انتم والزرع الانبات وحقيقة ذلك يكون بالامور الالهية دون البشرية ولذا نسب الحرث اليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه الى نفسه وفى الحديث (لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله) والحاصل ان الحرث فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فى الحرث والزرع خالص فعل الله فان انبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد اصلا واذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للاسباب التى هى سبب الزرع والانبات وفى الاسئلة المفحمة الاصح ان الحرث والزرع واحد كقوله تعالى ولا تسقى الحرث فهلا اضاف الحرث الى نفسه ايضا والجواب ان اضافة الحرث الينا اضافة الاكتساب واضافته الى نفسه اضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى وما رميت اذ رميت قال الحليمى يستحب لكل من القى فى الارض بذرا ان يقرأ بعد الاستعاذة أفرأيتم الى قوله بل نحن محرومون ثم يقول الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفى الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال فان من قدر على الانبات قدر على الاعادة فكما انه ينبت الحب فى الارض وينبت بذر النطفة فى الرحم فكذا ينبت من حب عجب الذنب فى القبر فان كلها حب وذلك لان بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شئ كخردلة كما اسلفناه (لو نشاء) لو للمضى وان دخل على المضارع ولذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم اى لو اردنا (لجعلناه) اى الزرع بمعنى المزروع (حطاما) الحطم كسر الشئ مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناهى والمعنى هشيما اى يابسا متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله وجمعها (فظلتم) اى فصرتم بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما فعلتم فيه من الاجتهاد وانفقتم عليه او تندمون على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون بالنون والتفكن التعجب والتفكر والتندم ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون اى يتندمون والحمة العين الحارة من الحميم وهو الماء الحار يستشفى به الاعلاء والمرضى (انا لمغرمون) حال من فاعل تفكهون اى قائلين انا لملزمون غرامة ما انفقنا والغرامة ان يلزم الانسان ما ليس فى ذمته وعليه كما فى المغرب او مهلكون بهلاك رزقنا او بشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون اى ممنوعون من الحد وهو المنع لا حظ لنا ولا جد ولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا روى عن انس

ابن مالك رضى الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال افلا تفعلون فان الله تعالى يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام افرأيتم ما تحرثون الآية ففى الحديث اشارة الى ان الله تعالى هو الذى يعطى و يمنع باسباب و بغيرها فالتوحيد هو ان يعتقد ان التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فانه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفى الحديث ما سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والبحار وفى الحديث (دم على الطهارة يوسع عليك الرزق) فاذا كان توسيع الرزق فى الطهارة فتضييقه فى خلافها والرزق ظاهر وباطن وكذا الطهارة والنجاسة فلابد لطالب الرزق مطلقا ان يكون على طهارة مطلقة دائما فان قلت فما حال اكثر السلف فانهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة قلت كان السلف فى الرزق المعنوى اكثر من الخلف وهو المقصود الاصلى من الرزق وانما كانوا فقراء فى الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقى كما قال عليه السلام اللهم اغنى بالافتقار اليك فمنعوا عن الغنى الصورى تطبيقا لكل من الظاهر والباطن بالآخر فهم اغنى الاغنياء فى صورة الفقراء وما عداهم ممن ليس على صفتهم افقر الفقراء فى صورة الاغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه (وفى المثنوى) فهم نان كردى نه حكمت اى رهى * زانكه حق كفتت كلوا من رزقه * رزق حق حكمت بوددر مرتبت * كان كلوكيرت نباشد عاقبت * اى دهان بستى دهانى بازشد * كه خورنده لقمهاء رازشد * كرزشير ديوتن را پروى * درفطام اوبسى نعمت خورى (افرأيتم) خبر نمايد (الماء الذى تشربون) عذبا فراتا و تخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به (ءانتم انزلتموه من المزن) اى من السحاب و احده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) له بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وان كانت بمعنى الابصار او المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا زعافا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ماذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه واطاعة امره او فلولا تشكرون على ان جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان تحت العرش بحرا تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا و يوحى الى السماء ان غربيله فتغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن وقال بعض الحكماء ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض قال بعضهم هو داخل فى القدرة لان ماء البحر مر فيصعد ملحا و ينزل عذبا وفى الآية اشارة الى ان بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا انهار جارية فلا يشرب اهلها الا من المطر فى المصانع فمنها القدس الشريف و ينبع و جدة المحروسة ونحوها وللماء العذب مزيد فضل فى هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء المعرفة والعلم الالهى فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجارى من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلابد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم واعلم ان من حفر بئرا فاما ان يصل الى الماء اولا فان وصل فاما ان يكون ذلك الماء ملحا او عذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا اسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الانبياء والاولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ فى الوحى والالهام اصلا ولذا نقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى محتاج الى ذلك ولابد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل وروده الا ترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الارض والقاء البذر

ولا يدرى متى ينزل المطر فاذا نزل اصاب محزه ثم اعلم ان الروح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة فى الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح اى روح كان سبب للحياة مطلقا فينبغى تلقى التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما ان النبى عليه السلام كشف رأسه وهيأ محل نزول المطر وذلك لان المطر ينزل من العلو فيلقى على اعلى شئ فى الانسان وهو الرأس (أفرأيتم النار التى تورون) الايراء آتش ازآتش زنه بيرون كردن اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال طاقت طروقة الفحل بلغت ان يضربها الفحل لان الطرق الضرب (أأنتم انشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار كما مر فى صورة يس (ام نحن المنشئون) لها بقدرتنا (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها اى جعلنا نار الزناد تذكيرا لنار جهنم من حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وموعظة وانموذجا من جهنم لما روى عن النبى عليه السلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم) وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشئ الرطب وفى عين الماء وهو حجة على منكرى عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره (ومتاعا) ومنفعة وبلغة لان حمل النار يشق (للمقوين) للذين ينزلون القوآء بالفتح وهو القفر الخالى عن الماء والكلأ والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها لهرب منها السباع ويصطلوا من البرد ويجففوا ثيابهم ويصلحوا طعامهم فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القوآء كاصحر اذا دخل فى الصحرآء وفى الحديث (قال النبى عليه السلام لجبريل ما لى لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار) وعن انس رضى الله عنه يرفعه ان ادنى اهل النار عذابا الذى يجعل له نعلان يغلى منهما دماغه فى رأسه وفيه بيان شدة نار جهنم وانها ليست كنار الدنيا وقانا الله واياكم منها وفى الآية اشارة الى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب فى حراقة قلب المحب الصادق فى سلوك طريق الحق وشجرتها هى العناية الالهية السرمدية يدل على هذا التأويل قول العارف ابى الحسين المنصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة هى العناية الالهية السرمدية لولاها ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان نحن جعلناها تذكرة لارباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها الى سلوك طريق الحق ومتاعا للمقوين اى غذآء لارواح المحبين الطاوين اياما واليالى من الطعام والشراب كما حكى عن سهل التسترى رحمه الله انه كان يطوى ثلاثين يوما وعن ابى عقيل المغربى قدس سره انه ما اكل سنتين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وانما رفع ادريس عليه السلام الى السماء الرابعة لمبالغته فى التجريد والترويح حتى ان الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الافلاك وترقى الى عالم القدس وقد اقام ستة عشر عاما لم ينم ولم يطعم شيأ ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلا مجردا من كثرة الرياضة ورفع الى اعلى الامكنة وهو المكان الذى يدور عليه رحى عالم الافلاك وهو فلك الشمس ثم ان نار المحبة اشد النيران قال الجنيد قدس سره قالت النار يارب لو لم اطعك هل كنت تعذبنى بشئ هو اشد منى قال نعم كنت اسلط عليك نارى الكبرى قالت هل نار اعظم منى قال نعم نار محبتى اسكنها قلوب اوليائى المؤمنين كما فى فتح القريب * مهر جانان آتش است عشاق را * محبت سوزد هستى مشتاق را (فسبح باسم ربك العظيم) لم يقل فسبح ربك لان سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى على اضمار المضاف شكرا على تلك النعم وان جحدها الجاحدون او بذكره على المجاز فان اطلاق الاسم للشئ ذكره والباء للاستعانة او الملابسة والمراد ذكر به هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم او الرب قال ابن عطاء رحمه الله سبحه ان الله اعظم من أن يلحقه تسبيحك او يحتاج الى شئ منك لكنه شرف عبيده بان امرهم ان يسبحوه ليطهروا انفسهم بما ينزهونه به (فلا اقسم) اى فاقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وما قيل ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم خصوصا الى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به

وتفخيم شأن المقسم به (بمواقع النجوم) اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير اولان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وقيل النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعتدهم ومواقعهم القبور وقيل غير ذلك (وانه) اى القسم بالمذكور (لقسم لو تعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وغزارة الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى بغير كتاب قوله لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك اريد به نفى علمهم او محذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه او لعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين فى الامرين وعظيم صفة قسم وهذه الجملة ايضا اعتراض بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) هو المقسم عليه اى لكتاب كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد على ان يستعار الكرم لما يقوم به الكرم من ذوى العقول الى غيرهم او حسن مرضى فى جنسه من الكتب او كريم عند الله وقال بعضهم كريم لانه يدل على مكارم الاخلاق ومعالى الامور وشرائف الافعال وقيل كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام الى اكرم الخلق (فى كتاب مكنون) اى مصون عن غير المقربين من الملائكة اى لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح المحفوظ (لا يمسه الا المطهرون) اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث مطلقا فيكون نفيا بمعنى النهى اى لا ينبغى ان يمسه الا من كان على طهارة من الادناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اى لا ينبغى له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وفى الفقه لا يجوز لمحدث بالحدث الاصغر وهو ما يوجب الوضوء مس المصحف الا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لان مسه ليس مس القرآن حقيقة لانه المتصل فى الصحيح وهو الجلد المشرز لانه من المصحف بمعنى تبع له حتى يدخل فى بيعه بلا ذكر وهذا اقرب الى التعظيم وكره المس بالكم لانه تابع للعامل فلا يكون حائلا ولهذا الحلف لا يجلس على الارض فجلس وذيله بينه وبين الارض حنث وانما منع الاصغر عن مس المصحف دون تلاوته لانه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله فى الوضوء والجنابة كانت حالة كليهما ولا يرد العين لان الجنب حل نظره الى المصحف بلا قرآءة وكذا لا يجوز لمحدث مس درهم فيه سورة الا بصرته ولا لجنب دخول المسجد الا لضرورة فان احتاج الى الدخول تيمم ودخل لانه طهارة عند عدم الماء ولا قرآءة القرآن ولو دون آية لان ما دونها شئ من القرآن ايضا على وجه الدعاء او الثناء كالبسملة والحمدلة وفى الاشباه لو قرأ الفاتحة فى صلاته على الجنازة ان قصد الثناء والدعاء لم يكره وان قصد التلاوة كره وفيه اشارة الى ان حكم القرآءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء والحائض والنفساء كالجنب فى الاحكام المذكورة ويدفع المصحف الى الصبى اذ فى الامر بالوضوء حرج بهم وفى المنع تضييع حفظ القرآن اذ الحفظ فى الصغر كالنقش فى الحجر وفى الاشباه ويمنع الصبى من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفى كشف الاسرار واما الصبيان فلاصحابنا فيهم وجهان احدهما انهم يمنعون منه كالبالغين والثانى انهم لا يمنعون لمعنيين احدهما ان الصبى لو منع ذلك ادى الى ان لا يتعلم القرآن ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه حال الصغر والثانى ان الصبى وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير طهر كامل جاز ان يحمله محدثا ودر انوار مذكور ست كه جنب وحائض را بقول ابى يوسف جائز ست كتابت قرآن وقتى كه لوح بر زمين بود نه بر كار وبزد محمد بهيچ وجه روا نيست ومحمد ابن فضل رحمه الله فرموده كه مراد از بن طهارت توحيد ست يعنى بايد كه از غير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضى الله عنه نهى ميكرد از انكه يهود ونصارى را تعليم دهند از قرآءت قرآن وقال بعضهم يجوز للمؤمن تعليم القرآن للكافر رجاء هدايته الى الاسلام ومحققان گفته اند مراد از مس اعتقاد ست يعنى معتقد نباشد قرآن را كرباكيزه دلان كه مؤمنانند وبا تفسير وتأويل آن

ندانند الا آنها كه سر ايشان پاك باشد از ماسوى الله * جمال حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد * كه دار الملك معنى را مجرد بيند از غوغا * ودر بحر الحقائق فرموده كه مكاشف نشود باسرار قرآن مگر كسى كه پاكيزه گردد از لوث توهم غير و برسد بمقام شهود حق در مرآى خلق واين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود در مشهود * چون تجلى گردد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث را كليم * وتحقيقه ان الهاء اشارة الى الهوية الالهية فانه لا يمس سرها الا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهى التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لابد له من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وانما يطهره الله ويزكيه فاذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرءآن ولذا قال بعض الكبرآء ان القرءآن بكر اى بالنسبة الى علماء الظاهر والرسم فان الذى فهموه من القرءآن انما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وانما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لان الله تعالى قال واتقوا الله ويعلمكم الله فهم اهل التقوى الحقيقى ولذا علمهم الله مالم يعلم احدا من العالمين وان كان القرءآن لا تنقضى عجائبه وقس عليه الحديث فان مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لا يفهمه الا اهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الاعراب والمفهوم الظاهرى من غير ان يتعرضوا لحقائقه فاين شرح النووى والكرمانى وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوى ونحوه رضى الله عنهم (تنزيل من رب العالمين) صفة اخرى للقرءآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعنى ان التنزيل بمعنى المنزل سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرءآن الكريم وسماه حديثا لان فيه ذكر حوادث الامور كما فى كشف الاسرار وهو متعلق بقوله مدهنون وجاز تقديمه على المبتدأ لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل افانتم مدهنون بهذا الحديث (انتم) يا اهل مكة (مدهنون) الادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى متهاونون به ومستحقرون كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وفى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن وغسل كردن قال فى الاحياء الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ابو الدردآء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو منع شر من يخاف شره (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق فى الاصل مصدر سمى به ما يرزق والمراد نعمة القرءآن (انكم تكذبون) اى تصنعون التكذيب لرازقه موضع الشكر او تجعلون شكر رزقكم الصورى انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانوآء وكان عليه السلام يقول لو حبس الله القطر عن امتى عشر سنين ثم انزل لاصبحت طائفة منهم يقولون سقينا بنوء كذا وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتى حيف الائمة والتكذيب بالقدر والايمان بالنجوم وروى انه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب وفى الحديث (ثلاث من امر الجاهلية الطعن فى الانساب والنياحة والانوآء) فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والانوآء جمع نوء المنازل الثمانية والعشرين للقمر والعرب كانت تعتقد ان الامطار والخير كله يجيء منها وفى حواشى ابن الشيخ فى سورة الفرقان الانوآء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها انتهى وفى القاموس النوء النجم مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق انتهى فظهر ان التأثير من الله تعالى فى الاشياء فيجب على المؤمن ان يعتقده منه تعالى لا من الافلاك والنجوم والدهر ونحوها وفى هدية المهديين لو صاحت الهامة او طير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر

عند بعضهم وقيل لا ولو قال عند صياح الطير غله كران مى خواهد شد فقد اختلف المشايخ فى كفره وجه الكفر ظاهر لانه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون باصوات بعض الطيور كالهامة والبوم (كما قال الشيخ سعدى) بلبلا مژدهٔ بهار بيار * خبرى بد ببوم باز كذار * فان يكن هناك اعتقاد التأثير منها فذلك كفر والا فمجرد التشاؤم لا يوجب الكفر خصوصا اذا كان القول بطريق الاستدلال من الامارات والاليق بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الالهية فان لله فى كل شئ حكمة لا القطع على المقدورات والجزم فيما لا يبلغ علمه كنهه فان الله يحيى ويميت ويوقظ وينيم باسباب وبغيرها (فلولا) پس چرا (اذا بلغت الحلقوم) لولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية والحلقوم مجرى الطعام وفى كشف الاسرار مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام اى فهلا اذا بلغت النفس اى الروح او نفس احدكم وروحه الحلقوم وتداعت الى الخروج وهو كناية عن غير مذكور وفى الحديث (ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيأ فشيأ حتى ينتهى بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (وانتم) الواو للحال من فاعل بلغت اى والحال انتم ايها الحاضرون حول صاحبها (حينئذ) آن هنكام (تنظرون) الى ما هو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة على انجائه من المهالك (ونحن اقرب اليه) اى الى المحتضر علما وقدرة وتصرفا قال بعضهم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع (منكم) حيث لا تعرفون حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت الذين يقبضون روحه (ولكن لا تبصرون) لا تدركون كنه ما يجرى عليه لجهلكم بشؤوننا فقوله لا تبصرون من البصيرة لا من البصر والاقرب تفسيره بقوله لا تدركون كوننا اعلم به منكم كما فى حواشى سعدى المفتى قال البقلى رحمه الله قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالاحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفى عن ذاته وصفاته ولكن يتجلى لقلوب من عين العظمة لاذابتها برؤية القهر ولقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لا يبصره الا اهل القرب وشواهده ظاهرة لاهل المعرفة وفى الخطاب تحذير وترهيب (فلولا) بمعنى هلا (ان كنتم غير مدينين) اى غير مربوبين مملوكين اذلاء من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم وفى المفردات اى غير مجزيين فان الدين الجزآء ايضا وهو ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما (ترجعونها) اى النفس الى مقرها وتردون روح ميتكم الى بدنه من الرجع وهو الرد وهو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم (ان كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم اى فاذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لا من اعتراض الشرط اذ لا معنى له هنا (فاما ان كان من المقربين) هو قرب درجاتهم من العرش لا من الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان المتوفى من المقربين وهم اجل الازواج الثلاثة (فروح) اى فله استراحة وقرئ بضم الرآء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم فاطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدآئمة التى لا موت فيها قال بعضهم الروح يعبر به عن معانى فالروح روح الاجسام الذى يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبرآئيل لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب وعيسى روح الله لانه كان من نفخ جبرآئيل واضيف الى الله تعظيما وكلام الله روح لانه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى وايدهم بروح منه اى برحمة والروح الرزق لانه حياة الاجساد وفى القاموس الروح بالضم ما به حياة الانفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح ومكان روحانى طيب والروحانى بالضم ما فيه الروح وفى كتاب الملل والنحل الروحانى بالرفع من الروح والروحانى بالنصب من الروح والروح والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى (وريحان) ورزق او هو ما يشم وعن ابى العالية لا يفارق احد

من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال الزجاج الريحان ههنا الغنية لاهل الجنة يكى از بزركان دين گفته است كه روح وريحان هم در دنياست هم در عقبى روح در دنياست وريحان در عقبى روح آنست كه دل بندهٔ مؤمن را بنظر خويش بيارايد تا حق از باطل واشنا سد انكه بعلم فراخ كند تا قدرت دوان جاى يابد آنكه بينا كند تا بنور معرفت مى بيند شنوا كند تا پند ازلى مى شنود بالك كند تا همه صحبت اوجويد بذيعطر وصال خوش كند تا دران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تا از وبار ديكر بصيقل عنايت بزدايد تا دوهر چه نكرد او رايند بنده چون بدين صفت بسراى سعادت رود آنجا ريحان كرامت بيند نسيم انس از باغ قدس دميده زيردرخت وجود تخت رضا نهاده بساط انس گسترده شمع عطف افروخته وبرفلك نشسته ودوست ازلى برده بركرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذوالجلال نموده (وجنة نعيم) اى ذات نعم قال الاضافة لادنى الملابسة (وقال الكاشفى) بوستان پرنعمت قال بعض اهل الحقيقة فلهروح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الانس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس اولروح النظر الى وجه الجبار والريحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هوان لايحجب العبد فيها عن مولاه اذا قصد زيارته وللمقربين ذلك فى دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره وقال بعضهم الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين او فله روح الشهود الذاتى وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول اليها والدخول فيها يقول الفقير الروح للنفوس والاجساد لانها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وان كان اهل الله على نشاط دائم فى باب الخدمة لان التعب يرتفع بالوصول الى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولا نفس ولا طبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والارواح ولذا حبب الى النبى عليه السلام الطيب لانه يوجد فيه ذوق الانس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لانه يشم كما يشم المشموم وانه من تنزلات ايه كما ان القلوب من تنزلات الارواح والارواح من تنزلات الاسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وانما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عم اويس القرنى وكان حينئذ قطب الابدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه ايضا روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للاسرار وهى الجنة المضافة الى الله تعالى فى قوله وادخلى جنتى وعند دخولهم هذه الجنة لايراهم احد ابدا العلو طبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم احد لا فى الدنيا ولا فى العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول (واما ان كان من اصحاب اليمين) عبر عن السابقين بالمقربين لكونه اجل اوصافهم وعبر عن اصحاب اليمين بالعنوان السابق اذلم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب (فسلام لك) ياصاحب اليمين (من اصحاب اليمين) من اخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام اشارة له انه من اهل الجنة قال فى الارشاد هذا اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية لانشاء سلام بعضهم على بعض والالقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف قال سهل رحمه الله اصحاب اليمين هم الموحدون اى العاقبة لهم بالسلامة لانهم امناء الله قد ادوا الامانة يعنى امره ونهيه لم يحدثوا شيأ من المعاصى والزلات قد امنوا الخوف والهول الذى ينال غيرهم وحقيقته ان المقربين اصحاب الشهود الذاتى واصحاب اليمين اصحاب الشهود الاسمائى والصفاتى فلهم السلامة من اسمه السلام على لسان اخوانه الاسمائية نسأل الله لنا ولكم السلامة والنجاة والانس والحضور والشهود فى اعلى المقامات والدرجات (واما ان كان من المكذبين الضالين) وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى (فنزل) اى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مر او راست پيشكش در قبر از اب كرم كرده در دوزخ يا دود آتش دوزخ (وتصلية جحيم) اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها يقال اصليته النار وصلاه اى جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الى المفعول (ان هذا) اى الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة (لهو الحق اليقين) اى حق الخبر اليقين فهو من قبيل

اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين اى الحق الثابت الذى لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال ابو الليث اى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذى يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب ان يكون الخبر ايضا كذلك والتقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به اى الثابت منه على ان الاضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول فى امر تؤكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انها نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشئ الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك فى العطف وفى شرح النصوص بالنون العلم اليقينى هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الادراك باحدية جمعك اى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك اى يدركها بها ادراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الامور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذى قد وسعه كما اخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء واما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وبادآء السنن والفرآئض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى وقال ابن عطاء رحمه الله ان هذا القرءآن لحق ثابت فى صدور الموقنين واهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق فى قلوب المحققين واليقين ما استقر فى قلوب اوليائه وقد قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * بيقين آنچنانكه مى بايد * كر حجاب از ميانه بركيرند * آن يقين ذرة نيفزايد يعنى اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله را معاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چو عين اليقين منست در فردا وقال عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا نقول اهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الارشاد بخلاف اهل عين اليقين فانه قطب ارشاد وبخلاف اهل حق اليقين فانه قطب الاقطاب فالتجليات ثلاثة تجل علمى وتجل عينى وتجل حقى فالاول كعلم الكعبة علما ضروريا من غير رؤية والثانى مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرءآن اما المؤمن فايقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة واما الكافر فايقن يوم القيامة حين لا ينفعه (قال المولى الجامى) سيراب كن ز بحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين بر سراب ريب (فسبح) يا محمد (باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال ابو عثمان قدس سره فسبح شكرا لما وفقنا امتك اليه من التمسك بسنتك وفى فتح الرحمن هذه عبارة تقتضى الامر بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على امور الآخرة وعبادة الله والدعاء اليه روى انه لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكان عليه السلام يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقى فى التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السوآء لنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح فى الهبوط واختلف الائمة فى التسبيح المذكور فى الصلاة فقال احمد هو واجب تبطل

الصلاة بتركه عمدا ويسجد لتركه سهوا والواجب عنده مرة واحدة وادنى الكمال ثلاث وقال ابو حنيفة والشافعي هو سنة وقال مالك يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجبا فرضا والاسم هنا بمعنى الجنس اى باسماء ربك والعظيم صفة ربك درخبرست كه عثمان بن عفان رضى الله عنه عيادت كرد عبد الله بن مسعود را رضى الله عنه در بيمارى مرك كفت يا عبد الله اين ساعت از چه مى نالى كفت اشتكى ذنوبى يعنى بركناهان خود مى نالم عثمان كفت چه آرزوست ترا درين وقت كفت رحمة ربى يعنى آرزوى من آنست كه الله تعالى برمن رحمت كند و برضعف وعجز من ببخشايد عثمان كفت افلا ندعو الطبيب يعنى طبيب را خوانيم تا درد ترا مداوات كند كفت الطبيب امرضنى يعنى طبيب مرا بروز بيمارى افكند كفت خواهى تا ترا عطايى فرمايم كه ببعضى حاجتها خود صرف كنى كفت لا حاجة لى به يعنى وقتى مرا باين حاجت نيست وهيچ در بايست نيست كفت دستورى هست تا بدختران دهم ناچار ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بود به ازين من ايشانرا عطايى داده ام كفته ام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيد كه من از رسول خدا شنيدم كه عليه السلام من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا قال سعدى المفتى هو حديث صحيح وفى حديث آخر من داوم على قرآءة سورة الواقعة لم يفتقر ابدا قال ابن عطية فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لا فقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين قرآءة هذه السورة عند الشدة فى امر الرزق والخصاصة شئ وردت به الاخبار المأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة رضى الله عنهم حتى ابن مسعود رضى الله عنه حين عوتب فى امر ولده اذ لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة فان قلت ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لا تصح قلت مرادهم ان يرزقهم الله تعالى قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا فلا رياء انتهى كلامه وعن هلال بن يساف عن مسروق قال من اراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ اهل الجنة واهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى فى اوآئل صفر الخير من سنة خمس عشرة ومائة والف

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما فى السموات والارض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه بدأ الله بالمصدر فى الاسرآء لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر والصف لانه اسبق الزمانين ثم بالمستقبل فى الجمعة والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها ففيه تعليم لعباده استمرار وجود التسبيح منهم فى جميع الازمنة والاوقات والحاصل ان كلا من صيغتى الماضى والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولهما من الزمان المخصوص فاشعر باستمراره فى الازمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى وتكون مسبحة ابدا فى المستقبل وفى الحديث (افضل الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت) وسئل على رضى الله عنه عن سبحان فقال كلمة رضى الله لنفسه وسبح متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له فى نصحته وشكرته او للتعليل والفعل منزل منزلة اللازم اى فعل التسبيح واوقعه واحدثه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه والمراد بما فى السموات والارض جميع المخلوقات من حى وجماد وجاء بما تغليبا للاكثر مع ان اكثر العلماء على ان ما يعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله والاشياء كلها انما خلقت له سبحانه لتسبح بحمده واما انتفاء عتابها انما هو بحكم التبعية لا بالقصد الاول قال الحسن البصرى رحمه الله لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم فى البيوت ما تقاررتم ثم وقال بعضهم لا يصدر عن الحى الا حى ولو وجد من العالم موجود غير حى لكان غير مستند الى حقيقة الهية وذلك محال فالجماد ميت فى نظر المحجوب حى فى نفس الامر لا ميت لان حقيقة الموت مفارقة حى مدبر لحى مدبر والمدبر والمدبر حى والمفارقة نسبة عدمية

لا وجودية

لا وجودية فان النسان انما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار الى دار وليس من شرط الحي ان يحس لان الاحساس والحواس امر معقول زائد على كونه حيا وانما من شرط العلم وقد يحس وقد لا يحس وتأمل صاحب الاكلة اذا اكل ما يغيب به احساسه كيف يقطع عضوه ولا يحس به مع انه حي ليس بميت وقال بعضهم كل شئ في العالم يسبح الله بحمده الذي اطلعه الله على انه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلافهم الا الانسان خاصة فان بعضه يسبح بغير حمده ولا يقبل من الحق بعض ما اثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله ليس كمثله شئ ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما اضافه الى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده اي بالثناء الذي اثنى به الحق على نفسه وانزله على السنة رسله لا بما اوداه العقل فان الله تعالى قال في حق من سبح الحق بعقله سبحان ربك رب العزة عما يصفون اعلاما لنا انه ورآء كل ثناء واهل الله تعالى لا بد لهم في سلوكهم من سماع تسبيح كل شئ بلسان طلق لا لسان حال كما يعتقده بعضهم ثم ان الله تعالى من رحمته يأخذ اسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لانه لو اسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفي الحديث (ان كل شئ من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر الا الثقلين فثبت ان السموات والارض بجميع اجزآئهما وما فيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والانس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وادراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واعلم ان الله تعالى هو المسبح لسم مفعول في مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل في مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الامكانية ومن الكمالات الانسانية المختصة من حيث التقيد والتعين (وهو العزيز) بقدرته وسلطانه لا يمانعه ولا ينازعه شئ (الحكيم) بلطفه وتدبيره لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه اشعار بعلة الحكم فان العزة وهي الغلبة على كل شئ تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بان الموصوف بهما يكون منزها عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الامن كفرا لان فيه نسبة العجز الى الله تعالى وكذا اليأس لان فيه نسبة البخل الى الله الجواد (له ملك السموات والارض) اي التصرف الكلي ونفوذ الامر فيهما وما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلم وما لا نعلم يقول الفقير كيف اضاف الملك الى ما هو متناه وكمال ملكه تعالى غير متناه قلت ان للسموات والارض ظاهرا وهو ما كان حاضرا ومرئيا من عالم الملك وهو متناه لانه من قبيل الاجسام والصور وباطنا وهو ما كان غائبا غير محسوس من اسرارهما وحقائقهما وهو غير متناه لانه من عالم الملكوت والمعاني فاضافة الملك الى الله تعالى اضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين في الحقيقة الا ترى ان القرآن لا تنقضي عجائبه فهو بحر لا ساحل له من حيث اسراره ومن حيث ان المتكلم به هو الذي لا نهاية له وان كان اي القرآن متناهيا في الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقي لان ملك البشر مجاز كما سيتضح بيانا في هذه السورة (يحيي ويميت) استئناف مبين لبعض احكام الملك اي يحيي الموتى والنطف والبيض ويميت الاحياء ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشئ حيا وجعله ميتا وقد يستعاران للهداية والاضلال في نحو قوله اومن كان ميتا فاحييناه وهو يحيي القلوب بتجلي اسم المحيي ويميت النفوس بتجلي اسم المميت او يحيي النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحياة النفوس على طريق المغالبة وقال ابن عطاء رحمه الله هو مالك الكل وله الملك اجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيي من يشاء بالاقبال على الملك (وهو على كل شئ) من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة على مقتضى الحكمة والارادة (قدير) تام القدرة فان الصيغة للمبالغة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لانه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتي لا الزماني فان الزمان من جملة الحوادث ايضا (والآخر) الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية * اول او اول بي ابتدا * آخر او آخر بي انتها بود و نبود اين چه بلندست و پست * باشد واين نيز نباشد كه هست (والظاهر) وجودا لكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا يحوم العقل حول ادراك كنهه وليس يعرف الله الا الله وتلك الباطنية سواء في الدنيا والآخرة فاضمحل ما في الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه في الآخرة بالحاسة وذلك

فان كونه باطنا بكنه حقيقته لا ينافي كونه مرئيا في الآخرة من حيث صفاته (وهو بكل شئ عليم) لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفي فان عليم صيغة مبالغة تدل على انه تعالى تام العلم بكل شئ جليه وخفيه وفي هذا المقام معان اخر هو الاول الذي تبتدأ منه الاشياء والآخر الذي تنتهي اليه المسببات اي اذا نظرت الى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض رجعت الله مبدأ تلك السلسلة ومنتهاها تبتدئ منه سلسلة الاسباب وتنتهي اليه سلسلة المسببات واذا قابلوا الاعتماد على الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا شرك في توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا يتحرك هو في نفسه ايضا بل هو منزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر اي الغالب على كل شئ والباطن اي العالم بباطن كل شئ على ان يكون الظاهر من ظهر عليه اذا علاه وغلب والباطن من بطنه اذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشري لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال دخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته خادما فقال لها عليه السلام الا ادلك على ما هو خير لك من ذلك ان تقولي اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذ بك من شر كل ذي شر انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عني الدين واغنني من الفقر وعن الظاهر الغالب والباطن العالم بيواطن الاشياء يعني انه الغالب الذي يغلب كل شئ ولا يغلب عليه فيتصرف في المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه والعالم بيواطن الاشياء فهو الملجأ والمفزع يلتجئ اليه كل ملتجئ لا ملجأ ولا مفزع دونه اي غيره وقال الامام احتج كثير من العلماء في اثبات ان الاله واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هو الفرد السابق ولهذا لو قال احد اول مملوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وهيهنا لم يحصل فثبت ان الشرط في كونه اولا ان يكون فردا فكانت الآية دالة على ان صانع العالم واحد فردا وايضا هو الاول خارجا لانه موجد الكل والآخر ذهنا كما يدل عليه براهين اثبات الصانع او بحسب ترتيب سلوك العارفين فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو آخر ما يرتقي اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله فهو آخر بالاضافة الى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجي فانه المبتدأ اولا واليه المرجع آخرا وقال بعض الكمل هو الاول باعتبار بدء السير نزولا والآخر باعتبار ختم السير عروجا والظاهر بحسب النظر الى وجود الخلق والباطن بحسب النظر الى وجود الخلق وهذا ما قالوا ان ظاهر الحق باطن الخلق وباطن الخلق ظاهر الحق لان الهوية برزخ بينهما لا يبغيان وبالنظر الى الحق هوية الهية وبالنظر الى الخلق هوية كونية وهذا مرتبة قاب قوسين وفوقهما مرتبة اوادنى وتكلم يوما عند الشبلي رحمه الله في الصفات فقال اسكتوا فان ثمة متاهات لا يغرقها الاوهام فلا تحوم بها الافهام وكيف يمكن الكلام في صفات من تجتمع فيه الاضداد من قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن خاطبنا على قدر افهامنا وقال الراغب الاول هو الذي يترتب عليه غيره ويبتعمل على اوجه احدها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك اولا ثم منصور والثاني المتقدم بالرياسة في الشئ وكون غيره مجتذبا به نحو الامير اولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية اولا ثم فيد وهي قرية في البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد اولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعي نحو ان يقال الاساس اولا ثم البناء واذا قيل في صفة الله هو الاول فمعناه الذي لم يسبقه في الوجود شئ والى هذا يرجع قول من قال هو الذي لا يحتاج الى غيره ومن قال هو المستغني بنفسه والظاهر والباطن في صفة الله لا يقال مزدوجين كالاول والآخر فالظاهر قيل اشارة الى معرفتنا البديهية فان الفطرة تقضي في كل ما نظر اليه الانسان انه تعالى موجود كما قال تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ولذلك قال بعض الحكماء مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق في طلب ما هو معه والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية

وهي التي اشار اليها ابو بكر الصديق رضي الله عنه بقوله يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بانه محيط بالاشياء مدرك لها باطن في ان يحاط به كما قال لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقد روي عن امير المؤمنين ما دل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير ان رأوه وراهم نفسه من غير ان تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل واقد كما في المفردات وايضا هو الاول في عين آخريته والآخر في عين اوليته والظاهر في عين باطنيته والباطن في عين ظاهريته من حيثية واحدة و باعتبار واحد في آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتنافرة المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الربانى ابى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلاهو الاول والآخر والظاهر والباطن ولا يتصور الجمع بين الاضداد الا من حيثية واحدة واعتبار واحد في آن واحد وهو بكل شيء من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم اذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كما قال والله بكل شيء محيط كما في التأويلات النجمية وقال الواسطي رحمه الله لم يدع للخلق نفسا بعد ما اخبر عن نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وقال ايضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ بحائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السر من انواره وقال ايضا حظوظ الانبياء عليهم السلام مع تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو اوسطهم ومن فنى عنها بعد ما لابستها فهو الكامل التام وهي قوله هو الاول الخ وقال ايضا من البسمه الاولية فالتجلي له في الآخرية محال لانه لا يتجلى الا لمن فقده او كان بعيدا عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره نفي القدم عن كل اول باوليته ونفي البقاء عن كل آخر بآخريته واضطر الخلق الى الاقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدى هو الاول ببره اذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة عن ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا غضبته يستره عليك وقال ابن عمر رضي الله عنه هو الاول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة وايضا الاول بلا تأويل احد والآخر بلا تأخير احد والظاهر بلا اظهار احد والباطن بلا ابطان احد والاول القديم والآخر الرحيم والظاهر العليم والباطن العليم والاول يكشف احوال الدنيا حتى لا يرغبوا فيها والآخر يكشف احوال العقبى حتى لا يشكوا فيها والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب اعدائه حتى ينكروه والاول بالازلية والآخر بالابدية والظاهر بالاحدية و الباطن بالصمدية والاول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والاول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية صاحب كشف الاسرار فرموده كه زبان رحمت از روى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق در حق تو چهار كروه اند اول كروهى كه در اول حال ترا بكار آيند چون پدر و مادر دوم جمعى كه در آخر زندكانى دست كيرند چون اولاد و احفاد سوم زمرهٔ كه آشكارا با تو باشند چون دوستان و ياران چهارم فرقهٔ كه پنهان با تو معاش كنند چون زنان و كنيزان * رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد بر ينها مكن و كار ساز خود ايشانرا مپندار كه اول منم كه ترا از عدم بوجود آوردم آخر منم كه باز كشت تو بمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت تو بخوبتر وجهى بيارايستم باطن منم كه اسرار و حقايق در سينهٔ تو ودیعت نهادم * اول و آخر تو بى كيست حدوث و قدم * ظاهر و باطن تو بى چيست وجود و عدم * اول بى انتقال آخر بى ار تحال * ظاهر بى چند و چون باطن بى كيف و كم * ويقال هو الاول خالق الاولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لا يظهرون و قال الترمذى هو الاول بالتأليف والآخر بالتكليف و الظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والاول بالانعام والآخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقال بعض المحققين من اهل الاصول هذا مبالغة في نفي التشبيه لان كل من كان اولا لا يكون آخرا وكل من كان ظاهرا لا يكون باطنا فاخبر انه الاول الآخر الظاهر الباطن ليعلم انه لا يشبه شيأ من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين هو الاول اذ كان هو ولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام كان الله ولا شيء معه فهو متقدم عليها

وهذا التقدم هو المراد بالاولية وهو الآخر اذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الاول هذا باعتبار التنزل من الحق الى الخلق واما باعتبار الترقى من الخلق الى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الاول وقال الامام الغزالى رحمه الله لا تعجبن من هذا فى صفات الله فان المعنى الذى به الانسان انسان ظاهر باطن فانه ظاهر ان استدل عليه بافعاله المرئية المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشريته وليس الانسان انسانا ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر اجزآئه فهو هو والاجزآء متبدلة ولعل اجزآء كل انسان بعد كبره غير الاجزآء التى كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاغتذآء وهو يتم لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وافعالها وقال الزروقى الاول الآخر هو الذى لا مفتتح لوجوده ولا مختتم له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شئ منه بدا واليه يعود وانما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعى معناهما ومن عرف انه الاول غاب عن كل شئ به ومن عرف انه الآخر رجع بكل شئ اليه وخاصية الاول جمع الشمل فاذا واظب عليه المسافر فى كل يوم جمعة اجتمع شمله وخاصية الآخر صفاء الباطن عما سواه تعالى فاذا واظب عليه انسان فى كل يوم مائة مرة خرج من قلبه سوى الحق والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والاوهام فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما فى العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف انه الظاهر لم يستدل بشئ عليه ورجع بكل شئ اليه ومن عرف انه الباطن استدل بكل شئ عليه ورجع به اليه وخاصية الظاهر اظهار نور الولاية على قلب قارئه اذا قرأه عند الاشراق وخاصية الباطن وجود النفس لمن قرأه فى اليوم ثلاث مرات فى كل ساعة زمانية ومن قال بعد صلاة ركعتين خمسا واربعين مرة هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم حصل له ما طلبه ايا كان وقال بعض الكبار حقيقة الاول هو الذى افتتح وجوده عن عدم وهذا منتف فى حق الحق بلا شك فهو الاول لا باولية تحكم عليه ولاجل ذلك سمى نفسه الآخر ولو كانت اوليته مثل اولية الموجودات لم يصح ان يكون آخرا اذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات المقيدة فهو الآخر لا بآخرية تحكم عليه اذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتا وصفة وفعلا فى ذاته وصفاته وافعاله تعالى بظهور القيامة واما غير الحق فله اولية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام اول ما خلق الله العقل اى اول ما افتتح به من العدم الى الوجود العقل الذى هو نور محمد صلى الله عليه وسلم وله آخرية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام نحن الآخرون الاولون وفى رواية السابقون يعنى الآخرون فى الظهور من حيث النشأة العنصرية الجسمانية الاولون فى العلم الالهى من حيث الظهور فى النشأة الروحانية ومن صلى فى اول الوقت من حيث اولية الحق المنزهة عن ان يتقدمها اولية لشئ فهو المصلى الصلاة الاول وقتها فتنسحب عبادة هذا المصلى من هنالك الى وقت وجود هذا المصلى فمن بادر لاول هذا الوقت فقد سارع الخير بكلتى يديه وهو مشهد نفيس اشاروا فيه بتلك الاولية الى معنى اصطلحوا عليه لا الى ما يتبادر لذهن غيرهم كما فى كتاب الجواهر للشعرانى رحمه الله يقول الفقير عمل الشافعى رحمه الله بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله فصلى الفجر فى اول وقته وعمل ابو حنيفة رضى الله عنه بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وفى الاولية الآخرية و بالعكس ولكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد اشير الى ذلك فى بعض الامصار ان الكعبة وضعت عند الفجرة اى عند انفجار الصبح الصادق على ما بينت وجهه فى كتاب الواردات الحقية نسأل الله النور (هو الذى خلق السموات والارض) بقدرته الكاملة وحكمته البالغة (فى ستة ايام) من ايام الآخرة او من ايام الدنيا قال ابن عطية هو الاصوب اولها الاحد وآخرها الجمعة · تاملا تكه مشاهده كنند حدوث انهارا چيزى پس از چيزى وسنت تدريج وتأنى در هر كار حاصل آيد وكذا وقع الاختلاف فى الاربعين التى خمر الله فيها طينة آدم هل هى بايام الدنيا ام بايام الآخرة وفيه اشارة الى مراتب الصفات الست وهى الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر اى هو الذى تجلى للاشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست اذ تجلى الوجود لا يكون الا مع لوازمه ولواحقه كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده والتسبيح يستلزم الحياة وما يترتب عليها من العلم بالتسبيح و بالمسبح ومن القدرة على التسبيح والارادة بتخصيص المسبح ومن السمع اذ كل مسبح لا بد له من استماع تسبيحه

ومن البصر اذ لابد لكل مسبح ان يشاهد المسبح فى بعض مراتب الشهود كما فى التأويلات النجمية (ثم استوى) اى استولى (على العرش) المحيط بجميع الاجسام برحمانيته لان استوى متى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء واذا عدى بالى اقتضى معنى الانتهاء اليه اما بالذات او بالتدبير قال بعض الكبار هو محمول على التمثيل وقد سبق بيانه مرارا (قال الكاشفى) پس قصد كرد بتدبير عرش واجرآء امور متعلقه بدو بموفق ارادت وفى التأويلات النجمية يعنى استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الارضية الجسمانية ما تجلى لعرش استعداد شئ الا بحسب قابليته وقبوله لا زائد ولا ناقص (كما قال العارف) يكى موى ازين كم نبايد همى * وكر بيش باشد نشايد همى (يعلم مايلج فى الارض) كالكنوز والدفائن والموتى والبذور والغيث ينفذ فى موضع وينبع فى الآخر والولوج الدخول فى مضيق وفى المناسبات الدخول فى الساتر لجملة الداخل (ومايخرج منها) كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيامة وفى التأويلات النجمية يعنى يعلم بعلمه المحيط مايدخل فى ارض البشرية من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الاحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والالهامات الغيبية وزروع الاذواق والوجدانيات من التجليات الرحمانية والتنزلات الربانية لترتب الاعمال على النيات كما قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وقال ايضا لكل امرئ ما نوى اذ النية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الارض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم يعلم مايلج فى ارض قلب المؤمن من الاخلاص والتوحيد وفى ارض قلب الكافر من الشك والشرك ومايخرج منها بحسب حالهما (ومايَنزل من السماء) كالكتب والملائكة والاقضية والصواعق والامطار والثلوج (ومايعرج فيها) كالملائكة الذين يكتبون الاعمال والدعوات والاعمال والارواح السعيدة والابخرة والادخنة وقال بعضهم ومايَنزل من السماء على قلوب اوليائه من الالطاف والكشوف وفنون الاحوال العزيزة ومايعرج فيها من انفاس الاولياء المشتاقين اذا تصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم (وهو معكم اينما كنتم) فى الارض وهو تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه ايغادار واوفى الحديث (افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان يار باتست هر كجا هستى * جاى ديكر چه خواهى اى اوباش * باتو در زير يك كليم جو اوست * پس بروى حريف خود راباش * قال موسى عليه السلام اين اجدك يارب قال يا موسى اذا قصدت الىّ فقد وصلت الىّ وفى التأويلات النجمية وهو معكم لا بالمعية المفهومة للعوام والخواص ايضا اين معيت مى نكنجد در بيان * فى زمان دارد خبر زوقى مكان * بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفى الشهودى اى انا معكم بحسب مراتب شهوداتكم ان كنتم فى المشهد الفعلى فانا معكم بالتجلى الذاتى ما تقدم ولا اتأخر عنكم وقال بعض الكبار تلك المعية ليست هى مثل ما يتصور بالعقل حسا او ذهنا او خيالا او وهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وانما هى معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لا يعلم سرها الا الله ومن اطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحما على العقول القاصرة عن درك الاسرار الخفية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ايهموا ما ابهم الله وبينوا ما بين الله يعنى اذا اقتضى المقام الابهام كما اذا طلب بيان المبهم على ما هو عليه فى نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلا جرم انه حرام لما فيه من هلاكه واما اذا طلب بيان المبهم لا على ما هو عليه فى نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعا لانقلاب قلب الطالب وترسيخا على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا اما معية حفظه او معية امره او غير ذلك مما لا اضطراب فيه لا شرعا ولا عقلا ولا اخبارا والاين المذكور فى الآية متناول لجميع الاينيات الازلية والابدية من المعنوية والروحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشهادية مطلقا كلية كانت او جزئية وهذه الاينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات وما يعلم تأويلها الا الله وما يتذكر سرها الا اولوا الالباب قال بعضهم فى هذه الآية بشارة للعاشقين حيث هو معهم اينما كانوا وتوثيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين واشارة الى سر الوحدة للموحدين قال الحسين

رحمه الله ما قارب الحق الاكوان ولا فارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يضاهيها القديم الحدوث به قوام الكل وهو باين عن الكل انتهى (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا وهو عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد مايدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا ما قيل من ان الخلق دليل على العلم فما خلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفى الآية ايقاظ للغافلين وتنشيط للمتيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب العالمين واشارة لهم الى ان اعمالهم محفوظة وانهم مجزيون بها ان خيرا فخير وان شرا فشر قال بعض الكبار والله بما تعملون بصير لانه العامل بكم وفيكم ولابد لكل عامل ان يبصر عمله وما يتعلق به (له ملك السموات والارض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) على البناء للمفعول من رجع رجعا اى ردد او قرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمعنى اليه تعالى وحده لا الى غيره استقلالا واشتراكا كانت جميع الامور فاستعد واللقائه باختيار ارشد الامور واحسنها عند الله يس تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بايداء دارد وثانى باعاده واذا قرن بالاول يحيى ويميت وبالثانى مايكون فى الآخرة من رد الخلق اليه وجزآئه اياهم بالثواب والعقاب وفيه اشارة الى انه له ملك علوم السموات الروحانية وهى العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الاسباب لعباده المخلصين بافاضته عليهم وله ايضا ملك العلوم الرسمية الكسبية الارضية بالسعى والاجتهاد للعلماء بافاضة توفيق الكسب والاجتهاد فامور العلوم الكشفية والكسبية ترجع الى عناية الله الازلية والابدية (يولج الليل فى النهار) الايلاج الادخال يعنى ازنمان شب در روز افزايد حتى يصير النهار اطول مايكون خمس عشرة ساعة والليل اقصر مايكون تسع ساعات (ويولج النهار فى الليل) يعنى ازنمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل اطول مايكون خمس عشرة ساعة والنهار اقصر مايكون تسع ساعات والليل والنهار ابدا اربع وعشرون ساعة قال فى فتح الرحمن فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الاقطار والازمان الاربعة وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله (وهو عليم) اى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) اى بمكنوناتها اللازمة لها من الاسرار والمعتقدات وذلك المحض مايكون وهو بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه فى نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها وفى الآية اشارة الى انه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة فى نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل مايصدر من اصحاب ليل النفوس من السيئات ومن ارباب نهار الارواح من الحسنات لايفوته منهما شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما اسم الله الاعظم فى اول سورة الحديد فى ست آيات من اولها فاذا علقت على المقاتل فى الصف لم ينفذ اليه حديد كما فى فتح الرحمن (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) روى ان الآية نزلت فى غزوة ذى العشيرة وهى غزوة تبوك وفى عين المعانى يحتمل الزكاة والنفقة فى سبيل الله والمعنى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم انها لله وانه بمنزلة الوكيل والنائب يصرفها الى ما عينه الله من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم توريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تجعلوا به قال الشاعر ويكفيك قول الناس فيما ملكته * لقد كان هذا مرة لفلان

فلابد من انفاق الاموال التى هى للغير وستعود الى الغير فكما ان الانفاق من مال الغير يهون على النفس اذا اذن فيه صاحبه فكذا من المال الذى على شرف الزوال * مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم * كه پيش ازتو بودست وبعد ازتو هم * خور وبوش وبخشاى وراحت رسان * نكه مى چه دارى زبهر كسان * بخيل تو انكريد ناروسيم * طلسم است بالاى كنجى مقيم * ازان سالهاى بماند زرش * كه لرزد طلسم چنين برسرش * بسنك اجل تا كهها بشكنند * بآسودكى كنج قسمت كنند (فالذين آمنوا منكم وانفقوا) حسبما امروا به (وقال الكاشفى) ونفقه كردند مال خود را بزكاة وجهاد وسائر خيرات (لهم) بسبب ذلك (اجر كبير) مزدى بزرك وثوابى عظيم كه جنت ونعيم است قال فى فتح الرحمن الاشارة فيه الى عثمان رضى الله عنه وحكمها باق يندب الى هذه الافعال بقية الدهر وفى التأويلات النجمية

يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالايمان بالله وبرسوله ايمانا كليا بما معا شرآئط الايمان الحقيق الشهودى العيانى ويوصيهم بافاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة لمستعديها اذ العلماء فى العلوم الكسبية والمشايخ فى المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيهما فعليهم ان ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انفق انفق عليك وقال عليه السلام لاتوك فيوكى عليك وفى الحديث (من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار) ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لاسيما مع عدم التعدد لنسخها الذى هو اعظم اسباب المنع وكون المالك لا يهدى لراجيه منها والابتلاء بهذا كثير كما فى المقاصد الحسنة للامام السخاوى رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والايمان الشهودى وانفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالارشاد الى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفى التسليك فى طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم اجر كبير كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومالكم لاتؤمنون بالله) لاتؤمنون حال من الضمير فى لكم لما فيه من معنى الفعل اى اى شئ ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته ما سبب عدم ايمانكم بالله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لاتؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اى واى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فان الدعوة المجردة لاتفيد فلو لم يجب الداعى دعوة مجردة وترك ما دعاه اليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى الى ولا يبعد حملها على التعليلية اى يدعوكم الى الايمان لاجل ان تؤمنوا (وقد اخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل دعوة الرسول اياكم اليه وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على المأخوذ يوم الذر اى حين اخرجهم من صلب آدم فى صورة الذر وهى النمل الصغير (ان كنتم مؤمنين) لموجب تافان هذا لموجب لا موجب ورآءه وفى عين المعانى اى ان كنتم مصدقين بالميثاق وفى فتح الرحمن اى ان دمتم على ما بدأتم به (هو الذى ينزل) بواسطة جبرآئيل عليه السلام (على عبده) المطلق محمد عليه السلام (آيات بينات) واضحات من الامر والنهى والحلال والحرام (ليخرجكم) الله يا قوم محمد لو العبد بسبب تلك الآيات (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب الى نور الايمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلى (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية (وقال الكاشفى) مهربانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول را بدعوت ميفرمايد وقال بعضهم رؤف بافاضة نور الوحى رحيم بازالة ظلمة النفس البشرية (ومالكم لاتنفقوا فى سبيل الله) اى واى شئ لكم من ان لاتنفقوا فيما هو قربة الى الله ما هو له فى الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف فقوله فى سبيل الله مستعار لما يكون قربة اليه وقال بعضهم معناه لاجل الله (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لاتنفقوا او مفعوله المحذوف اى ومالكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شئ بل تبقى كلها لله بعد فنائكم الخلق واذا كان كذلك فانفاقها بحيث تستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى من الامساك لانها اذا تخرج من ايديكم مجانا بلا عوض وفائدة قال الراغب وصف الله نفسه بانه الوارث من حيث ان الاشياء كلها صائرة اليه وقال ابو الليث انما ذكر لفظ الميراث لان العرب تعرف ان ما ترك الانسان يكون ميراثا فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار لولا ان القلوب مجبولة على حب المال ما فرضت الزكاة ومن هنا قال بعضهم ان العارف لا زكاة عليه والحق ان عليه الزكاة كما ان عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لانه يعلم ان نفسه بجموع العالم ففيها من حب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه باخراجها لغيره وزاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد اخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين اذ الوجوب حقيقة فى المال لا على المكلف لانه انما كلف باخراج الزكاة من المال لكون المال لا يخرج نفسه فللعارفين المحبة فى جميع العالم كله وان تفاضلت وجوهها فيحبون جميع ما فى العالم

يحب الله تعالى فى ايجاد ذلك لامن جهة عين ذلك الموجود فلا يد للعارف ان يكون فيه برؤية المناسبة
العالم ولولا ذلك الجزء ما كانت محبة ولا محبوب ولا تصور وجودها وفى كلام عيسى عليه السلام قلب
كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم فى السماء تكن قلوبكم فى السماء فحث اصحابه على الصدقة لما علم
ان الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول اه منتم من فى السماء فانظر ما اعجب كلام النبوة وما ادقه واحلاه وكذلك
لما علم السامرى ان حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل من حليهم بمرأى منهم لعلمه ان قلوبهم تابعة
لاموالهم ولذلك لما ساروا الى عبادة العجل دعاهم اليها فعلم ان العارف من حيث سره الربانى مستخلف فيما بيده
من المال كالوصى على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شئ ولكن لما كان المؤمن لحبه يخرجها
بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزق فى محبوبه والعارف لا يخرج شيأ بحكم الملك والمحبة
كالمؤمن انما يخرج امتثالا للامر ولا تؤثر محبته للمال فى محبته لله تعالى لانه ما احب المال الا بتحبيب الله
ومن هنا قال سليمان عليه السلام هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاطلب الامن نسبة
فاقة فقير الى غنى ثم اعلم ان المال انما سمى مالا لميل النفوس اليه فان الله تعالى قد اشهد النفوس ما فى المال من قضاء
الحاجات المجبول عليها الانسان اذ هو فقير بالذات وكذلك مال الى المال بالطبع الذى لا ينفك عنه ولو كان الزهد
فى المال حقيقة لم يكن مالا ولكان الزهد فى الآخرة اتم مقاما من الزهد فى الدنيا وليس الامر كذلك فان الله تعالى
قد وعد بتضعيف الجزآء الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجابا لكان الكثير منه
اعظم حجابا فالدنيا للعارف صفة سليمانية كمالية وما اليق قوله انك انت الوهاب اتراه عليه السلام سأل ما يحجبه
عن الله تعالى او سأل ما بعده من الله تعالى كلا ثم انظر الى تتميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له هذا
عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فرفع عنه الحرج فى التصرف بالاسم المانع والمعطى واختصه بجنة معجلة
فى الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر الى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين واخرج
زكاة المال الذى بيده عملا بقوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعله مالكا للانفاق من حقيقة
الهية فيه فى مال هو ملك لحقيقة اخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الالهية (لا يستوى منكم) يا معشر
المؤمنين روى ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم انفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس هؤلاء اعظم اجرا من
كل من انفق قديما فنزلت الآية مبينة ان النفقة قبل فتح مكة اعظم اجرا (من انفق من قبل الفتح) اى فتح مكة
الذى ازال الهجرة وقال عليه السلام فيه لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وهذا قول الجمهور وقال الشعبى
هو صلح الحديبية فانه فتح كما سبق فى سورة الفتح (وقاتل) العدو تحت لوآء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والاستوآء يقتضى شيئين فقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه اى لا يستوى فى الفضل
من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعده وقاتل والظاهر ان من انفق فاعل لا يستوى وقيل من مبتدأ
ولا يستوى خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوى لا من ضمير انفق لضعف تقديم ما فى الصلة على الموصول
او الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لان حقه ان يقع بعده ثم فى انفق اشارة الى انفاق المال
وما يقدر عليه من القوى وفى قاتل اشارة الى انفاق النفس فان الجهاد سعى فى بذل الوجود ليحصل بالفناء
كمال الشهود ولذا قال تعالى ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون فهذه الحياة
حياة اخروية باقية عندية فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع ان رزق الحياة الفانية ينفد
وما عند الله باق ولذا قال اكلها دآئم وظلها اى راحتها فالانسان العاقل يترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله
تعالى يصل الى الراحة الكثيرة الاخروية فشأنه يقتضى الجهاد والقتال (اولئك) المنفقون المقاتلون
قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار (اعظم درجة) وارفع منزلة عند الله وبعظم
الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات واذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها
درج (من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا
وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وقد صرح عليه السلام ايضا بفضل الاولين بقوله لو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه قال فى القاموس المد بالضم مكيال وهو رطلان او رطل وثلث او ملء كفى

اذا ملأهما ومديده بهما وبه سمى مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا فالنصيف
واحد شقى الشئ والضمير فى نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم ايها الصحابة
[illegible] بانفاق مثل جبل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف له
وفيه اشارة الى ان صحبة السابقين الاولين كاملة بالنسبة الى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم
وفى الحديث (سيأتى قوم بعدكم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يا رسول الله نحن افضل ام هم قال لو ان
احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس لا يستوى منكم
الآية ذكره ابو الليث فى تفسيره وفيه اشارة الى ان الصحابة متفاوتون فى الدرجة بالنسبة الى التقدم والتأخر
واحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقا افضل ممن جاء بعدهم مطلقا فانهم السابقون
من كل وجه (وكلا) اى كل واحد من الفريقين وهو مفعول اول لقوله (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى
وهى الجنة لا الاولين فقط ولكن الدرجات متفاوتة (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم
بحسبه قال فى المناسبات لما كان زكاء الاعمال انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا فى احسن
النيات مرهبا من التقصير فيها والله بما تعملون اى تجددون عمله على ممر الاوقات خبير اى عالم بباطنه وظاهره
علما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التى هى ارواح صورها * عبادت باخلاص
نيت نكوست * وكرنه چه آيد ز بى مغز پوست * وقال الكلبى نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق
رضى الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على تفضيل ابى بكر وتقديمه فانه اول من اسلم وذلك فيما روى
ان ابا امامة قال لعمر بن عيينة باى شئ تدعى انك ربع الاسلام قال انى كنت ارى الناس على الضلالة ولا ارى
للاوثان شيأ ثم سمعت عن رجل يخبر عن اخبار مكة فركبت راحلتى حتى قدمت عليه فقلت من انت قال
انا نبى قلت وما نبى قال رسول الله قلت باى شئ ارسلك قال اوحد الله لا اشرك به شيأ واكسر الاوثان واصل
الارحام قلت من معك على هذا قال حر وعبد واذا معه ابو بكر وبلال فاسلمت عند ذلك فرأيتنى ربع الاسلام
ايعنى پس دانستم خود را ربع اسلام وانه اى ابا بكر اول من اظهر الاسلام على ما روى عن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنه قال كان اول من اظهر الاسلام رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمار وامه سمية
وصهيب وبلال والمقداد وانه اول من قاتل على الاسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك
على ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه اول من اظهر الاسلام بسيفه النبى عليه السلام وابو بكر رضى الله عنه
وانه اول من انفق على رسول الله وفى سبيل الله قال ابن عمر رضى الله عنهما كنت عند النبى عليه السلام وعنده
ابو بكر وعليه عباءة فدكية قد خللها فى صدره بخلال يعنى بروى كليمى بود كه استوار كرده ويرا در سينه خود
بخلال قال فى القاموس خل الكساء شده بخلال وذو الخلال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لانه تصدق
بجميع ماله وخل كساءه بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها
فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول اقرأ عليه السلام وقل له اراض انت
عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض ولهذا قدمه
الصحابة رضى الله عنهم على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن على
رضى الله عنه قال سبق رسول الله عليه السلام وصلى ابو بكر وثلث عمر يعنى سابقست رسول الله ودر پى
وى ابو بكر است وسوم عمر است فلا اؤتى برجل فضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى واطرح شهادته
يعنى طرح شهادت وى كنم ودر صفت وى كفته اند * صاحب قدم مقام تجريد * سر دفتر جمله اهل
توحيد * در جمع مقربان سابق * حقا كه چو او نبود صادق * وفى الآية اشارة الى ان
من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب اعلى واجل واسبق
درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد ارباب
المشاهدة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله فى جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه
وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فان المجاهدة قدمت على المشاهدة فى قوله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيصير سلوك الاول واقعا على وفق العادة الالهية والسنة الربانية وسلوك الثانى

على خارقها والمعتبر في الترتيب الالهي تقدما وتأخرا باعتبار الاكمل انما هو وفق العادة والسنة الالهية [illegible]
وان كانا متحدين باعتبار اصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها [illegible]
وما منا الا له مقام معلوم كذا في كتاب اللايحات البرقيات لحضرة شيخي وسندي روح الله روحه (من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا) من مبتدأ خبره ذا والذي صفة ذا او بدله والاقراض حقيقة اعطاء العين على وجه
يطلب بدله وقرضا حسنا مفعول مطلق له بمعنى اقراضا حسنا وهو الاخلاص في الانفاق اي الاعطاء لله
وتحري اكرم المال وافضل الجهات والمعنى من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه
وقال في كشف الاسرار كل من قدم عملا صالحا يستحق به مثوبة فقد اقرض ومنه قولهم الايادي قروض
وكذلك كل من قدم عملا سيئا يستوجب به عقوبة فقد اقرض فلذلك قال تعالى قرضا حسنا لان المعصية
قرض سيء قال امية

لا تخلطن خبيثات بطيبة * واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * او سيئا ومدين مثل ما دانا

وقيل المراد بالقرض الصدقة انتهى وههنا وجه آخر وهو ان القرض في الاصل القطع من قرض
الثوب بالمقراض اذا قطعه به ثم سمي به ما يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عينا بشرط رد بدله فعلى هذا
يكون قرضا حسنا مفعولا به والمعنى من ذا الذي يقرض الله مالا حسنا اي حلالا طيبا فانه تعالى
لا يقبل الا الحلال الطيب (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض
الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا من فضله وانما قلنا باعتبار المعنى لان الفاء انما تنصب فعلا
مردودا على فعل مستفهم عنه كما قاله ابو علي الفارسي وههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله
(وله اجر كريم) اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم حسن مرضي في نفسه حقيق بان يتنافس فيه
المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وروي انه لما نزلت هذه الآية جعل ابو الدحداح
يتصدق بنصف كل شيء يملكه في سبيل الله حتى انه خلع احدى نعليه ثم جاء الى ام الدحداح فقال اني بايعت
ربي فقالت ربح بيعك فقال النبي عليه السلام كم من نخلة مدلاة عذوقها في الجنة لابي الدحداح قال بعضهم
سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروءة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلا عن المال فان العبد
وما يملكه لمولاه فاذا بذلوا الوجود المجازي وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقي وله اجر كريم بحسب الاجتهاد
في السير الى الله والتوجه الى عتبة بابه الكريم * هر كسي از همت والاي خويش * سود برد در خور
كالاي خويش * وفي الآية اشارة الى القرض الشرعي لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى عبدي
استطعمتك فلم تطعمني فاعطاء القرض للعبد اعطاء لله تعالى والقرض افضل من الصدقة لانه ربما سأل سائل
وعنده ما يكفيه واما المستقرض فلا يستقرض الا من حاجة وقال بعضهم هذا القرض هو ان يقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهو افضل الاذكار وعن الحسن هو التطوعات وفي المرفوع النافلة هدية
المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطيبها والحاصل ان الكريم يرد القرض باحسن ما يكون من الرد
ويحسن ايضا في مقابلة الهدية (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم اي اذكر
وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى اي نور ايمانهم وطاعتهم والسعي
المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا واكثر ما يستعمل في الافعال المحمودة
(بين ايديهم وبايمانهم) جمع يمين بمعنى الجارحة والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعي قال ابو الليث يكون النور
بين ايديهم وبايمانهم وعن شمائلهم الا ان ذكر الشمال مضمر وقال في فتح الرحمن وخص بين الايدي بالذكر لانه
موضع حاجة الانسان الى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفي جميع جهاتهم
وفي كشف الاسرار لان طريق الجنة يمنة وتجاههم وطريق اهل النار يسرة ذات شمال وفي الحديث (بينا انا
على حوضي انادي هلم اذا اناس اخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دوني فانادي الا هلم فيقال انك لا تدري
ما احدثوا بعدك فاقول سحقا يقول الفقير ذكر بين الايدي اشارة الى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهرا
وباطنا فلهم نور مطلق يضيء من جميع الجهات وذكر الايمان اشارة الى اصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه

نورهم نور مقيد بايمانهم واما اصحاب الشمال فلا نور لهم اصلا لانهم الكفرة الفجرة فلذا طوى
ازابن مسعود منقولست كه نور هر كسى بقدر عمل وى بود نور يكى از صنعا باشد
آن بود كه صاحبش قدم خود را بيند بارى هيچ مؤمن بى نور نباشد وقال منهم من يؤتى
نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا يؤتى نوره على ابهام قدميه فيطفأ مرة ويتقد اخرى
فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنيبا لهم ومتقدما ومرورهم على الصراط
على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض
الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى اعطى نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف
مرة ويمشى اخرى وتصيب جوارحه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما ان لهم يوم القيامة نورا يسعى بين
ايديهم وبايمانهم فاليوم لهم فى قلوبهم نور يهتدون به فى جميع الاحوال ويبدو ايضا فى بشرتهم فحن ظهر له ذلك
النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين وحين
تعلق نظر عبد الله بن سلام الى وجه النبى عليه السلام آمن به وقال ما هو بوجه كذاب وكذا اضرابه بخلاف
ابى جهل واحزابه قال بعض الكبار نور الايمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم الى الله بالسير والسلوك وذلك
لان قوة الانسان فى يمينه وبها يعرف اليمن من الشمال (بشراكم اليوم جنات) اى تقول لهم الملائكة الذين
يتلقونهم بشراكم اى ما تبشرون به اليوم جنات او بشراكم دخول جنات فحذف المضاف واقيم مقامه
المضاف اليه فى الاعراب (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) اى ماذكر من النور والبشرى
بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية ورآءه لكونهم ظفروا بكل ما ارادوا (قال الكاشفى) رستكارى
بزرگست چه ازهمه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال ميرسند وديدار ملك متعال مى بينند (مصراع)
هزار جان مقدس فداى ديدارت (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا)
اى اخلصوا الايمان بكل ما يجب الايمان به (انظرونا) اى انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم
الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والايصال لان النظر
بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه وانما يتعدى بالى وقرأ حمزة انظرونا من النظرة وهى الامهال على ان تأنيهم
فى المضى ليلحقوا بهم انظارا لهم واسهالا (نقتبس من نوركم) اى نستضئ منه ونمش فيه معكم واصله اتخاذ
القبس وهو محركة شعلة نار نقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب القبس المتناول من الشعلة
والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية قال بعضهم النار والنور من اصل واحد وهو الضوء
المنتشر يعين على الابصار وكثيرا ما يتلازمان لكن النار متاع للمقوين فى الدنيا والنور متاع لهم فى الدنيا
والآخرة ولاجل ذلك استعمل فى النور الاقتباس وقيل نقتبس من نوركم اى نأخذ من نوركم قبسا سراجا
وشعلة وقيل ان الله يعطى المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا
خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأ نور المنافقين
فذلك قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبى بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور
فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا فى الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) طردا لهم وتهكما بهم
من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) اى الى الموقف (فالتمسوا نورا) اى فاطلبوا نورا
فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة * كار اينجا كن
كه تشويشست در محشر بسى * آب از ينجا بركه در عقبى بسى شور وشرست * وروى عن ابى امامة
الباهلى رضى الله عنه انه قال بينا العباد يوم القيامة عند الصراط اذ غشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده
فيعطى الله المؤمن نورا ويبقى المنافق والكافر لا يعطيان نورا فكما لا يستضيء الاعمى بنور البصير لا يستضيء
الكافر والمنافق بنور المؤمن فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم فيقولون لهم ارجعوا حيث قسم النور
فيرجعون فلا يجدون شيأ فيرجعون وقد ضرب بينهم بسور او ارجعوا خائبين خاسئين وتضوا عنا فالتمسوا نورا

آخر وقد علموا ان لا نور ورآءهم وانما قالوه تخييبا لهم اذ ارادوا بالنور ما ورآءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم
وقال بعض اهل الاشارة كأن استعداداتهم الفطرية الفائتة عنهم تقول بلسان [illegible]
الى استعداداتكم الفطرية التى افسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها واقتبسوا منها نورا اذ ما تصلون
الى مطلوباتكم الا بحسب استعداداتكم وهى فائتة عنكم باشتغالكم بالامور الدنيوية واعراضكم عن الاحكام
الاخروية والتوجهات المعنوية (فضرب بينهم) اى بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعنى ملائكه
بحكم الهى بزنند ولما كان البناء مما يحتاج الى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومثله ضرب
الخيمة لضرب اوتادها بالمطرقة (بسور) اى حائط بين شق الجنة وشق النار فان سور المدينة حائطها
المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك چون بارهٔ شهرى قال بعضهم هو سور بين اهل
الجنة والنار يقف عليه اصحاب الاعراف يشرفون على اهل الجنة واهل النار وهو السور الذى يذبح عليه
الموت يراه الفريقان معا (له) اى لذلك السور (باب) يدخل فيه المؤمنون فيكون السور بينهم باعتبار ثانى
الحال اعنى بعد الدخول لا حين الضرب (باطنه) اى باطن السور او الباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة
(وظاهره من قبله) اى من جهته وعنده (العذاب) لانه يلى النار وقال بعضهم هو سور بيت المقدس الشرقى
باطنه فيه المسجد الاقصى وظاهره من قبله العذاب وهو واد يقال له وادى جهنم وكان كعب يقول فى الباب الذى
يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله فضرب بينهم بسور له باب الآية يعنى ان هذا الموضع
المعروف بوادى جهنم موضع السور قال ابن عطية وهذا القول فى السور بعيد يعنى بل المراد بالسور
الاعراف يقول الفقير لا بعد فيه بالنسبة الى من يعرف الاشارة وقد روى ان عبادة قام على سور بيت المقدس
الشرقى فبكى فقال بعضهم ما يبكيك يا ابا الوليد فقال ههنا اخبرنا رسول الله عليه السلام انه رأى جهنم
وفى الحديث (بيت المقدس ارض المحشر والمنشر) فيجوز ان يكون الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور
على انه سور الاعراف بعينه لكن على كيفية لا يعرفها الا الله لانه تبدل الارض غير الارض يوم القيامة
وقد صح ان مواضع العبادات تلتحق بارض الجنة فلا بعد فى ان يكون المسجد الاقصى من الجنة وخارجه
من النار وبينهما السور (ينادونهم) كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل
ينادى المنافقون المؤمنين من ورآء السور (وقال الكاشفى) منافقون چون باز پس نكرند ونورى نه بينند
باز متوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان خود وايشان حاجز شده ازان در بنكرند مؤمنانرا مشاهده
نمايند كه خرامان متوجه رياض شدند بخوانند ايشانرا بزارى كويند اى مؤمنان (الم نكن) فى الدنيا
(معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الامور الظاهرة كالصلاة والصوم والمناكحة والموارثة ونحوها
(قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها اضافة الفتنة
الى النفس اضافة الميل والشهوة والى الشيطان فى قوله لا يفتننكم الشيطان اضافة الوسوسة والى الله تعالى
فى قوله قال فانا قد فتنا قومك اضافة الخلق لانه خلق الضلال فيه ليفتتن (وتربصتم) بالمؤمنين الدوآئر
والتربص الانتظار وقال مقاتل وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه
وهو وصف قبيح لان انتظار موت وسائل الخير ووسائط الحق من عظيم الجرم والقباحة اذ شأنهم ان يرجى
طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم (وارتبتم) وشككتم فى امر الدين او فى النبوة او فى هذا اليوم
(وغرتكم الامانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس امر الاسلام جمع امنية كاضحية بالفارسية
آرزو وفى عين المعانى وغرتكم خدع الشيطان وقال ابو الليث اباطيل الدنيا (حتى جاء امر الله) اى الموت
(وغركم بالله) الكريم (الغرور) اى غركم الشيطان بانه عفو كريم لا يعذبكم قال قتادة ما زالوا على خدعة
من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار قال الزجاج الغرور على ميزان فعول وهو من اسماء المبالغة يقال فلان
اكول كثير الاكل وكذا الشيطان الغرور لانه يضر ابن آدم كثيرا قال فى المفردات الغرور كل ما يغر الانسان
من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان اذ هو اخبث الغارين بالدنيا لما قيل الدنيا تغر وتضر وتمر
(فاليوم لا يؤخذ منكم) ايها المنافقون (فدية) اى فدآء تدفعون به العذاب عن انفسكم يعنى چيزى كه
فداى خود كنيد تا از عذاب برهيد والفدآء حفظ الانسان من النائبة بما يبذله عنه من مال او نفس اى لا يؤخذ

منكم

منكم دية ولا نفس اخرى مكان انفسكم (ولا من الذين كفروا) اى ظاهرا و باطنا وفيه دلالة على ان الناس
ثلاثة [illegible] مؤمن ظاهرا و باطنا وهو المخلص ومؤمن ظاهرا لا باطنا وهو المنافق وكافر ظاهرا وباطنا
(مأواكم) مرجعكم (النار) لا ترجعون الى غيرها ابدا (هى) اى النار (مولاكم) تتصرف فيكم تصرف المولى
فى عبيده لما اسلفتم من المعاصى او اولى بكم فالمولى مشتق من الاولى بحذف الزائد وحقيقته مكانكم الذى
يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو متنة الكرم اى مكان لقول القائل انه كريم فهو مفعل من اولى كما ان متنة
مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة
حروفها دلالة على ان معناها فيها او ناصركم على طريقة قوله (تحية بينهم ضرب وجيع) فان مقصوده نفى التحية
فيما بينهم قطعا لان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لا تحية بينهم البتة فكذا اذا قيل لاهل النار هى ناصركم
يراد به ان لا ناصر لكم البتة او متوليكم اى المتصرف فيكم يتولاكم كما توليتم فى الدنيا موجباتها (وبئس المصير)
اى المرجع النار وفى التأويلات النجمية اى نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع
الى تلك النار وعن الشبلى قدس سره انه رأى غصنا طريا قد قطع عن اصله فبكى فقال اصحابه ما يبكيك فقال
هذا الفرع قد قطع عن اصله وهو طرى بعد ولا يدرى ان مآله الى الذبول واليبس شبلى ديد زنى را كه ميكريد
وميكويد يا ويلاه من فراق ولدى شبلى كريست وكفت يا ويلاه من فراق الاخدان زن كفت چرا چنين
ميكويى شبلى كفت تو كريه ميكنى بر مخلوقى كه هر آينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم بر فراق خالقى كه باقى
باشد * فرزند و يار چونكه بميرند عاقبت * اى دوست دل مبند بجز حى لا يموت (الم يأن للذين آمنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله) من انى الامر يأنى انيا وأناء واناء اذا جاء اناه اى وقته وحان حينه وادرك والخشوع
ضراعة وذل اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال
لاوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور قال بعضهم الذكر ان كان غير القرآن يكون المعنى ان ترق
وتلين قلوبهم اذا ذكر الله فان ذكر الله سبب لخشوع القلوب اى سبب فالذكر مضاف الى مفعوله واللام بمعنى
الوقت وان كان القرآن فهو مضاف الى الفاعل واللام للعلة اى لمواعظ الله تعالى التى ذكرها فى القرآن
ولاياته التى تتلى فيه وبالفارسية آيا وقت نيايد مر آنانرا كه كرويده اند آنكه بترسد ونرم شود دلهاء ايشان براى
ياد كردن خداى (وما نزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف
لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كانه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره
ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله
روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت
وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية اربع سنين وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن
رحمه الله والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر
فيكم من الفسق وقولى آنست كه مزاح ومضاحك درميان اصحاب بسيار شد آيت نازل كشت كما قال
الامام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان يبدو منهم شئ من المزاح فنزل قوله
تعالى الم يأن الخ وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة
فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا قست القلوب قال السهروردى فى العوارف حتى قست القلوب
اى تصلبت وادمنت سماع القرآن والفت انواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم
حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه الى استمرار حال الشهود انتهى فقوله حتى قست القلوب ظاهره تقبيح
للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين قال البقلى رحمه الله فى الآية هذا فى حق قوم
من ضعفاء المريدين الذين فى نفوسهم بقايا الميل الى الحظوظ حتى يحتاجوا الى الخشوع عند ذكر الله واهل
الصفوة احترقوا فى الله بنيران محبة الله ولو كان هذا الخطاب للاكابر لقال ان تخشع قلوبهم لله لان الخشوع
لله موضع فناء العارف فى المعروف وارادة الحق بنعت الشوق اليهم فناؤهم فى بقائه بنعت الوله والهيمان

والخشوع للذكر موضع الرقة من القلب فاذا رق القلـ[illegible]
الى سماع ذكره بنعت الخشوع والخضوع والمتابعة لقـ[illegible]
ذكره قال ابو الدرداء رضى الله عنه استعيذ بالله من خشـ[illegible]
الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع * ور آوازه خواهى ور اقليم فاش * برون حله كن كو درون
حشو باش * اكر بيخ اخلاص در بوم نيست * ازين در كسى چون تو محروم نيست *
زراندود كانرا بآتش برند * پديد آيد انكه كه مس يا زرند (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف
على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد) اى الاجل والزمان
الذى بينهم وبين انبيائهم او الاعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم
من التوراة والانجيل اذا تلوهما وسمعوهما (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة او اشد قسوة والقسوة غلظ القلب
وانما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا تجتمعان (وكثير منهم فاسقون) اى خارجون عن
حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه اشارة الى ان عدم الخشوع فى اول
الامر يفضى الى الفسق فى آخر الامر وكفته اند نتيجهٔ سختىء دل غفلت است ونشأهٔ نرمىء دل توجه
بطاعت * دلى كز نور معنى نيست روشن * مخوانش دل كه آن سنكست وآهن * دلى كز كرد
غفلت زنك دارد * ازان دل سنك وآهن ننك دارد * روى ان عيسى عليه السلام قال لا تكثروا الكلام
بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولا تنظروا فى ذنوب العباد كانكم ارباب وانظروا
فى ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية
(اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة
بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (وقال الكاشفى) بدانيد اى منكران بعث ان الله يحيى
الارض بعد موتها وبهمان منوال زنده خواهد ساخت امواترا (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها
هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين سبب توبت
فضيل بن عياض رحمه الله ميكويند كه سماع اين آيت يعنى الم يان الخ بود در بدء كار مردانه راه زدند
وبر ناشايسته قدم نهادند وقتى سوداى عشق صاحب جمال در سر وى افتاد باوى ميعادى نهاد
درميانهٔ شب بسر آن وعده باز شد بديوار برمى شد كه كويندهٔ كفت الم يأن للذين الخ اين آيت تيروار در نشانهٔ
دل وى نشست دردى وسوزى از درون وى سر برزد كمين عنايت بروكشادند اسير كمند توفيق كشت از آنجا
باز كشت وهمى كفت بلى والله قد آن بلى والله قد آن از آنجا بركشت ودر خرابهٔ شد جماعتى كاروانيان
آنجا بودند وبايكديكر ميكفتند فضيل در راهست اكر برويم راه برمازند ورخت ببرد فضيل خود را ملامت
كرد كفت اى بدمردا كه منم اين چه شقاوتست كه روى بمن نهاده درميانهٔ شب بقصد معصيت از خانه بدر آمده
وقومى مسلمانان از بيم من درين كنج كريخته روى سوى آسمان كرد وازدلى صافى توبت نصوح كرد كفت
اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام الهى از بد سزايىء خود بدردم وازناكسىء خود
بفغان دردمرا درمان ساز اى درمان ساز همه دردمندان اى پاك صفت از عيب اى عالى صفت آز شوب اى
بى نياز از خدمت من اى بى نقصان از خيانت من من بجاى رحمتم ببخشاى برمن اسير بند هواى خويشم
بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء ويرا مستجاب كرد وبوى كرامتها كرد از آنجا بركشت وروى بخانهٔ
كعبه نهاد سالها آنجا مجاور شد واز جملهٔ اوليا كشت * كداى كوى تو از هشت خلد مستغنيست *
اسير عشق تو از هر دو كون آزادست * وقال ابن المبارك رحمه الله كنت يوما فى بستان وانا شاب وكان معى
اصحابى فاكلنا وشربنا وكنت مولعا بضرب العود فاخذت العود فى الليل لاضرب به فنطق العود وقال الم يأن
للذين الخ فضربته بالارض وكسرته وتركت الامور الشاغلة عن الله تعالى وعن مالك بن دينار رحمه الله انه سئل
عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم انى اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى
احسن موقع فولدت لى بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت فى قلبى حبا والفتنى والفتها فكنت اذا
وضعت المسكر جاءت الى وجاذبتنى اياه واراقته على ثوبى فلما تم لها سنتان ماتت فاكمدنى الحزن عليها فلما كانت

ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت عملا من الخير ولم اصل صلاة العشاء فرأيت كأن اهل القبور
[illegible] الخلائق وانا معهم فسمعت حسا من ورائي فالتفت فاذا انا بتنين عظيم اعظم ما يكون اسود
ازرق قد فتح فاه فسرعا نحوي فمررت بين يديه هاربا فمررت هو بامررت في طريق يشخ نفق الشباب طيب الرائحة
فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت له ابرق واغثني فقال انا ضعيف وهذا اقوى مني وما اقدر عليه ولكن
مر واسرع فلعل الله يسبب لك ما يخلصك منه فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف الشباحة
فاشرفت على طبقات النيران فنظرت الى اهلها فكدت اهوي فيه من فزع التنين وهو في طلبي فصاح بي صائح
ارجع فلست من اهلها فاطمأننت الى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فاتيت الشيخ فقلت يا شيخ سألتك
ان تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال انا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع للمسلمين
فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة
وكوة مصراعان من الذهب الاحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت
الى الجبل هربت اليه والتنين ورائي حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع
واشرفوا فعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه واذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فاشرف
علي اطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين مني فصرت في امري فصاح بعض الاطفال ويحكم اشرفوا كلكم
فقد قرب منه فاشرفوا فوجا بعد فوج فاذا بابنتي التي ماتت قد اشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت
ابي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمددت يدها الشمال الى يدي اليمنى فتعلقت بها
ومددت يدها اليمنى فولى هاربا ثم اجلستني وقعدت في حجري وضربت يدها اليمنى الى لحيتي وقالت يا ابت
الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يا بنية وانتم تعرفون القرآن قالت يا ابت نحن
اعرف به منكم قلت فاخبريني عن التنين الذي اراد ان يهلكني قالت ذلك عملك السوء قويته فاراد ان يغرقك
في نار جهنم قلت فاخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريق قالت يا ابت ذلك عملك الصالح اضعفته
حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل قالت نحن اطفال المسلمين
قد اسكنا فيه الى ان تقوم الساعة تنتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فاتيهت فزعا فلما اصبحت فارقت
ما كنت عليه وتبت الى الله تعالى وهذا سبب توبتي * سر از جيب غفلت بر آور كنون * كه فردا نماند
بخجلت نكون * كنون باي داي خفته بيدار بود * چو مرد انه در خوابت چه سود * زهيران
طفلي كه در خاك رفت * چه نالي كه پاك آمد و پاك رفت * تو پاك آمدي برحذر باش و پاك *
كه نتكست ناپاك رفتن بخاك (ان المصدقين والمصدقات) اي المتصدقين والمتصدقات (واقرضوا الله قرضا
حسنا) عطف على الصلة من حيث المعنى اي ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا الله قرضا حسنا
واقرضن والاقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق
للصدقة ففيه دلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص فيندفع توهم التكرار ولان هذا تصدق مقيد
وما قبله تصدق مطلق وفي الحديث (يا معشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار) وفيه اشارة
الى زيادة احتياجهن الى التصدق وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه قال شهدت مع رسول الله
عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال رضي الله عنه
فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى الى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن
فان اكثركن حطب جهنم قالت امرأة لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير اي المعاشر
وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال حتى اجتمع فيه شئ كثير قسمه على فقراء المسلمين
(يضاعفه لهم) على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة
على حذف مضاف اي ثواب التصدق (ولهم اجر كريم) وهو الذي يقترن به رضى واقبال * بدنيا توان كه
عقبى نرى * بخر جان من ورنه حسرت خوري (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وهو مبتدا (اولئك)
مبتدأ ثان (هم) مبتدأ ثالث خبره قوله (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل
وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهود بن

بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق [illegible] قال فى فتح الرحمن الصديق [illegible]
لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا [illegible] الى الاسلام [illegible]
وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة [illegible] عمر بن الخطاب رضى الله عنهم [illegible] الله بهم وان تم به الاربعون
لما عرف من صدق نيته وقيل الشهدآء على ثلاث درجات الدرجة الاولى الشهيد بين الصفين وهو اكبرهم درجة
ثم كل من قضى بقارعة او بلية وهى الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك فى الهدم والمطعون والمبطون
والغريب والميتة فى نفاسها والميتة بجمع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة
ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين وقال بعضهم فى معنى الآية هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا
جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقال بعض
الكبار يعنى الذين آمنوا بالله ايمانا حقيقيا شهوديا عيانيا لا علميا بيانيا وذلك بطريق الفناء فى الله نفسا وقلبا وسرا
وروحا والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح اولئك هم المتحققون بصفة الصديقية
البالغون اقصى مراتب الصدق والشهدآء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم
لا جرم اجر الصديقين ونور الشهدآء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان
والعيان يترتب على الفناء وفرقوا بين الصادق والصديق بان الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص عن شوآئب
الصفات النفسانية مطلقا والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص ايضا عن شوآئب الغيرية والثانى اوسع فلكا
واكثر احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال ابو على الجرجانى قدس سره
قلوب الابرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله (لهم اجرهم
ونورهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ثان للموصول والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران
للصديقين والشهدآء ولا بأس بالفك عند الامن اى لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال
وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون
والشهدآء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للاخيرين من الاصل بدون
الاضعاف ليحصل التفاوت واما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم
قال بعض الكبار لا يكون الاجر الا مكتسبا فان اعطاك الحق تعالى ما هو خارج عن الكسب فهو نور وهبات
ولا يقال له اجر ولهذا قال تعالى لهم اجرهم ونورهم فان اجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبه الحق لهم من ذلك
حتى لا ينفرد الاجر من غير ان يختلط به الوهب لان الاجر فيه شائبة الاستحقاق اذ هو معاوضة عن عمل متقدم
يضاف الى العبد فما ثم اجر الا ويخالطه نور وذلك لتكون المنة الالهية مصاحبة للعبد حيث كان فان تسمية
العبد اجيرا مشعر بان له نسبة فى الطاعات والاعمال الصادرة عنه فتكون الاجارة من تلك النسبة ولذلك طلب
العبد العون على خدمته سيده فان قلت من اى جهة قبل العبد الاجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده
من غير ان يأخذ اجرة وان جعلناه اجنبيا فمن اى جهة تعين الفرض عليه ابتدآء قبل الاجرة والاجير لا يفترض
عليه الا حين يؤجر نفسه قلت الانسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة اجارة فمن كونه عبدا فهو
مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرآئض ولا اجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه اجيرا له الاجرة
بحكم الوعد الالهى ولكن ذلك مخصوص بالاعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الاعمال التى ندب الحق
اليها فرضت الاجور فان تقرب العبد بها الى سيده اعطاه اجارته وان لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها
ومن هنا كان العبد حكمه حكم الاجنبى فى الاجارة للفرض الذى يقابله الجزآء اذ هو العهد الذى بين الله
وبين عباده واما النوافل فلها الاجور المنتجة للمحبة الالهية كما قال لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل
حتى احبه والحكمة فى ذلك ان المتنفل عبد اختيارى كالاجير فاذا اختار الانسان ان يكون عبد الله
لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو فى الفرآئض عبد اضطرار لا عبد اختيار وبين عبودية الاضطرار
وعبودية الاختيار ما بين الاجير والعبد المملوك اذ العبد الاصلى ماله على سيده استحقاقا الا ما لا بد منه
من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولا يزال فى دار سيده لا يبرح ليلا ولا نهارا الا اذا وجهه
فى شغل آخر فهو فى الدنيا مع الله وفى القيامة مع الله وفى الجنة مع الله لانها جميعا ملك لسيده فيتصرف فيها

تصرف المالك والاجير ماله سوى ماعين له من الاجرة مقابل نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده وموجره ولا اطلاع على اسراره ولا تصريف فى ملكه الا بقدر ما استوجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته واخذ اجرته فليفرق موجره واشتغل باهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره الا ان يمن عليه رب المال بان يبعث خلفه ويجالسه ويخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه فى الآخرة عبودية الاختيار فان تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من اى مقام قالت الانبياء عليهم السلام مع كونهم عبيدا خلصا لم يملكهم هوى نفوسهم ولا احد من خلق الله ومع هذا قالوا ان اجرى الا على الله وذلك لان قولهم هذا راجع الى تحققهم بدخولهم تحت حكم الاسماء الالهية بخلاف غيرهم ومن هنالك وقعت الاجارة فهم فى حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات وهم لها ملك فان الاسماء الالهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون فى الدخول تحت اى اسم الهى شاؤا وقد علمت الاسماء الالهية ذلك فعينت لهم الاجور وكل اسم يناديهم ادخلوا تحت امرى وانا اعطيكم كذا وكذا فلا يزال احدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما امر به حينئذ رجع الى اى اسم شاء ولهذا يتنفل الانسان ويتعبد بما شاء حتى يسمع اقامة الصلاة المفروضة فيؤمر بها ويترك النافلة فهود آئما مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى قدس سره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (اصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها ابدا وفيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحة تدل على الملازمة عرفا واراد بالكفر الكفر بالله فهو فى مقابلة الايمان بالله وبتكذيب الآيات تكذيب ما بايدى الرسل من الآيات الالهية وتكذيبها تكذيبهم فهو فى مقابلة الايمان والتصديق بالرسل وفيه وصفهم بالوصفين القبيحين اللذين هما الكفر والتكذيب وفيه اشارة الى ان الذين كفروا بذاتنا وكذبوا بصفاتنا الكبرى كفرا صريحا بينا قلبا وسرا وروحا اولئك اصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود وعبر عن الصفات بالآيات لان الكتب الالهية صفات الله تعالى وايضا الانبياء عليهم السلام صفات الله من حيث انهم مظاهر اسمائه الحسنى وصفاته العليا وقس عليهم سائر المجالى والمرآتى لكنهم متفاوتون فى الظهور بالكمال واذا كان تكذيب الانبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا تكذيب الاولياء وآياتهم فان العلماء العاملين ورثة الانبياء والمرسلين والمراد بآيات الاولياء الكرامات العلمية والكونية فالذين من معاصريهم وغير معاصريهم صدقوهم اولئك اصحاب النعيم والذين كذبوهم اولئك اصحاب الجحيم وهذه الآيات واعيانها لا تنقطع الى قيام الساعة فان باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه ان يتولانا بعميم افضاله بحرمة النبى وآله (اعلموا) بدانيد اى طالبان دنيا (انما الحياة الدنيا) لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر اى امور الدنيا ويجوز ان يجعل الحياة الدنيا مجازا عن امورها بعلاقة اللزوم وفى كشف الاسرار الحياة القربى فى الدار الاولى وبالفارسية زندكانى اين سراى وماصله فان المقصود الحياة فى هذه الدار فكل ما قبل الموت دنيا وكل ما تأخر عنه اخرى (لعب) اى عمل باطل تتعبون فيه انفسكم اتعاب اللاعب بلا فائدة * باز يچه ايست طفل فريب اين متاع دهر * بى عقل مرد مانكه بد مبتلا شوند (ولهو) تلهون به انفسكم وتشغلونها عما يهمكم من اعمال الآخرة (وزينة) من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة تزينون بها (وتفاخر بينكم) بالانساب والاحساب تتفاخرون بها والفخر المباهاة فى الاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه ويعبر عن كل نفيس بالفاخر كما فى المفردات (وتكاثر فى الاموال والاولاد) بالعدد والعدد يعنى ومباهاتست بكثرت اموال واولاد لاسيما التطاول بها على اولياء الله وبدانيد كه در اندك زمانى آن بازى برطرف شود ولهو وفرح بغم وترح مبدل كردد وريشها ازهمه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شرارة آتش نابود شود وقيل لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال على رضى الله عنه ما لاحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاكبر طعامها العسل وهو ريقة ذبابة واكبر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان واكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة واكبر المشموم المسك وهو دم ظبية واكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال

واكبر المتكوح النساء وهو مبال في مبال وفي الحقيقة الدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها * جهان اگر بسر رفت سر مكش بادي نيست * زدنيا وكار دنيا اميد نيست (كمثل غيث) محل الكاف النصب على الحالية من الضمير في لعب لان فيه معنى الوصف اى تثبت لها هذه الاوصاف مشبهة غيثا او خبر مبتدأ محذوف اى هي كمثل او خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فانه عام (اعجب الكفار) اى الحراث قال الازهري العرب تقول للزراع كافر لانه يكفر اى يستر بذره بتراب الارض والكفر في اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافرا لانه يغطي الحق بالباطل والكفر القرية لسترها الناس وفي الحديث (اهل الكفور اهل القبور) والليل كافر لستره الاشخاص (نباته) اى النبات الحاصل منه والمراد الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره ما احس به فيستغرق فيه اعجابا وقد منع في بعض المواضع عن اظهار الزينة صونا للقلوب الضعفاء كما في الاعراس ونحوها (ثم يهيج) اى يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية او ارضية يقال هاج النبت يهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر يبس والهايجة ارض يبس بقلها او اصفر واهاجه ايبسه واهيجها وجدها هايجة للنبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا مونقا وانما لم يقل فيصفر اذ الانبات اصفراره مقارن لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون) پس كردد بعد از زردى (حطاما) درهم شكسته وكوفته وريزه ريزه شده قال في القاموس الحطم الكسر او خاص باليابس فالآية تحقير لامور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل ومنه المثل وبيان انها امور خيالية اى باطلة لا حقيقة لها وعن علي رضي الله عنه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا قليله النفع سريعة الزوال لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وتمثيل لحالها في سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور وزينة الحياة الدنيا هي زينة الله الا انها تختلف بالقصد وهي محبوبة بالطبع فاذا تحرك العبد اليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وان كانت غير محرمة شرعا واذا تحرك اليها بامر من ربه كانت زينة الله وحمد بها وذلك لان امر الله وكل ما يرجع اليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ونحر الانسان على مثله انما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار الشهوات سبع وهي ما ذكر في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد انزلها الله الى خمس في هذه الآية وهي اعلموا انما الحياة الدنيا الخ ثم انزل هذه الخمس الى امرين في آية اخرى كما قال في سورة محمد انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم جعل هذين الامرين امرا واحدا في قوله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى عن كل قيد وبرزخ بلغ مسالك الوصول الى المطلب الاعلى والمقصد الاقصى (وفي الآخرة عذاب شديد) لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لانه من نتايج الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة كائنة (من الله ورضوان) كثير لا يقادر قدره لمن اعرض عنها وقصد بها الآخرة بل الله تعالى فان الدنيا والآخرة حرامان على اهل الله اى طالب دنيا تو بسى مغرور * وى مائل عقبى تو يكى مزدورى * وى انكه زميل هردو عالم دورى * تو طالب نور بلكه عين نورى * وفيه اشارة الى فضل النية الحسنة وانها تحيل المباح ونحوه طاعة قال بعض الكبار من استقامت سريرته وصلحت نيته ادرك جميع ما تمناه من الاعمال الصالحة وفي الخبر من نام على طهارة وفي عزمه انه يقوم من الليل فاخذ الله بنفسه الى الصباح كتب الله له قيام ليلة وورد مثل ذلك فمن خرج لجهاد اوج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيء الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسيا حاجة الناس ولو كان ذا بصيرة لفعل ذلك بقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم التبع والحاصل ان اهل الكسب سواء كانوا من اهل السوق او من غيرهم ينبغي ان تكون نيتهم السعي في مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين في ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعي في مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه في ادآء واجب اوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن امر الله لا يقدح في العبودية بخلاف من استرقه

الكون لغرض نفسي ليس للحق فيه رائحة امر فان ذلك يقدح في عبوديته لله ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التي ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهي مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها يحصل من الشر فهي تحب ان لا يشقى احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم الضرة الاخرى على غير اهبة مع كونها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال الخير الى الاخرة ويقولون اعمال الاخرة والحال انهم ما عملوا تلك الاعمال الا في الدنيا فللدنيا اجر المصيبة التي في اولادها ومن اولادها فانها نصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الاخرة اجهل وفي الحديث (اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه) وقال بعضهم طلب الثواب على الاعمال بحسن النيات والرغبة فيه لا يختص بالعامة بل لا يتحاشى عنه الكمل لعلمهم ان الله تعالى انشأهم على امور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ما وعد الله به ويرغبون فيه اثباتا للحكم الالهي فان المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة في طلب الرغبة ويتميزون في الباعث على ذلك فكان طلب العارفين ذلك لاعطاء كل ذي حق حقه ليضربوا عن ظلم انفسهم اذا وفوها حقها فمن لم يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشا لنفسه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) اي كالمتاع الذي يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه يميل اليه الطبع اول ما رآه فاذا اخذه واراد ان ينتفع به ينكسر ويفنى حكي انه حمل الى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعا بالجواهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا قال اراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر فهو مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة انما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة واما من اشتغل فيها بطلب الاخرة فهي له متاع بلاغ الى ما هو خير منها وهي الجنة فالدنيا غير مقصودة بذاتها بل لاجر الاخرة وفي الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (وفي المثنوي) مال را كز بهر حق باشي حمول * نعم مال صالح گفتش رسول * فاشغل العبد عن الاخرة فهو من الدنيا وما لا فهو من الاخرة قال بعض الكبار ورد خطاب الهي يقول فيه خلقت الخلق لينظروا الى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤدبهم النظر في مفاتيح الدنيا الى الزهد فيها ويؤدبهم النظر في محاسن الناس الى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا الى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا الى مساوي الناس فاغتابوهم حكي ان الشيخ ابا الفوارس شاهين بن شجاع الكرماني رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فامعن في الطلب حتى وقع في برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له يا شاه ما هذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنيا لدن آخرتك وبلذتك وهو الدن خدمة مولانا انما اعطاه الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه الى الشاه فشربه فقال ما شربت شيأ الذ منه ولا ابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتي فما احتجت الى شيء الا احضرته الي حين يخطر ببالي اما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد الى ان كان من اهل الله تعالى فان قلت ان الله تعالى خلق للانسان جميع ما في الارض ولا ينبغي للعروس ان يجمع ما تثير عليه بطريق الاعزاز والاكرام فمن عرف شأنه الجليل ما نظر الى الامر الحقير القليل بل كان من اهل المروءة والهمة العالية في الاعراض عما سوى الله تعالى والاقبال والتوجه الى الله تعالى (سابقوا) اي سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار وهو الميدان (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) اي الى اسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الاعمال الصالحة اي بحسبه وعد الله والا فالعمل نفسه غير موجب وفي دعائه عليه السلام اسألك عزائم مغفرتك اي ان توفقني للاعمال التي تغفر لصاحبها لا محالة ويدخل فيها المسابقة الى التكبيرة الاولى مع الامام ونحوها سلمى قدس سره كفت كه وسيلة مغفرت حضرت رسالت است عليه السلام پس حق

سبحانه وتعالى ميفرمايد كه شتاب نماييد بمتابعت او كه سبب آمرزش است * پيمبر كسى را شفاعت كرست *
كه بر جادهٔ شرع پيغمبرست * قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الله تعالى ارسلنا من عالم الامر
الى عالم الارواح ثم منه الى عالم الاجسام وخلقنا فى احسن تقويم واعطى لنا اختيارا جزئيا وقال ان كنتم صرفتم
ذلك الاختيار الى جانب العبادات والطاعات والى طريق الوصول الى الحسنات ادخلكم الجنة وايسر لكم
الوصال ورؤية الجمال وامرنا بالاسراع الى تلك الطريق على وجه المبالغة فان صيغة المفاعلة للمبالغة
وانما امر بمبالغة الاسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الانبياء والاولياء ونحن نذهب ايضا فينبغى ان نسرع
فى طريق الحق لئلا يفوت الوصول الى الدرجات العالية بالاهمال والتكاسل وطريق الاسراع فى مرتبة
الطبيعة الامتثال بالاوامر والاجتناب عن النواهى وفى مرتبة النفس تزكيتها عن الاخلاق الرديئة كالكبر
والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالاخلاق المحمودة كالتواضع والاخلاص
ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضى والتسليم والعشق والارادة ونحوها وفى مرتبة الروح بتحصيل
معرفة الله تعالى وفى مرتبة السر بنفى ماسوى الله تعالى وقال البقلى قدس سره دعا المريدين الى مغفرته
بنعت الاسراع ودعا المشتاقين الى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل فى مظنة الخطاب لان الكل قد وقعوا
فى بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعا الى التطهير فى بحر رحمته
حتى صاروا متطهرين من غرورهم بانهم عرفوه فاذا وصلوا الى الله عرفوا انهم لم يعرفوه فيأخذ الله بايديهم
بعد ذلك ويكرمهم بانواع الطافه ثم ان المسابقة انما تكون بعد القصد والطلب (وفى المثنوى) كركران
وكرشتابنده بود * آنكه جوينده است يابنده بود (وجنة عرضها كعرض السماء والارض)
اى كعرض سبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض على ان يكون اللام فى السماء والارض للاستغراق
واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها فان طول كل شئ اكثر من عرضه قال اسمعيل السدى رحمه الله
لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والارض ويقال
هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم
التخلية على التحلية (اعدت) هيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل كما هو
مذهب اهل السنة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها اذ لم يذكر مع الايمان شئ آخر ولكن الدرجات بالاعمال
وفيه شئ فان الايمان بالرسل انما يكمل بالايمان بما فى ايديهم من الكتب الالهية والعمل بما فيها (ذلك) الذى
وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلا علة (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء)
ايتاءه اياه من غير ايجاب لا كما زعمه اهل الاعتزال (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك
الفضل الذى لا غاية وراءه والمراد منه التنبيه على ان عطاء العظيم عظيم والاشارة الى ان احدا لا يدخل الجنة
الا بفضل الله نبيا او وليا قال عليه السلام خرج عندى خليلى جبرائيل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى
بعثك بالحق ان عبدا من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فاخرج الله له عينا عذبة
فى اسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا امسى نزل واصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فاكلها
ثم قام للصلاة فسأل ربه ان يقبض روحه ساجدا وان لا يجعل للارض ولا لشئ على جسده سبيلا حتى يبعثه الله
وهو ساجد ففعل ونحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله فى السجود قال جبريل فنحن نجده
فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد
بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة
وبقيت عليه النعم الباقية بلا عبادة فى مقابلتها فيقول الله ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى
ويقول برحمتك ادخلنى الجنة فيقول الله ردوه الى فيوقف بين يديه فيقول عبدى من خلقك ولم تك شيأ
فيقول انت يا رب فيقول اكان ذلك بعملك او برحمتى فيقول بل برحمتك فيقول من قواك على عبادة
خمسمائة سنة فيقول انت يا رب فيقول من انزلك فى جبل وسط البحر واخرج الماء العذب من بين المالح واخرج لك
رمانة كل ليلة وانما تخرج فى السنة مرة واحدة وسألتنى ان اقبضك ساجدا من فعل بك ذلك كله فيقول انت
يا رب قال فذلك كله برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة * چو رويى بخدمت نهى بر زمين * خدا را ثنا كوى

وخود را

وخودرا مبين * اميدى كه دارم بفضل خداست * كه برسعى خود تكيه كردن خطاست *
همين اعتمادم بيارئ حق * اميدم بآمرزكارئ حق (ما اصاب من مصيبة فى الارض) ما نافية
والمصيبة اصلها فى الرمية يقال اصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة اى ما حدث
من حادثة كائنة فى الارض بكدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة وموت ولد وخوف
عدو وجوع (الا فى كتاب) اى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله او فى اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها)
نخلق الانفس او المصائب او الارض فان البرء فى اللغة هو الخلق والبارئ الخالق وذكر ربيع بن صالح الاسلمى
قال دخلت على سعيد بن جبير حين جيء به الى الحجاج حين اراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد ما يبكيك
قال ما اصابك قال فلا تبك قد كان فى علم الله ان يكون هذا ثم تسمع قول الله تعالى ما اصاب من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها قال فى الروضة رؤى الحجاج فى المنام بعد وفاته فقيل
ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتله وبسعيد بن جبير سبعين قتلة وفى الآية دليل على ان جميع الحوادث
الارضية قبل دخولها فى الوجود وكذا جميع اعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة فى اللوح المحفوظ ليستدل
الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وجودها وليعرفوا حكمه فانه تعالى مع علمه
انهم يقدمون على المعاصى خلقهم ورزقهم وامهلهم وليحذروا من امثال تلك المعاصى وليشكروا الله
على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم عن المعاصى وفيها دليل ايضا انه تعالى عالم بجميع الاشياء قبل وقوعها
لان اثباتها فى الكتاب محال ولو سأل سائل ان الله تعالى هل يعلم عدد انفاس اهل الجنة يقال له ان الله يعلم
انه لا عدد لانفاسهم (ان ذلك) اى اثباتها فى كتاب مع كثرتها (على الله) متعلق بقوله (يسير) لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة وان كان عسيرا على العباد قال الجنيد قدس سره من عرف الله بالربوبية وافتقر اليه
فى اقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله ما اصاب الخ فسمع هذا من ربه وشهد
بقلبه وقع فى الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه ما يصيبه فان قلت كان الله قادرا على ان يوصل
العباد اليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف اوقعهم فى المحن والبلايا قلت اراد ان يعرفهم بامتحان القهر حقائق
الربوبية وغرائب الطرق اليه حتى يصلوا اليه من طريق الجلال والجمال ففى الآية توطين للنفوس على الرضى
بالقضاء والصبر على البلاء وحمل لها على شهود المبتلى فى عين البلاء فان به يسهل القتل والامن كان غافلا
عن مبدأ اللطف والقهر فهو غافل فى اللطف والقهر واذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال اهل الحضور
فانهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية * ازدست تومنت بردها نم
خوردن * خوشتر كه بدست خويش نانم خوردن * ومن امثال العرب ضرب الحبيب زبيب اى لذيذ
(لكيلا تأسوا) يقال اسى على مصيبته يأسى اسى من باب علم اى حزن اى اخبرنا كم باثباتها وكتابتها فى كتاب
كيلا يحصل لكم الحزن والالم (على ما فاتكم) من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية (ولا تفرحوا
بما آتاكم) اى اعطاكم الله منها فان من علم ان كلا من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ما قدر فوته ويأتى ما قدر
اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت اذ يجوز ان يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبرزجمهر
ايها الحكيم مالك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتى لا يستدام
بالحبرة اى بالحبور والسرور لا التأسف يرد فائتا ولا الفرح يقرب معدودا وقال ابن مسعود رضى الله عنه
لأن اجس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ لم يكن ليته كان (قال الكاشفى)
اخبار است بمعنى نهى يعنى ازاد بار دنيا ملول وازاقبال او مسرور ومشو يد كه نه آنرا قرار يست ونه اين را اعتبارى
كردست دهد كراى شادى نكند * ورفوت شود نيز نيرزد بغمى * وازمرتضى رضى الله عنه منقولست كه
هر كه بدين آيت كار كند هر آينه فراكيرد زهد او وابهرد وطرف او يعنى زاهدى تمام باشد وجه زيبا گفته اند
مال ار بتورو نهد مشو شاد ازان * ورفوت شود مشو بفرياد ازان * پندست پسنديده بكن ياد
ازان * تادين ودنيت شود آباد ازان * والمراد بالآية نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح
الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ
الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لا محالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر

من تخيل فضيلة تترآءى للانسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة و بالفارسية وخداى تعالى دوست ندارد هر متكبرى را كه بر نعمت دنيا بر ديگرى تطاول كند فخور نازنده بدنيا وفخر كننده بدان بر اكفاء واقران قال في بحر العلوم المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبي عليه السلام ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله اما الخيلاء التي يحبها الله فالاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واما الخيلاء التي يبغضها الله فالاختيال في البغي والفجور اى لا يحب كل متكبر بما اوتي من الدنيا فخور مبالغ في الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبرا فقال كان كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته وبلقيس احدى داياته وكان يوسف لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته وكان الخضرآء له عرشت والغبرآء باسمه فرشت وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى وفي الآية اشارة الى انه يلزم ان يثبت الانسان على حال في السرآء والضرآء فان كان لا بد له من فرح فليفرح شكرا على عطائه لا بطرا وان كان لا بد من حزن فليحزن صبرا على قضائه لا ضجرا قال قتيبة بن سعيد دخلت على بعض احياء العرب فاذا انا بفضاء مملوء من الابل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصا على تل يغزل صوفا فسألته فقال كانت باسمي فارتجعها من اعطاها ثم انشأ يقول

لا والذي انا عبد من خلائقه * والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
ما سرني ان ابلي في مباركها * وما جرى من قضاء الله لم يكن

قال البقلي قدس سره طالب الله بهذه الآية اهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته اى كونوا في المعرفة بان لا يؤثر فيكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لان من شرط الاتصاف ان لا يجرى عليه احكام التلوين والاضطراب في اليقين والاعوجاج في التمكين قال القاسم رحمه الله ولا تأسوا على ما فاتكم من اوقاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فانك لا تدرى ما قدر الله فيك وقضى وقال الواسطي رحمه الله الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالافضال نوع من الاغفال والخمود تحت جريان الامور زين لكل مأمور وقال شيخي وسندى رحمه الله في كتاب اللايحات البرقيات لا تحزنوا بما فاتكم مما سوى الله ولا تفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لا تظلموا الحزن والفرح بوضعهما في غير موضعهما واحزنوا بما فاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما في موضعهما لان الله تعالى حق وما خلاه باطل فكما ان الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك ان الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولا يفرح ولا يحزن بالله الا المهاجرون الى الله ولا يحزن ولا يفرح بما سوى الله الا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العادلين في جميع احوالك واياك وطريق الظالمين ومما سوى الله المال والملك قال الحسن رضي الله عنه لصاحب المال في ماله مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله * همه تخت وملكى پذيرد زوال * بجز ملك فرمان ده لا يزال * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كاه آيد وكه رود جاه ومال * حكي ان طيرا في عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بالف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان فقال احضروه فلما احضروه قال سليمان لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غال فلم سكت قال يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني اني لا اصيح ابدا ما دمت في القفص قال لم قال لان صياحي كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقد قال لي ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تنجو فقال سليمان للرجل ما قال الطير فقال الرجل ارسله يا نبي الله فاني كنت احبه لصوته فاعطاه سليمان الف درهم ثم ارسل الطير فطار وصاح سبحان من صورني وفي الهوآء طيرني ثم في القفص صيرني ثم قال سليمان ان الطير ما دام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل عن التعلق به ففيه اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فاذا فني العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز الى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفي الحديث (الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن) قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قدس سره ولقد مرضت في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله منها مثلت نفسي بين ما دبر الله لي

من هذه العلة فى مقدار هذه المدة و بين عبادة الثقلين فى مقدار ايام على فقلت لو خيرت بين هذه العلة و بين ان تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى ايهما تميل اختيارا فصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى على ان مختار الله تعالى لى اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهى العلة التى دبر بها لى ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتحبوبه و بين فعلك لتحبوبه فلما رأيت هذا دق فى عينى عبادة الثقلين مقدار ثلث المدة فى جنب ما آتانى الله فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق و بهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى (قال الصائب) ترك هستى كن كه آسودست ازتاراج سيل * هركه پيش ازسيل رخت خود برون ازخانه ريخت (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا و يأمر غيره به وهذا غاية الذم انه يبخل الانسان و يأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون اموالهم ولا يخرجون منها حق الله فان البخل امساك المقتنيات عما يحق اخراجها فيه و يقابله الجود يقال بخل فهو باخل واما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بمقتنيات نفسه و بخل بمقتنيات غيره وهو اكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل كما فى المفردات و بالفارسية مختال وفخور آنانند كه باوجود دنياداري وجمع اسباب آن بخل كنند ومال خوددوراه خدا صرف نمايند و باوجود بخل خودامر نمايندمردمانرا بهبخيلى كردن وعن النبى عليه السلام انه قال لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس وانا نبخله قال واى داء ادوأ من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح وفى الحديث (اربعة لا يجدون ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين (ومن) وهركه (يتول) يعرض عن الانفاق (فان الله هو الغنى) عنه وعن انفاقه (الحميد) المحمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكر ولا ينفعه التقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق واشارة الى من اعرض عن الاقبال على الله والادبار عن الدنيا فان الله غنى بحسب ذاته عن اقباله و بحسب صفاته عن ادباره بل هو حميد فى ذاته وصفاته لا ينفعه اقباله ولا يضره ادباره اذ الضار النافع هو لا غيره وايضا الى النفوس البشرية الامارة بالسوء بالتقاعد عن الاقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والارواح الى الارتكاب للمعاصى والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة فى بعض الاوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار الانسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة مادامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فاظهرت المخالفة الا بالمجموع ولما جبل الانسان على الامساك لان اصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وامر بالبخل * زراز بهر خوردن بود اى پدر * زبهر نهادن چه سنك وچه زر (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر كما فى الارشاد (بالبينات) بحجتها روشن كه معجزاتست باشريعتها واحكمه فان قلت المعجزات يخلقها الله على يدى مدعى النبوة كاحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت معنى نزول الملك بها ان الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده (وانزلنا معهم الكتاب) اى جنس الكتب الشامل للكل لتبيين الحق و تمييز صوابه العمل اى لتكميل القوة النظرية والعملية قوله معهم يجعل على تفسير الرسل بالانبياء حالا مقدرة من الكتاب اى مقدرا كونه معهم والا فالانبياء لم ينزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والانزال اليهم شأن الانبياء ولذا قدم الوجه الاول اذ لو كان المعنى لقد ارسلنا الانبياء الى الامم لكان الظاهر ان يقال وانزلنا اليهم الكتاب (والميزان) بالفارسية ترازو (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم احدا احدا فى ذلك وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده والا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء وروى ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به يعنى تا تسوية حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات وقال الامام الغزالى رحمه الله اتظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة امتوهم انه هو الطيار والقبان

ما ابعد هذا الحسبان واعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تتعسف فى التأويل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من انبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الاول والثانى جبرآئيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق فى المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعرى ما دليله على ما ذهب اليه من العدول عن الظاهر كذا فى بحر العلوم يقول الفقير لعل دليله قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط اى حاكما بالعدل او مقيما للعدل فى جميع اموره فاذا كان الله قائما بالعدل فى جميع الامور كان الواجب على العباد ان يقوموا به ايضا وان يقوموا به حقيقة الا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهى معرفة الله فهى الميزان الكلى وما عداه من جميع الامور مبنى عليه وموزون به (وانزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما فى القاموس واياه عنى الشيخ سعدى فى قوله چو سندان كسى سخت رويى نبرد * كه خايسك تأديب بر سر نخورد * والثانى الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى كما فى القاموس والثالث الميقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية اصله موقعة قال فى القاموس الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو وقيع حددته بها والرابع المطرقة وهى آلة الطرق اى الضرب والخامس الابرة وهى مسلة الحديد وروى ومعه المر والمسحاة قال فى القاموس المر بالفتح المسحاة وهى ما سحى به اى قشر وجرف وفى الحديث (ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاثة اشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع والحديد وعن الحسن رحمه الله وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء قال بعضهم واخرجنا الحديد من المعادن لان العدل انما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة الى العدة والعدة مفتقرة الى الحديد واصل الحديد ماء وهو منزل من السماء (فيه) اى فى الحديد (بأس شديد) وهو القتال به او قوة شديدة يعنى السلاح للحرب لان آلات الحرب انما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعنى آلتها كه در كارزار بكار آيد از وسازند خواه از براى دفع دشمن چون سنان ونيزه وشمشير وپيكان وخنجر وامثال آن وخواه براى حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغير آن وفيه اشارة الى ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط فان الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم (ومنافع للناس) كالسكين والفأس والمر والابرة ونحوها وما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها وفيه اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما به قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترفة والى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر اذ لا بد لكل تجلى جلالى من كون التجلى الجمالى فيه وبالعكس وهم الاولياء وهم يميلون الى الحق بكثرة الالطاف والاعطاف الربانية كما قال تعالى يا بنى اسرآئيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزآء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدآئه (بالغيب) حال من فاعل ينصر اى غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع او من مفعوله اى حال كونه تعالى غائبا عنهم غير مرئى لهم (ان الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة الغير وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهى فى حق الله بمعنى القدرة وهى الصفة التى بها يتمكن الحى من الفعل وتركه بالارادة والعزة الغلبة على كل شئ قال الزروقى رحمه الله القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فما تلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة او معنى فمن ذكره

اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه لاحد من خلقه وفى الاربعين الادريسية
ياعزيز المنيع الغالب على امره فلا شئ يعادله قال السهروردى رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم
الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (ولقد ارسلنا)
اى و بالله قد بعثنا (نوحا) الى قومه وهم بنو قابيل وهو الاب الثانى (وابراهيم) الى قومه ايضا وهم نمرود
ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفا لهما والذكر ولانهما من اول الرسل وابوان للانبياء عليهم السلام فالبشر
كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما) اى فى نسلهما
(النبوة والكتاب) بان استنبأنا بعض ذريتهما واوحينا اليهم الكتب مثل هود وصالح وموسى وهرون وداود
وغيرهم فلا يوجد نبى ولا كتاب الا وهو مدلى اليهما بامتن الاسباب واعظم الانساب (فمنهم) اى فمن ذرية هذين
الصنفين او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين يعنى بس بعضى ازانها كه انبياء برايشان
آمدند (مهتد) الى الحق يعنى ايمان آورده بكتاب ونبى وثابت شد بردين خود (وكثير منهم فاسقون) خارجون
عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لامحالة (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا
والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم من الامم يعنى بعد ازنوح وهود وصالح راو بعد ازابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب ويوسف را اومن عاصرهما من الرسل ولا يعود الى الذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية
يقال قفا اثره اتبعه وقفى على اثره بفلان اى اتبعه اياه وجاء به بعده والآثار جمع اثر بالكسر تقول خرجت على اثره
اى عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحدا بعد واحد من الرسل قال الحريرى فى درة الغواص يقال شفعت
الرسول بآخر اى جعلتهما اثنين فاذا بعثت بالثالث فوجه الكلام ان يقال عززت بثالث اى قويت كما قال
تعالى فعززنا بثالث فان واترت الرسل فالاحسن ان يقال قفيت بالرسل كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم
برسلنا (وقفينا بعيسى ابن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم فاتينا به بعدهم
يعنى واز پى در آورديم اين رسل راوتمام كرديم انبياء بنى اسرآئيل رابعيسى ابن مريم فاول انبياء بنى اسرآئيل
موسى وآخرهم عيسى (وآتيناه الانجيل) دفعة واحدة (وجعلنا فى قلوب) المؤمنين (الذين اتبعوه)
اى عيسى فى دينه كالحواريين واتباعهم (رأفة) وهى اللين (ورحمة) وهى الشفقة اى وقفينا رأفة اى اشد
رقة على من كان يتسبب الى الاتصال بهم ورحمة اى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان
الصحابة رضى الله عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم فى غاية الصلابة فهم اعزة
على الكافرين قيل امر وافى الانجيل بالصفح والاعراض عن مكافأة الناس على الاذى * بدى رابدى
سهل باشد جزا * اكر مردى احسن الى من اسا * وقيل لهم من لطم خدك الايسر فوله خدك الايسر
ومن سلب رداءك فاعطه قميصك ولم يكن له قصاص على جناية فى نفس اوطرف فاتبعوا هذه الاوامر
واطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة (ورهبانية)
منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا اى اتباع عيسى رهبانية (ابتدعوها) اى عملوا انفسهم
على العمل بها واما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم اى وقفيناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال فى فتح الرحمن المعتزلة
تعرب رهبانية على انها نصب باضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون
فى ذلك الى ان الانسان يخلق افعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة فى العبادة بمواصلة
الصوم ولبس المسوح وترك اكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد فى الغيران
ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فان الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب كما فى المفردات
فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان
واهل التردد لاحتمال كون النسبة الى المفتوح والضم من تغيير النسب يعنى ان الرهبان لما كان اسما لطائفة
مخصوصة صار بمنزلة العلم وان كان جمعا فى نفسه فالتحق بانصار واعراب وفرآ ثض فقيل رهبانى كما قيل
انصارى واعرابى وفرآ ثضى بدون رد الجمع الى واحده فى النسبة وقال الراغب فى المفردات الرهبان يكون
واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جمعه على رهابين ورهبانية بالجمع اليق انتهى وهى الخصال المنسوبة الى الرهبان

وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التى وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعد اسمه احمد الآية وروى ان الله لما اغرق فرعون وجنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام فى الرجوع الى الاهل والمال بمصر فاذن لهم ودعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال فكانوا اول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك اصحاب المسيح عليه السلام (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة والنفى متوجه الى اصل الفعل اى ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية فى كتابهم ولا على لسان رسولهم (الا) استثناء منقطع اى لكن ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله) اى لطلب رضاه تعالى (فما رعوها حق رعايتها) اى فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليه قال عليه السلام من آمن بى وصدقنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون قال مقاتل لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فاصبروا واكلوا الخنازير وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفى المناسبات فما رعوها اى لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم كما اوجبوا على انفسهم حق رعايتها اى بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا فى دين ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام الا القليل ذمهم الله بذلك من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه سيما اذا قصد رضاه تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم) اى من العيسيين ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر قال فى كشف الاسرار لما بعث النبى عليه السلام ولم يبق منهم الا القليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به والصومعة كل بناء متصوم مع الرأس اى متلاصقه والديرخان النصارى وصاحبه ديار (اجرهم) اى ما يخص ويليق بهم من الاجر وهو الرضوان (وكثير منهم) اى من العيسيين وهم الذين ابتدعوا فضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام (فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا قال فى تفسير المناسبات وكذلك كان فى هذه الامة فانه لما توفى رسول الله تبعه خلفاؤه باحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما اخبر عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الايمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم وقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة ايام وقتل فيها خيار المسلمين رأى المؤمنون العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وشدوا الربط على سواحل البحر واخذوا فى الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية اخلاقهم ولزموا الفقر اخذا من احوال اهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والاحوال والمقامات فهؤلاء وزان اولئك انتهى وفى الحديث (يا ابن ام معبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع روى ان نفرا من الصحابة رضى الله عنهم اخذهم الخوف والخشية حتى اراد بعضهم ان يعتزل عن النساء وبعضهم الاقامة فى رؤس الجبال وبعضهم ترك الاكل والشرب وبعضهم غير ذلك فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال لا رهبانية فى الاسلام وقال رهبانية امتى فى المسجد يعنى المتعبدون من امتى لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون فى المساجد دون رؤس الجبال وقال فى نفى صوم الوصال انى لست كهيئتكم انى ابيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى (وفى المثنوى) هين مكن خود را خصى رهبان مشو * زانكه عفت هست شهوت را كرو * بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود * غازيى برمرد كان نتوان نمود * پس كلوا از بهر دام شهوتست * بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست * چونكه رنج صبر نبود مرترا * شرط نبود پس فرونايد جزا * حبذا آن شرط وشادا آن جزا * آن جزاى دلنوازيان فزا * قال الشافعى رحمه الله اربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وامانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى المقاصد الحسنة ثم ذكر لا تنبغى الخلوة والعزلة قال فى الاحياء لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو كما ترى موضع بالمدينة لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى طرقكم عالية ومما هنالكم

عما انتم

عما انتم فيه عافية وحكى ان جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لايخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار والفحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الاسواق والاعياد والجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجرة وفى الآية دليل على ان الشروع فى نفل العبادة ملزم وان من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لايحل نكثه وروى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم عليكم باتمام هذه التراويح لانها لم تكن واجبة عليكم وقد اوجبتموها على انفسكم فانكم ان تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية وكثير منهم فاسقون يقول الفقير وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فانها ملحقة بالتراويح لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلاتترك ابدا عند من اعتقد اعتقادهم قال فى فتح الرحمن واختلف الائمة فيما اذا انشأ صوما او صلاة تطوعا فقال ابو حنيفة لم يجزله الخروج منه فان افسده فعليه القضاء لقوله تعالى ولاتبطلوا اعمالكم وقال مالك رحمه الله كذلك الا انه اعتبر العذر فقال ان خرج منه لعذر فلا قضاء والا وجب وقال الشافعى واحمد رحمهما الله متى انشأ واحدا منهما استحب اتمامه فان خرج منه لم يجب عليه قضاء على الاطلاق واما اذا كان التطوع حجا او عمرة فيلزم اتمامه فان افسده وجب قضاؤه لوجوب المضى فى فاسده انتهى قال بعض الكبار جميع ما ابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة الى الله تعالى داخل فى الشريعة التى جاءت بها الرسل عن امر الله قال تعالى ورهبانية الخ فاقرهم تعالى عليها ولم يعب عليهم فعلها انما عاب عليهم عدم رعايتهم لها فى دوام العمل فقط وخلع عليها اسم البدعة فى حقهم بخلاف هذه الامة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفا لهم كما قال عليه السلام من سن سنة حسنة وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فاجاز لنا ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه اجرا لمن ابتدعه ولمن عمل به واخبر ان العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين انه يحشر امة وحده بغير امام يتبعه كما قال تعالى فى ابراهيم ان ابراهيم كان امة فانتا لله وذلك لنظره فى الادلة قبل ان يوحى اليه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان عليها فهو على شرع من ربه وان لم يعلم وقال بعضهم جميع ما ابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالامر به لايكون بدعة الا ان خالف صريح السنة فان لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع اوصافهم فانها كلها نوامیس حكمية لم يجئ بها رسول الله عليه السلام فى عموم الناس من عند الله لكونها طريقة اهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لاتحتمل العامة الامر بها ولا تجب هى عليهم فقد علمت ان طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوى ولولا انه عليه السلام فتح لامته باب الاستنان مايجرأ احد منهم على ان يزيد حكما او وضعا فى الصحيح من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقال بعضهم المقصود بالوضع الشرعى الالهى هو تكميل النفوس علما وعملا وهم انوا بامور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها فى الغاية والغرض كالامور التى التزمها الصوفية فى هذه الامة غير ايجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الانام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم مايصد عن الواصل من الافعال شريعة وكذا الباقى فلابد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام الشريعة اقوالى والطريقة اطوارى والمعرفة رأس مالى والحقيقة نقد حالى وقال بعضهم لاتبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفى شرعنا من سن سنة حسنة فاسماها بدعة فان شرعنا قد قررها فليشكر الله صاحب هذه البدعة وليلزمها حيث الحقه تعالى بانبيائه ورسله واباح له ان يسن ماسنته الرسل مما يقرب الى الله تعالى ولايخفى ان الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد فى التكاليف حكما واحدا موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة وقال بعضهم لاتجعل وردك غير ما ورد فى الكتاب والسنة تكن من العلماء الادباء لانك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك اجر التالين والذاكرين فما ترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الانسان من خير الدنيا والآخرة الا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء وردا من غير الوارد

فى السنة فقد اساء الادب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلى رحمه الله ونحوه فانه رحمه الله صرح بانه ما وضع حرفا منه الا باذن الله ورسوله وقال من دعا بغير ما دعا به رسول الله فهو مبتدع وقال بعضهم العبد فى ادآء الفرآئض عبد اضطرار وفى فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار اشرف واسلم فى حقه من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله فى عبودية الاختيار من ثمالبة الامتنان ومن ههنا ترك اكابر الرجال من الملائمية فعل النوافل واقتصروا على ادآء الفرآئض خوفا من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم وفى الحكم العطائية من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق الا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل الكثيرة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه (يا ايها الذين آمنوا) اى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) اى بمحمد عليه السلام وفى اطلاقه ايذان بانه علم فرد الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين واجرين نقل عن الراغب الكفل الحظ الذى فيه الكفالة كانه تكفل بامره والكفلان هما النصيبان المرغوب فيهما بقوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة (من رحمته) از بخشايش خود وذلك لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لا على ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقا قبل النسخ وعن ابى موسى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين الرجل يكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله اجران ومؤمن اهل الكتاب الذى كان مؤمنا ثم آمن بالنبى فله اجران والعبد الذى يؤدى حق الله وينصح لسيده ولذا بكى بعض العبيد حين اعتق لانه ذهب اجر النصح لسيده وبقى اجر ادآء حق الله * تادلت هست اسير عشق سليم * مسند تخت سلطنت مطلب (وقال الشيخ سعدى) اسيرش نخواهد رهايى زبند * شكارش نجويد خلاص از كمند (وقال المولى الجامى) مريض عشق نو چون مائل شفا كردد * اسير قيد تو كى طالب نجات شود (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم فهو الضياء الذى يمشون به على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وذلك لان جهنم خلقت من الظلمة اذهى صورة النفس الامارة وهى ظلمانية فنور الايمان والتقوى يدفعها ويزيلها (ويغفر لكم) ما اسلفتم من الكفر والمعاصى فاما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم على ما ورد فى الحديث الصحيح (والله غفور رحيم) اى مبالغ فى المغفرة والرحمة وفيه اشارة الى مغفرة الذنب الذى هو ملاحظة النفس فانه من اكبر الذنوب والمعاصى كما قالوا وجود لك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر (مصراع) چو مرد راه شدى بكذر از سر ودستار (لئلا يعلم اهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كهى فى ما منعك ان لا تسجد كما ينبئ عنه قرآءة ليعلم ولكى يعلم بادغام النون فى الياء قال فى كشف الاسرار وانما يحسن ادخالها فى كلام يدخل فى اوله واوآله جحد (ان لا يقدرون على شئ من فضل الله) ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انهم لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله (وان الفضل بيد الله) عطف على ان لا يقدرون يعنى آفرونى ثواب وجزآء وامثال آن بدست قدرت خداست (يؤتيه) عطا كند (من يشاء) هركرا خواهد وهو خبر ثان لان (والله ذو الفضل العظيم) والعظيم لابد ان يكون احسانه عظيما (قال الكاشفى) وخداى تعالى خداوند فضل بزركست يعنى نعمتى تمام كه خواص وعوام رافرا رسيده * فيض كرم رساندة از شرق تا بغرب * خوان نعم نهادة از قاف تا بقاف * هستند بيش وكم زنوال تو بهره مند * دارند نيك وبد بعطاء تو اعتراف * وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروى ان مؤمنى

اهل الكتاب اقتضروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفى الحديث (انما مثلنا ومثل الذين اوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال من يعمل نصف النهار الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم الى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال من يعمل الى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم الى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان الاوليان مالنا اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال ذلك فضلى اوتيه من اشاء فقيه اشارة الى ان اهل الكتاب اطول زمانا وعمرا واكثر اجتهادا واقل اجرا وهذه الامة اقصر مدة واقل سعيا واعظم اجرا والى ان الثواب على الاعمال ليس من جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه بخدمته اجرة بل من جهة الفضل ولله ان يتفضل على من يشاء بما يشاء قال البقلى رحمه الله اخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب يؤتى كراماته من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء فى الازل الى الابد والفضل العظيم ما لا ينقطع عن المنعم عليه ابدا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن يقول الفقير انما اخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها ليجتهد الامة بتلاوة جميع السور كما اخفى الله ساعة الاجابة وليلة القدر ونحوهما بعثا للعباد على الاجتهاد واحياء الليالى (قال الشيخ سعدى) جوهر كوشه تيرنياز افكنى * اميداست تا كه كه صيدى زنى * همه سنكها پاس داراى پسر * كه لعل از ميانش نباشد بدر * غم جمله خورد رهواى يكى * مراعات صد كن براى يكى

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد فى اواخر شهر ربيع الاول من سنة خمس عشرة ومائة والف من الهجرة

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية مدنية

الجزء الثامن والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) سمع مجاز مرسل عن اجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعنى كار براندن با كسى برسبيل نزاع واصله من جدلت الحبل اى احكمت فتله فكان المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام اى معاودته والمعنى قد اجاب الله دعاء المرأة التى تكالمك فى حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من ظهاره اياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك اى تتضرع الى الله تعالى وتظهر ما بها من المكروه قال فى المفردات الشكاية والشكاة والشكوى اظهار البث يقال شكوت واشتكيت واصل الشكوى فتح الشكوة واظهار ما فيها وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان فى الاصل استعارة كقولك بثثت له ما فى وعائى ونفضت ما فى جرابى اذا اظهرت ما فى قلبك وفى كشف الاسرار الاشتكاء اظهار ما يقع بالانسان من المكروه والشكوى اظهار ما يصنعه غيره به وفى تاج المصادر الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن وهى قرية صغيرة والمجادلة هى خولة بنت ثعلب بن مالك ابن خزاعة الخزرجية وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة روى انها كانت حسنة البدن رأها اوس وهى تصلى فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فابت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال انت على كظهر امى وكان اول ظهار وقع فى الاسلام ثم ندم على ما قال بناء على ان الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما اظنك الا وقد حرمت على فشق ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شئ يجمعنى واياه فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفانى اهلها وان لها صبية صغارا فقالت ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم الى ابيهم ضاعوا فما عاد النبى عليه السلام قوله الاول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله

عما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني تريد بذلك اني قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا ولد بعد وكانت في كل ذلك ترفع رأسها الى السماء على ما هو عادة الناس استنزالا للامر الالهي من جانب العرش وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهي مازالت في مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى الى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الاربع سمعت دعاءها وقبل لا شكواها فكانت سببا لظهور امر الظهار وفي قد اشعار بان الرسول والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لانها انما تدخل على ماض متوقع (والله يسمع تحاوركما) اي يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتحاوركما في امر الظهار فان التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعني يكد يكررا جواب دادن من الحور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول الى الحكم بالحرمة مرة بعد اخرى ورجوع المجادلة الى طلب التحليل كذلك ومثله المحاورة في البحث ومنه قولهم في الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي الرجوع الى النقصان بعد الوصول الى الزيادة اوالى الوحشة بعد الانس وقال الراغب الحور التردد اما بالذات واما بالتفكر وقيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التردد في الامر بعد المضي فيه اومن نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب مع افضل البريات تغليب اذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الى الله ومداقعته عليه السلام اياها بجواب منبيء عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وفي كشف الاسرار ليس هذا تكرارا لان الاول لما حكته من زوجها والثاني لما كان يجري بينها وبين رسول الله لان الاول ماض والثاني مستقبل (ان الله سميع بصير) مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * ولئن رددت فاي باب اقرع
حاشى للطفك ان تقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

وفي الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى ربه وصدق في دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان اضعف فارب به الطف * دعاي ضعيفان اميدوار * زبازوي مردي به آيد بكار * وفيها ان من استمع الله ورسوله والورثة الى كلامه فسائر الناس اولى روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين انتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره مازلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وهذه الفوقية لا يلزم منها الجهة لان الله هو العلي المتعالي فاعرف ثم انه من اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول في جوابه عليك نفسك اي الزم نفسك انت تأمرني بهذا وذلك لانه اذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم او كافر واعلم الناس لا يستغني عن تنبيه وايقاظ * بكوي آنچه داني مخن سودمند * وكرهيچ كس را نيايد پسند * يقال اللائق بالعاقل ان يكون كالنحل يأخذ من كل شيء ثم يخرجه عسلا فيه شفاء من كل داء وشمعا له منافع لا سيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد او قام المرء ولا عرفه فهو الدمى والمسك لو لا عرفه فهو الدمم العرف الاول بالضم بمعنى المعروف والثاني بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهي الصورة المنقشة من رخام اوعاج (الذين يظاهرون منكم) ايها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمي لانه ليس من اهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره (من نسائهم)

هذا شروع

هذا شروع في بيان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل اى قال لزوجته انت علىّ كظهر امى والظهر العضو والجارحة ويعبر عن الرقاب بالظهر اى انت علىّ حرام كبطن امى فكنى عن البطن بالظهر الذى هو عمود البطن لثلا يذكر ما يقارب به الفرج تأدبا ثم قيل ظاهر من امرأته فعدى بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب اهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها اذ الظهار طلاق عندهم كما مر فى قولهم آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الالية بمعنى الحلف وفى القرآن واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى بعدنى واياهم من عبادة الاصنام فمعنى البعد انما هو فى الاجتناب ونحوه المتعدى بمن لان معنى الابتداء الذى هو معنى من لا يخلو عن البعد فانه من معانى عن لا من ثم انه الحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج مما يحرم النظر اليها من الاجنبى قال انت علىّ كبطن امى او فخذها او فرجها كان ظهارا بخلاف مثل اليد والرجل وكذا الحقوا بالام سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة او رضاع او صهر كان ظهارا مثل ان يقول انت علىّ كظهر خالتى او عمتى او اختى نسبا او رضاعا او كظهر امرأة ابنى او ابى ولو شبهها بالخنزير او الدم او الميتة او قتل المسلم او الغيبة او النميمة او الزنى او الربا او الرشوة فانه ظهار اذا نوى وفى انت علىّ كامى صح نية الكرامة اى استحقاق البر فلا يقع طلاق ولا ظهار وصح نية الظهار بان يقصد التشبيه بالام فى الحرمة فيترتب عليها احكام الظهار لا غير ونية الطلاق بان يقصد ايجاب الحرمة فان لم ينو شيأ لغا وانت علىّ حرام كامى صح فيه ما نوى من ظهار او طلاق او ايلاء ولو قال انت امى او اختى او بنتى بدون التشبيه فهو ليس بظهار يعنى ان قال ان فعلت كذا فانت امى وفعلته فهو باطل وان نوى التحريم ولو قالت لزوجها انت علىّ كظهر امى فانه ليس بشئ وقال الحسن انه يمين وفى ايراد منكم مع كفاية من نسائهم مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم فى الظهار فانه كان من ايمان جاهليتهم خاصة دون سائر الامم فلا يليق بهم بعد الاسلام ان يراعوا تلك العادة المستهجنة فكانه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل ان يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعى للمؤمنين بالقبول والاقتداء به اى منكم ايها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بامر الله اذ الكافرون لا يستمعون الخطاب ولا يعملون بالصواب وفى من نسائهم اشارة الى ان الظهار لا يكون فى الامة ومن ذلك قالوا ان للظهار ركنا وهو التشبيه المذكور وشرطا وهو ان يكون المشبه منكوحة حتى لا يصح من الامة واهلا وهو من كان من اهل الكفارة حتى لا يصح للذمى والصبى والمجنون وحكما وهو حرمة الوطئ حتى يكفر مع بقاء اصل الملك (ما هن امهاتهم) خبر للموصول اى ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعنى ان من يقول لامرأته انت علىّ كظهر امى ملحق فى كلامه هذا التزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة فى المظاهر منها كالحرمة فى الام تغليظا وتشديدا فان قيل فحاصل الظهار مثلا انت محرمة علىّ كما حرمت علىّ امى وليس فيه دعوى الامومة حتى تنفى وتثبت للوالدات يقال ان ذلك التحريم فى حكم دعوى الامومة او ان المراد نفى المشابهة لكن نفى الامومة للمبالغة فيه (ان) نافية بمعنى ما (امهاتهم) فى الحقيقة والصدق (الا اللائى) جمع التى اى النساء اللاتى (ولدنهم) اى ولدن المظاهرين فلا تشبيه بهن فى الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من ازواج النبى عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك فى حكم الامهات واما الزوجات فما بعد شئ من الامومة فلا تلحق بهن بوجه من الوجوه (وانهم) اى وان المظاهرين منكم (ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره وذلك لان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن الحقه بها فكان التشبيه بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا مطلقا غير معروف (وزورا) اى كذبا باطلا مضمرا فاعن الحق فان الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلا عن الحق قال بعضهم ولعل قوله وزورا من قبيل عطف السبب على المسبب فان قلت قوله انت علىّ كظهر امى انشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والانشاء لا يوصف بالكذب قلت هذا الانشاء يتضمن الحاق الزوجة المحللة بالام المحرمة ابدا وهذا الحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا وعن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انبئكم باكبر

الكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت لايسكت رواه البخاري قال بعضهم لما كان مبنى طلاق الجاهلية الامر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقا ولم تبق الحرمة الا الى وقت التكفير وقال الظهار الذى هو من طلاق الجاهلية ان كان فى الشرع بمقدار من الزمان او لا طلاقا كانت الآية ناسخة والا فلا لان النسخ انما يدخل فى الشرآئع وهم قاله عليه السلام انها حرمت فلا يعين شيأ من الطرفين الا ان بعض المفسرين جعله مؤيدا للوجه الاول (وان الله لعفو غفور) اى مبالغ فى العفو والمغفرة لما سلف منه على الاطلاق على المذهب الحق او بالمتاب عنه على مذهب الاعتزال وذلك ان مادون الشرك حكمه موكول الى مشيئة الله ان شاء يغفره وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفره بعد التوبة واما اذا لم يتب عنه فعذبه عليه فانما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة لكون الكلام فى ذم الظهار وانكاره (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اللام والى متعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون الى ماقالوا والى مافات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافى بالتقرر والتكرر ومنه قولهم عاد الغيث على ما افسد اى تداركه بالاصلاح فافساده امساكه واصلاحه احياؤه ففيه اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من اسباب التدارك والوصول اليه فيكون مجازا مرسلا قال ابن الشيخ العود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى مافارق عنه والاخر ان يصير و يتحول الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لايلزم ان يكون رجوعا الى مافارق عنه والعود الذى هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود الى شئ مطلقا فحاصل المعنى ثم يعودون الى تدارك ماقالوا ودفع مالزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال و يجوز ان يكون المعنى ثم يريدون العود الى ماحرموا على انفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه (فتحرير رقبة) التحرير جعل الانسان حرا وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سواء كان مؤمنا اوكافرا ذكرا اوانثى صغيرا اوكبيرا هنديا اورومياوالمعنى فتداركه اوفالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وان كان تحرير المؤمن اولى والصالح احسن فيعتقها مقرونا بالنية وان كان محتاجا الى خدمتها فلو نوى بعد العتق اولم ينو لم يجز وان وجد ثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله الصيام كما فى الكواشى ولايجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذى ادى شيأ فان لم يؤد جاز ويجب ان تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق وعند الشافعى يشترط الايمان قياسا على كفارة القتل كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة قلنا حمل المطلق على المقيد انما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم ايضا وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوآئدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقرآءة آية السجدة فى موضعين فلو ظاهر من امرأته مرتين اوثلاثا فى مجلس واحد اومجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة (من قبل ان يتماسا) اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا وتقبيلا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وذلك لان اسم التماس يتناول الكل وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر لانه ارتكب الحرام ولايعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الاولى بالاتفاق وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رحمه الله ولاتسقط الكفارة بل يأتى بها على وجه القضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها فانه لايسقط عنه اتيانها بل يلزمه قضاؤها وفى الآية دليل على ان المرأة لايسعها ان تدع الزوج ان يقربها قبل الكفارة لانه نهاهما جميعا عن المسيس قبل الكفارة قال القهستانى لها مطالبة التكفير والحاكم يجبره عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لاتزول الا بالتكفير وكذا الوطئ فلها ثم تزوجها بعد العدة اوزوج آخر حرم وطئها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند ابى حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل ان يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها (ذلكم) اى الحكم بالكفارة ايها المؤمنون (توعظون به) الوعظ زجر يقترن بتخويف اى تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر من تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم

للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والحاصل ان فى المؤاخذة الدنيوية نفعا لكل من المظاهر وغير المظاهر بان يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل * نرود مرغ سوى دانه فراز * چون ذكر مرغ بيند اندر بند (والله بما تعملون) من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير (خبير) اى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها (فمن لم يجد) اى فالمظاهر الذى لم يجد الرقبة وعجز عنها بان كان فقيرا وقت التكفير وهو من حين العزم الى ان تقرب الشمس من الغروب من اليوم الاخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقى الا به والاعتبار بالمسكن والثياب التى لا بد منها فان المعتبر فى ذلك هو الفضل والذى غاب ماله فهو واجد (فصيام شهرين) اى فعليه صيام شهرين (متتابعين) ليس فيهما رمضان ولا الايام الخمسة المحرم صومها اى يوما العيد وايام التشريق فيصلهما بحيث لا ينفصل يوما عن يوم ولا شهرا عن شهر بالافطار فان افطر فيهما يوما او اكثر بعذر او بغير عذر استانف ولم يحسب ما صام الا بالحيض كما سيجئ (من قبل ان يتماسا) ليلا او نهارا عمدا او خطأ ولو جامع زوجة اخرى ناسيا لا يستأنف ولو افطرت المرأة للحيض فى كفارة القتل او الفطر فى رمضان لا تستأنف لكنها تصل صومها بايام حيضها ثم انه ان صام بالاهلة اجزأه وان صام ثمانية وخمسين بان كان كل من الشهرين ناقصا وان صامها بغيرها خلا بد من ستين يوما حتى لو افطر صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) اى الصيام بسبب من الاسباب كالهرم والمرض المزمن اى الممتد الغير المرجو برؤه فانه بمنزلة العاجز من كبر السن وان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطئ امرأته فالمختار ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه ومن الاعذار الشبق المفرط وهو ان لا يصبر على الجماع فانه عليه السلام رخص للاعرابى ان يعطى الفدية لاجله (فاطعام ستين مسكينا) الاطعام جعل الغير طاعما فيه ومن الى جواز التمليك والاباحة فى الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لا شئ له او له ما لا يكفيه واسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل والضعيف كما فى القاموس قال القهستانى فى شرح مختصر الوقاية قيد المسكين اتفاقى لجواز صرفه الى غيره من مصارف الزكاة يقول الفقير انما خص المسكين بالذكر لكونه احق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبئ عنه ما سبق آنفا من تفسير القاموس واطعام ستين مسكينا يشمل ما كان حقيقيا وحكميا بان يطعم واحدا ستين يوما فانه فى حكم ستين مسكينا وان اعطاه فى يوم واحد ولو بدفعات لا يجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من برا وصاعا من غيره كما فى الفطرة والصاع اربعة امداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام لان الله تعالى لم يذكر التماس مع الاطعام هذا عند ابى حنيفة رحمه الله واما عند الآخرين فالاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة لكافر واخراج القيمة عند ابى حنيفة رحمه الله خلافا للثلاثة وفى الفقه هذا اذا كان المظاهر حرا فلو كان عبدا كفر بالصوم وان اعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فان اعتق وايسر قبل التكفير كفر بالمال (ذلك) اى ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها واقع او فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم ان قيل اذا كان ترك الظهار مفروضا فما بال الفقهاء يجعلونه بابا فى الفقه اجيب بان الله وان انكر الظهار وشنع على من تعود به من الجاهليين الا انه تعالى وضع له احكاما يعمل بها من ابتلى به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه بابا لبيبنوا تلك الاحكام وزاد واقدرما يحتاج اليه مع ان المحققين قالوا ان اكثر الاحكام الشرعية للجهال فان الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج الى تكثير القيل والقال ودلت الآية على ان الظهار اكثر خطأ من الحنث فى اليمين لكون كفارته اغلظ من كفارة الحنث واللام فى لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لانها اذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لانه الغنى المطلق واذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لانه المحتاج المطلق فاهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضا اذ الغرض فى العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعا للنقصان فيه يتنزه عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف والمعتزلة يقولون بناء على انه هو الشئ الذى لاجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كانوا قائلين به (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة من تحريم الظهار وايجاب العتق للواجد

وايجاب الصوم لغير الواجد ان استطاع وايجاب الاطعام لمن لم يستطع (حدود الله) التى لا يجوز تعديها وشرآئعه الموضوعة لعباده التى لا يصح تجاوزها الى ما يخالفها جمع حد وهو فى اللغة المنع والحاجزبين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمى بذلك لكونه مانعا لمتعاطيه عن المعاودة لمثله وجميع حدود الله على اربعة اضرب اما شئ لا يجوز ان يتعدى الزيادة عليه ولا التقصير عنه كاعداد ركعات صلاة الفرض واما شئ يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان منه واما شئ يجوز النقصان منه ولا يجوز الزيادة عليه واما شئ يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما فى المفردات (وللكافرين) اى الذين لا يعملون بها ولا يقبلونها (عذاب اليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يعنى ان اطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لا لانه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج قال بعضهم فى قوله عليه السلام من ترك الصلاة فقد كفر اى قارب الكفر يقال دخل البلدة لمن قاربها قال فى برهان القرة آن قوله وللكافرين عذاب اليم وبعده وللكافرين عذاب مهين لان الاول متصل بشدده وهو الايمان فتوعدهم على الكفر العذاب الاليم هو جزآء الكافرين والثانى متصل بقوله كبتوا وهو الاذلال والاهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال وللكافرين عذاب مهين انتهى والاليم بمعنى المؤلم اى الموجع كالبديع بمعنى المبدع او بمعنى المتألم لكن اسند مجازا الى العذاب مبالغة كانه فى الشدة بدرجة تتألم بها نفسه وفى اثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الاربع تلاها عليه السلام فقال لاوس بن الصامت رضى الله عنه هل تستطيع عتق رقبة قال اذا يذهب جل مالى قال فصيام شهرين متتابعين قال يارسول الله اذا لم آكل فى اليوم ثلاث مرات كل بصرى وخشيت ان تعشو عينى قال فاطعام ستين مسكينا قال لا الا ان تعينى عليه قال اعينك بخمسة عشر صاعا وانا داع لك بالبركة وتلك البركة بقيت فى آله كما فى عين المعانى يقول الفقير فى وجوه الاحكام المذكورة اما وجه العتق فلان العاصى استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فداء لنفسه من النار كما قال عليه السلام من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل ارب منها ارباً منه من النار ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على افضلية اعتاق المؤمن وايضا ان ثمن العبد اكثر غالبا من فدية الاطعام والمال يعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففى بذله تخليص لها من رذيلة البخل وتحلية لها عن النار واما الوجه فى الصيام فلان الاصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوما ففى صيام ستين يوما تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس واما الوجه فى اطعام المساكين اما فى نفس الاطعام فلان الصوم التخلق بوصف الصمدية فاذا فات عنه ذلك لزم المعالجة بضده وهو الاطعام لان فى بذل المال اذابة النفس كما فى الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة الى الصوم ثم منه الى الاطعام واما فى عدد المساكين فلان الاطعام بدل عن الصيام وخلف له فروعى فيه من العدد ما روعى فى الصيام ويجوز ان يقال ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعا من طبقات الارض فامر باطعام ستين مسكينا من اولاد آدم حتى تقع المكافأة بجميع اولاده لانه لا يخرج احدهم عن هذه الستين نوعا وايضا سر العدد كون هذه الامة بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكانما عبد الله ستين سنة التى هى مبلغ عمره ومنتهى امده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه اشارة الى فضيلة الوقت فانه اذا فات العمل من محله لا يجبر بالقضاء بكماله الاولى بل يصير ساقطا عن درجة الكمال الاولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين واطعامها (قال المولى الجامى)

هر دم از عمر كرا مى هست كنج بى بدل * مى رود كنجى چنين هر لحظه برباد آخ آخ (وقال الشيخ سعدى)

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف وفى الآية اشارة الى ان النفس مطية الروح وزوجته فاذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الالهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس اراد ان يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بان لا يستمتع ولا يتصرف فيها الا بامر الحق ومقتضى حكمته لا بمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فانه لا يجوز له وعلى تقدير شدة اشتياق زوج الروح بزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية ارتباط الراكب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة ان لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح ان يصوم شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا

يعنى ان يمسك نفسه عن الالتفات الى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل النقاب وان لم يتمكن من قطع هذا الالتفات لبقاء بقية من بقايا انانيته فيه فيجب عليه اطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقهرهم على التخلق بالاخلاق الالهية والتحقق بالصفات الروحانية (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما ويشاقونهما وكذا اولياء الله فان من عادى اولياء الله فقد عادى الله وذلك لان كلا من المتعادين كما انه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الاخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الاخر غير ان لورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية ورآء وبالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول او از حدود امر ونهى تجاوز مينمايند وقال بعضهم المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان فى ذلك حديد حقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد وقال بعضهم فى معنى الآية يحادون اى يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والامراء السوء الذين وضعوا امورا خلاف ما حده الشرع وسموها القانون ونحوه بادشاهى كه طرح ظلم افكند بجاى ديوار ملك خويش بكند (كبتوا) اى اخزوا يعنى خوار ونكونسار كرده شوند وفى المفردات الكبت الرد بعنف وتذليل وفى القاموس كبته يكبته صرعه واخزاه وصرفه وكسره ورد العدو بغيظه واذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضى لتحققه اى سيكبتون ويدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعا اما الكافرون فمحادتهم فى الظاهر والباطن واما المنافقون ففى الباطن فقط (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل اقوام نوح وهود وصالح وغيرهم وكان السرى رحمه الله يقول عجبت من ضعيف عصى قويا فيقال له كيف ذلك فيقول وخلق الانسان ضعيفا (وقد انزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم او آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به والسؤال بان الانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يتصور فى الاجسام والآيات التى هى من الكلام من الاعراض الغير القارة فكيف يتصور الانزال فيها مجاب عنه بان المراد منه انزال من يتلقف من الله ويرسل الى عباده تعالى فيسند اليها مجازا لكونها المقصودة منه او المراد منه الايصال والاعلام على الاستعارة (وللكافرين) بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم من الاهانة بمعنى التصغير والمراد عذاب الكبت الذى هو فى الدنيا فيكون ابتداء كلام او عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى ان لهم الكبت فى الدنيا ولهم عذاب مهين فى الآخرة فهم معذبون فى الدارين قال بعضهم وصف الله العذاب الملحق بالكافرين اولا بالايلام وثانيا بالاهانة لان الايلام يلحق بهم اولا ثم يهانون به واذا كانت الاهانة ما فى الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا وفى الآية اشارة الى ان من يعادون مظاهر الله وهم الاولياء المتحققون بالله المجتمعون باسماء الله ويشاقون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون باحكام الشرائع بجحوا وانكروا ابلغ الجحد واظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد انزلنا بعصمة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات نحن سترها بستائر ظلمات انكاره فله عذاب القطيعة الفظيعة والاهانة من غير اباية (يوم يبعثهم الله) منصوب باذكر المقدر تعظيما لليوم وتهويلا له والمراد يوم القيامة اى يحييهم الله بعد الموت للجزاء (جميعا) اى كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث فيكون تاكيدا للضمير او مجتمعين فى حالة واحدة فيكون حالا منه (فينبئهم بما عملوا) من القبايح ببيان صدورها منهم او بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم والا فلا فائدة فى نفس الانباء لينبهوا على ما صدر منهم (احصاه الله) كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهى اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله اى احاط به عدادا وحفظه كما عمله لم يفت منه شئ ولم يغب قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد يقال احصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لانهم كانوا يعتمدونا اعتمادنا فيه على الاصابع وقال بعضهم الاحصاء عد باحاطة وضبط اذ اصله العدد باحاد الحصى للتقوى فى الضبط فهو اخص من العد لعدم لزوم الاحاطة فيه (ونسوه) اى والحال انهم قد نسوه لكثرته اولتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه امر

من الامور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وگفته اند گواهست ومناسب آن مكافات خواهد فرمود وكسى گواهى اورد نتواند كرد * حاكم زحكم دم نزند گر گواه نيست * حاكم كه شود گواه بود قصه مشكلست * فلابد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذى يحصى كل شئ ولا ينساه قبل ان يجيء يوم يفتضح فيه المصر على رؤس الاشهاد ولا يقبل الدعاء والمعذرة من العباد واعلم ان القول بانه تعالى شهيد قول بانه حاضر لكن بالحضور العلمى لا بالحضور الجسمانى فانه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمى فلا وجه لاكفار قائله مع وجوده فى القرآن (الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للانكار المقرر بالرؤية لما ان الانكار نفى معنى وفى النفى يقرر الاثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يستحق الخطاب والمعنى الم تعلم علما يقينيا بمرتبة المشاهدة انه تعالى يعلم ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتصدقون فقال احدهم ترى الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية (ما يكون من نجوى ثلاثة) ما نافية ويكون تامة بمعنى يوجد ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجى كالشكوى بمعنى الشكاية يقال نجاه نجوى ونجوى سارّه كناجاه مناجاة والنجوى السر الذى يكتم اسم ومصدر كما فى القاموس واصله ان تخلو فى نجوة من الارض اى مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كان المتناجى بنجوة من الارض لئلا يطلع عليه احد والمعنى ما يقع من تناجى ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف الى فاعله (الا هو) اى الله تعالى (رابعهم) اى بما علمهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها كما قال الحسين النورى قدس سره الا هو رابعهم علما وحكما لا نفسا وذاتا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما يوجد فى حال ما الا فى هذه الحال وفى الكلام اعتبار التصوير قال النصر ابادى من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة وعن ارتكاب كل محذور ومن لا يشاهد معيته فانه متخط الى الشبهات والمحارم (ولا خمسة) اى ولا نجوى خمسة نفر (الا هو سادسهم) اى الا هو تعالى بما علمهم ستة فى الاطلاع على ما وقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة واخرى خمسة ويقال ان التشاور غالبا انما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا اقل لفظا واجدر رأيا واكتم سرا ولذا ترك عمر رضى الله عنه حين علم بالموت امر الخلافة شورى بين ستة اى على ان يكون امر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفى الثلاثة اشارة الى الروح والسر والقلب وفى الخمسة اليها باضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال (ولا ادنى من ذلك) اى اقل مما ذكر كالاثنين والواحد فان الواحد ايضا يناجى نفسه وبالفارسية ونه كتر باشد ازسه عدد (ولا اكثر) كالستة وما فوقها (الا هو معهم) اى الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم ما يجرى بينهم ولا يخفى عليه ما هم فيه فكانه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا (اينما كانوا) اى فى اى مكان كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا * اين معيت درنيابد عقل وهوش * زين معيت دم مزن بنشين خموش * قرب حق بابنده دورست از قياس * برقياس خود منه آنرا اساس * قال بعض العارفين اگر مؤمنان امت احمد را خود اين تشريف بودى كه رب العالمين در اين سوره ميگويد كه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله هو معهم تمام بودى اصحاب كهف را باجلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميگويد ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم فانظركم من فرق بين من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان اخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وحظية المؤمن من المعية ان يعلم ان الخير فى ان يكون جليسه صالحا وكلامه نافعا ولا يتكلم بما لا طائل تحته فيكون عيبا فى صحيفته وعبثا فى صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ثم انه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وايصال لطفه اليه ونحو ذلك (ثم ينبئهم بما عملوا) اى يخبرهم بالذى عملوه

فى الدنيا (يوم القيامة) تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سوآء يعنى نسبت علم او باهمه معلومات يكسانست حالات اهل آسمانرا چنان داند كه حالات اهل زمين را وعلم او بمخفيات امور بدان وجه احاطه كند كه بجليات * نهان وآشكارا هر دو يكسانست برعلمت * نه اين را زود تر بينى نه آنرا دير تر دانى * من عرف انه العالم بكل شئ راقبه فى كل شئ واكتفى بعلمه فى كل شئ فكان واثقا به عند كل شئ ومتوجها له بكل شئ قال ابن عطاء الله متى علمت عدم اقبال الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وافادته للمحتاجين اليه ومن ادمن ذكر يا علام الغيوب بصفة الندآء الى ان يغلب عليه منه حال فانه يتكلم بالمغيبات ويكشف ما فى الضمائر وترقى روحه الى ان يرقى فى العالم العلوى ويتحدث بامور الكائنات والحوادث قال الفقهاء من قال بان الله تعالى عالم بذاته اى لا عالم بعلمه قادر بذاته اى لا قادر بقدرته يعنى لا يثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لان نفى الصفات الالهية كفر قال الرهاوى من اقر بوحدانية الله وانكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لا يكون ايمانه معتبرا كذا قالوا وفيه شئ بالنسبة الى المعتزلة فانهم من اهل القبلة ومن ثمة قال فى شرح العقائد والجمع بين قولهم لا يكفر احد من اهل القبلة وقولهم بكفر من قال بخلق القرءآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وامثال ذلك مشكل انتهى (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتحلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدرى رضى الله عنه خرج عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله انا كنا فى حديث الدجال قال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم منه هو الشرك الخفى يعنى المرآة (ويتناجون) ورازميكويند (بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف على قوله يعودون داخل فى حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره فى الدين اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة (واذا جاؤك) وچون بر تو آيند يعنى اهل النجوى (حيوك) ترا تحيت وسلام كنند والتحية فى الاصل مصدر حياك على الاخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة او سبب حياة اما فى الدنيا واما فى الاخرة (بما لم يحيك به الله) اى بشئ لم يقع من الله ان يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود مرك است يا قتل بشمشير وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول عليكم بدون الواو ورواية وعليكم بالواو خطأ كذا فى عين المعانى او يقولون انعم صباحا وهو تحية الجاهلية من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لينا لا بؤس فيه والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين واختلفوا فى رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبى وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول فى الرد علاك السلام اى ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول فى الرد السلام عليك بكسر السين يعنى الحجارة (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اذا خرجوا من عندك (لولا يعذبنا الله بما نقول) لولا تحضيضية بمعنى هلا اى هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجرآءتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبيا حقا (حسبهم) بس است ايشانرا (جهنم) عذابا مبتدأ وخبر اى محسبهم وكافيهم جهنم فى التعذيب من احسبه اذا كفاه (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها لا محالة وان لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزآء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم ايمانهم (فبئس المصير) اى جهنم قال فى برهان القرءان بالفاء لما فيه من معنى التعقيب اى فبئس المصير ما صاروا اليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين وقولهم ذلك من جملة ما غفلوا عما عندهم من العلم فانهم كانوا اهل كتاب يعلمون ان بعض الانبياء قد عصاه امته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى ثم ان الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روى ان عائشة رضى الله عنها سمعت قول اليهود فقالت عليكم السام

والذام واللعن فقال عليه السلام يا عائشة ارفقي فان الله يحب الرفق في كل شيء ولا يحب الفحش والتفحش الا سمعت ما رددت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في وقس عليه حال الورثة الكاملين فان انفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفي البستان * كزيري بچاهي درافتاده بود * كه از هول او شير نر ماده بود * همه شب ز فرياد وزاري نخفت * يكي بر سرش كوفت سنكي وكفت * تو هركز رسيدي بفرياد كس * كه ميخواهي امروز فرياد رس * كه بر جان ريشت نهد مرهمي * كه جانها بنالد ز دستت همي * تو ما را همي چاه كندي براه * بسر لاجرم برفتادي بچاه (يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم وقلوبهم (اذا تناجيتم) چون راز كوييد بايكديكر يعني في انديتكم وخلواتكم (فلا تتناجوا بالاثم والعدوان) كما يفعله المنافقون واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقرآءة القرءآن والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون يعني بسوي او جمع كرده خواهيد شد پس از موت دلت الآية على ان التناجي ليس بمنهي عنه مطلقا بل مأمور به في بعض الوجوه ايجابا واستحبابا واباحة على مقتضى المقام ان قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه الذ المطالب والانس به اقصى المآرب فالتقوى توجب الاجتناب والحشر اليه يستدعي الاقبال اليه يجاب بان في الكلام مضافا اذ التقدير واتقوا عذاب الله او قهر الله او غيرهما فان قيل ان العبد لو قدر على الخلاص من العذاب والقهر لاسرع اليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والامر انما يكون بالمقدور لا يكلف الله نفسا الا وسعها اجيب بان المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصي الصادرة عن العبد العاصي فالمراد واتقوا ما يفضي الى عذاب الله ويقتضي قهره في الدارين من الاثم والعدوان ومعصية الرسول التي هي السبب الموجب لذلك فالمراد النهي عن مباشرة الاسباب والامر بالاجتناب عنها ان قيل ان ذلك الاتقاء انما يكون بتوفيق الله له فان وفق العبد له فلا حاجة الى الامر به وان لم يوفقه فلا قدرة له عليه والامر انما يحسن في المقدور اجيب بانه تعالى علمه الحق اولا ووهب له ارادة جزئية يقدر بها على اختيار شيء فله الاختيار السابق على ارادة الله تعالى ووجود الاختيار في الفاعل المختار امر يطلع عليه كل احد حتى الصبيان (انما النجوى) المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان بقرينة ليحزن (من الشيطان) لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الاول لا من الحزن بفتحتين لازما من الرابع كقوله تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيكون الموصول مفعوله وفي القاموس الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع احزان وحزن كفرح وحزنه الامر حزنا بالضم واحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا وقال الراغب الحزن والحزن خشونة في الارض وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل خشنت بصدره اذا احزنته والمعنى انما هي ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم في سيرتهم يعني ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين في تدبير الغزو الى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفي الحديث (اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه (وليس) اي الشيطان او التناجي (بضارهم) بالذي يضر المؤمنين (شيأ) من الاشياء او شيأ من الضرر يعني ضرر رساننده مؤمنان بچيزي (الا باذن الله) اي بمشيئته وارادته اي ما اراده من حزن او وسوسة كما روي ان فاطمة رضي الله عنها رأت كان الحسن والحسين رضي الله عنهما اكلا من اطيب جزور بعثه رسول الله اليهما فماتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل وجبريل ملك الرؤيا فقال لا علم لي به فعلم انه من الشيطان وفي الكشاف الا باذن الله اي بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة على الغزاة قال في الاسئلة المفحمة اين ضرر الحزن قلت ان الحزن اذا سلمت عاقبته لا يكون حزنا في الحقيقة وهذه نكتة اصولية ان الضرر اذا كانت عاقبته الثواب لا يكون ضررا في الحقيقة والنفع اذا كانت عاقبته العذاب لا يكون نفعا في الحقيقة (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) ليوفضوا امورهم اليه وليثقوا به ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شرها وضررها ذكر بما سخن خصم تندخوي مكوي كه

اهل مجلس مارا ازان حسابی نیست وفی الآیة اشارة الی ان الشیطان یناجی النفس الامارة ویزین لها المعارضات ونحوها یقع القلب والروح فی الحزن والاضطراب وضیق الصدر ویتقاعدان من شؤم المعارضة عن السیر والطیر فی عالم الملکوت ویحرمان عن مناجاة الله تعالی فی عالم السر لکنهما محروسان برعایة الحق وتأییده ومنه یعلم ان کل مخالفة فهی فی النفس والطبیعة والشیطان لانها ظلمانیة وان کل موافقة فهی فی القلب والروح والسر لانها نورانیة الا ان یغلب علیها ظلمة اهل الظلمة وتختفی انوارها تحت تلک الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الکثیف فلیکن العبد علی المعالجة دآئما لکن ینبغی له التوکل التام فان المؤثر فی کل شیء هو الله تعالی (یاایها الذین آمنوا) یعنی المخلصین (اذا قیل لکم) من ای قائل کان من الاخوان (تفسحوا) التفسح جای فراخ کردن وفراخ نشستن در مجلس وکذا الفسح لکن التفسح یعدی بنی والفسح باللام ای توسعوا لیفسح بعضکم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنی ای تنح وانت فی فسحة من دینک ای فی وسعة ورخصة وفلان فسیح الخلق ای واسع الخلق (فی المجالس) قال فی الارشاد متعلق بقیل یقول الفقیر الظاهر انه متعلق بقوله تفسحوا الان البیهقی صرح فی تاج المصادر بان التفسح یعدی بنی علی ما اشرنا الیه آنفا (فافسحوا) پس جای کشاده کنید برمردم (یفسح الله لکم) ای فی کل ما تریدون التفسح فیه من المکان والرزق والصدر والقبر وغیرها فان الجزآء من جنس العمل والآیة عامة فی کل مجلس اجتمع فیه المسلمون للخیر والاجر سوآء کان مجلس رسول الله صلی الله علیه وسلم وکانوا یتضامون فی مراکز الغزاة ویأتی الرجل الصف ویقول تفسحوا ویأبون لحرصهم علی الشهادة او مجلس ذکر او مجلس یوم الجمعة وان کل واحد وان کان احق بمکانه الذی سبق الیه لکنه یوسع لاخیه سالما یتأذ لذلک فیخرجه الضیق من موضعه وفی الحدیث (لا یقیمن احدکم الرجل من مجلسه ثم یخلفه فیه ولکن تفسحوا وتوسعوا وفی روایة لا یقیمن احدکم اخاه یوم الجمعة ولکن لیقل افسحوا) وقیل ان رجلا من الفقرآء دخل المسجد وارادان یجلس بجنب واحد من الاغنیاء فلما قرب منه قبض الغنی الیه ثوبه فرأی رسول الله علیه السلام ذلک فقال للغنی اخشیت ان یعدیه غناک او یعدیک فقره وفیه حث علی التواضع والجلوس مع الفقرآء والتوسعة لهم فی المجالس وان کانوا شعثا غبرا (واذا قیل انشزوا) یقال نشز الرجل اذا نهض وارتفع فی المکان نشزا والنشز کالفلس وکذا النشز بفتحتین المکان المرتفع من الارض ونشز فلان اذا قصد نشزا ومنه نشز فلان عن مقره وقلب ناشزا ارتفع عن مکانه رعبا والمعنی واذا قیل لکم قوموا للتوسعة علی المقبلین ای علی من جاء بعدکم (فانشزوا) فارتفعوا وقوموا یعنی اذا کثرت المزاحمة وکانت بحیث لا تحصل التوسعة بتخلی احد الشخصین عن الآخر حال قعود الجماعة وقیل قوموا جمیعا وتفسحوا حال القیام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القیام او اذا قیل لکم قوموا عن مواضعکم فاثقلوا منها الی موضع آخر لضرورة داعیة الیه اطیعوا من امرکم به وقوموا من مجالسکم وتوسعوا لاخوانکم ویؤیده انه علیه السلام کان یکرم اهل بدر فاقبلت جماعة منهم فلم یوسعوا لهم فقال علیه السلام قم یا فلان ویا فلان فاقام من المجلس بعدد المقبلین من اهل بدر فتغامز به المنافقون انه لیس من العدل ان یقیم احدا فی مجلسه وشق ذلک علی من اقیم من مجلسه وعرف رسول الله علیه السلام الکراهیة فی وجوههم فانزل الله الآیة فالقائل هو الرسول علیه السلام ویقال واذا قیل انشزوا ای انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولا تملوا رسول الله بالارتکان فیه او انهضوا الی الصلاة او الی الجهاد او الشهادة او غیر ذلک من اعمال الخیر فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا فالقائل یعم الرسول وغیره (یرفع الله الذین آمنوا منکم) جواب للامر ای من فعل ذلک طاعة للامر وتوسعة للاخوان یرفعهم الله بالنصر وحسن الذکر فی الدنیا والایوآء الی غرف الجنان فی الآخرة لان من تواضع رفعه الله ومن تکبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصوریة والمعنویة (والذین اوتوا العلم) ای ویرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص علی العام للدلالة علی علو شأنهم وسمو مکانهم حتی کأنهم جنس آخر (درجات) ای طبقات عالیة ومراتب مرتفعة بسبب ما جمعوا من العلم والعمل فان العلم لعلو درجته یقتضی للعمل المقرون به مزید رفعة لا یدرک شأوه العمل العاری عنه وان کان فی غایة الصلاح ولذا یقتدی بالعالم فی افعاله ولا یقتدی بغیره فعلم من هذا التقریر انه لا شرکة

للمعطوف عليه فى الدرجات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما تم الكلام عند قوله منكم ويفتتح الذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى ويرفعهم درجات واتصاب درجات اما على اسقاط الخافض اى الى درجات او على المصدرية اى رفع درجات فحذف المضاف او على الحالية من الموصول اى ذوى درجات (والله بما تعملون) اى بعملكم او بالذى تعملونه (خبير) عالم لا يخفى عليه شئ منه لاذانه جنسا او نوعا ولا كيفيته اخلاصا او نفاقا او رياء او سمعة ولا كميته قلة او كثرة فهو خبير بتفحصكم وفتشركم ونيتكم فيهما فلا تضيع عند الله وجعله بعضهم تهديدا لمن لم يمتثل بالامر او استكرهه فلا بد من التفحص والطاعة وطلب العلم الشريف ويعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره فى المجالس والمحاضر لان الله تعالى قدمه واعلاه حيث جعل درجاته عالية وفى الحديث (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) اى فضل العالم الباقى بالله على العابد الفانى فى الله كما فى التأويلات النجمية وقال فى عين المعانى العلم المراد علم المكاشفة فى ما ورد فضل العالم على العابد كفضلى على امتى اذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لشبوته شرطا له اذ العمل انما يعتد به اذا كان مقرونا بعلم المعاملة قال بعضهم المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة * علم چند انكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل * رفعت آدمى بعلم بود * هركرا علم بيش رفعت بيش * قيمت هر كسى بدانش اوست * سازد افزون بعلم قيمت خويش (وقال بعضهم) مرا يتجربه معلوم كشت آخر حال * كه عزحر دبعلم است وعز علم بمال * وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فالى ذل يصير وعن الزهرى رضى الله عنه العلم ذكر فلا يصبه الا ذكور الرجال قال مقاتل اذا انتهى المؤمن الى باب الجنة يقال له لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم قف على باب الجنة واشفع للناس وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال لان اعلم مسئلة احب الى من ان اصلى مائة ركعة ولان اعلم مسئلة احب الى من ان اصلى الف ركعة قال ابو هريرة وابو ذر رضى الله عنهما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد واعلم ان جميع الدرجات اما باعتبار تعدد اصحابها فان لكل عالم ربانى درجة عالية او باعتبار تعددها كقوله عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس فى عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك فى اربعين يوما والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس فى السباق (يا ايها الذين آمنوا) بالايمان الخالص (اذا ناجيتم الرسول) المناجاة باكسى راز گفتن اى اذا كالمتموه سرا فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام ومكالمته سرا وبالفارسية چون خواهيد كه راز گوييد با رسول وفى بعض التفاسير اذا كالمتموه سرا استفسار الحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه ارشاد للمقتدين الى عرضها على المقتدى بهم ليعبروها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبيرها بين ارباب السلوك حتى قيل ان على المريد ان يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ اولم يعبر فان الله تعالى قال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وهى من جملة الامانة عند المريد لا بد ان يؤديها الى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفى التعبير اثر قوى على ما قال عليه السلام الرؤيا على ما اولت (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) اى فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستطربه الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله نجواكم استعارة بالكناية وبين يدى تخييلية وفى بعض التفاسير اذا اردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشئ ليكون ذلك قوة لكم ونفعا فى اموركم والآية نزلت حين اكثر الناس عليه السؤال حتى اسأموه واملوه فامرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس اما الفقير فلعسرته واما الغنى فلشحه وفى هذا الامر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى اءشفقتم الآية وهو ان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا على ما هو شأن الناسخ واختلف فى مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل كان ساعة من النهار والظاهر انه عشرة ايام لما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلى

ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته وفى رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم يعنى كنت اقدم بين يدى نجواى كل يوم درهما الى عشرة ايام واسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدته وهى عشرة ايام فى بعض الروايات لعدم الحوج اليها او الاشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الامر وان كان للاشفاق وفى بعض التفاسير ولا يظن ظان ان عدم عمل غيره من الصحابة رضى الله عنهم بهذا العدم الاقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة ابى بكر وعثمان رضى الله عنهما بالوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم من هذا شأنه على تصدق دينار او دينارين وكذا غيرهما فلعله لم يتفق حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لا ينافى الجلوس فى مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية او دنيوية بدون النجوى اذ المناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضى عدم العام كما لا يخفى وعن على رضى الله عنه قال لما نزلت الآية دعانى رسول الله فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد اى رجل قليل المال لزهدك فيه فتقدرت على حالك وما فى بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة او شعيرة اى مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضى الله عنه كان لعلى رضى الله عنه ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة رضى الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله حمر النعم بسكون الميم الحمر وهى من انفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وانه ليس هنالك اعظم منه قال بعضهم ان رسم النشارات للملوك والرؤساء مأخوذ من ادب الله تعالى فى شأن رسوله حيث قال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (ذلك) التصدق (خير لكم) ايها المؤمنون من امساكه وبالفارسية بهترست مر شعارا زيرا كه طاعت بيفزايد (واطهر) لانفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشئ من حب المال الذى هو من اعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه گناهان محو كند وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق والمعنى بالفارسية پس اگر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى آمرزنده است مر كسى را كه اين گناه كند مهربانست بنده را كه تكليف ما لا يطاق نفايد قال بعض اهل الاشارة ان الله تعالى ادب اهل الارادة بهذه الآية ان لا يناجوا شيوخهم فى تفسير الالهام واستفهام علم المكاشفة والاسرار الا بعد بذل وجودهم لهم والايمان بهم بشرط المحبة والارادة فان المحبة بهذه الصفة خير لقلوبهم واطهر لنفوسهم فان ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الايمان والارادة وعلموا قصورهم فى الحقيقة فان الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم الى درجة الاكابر (قال المولى الجامى) چه سودا ى شيخ هر ساعت فزودن خرمن طاعت * چو نتوانى كه يك جو از وجود خويشتن كاهى (اشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الاشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للاشفاق ولا مخالفة للامر وجمع صدقات بجمع المخاطبين قال فى بعض التفاسير افرد الصدقة اولا لكفاية شئ منها وجمع ثانيا نظرا الى كثرة التناجى والمناجى والمعنى اخفتم الفقر يا اهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفا للاختصار وان تقدموا فى تقدير لان تقدموا او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر هوّن عليك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى (فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكرديد اين كار را (وتاب الله عليكم) بان رخص لكم فى ان لا تفعلوه واسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لانه لا وجه لحملها على قبول التوبة حقيقة اذ لم يقع منهم التقصير فى حق هذا الحكم بان وقعت المناجاة بلا تصدق وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها بمعنى الظرفية والمعنى بمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى اذا للمستقبل كما فى قوله اذ الاغلال فى اعناقهم او بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان يستعمل فيما يحتمل وقوعه ولا وقوعه (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) مسبب عن قوله فاذ لم تفعلوا اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات

فتداركوه بالمواظبة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المفروضة (واطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع (والله خبير بما تعملون) عالم بالذى تعملونه من الاعمال الظاهرة والباطنة لايخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا اما امركم به ابتغاء لمرضاته لا لرياء وسمعة وتضرعوا اليه خوفا من عقوباته خصوصا بالجماعة يوم الجمعة ومن الادعية النبوية اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة انك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفى تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالامر بالاطاعة العامة اشارة الى علو شأنهما واناقة قدرهما فان الصلاة رئيس الاعمال البدنية جامعة لجميع انواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبى عليه السلام ومن الدعاء الذى هو مخ العبادة ومن ذلك سميت صلاة وهى الدعاء لغة فهى عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من اهل السموات والارضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لاهل الصلاة وويل لتاركها وان الزكاة هى ام الاعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هى بمعنى الطهارة وبها ينمو المال فى الدنيا بنفسه لانه يمحق الله الربا ويربى الصدقات وفى الآخرة باجره لانه تعالى يضاعف لمن يشاء وفى الحديث (من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل فعلى هذا هى من الزكاء بمعنى النماء اى الزيادة وفى البستان * بدينا توانى كه عقبى خرى * بخر جان من ورنه حسرت خورى * زرونعمت آيد كسى رابكار * كه ديوار عقبى كند زرنكار (الم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم ويبلغون اليهم اسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بالى لكونها بمعنى النظر اى الم تنظر يعنى ايانمى نكرى (الى الذين تولوا) من التولى بمعنى الموالاة لا بمعنى الاعراض اى والوا يعنى دوست كرفتند (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والغضب حركة للنفس مبدأها ارادة الانتقام وهو بالنسبة اليه تعالى تفيض الرضى اوارادة الانتقام اوتحقيق الوعيد اوالاخذ الاليم والبطش الشديد اوهتك الاسرار والتعذيب بالنار اوتغيير النعمة (ماهم) اى الذين تولوا (منكم) فى الحقيقة (ولا منهم) اى من القوم المغضوب عليهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وان كانوا كفارا فى الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالا لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفائهم لهم وما لا لان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والجملة مستأنفة (ويحلفون على الكذب) الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف اصله اليمين التى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين اى يقولون والله انا لمسلمون فالكذب المحلوف عليه هو ادعاء الاسلام وهو عطف على تولوا وادخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل اوتركه ماض كاذبا عمدا سمى بالغموس لانه يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار ولم يجعل حلفهم غموسا لان الغموس حلف على الماضى وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفى هذا التقييد دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه فيكون جهة على النظام والجاحظ وروى انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق بتقديم النون على الباء الموحدة كجعفر وكان ازرق فقال له عليه السلام على م تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم (اعد الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) دردنيا بخوارى ورسوايى ودرآخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالتوصية مستفادة من تنكير عذابا والعظيم من توصيفه بالشدة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى تمرنوا عليه واصروا وتمرنهم اى اعتيادهم واستمرارهم على مثل ما عملوه فى الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى العمل السيء دأبهم (اتخذوا ايمانهم) الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة واليمين فى الحلف

مستعار من اليد اعتبارا بما يفعله الحالف والمعاهد عنده (جنة) وهى الترس الذى يجن صاحبه اى يستره والمعنى وقاية وسترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب اموالهم يعنى بناهى كه خون ومال ايشان درامان ماند فالاتخاذ عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤآخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤآخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤآخذة وعن سبيلها ايضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله (فصدوا) اى منعوا الناس وصرفوهم (عن سبيل الله) اى عن دينه فى خلال امنهم وسلامتهم و تثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم (فلهم) بسبب كفرهم وصدهم (عذاب مهين) مخزى بين اهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) قليلا من الاغناء يقال اغنى عنه كذا اذا كفاه يعنى انهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولا تنفعهم اذا دخلوا النار اموالهم ولا اولادهم التى صانوها وافتخروا بها فى الدنيا او يقولون ان كان مايقول محمد حقا لندفعن العذاب عن انفسنا باموالنا واولادنا فاكذبهم الله بهذه الآية فان يوم القيامة يوم لاينفع فيه مال ولا بنون ولا يكفى احدا حدا فى شأن من الشؤون (اولئك) الموصوفون بماذكر من الصفات القبيحة قال فى برهان القرآن بغير واو موافقة للجمل التى قبلها ولقوله اولئك حزب الله (اصحاب النار) اى ملازموها ومقارنوها اوما لكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذى اكتسبوه فى الدنيا بالسيئة المردية المؤدية الى التعذيب (هم فيها خالدون) لايخرجون منها ابدا وضميرهم لتقوية الاسناد ورعاية الفاصلة لالقصر خلود غير المنافقين فيها من الكفار (يوم يبعثهم الله جميعا) يادكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كند پس اومرلئ وجميعا حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين (فيحلفون) فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (له) اى لله تعالى على انهم مسلمون مخلصون كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة مصدره الحسبان وهو ان يحكم لاحد النقيضين من غير ان يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعتقد عليه الاصبع ويكون بعرض ان يعتريه فيه شك ويقارنه الظن لكن الظن ان يخطر النقيضين بباله فيغلب احدهما الآخر (انهم) بتلك الايمان الكاذبة (على شئ) من جلب منفعة اودفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن انفسهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية (الا انهم هم الكاذبون) البالغون فى الكذب الى غاية لامطمع ورآءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة ترويج الكذب لديه كما ترى وجه عند الغافلين والاحرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم فى النفاق وتعودهم به بحيث لاينفكون عنه موتا ولا حياة ولورود العاد والمانع عنه وانهم لكاذبون (استحوذ عليهم الشيطان) من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقا عنيفا اى استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له فى كل مايريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اى على خلاف القياس فان القياس ان يقال استحاذ فهو فصيح استعمالا وشاذ قياسا وحكى ان عمر رضى الله عنه قرأ استحاذ (فانساهم ذكر الله) المصدر مضاف الى المفعول اى كان سببا بالاستيلاء لنسيانه تعالى فلم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم (اولئك) المنافقون الموصوفون بماذكر من القبايح (حزب الشيطان) اى جنوده واتباعه الساعون فيما امرهم به والحزب الفريق الذى يجمعه مذهب واحد (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) اى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية ورآءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم قال بعض المشايخ بوأهم الله الدرجات الشوامخ علامة استحواذ الشيطان على العبدان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان قال بعض اهل الاشارة اذا رأى الشيطان ان ينبت فى سبخة ارض النفس الامارة حنظل الشهوة يثب اليها ويغريها على انفاذ مرادها فتكون النفس مركبه فيهجم الى بلد القلب ويخربه بان يدخل فيه ظلمة الطبيعة فلا ترى عين القلب مسلك الذكر وصفاته فلما احتجب عن الذكر صار وطن ابليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون

بارادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بان يلابس امر الدين بامر الدنيا ويغويه من طريق العلم فاذا لم يعرف دقائقه صار قرينه الشيطان دون الملك والرحمن اذ لا يجتمع الحق مع الباطل * نظر دوست نادر كند سوى تو * چو در روى دشمن بود روى تو * ندانى كه كمتر نهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود در سراى (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما ويخالفون امرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع آخر في ارض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حدا لا يتعداه بخصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من رآهم انهم الاعزاء الذين لا احد اعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر (اولئك) الابعاد والاسافل بما فعلوا من المحادة (في الاذلين) اى في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لا ترى احدا اذل منهم لان ذلة احد المتضامين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يعاديه كذلك وذلك بالسبي والقتل في الدنيا وعذاب النار في الآخرة سواء كانوا فارس والروم او اعظم منهم سوقة كانوا او ملوكا كفرة كانوا او فسقة (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اى قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به (لاغلبن انا ورسلي) اكد لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف او باحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لانهم الفائزون بالعاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة واما الغلبة بالسيف فهي ليست بثابتة للجميع لان منهم من لم يأمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان اقوى * محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن گذارد ترا * وعن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى كتب الله الآية قال البقلي رحمه الله كتب الله على نفسه في الازل ان ينصر اولياءه على اعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية حيث تندو راياتهم التي هي سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الاعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله اهل الحق لهم الغلبة ابدا ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعا لان الله تعالى جعلهم اعلاما في خلقه واوتادا في ارضه ومفزعا لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه واذله في ظاهر عزه (ان الله) تعليل للقهر والغلبة اكده لان افعالهم مع اوليائه افعال من يظن ضعفه (قوى) على نصرانبيائه قال بعضهم القوى هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا ابرام والقوة في الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة الى الله تعالى (عزيز) لا يغلب عليه في مراده * حكمى كه آن زبار كه كبريا بود * كس را دران مجال تصرف كجا بود * فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الاحيان وقد وعد النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الضروري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا تمحيصا لذنوبه وتطهيرا لقلبه واما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب الا ترى ان الطاعون مثلا رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين ومامن سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا له لاحق عدل غير ان اثر العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق احدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما في حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الاثر السابق يكون تعلق الاثر اللاحق وقد اجرى الله سبحانه آثار عداه على ظواهر اصفيائه بدون بواطنهم ثم عقب ذلك بايراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعد

الحكمة الالهية تفويض ممالك الارض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك كثير موجود
بالاستقراء فمن كمال تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شأنهم ان يجري على ظاهرهم من آثار العدل ما فيه تكميل لهم
وتنوير لبصائرهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب الى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع احوال الاكابر
من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من احسن بلاء الله ما يشهد لما قرر بالعصمة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ
كما هو شأن الكبار * هر چه از دست تو آيد خوش بود * كرهمه درياى پر آتش بود * وفي الآية
اشارة الى اعداء النفوس الكافرة فانها تحمل القلوب والارواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة
وتعمر الذكر من الواحها بغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على
النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كاهل الذمة في بلدة المسلمين وذلك لان الله تعالى كتب
في صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب التفضل والكرم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر) الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد وتجدا ما مستعد الى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله
ورسوله) مفعوله الثاني او الى واحد بان كان بمعنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون
والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهي حالة تكون في القلب اولا ويظهر آثارها في القالب ثانيا
والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة
على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد وجعل ما لا ينبغي
وجوده غير موجود لشركته له في فقد الخير ويجوز ان يقال لا تجد قوما كاملي الايمان على ما يدل عليه
سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته قال في كشف الاسرار اخبر ان الايمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة
من في حكمهم وعن سهل بن عبد الله التستري قدس سره من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس الى مبتدع
ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه ويظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعا
سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب الى مبتدع لطلب عز في الدنيا اوعرض منها اذله الله بتلك العزة وافقره الله
بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه من لم يصدق فليجرب واما المعاملة للمبايعة
العادية او للمجاورة او للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة في مواضعها
قال ابن الشيخ المعنى لا يجتمع الايمان مع موادة احد آ الله فان قيل اجتمعت الامة على ان يجوز مخالطتهم
ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه
كافرا وما سوى ذلك جائز روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي
نعمة فاني وجدت فيما اوحى الي لا تجد قوما الخ فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله
اى خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم وهم القائلون بنفي كون
الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته يعني هم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي
بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم في نفيه وكثرة مدافعتهم اياه وقيل لاثباتهم للعبد قدرة الايجاد وليس بشئ لان
المناسب حينئذ القدري بضم القاف (ولو كانوا) اى من حاد الله ورسوله وبالفارسية واگرچه باشند
از مخالفان خدا ورسول والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) اى آباء
الموادين (او ابناءهم) قدم الاقدم حرمة ثم الاحكم محبة (او اخوانهم) نسبا (او عشيرتهم) العشيرة اهل الرجل
الذين يتكثر بهم اى يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة
من اقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريبا او معارفا وفي القاموس عشيرة الرجل بنوا ابيه الادنون او قبيلته
انتهى يعني ان المؤمنين المتصلبين في الدين لا يوالون هؤلاء الاقرباء بعد ان كانوا محادين الله ورسوله فكيف
بغيرهم فان قضية الايمان بالله ان يهجر الجميع بالكلية بل ان يقتلهم ويقصدهم بالسوء كما روى ان ابا عبيدة قتل
اباه الجراح يوم بدر وان عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول جلس الى جنب رسول الله عليه السلام فشرب
رسول الله الماء فقال عبد الله رضي الله عنه يا رسول الله ابق فضلة من شرابك قال فما تصنع بها فقال اسقيها ابي
لعل الله يطهر قلبه فتعل فاتاها اباه فقال ما هذا قال فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله
يطهر قلبك فقال له ابوه هلا جئتني ببول امك فرجع الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله ائذن لي في قتل ابي

فقال عليه السلام بل ترفق به وتحسن اليه وان اباك خافة قبل ان اسلم سب النبي عليه السلام فصكه ابو بكر رضي الله عنه صكة اي ضربه ضربة سقط منها فقال عليه السلام اوفعلته قال نعم قال فلا تعد اليه قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته قال في التكملة في هذه الرواية نظر لان هذه السورة مدنية وابو بكر مع ابيه الان بمكة انتهى يقول الفقير لعله على قول من قال ان العشر الاول من هذه السورة مدني والباقي مكي وان ابا بكر رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى البراز يوم بدر فامره عليه السلام ان يقعد قال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى وهي القطعة من الفرسان فقال عليه السلام متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك بمنزلة سمعي وبصري يقول الفقير يعلم منه فضل ابي بكر على علي رضي الله عنهما فان هذا فوق قوله عليه السلام لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى فتفطن لذلك وان مصعبا رضي الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير باحد وان عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وان عليا وحمزة وعبيد بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقرابتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام الغيرة من الايمان والمنية من النفاق ومن لا غيرة له لا دين له وروى عن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يحب السلطان فنهيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن ابي دؤاد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفي الحديث (من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد اجرم) وقد قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون (اولئك) اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما (كتب) الله سبحانه (في قلوبهم الايمان) اي اثبته فيها وهو الايمان الوهبي الذي وهبه الله لهم قبل خلق الاصلاب والارحام اذ لا يزال يحال ابدا كالايمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من اعمال الجوارح يثبت فيه وهو حجة ظاهرة على القدرية حيث زعموا بان الايمان والكفر يستقل بعملهما العبد (وايدهم) اي قواهم واصله قوى يدهم (بروح منه) اي من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن او النصر على العدو او نور القلب وهو بادراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء الى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص عن دركات عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمي روحا لكونه سببا للحياة قال سهل رحمه الله حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور (ويدخلهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها) اي من تحت اشجارها او قصورها (الانهار) الاربعة يعني جويها بالازاب وشير وخمر وعسل (خالدين فيها) ابدا لا باد لا يقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام ينادي مناد ان لكم ان تعمروا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا ولا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا (رضي الله عنهم) خشنود شد خداى ازايشان بطاعتى كه در دنيا كردند وفي الارشاد استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط (ورضوا عنه) وخشنود شدند ايشان از خداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا در عقبى وفي الارشاد بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا (اولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل اى جنده وانصار دينه قال سهل رضي الله عنه الحزب الشيعة وهم الابدال وارفع منهم الصديقون (الا ان حزب الله هم المفلحون) الناجون من المكاره والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين وقال بعض اهل الاشارة حزب الله اهل معرفته ومحبته واهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله اذ اظهر واحد منهم يتهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لان الله تعالى البس على وجوههم نور هيبته واعطى لهم اعلام عظمته يفر منهم الاسود ويخضع لهم الشامخات كلا "هم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم اذكارهم في العالمين وعظم اقدارهم وكتم اسرارهم وامام ثعلبي از جرجاني كه او از مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام از حق تعالى پرسيد كه حزب تو كيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة ابصارهم والسليمة اكفهم والنقية قلوبهم اولئك حزبي وحول عرشي هر كه چشم او از محارم فرو بسته بود ودست او از آزار خلق واخذ حرام كوتاه باشد ودل خود از ماسوى پاكيزه كرده اند از جمله حزب حضرت الله است

ودرين باب گفته اند * ازهرچه نارواست برو ديدها ببند * وزهرچه ناپسند بود دست بازدار *
لوح دل ازغبار تعلق بشوى پاك * تاباشدت بحلقة اهل قلوب بار * وفى الآية اشارة الى ابوة الروح
بالنسبة الى السر والخفى والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القالب
والى بنوة الكل الى الروح والى اخوة السر مع النفس واخوة القلب مع الهوى وعشيرة صفاتهما مع الخفى
لكون الكل من واد واحد واصل متحد هو الروح فمن قطع ارتباط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما
الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلى الروحى والسرى والقلبى والخفى الى الحضرة الالهية فهم الذين كتب الله
فى الواح قلوبهم وصفايح اسرارهم الايمان الحقيقى الشهودى العيانى وايدهم بروح الشهود الكلى الجامع
الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكثرة الاسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة
واحدة من غير تخلل بين الشهودين ومن غير احتجاب احدهما عن الآخر ويدخلهم جنات تجرى من تحتها
الانهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية المشتملة على العلوم والمعارف والحقائق والحكم على الدوام
والاستمرار رضى الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقائهم بلاهوتيته اولئك حزب الله اى مظاهر ذاته
وصفاته واسمائه الا ان حزب الله هم المفلحون لقيامهم بقيومية الله تعالى واعلم انه كان الدنيا والآخرة
يومان متعاقبان متلاصقان فمن ذلك يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فانكم اليوم فى دار العمل ولا حساب وانتم غدا فى دار الآخرة
ولا عمل ونعيم الدنيا منقطع دون نعيم الآخرة ثم ان هذا شأن الابرار واما المقربون فهم اهل الله لا اهل الدارين
ونعيمهم ماذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم فى الدين ظاهرا وباطنا

تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى فى اواخر جمادى الاولى من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

سورة الحشر مدنية وآياتها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لا يليق بشأن الوهيته ويكون
بالجنان واللسان والحال والاول اعتقاد العبد بتعاليه عما لا يليق بالالوهية وذلك لان من معانى التفعيل
الاعتقاد بشئ والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها
وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح والثانى للقول بما يدل على تعاليه مثل التكبير
التهليل والتأمين بمعنى ان يقول الله اكبر ولا اله الا الله وآمين وهو المشهور عند الناس والثالث دلالة المصنوعات
على ان صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الامكان وما يتبعه والمفسرون فسروا ما فى القرآن
من امثال الآية الكريمة على كل من الثانى والثالث ليعم تسبيح الكل كذا فى بعض التفاسير وجمهور المحققين
على ان هذا التسبيح تسبيح بلسان العبارة لا بلسان الاشارة فقط لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم
سبحه تعالى يعنى تسبيح ميكويدكه وبه پاكى مستأنس ميكند مر خدايرا كه مستحق ثناست كما سبق تحقيقه
فى اول سورة الحديد وفى مواضع اخر من القرآن * بذكرش هرچه بينى در خروش است * دلى داند درين معنى كه كوش است * نه بلبل بركلش تسبيح خوانست * كه هر خارى به توحيدش زبانست * وفى الحديث (انى لاعرف حجرا بمكة كان سلم على قبل ان ابعث انى لاعرفه الآن) وعن ابن مسعود
رضى الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على ان شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم
وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا على الاطلاق
واما بالنسبة الى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما يقتضيه نشأته
كما قال بعض الكبار فاذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذى انت عليه فكشفك خيالى غير صحيح
لا حقيقى وانما ذلك خيالك اقيم لك فى الموجودات فاذا شهدت فى هؤلاء تنوعات الاذكار فهو الكشف الصحيح
انتهى (وهو العزيز) ذو العزة القاهرة (الحكيم) ذو الحكمة الباهرة وفى ايراد الوصفين بعد التسبيح اشارة
الى الباعث له والداعى اليه لان العزة اثر الجلال والحكمة اثر الجمال فله الاتصاف بصفات الكمال
وفى التأويلات النجمية سبح لله ما فى سموات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب

المقدمات وتركيب القياسات واقامة البراهين التعطيلية والادلة الفكرية لعدم جدواها في تحصيل المطلوب
فان ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية الى التعطيل وعالى سموات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة
جامعة للتنزيه العقلي والتشبيه النفسي كما قال ليس كمثله شئ وهو التنزيه وهو السميع البصير وهو التشبيه فجمعت
ذاته المطلقة باعتبارية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه
عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره (فان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت اماما في المعارف سيدا)
فان التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جدا وهو العزيز المنيع جنابه ان ينزه
من غير التشبيه لحكيم الذي تقتضي حكمته ان لا يشبه من غير التنزيه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة صالح بني النضير كانوا يهود ورهط من اليهود من ذرية هرون اخي موسى عليه السلام قال السهيلي
رحمه الله ونسبتهم الى هرون صحيحة لان النبي عليه السلام قال لصفية رضي الله عنها بنت حيي بن اخطب
سيد بني النضير وقد وجدها تبكي لكلام قيل لها ابوك هرون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام
والحديث معروف مشهور وفي بعض الكتب من اولاد الكاهن بن هرون ونزلوا قريبا من المدينة في فتن
بني اسرآئيل انتظار البعثة النبي عليه السلام وكان يقال لهم ولبني قريظة الكاهنان لانهم من اولاده ايضا
وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع في وسط ارض العرب من الحجاز وان كانوا يهودا والسبب في ذلك
ان بني اسرآئيل كانت تغير عليهم العماليق في ارض الحجاز وكانت منازلهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو
اسرآئيل ذلك الى موسى عليه السلام فوجه اليهم جيشا وامرهم ان يقتلوهم ولا يبقوا منهم احدا ففعلوا ذلك
وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاما حسنا فرقوا له ثم رجعوا الى الشأم وموسى قدمات فقالت بنو اسرآئيل
قد عصيتم وخالفتم فلا توفيكم فقالوا نرجع الى البلاد التي غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها
وتناسلوا بها الى ان نزل عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم الى الاسلام فلما هاجر عليه السلام
عاهد بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام اى غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم النبي الذي نعته
في التوراة لا ترد له راية يعني نتوان بود كه كسي بروي ظفر يابد يارايت اقبال وي كسي بشكند فلما كان يوم
احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة
على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الاضرار به ناقضين العهد كعب اشرف باقوم خود بمدينه بازآمد
وجبريل امين رسول را خبر داد از ان عهد و پيمان كه درميان ايشان رفت فامر عليه السلام محمدا بن مسلمة
الانصاري بفتح الميم وكان اخا كعب من الرضاعة فقتل كعبا غيلة بالكسر اى خديعة فان الغيلة ان يخدعه
فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك انه اتاه ليلا فاستخرجه من بيته بقوله اني اتيتك لاستقرض منك
شيأ من التمر فخرج اليه فقتله ورجع الى النبي عليه السلام واخبره ففرح به لانه اضعف قلوبهم وسلب قوتهم
وفي بعض الاخبار انه عليه السلام ذهب الى بني النضير لاستعانة في دية في نفر من اصحابه اى دون العشرة فيهم
ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فقالوا له نعم يا ابا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان عليه السلام جالسا
الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل
يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال احد ساداتهم وهو عمرو بن جحاش انا لذلك فقال لهم
احد ساداتهم وهو سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه فلما صعد
الرجل ليلقي الصخرة اتى رسول الله الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجته
وترك اصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من اصحابه فقاموا في طلبه لما استبطؤوه
فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فاقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت
بنو النضير فندم اليهود وقالوا قد اخبر بامرنا فارسل عليه السلام اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ان اخرجوا
من بلدي اى لان قربتهم زاهرة كانت من اعمال المدينة فلا تساكنوني بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر
فسكتوا ولم يقولوا حرفا فارسل اليهم المنافقون ان اقيموا في حصونكم فانا معكم فارسلوا الى رسول الله انا لا نخرج
من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولي امر ذلك سيد بني النضير حيي بن اخطب والد صفية ام المؤمنين فاغتر
بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وعلى رايته على

رضى الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وتأهبوا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزحفوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وايس واس نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم الا السلاح ففى شش صد شتر بار خود وابر آراستند واظهار جلادت نمودند فهاميزدند وسرود كويان ازباز ار مدينه گذشتند فجاؤا الشأم الى اريحا من فلسطين والى اذرعات من دمشق الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهى بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب والثانى سعد بن وهب اسلما على اموالهم فاحرزاها فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير قال محمد جلاء بنى النضير كان مرجع النبي عليه السلام من احد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب فى سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان وفى انسان العيون كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الاول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال اجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فاجلوا عنها وجلوا اى ابرزتهم عنها فان اصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فانها الجلاء والظهور بالصفات الالهية كما عرف فى محله والجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الجلاء الا لخروج الجماعة اولاخراجهم والخروج والاخراج يكون للجماعة والواحد وقيل فى الفرق بينهما ان الجلاء كان مع الاهل والولد بخلاف الخروج فانه لا يستلزم ذلك قال العلماء مصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لا يجوز الآن وانما كان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لابد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم (هو الذى) اوست خداوندى كه ازروى اذلال (اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) بيان لبعض آثار عزته واحكام حكمته اى امر باخراج اهل التوراة يعنى بنى النضير (من ديارهم) جمع دار والفرق بين الدار والبيت ان الدار داروان زالت حوآئطها والبيت ليس ببيت بعد ما انهدم لان البيت اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سواء كان حيطانه اربعة او ثلاثة وهذا المعنى موجود فى الصفة الا ان مدخلها واسع فيقنا ولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم اخص والابيات بالشعر كما فى المفردات (لاول الحشر) اللام تتعلق باخرج وهى للتوقيت اى عند اول حشرهم الى الشأم وفى كشف الاسرار اللام لام العلة اى اخرجوا ليكون حشرهم الى الشأم اول الحشر والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط اذ كان انتقالهم من بلاد الشام الى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم اول من اخرج به من جزيرة العرب الى الشأم فعلى هذا الوجه ليس الاول مقابلا للآخر وسميت جزيرة لانه احاط بها بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن احمد مبدأ الجزيرة من حفر ابى موسى الى اليمن فى الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذآء الاحساء الى منقطع السماوة فى العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشأم او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشأم وذلك حين بلغه الخبر عن النبي عليه السلام لا يبقين دينان فى جزيرة العرب وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم (ما ظننتم) ايها المسلمون (ان يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم (وظنوا) اى هؤلاء الكافرون ظنا قويا هو بمرتبة اليقين فانه لا يقع الا بعد فعل اليقين او منزل منزلته (انهم مانعتهم حصونهم من الله) الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل فالاول اعم من الثانى وتحصن اذا اتخذ الحصن مسكنا ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصنا للبدن وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه والمعنى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر واسند الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند اليه على المسند فان معنى قائم زيد ان زيدا مقصور على القيام لا يتجاوزه الى القعود وكذا معنى الآية ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فان قيل ما الملجئ من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبرا فان كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لان اضافتها غير مخصصة وان القصد الى الاخبار عن الحصون (فاتاهم الله)

اى امر الله وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غدرة على يد اخيه فانه مما اضعف قوتهم وقل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب والقاء اما للتعقيب اشارة الى ان البأس لم يكن مترا خيا عن ظنهم او للسبب اشارة الى انهم انما اخذوا بسبب اعمالهم بانفسهم وقطعهم النظر الى قدرة الله وقوته (وقذف فى قلوبهم الرعب) القذف الرمى البعيد والمراد هنا الالقاء قال فى الكشاف قذف الرعب اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف لما ان قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزآئه والرعب الانقطاع من استلاء الخوف وتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض اى ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام اى قطعته قال بعضهم الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويهز النفس ويشوش الرأى ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى اثبت فيها الخوف الذى يرعبها ويملأها لان المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم فلا يلزم التكرار لان الرعب الذى اشتمل قوله فاتاهم الله هو اصل الرعب وفرق بين حصول اصله وبين ثباته ودلت الآية على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متأكدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله بهذا الطريق كذا فى اللباب (يخربون بيوتهم بايديهم) الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب اى يخربونها بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين وليتنقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل والاخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خرابا وهو ضد العمارة وقد اخربه وخربه اى افسده بالنقض والهدم غيران فى التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قرآءة ابى عمرو وفرق ابو عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع وقال اى ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا بغير ساكن وبنوا النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله بايديهم وايدى المؤمنين ان قيل البيوت هى الديار فلم لم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وايضا كيف ما كان الاخراج من ديارهم وهى مخربة اجيب بان الدار ماله بيوت فيجوز اخراب بعضها وابقاء بعضها على مقتضى الرأى فيكون الخروج من الباقى على ان الاخراج لا يقتضى العمارة اذ يجوز ان يكون باخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله يخربون بيوتهم بايديهم اى قلوبهم بالبدع وفى كشف الاسرار نخست دين ودل خويش ازروى باطن خراب كردند تا خرابى باطن بظاهر سرايت كرد وخانهٔ خود نيز خراب كردند (وايدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لمحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال واضرارا بهم واسناد هذا اليهم لانهم السبب فيه فكانهم كفوهم اياه وامروهم به وهذا كما فى قوله عليه السلام لعن الله من لعن والديه وهو كقوله عليه السلام من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا وكيف يسب الرجل والديه فقال يسب الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه يقول الفقير فيه اشارة الى ان استناد الكفار الى الحصون والاحجار وان اعتماد المؤمنين على الله الملك الغفار ولا شك ان من اعتمد على المؤمن الحقيقى ظفر بمراده فى دنياه وآخرته ومن استند الى ما سوى الله تعالى خسر خسرانا مبينا فى تجارته وان الانسان بنيان الرب فربما اقتل المرء نفسه او تسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعونا وقس على هذا حال القلب فانه بيت الله وابتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان (قال الحافظ) من آن نكين سليمان بهيچ نستانم * كه كاه كاه برودست اهرمن باشد (فاعتبروا) پس عبرت گيريد (يا اولى الابصار) اى يا اولى الالباب والعقول والبصائر يعنى اتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب كبنى النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونخلهم بل توكلوا على الله تعالى وفى عين المعانى فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى اهل التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله

من حال ذلك الغير الى حال نفسه * چو بر كشته بختى در افتد ببند * ازو نيك بختان بكيرند پند *
والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيها و يقال لقوة القلب المدركة بصيرة و بصر ولا يكاد يقال
للجارحة بصيرة كما فى المفردات قال بعض التفاسير الابصار جمع بصر وهو ما يكون فى الرأس و به يشاهد عالم
الملك وهو عالم الشهادة حتى لو كان بين الرآئى والمرئى مقدار عدة آلاف سنة يشاهده فى طرفة عين بوصول
نور من حدقة العين الى المرئى حكاية للرآئى والبصيرة فى القلب كالبصر فى الرأس و بها يشاهد عالم الملكوت
وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد فى العالم الأعلى وفى اللوح المحفوظ بل فى علم الله تعالى مما تتعلق مشيئة الله
بمشاهدة احد اياه من عباده لشاهده فى آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهى بنوع مشاهدة
كما نجده فى وجداننا وكل ذلك من غرآئب صنع الله وجعل البعض البصر ههنا مجازا عن المشاهدة لانه كثيرا
ما يكون آلة لمشاهدتها و يكون هو معتبرا باعتبارها حتى لولاها يكون هو فى حكم المفقود و بهذا الاعتبار
اورد الابصار فى مقام البصائر فقال فى تفسيره فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم يا ذوى العقول والبصائر وهذا هو
الاليق بشأن الاتعاظ والاوفق لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الالباب اذ اللب وهو العقل الخالص عن الكدورات
البشرية والبصيرة التى هى عين القلب حين ما كانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالامر بالاعتبار
واما البصر فيوجد فى البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد فى العوام و جعله البعض الآخر على حقيقته
فقال فى تفسيره فاعتبر يا من عاين تلك الوقائع لكن مآل القولين واحد اذ مجرد البصر المعاين لا يفيد الاعتبار
بلا بصيرة صحيحة وفى الوسيط معنى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ
رحمه الله من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث انه امر
بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل فى الكتب الاصولية
واشار باهل الكتاب الى يهودى النفس ونصرانى الهوى وانما نسبنا التنصر الى الهوى والتهوّد الى النفس
لغلبة عطلة النفس فان الهوى بالنسبة الى النفس كالروح بالنسبة الى الجسم البدنى ولهذا المعنى قيل الهوى
روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية و يهوى الى هاوية الجحيم والله تعالى يستأصلها عن ديار
صفاتها الظلمانية بالصدمة الاولى من قتال الحشر الاول وظنوا ان حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن
الانسلاخ من صفاتهم الخسيسة فاتاهم الله بالتجلى القهرى وقذف فى قلوب النفس والهوى رعب المفارقة
بينهما فان كل واحد منهما كان متمسكا بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم
بايدى اهوآئهم المضلة وبقوة ايدى الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليهما فاعتبروا يا اولى الابصار الذين صار
الحق تعالى بصرهم كما قال فبى يبصر وبى يسمع و بى يبطش الحديث بطوله (ولولا ان كتب الله) حكم (عليهم)
اى على بنى النضير (الجلاء) اى الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام فى الجلاء
ولولا امتناعية وما بعدها مبتدأ فان ان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشان المقدر اى ولولا انه وكتب الله خبره
والجملة فى محل الرفع بالابتدآء بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع فى علمه او فى لوحه (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل
والسبى كما فعل ببنى قريظة من اليهود قال بعضهم لما استحقوا بجرمهم العظيم قهرا عظيما اخذوا بالجلاء الذى جعل
عديلا لقتل النفس لقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
مع ان فيه احتمال ايمان بعضهم بعد مدة وايمان من يتولد منهم (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير
متعلق بجواب لولا اذ لو كان معطوفا عليه لزم ان ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء
لحصول الشرط وانما جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة
يقول الفقير لا يلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا ان لا يكون جلاؤهم من قبيل العذاب وانما لم يكن منه بالنسبة
الى عذاب الاستئصال والوجه فى جلائهم انهم قصدوا قتل النبى عليه السلام وقتله شر من الف قتل فاخذوا
بالجلاء ليموتوا كل يوم الف مرة لان انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزآء من جنس العمل
قال بعض اهل الاشارة ولولا ان كتب الله على يهودى النفس ونصرانى الهوى جلاء الانسلاخ من ديار
وجوداتهم لعذبهم فى طلب الدنيا ومحبتها ولهم فى آخر الامر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية
ومستحسناتهم الحسية (ذلك) اى ما حاق بهم وسيحيق (بانهم) اى بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله)

خالفوا امرهما وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبايح والمشاقة كون الانسان فى شق وخالفه فى شق
(ومن يشاق الله) كائنا من كان (فان الله شديد العقاب) له فهو نفس الجزآ بحذف العائد او تعليل للجزآء
المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب فاذالهم عقاب شديد ايضا لكونهم من المشاقين وايا ما كان
فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهانى وفيه اشعار بان المخالفة تقتضى المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها
فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقا * همينت پسندست اكر بشنوى * كه كرخار كارى سمن ندروى * اعلم ان الله الذى هو الاسم الاعظم جامع لجميع الاسماء الالهية المنقسمة الى الاسماء الجلالية
القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء احد الشقين من التجليين الجمالى والجلالى بان يطلب الطالب
منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لا ممن يستحق اللطف والجمال فهو يستدعى من الحق شيأ
لا تقتضى حكمته البالغة اعطاءه اياه وهو من قبيل التحكم الذى لا يجوز بالنسبة الى الله تعالى كما قال تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه (قال الحافظ)
درين چمن نكنم سرزنش بخودروئى * چنانكه برورشم ميدهند مى رويم * والمشاقة مع الرسول
عليه السلام المنازعة فى حكمة امره ونهيه مثل اسرار الصلوات الخمس واختلاف اعدادها وقرآتها
جهرا وسرا ومثل اسرار الزكاة واختلاف احكامها ومثل احكام الحج ومناسكه ونحن امرنا بمحض الامتثال
والانقياد وما كلفنا بمعرفة اسرارها وحقائقها والنبى عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول ان
اتبع الا ما يوحى الى وقال نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرآئر قوله فان الله شديد العقاب ومن شدة عقابه
ابتلاء عبده بامتثال هذه الاشياء مع عدم تكليفه اياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الاتعاب
والا فالاحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذابا من غير تأويل كفر
(ما قطعتم من لينة) ما شرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على ان اصلها لونة فياؤها
مقلوبة عن واو لكسرة ما قبلها نحو ديمة وقيمة وتجمع على الوان وهى ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع
على لين واليان وهى النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الارض والطيبة الثمرة قال الراغب فى المفردات
اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الاجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعانى فيقال فلان لين وفلان خشن
وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواضع وقوله ما قطعتم من لينة اى من نخلة ناعمة
ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولا يختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى اى شئ قطعتم من نخلة
من نخيلهم بانواعها وقيل اللينة ضروب النخل كلها ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل (او تركتموها)
الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (قائمة) حال من ضمير
المفعول (على اصولها) كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشئ من القطع جمع اصل وهو ما يتشعب منه
الفرع (فباذن الله) فذلك اى قطعها وتركها بامر الله فلا جناح عليكم فيه فان فى كل من القطع والترك
حكمة ومصلحة (وليخزى الفاسقين) اى وليذل اليهود الخارجين عن دآئرة الاسلام اذن فى قطعها وتركها
فهو علة لمحذوف يقال خزى الرجل لحقه انكسار اما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية واما من غيره
وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى اذن الله فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون
فى اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة
وذلك ان رسول الله عليه السلام حين امر ان تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنو النضير يا محمد قد كنت
تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل واحراقها فشق ذلك على النبى عليه السلام وكان فى انفس
المؤمنين ايضا من ذلك شئ فنزلت وجعل امر رسول الله امره تعالى لانه عليه السلام ما ينطق عن الهوى
واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم مثمرة كانت او غير مثمرة واحراق زروعهم زيادة لغيظهم
وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت
هى الكرام ليكون غيظهم اشد ويقال ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح فى السفينة والعتيق الفحل وكانت
العجوة اصل الاناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا ان اللون هو ما عدا العجوة والبرنى من انواع التمر
بالمدينة والبرنى بالفارسية سهل مبارك اوجيد لان اصله برنيك فعرب ومن انواع تمر المدينة الصيحانى

وفى شرح مسلم للنووى ان انواع التمر مائة وعشرون وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان انواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها اكثر مما ذكره النووى قال ولعل ما زاد على ما ذكر حدث بعد ذلك واما انواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى ارسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر انواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا او حملين من كل نوع تمرة واحدة فارسل اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفى نسق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتوتى وهو اخضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خيرا موال بنى النضير لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث (العجوة من الجنة وتمرها يغذى احسن الغذاء) روى ان آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يصبه فى ذلك اليوم سم ولا سحر وقد جاء فى العجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهى مما غرسه النبى عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالاسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وفى الحديث (ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله وانه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء) وجاء بيت لا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل كما فى انسان العيون قال بعض اهل الاشارة يشير الى من قطع نخلة محبة الدنيا من ارض قلبه بامر الله وحكمته المقتضية لذلك الامر بالقطع وهم المحرومون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون الى طريق السلوك الى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتجلية الروح والى من ترك الدنيا فى ارض قلبه قائمة على اصولها على حالها باذن الله وحكمته البالغة المقتضية لابقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدر ومقدار ما زاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم اليهما لاشتغالهم بذكر الله اى بذكر ذاته وصفاته واسمائه كما قال فى حقهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولجزى الفاسقين الذين خرجوا عن مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا ان للحق عبادا ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار وما زاغ بصر ظاهرهم ولا نظر باطنهم اليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا اليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فاخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد انهم لكاذبون (قال الحافظ) بس تجربه كرديم درين دير مكافات * يادرد كشان هركه درافتاد برافتاد (وما افاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم وتخييلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله فما اوجفتم خبره ويجوز جعله شرطية وقوله فما اوجفتم جوابا والفيء فى الاصل بمعنى الرجوع وافاء اعاد وارجع فهو على اصل معناه هنا والمعنى ما اعاده اليه من ماله اى جعله عائدا فيه اشعارا بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم وبه اطاع من اطاع فكان احق به فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشىء الى ما فارق عنه وهو الاشهر ويجوز ان يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشىء الى ما فارق عنه وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لا يحوج الى تكلف توجيه بخلاف الاول وكلمة على تؤيد الثانى وقال بعضهم افاء الله مبنى على ان الفيء الغنيمة بمعنى افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة وقال الراغب الفيء والفيئة الرجوع الى حالة محمودة وقيل للغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة فيء قال بعضهم سمى ذلك بالفيء تشبيها بالفيء الذى هو الظل تنبيها على ان اشرف اعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم الى بعض فى التعاضد وقال المطرزى فى المغرب فى الفرق بين الغنيمة والفيء والنفل ان الغنيمة عن ابى عبيد ما نيل من اهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها ان تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء ما نيل منهم بعد ما تضع الحرب اوزارها وتصير الدار دار اسلام وحكمه ان يكون لكافة المسلمين

ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زائدا على سهمه وهو ان يقول الامام اوالامير من قتل قتيلا فله سلبه اوقال للسرية ما اصبتم فلكم ربعه اونصفه ولا يخمس وعلى الامام الوفاء به وعن على بن عيسى الغنيمة اعم من النفل والفيء اعم من الغنيمة لانه اسم لكل ما صار للمسلمين من اموال اهل الشرك قال ابو بكر الرازى فالغنيمة فيء والجزية فيء ومال اهل الصلح فيء والخراج فيء لان ذلك كله مما افاء الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل ما يحل اخذه من اموالهم فهو فيء (منهم) اى بنى النضير (فما) نافية (اوجفتم عليه) اى فما اجريتم على تحصيله وتخفه من الوجيف وهو سرعة السير يقال اوجفت البعير اسرعته وفى القاموس الوجيف ضرب من سير الخيل والابل وقيل اوجف فاعجف (من خيل) من زائدة بعد النفى اى خيلا وهو جماعة الافراس لا واحد له اوواحده مثائل لانه يختال والجمع اخيال وخيول كما فى القاموس وقال الراغب الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تترا آى للانسان من نفسه ومنها تتأول لفظة الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة والخيل فى الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قال تعالى ومن رباط الخيل ويستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ما روى يا خيل الله اركبى فهذا للفرسان وقوله عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل يعنى الافراس انتهى والخيل نوعان عتيق وهجين فالعتيق ما ابواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالامور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لانه لم يملكها ملك قط واذا ربط الفرس العتيق فى بيت لم يدخله شيطان والهجين الذى ابوه عربى وامه عجمية والفرق ان عظم البرذونة اعظم من عظم الفرس وعظم الفرس اصلب واثقل والبرذونة احمل من الفرس والفرس اسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبنى آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له اى له جسارة (ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانهم يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة قال فى المفردات الركوب فى الاصل كون الانسان على ظهر حيوان وقد يستعمل فى السفينة والراكب اختص فى التعارف بممتطى البعير جمعه ركب وركبان وركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قرى بنى النضير على ميلين من المدينة وهى ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه السلام وكان يركب حمارا مخطوما بليف على ما سبق اوجملا على ما قاله البعض فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسايفة كأنه قال وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد الجبين وعرق الجبين (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تقتضوا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم يعنى ان الامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة كغيرهم فنزلت (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها * تيغى كه آسمانش از فيض خود دهد آب * تنها جهان بگيرد بى منت سپاهى * اعلم ان الفيض الالهى الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين اما بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس للسالك ان يضيف ذلك الفيض والوارد القلبى الى نفسه بوجه من الوجوه ولا الى الاعمال الصادرة منه بسبب الاعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب الربانى وطراوة العطاء الامتنانى والآية الكريمة دالة على هذا القسم واما مكسوب بتعمله فهو من خزانة اسمه الجواد فله ان يضيفه الى نفسه واعضائه وجوارحه ليظهر اثره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير الى القسم الثانى وقد جمع بينهما قوله تعالى لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فان الاول اشارة الى الاول والثانى الى الثانى واراد برسوله رسول القلب وانما سمى القلب بالرسول لان الرسالة من حضرة الروح الى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما الى الحق تعالى بالايمان والهدى (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه صلى الله عليه وسلم من غير

ان يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه كانه لما قيل ما افاء الله على رسوله من اموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم فكانه قيل فكيف يقسم فقيل ما افاء الله الخ قال فى برهان القرآن قوله وما افاء الله و بعده ما افاء الله بغير واو لان الاول معطوف على قوله ما قطعتم من لينة والثانى استئناف وليس له به تعلق وقول من قال بدل من الاول مزيف عند اكثر المفسرين انتهى واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فالمراد بالقرى قرى بنى النضير (وقال الكاشفى) من اهل القرى ازاموال واملاك اهل دهها وشهرها كه بحرب گرفته نشود وفى عين المعانى اى قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر وفى انسان العيون وفسرت القرى بالصغرى ووادى القرى اى بثلث ذلك كما فى الامتاع و ينبع وفسرت بنى النضير وخيبر اى بثلاثة حصون منها وهى الكتيبة والوطيح والسلالم كما فى الامتاع وفدك اى نصفها قال العلماء كانت الغنائم فى شرع من قبلنا لله خاصة لا يحل منها شئ لاحد واذا غنمت الانبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من بينهم بان احلت له الغنائم قال عليه السلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى (فلله وللرسول) يأمر ان ما احبا وقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبرك وسهم النبى عليه السلام سقط بموته روى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان اموال بنى النضير كانت مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على اهله منها نفقة سنة وما بقى جعله فى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله (ولذى القربى) وهم بنو هاشم وبنو المطلب الفقراء منهم لما حرموا الصدقة اى الزكاة وروى ابو عصمة عن ابى حنيفة رحمه الله انه يجوز دفع الزكاة الى الهاشمى وانما كان لا يجوز فى ذلك الوقت و يجوز النفل بالاجماع وكذا يجوز النفل للغنى كذا فى فتاوى العتابى وذكر فى المحيط بعد ما ذكر هذه الرواية وروى ابن سماعة عن ابى يوسف رحمه الله انه لا بأس بصدقة بنى هاشم بعضهم على بعض ولا ارى الصدقة عليهم وعلى موليهم من غيرهم كذا فى النهاية وقال فى شرح الآثار عن ابى حنيفة رحمه الله ان الصدقات كلها جائزة على بنى هاشم والحرمة كانت فى عهد النبى عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوى وبالجواز نأخذ كذا فى شرح الوقاية لابن الملك (واليتامى) جمع يتيم واليتم انقطاع الصبى عن ابيه قبل بلوغه وفى سائر الحيوانات من قبل امه (والمساكين) جمع مسكين و يفتح ميمه وهو من لا شئ له اوله ما لا يكفيه او اسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل الضعيف كما فى القاموس وهو من السكون فنونه اصلية لا نون جمع ولذلك تجرى عليه الاعاريب الثلاثة (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول للص القاطع ابن الطريق وللمعمر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن دأية باضافة الابن الى دأية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت والدأية الجنب قال اهل التفسير اختلف فى قسمة الفئ قيل يقسم لظاهر الآية و يصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد و يصرف ما بقى وهى خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التى يصرف اليها خمس الغنيمة وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم و يصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الان سهم الرسول عليه السلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول وهو الاصح عند الشافعية والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك و يصرف الاخماس الاربعة كما يشاء اى كان يقسم الفئ اخماسا و يصرف الاخماس الاربعة لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل و يخمس الخمس الباقى و يختار خمس الخمس لنفسه و يصرف الاخماس الاربعة الباقية كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام الى الامام او العساكر والثغور او مصالح المسلمين وفى التأويلات النجمية ذووا القربى الروح والقلب والسر والخفى وهم مقربوا الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون الى عوالم المعقولات والمتخيلات والموهومات والمحسوسات بقدم العقل والخيال والوهم والحس وقال بعض اهل الاشارة ذووا القربى هم الذين شاركوا فى بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق الى الحق فبقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين

ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين فى الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان الى القدم
(كيلا يكون) علة لقوله فلله وللرسول اى توفى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون اى الفيء الذى حقه
ان يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغنى والجد
والغلبة اى كيلا يكون جدا (بين الاغنياء منكم) يتكاثرون به والخطاب للانصار لانه لم يكن فى المهاجرين
فى ذلك الوقت غنى كما فى فتح الرحمن او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة
ويقولون من عز بزاى من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به منوطا بالغلبة عليه فكل
من غلب على شئ منه يستقل به ولا يعطى الفقراء والضعفاء شيأ منه (قال الكاشفى) درعالم آورده كه
اهل جاهليت چون غنيمتى كرفتندى مهتر ايشان ربعى برداشتى واز باقى نيز براى خود تحفة اختيار كردى
وانراصفى كفتندى وباقى راباقوم كذاشتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى
ازرؤساء اهل ايمان درغنايم بنى النضير همين خيال بسته كفتند يارسول الله شمار بعى وتصفى مغنم رابرداريد
وبكذاريد تاباقى راقسمت كنيم حق سبحانه وتعالى انرا خاصة حضرت پيغمبر عليه السلام كردانيد وقسمت انرا
بروجهى كه مذكور شد مقرر ساخت وفرمود كه حكم فىء بدا كرديم تانباشد آن فىء كردان دست بدست
ميان توانكران ازشما كه زياده ازحق خود بردارند وفقرارا اندك دهند يامحروم سازند چنانكه در زمان
جاهليت بوده وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف اى ان الدولة اسم للشئ الذى يتداوله القوم
بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية ازيكديكر فراكرفتن وتداول القوم كذا
وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكون الفيء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة
بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه اضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم اوكيلا يكون امساكه
واخذه تداولا لا يخرجونه الى الفقراء وقيل هى بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم وتستعمل
فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان يقال هذه دولة فلان وقيل الضم للاغنياء والفتح للفقراء
وفى الحديث (اغتنموا دولة الفقراء) كما فى الكواشى وفى الآية اشارة الى اعطاء كل ذى حق حقه كيلا يحصل
بين الاغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى امراء
اى كالامراء فى التقديم والاكرام والعزة (وما آتاكم الرسول) ما موصولة والعائد محذوف والايتاء الاعطاء
والمناولة اى ما اعطاكموه ايها المؤمنون من الفيء (فخذوه) فانه حقكم (وما نهاكم عنه) اى عن اخذه
(فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته عليه السلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف امره
ونهيه والاولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الامر مطلقا فيتا اوغيره اصولا اعتقادية
اوفروعا عملية فخذوه اى فتمسكوا به فانه واجب عليكم هرشربتى ازدست اودر آيد بستانيد كه حيات
شما در آنست وآن لوح راخوانيد كه نويسند براضرورات شما در صفحه او بيانست وما نهاكم عن تعاطيه
اياكان فانتهوا عنه زيرا امر ونهى او بحق است هركه ممتثل امر او كردد نجات يابد وهركه ازنهى او اجتناب
نمايد در ورطه هلاك نيافتد * آنكس كه شد متابع امر تو قد نجا * وانكو خلاف راى تو ورزيد قد هلك * وفيه
دليل على ان كل ما امر به النبى عليه السلام امر من الله تعالى قال العلماء اتباع الرسول عليه السلام فى الفرائض
العينية فرض عين وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن
فما علمنا من افعاله واقعا على جهة نقتدى به فى اتباعه على تلك الجهة وما لم نعلم على اى جهة فعله فلنا فعله
على ادنى منازل افعاله وهو الاباحة روى ان ابن مسعود رضى الله عنه لعن رجلا محرما وعليه ثياب فقال
انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه (قال لعن الله الواشمات) اى فاعلات الوشم وهو ما يوشم به اليد من
نؤور اونيل قال فى القاموس الوشم كالوعد غرز الابرة فى البدن وذر النيل عليه والنؤور كصبور النيل ودخان
الشحم وحصاة كالاثمد تدق فيسفها اللثة (والمستوشمات) يقال استوشمت الجارية طلبت ان يوشم بها (والمتنمصات
للحسن) وهى اى المتنمصة التى تنتف شعرها يعنى بركننده موى از براى حسن قال فى القاموس النمص
نتف الشعر ولعنت النامصة وهى مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهى المزينة به (المغيرات خلق الله)

آن زنانی که تغییر کنند آفریدهٔ خدارا ویدخل فیه تحدید الاسنان واصلاحها ببعض الآلات وثقب الانف وأما ثقب الاذن فمباح للنساء لاجل التزین بالقرط وحرام علی الرجال کحلق اللحیة (فبلغ ذلک امرأة من بنی اسد یقال لها ام یعقوب فجاءت) پس آمد آن زن نزد (ابن مسعود رضی الله عنه فقالت قد بلغنی انک قلت کیت وکیت) یعنی مرا رسیده است که تو گفته چنین وچنین (فقال ومالی لا العن من لعن رسول الله ومن هو فی کتاب الله) یعنی ابن مسعود گفت چگونه لعنت نکنم انرا که لعنت کرده است رسول الله وانرا که در کتاب الله است (فقالت لقد قرأت ما بین اللوحتین فما وجدت فیه ما تقول قال لئن کنت قرأته لقد وجدته اما قرأت وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا قالت بلی قال فانه علیه السلام قد نهی عنه) ولذلک قرأ ابن عباس رضی الله عنه هذه الآیة للنهی عن الدباء والحنتم والنقیر والمزفت والدباء بالضم والمد القرعة والحنتم بفتح الحاء والتاء وسکون النون قبلها جرة خضراء والنقیر ما نقب من جذع وخشب ونحوهما والمزفت بالضم والتشدید جرة او خابیة طلیت والطخت بالزفت بالکسر ای القار وحل عند الامام الاعظم اتخاذ نبیذ التمر والذرة ونحوه بان یلقی فی هذه الاوعیة وان حصل الاشتداد بسببها وفی الحدیث (القرآن صعب عسر علی من کرهه میسر علی من تبعه وحدیثی صعب مستصعب وهو الحکمة فمن استمسک بحدیثی وحفظه کان مع القرآن ومن تهاون بحدیثی خسر الدنیا والآخرة وامرتم ان تأخذوا بقولی وتتبعوا سنتی فمن رضی بقولی فقد رضی بالقرآن ومن استهزأ بقولی فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالی وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الاسلام فقال ما آتاکم الرسول من خبر الغیب ومکاشفة الرب فخذوه بالیقین ومانهاکم عنه من النظر الی غیر الله فانتهوا عنه وفی التأویلات النجمیة یخاطب به ذوی الحقوق من المراتب الاربع ویقال لهم ما اعطاکم رسول القلب من الفیض الذی حصل له بمددکم الصوری ومعونتکم المعنویة من قبل قتل النفس الکافرة والهوی الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقی ولطف القبول فانه اعطاکم علی حسب استعدادکم ومامنع عنه فامتنعوا عن الاعتراض علیه واتقوا الله فی الاعتراض فان الله شدید العقاب بحرمانکم عن حسن التوجه الیه ولطف الاستفاضة عنه (للفقراء المهاجرین) بدل من لذی القربی وما عطف علیه لا من الله والرسول والا یلزم دخول الرسول فی زمرة الفقراء وهو لا یسمی فقیرا لانه یوهم الذم والنقصان لان اصل الفقر کسر فقار الظهر من قولهم فقرته ولهذا سمیت الحاجة والداهیة فاقرة لانهما یغلبان الانسان ویکسران فقار ظهره واذا لم یصح تسمیة الرسول فقیرا فلأن لا یصح تسمیته تعالی فقیرا اولی مع ان الله تعالی اخرجه علیه السلام من الفقراء هنا بقوله وینصرون الله ورسوله بقی ان ابن السبیل الذی له مال فی وطنه لا یسمی فقیرا نص علیه فی التلویح وغیره ومن اعطی اغنیاء ذوی القربی کالشافعی خص الابدال بما بعده بخلاف ابی حنیفة رحمه الله فان استحقاق ذوی القربی الفیء مشروط عنده بالفقر واما تخصیص اعتبار الفقر بفیء بنی النضیر فتعسف ظاهر کما فی الارشاد (الذین اخرجوا من دیارهم) ازسراهاء ایشان که درمکه داشتند (واموالهم) ودور افتاده انداز مالهاء خود حیث اضطرهم کفار مکة الی الخروج واخذوا اموالهم وکانوا مائة رجل فخرجوا منها والا فهم هاجروا باختیارهم حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام علی ما کانوا فیه من الشدة حتی کان الرجل یعصب الحجر علی بطنه لیقیم صلبه من الجوع وکان الرجل یتخذ الحفیرة فی الشتاء ماله دیار غیرها وصح عن رسول الله علیه السلام انه کان یستفتح بصعالیک المهاجرین وقال علیه السلام ابشروا یا معشر صعالیک المهاجرین بالنور التام یوم القیامة تدخلون الجنة قبل الاغنیاء بنصف یوم وذلک مقدار خمسمائة عام (یبتغون فضلا من الله ورضوانا) ای حال کونهم طالبین منه تعالی رزقا فی الدنیا ومرضاة فی الآخرة وصفوا اولا بما یدل علی استحقاقهم للفیء من الاخراج من الدیار وقد اعاد ذلک ثانیا بما یوجب تفخیم شأنهم ویؤکده فهو حال من واو اخرجوا وفی ذکر حالهم ترق من العالی الی الاعلی فان رضوان الله اکبر من عطاء الدنیا (وینصرون الله ورسوله) عطف علی یبتغون فهی حال مقدرة ای ناوین نصرة الله باعلاء دینه ونصرة رسوله ببذل وجودهم فی طاعته او مقارنة فان خروجهم من بین الکفار مراغمین لهم مهاجرین الی المدینة نصرة وای نصرة (اولئک) المهاجرون الموصوفون بما ذکر من الصفات الحمیدة (هم الصادقون) الراسخون فی الصدق حیث ظهر ذلک بما فعلوا وظهروا

بينا كان الصدق مقصورا عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعنى صدقة ملك سراست وصداق الجنة يعنى صداق سراى سرورست وصديق الحق يعنى صديق پادشاه حق است * راست كارى پيشه كن كاندر مصاف رستخيز * نيستند از خشم حق جز راستكاران رستكار * مصطفى عليه السلام كفت ما مهتر كليت عالميم و بهتر ذريت آدم وما را بدين نخرنه شربتها كرم بردست ما نهادند وهديتها تنزيف بحجيرة ما فرستادند ولباسها نفيس در ما پوشيدند وطراز اعزاز بر آستين ما كشيدند وما را بدان هيچ نخرنه كفتند مهتر ايس اختيار تو چيست وافتخار تو بچيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جو ييم وبا اين فقرا مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث او كو ييم * بردل زكر امتش نثارست مرا * وز فقر لباس اختيارست مرا * دينار ودرم بچه كارست مرا * باحق همه كار چون بكارست مرا * بدانكه فقر دو است يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته اعوذ بك من الفقر ودبكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفر واين يكى نزديك بحق اما آن فقر كه بكفر نزديك است فقر دلست كه علم وحكمت واخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل از دل ببرد تا دل از بن ولا يتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقر آن بود كه هر چه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر ان يكون كفرا اللهم انى اعوذ بك من الفقر والكفر اما آن فقر كه كفت الفقر فخرى آنست كه مرد از دنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفى الخبر الايمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه ازا تجريد كويند كه مرد مجرد شود از رسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شود از نيام خويش وتيغ مادامكه در نيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او پيدا نيايد همچنين دل تا در غلاف انسانيت است هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون از غلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفتها در بخايد وقال الشيخ نجم الدين الكاشى رحمه الله الافتقار على ثلاثة اقسام افتقار الى الله دون الغير واليه الاشارة بقوله عليه السلام الفقر سواد الوجه فى الدارين انتهى وفى كل من الاحاديث المذكورة معانى اخر جلية على اولى الالباب وطعن اهل الحديث فى قوله الفقر فخرى لكن معناه صحيح اللهم اغنى بالافتقار اليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقرا قال الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان ارادته فيهم وقال بعضهم هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين الى شئ سوى ربهم فجعلهم الله ملوكا وخدمهم الاغنياء تشريفا لهم وفى التأويلات النجمية ابدل الله من ذوى القربى المهاجرين الى الله اى ذووا القربى هم المهاجرون من قرية النفس الى مدينة الروح والقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبوادى الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم واموال صفاتهم واخلاقهم الى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده وجوده ونور رضوان صفاته وتعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لاحكامه وشرآئعه الظاهرة اولئك هم الصادقون فى مقام الفناء عنهم فى ذواتهم وصفاتهم وافعالهم والبقاء به اى بذاته وصفاته وافعاله جعلنا الله وايا كم هكذا بفضله (والذين تبوؤوا الدار والايمان) كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال جميلة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله والانصار بنوا الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان قال فى القاموس قحطان بن عامر بن شالخ ابو حى انتهى وهو اصل العرب العرباء ومن الانصار غسان كشدادماء قرب الجحفة نزلوا عليه قوم من ولد الازد فشربوا منه فنسبوا اليه واصل البوآء مساواة الاجزآء فى المكان خلاف النبو الذى هو منافاة الاجزآء يقال مكان بوآء اذا لم يكن نابيا بنازله وبوأت له مكانا سويت وروى انه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله وتبوئ المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لابد ان يكون من قبيل المنازل والامكنة والدار هى المدينة وتسمى قديما يثرب وحديثا طيبة وطابة كذلك بخلاف الايمان فانه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والايمان انهم اتخذوا

المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤوا الدار واخلصوا الايمان اوقبلوه اوآثروه كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء باردا فاختصر الكلام وقيل غير ذلك يقول الفقير لعل اصل الكلام والذين تبوؤوا دار الايمان فان المدينة يقال لها دار الايمان لكونها مظهره ومأوى اصله كما يقال لها دار الهجرة وانما عدل الى ماذكر من صورة العطف تنصيصا على ايمانهم اذ مجرد التبوئ لا يكفى فى المدح (من قبلهم) اى من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من آمن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم مراد انصار ند كه دردیار خود ایمان آوردند و بدو سال پیش از قدوم حضرت مساجد ساختند وربوا الاسلام كما يربى الطير الفرخ قال فى الارشاد يجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها الا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك وفى الآية اشارة الى دار القلب التى هى دار الصدق والاخلاص والى الايمان الاختصاصى الوهبى بتحقيقه وتثبيته (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم محبتهم الايمان ولان الله وحبيبه احباهم وحبيب الحبيب حبيب وفى كشف الاسرار كايتست ازمهمان دوستى انصار (ولا يجدون فى صدورهم) اى فى نفوسهم (حاجة) اى شيأ محتاجا اليه (مما اوتوا) اى مما اوتى المهاجرون من الفيء وغيره ومن بيانية يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه والمراد من نفى الوجدان نفى العلم لان الوجدان فى النفس ادراك على وفيه من المبالغة ما ليس فى يعلمون وقال بعضهم طلب محتاج اليه يعنى ان نفوسهم لم تبتغ ما اوتوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه وقيل وجدا على تقديمهم عليهم وغيظا وحسدا ونحو ذلك قال الراغب الحاجة الى الشئ الفقر اليه مع محبته (ويؤثرون) اى يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف (على انفسهم) فى كل شئ من اسباب المعاش جودا وكرما حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم والايثار اعطاؤك ما انت تحتاج اليه وفى الخبر لم يجتمع فى الدنيا قوم قط الا وفيهم اسخياء وبخلاء الا فى الانصار فان كلهم اسخياء ما فيهم من بخيل (ولو كان بهم خصاصة) اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فرجه شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذى فرج فى الاشتمال على مواضع الحاجة قال الراغب عبر عن الفقر الذى لا يسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم وروى لم يعط الا رجلين سهلا وابا دجانة فان الحارث بن الصمة قتل فى بئر معونة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وكان عليه السلام اعطى بعض الاراضى وابقى بعضها يزرع له ولما اعطى المهاجرين امرهم بردما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل فى ايثارهم المهاجرين بالفيء سائر الايثارات وعن انس رضى الله عنه انه قال اهدى لرجل من الانصار رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له زاعما انه احوج اليه منه فوجه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت الى ان رجع الى المجهود الاول قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول آه آه فاشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات وهذا من قبيل الايثار بالنفس وهو فوق الايثار بالمال * فداى دوست نكردم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد * وقال فى التكملة الصحيح ان الآية نزلت فى ابى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده ما يضيفه به فقال ألا رجل يضيف هذا رحمه الله فقام

ابو طلحة فانطلق به الى رحله وقال لامرأته اكرمى ضيف رسول الله فنومت الصبية واطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان انهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية وكان قناعة السلف اوفر ونفوسهم اقنع وبركتهم اكثر ونحن نؤثر انفسنا على الغير فاذا وضعت مائدة بين ايدينا يريد كل منا ان يأكل قبل الآخر ويأخذ اكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينفد سريعا ويروى انه وقع بين ملك ووزيره فى انه قال الملك ان العلماء احسن حالا واصلح بالا من الفقرآء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير نمتحن بامرك فى امرين فبعث احدا بعدة آلاف درهم الى اهل المدرسة فقال اذهب وقل لهم ان الملك امرنى ان اعطى هذه الدراهم افضلكم واكملكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر كذب بل هو انا وهكذا ادعى كل منهم الافضلية فقال الرسول لم يتميز الافضل عندى ولم اعرفه ولم يعط شيأ فعاد واخبر بما وقع ثم ارسل الوزير تلك الدراهم الى اهل الخانقاه ففعلوا عكس ما فعله العلماء واعطى بيده سيفا فقال اذهب فقل لهم ان الملك امرنى ان اضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر بل انا هكذا قال كل منهم ايثارا بقاء اخيه واختيار فدآء نفسه على فدآء رفيقه فقال الرسول لم يتميز ما هو الواقع عندى فرجع واخبر بما وقع فارسل السيف الى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقرآء فحج بذلك الوزير على الامير وانت تشاهدان فقرآء زماننا على عكس هؤلاء الفقرآء فى البلاد والممالك قال ابو يزيد البسطامى قدس سره غلبنى رجل شاب من اهل بلخ حيث قال لى ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * كريم كامل آنرا مى شناسم اندرين دوران * كه كرنانى رسد از آسياى چرخ كردانش * زاستغناء همت باوجود فقر وبى بركى * زخود واكير دوسازد نثار بى نوايانش * وفى العوارف من اخلاق الصوفية الايثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الايثار لانه يرى نفسه احق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب او يد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤديها اليه معاذ جبل را ديدند كه در بازار مكه ميكرديد وزيره تره ميچيد وميكفت هذا ملك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك * خيز يارا تا بميخانه زمانى دم زنيم * آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم * هرچه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم * پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم (ومن يوق شح نفسه) وهركه نكاه داشته شود از بخل نفس او يعنى منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق والوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم فان الفتوة هى الاوصاف المذكورة فى حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال عليه السلام اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال السهروردى فى العوارف السخاء صفة غريزية فى مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوقى الشح اى لمن انفق وبذل والنبى عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو فى نفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود وفى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كانا من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرآئز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض

من

من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بالعوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصي كانه يشح بالطاعة فدخل فيه ما قيل الشح ان تطمع عين الرجل الى ما ليس له وقال عليه السلام من الشح نظرك الى امرأة غيرك وذلك فان الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح وروى ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس المراد بالشح الذى ذكر الله في القرآن ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشئ البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذى قدس سره الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله عليه السلام يقول لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا وقال عليه السلام من ادى الزكاة المفروضة وقرى الضيف واعطى في النائبة فقد برئ من الشح والشح اقبح البخل وقال عليه السلام اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم (قال الحافظ) احوال كنج قارون كايام داد بر باد * باغضبه باز كويد تا زرنهان نداود (وقال المولى الجامى في ذم الحسيس الشحيح) هر چند زند لاف كرم مرد درم دوست * دريوزهٔ احسان زدر اونتوان كرد * ديرين مثلى هست كه از فضلهٔ حيوان * نارنج توان ساخت ولى بونتوان كرد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام فالمراد جاؤا الى المدينة او التابعون باحسان وهم الذين بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤا الى فضاء الوجود وفى الحديث (مثل امتى مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره يعنى در منفعت وراحت همچون باران بهاراند باران اند كه اول آن بهتر ست يا آخر نفهى است عامر او عامهٔ خلق واحال امت من همچنين است همان در و يشان آخر الزمان آن شكستكان سر افكنده وهمين عزيزان و بزركواران صحابه همه برادراند ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست و يكسانند هم كالقطر حيث ما وقع نفع برمثال باراند باران هر كجا كه رسد نفع رساندهم در بوستان هم در خارستان هم بر بيحان وهم بر ام غيلان همچنين اهل اسلام در راحت يكديكر ورأفت بر يكديكر يكسانند و يك نشانند (يقولون) خبر للموصول والجملة مسوقة لمدحهم بحجتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الآخرة في الدين والسبق بالايمان اى يدعون لهم قائلين (ربنا اغفر لنا) ما فرط منا (ولاخواننا) أى في الدين الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم * جوخواهى كه نامت بود جاودان * مكن نام نيك بزركان نهان * قدموا انفسهم في طلب المغفرة لما في المشهور من ان العبد لابد ان يكون مغفورا له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل ان يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الاخبار فلعل الوجه ان تقديم النفس اقرب الى النفوس مع ان في الاستغفار اقرارا بالذنب فالاحسن للعبد ان يرى اولا ذنب نفسه كذا في بعض التفاسير يقول الفقير نفس المرء اقرب اليه من نفس غيره فكل جلب او دفع فهو انما يطلبه اولا لنفسه لاعطاء حق الاقدم واما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وايضا ان ذنب نفسه مقطوع بالنسبة اليه واما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لا يدرى وايضا قد يهم في مثل هذا المقام لا يخلو عن سوء ادب وسوء ظن في حق السلف (ولا تجعل في قلوبنا غلا) اى حقدا وهو ذميمة فاحشة فورد المؤمن ليس بحقود يعنى كينه كش قال الراغب الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لان الغلالة اسم ما يلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها (للذين آمنوا) على الاطلاق صحابة او تابعين وفيه اشارة الى ان الحقد على غيرهم لاتقى لغيرة الدين وان لم يكن الحسد لائقا (قال الشيخ سعدى) دلم خانهٔ مهر يار ست وبس * ازان مى نكنجد دروكين كس (ربنا انك رؤف رحيم) اى مبالغ في الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا وفى الآية دليل على ان الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم ولمعلميهم امور الدين قالت عائشة

رضى الله عنهما امر وا ان يستغفروا لهم فسبوهم وفى الحديث (لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها)
وعن عطاء قال قال عليه السلام من حفظنى فى اصحابى كنت له يوم القيامة حافظا ومن شتم اصحابى فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فالرافضة والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من اقسام المؤمنين
لان الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن
من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسامهم قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله يحرم على الواعظ وغيره
رواية مقتل الحسين رضى الله عنه وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج بغض
الصحابة والطعن فيهم وهم اعلام الدين وما وقع بينهم من المنازعات فمحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك خطأ
فى الاجتهاد لا لطلب الرياسة او الدنيا كما لا يخفى وقال فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب والحذر
ثم الحذر من التعرض لما شجر بين الصحابة فانهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له اجران ومخطئهم له
اجر واحد وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام
فى المعاصى كحكاية احوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب اهل الاهوآء وكذا حكاية
ما جرى بين الصحابة رضى الله عنهم * اى دل ازمن اكر بجويى بند * رو باصحاب مصطفى دل بند *
همه ايشان آمده ذيشان * خواهشى كن شفاعتى زيشان * وقال بعض اهل الاشارة
ربنا اغفر لنا اى استر ظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات اخواننا الذين سبقونا بالايمان وهم الروح
والسر والقلب السابقون فى السلوك من قرية النفس الى مدينة الروح المؤمنين بان الفناء الوجودى الامكانى
يستلزم الوجود الواجبى الحقانى ولا تجعل فى قلوبنا شك الاثنينية والغيرية للذين آمنوا باخوانية المؤمنين
لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة انك رؤف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة
بالكثرة وفى تكرير ربنا اظهار لكمال الضراعة وفى الاثر من جزع به امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله
مما يخاف قال الامام الرازى اعلم ان العقل يدل على تقديم ذكر الله فى الدعاء لان ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم
بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم
النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذا اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح
قوى صفاءه وكمل اشراقه ومتى صار كذلك كانت قوته اقوى وتأثيره اكمل وكان حضور الشئ المطلوب عنده
اقوى واكمل وهذا هو السبب فى تقديم الدعاء بالثناء انتهى والوارد فى القرآن من الدعاء مذكور غالبا بلفظ
الرب فان على العبد ان يذكر اولا ايجاد الله واخراجه من العدم الى الوجود الذى هو اصل المواهب ويتفكر
فى تربية الله اياه ساعة فساعة وابتدأ دعوات رسول الله عليه السلام فاكثرها الابتدآء بقوله اللهم لانه مظهر
الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء والله سميع الدعاء وقابل الرجاء (الم تر) استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين
من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة والمعنى آيا نكاه نكرده يا محمد او يا من له حظ من الخطاب
(الى الذين نافقوا) من اهل المدينة قال الراغب النفق الطريق النافذ والسرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء
اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ومنه النفاق وهو الدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى هذا
نبه بقوله ان المنافقين هم الفاسقون اى الخارجون عن الشرع (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل
الكتاب) اللام للتبليغ والمراد بالاخوان بنو النضير وباخوتهم اما توا فقهم فى الكفر فان الكفر ملة واحدة
او صداقتهم وموالاتهم (لئن اخرجتم) اللام موطئة للقسم وهى اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم
ظاهرا او مقدرا واليؤذن ان الجواب له لا للشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن اخرجتم ايها الاخوان
من دياركم وقراكم قسرا باخراج محمد واصحابه اياكم منها (لنخرجن معكم) البتة ونذهبن فى صحبتكم ايضا ذهبتم
لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط
متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم بسعة وكذا قوله
لا يخرجون معهم وقوله لا ينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف
جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (ولا نطيع فيكم) اى فى شأنكم (احدا) يمنعنا من الخروج معكم

(ابدا) وان طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى ولاستعمالهما فى طول الزمانين جدا قديضا فان الى جنبهما فيقال ابدالآباد وازل الآزال واما السرمد فلاستغراق الماضى والمستقبل يعنى لاستمرار الوجود لاالى نهاية فى جانبهما (ومنه قول المولى الجامى)

دردت زازل آيد تاروزابد پايد * چون شكر كزار دكس اين دولت سرمدرا (وان قوتلتم) اى قاتلكم محمد واصحابه حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم) اى لنعاونكم على عدوكم ولانخذلكم (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الغابرة (لئن اخرجوا) قهرا واذلالا (لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير وذلك سرا ثم اخلفوهم يعنى ان ابن ابى ارسل اليهم لاتخرجوا من دياركم واقيموا فى حصونكم فان معى الفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنوا النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال احد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيى بن اخطب الذى كان هو المتولى لامر بنى النضير والله يا حى ان قول ابن ابى لباطل وليس بشئ وانما يريد ان يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فقال حى تأبى الاعداوة محمد والاقتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب اموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ما كان كما سبق فى اول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن اما الاول فلانه اخبر عما سيقع فوقع كما اخبر وذلك لان نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال واما الثانى فمن حيث الاخبار عن الغيب (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) فرارا وانهزاما جمع دبر ودبر الشئ خلاف القبل اى الخلف وتولية الادبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الادبار قال فى تاج المصادر التولية روى فراكردن و پشت بكردانيدن وهى من الاضداد (ثم لاينصرون) اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود اولينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين وفى الآية تنبيه على ان من عصى الله ورسوله وخالف الامر فهو مقهور فى الدنيا والآخرة وان كان سلطانا ذامنعة ومايقع احيانا من الفرصة فاستدراج وغايته الى الخذلان * صغوه كوباعقاب سازد جنك * دهد ازخون خود پرش را رنك * واشارة الى ان الهوى وصفاته كالمنافقين والنفس الكافرة واتباعها كاليهود وبينهما اخوة وهى الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لان اخرجتم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم واياتاكم بسبب غلبة انوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولانخالفكم وان قوتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لايقدرون على شئ بغير اذن الله فهم كاذبون فى قولهم ولايخرج الهوى وصفاته معهم لان الهوى والنفس وان كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو فى الصفات واتحادهما فى الذات وهو الانسانية وارتفاع احدهما لايستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب روحانية الغالب عليه يميل الى الروح تارة وبسبب غلظته ايضا يميل الى النفس اخرى فلاينصر النفس دائما ولئن نصرها ينفخ نار الظلمة فى حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات اشعة انوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة وفرار الليل من النهار الا ان حزب الله هم الغالبون (لانتم) يامعشر المسلمين وبالفارسية هر آينه شما كه مؤمنانيد (اشد رهبة) الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب اى اشد مرهوبية وذلك لان انتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين (فى صدورهم) اى صدور المنافقين (من الله) اى من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال فى الكشاف قوله فى صدورهم دال على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه اشد قلت معناه ان رهبتهم فى السر منكم اشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله يقول الفقير انما رهبوا من المؤمنين

لظهور نور الله فيهم فكما ان الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا اهل الظلمة ينفر من اهل النور ولا يقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق و بالنور نور التوحيد والايمان والاخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى اعلموا ان الله مع المتقين حيث ان الله تعالى اثبت معيته لاهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم (ذلك) اى ماذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله (بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) اى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار ليس العظمة بصفة للحق تعالى على التحقيق وانما هى صفة للقلوب العارفة به فهى عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفا للعظيم لعظم كل من رآه ولم يعرفه وفى الحديث (ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الامة وفيها منافقوها فيقول انا ربكم فيستعيذون به منه ولا يجدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فاذا تجلى لهم فى العلامة التى يعرفونه بها وجدوا عظمته فى قلوبهم وخروا له ساجدين والحق اذا تجلى لقلب عبد ذهب منه اخطار الاكوان ومابقى الا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على ان من علامات الفقه ان يكون خوف العبد من الله اشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال اكثر الناس على ماترى وتشاهد قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين قال بعض العارفين الفقيه عند اهل الله هو الذى لا يخاف الا من مولاه ولا يراقب الا اياه ولا يلتفت الى ماسواه ولا يرجو الخير من الغير و يطير فى طلبه طيران الطير قال بعض الكبار لا ينقص الكمل من الرجال خوفهم من سبع اوظالم اونحو ذلك لان الجزع فى النشأة الانسانية اصلى فالنفوس ابدا مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العينى له المشديد فى النفوس لا يعرف قدره الا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم ان يلحق بها او بما يقاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل اضعف الخلق فى نفسه لما يشهده من الضعف فى تألمه بقرصة برغوث فهو ادم ملأن بذله وفقره مع شهوده اصله علما وحالا وكشفا ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبى ولا ولى كامل فى وقت حضوره انه ادعى دعوى تناقض العبودية ابدا (لا يقاتلونكم) اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه (جميعا) اى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى) جمع قرية وهى مجتمع الناس للتوطن (محصنة) محكمة بالدروب والخنادق وما اشبه ذلك قال الراغب اى مجعولة بالاحكام كالحصون (او من وراء جدر) دون ان يحضروا لكم و يبارزوكم اى يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط الا ان الحائط يقال اعتبارا بالاحاطة بالمكان والجدار يقال اعتبارا بالنتو والارتفاع ولذا قيل جدر الشجر اذا خرج ورقه كانه حص وجدر الصبى اذا خرج جدريه تشبيها بجدر الشجر (باسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان ان ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان باسهم وحربهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب وايضا ان الشجاع يجبن والعز يزذل اذا حارب الله ورسوله قال فى كشف الاسرار اذا اراد الله نصرة قوم استاسد ارنبهم واذا اراد الله قهر قوم استرنب اسدهم اكر مردى ازمردى خود مكوى * نه هرشهسوارى بدر برد كوى * ان قيل ان البأس شدة الحرب فما الحاجة الى الحكم عليه بشديد اجيب بانه اريد من البأس هنا مطلق الحرب فاخبر بشدته لتصريح الشدة او اريد المبالغة فى اثبات الشدة لبأسهم مبالغة فى شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر و يجوز ان يكون متعلقا بمقدر صفة او حالا اى بأسهم الواقع بينهم او واقعا بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالا البتة ليس بمرضى فان الامرين جائزان بل قد ترجح الصفة (تحسبهم) ياحمدا و يا كل من يسمع و يعقل (جميعا) مجتمعين متفقين ذوى الفة واتحاد (وقلوبهم شتى) اى والحال ان قلوبهم متفرقة لا الفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله ولكن الله الف بينهم جمع شتيت كمرضى ومريض و بالفارسية پراكنده و پريشان يقال شت يشت شتا وشتاتا وشتيتا فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام وفى الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتجسير لهم وان اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين فى عهد النبى عليه السلام و يقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو ابليس يظفر بالافتراق بمراده قال سهل اهل الحق مجتمعون ابدا موافقون وان تفرقوا بالابدان وتباينوا بالظواهر واهل الباطل متفرقون ابدا وان اجتمعوا

بالابدان ووافقوا بالظواهر لان الله تعالى يقول تحسبهم الخ (ذلك بانهم) اى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم (قوم لايعقلون) اى لايعقلون شيأ حق يعرفوا الحق و يتبعوه وتطمئن به قلوبهم و تتحد كلمتهم و يرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال و تتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدى الى صلاح الجسد وفساده الى فساده كما قالوا كل اناء يترشح بما فيه اعلم ان الله تعالى ذم الكفار فى القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم والعلم أدراك الشئ بحقيقته وهو نظرى وعلى وايضاعقلى وسمعى والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم و يقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه (وان العقل عقلان * فمسموع ومطبوع * ولاينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع كما لاتنفع الشمس * وضوء العين ممنوع والى الاول اشار عليه السلام بقوله ماخلق الله اكرم عليه من العقل والى الثانى اشار بقوله ما كسب احد شيأ افضل من عقل يهديه الى هدى اويرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله ومايعقلها الا العالمون وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى وفى الحديث (العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل وعن انس رضى الله عنه قيل يارسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال وما من آدمى الاوله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يارسول الله قال لانه كلما اخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه فيمحو ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة وعنه ايضا رضى الله عنه اثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير فقال رسول الله كيف عقل الرجل فقالوا يارسول الله نخبرك عنه باجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال نبى الله ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم قال على بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال هذا الكلام يقطر عسلا وقال بعضهم اذا كمل العقول نقص الفضول اى لان العقل يعقله ويمنعه عما لايعنيه وكل شئ اذا كثر رخص غير العقل فانه اذا كثر غلا وقال اعرابى لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ولو صور الحق لاضاء معه الليل فالعقل انور شئ والحمق اظلمه وقيل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته اى ففى العقل قوة شجاعة الاسد و يعلم منه بالمقايسة ان فى الحمق ضعف حال الارنب ونحوه * كشتى بى لنكر آمد مردشر * كه زباد كژ نيايد او حذر * لنكر عقلست عاقل را مان * لنكرى دريوزه كن از عاقلان (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل اهل بدر وهم مشركوا اهل مكة اوكمثل بنى قينقاع على ماقيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير و بنو اقينقاع مثلثة النون والضم اشهر كانوا اشجع اليهود واكثرهم اموالا فلما كانت وقعة بدر اظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد كبنى النضير فاخرجهم رسول الله من المدينة الى الشأم اى لان قريتهم كانت من اعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعون وقد عرفت قصتهم فى الجلد الاول (قريبا) انتصابه بمثل اذا التقدير كوقوع مثل الذين الخ يعنى بدلالة المقام لا لاقتضاء الاقرب اى فى زمان قريب قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بنى النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا فتكون قبل وقعة احد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة فى السنة الرابعة لان غزوة بنى النضير كانت بعد احد وهى كانت بعد بدر بسنة (ذاقوا وبال امرهم) قال الراغب الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للامر الذى يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والامر واحد الامور والاوامر اى ذاقوا سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بنى النضير (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) مؤلم لايقادر قدره حيث يكون ما فى الدنيا بالنسبة اليه كالذوق بالنسبة الى الاكل والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لاعلى ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا

وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرآئهم اياهم على القتال حسبما حكى عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) قول الشيطان مجاز عن الاغواء والاغراء اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر) الانسان المذكور اطاعة لاغوائه وتبعا لاهوائه (قال) الشيطان (انى برىء منك) اى بعيد عن عملك واملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو يقال برئ يبرأ فهو برىء واصل البرء والبرآءة والتبرى التقصى مما يكره مجاورته قال العلماء ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى (انى اخاف الله رب العالمين) وان اريد ابو جهل على ان يكون اللام للعهد فقوله تعالى اكفر اى دم على الكفر پس چون برآن ثبات ورزيد ونهال شر لدر زمين دل او استحكام يافت قال انى الخ عبارة عن قول ابليس له يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب يعنى لما قاتلوا ورأى ابليس جبرآئيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم هذا من كذبات اللعين فانه لو خاف حقيقة وقال صدقا لما استمر على ما ادعى انه خوف عليه بعد ذلك كيف وقد طلب الانظار الى البعث للاغواء وقال ابو الليث قال ذلك على وجه الاستهزآء ولا بعد ان يقول له ليوقعه فى الحسرة والحرقة انتهى يقول الفقير الظاهر ان الشيطان يستشعر فى بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذرا من المؤاخذة العاجلة وان كان منظرا ولا شك ان كل احد يخاف السطوة الالهية عند ظهور اماراتها الا ترى الى قوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين على ان نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الاخذ (فكان عاقبتهما) اى عاقبة الشيطان وذلك الانسان وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله (انهما فى النار) وقرئ بالعكس وهو اوضح (خالدين فيها) مقيمين لا يبرحان وهو حال من الضمير المقدر فى الجار والمجرور المستقر وروى خالدان على انه خبر ان وفى النار لغو لتعلقه بخالدان (وذلك) اى الخلود فى النار (جزآء الظالمين) على الاطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض اهل التفسير المراد بالانسان برصيصا الراهب من بنى اسرآئيل درروزگار فترت صومعه ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور كشته وخدايرا پرستيده وابليس در كارى فرومانده روزى مردة شياطين راجمع كرد وگفت من يكفينى امر هذا الرجل يكى گفت من اين كار كفايت كنم ومراد تو ازوى حاصل كنم بدر صومعه وى رفت برزى راهبان ومتعبدان گفت من مرد راهم عزلت وخلوت مى طلبم تراچه زيان اگر من بصحبت تو بيايم ودر خلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى تن درنداد وگفت انى لفى شغل عنك يعنى مرا در عبادت الله چندان شغلست كه پرواى صحبت تو نيست وعبادت برصيصا آن بود كه چون درنماز شدى ده روز ازنماز بيرون نيامدى وروزه دار بودوهر بده روز افطار كردى شيطان برابر صومعه وى درنماز ايستاد وجهد وعبادت خود برجهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه بچهل روز ازنماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود راه داد چون آن عبادت وجهد فراوان وى ديد وخود را در جنب وى قاصر ديد انكه شيطان بعد از يك سال گفت مرا رفيق ديگر است وظن من چنان بود كه تعبد واجتهاد تو ازوى زيادتست اكنون كه ترا ديدم نه چنانست كه مى پنداشتم وبا نزديك وى ميروم برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتى تمام مى نمود شيطان گفت مرا ناچارست رفتن اما ترا دعايى آموزم كه بيمار ومبتلى ودیوانه كه بروى خوانى در وقت الله تعالى اورا شفا دهد وترا اين به باشد از هزار عبادت كه كنى كه خلق خدايرا از تو نفع بود وراحت برصيصا گفت اين نه كارمنست كه آنكه از وقت ورد خود باز مانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيد كه آن دعا وى را در آموخت واورا بر سر آن شغل داشت شيطان ازوى باز گشت وبا ابليس گفت والله لقد اهلكت الرجل پس برفت ومردى را تصنيق كرد چنانكه ديو يا مردم كند آنكه بصورت طبيبى برآمد بر در آن خانه گفت ان بصاحبكم جنونا فاعالجه چون اورا ديد گفت انى لا اقوى على جنه يعنى من با ديو او برنيايم لكن شما ارشاد كنيد بكسى كه اورا دعا كند در وقت شفا يابد

واو برصیصای راهب است که در صومعه نشیند او را بروی بردند ودعا کرد وآن دیوازوی بازشد وصحت یافت
پس این شیطان برفت وزنی را از دختران ملوک بنی اسرائیل رنجه ودیوانه کرد وآن زن جمال با کمال داشت
واو راسه برادر بودند شیطان بصورت طبیب پیش ایشان رفت وآن دختر را بوی نمودند گفت ان الذی
مرض لها مارد لا یطاق ولکن سارشد کم الی من یدعوله یعنی بران راهب شوید که دعا کند وشفا یابد گفتند
ترسیم که فرمان ما نبرد گفت صومعهٔ سازید در جنب صومعهٔ وی وزن را در ان صومعه بخانانید وباوی گویید
این امانت است بنزدیک تو نهادیم ومارفتیم از بهر خدا وامید ثواب تظر ازوی باز مگیرود عایی کن تا شفا یابد
ایشان همچنان کردند وراهب از صومعهٔ خود بزیر آمد واورا دید زنی بغایت جمال واز جمال وی در فتنه
افتاد شیطان اورا آن ساعت وسوسه کرد که واقعها ثم تب زیرا که در تو به کشاده ورحمت خدا فراوانست
راهب بفرمان شیطان کام خود ازوی برداشت وزن باز گرفت راهب پشیمان گشت واز فضیحت ترسید همان
شیطان در دل وی افکند که این زن را بباید کشت وپنهان باید کرد چون برادران آیند گویم که دیو اورا ببرد
وایشان مرا براست دارند واز فضیحت ایمن گردم آنکه اززنا واز قتل تو به کنم برصیصا اورا کشت ودفن کرد
چون برادران آمدند وخواهر را ندیدند گفت جا شیطانها فذهب بها ولم اقو علیه ایشان اورا راست داشتند
وباز گشتند شیطان آن برادر را بخواب نمود که راهب خواهر شما کشت ودر فلان جایگه دفن کرد سه شب
پیاپی ایشان را چنین خواب می نمود تا ایشان رفتند وخواهر را کشته از خاک برداشتند برادران او را از صومعه
بزیر آوردند وصومعه خراب کردند واورا پیش پادشاه وقت بردند تا بفعل وگناه خود مقر آمد وپادشاه بفرمود
تا او را بردار کنند آن ساعت شیطان بر او روی آمد وگفت این همه ساخته وآراستهٔ منست اگر آنچه من فرمایم
بجای آری ترا نجات وخلاص پدید آید گفت هر چه فرمایی ترا اطاعت کنم گفت مرا سجده بکن
آن بدبخت اورا سجده کرد وکافر گشت واورا در کفر بردار کردند وشیطان آنکه گفت انی بریٔ منک
انی اخاف الله رب العالمین فکان عاقبتهما یعنی الشیطان و برصیصا العابد کان آخر امرهما انهما فی النار
خالدین فیها وذلک جزآء الظالمین خیالات نادان خلوت نشین * بهم برکند عاقبت کفر ودین * گر زود دست باید کرد
برخوری * نباید که فرمان دشمن بری * بی نیک مردان بباید شتافت * که هر کاین سعادت طلب کرد یافت * ولیکن
تو دنبال دیو خسی * ندانم که دوصد سال کی رسی * والمراد من هذا الشیطان هو الشیطان الابیض الذی یأتی
الصلحاء فی صورة الحق (قال الکاشفی) آن بی سعادت بعد از عبادت هفتاد سال بورطهٔ شقاوت ابدی
گرفتار گشت * غافل مشو که مرکب مردان مرد وا * در سنگلاخ وسوسه پیها بریده اند وفی زهرة الریاض
غیر الله الایمان علی برصیصا بعد ما عبد الله مائتین وعشرین سنة لم یعص الله فیها طرفة عین وکان ستون الفا
من تلامذته یمشون فی الهوآء ببرکته وعبد الله حتی تعجبت الملائکة من عبادته قال الله تعالی لهم لماذا
تتعجبون منه انی لا علم ما لا تعلمون فتنی علمی انه یکفر ویدخل النار ابدا فسمع ابلیس وعلم ان هلاکه علی یده فجاء
الی صومعته علی شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصیصا من انت وما ترید قال انا عابد اکون لک عونا
علی عبادة الله قال له برصیصا من اراد عبادة الله فالله یکفیه صاحبا فقام ابلیس یعبد الله ثلاثة ایام ولم یأکل
ولم یشرب قال برصیصا انا افطر وانام وآکل واشرب وانت لا تأکل ثم قال انی عبدت الله مائتین وعشرین
سنة فلا اقدر علی ترک الاکل والشرب قال ابلیس انا اذنبت ذنبا فمتی ما ذکرته ینغص علی النوم والاکل
والشرب قال برصیصا ما حیلتی حتی اصیر مثلک قال اذهب واعص الله ثم تب الیه فانه رحیم حتی تجد
حلاوة الطاعة قال کیف اعصیه بعد ما عبدته کذا وکذا سنة قال ابلیس الانسان اذا اذنب یحتاج الی المعذرة
قال ای ذنب تشیر به قال الزنی قال لا افعله قال ان تقتل مؤمنا قال لا لفعله قال اشرب الخمر المسکر فانه اهون
وخصمک الله قال این اجده قال اذهب الی قریة کذا فذهب فرأی امرأة جمیلة تبیع خمرا فاشتری منها الخمر وشربها
وسکر وزنی بها فدخل علیها مازوجها فضربه وقتله ثم ان ابلیس تمثل فی صورة الانسان وسعی به الی السلطان
فاخذه وجلده للخمر ثمانین جلدة وللزنی مائة وامر بالصلب لاجل الدم فلما صلب جاء الیه ابلیس فی تلک الصورة
قال کیف تری حالک قال من اطاع قرین السوء فجزآؤه هکذا قال ابلیس کنت فی بلائک مائتین وعشرین سنة
حتی صاحبتک فلو اردت النزول انزلتک قال اریده واعطیک ما ترید قال اسجد لی مرة واحدة قال کیف اسجد

على الخشب قال اسجد بالايماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان الخ قال ابن عطية هذا اى كون المراد بالانسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الاول هو وجه الكلام وفى القصة تحذير عن فتنة النساء روى انه عليه السلام كان يصلى فى بيت ام سلمة رضى الله عنها فقام عمر ابن ام سلمة ليمر بين يديه فاشار اليه ان قف فوقف ثم قامت زينب بنت ام سلمة لتمر بين يديه فاشار اليها ان قفى فابت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر اليهما وقال ناقصات العقل فاقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام قال الخبازى فى حواشى الهداية قال مولانا حميد الدين رحمه الله كرسف اسم زاهد وقع فى الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزى فى المغرب كرسف رجل من زهاد بنى اسرآئيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا فى الفردوس ومنه الحديث صاحبات يوسف صاحبات كرسف انتهى قال ابن عباس رضى الله عنهما وكانت الرهبان فى بنى اسرآئيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفجور والفسق فى الاخيار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفى الحديث (كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فاتته امه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال اى بقلبه اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد اتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد اتته فقالت يا جريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنوا اسرآئيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال اى النبى عليه السلام فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى بالصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعى قال اى النبى عليه السلام فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من امه فمر رجل راكبا على دابة فارهة وهيئته حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال اى الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه فكانى انظر الى رسول الله عليه السلام وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال اى النبى عليه السلام ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت امه حلقا مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال اى الرضيع ان ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها انتهى الحديث وفيه اشارة الى انه ينبغى للمؤمن ان لا يمد عينيه الى زخارف الدنيا ولا يدعو الله فيما لا يدرى اهو خير له ام شر بل ينبغى له ان يطلب منه البرآءة من السوء وخير الدارين كما قال تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقا (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا خالصا (اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجتنبوا عن الكفران بالشكر وتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بافعالكم وصفاتكم بشهود افعاله وصفاته (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ما شرطية اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة تا اكر تقديم خيرات وطاعات كند شكر كزارى نمايد ودر زيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كند وپشيمان شود عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لان كل آت قريب يعنى سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى او عبر عنه به لان الدنيا اى زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحوال واحكام متشابهة وتعقيب الثانى الاول فقوله لغد استعارة

يقول الفقير انما كانت الآخرة كالغد لان الناس فى الدنيا نيام ولا انتباه الا عند الموت الذى هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة الى الغافل كما ان الغد صباح بالنسبة الى النائم فى الليل ودل هذا على ان الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد

يا ايها الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

اذ جاء به على اصله والبيت من ابيات العبرة واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل وانتظر نفس واحدة فى ذلك قال بعضهم الاستقلال يكون بمعنى عد الشئ قليلا و بمعنى الانفراد فى الامر فعلى الاول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولكن اكثرهم يجهلون فكانه اقيم الاكثر مقام الكل مبالغة قاهر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة الى العواقب بالنظر الصائب والرأى الثاقب وعلى الثانى يكون المراد انفراد النفوس فى النظر واكتفاءها فيه بدون انضمام نظر الاخرى فى الاطلاع على ما قدمت خيرا او شرا قليلا او كثيرا وجودا او عدما وفيه حث عظيم * جهل من وعلم تو فلك راجه تفاوت * آنجا كه بصر نيست چه خوبى وچه زشتى (واتقوا الله) تكرير للتأكيد والاهتمام فى شأن التقوى واشارة الى ان اللائق بالعبد ان يكون كل امره مسبوقا بالتقوى ومختوما بها والاول فى ادآء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل والثانى فى ترك المحارم كما يوذن به الوعيد بقوله سبحانه (ان الله خبير بما تعملون) اى عالم بما تعملونه من المعاصى فيجزيكم يوم الجزآء عليها ودر كشف الاسرار فرموده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كرده باشد از محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هر چه ما دون حقست * اصل تقوى كه زادا ين راهست * ترك مجموع ماسوى اللهست * والتقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقال بعض الكبار التقوى وقاية النفس فى الدنيا عن ترتب الضرر فى الآخرة فتقوى العامة عن ضرر الافعال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى اخص الخواص عن جميع ماسوى الله تعالى عزيزى گفته است كه دنيا سفالى است وآن نيز در خواب وآخرت نيز جوهرى است يافته در بيدارى مردنه آنست كه در سفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه در گوهر در بيدارى يافته متقى شود فلا بد من التقوى مع وجود العمل (قال الصائب) بى عمل دامن تقوى زمنا هى چيدن * احتراز از سلك مسلح بود از شاشه خويش * وفى الآية ترغيب فى الاعمال الصالحة وفى الاثر ان ابن آدم اذا مات قالت الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم وعن مالك بن دينار رحمه الله مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله ايضا انه قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت له كيف حالك وكيف انت فقال يا مالك كيف حال من اصبح وامسى يريد سفرا بعيدا بلا هبة ولا زاد و يقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى ولم يحسن فيه عملى ابكانى والله قلة الزاد و بعد المسافة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصيرا الى الجنة ام الى النار فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت بما اغتر به بنوا الدنيا زعم الناس انى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وجرى بين لحمى ودمى فانا من حبه هائم مشغوف فقلت ياسعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فانشد

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

وفى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان الحقيقى الشهودى الوجودى اجعلوا الله وقاية نفوسكم فى اضافة الكمالات اليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ماهيأت لغد يوم الشهود واتقوا الله عن الالتفات الى غيره ان الله خبير بما تعملون من الاقبال على الله والادبار عن الدنيا ومن الادبار عن الله والاقبال على الدنيا انتهى و يدخل فى قوله نفس النفوس الجنية لانهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل

ما للانس كما عرف فى مواضع كثيرة (ولاتكونوا) ايها المؤمنون (كالذين) اى كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودون بمعونة المقام اوالجنس كائنا من كان من الكفار امواتا اواحياء (نسوا الله) فيه حذف المضاف اى نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجيب اموره ونواهيه حق رعايتها (فانساهم) بسبب ذلك (انفسهم) اى جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها فالمضى على اصله اواراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم فالمضى باعتبار التحقق قال الراغب النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه واما عن غفلة اوعن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الانسان ذمه الله به فهو ما كان اصله من تعمد وما عذر فيه نحو ما روى عن النبى عليه السلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فهو ما لم يكن سببه منه فقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الاهانة واذا نسب ذلك الى الله فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال فى اللباب قد يطلق النسيان على الترك ومنه نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعة الله ترك الناسى فتركهم الله وقال بعض المفسرين ان قيل النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لانه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد اجيب بانهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعد ما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله وراعوا حقها قل او كثر جل اوصغر سئل ذوالنون المصرى قدس سره عن سر ميثاق مقام الست بربكم هل تذكره فقال كانه الآن فى اذنى ودر نفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را كفتند كه روز بلى را ياد دارى كفت چون ندارم كويى دى بود شيخ الاسلام خواجه انصارى فرمود كه درين سخن نقص است صوفى را دى وفردا چه بود آن روز را هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست ويدل عليه قوله الآن على ما كان عليه ثم ان قوله تعالى ولاتكونوا الخ تنبيه على ان الانسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال فى فتح الرحمن لفظ هذه الآية انه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال على رضى الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وقال سهل رحمه الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم الله انفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة ومن لطائف العرفى * مالب آلوده بهر توبه بكشاييم ليك * بانك عصيان ميزند ناقوس استغفار ما (اولئك) الناسون المخذولون بالانساء (هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فافاد ان فسقهم كان بحيث ان فسق الغير كانه ليس بفسق بالنسبة اليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الابدية والقربة من الحضرة الاحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه اشارة الى ان الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق فى جميع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون فى مقام شهود انفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه نسى طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فنى عن شهوات نفسه بقى مع تجليات ربه (لايستوى اصحاب النار) الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار والنار باللام من اعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيرا ما تذكر فى مقابلة الجنة كما فى هذا المقام وجاء فى الشعر

الجنة الدار فاعلم ان عملت بما * يرضى الاله وان فرطت فالنار
هما محلان ما للناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا انت تختار

والصحبة فى الاصل اقتران الشئ بالشئ فى زمان ما قل اوكثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وان كانت على المداومة والملازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاحب عرفا وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاحب ايضا ومن ذلك يكنى عن الزوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بمملوكه كما قيل له الرب لوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فاطلاق اصحاب النار واصحاب الجنة على اهلهما اما باعتبار الصحبة الابدية والاقتران الدآئم حتى لا يقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله اصحاب النار اوباعتبار الملك مبالغة ورمزا الى انهما جزآء لاهلهما باعتبار كسبهما باعمالهم الحسنة اوالسيئة (واصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة قال فى الارشاد لعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستوآء من جهتهم

لامن جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستوآء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الازآء لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواضع واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة والاعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم قدم اصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة اهلها ولان اول طامعة اكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة فى البعض ولا دلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لايقتص بالكافر وان الكفار لايملكون اموال المسلمين بالقهر كما هو مذهب الشافعى لان المراد عدم الاستوآء فى الاحوال الاخروية كما ينبىء عنه التفسير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (اصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستوآء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم اهل الكرامة فى الدارين واصحاب النار اهل الهوان فيها وفيه تنبيه للناس بانهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كانهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار وبين اصحابهما حتى احتاجوا الى الاخبار بعدم الاستوآء كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال اهل النار وحسن حال اهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصى والتصلى عن عدم المبالاة قال عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه السلام ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان احدا اشد منه عذابا وبكى الشيخ الجبائى ليلة يردد قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض و يبكى فقيل له لقد ابكتك آية ما يبكى عند مثلها فقال ما ينفعنى عرضها اذا لم يكن لى فيها موضع قدم وخرج على سهل الصعلوكى من سجن حمام يهودى فى طمر اسود من دخانه فقال الستم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة اذا صرت الى عذاب الله كانت هذه جنتك واذا صرت الى نعيم الله كانت هذه سجنى فتعجبوا من كلامه (قال الشيخ سعدى)

چومارا بدنیا تو کردی عزیز * بعقبی همان چشم داریم نیز *
عزیزی وخواری تو بخشی وبس * عزیزی تو خواری نه بیند کس *
خدایا بعزت که خوارم مکن * بذل کنه شرمسارم مکن *

قال بعض اهل الاشارة اصحاب النار فى الحقيقة اصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها واصحاب الجنة اصحاب المواصلات الذين وقعوا فى روح المشاهدات وفى الظاهر اصحاب النار اصحاب النفوس والاهوآء الذين اقبلوا على الدنيا واصحاب الجنة اصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النورى قدس سره اصحاب النار اصحاب الرسوم والعادات واصحاب الجنة اصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات (لو انزلنا هذا القرءآن) العظيم الشأن المنزل عليكم ايها الناس المنطوى على فنون القوارع او المنزل عليك يا محمد او على محمد بحسب الالتفات فى الخطاب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان السماء اطت يعنى آوازداد من ثقل الالواح لما وضعها الله عليها فى وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الانجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم انه لايلزم فى الاشارة وجود جملة المشار اليه ذى الابعاض المترتبة وجودا بل يكفى وجود بعض الاشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكما ويحتمل ان يكون المشار اليه هذا الآية السابقة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا الخ فان لفظ القرءآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك او بالغلبة او مجازا بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار اليه (على جبل) من الجبال وهى ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول كما فى زهرة الرياض وهى محركة كل وتد للارض عظم وطالى فان انفرد فاكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعير واستق منه بحسبه فقيل فلان جبل لا يتدحرج تصورا لمعنى الثبات وجبله الله على كذا اشارة الى ما ركب فيه من الطبع الذى يأبى على الناقل نقله (لرأيته) يا من من شأنه الرؤية او يا محمد مع كونه عالما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا) خاضعا ذليلا وهو حال من الضمير المنصوب فى قوله رأيته

لانه من الرؤية البصرية قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم الخضوع فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر قال الراغب الخشوع ضراعة واكثر مايستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة اكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى اذا خضع القلب خشعت الجوارح (متصدعا من خشية الله) اى متشققا منها ان يعصيه فيعاقبه والصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع قال العلماء هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب فى الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم ايها الناس ثم انزل عليه القرآن ووعد واوعد حسب ما انزل عليكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله وحذرا من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من امره ونهيه والكافر المنكر اقسى منه ولذا لا يتأثر اصلا (مصرع) اى دل سنكين تو يك ذره سوهان كير نيست * وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك لو كلمت هذا الحجر لاثر فيه ونظيره قول الامام مالك للشافعى لو رأيت اباحنيفة رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقامت حجته * دلرا اثر روى تو كل بوش كند * جانرا سخن خوب تو مدهوش كند * آتش كه شراب وصل تو نوش كند * ازلطف تو سوختن فراموش كند * يقول الفقير فيه ذهول عن ان الله تعالى خلق الاشياء كلها ذات حياة وادراك فى الحقيقة والا لما اندك الجبل عند التجلى ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحياة اهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقق مرارا نعم فرق بين الجبل عند التجلى وعند ما انزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار وعدم الانزال فان اثر الحياة فى الصورة الاولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة واما فى الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل هذا القول الغريب فى عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الامثال الواقعة فى القرآن فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار لكل امر غريب وصفة عجيبة الشان تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة (نضربها للناس) بيان ميكنيم مر انسانرا قد جاء فى سورة الزمر ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل بالاخبار على المضى مع انها مكية وقال هنا نضرب بها بالاستقبال مع ان السورة مدنية فلعل الاول من قبيل عد ما سيحقق مما حقق لتحققه بلا خلف والثانى من قبيل التعبير عن الماضى بالمضارع لاحضار الحال اولارادة الاستمرار على الاحوال بمعنى ان شأننا ان نضرب الامثال للناس (لعلهم يتفكرون) اى لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر يعنى شايد كه انديشه كنند وان وبهره بردارند ازان بايمان ولا يقتضى كون الفعل معللا بالحكمة والمصلحة ان يكون معللا بالغرض حتى تكون افعاله تعالى معللة بالاغراض اذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء انه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية اخرى لينال فضلها من اراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن اراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لا يعنيه ومن اراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن اراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان ومن اراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم ومن اراد فضل الحج وهو عاجز فليلتزم الجمعة ومن اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن اراد فضل الابدال فليضع يده على صدره ويرض لاخيه ما يرضى لنفسه قال عليه السلام اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا ما حظها من العبادة يا رسول الله قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه (وفى المثنوى)

خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى * بهر محجوبان مثال معنوى * كه زقرآن كرنه بيند غير قال *
اين عجب نبود زاصحاب ضلال * كز شعاع آفتاب پرزنور * غير كرمى مى نيابد چشم كور *

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وعن الحسن البصرى رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وعن ابى سليمان رحمه الله الفكرة فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب وكثيرا ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

والتفكر اما ان يكون فى الخالق او الخلق والاول اما فى ذاته او فى صفاته او فى افعاله اما فى ذاته فممنوع لانه لا يعرف الله الا الله الا ان يكون التفكر فى ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الامكان والفناء والصمدية التى هى الاستغناء عن الكل واما فى صفاته فهو فيها باعتبار كمالها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الاشياء وارادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحو ذلك واما فى افعاله فهو فيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الاتم كل يوم هو فى شان والثانى اما ان يكون فيما كان من العلويات والسفليات او فيما سيكون من اهوال القيامة واحوال الآخرة الى ابد الآباد قال بعض العارفين التفكر اما فى آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة واما فى عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياء واما فى نعم الله ومننه فيتولد منه المحبة واما فى وعد الله بالثواب فيتولد منه الرغبة فى الطاعة واما فى وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية واما فى تفريط العبد فى جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة ومن مهمات التفكر ان يتفكر المتفكر فى امر نفسه من مبدأه ومعاشه ومن اطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولو صرف عمره فى فكر نفسه نظرا الى اول امره واوسطه وآخره لما تم وفى الآية اشارة الى ان الله لو تجلى بصورة القرآن الجامع المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الانسانى لتلاشى من سطوة التجلى والى ان العارف ينبغى ان يذوب تحت الخطاب الالهى من شدة التأثير والى ان هذه الامة حملوا بهمتهم ما لم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان

(هو الله الذى لا اله الا هو) هو فى اصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهى كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيرا ما يكنى به عمن لا يتصور فيه الذكورة والانوثة كما هو ههنا فانه راجع الى الله تعالى للعلم به ولك ان تقول هو موضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكما وهى لمفرد يكون فيه ذلك وهو مبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هو المعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الاعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلا يلزم ان يتحد المبتدأ والخبر بان يكون التقدير الله الله اذ لا فائدة فيه او الله بدل من هو والموصول مع صلته خبر المبتدأ او هو اشارة الى الشان والله مبتدأ والذى لا اله الا هو خبره والجملة خبر ضمير الشان ولا فى كلمة التوحيد لنفى افراد الجنس على الشمول والاستغراق واله مبنى على الفتح بها مرفوع المحل على الابتداء والمراد به جنس المعبود بالحق لا مطلق جنس المعبود حقا او باطلا والا فلا يصح فى نفسه لتعدد الالهة الباطلة ولا يفيد التوحيد الحق والا هو مرفوع على البدلية من محل المنفى او من ضمير الخبر المقدر للا والخبر قد يقدر موجود فيتوهم ان التوحيد يكون باعتبار الوجود لا الامكان فان نفى وجود اله غير الله لا يستلزم نفى امكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم ان اثبات الامكان لا يقتضى الوقوع فكم من شئ ممكن لم يقع وقد يقدر لنا فيتوهم انه لا بد من مقدر فيعود الكلام والجواب انه اذا كان المراد بالاله المعبود بالحق كما ذكر فهو لا يكون الا رب العالمين مستحقا لعبادة المكلفين فاذا نفيت الالوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى واثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها ان قيل ان اراد القائل لا اله الا الله شمول النفى له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع ان الاستثناء يكون كاذبا وان اراد شموله لغيره فقط فلا حاجة الى الاستثناء اجيب بان مراده فى قلبه هو الثانى الا انه يرى التعميم ظاهرا فى اول الامر ليكون الاثبات بالاستثناء آكد فى آخر الامر فالمعنى لا اله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقا قال الشيخ ابو القاسم هذا القول وان كان ابتداؤه النفى لكن المراد به الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القائل لا اخ لى سواك ولا معين لى غيرك آكد من قولهم انت اخى ومعينى وكل من لا اله الا الله ولا اله الا هو كلمة توحيد لورودها فى القرآن بخلاف لا اله الا الرحمن فانه ليس بتوحيد مع ان اطلاق الرحمن على غيره تعالى غير جائز واطلاق هو جائز نعم ان الاولى كونه توحيدا الا انه لم يشتهر به التوحيد اصالة بخلافهما اعلم ان هو من اسماء الذات عند اهل المعرفة لانه بانفراده عن انضمام لفظ آخر اشارة الى الله المستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالاسماء الحسنى فهو من جملة الاذكار عند الابرار قال الامام القشيرى رحمه الله هو للاشارة وهو عند هذه الطائفة اخبار عن نهاية التحقيق فاذا قلت هو لا يسبق الى قلوبهم غيره تعالى فيكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الامام الفاضل محمد بن ابى بكر الرازى

رحمه الله فى شرح الاسماء الحسنى اعلم ان هذا الاسم عند اهل الظاهر مبتدأ يحتاج الى خبر ليتم الكلام وعند اهل الطريق لا يحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شئ آخر يتصل به او يضم له لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الشيخ العارف احمد الغزالى اخو الامام محمد الغزالى رحمه الله كاشف القلوب بقول لا اله الا الله وكاشف الارواح بقول الله وكاشف الاسرار بقول هو هو لا اله الا الله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلا اله الا الله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة فانظر انه رحمه الله فى اى درجة وضع هو وعن بعض المشايخ رأيت بعض الواصلين فقلت له ما اسمك فقال هو فقلت من اين تجيء قال هو فقلت من تعنى بقولك هو قال هو فما سألته عن شئ الا قال هو فقلت لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه فكن من الذاكرين بهو ولا تلتفت الى المخالفين فانهم من اهل الاهوآء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان اما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد فى الانسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هى حقيقة الانسان المستخدمة للبدن فى الامور الدنيوية والاخروية وهى العالم والعارف والعاقل وهى الجاهل والقاصر والغافل الى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة فى الانسان جامعة للاخلاق المذمومة داعية الى الشهوات باعثة على الاهوآء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الافاضل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فانت بالنفس لا بالجسم انسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون فى جوف الانسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الالفاظ الاربعة يطلق على نفس الانسان الذى هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالاصالة وتبعيتها يقع الثواب والعقاب للبدن الذى هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتبارى فان النفس نفس باعتبار انها نفس الشئ وذاته وعقل باعتبار ادراكها وقلب باعتبار انقلابها من شئ الى شئ وروح باعتبار استراحتها بما يلائمها وتستلذ به وعلى المعانى الاخر لهن حقيقى ثم ان النفس اما ان تكون تابعة للهوى فهى الامارة لمبالغة امرها للاعضاء بالسيئات فذكر آثرة النفس لا اله الا الله واما ان يهب الله لها الانصاف والندامة على تقصيراتها والميل الى التدارك لما فات من المهمات فهى اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الآثرة الله الله ويقال لها آثرة القلب لانقلابها الى جانب الحق واما ان تطمئن الى الحق وتستقر فى الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهى المطمئنة لاطمئنانها تحت امر الله بحب الله ويقال لهذه الآثرة آثرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الآثرة هو هو واما ما قال بعض الكبار من ان الذكر بلا اله الا الله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث انها جامعة بين النفى والاثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة الى حال المبتدى فكلمة التوحيد تظهر مرآة النفس بنارها فتوصل السالك الى آثرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل الى آثرة الروح وكلمة هو تجلى الروح فتوصل من شاء الله الى آثرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التى هى ثمرة الطريقة التى هى خلاصة الشريعة التى هى لازمة القبول لكل مؤمن اما اتخاذا مما روى عن النبى عليه السلام انه قال حكاية عن الله بينى وبين عبدى سر لا يسعه ملك مقرب ولا نبى مرسل واما لكونه مستورا عن اكثر الناس ليس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله انه لا اله الا هو

هست هر ذرة بوحدت خويش * پيش عارف كواه وحدت او * بلكه كن جامى از غبار دوئى *
لوح خاطر كه حق بكيست نه دو (عالم الغيب والشهادة) اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة اى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ما غاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والاولى ونحو ذلك قال الراغب ما غاب عن حواس الناس وبصائرهم وما شهدوه بهما والمعلومات اما معدومات يمتنع وجودها او معدومات يمكن وجودها واما موجودات يمتنع عدمها او موجودات لا يمتنع عدمها ولكل من هذه الاقسام الاربعة احكام

وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجودا واعلم ان ماورد من اسناد علم الغيب الى الله فهو الغيب بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى لانه لا يخفى على الله شئ فى الارض ولا فى السماء واذا انتفى الغيب بالنسبة اليه انتفى العلم به ايضا وايضا لما سقطت جميع النسب والاضافات فى مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقا فانتفى العلم بالغيب فافهم (هو الرحمن الرحيم) كرر هو لان له شأنا شريفا ومقاما منيفا من اشتغل به ملك ومن اعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل انس وجن مؤمنا كان او كافرا * ادیم زمین سفرهٔ عام اوست * بر این خوان یغما چه دشمن چه دوست * على ما قال عليه السلام ايها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها ولذلك يقال يا رحمان الدنيا والآن ما فيه زيادة حرف يراد به زيادة فى المعنى ورحمته الاخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يا رحيم الآخرة فعلى هذا فى معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الانواع والافراد وفى تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته فى الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين ان لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بانه يقبل القليل ويعطى الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم ان يكون كثير الرحمة بان يرحم نفسه اولا ظاهرا وباطنا ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وارشاده والنظر اليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ

وارحم بنى جميع الخلق كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراع فى كل خلق حق من خلقه

قال الزروقى رحمه الله كل الاسماء يصح التخلق بمعانيها الا الاسم الله فانه للتعلق فقط وكل الاسماء راجعة اليه فالمعرفة به معرفة بها ولا بد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس بقريبها من الاجل وبعدها من الامل قيل له بماذا يصل العبد الى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب وفى التأويلات النجمية تشير الآية الى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو الرحمن الرحيم اى هو المتجلى بالتجلى الرحمانى العام وهو المتجلى بالتجلى الرحيمى الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص فى عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته (هو الله الذى لا اله الا هو) كرر هو لابراز الاعتناء بامر التوحيد يعنى اوست خداى كه بهيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكروى (الملك) پادشاهى كه جلال ذاتش از وجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالامر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء فقوله تعالى ملك يوم الدين فتقديره الملك فى يوم الدين كما فى المفردات وعبد الملك هو الذى يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وامره به فهو اشد الخلق على خليقته قال الامام الغزالى قدس سره مملكة العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورعيته لسانه وعيناه ويداه وسائر اعضائه فاذا ملكها ولم تملكه ولم يعطها فقد نال درجة الملك فى عالمه (قال الشيخ سعدى) وجود تو شهريست پر نيك وبد * تو سلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان كردن فراز * درين شهر كبرست وسودا وآز * چو سلطان عنايت كند بابدان * بكاماند آسايش بخردان * خاك انضم اليه استغناؤه عن كل الناس واحتاج الناس كلهم اليه فى حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك فى العالم العرضى وتلك رتبة الانبياء عليهم السلام فانهم استغنوا فى الهداية الى الحياة الآخرة عن كل احد الا عن الله تعالى واحتاج اليهم كل احد ويليهم فى هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما ملكهم بقدر مقدورتهم على ارشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذى لا مشتوية فى ملكه والاخلاص للعبد كما قيل لبعض العارفين الك ملك فقال انا عبد لمولاى فليس لى مملكة فمن انا حتى اقول لى شئ هذا كلام من استغرق فى ملاحظة ملكية الله وملكيته فاحكى ان بعض الامراء قال لبعض الصلحاء سلنى حاجتك قال اولى تقول

هذا ولى عبدان هما سيداك قال من هما قال الشهوة والغضب وفى بعض الرواية الحرص والهوى غلبتهما وغلبالك وملكتهما وملكالك فهو اخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط نفسه واستخدمها فيما يرضاه الله نعم ذلك الامير ولغيره من السامعين شاهدين اوغائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ اوصنى قال كن ملكا فى الدنيا تكن ملكا فى الآخرة معناه اقطع طمعك وشهوتك فى الدنيا فان الملك فى الحرية والاستغناء ومن مقالات ابى يزيد البسطامى قدس سره فى مناجاته الهى ملكى اعظم من ملكك وذلك لان الله تعالى ملك ابايزيد وهو فان متناه وابايزيد ملك الله وهو باق غير متناه ى وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول الغناء والامرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة واحدى وعشرين مرة اغناه الله من فضله اما باسباب اوغيرها (القدوس) هو من صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة اى البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وعن كل عيب وهو بالعبرى قديسا ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الزمخشرى ان الضفادع تقول فى تسبيحها سبحان الملك القدوس قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وقال بعضهم المفتوح قليل فى الصفات كثير فى الاسماء مثل التنور والسمور والسفود وغيرها قال بعض المشايخ حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الارض المقدسة لانها لاتتغير بملك الكافر كما يتغير غيرها من الارضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغير احوالهم بالجور والظلم والاعتداء فى الاحكام وفيما يترتب عليها فان ملكه تعالى لايعرض له مايغيره لاستحالة ذلك فى وصفه وقال بعضهم التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السلام لانه ينزل بالقدس من الله اى مايطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهى والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة اى الشرك اولانه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الارض المقدسة وحظيرة القدس الجنة (قال الكاشفى) قدوس يعنى پاك از شوائب مناقص ومعايب ومنزه از طرق آفات ونوايب وقال الامام الغزالى رحمه الله هو المنزه عن كل وصف يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير او يقضى به تفكر ولست اقول منزه عن العيوب والنقائص فان ذلك يكاد يقرب من ترك الادب فليس من الادب ان يقول القائل ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فان نفى الوجود يكاد يوهم امكان الوجود وفى ذلك الايهام نقص بل اقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من اوصاف الكمال الذى يظنه اكثر الخلق كما لا قال الزروقى رحمه الله كل تنزيه فوجه الخلق به الى الخالق فهو عائد اليهم لان الحق سبحانه فى جلاله لايقبل مايحتاج للتنزيه منه لاتصافه بعلى الصفات وكريم الاسماء وجميل الافعال على الاطلاق فليس لنا من تقدسه الا معرفة انه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذى قدسه الله عن الاحتجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذى وسع قلبه الحق كما قال لايسعنى ارضى وسمائى ويسعنى قلب عبدى ومن وسع الحق قدس عن الغير اذ لايبقى عند تجلى الحق شئ غيره فلا يسع القدوس الا القلب المقدس من الاكوان قال بعضهم حظ العارف منه ان يتحقق انه لايحق الوصول الا بعد العروج من عالم الشهادة الى عالم الغيب وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسات والتطواف حول العلوم الالهية والمعارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن ان يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذآئذ الجسمانية فيقبل بشراشره على الله سبحانه شوقا الى لقائه مقصورا الهم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل الى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم انه اذا كتب سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز اثر صلاة الجمعة واكله يفتح الله له العبادة ويسلمه من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ما وقع عليه وفى الاربعين الادريسية يا قدوس الطاهر من كل آفة فلا شئ يعادله من خلقه قال السهروردى من قرأه كل يوم الف مرة فى خلوة اربعين يوما شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير فى العالم (السلام) ذو السلامة من كل آفة ونقص وبالفارسية سالم از عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السلامة وصف به للمبالغة لكونه سليما من النقائص او فى اعطائه السلامة فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فاورد من قوله انت السلام معناه انت الذى سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص وقوله ومنك السلام اى الذى يعطى السلامة فيسلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشدآئد فى الدارين

ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلم من الخزى يوم القيامة او يسلم على المؤمنين فى الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة الى ان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقوله وحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال الامام الغزالى رحمه الله هو الذى يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وافعاله من الشر يعنى ليس فى فعله شر محض بل فى ضمنه خير اعظم منه فالمقضى بالاصالة هو الخير وهو والقدوس من الاسماء الذاتية السلبية الا ان يكون بمعنى المسلم قال الراغب السلام والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة قيل وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التى تلحق الخلق انتهى وعبد السلام هو الذى تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذى يأتى الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب فى وصفه من السلام المطلق الحق الذى لا مثنوية فى صفاته واعنى بالانتكاس فى صفاته ان يكون عقله اسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه وهو ان تكون الشهوة والغضب اسيرى العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الامير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والاسلام الا من سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى انه اذا قرئ على مريض مائة واحدى عشرة مرة برئ بفضل الله مالم يحضر اجله او يخفف عنه (المؤمن) اى الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو قاله الزجاج او واهب الامن وهو طمأنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الايمان الذى هو ضد التخويف كما فى قوله تعالى وآمنهم من خوف وعنه ايضا انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله لباقيه انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (قال الكاشفى) ايمن كنندة مؤمنان از عقوبت نيران يا داعى خلق بايمان وامان يا مصدق رسل باظهار معجزه وبرهان قال الامام الغزالى رحمه الله المؤمن المطلق هو الذى لا يتصور امن وامان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى ان الاعمى يخاف ان يناله هلاك من حيث لا يرى فعينه البصيرة تفيد امنا منه والاقطع يخاف آفة لا تندفع الا باليد واليد السليمة امان منها وهكذا جميع الحواس والاطراف والمؤمن خالقها ومصورها ومقومها ولو قدرنا انسانا وحده مطلوبا من جهة اعدائه وهو ملقى فى مضيق لا تتحرك عليه اعضاؤه لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لم يقاوم اعداءه وحده وان كانت له جنود لم يأمن ان تنكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوى اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وامده بجنود واسلحة وبنى حوله حصنا فقد افاده امنا وامانا فبالحرى ان يسمى مؤمنا فى حقه والعبد ضعيف فى اصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف الا الذى اعد الادوية دافعة لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والاشربة مميطة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحواس جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الاعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه عنها الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث قال لا اله الا الله حصنى فمن دخله امن من عذابى فلا امن فى العالم الا وهو مستفاد من اسباب هو منفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وعبد المؤمن هو الذى آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم واموالهم واعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف ان يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به فى دفع الهلاك عن نفسه فى دينه ودنياه كما قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه وفى ترجمة وصايا الفتوحات واكر خواهى كه از هيچكس نترسى هيچ كس را مترسان تا از همه آمن باشى چون همه كس از تو آمن باشند شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدين طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعى در سفر بودم ناكاه ديدم كلهٔ كوره خر در مرغى ومن بر صيد ايشان عظيم حريص بودم وكودكان من پارهٔ دور بودند در نفس من اين فكر افتاد كه ايشانرا نرنجانم ودل بران نهادم وخاطر را بر ترك تعرض

وایذاء ایشان تسکین کردم وحصانی که بروی سوار بودم بجانب ایشان میل میکرد سر او محکم کردم ونیزه بدست من بود چون بدیشان رسیدم ودرمیانهٔ ایشان درآمدم وقت بود که سنان نیزه بعضی میرسید واودر هراکردن خود بود والله هیچ یکی سر برنداشت تا من ازمیان ایشان گذشتم بعدازان کودکان وغلامان رسیدند وآن جماعات حر وحش ازایشان رمیدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمی دانستم تاوقتی که بطریق الله رجوع کردم ومراد رمعامله نظر افتاد دانستم که آن امان که درنفس من بود در نفوس ایشان سرایت کرد واحق العباد باسم المؤمن من کان سببا لامن الخلق من عذاب الله بالهدایة الی طریق الله والارشاد الی سبیل النجاة وهذه حرفة الانبیاء والعلماء ولذلک قال علیه السلام انکم تتهافتون فی النار تهافت الفراش وآنا آخذ بحجزکم لعلک تقول الخوف من الله علی الحقیقة فلا مخوف الا هو فهو الذی خوف عباده وهو الذی خلق اسباب الخوف فکیف ینسب الیه الامن فجوابک ان الخوف منه والامن منه وهو خالق سبب الامن والخوف جمیعا وکونه مخوفا لا یمنع کونه مؤمنا کما ان کونه مذلا لم یمنع کونه معزا بل هو المعز والمذل وکونه خافضا لم یمنع کونه رافعا بل هو الرافع الخافض فکذلک هو المؤمن المخیف لکن المؤمن ورد التوقیف به خاصة دون المخوف وخاصیة هذا الاسم وجود التأمین وحصول الصدق والتصدیق وقوة الایمان فی العموم لذاکره ومن ذلک ان یذکره الخائف ستا وثلاثین مرة فانه یأمن علی نفسه وماله ویزداد فی ذلک بحسب القوة والضعف (المهیمن) قال بعض المشایخ هذا الاسم من اسمائه التی علت بعلو معناها عن مجاری الاشتقاق فلا یعلم تأویله الا الله تعالی وقال بعضهم هو المبالغ فی الحفظ والصیانة عن المضار من قولهم هیمن الطائر اذا نشر جناحه علی فرخه حمایة له وفی الارشاد الرقیب الحافظ لکل شئ وقال الزوزنی هو الغة الشاهد ومنه قوله تعالی ومهیمنا علیه یعنی شاهدا علیه وقال بعضهم مفیعل من الامن ضد الخوف واصله مؤأمن بهمزتین فقلبت الهمزة الثانیة یاء لکراهة اجتماعهما فصار مؤیمن ثم صیرت الاولی هاء کما قالوا فی اراق الماء هراقه فیکون فی معنی المؤمن حکی ان ابن قتیبة لما قال فی المهیمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤیمن فابدلت الهمزة هاء قیل له هذا یقرب من الکفر فلیتق الله قائله وذلک لان فیه ترک التعظیم وقال الامام الغزالی رحمه الله معنی المهیمن فی حق الله انه القائم علی خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قیامه علیهم باطلاعه واستیلائه وحفظه وکل مشرف علی کنه الامر مستول علیه حافظ له فهو مهیمن علیه والاشراف یرجع الی العلم والاستیلاء الی کمال القدرة والحفظ الی الفعل فالجامع بین هذه المعانی اسمه المهیمن ولن یجمع ذلک علی الاطلاق والکمال الا الله تعالی ولذلک قیل انه من اسماء الله تعالی فی الکتب القدیمة وعبد المهیمن هو الذی شاهد کون الحق رقیبا شهیدا علی کل شئ فهو یرقب نفسه وغیره بایفاء حق کل ذی حق علیه لکونه مظهر الاسم المهیمن یعنی حفظ العارف منه ان یراقب قلبه و یحفظ قواه و جوارحه و یأخذ حذره من الشیطان و یقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف انه المهیمن خضع تحت جلاله وراقبه فی کل احواله واستحیی من اطلاعه علیه فقام بمقام المراقبة لدیه حکی ان ابراهیم بن ادهم رحمه الله کان یصلی قاعدا فجلس ومد رجلیه فهتف به هاتف هکذا تجالس الملوک وان الحریری کان لا یمد رجلیه فی الخلوة فقیل له لیس یراک احد فقال حفظ الادب مع الله احق یقول الفقیر یقرب من هذا ما وقع لی عند الکعبة فانی بعد ما طفت بالبیت استندت الی مقام ابراهیم حیاله فقیل لی من قبل الله تعالی ما هذا البعد فی عین القرب فعلمت ان ذلک من ترک الادب فی مجالسة الله معی فلم ازل الازم باب الکعبة فی الصف الاول مدة مجاورتی بمکة وخاصیة هذا الاسم الاشراف علی البواطن والاسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة فی خلوة بجمع خاطر نال ما اراد ومن نسبته المعنویة علام الغیوب عند التأمل وفی الاربعین الادریسیة یا علام الغیوب فلا یفوت شئ من عمله ولا یؤوده قال السهروردی من داوم علیه قوی حفظه وذهب نسیانه (العزیز) غالب در حکم یا بخشنده عزت قال بعضهم من عز اذا غلب فرجعه القدرة المتعالیة عن المعارضة والممانعة او من عز یعز اذا قل فالمراد عدیم المثل کقوله تعالی لیس کمثله شئ وقال الامام الغزالی رحمه الله العزیز هو الخطیر الذی یقل وجود مثله وتشتد الحاجة الیه و یصعب الوصول الیه فالجمع هذه المعانی الثلاثة لم یطلق علیه العزیز فکم من شئ یقل وجوده ولکن اذا لم یعظم خطره ولم یکثر نفعه لم یسم عزیزا وکم من شئ یعظم

خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم في كل واحدة منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى الواحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال في النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ في كل شئ حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا لله تعالى وعبد العزيز هو الذي اعزه الله بتجلي عزته فلا يغلبه شئ من ايدي الحدثان والاكوان وهو يغلب كل شئ قال الغزالي رحمه الله العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله في مهمات امورهم وهي الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لاستحالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم في العز من يتقرب بالقرب منهم اي من درجتهم في عصرهم كالخلفاء ووزرائهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه في ارشاد الخلق وقال بعضهم حظ العبد من هذا الاسم ان يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولا يدنيها بالسؤال من الناس والافتقار اليهم قيل انما يعرف الله عزيزا من اعزامره بطاعته فاما من استهان باوامره فمن المحال ان يكون متحققا بعزته وقال الشيخ ابو العباس المرسي رحمه الله والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف انه العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالا دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس في المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف باق اوفان فمنهم من يكون عزيزا بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيزا بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزا في الدارين ومنهم من يكون في الدنيا لا في العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الاصل والاولى قال في ابكار الافكار غير رسول الله عليه السلام اسم العزيز لان العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة او حقيقة او معنى فمن ذكره اربعين يوما في كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه الى احد من خلقه وفي الاربعين الادريسية يا عزيز المنيع الغالب على امره فلا شئ يعادله قال السهروردي رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره في وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (الجبار) الذي جبر خلقه على ما اراد اي قهرهم واكرههم عليه او جبر احوالهم اي اصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثي لا من الافعال وجبره بمعنى اجبر لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار من يقول ان امثلة المبالغة تأتي من المزيد على الثلاثي فانه من اجبره على كذا اي قهره وقال الفراء لم اسمع فعال من افعل الا في جبار ودراك فانهما من اجبر وادرك قال الراغب اصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر وقد يقال في الاصلاح المجرد نحو قول علي رضي الله عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير والاجبار في الاصل حمل الغير على ان يجبر الامور لكن تعورف في الاكراه المجرد وسمي الذين يدعون ان الله تعالى يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية والجبار في صفة الانسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالي لا يستحقها وهذا لا يقال الا على طريقة الذم وفي وصف الله لانه الذي يجبر الناس بفائض نعمه او يقهرهم على ما يريده من مرض وموت وبعث ونحوها وهو لا يقهر الا على ما تقتضي الحكمة ان يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار في كل احد ولا ينفذ فيه مشيئة احد روى ان في بعض الكتب الالهية عبدي تريد وارید ولا يكون الا ما اريد فان رضيت بما اريد كفيتك ما تريد وان لم ترض بما اريد ابقيتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وعبد الجبار هو الذي يجبر كسر كل شئ ونقصه لان الحق جبر حاله وجعله بتجلي هذا الاسم جابرا لحال كل شئ مستعليا عليه ومن علم انه الجبار دق في عينه كل جبار وكان راجعا اليه في كل امر ووصف الافتقار بجبر المكسور من اعماله وترك الناقص من آماله فتم له الاسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الاكوان فيكون جبارا على نفسه جابرا لكسر عباده وقال بعضهم حظ العارف من هذا الاسم ان يقبل على النفس ويجبر

نقائصها باستكمال الفضائل ويحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بانواع الرياضات ويترفع عما سوى الحق فيرتفع الى الخلق فيتصل بحلى السكينة والوقار بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث ولا يوثر فيه تعاقب النوازل بل يقوى على التأثير فى الانفس والآفاق بالارشاد والاصلاح وقال الامام الغزالى رحمه الله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء وبمتابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويوثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده احد الا ويغنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد الاولين والآخرين عليه السلام حيث قال لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعى وانا سيد ولد آدم ولا فخر وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمعتدين فى السفر والاقامة يذكر بعد قراءة السبعات عشرا صباحا ومساء احدى وعشرين مرة ذكره الزروقى فى شرح الاسماء الحسنى (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة يعنى ان صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فاذا قيل تكبر وتسمى دل على انه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخى والتكلف بما لم يكن لما كان مستحيلا فى حق الله تعالى حمل على لازمه وهو ان يكون ما قام به من الفعل على اتم ما يكون واكمله من غيران يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على ابراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة واتمتها عليه فاذا قيل انه تعالى متكبر كان المعنى انه البالغ فى الكبر اقصى المراتب روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله عليه السلام قائما على هذا المنبر يعنى منبر رسول الله فى المدينة وهو يحكى عن ربه تعالى فقال ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة جمع السموات والارضين فى قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيأ انا الذى اعدتها اين الملوك اين الجبابرة * قهار بى منازع وغفار بى ملال * ديان بى معادل وسلطان بى سپاه * باغير او اضافت شاهى بود جنان * نريك دو جوب پاره زشطرنج نام شاه * قال الراغب التكبر يقال على وجهين احدهما ان تكون الافعال الحسنة كثيرة فى الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر وهو ممدوح والثانى ان يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك فى وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفى الحديث (الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى شئ منهما قصمته) قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر ان المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما فى اوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق والكبر ظن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك كما فى العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى فى حق ابليس استكبر وغير ذلك كما تجده فى موارد استعمالاته فى القرآن والحديث (وقال فى الاستلة المفحمة ما معنى المتكبر من اسماء الله فان التكبر مذموم فى حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة فى العظمة والكبرياء فى الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح فى حق الله تعالى انتهى فان قلت ما تقول فى قوله عليه السلام حين قال له عمه ابو طالب ما اطوعك ربك يا محمد وانت يا عم لو اطعته اطاعك قلت هذه الاطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن امره فلا ينافى عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمتكبر كما انه المطيع للمطيع قال بعضهم المتكبر هو الذى يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته فينظر الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الاطلاق لا يتصور الا لله تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شئ من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى الا فى معرض الذم لما انه يفيد التكلف فى اظهار ما يكون قال عليه السلام تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابى اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علو الله تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل الفقير فى خلقه احسن منه فى جديد غيره فلا شئ احسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء ما اعز الله

عبدا بمثل ما يدل على ذل نفسه وما اذله بمثل ما يدل على عز نفسه حكى ان بعضهم قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذى فنى تكبره بتذلله للحق حتى قام كبر ياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ما سواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالى قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتكبر فى كل شئ سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مرتفعا عن ان يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشئ عاجلا طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور ان تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة وظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشر ارزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الاربعين الادريسية يا جليل المتكبر على كل شئ فالعدل امره والصدق وعده قال السهروردى رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره ويعز امره ولا يقدر احد على معارضته بوجه ولا بحال (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى اوعن اشراكهم به اثر تعداد صفات لا يمكن ان يشاركه تعالى فى شئ منها شئ تماما صلا اى سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى اورده لاظهار كمال كبريائه وللتعجب من اثبات الشريك بعد ما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة وفى التأويلات النجمية قوله سبحانه هو الله الذى لا اله الا هو الملك الخ يشير الى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه فى الاشياء على مقتضى حكمته الازلية والى نزاهته عن النقائص الامكانية ووصف الامن من العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق والى حفظ الاشياء فى عين شيئيته واعزازه اولياءه وقهره واذلاله اعداءه والى كمال كبريائه بظهوره فى جميع المظاهر والى نزاهة ذاته عما يشركون معنى فى ذاته وفى صفاته وفى عرائس البقلى سبحان الله عما يشركون اليه بالنواظر والخواطر انتهى (هو الله الخالق) اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فان اصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بمقياس وان شاع فى معنى الايجاد على تقدير واستواء سواء كان من مادة كخلق الانسان من نطفة ونحوه او من غير مادة كخلق السموات والارض وعبد الخالق هو الذى يقدر الاشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر الا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم ان يذكر فى جوف الليل ساعة فما فوقها فينور قلب ذاكره ووجهه وفى الاربعين الادريسية خالق من فى السموات ومن فى الارض وكل اليه معاده قال السهروردى يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة (البارئ) الموجد للاشياء بريئة من التفاوت فان البرء الايجاد على وجه يكون الموجد بريئا من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة وعبد البارئ هو الذى يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل الا ما يناسب حضرة الاسم البارئ متعادلا متناسبا بريئا من التفاوت كقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وخاصية هذا الاسم ان يذكره سبعة ايام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات حتى من تعدى التراب عليه فى القبر وفى الاربعين الادريسية يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره قال السهروردى يفتح لذاكره ابواب الغنى والعز والسلامة من الآفات واذا كتب فى لوح من قير وعلق على المجنون نفعه وكذلك اصحاب الامراض الصعبة (المصور) الموجد لصور الاشياء وكيفياتها كما اراد يعنى بخشندهٔ صورت هر مخلوق كما يصور الاولاد فى الارحام بالشكل واللون المخصوص فان معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والاشكال المتعينة قال الراغب الصورة ما تتميز به الاعيان عن غيرها وهى محسوسة كصورة الانسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعانى وقوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اراد بالصورة ما خص الانسان به من الهيئة المدركة بالبصر وبالبصيرة وبها فضله على كثير من خلقه واضافته الى الله على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله وروح الله يقول الفقير المضمر المجرد فى صورته يرجع الى الله لا الى آدم والصورة الالهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة

والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات واطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند اهل الظاهر اذ لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحسوسات واما عند اهل الحقيقة فحقيقة لان العالم الكبير باسره صورة الحضرة الالهية فرقا وتفصيلا وآدم صورته جمعا واجمالا * اى زهمه صورت خوب تو به * صور لك الله على صورته * روى تو آيينه حق بينى است * در نظر مردم خود بين منه * بلكه حق آيينه وتو صورتى * وهم تو بى رايمان ره مده * صورت از آيينه نباشد جدا * انت به متحد فانتبه * هر كه سر رشته وحدت نيافت * پيش وى اين نكته بود مشتبه * رشته يكى دان وگره صد هزار * كيست كزين نكته كشايد گره * هر كه چو ياحى بگره بند شد * گر بسر رشته رود باز به * والحاصل ان الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارئ الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات واشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبهذا ظهر وجه الترتيب بينها واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الموقوف للموقوف عليه كما قال الامام الغزالى رحمه الله وقدس سره قد يظن ان هذه الاسماء مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه محتاج الى مقدر يقدر ما لابد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث وتحصل اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك فى افعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور وقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة والتقدير متقدمة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات وعن حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه انه قرأ البارىء المصوّر بفتح الواو ونصب الراء الذى يبرأ المصور اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الاشكال وعبد المصور هو الذى لا يتصور ولا يصور الا ما طابق الحق ووافق تصويره لان فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم حفظ العارف من هذه الاسماء ان لا يرى شيأ ولا يتصور امرا الا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق الى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع الى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر الى شئ وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الاعانة على الصنائع العجيبة والنظم والنثر ونحوها حتى ان الفاقر اذا داومت فى كل يوم احدى وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الافطار سبعة ايام زال عقمها وتصور الولد فى رحمها باذن الله تعالى (لله الاسماء الحسنى) لدلالتها على المعانى الحسنة كما سبق فى سورة طه (قال الكاشفى) مر اوراست نامهاء نيكو كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لانها تأنيث الاحسن كالعليا فى تأنيث الاعلى وتوصيف الاسماء بها للزيادة المطلقة اذ لا نسبة لاسمائه الى غير الاسماء من اسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية الى غير الذوات من ذوات الغير واسماء الله تسعة وتسعون على ما جاء فى الحديث ونقل صاحب اللباب عن الامام الرازى انه قال رأيت فى بعض كتب الذكر ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها فى القرآن والاخبار الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور وروى ان من دعاء رسول الله عليه السلام اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر الى الاشهر الاشرف الاجمع وتعدد الاسماء لا يدل على تعدد المسمى لان الواحد يسمى اما من وجه وبعدا من وجه وخالا من وجه وعالما من وجه وذاته متحدة قال عبد الرحمن البسطامى قدس سره فى ترويح القلوب اعلم ان من السر المكتوم فى الدعاء ان تأخذ حروف الاسماء التى تذكر بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد فى موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند اهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فانه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله

تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر بالاسماء كاسنان المفتاح لانها ان زادت اونقصت لاتفتح الباب وقس عليه باب الاجابة فافهم السر وصن الدر ثم اعلم ان العارفين يلاحظون فى الاسماء آلة التعريف واصل الكلمة والملامية يطرحون منها آلة التعريف لانها زائدة على اصل الكلمة قال العلماء الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضوع له والتسمية وضع اللفظ له او اطلاقه عليه واطلاق الاسم على الله تعالى توقيفى عند البعض بحيث لايصح اطلاق شئ منه عليه الابعد ان كان واردا فى القرءآن او الحديث الصحيح وقال آخرون كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الاطلاق والافلا ومن ادلة الاولين ان الله عالم بلامرية فيقال له عالم وعليم وعلام لوروده فى الشرع ولايقال له عارف اوفقيه اومتيقن الى غير ذلك مما يفيد معنى العلم ومن ادلة الآخرين ان اسماء الله وصفاته مذكورة بالفاوسية والتركية والهندية وغيرها مع انها لم ترد فى القرءآن والحديث ولا فى الاخبار وان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها ومنها ان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم لايحسن الا لدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا وانه لافائدة فى الالفاظ الارعاية المعانى فاذا كانت المعانى صحيحة كان المنع من اطلاق اللفظ المفيد غير لائق غاية مافى الباب ان يكون وضع الاسم علما له مستحدثا وذكر مايوهم معنى غير لايق به تعالى ليس بادب اماذكر ماهو دال على معنى حسن ليس فيه ايهام معنى مستنكر مستنفر فليس فيه من سوء الادب شئ (يسبح له مافى السموات والارض) ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا قال فى كشف الاسرار يسبح له جميع الاشياء اما بيانا ونطقا واما برهانا وخلقا وقد مر الكلام فى هذا التسبيح مرارا وجمهور المحققين على انه تسبيح عبارة وهو لاينافى تسبيح الاشارة وكذا العكس (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم قال الامام الغزالى رحمه الله الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هو الله تعالى واجل العلوم هو العلم الازلى الدآئم الذى لايتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة الا الله ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق ان يسمى حكيما فمن عرف الله فهو حكيم وان كان ضعيف القوة فى العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الا ان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا اولوا الالباب وعبد الحكيم هو الذى بصره الله بمواقع الحكمة فى الاشياء ووفقه للسداد فى القول والصواب فى العمل فلايرى خللا فى شئ الايسده ولافسادا الايصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهى وفتح باب الحكمة فمن اكثر ذكره صرف الله عنه مايخشاه من الدواهى وفتح له باب الحكمة وانما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليما لعباده المدح بصفاته العلى بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلبا لزيادة تقربهم اليه قال ابو الليث فى تفسيره فان قال قائل قد قال الله فلاتزكوا انفسكم فما الحكمة فى ان الله تعالى نهى عباده عن مدح انفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان احدهما ان العبد وان كان فيه خصال الخير فهو ناقص واذا كان ناقصا لايجوز له ان يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه والجواب الاخر ان العبد وان كان فيه خصال الخير فتلك افضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لايجوز ان يمدح نفسه ونظير هذا ان الله تعالى نهى عباده ان يمنوا على احد بالمعروف وقد من على عباده للمعنى الذى ذكر فى المدح قال بعض الكبار تزكية الانسان لنفسه سم قاتل وهى من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله الا ان يترتب على ذلك مصلحة دينية فللانسان ذلك كما قال عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر اى لاافتخر عليكم بالسيادة انما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لايكون الا لله وحده واما الفخر فى عباده فانما هو للرتب فيقال صفة العلم افضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولايخفى ان الرتب نسبة عدميه فما افتخر من افتخر الا بالعدم ولذلك امر الله نبيه ان يقول انما انا بشر مثلكم فلم ير لذاته فضلا على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى الى اعلم ان الاولى لك ان تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما الى الله العليم الخبير احدهما مايكون بين العلماء من ان صفات الله الثابتة هل هى موجودات

بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى اولا بعد الايمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثانى ما يكون
بين المشايخ من ان الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهره
لا وجود لها بالاستقلال اوله تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هى اياه ولغيره تعالى من
الموجودات وجودات اخر غير الوجود الواجب على ما هو البحث الطويل بينهم والى ذلك يرشدك ما قالوا
من ان ما اتصف الله به فهو واجب لا يتغير اصلا وما لم يتصف به فهو ممتنع لا يكون قطعا فاذا اختلف اثنان
فى ذاته وصفاته تعالى فلا جرم ان واحدا منهما اما يثبت الواجب او يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وان ما ابهم
علمه فالادب فيه السكوت بعد الايمان بما ظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضى الله عنهم فان المرء
لا يسأل الا عن علم لزمه فى اقامة الطاعة وادامة العبادة لمولاه قال صاحب الشريعة ولا يناظر احد فى ذات الله
وصفاته المتعالى عن القياس والاشباه والاوهام والخطرات وفى الحديث ان هلاك هذه الامة اذا نطقوا
فى ربهم وان ذلك من اشراط الساعة فقد كان عليه السلام يخر ساجدا لله تعالى متى ما سمع ما يتعالى عنه
رب العزة ولا يجيب السائل عن الله الا بمثل ما جاء فى القرآن فى آخر سورة الحشر من ذكر افعاله وصفاته
ولا يدقق الكلام فيه تدقيقا فان ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده اكثر من نفعه قال بعض الكبار
ما فى الفرق الاسلامية اسوء حالا من المتكلمين لانهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما اعطاهم نظرهم
القاصر فان الحق منزه عن ان يدركه او يعلم باوصاف خلقه عقلا كان او علما روحا كان او سرا فان الله ما جعل
الحواس الظاهرة والباطنة طريقا الا الى معرفة المحسوسات لا غير والعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق بها
لانه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم فى الحق وصفاته بما لم يعلمه
من الحق ولا من رسله عليهم السلام وقال بعض العارفين سبب توقف العقول فى قبول ما جاء فى الكتاب والسنة
من آيات الصفات واخبارها حتى يأول ضعفها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كما ذاقه الانبياء وعملوا على ذلك
بالايمان كما عملت الطائفة لاعطاهم الكشف ما اجاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا فى نسبة تلك الاوصاف
الى الحق فاعلم ذلك واعمل به تعرف ان علم القوم هو الفلك المحيط الحاوى على جميع العلوم حكى ان الفاضل محمد
الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير فى علم الكلام
ربما لم يسبق اليه سواه حتى جمع فى ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى امره الى العجز فيه والتحير
فى ذاته حتى رجع الى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فانه من اسنى الجوائز وانشد

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها * وصيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم

ثم قال والوجه ان يعتقد العبد الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ودعا اليه واليه اناب ولا يدخل فى ذلك شيأ
من نظر عقله لا فى تنزيه ولا فى تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت فى ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها الى الله
الذى وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون
رضى الله عنهم واليه ينتهى الراسخون فى العلم والعقلاء المحققون عند آخر امرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل
نظره اليه ومن بقى على ما اعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمدا عليه السلام فيما جاء به مطلقا لانه ادخل
فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتى اليكم ان اردتم السلامة وعدم المطالبة ومن اراد
غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر فى المآل لان القطع بما اراد الله عسير فانا رأينا العقلاء اختلفت ادلتهم
فى الله فالمعتزلى يخالف الاشعرى وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الاخرى وتكفرها
فعلمنا ان سبب ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح اما كلهم او بعضهم ورأينا الانبياء
عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان قط فى الله عز وجل وكل دعوا اليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم
فى فروع الاحكام بحكم الله تعالى لا فى اصولها قط قال الله تعالى سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فقوله ولا تتفرقوا فيه
دليل على اجتماعهم على امر واحد فى الاصول لان الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لا يضر
وانما يضر الاختلاف فى الاصول اذ لو وقع الاختلاف فيها لما وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لا تصح لان الاله

الذى يدعو اليه هذا غير الاله الذى يدعوك اليه والله تعالى قال والهكم اله واحد وهم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا الى يوم القيامة الى هنا من كلامه اوزده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره فى رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين ثم اعلم ان من شرف هذه الاسماء المذكورة فى الاخر ما قال ابو هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله عليه السلام عن اسم الله الاعظم وفى عين المعانى قال عليه السلام سألت جبريل عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قرآءته فاعدت عليه فاعاد على وعنه عليه السلام من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه وفى بعض الروايات يحرسونه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه معقل بن يسار رضى الله عنه وانما جمع بين الاستعاذة وقرآءة آخر الحشر والله اعلم لان فى الاستعاذة الاشعار بكمال العجز والعبودية وفى آخر الحشر الاقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبية فالاول تخلية عن العجب والثانى تحلية بالايمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فيترتب عليه قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية كما فى تفسير الفاتحة للمولى الفناري رحمه الله وعن ابى امامة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر من ليل اونهار فقبض من ذلك اليوم او الليلة فقد استوجب الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا حجاب ولا السموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه فان مات اى من يومه او ليلته مات شهيدا كما فى كشف الاسرار وقوله مات شهيدا اى يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قد مرت

تمت سورة الحشر فى اواخر شهر الله رجب المنتظم فى سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن امر الله المؤمنين هنالك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازا للمبالغة واضيفت السورة اليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل ان اضافة السورة الى الفاتحة من قبيل اضافة العام الى الخاص ولا بعد ان تكون من قبيل اضافة المسمى الى اسمه مثل كتاب الكشاف فان الفاتحة من جملة اسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل ان يكون المراد الجماعة الممتحنة اى المأمورة بالامتحان ويؤيده ما روى انه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالاضافة بمعنى اللام التخصيصية اى سورة تذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة واشالها ويحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الامتحان على ما هو المشهور من ان المصدر الميمى واسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثى تكون على صيغة واحدة اى سورة الامتحان مثل سورة الاسراء وغيرها (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) نزلت فى حاطب ابن ابى بلتعة العبسى وحاطب بالحاء المهملة قال فى كشف الاسرار ولد فى زمن رسول الله صلى عليه وسلم واصله من الازد وهو حى باليمن واعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذى قتله على رضى الله عنه يوم بدر كافرا وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وعمم الله الخطاب فى الآية تعميما للنصح والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح فى السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فانه قد توجه اليكم فى جيش كالليل وارسل الكتاب مع سارة مولاة بنى عبد المطلب اى معتقتهم واعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لماذا جئت فقالت جئت لتعطينى شيأ فقال ما فعلت بعطياتك من شبان قريش فقالت مذ قتلتهم ببدر لم يصل الى شئ

الا القليل فاعطاها شيأ فرجعت الى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرائيل عليه السلام باخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد واباامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع فان بها ظعينة وهي المرأة مادامت في الهودج واذا لم تكن فيه فهي المرأة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها فخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها تمة فجعدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فاخرجته من عقاصها اى من ضفائرها روى ان رسول الله عليه السلام امن جميع الناس يوم فتح مكة الا اربعة هبي احدهم فامر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطبا فقال ماحملك على هذا فقال يارسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لاوامره ونواهيه ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش اى حليفا ولم اكن من انفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون اهاليهم واموالهم وليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا اى اجعل عندهم نعمة ولم افعله كفرا وارتدادا عن ديني وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال يا عمر انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فاضت عينا عمر رضي الله عنه وفي القصة اشارة الى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك استار المفسدين اذا كان فيه مصلحة اوفي ستره مفسدة وان من تعاطى امرا محظورا ثم ادعى له تأويلا محتملا قبل منه فان العذر مقبول عند كرام الناس روى ان حاطبا رضي الله عنه لما سمع يا ايها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان لما علم ان الكتاب المذكور ما اخرجه عن الايمان لسلامة عقيدته ودل قوله وعدوكم على اخلاصه فان الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص (تلقون اليهم بالمودة) الود محبة الشئ وتمنى كونه ويستعمل في كل واحد من المعنيين اى توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التي تدل على المودة على ان الباء زائدة في المفعول كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفا للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لا تتخذوا اى لا تتخذوا حال كونكم ملقين المودة فان قلت قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال هنا البتة فان قلت كيف قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء والعداوة والمحبة لكونهما متنافيتين لا تجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلت انما كان الكفار اعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز ان يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعني فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله عدوي بل زاد قوله وعدوكم دل على عدم مودتهم وفتوتهم فانه يكفي في عداوتهم لهم وترك موالاتهم كونهم اعداء الله سواء كانوا اعداء لهم اولا (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن او دين الاسلام او الرسول عليه السلام (يخرجون الرسول واياكم) حال من فاعل كفروا اى مخرجين الرسول واياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة (ان تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب اى على الرسول والالتفات من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل ان تؤمنوا بي للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اولياء لي وانتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم عن اوطانكم لاجل هذين فلا تتخذوهم اولياء ولا تلقوا اليهم بالمودة والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفي التعريفات هو الدعاء الى الدين الحق وفي المفردات الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو وهو جهاد العدو الظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفي عطف وابتغاء مرضاتي على جهادا في سبيلي تصريح بما علم التزاما فان الجهاد في سبيل الله انما هو لاعلاء دين الله لا لغرض آخر واسناد الخروج اليهم معللا بالجهاد والابتغاء يدل على ان المراد من اخراج الكفرة كونهم سببا لخروجهم باذيتهم لهم

فلا ينافي تلك السببية كون ارادة الجهاد والاستغناء علة له (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كانهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا فقيل تلقون اليهم المودة سرا على ان الباء صلة جيء بها لتأكيد التعدي او الاخبار بسبب المودة ويجوز ان يكون تعدية الاسرار بالباء لحمله على نقيضه الذي هو الجهر (وانا اعلم) حال من فاعل تسرون اى والحال انى اعلم منكم (بما اخفيتم وما اعلنتم) من مودة الاعداء والاعتذار وغير ذلك فاذا كان بينهما تساوى في العلم فاى فائدة في الاسرار والاعتذار (ومن) وهركه (يفعله منكم) اى الاتخاذ المنهي عنه اى ومن يفعل ما نهيت عنه من موالاتهم والاقرب ومن يفعل الاسرار (فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب الموصل الى الفوز بالسعادة الابدية وبالفارسية پس بدرستى كه او از راه راست كم شد وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله ويجوز ان يجعل قاصرا وينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبي هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من حبيب لحبيب كما قيل

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

والعتاب اظهار الغضب على احد لشئ مع بقاء المحبة بالترك وفي الآية اشارة الى عداوة النفس والهوى والشيطان فانها تبغض عباد الله وتبغض عباد الله ايضا اذا لم يكونوا مطيعين لها في انفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها واصل عداوة النفس ان تفطمها من مألوفاتها وتحبسها في محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام افضل الايمان الحب في الله والبغض في الله قال ابو حفص رحمه الله من احب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه وليا وان النفس تخالف ما امرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها في اول قدم وجاء في اخبار داود عليه السلام يا داود عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها وفي كشف الاسرار بلشكر اندلشكر روم از قيصر بتوان ستد وبجملة اولياى روى زمين نفس را از يكى نتوان ستد زيرا نفس را حيل بسيارست احمد حضرويه بلخى رحمه الله كويد نفس خودرا بانواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى نشاط غزا كرد بجب داشتم كه از نفس نشاط طاعت نيايد كفتم درزير اين كوبى چه مكر باشد مكر در كرسنكى طاقت نمى دارد كه پيوسته او را روزه همى فرمايم خواهد در سفر روزه بكشايد كفتم اى نفس اكر اين سفر پيش كيرم روزه نكشايم كفت روا دارم كفتم مكر ازانست كه طاقت نماز شب نميدارد ميخواهد كه در سفر بخسبد كفتم در سفر قيام شب كم نكنم چنانكه در حضر كفت روا دارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كردة كه در حضر باخلق مى نياميزد كه او را در خلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه باخلق صحبت كند كفتم اى نفس هر جا كه روم درين سفر ترا بخرابه فرو آرم كه هيچ خلق را نه بينى كفت روا دارم ازدست وى عاجز ماندم بالله تعالى زاريدم وتضرع كردم تا ازمكروى مرا آكاهى داد كه در غزا كشتن يكارى باشد وبهمه جهان شود كه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت كفتم سبحان الله آن خداوندى كه نفسى آفريند بدين معيوبى كه بدنيا منافق باشد وبعد ازمر لشمر اى باشد نه درين جهان حقيقت اسلام خواهد نه دران جهان آنكه كفتم اى نفس اماره والله كه باين غزا نروم تا تو در زير طاعت زنار بندى پس در حضر آن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله بما اخفيتم اى من دعوى الانانية وما اعلنتم من العبودية كما هو شأن النفس وقال ابو الحسين الوراق رحمه الله بما اخفيتم في باطنكم من المعصية وما اعلنتم في ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم والثقف الحذق في ادراك الشئ وفعله وثقفت كذا اذا ادركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد تجوز به فاستعمل في الادراك وان لم يكن معه ثقافة كما في هذا الموضع ونحوه (يكونوا لكم اعداء) اى يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا) ويطيلوا (اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اى بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم (وودوا لو تكفرون) اى تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم فكلمة لو هنا مصدرية وصيغة الماضي للايذان بتحقق وداداتهم قبل ان يثقفوهم ايضا فهو معطوف على يبسطوا (لن تنفعكم ارحامكم) اى قراباتكم قال الراغب الرحم رحم المرأة وهي في الاصل وعاء الولد في بطن امه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود

يوم الذكر والانثى (يوم القيامة) بجلب نفع اودفع ضر ظرف لقوله ان تنفعكم فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه الآية فمالكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غدا وقيل يفرق بين الوالد وولده و بين القريب وقريبه فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به وهو ابلغ من خبير لانه جعل كالمحسوس بحس البصر مع ان المعلوم هنا اكثره المبصرات من الكتاب والاتيان بمن يحمل الكتاب واعطاء الاجرة للعمل وغيرها وفي الآية اشارة الى عداوة النفس وصفاتها للروح واخلاقه فان النفس ظلمانية سفلية كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولاشك ان بين النور والظلمة تدافعا ولذا تجتهد النفس ان تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها في مملكة الوجود وهو تصرفها باليد واما بسط لسانها بالسوء فبدح الاخلاق الذميمة وذم الاخلاق الحميدة فالتغالب كبلد فيه اشراف وارذال كل من بطن واحد لان القوى الخيرة والشريرة انما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الارذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدى آدم ونوح عليهما السلام فليست من الاهل في الحقيقة والروح وقواه من الاشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهي من الاهل في الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح في النعيم والنفس في الجحيم عند تجلي اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله واياكم من اهل الكمال والنوال (قد كانت لكم) ايها المؤمنون (اسوة حسنة) قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة هي الحالة التي يكون الانسان عليها في اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا وان سارا وان ضارا والاسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها ويتبع اثرها قوله اسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة اسوة مفيدة ان عمت الاسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة ان لم تعم (في ابراهيم والذين معه) اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة وقولهم لي في فلان اسوة اى قدوة من باب التجريد لان فلانا نفسه هو القدوة و يجوز ان يكون على حذف المضاف اى لي في سننه وافعاله واقواله وقيل المراد الانبياء الذين كانوا في عصره وقريبا منه قال ابن عطية وهذا القول ارجح لانه لم يرد ان ابراهيم كان له اتباع مؤمنون في مكافحة نمرود وفي البخاري انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا بلاد نمرود ما على الارض من يعبد الله غيري وغيرك (اذ قالوا) ظرف لخبر كان ومعمول له اولكان نفسها عند من جوز عملها في الظرف وهو الاصح (لقومهم) الكفار (انا برءاء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء يعني ما يبزاريم ازشما (ومما تعبدون من دون الله) من الاصنام اظهروا البراءة اولا من انفسهم مبالغة وثانيا من معبودهم الشرك المقصود من البراءة من معبودهم هو البراءة من عبادته و يحتمل ان تكون البراءة منهم ان لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم ان لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه ويحتمل ان تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لان الشرك يفصل بين القرابات و يقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل ابراهيم حيث تبرأ من ابيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون (كفرنا بكم) اى بدينكم على اضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والانكار فان الدين الباطل ليس بشئ ذا الدين الحق عند الله هو الاسلام (وبدا) بدا الشئ بدوا وبداء اى ظهر ظهورا بينا والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه اى يعرض (بيننا) ظرف لبدا (و بينكم العداوة والبغضاء ابدا) اى هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب (وقال الكاشفي) وآشكارا شد ميان ما وشما دشمني بدل ودشمني بدست يعني محاربه ابدا همیشه يعني بيوسته دشمني قائم خواهد بود درميان بدل ودست (حتى) غاية لبدا (تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة الفة فالبغض نفور النفس عن الشئ الذي ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذي ترغب فيه فان قلت ما وجه قوله حتى تؤمنوا بالله وحده ولابد في الايمان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قلت الايمان بالله في حال وحدته يستلزم الايمان بالجميع مع ان المراد الوحدة الالهية رد اللاصنام قال بعض المشايخ اسوة ابراهيم خلة الله والتبري عما دون الله والتخلق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله الاسوة القدوة بالخليل في الظاهر من الاخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع

ما امر به على الكرب وفى الباطن الاخلاص فى جميع الافعال والاقبال عليه فى كل الاوقات وطرح الكل فى ذات الله تعالى واسوة رسول الله عليه السلام فى الظاهر العبادات دون البواطن والاسرار لان اسراره لايطيقها احد من الخلق لانه باين الامة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلى الذات * سپهدار رسل سرخيل دركاه * سرير افروز ملك لى مع الله (الاقول ابراهيم لابيه) آزر (لاستغفرن لك) يا ابى استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به مايجب الايتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لايرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وحمل الاب على العم يخالف العقل والنقل لان الله تعالى يخرج الحى من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن على رضى الله عنه شرف المرء بالعلم والادب لا بالاصل والنسب * هنر بغاى اكر دارى نه كوهر * كل از خارست وابراهيم از آزر (وما املك لك من الله من شئ) من تمام القول المستثنى فمحله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفرلك وانا فى طاقتى الا الاستغفار دون منع العذاب ان لم تؤمن فهو من تمام الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهار اللعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وفى هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك انه حين امر بالاقتداء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وحين امر بالاقتداء بابراهيم استثنى وايضا قال تعالى فى سورة الاحزاب لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا فاطلق الاقتداء ولم يقيده بشئ (قال الصائب) هلا لك حسن خداداد اوشوم كه سراپا * چوشعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد (ربنا) الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم ومن معه من الاسوة الحسنة (عليك توكلنا) اعتمدنا يعنى از خلق بريديم واعتماد كلى بركرم تو نموديم (واليك انبنا) رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة (واليك المصير) اى الرجوع فى الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى * سوى تو كرديم روى ودل بتو بستيم * زهمه باز آمديم وبا تو نشستيم * هر چه نه پيوند يار بود بريديم * هر چه نه پيمان دوست بود كسستيم * قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع امورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الاول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل (واغفرلنا) مافرط منا من الذنوب والا كان سببا لظهور العيوب وباعثا للابتلاء المهروب (ربنا) تكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار فيكون لاحقا لما قبله ويجوز ان يكون سابقا لما بعده توسلا الى الثناء باثبات العزة والحكمة والاول اظهر وعليه ميل السجاوندى حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو فى اصطلاحه مايجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بسماه وهو ج (انك انت العزيز) الغالب الذى لايذل من التجأ اليه ولايخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لايفعل الا ماهو حكمة بالغة وقال بعض اهل الاشارة تعزا وليا لك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الاحدية عن الانيات وبالصفات الواحدية عن التعينات (لقد كان لكم فيهم) اى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الايتساء به عليه السلام وذلك صدر بالقسم وجعله الطيبى من التعميم بعد التخصيص وفى برهان القرآن كرر لان الاول فى القول والثانى فى الفعل وفى فتح الرحمن الاولى اسوة فى العداوة والثانية فى الخوف والخشية وفى كشف الاسرار الاولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية امر بالايتساء بهم لينالوا من ثوابهم مانالوا ويتقلبوا الى الآخرة كانقلابهم (لمن كان يرجو الله) بالايمان بلقائه (واليوم الآخر) بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لان الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضى حصول مافيه مسرة وفى المفردات الرجاء والطمع

توقع محبوب عن امارة مظنونة اومعلومة والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة اومعلومة وفى بعض التفاسير الرجاء يجيء بمعنى توقع الخير وهو الامل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقا وهو فى الاول حقيقة وفى الآخرين مجاز وفى الثانى من قبيل ذكر الشئ وارادة ضده وهو جائز وفى الثالث من قبيل ذكر الخاص وارادة العام وهو كثير قوله لمن كان الخ بدل من لكم وفائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه مما يوعد بامثاله الكفرة اى ومن يعرض عن الاقتداء بهم فى التبرى من الكفار ووالاهم فان الله هو الغنى وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لاهل دينه لم يتعبدهم لحاجته اليهم بل هو ولى دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد فى ذاته ومن صحاح الاحاديث القدسية يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيأ يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اخبث قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك من عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر يا عبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قوله هى ضمير القصة يعنى ما جزآء اعمالكم الا محفوظ عندى لاجلكم ثم أؤديها اليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول وجوز الامام القشيرى رحمه الله ان يكون بمعنى الفاعل اى حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده قال شارح المشكاة وحظ العبد من اسم الحميد ان يسعى ليخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لا لغيره قال الشيخ ابو القاسم رحمه الله حد الله الذى هو من شكره يجب ان يكون على شهود المنعم لان حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة روى ان داود عليه السلام قال فى مناجاته كيف اشكرك وشكرى لك نعمة منك على فاوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقال بعض اهل الاشارة لقد كان فى ابراهيم الخفى ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية اسوة حسنة وهى البرآءة من قومه اى النفس الامارة والهوى المتبع فمن تاسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب ومن اعرض عن ذلك التأسى فان الله غنى عن تأسيه حميد فى ذاته وان لم يكن حمده انتهى كلامه (عسى الله ان يجعل) شايد آنكه خداى تعالى پيدا كند (بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من اقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون فى بعض الحوآيج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك وقال الراغب ذكر الله فى القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الانسان منه على رجاء لا على ان يكون هو تعالى راجيا اى كونوا راجين فى ذلك والمعاداة والعداوة مباكسى دشمنى كردن (مودة) اى بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فاسلم قومهم كابى سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا اعدآء اشد العداوة فتم بينهم من التصافى والتصافى ما تم (والله قدير) اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة اقاربهم موالاة وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم قال ابن عطاء رحمه الله لا تبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على ان انقلكم من البغض الى المحبة كنقلى من الحياة الى الموت ومن الموت الى النشور كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابى جهل قال يخرج الحى من الميت لانهما من خيار الصحابة وابواهما اعدى عدو الله ورسوله وكان بعضهم يبغض عكرمة ويسبه اياه لما سلف منه من الاذى حتى ورد النهى عنه بقوله عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا اخوانا فى الله وفى الحديث (من نظر الى اخيه نظر مودة لم يكن فى قلبه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال سقراط اثن على ذى المودة خيرا عند من لقيت فان رأس المودة حسن الثناء كما ان رأس العداوة سوء الثناء وعنه لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا لم يأمنك صديقك قال داود عليه السلام

اللهم انى اعوذبك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن خليلة تقرب المشيب واعوذبك من جار ترانى عيناه وترعانى اذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ومن بلاغات الزمخشرى محت المودة والاخاء حال الشدة دون الرخاء (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ودمضن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا مى باش (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) اى على الدين او فى حق الدين واطفاء نوره (ولم يخرجوكم من دياركم) لاينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فان قوله تعالى (ان تبروهم) بدل من الموصول بدل الاشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهى عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا انفسهم وبالفارسية از آنكه نيكوئى كنيد باايشان (وتقسطوا اليهم) تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الافضاء فعدى تعديته اى تفضوا اليهم بالقسط والعدل ولاتظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرجحة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم كما فى الكشاف وقال الراغب القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبقرستيد قسطى وبهرة براى ايشان ازطعام وغيراو (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين فى المعاملات كلها روى ان قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت فى المدة التى كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وكانت قتيلة زوجة ابى بكر وكان طلقها فى الجاهلية وآورده اند كه قوم خزاعه را باحضرت رسول عليه السلام عهد وپيمان بود وهركز قصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين را يارى ندادند حق تعالى در بارة ايشان اين آيت فرستاد يا مراد زنان وكودكانند كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست وفى فتح الرحمن نسختها اقتلوا المشركين والاكثر على انها غير منسوخة وفى بعض التفاسير القسوط الجور والعدول عن الحق والقسط بالكسر العدل فالاقساط اما من الاول بمعنى ازالة القسوط فهمزته للسلب كاشكيته بمعنى ازلت عنه الشكاية وسلبتها فمن ازال الظلم اتصف بالعدل واما من الثانى بمعنى ان يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل اورق الشجر اى صار ذا ورق وفى الآية مدح للعدل لان المرء به يصير محبوبا لله تعالى ومن الاحاديث الصحيحة قوله عليه السلام ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين للذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا (قال الحافظ) شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد * قدر يكساعته عمرى كه در وداد كند * وقال خطابا لبعض الملوك * جويبار ملك را آب از سر شمشير تست * خوش درخت عدل بنشان بيخ بد خواهان بكن (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) واطفاء نوره (واخرجوكم من دياركم) وهم عشاة اهل مكة وجبابرتهم (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر اهلها يعنى معاونت كردند وهم پشت شدند باعادى (ان تولوهم) بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم والتولى دوستى داشتن باكسى (ومن يتولهم) وهركه دوست دارد ايشانرا (فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب وحساب المتولى اكبر وفساد التولى اكثر ولذلك اورد كلمة الحصر تغليظا وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ * بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز * يارى طلب كه طالب نقش بقا بود * جعلنا الله واياكم من الذين يطلبون الباقى لا الفانى يقول الفقير كان الظاهر من امر المقابلة فى الآيتين ان يقال فى الاولى ان تولوهم كما فى الثانية او يعكس ويقال فى الثانية ان تبروهم كما فى الاولى او يذكر كل منهما فى كل من الآيتين لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على ان موالاة الكافر غير جائزة مقاتلا كان او غيره بخلاف المبرة فانها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة حيث اثبت المبرة بناء على امر ظاهر فى باب الصلة نفى الموالاة ضمنا وحيث نفى الموالاة نفى المبرة ضمنا وانما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه ان قيل ان الاحسان الى من اساء من اخلاق الابرار قلنا ان المبرة تقتضى الالفة فى الجملة والاحسان يقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلا بين المجاهد والجهاد الحق وقد امر الله باعلاء الدين (ياايها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريق الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات) اى بدلالة ظاهر حالهن واقرارهن بلسانهن

او الشارفات للايمان ولا بعد ان تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك فى علم الله وذلك لا ينا فى امتحان غيره تعالى (مهاجرات) من بين الكفار حال من المؤمنات (فامتحنوهن) فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان قيل انه من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأهاجر الى محمد عليه السلام فلذلك امر النبى بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج اى غير بغض فى الله لحب الله بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت عشقا لرجل من المسلمين بالله ما خرجت لمحدث احدثه بالله ما خرجت الا رغبة فى الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك اعطى النبى عليه السلام زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردها الى زوجها قال السهيلى نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى امرأة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن وكانت ام كلثوم اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه اروى وافادت الآية ان الامتحان فى محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الاسلام مع سهولة فى السؤال واشارة الى الجواب لانها لو قالت ما اعرف بانت من زوجها * خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * تا سيه روى شود هركه دروغش باشد (الله اعلم بايمانهن) منكم لانه المطلع على ما فى قلوبهن فلا حاجة له الى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج اليه والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به ففى علمتموهن استعارة تبعية (فلا ترجعوهن الى الكفار) من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع ولذلك عدى الى المفعول اى لا تردوهن الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم يعنى لا تحل مؤمنة لكافر لشرف الايمان ولا نكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر وبالفارسية نه ايشان يعنى زنان حلالند مر كافرانرا ونه كافران حلال ميشوند مرين زنانرا چه تباين دارند جدايى افكنده ميان ايشان والتكرير اما لتأكيد الحرمة والا فيكفى نفى الحل من احد الجانبين اولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما انفقوا) هذا هو الحكم الثانى اى واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك اى بيان المراد بما انفقوا هو المهور ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وهو المهر بالاتفاق وتزوج بها عمر رضى الله عنه وانما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة وفى اللباب ان المخاطب بهذا هو الامام ليؤتى من بيت المال الذى لا يتعين له مصرف وان المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وان المؤمن يحل له ان ينكح كتابية فان الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة ولعل المراد بايتاء ما انفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على اظهار المروءة وايثار السخاء والا فمن المسائل المشهورة ان المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة فى قطعة من اليوم او الليلة وان لم يقع استمتاع اصلا وايضا ان فى الانفاق تأليف القلوب وامالتها الى جانب الاسلام وافادت الآية ان اللائق بالولى كائنا من كان ان يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضى بدعته الى الكفر وللحاكم ان يفرق بينه وبينها ان ظهرت منه تلك البدعة الا ان يتوب ويجدد ايمانه ونكاحه سئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاعتزال فقال لا تجوز كما فى مجمع الفتاوى وقس عليه سائر الفرق الضالة التى لم يكن اعتقادهم كاعتقاد اهل السنة ولزمهم بذلك الاعتقاد اكفارا وتضليل ولهم كثرة فى هذه الاعصار جدا قال فى بعض التفاسير اخاف ان يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من اهل زماننا الذى يدعى ان شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى ان من لم يكن من جملة مريديه كان كافرا وان مات لم يمت مؤمنا فيستدل بقوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ويقول المراد بالامام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال وجوابه ان المراد بالامام

هو الخليفة والسلطان وقريش اصل فيه لقوله عليه السلام الامام من قريش ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان فالشريف احدى الذات ولذا الاقوته وآل عثمان واحدى الذات ولذا صار مظهر سر قوله تعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فاعرف الاشارة وايضا المراد من الامام نبى ذلك الزمان وهو فى آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام ولاشك ان من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم ان المراد بالامام هو القطب من طريق الاشارة فلاشك ان للقطبية العظمى شرائط لا يوجد واحد منها فى الكذابين فلا يثبت لهم القطبية اصلا على ان التصديق بالقطب لا يستلزم صحبته لان مبنى هذا الامر على الباطن فالاقطاب لم يهتد اليهم الا اقل الافراد فاظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة ولما قربت القيامة وقع ان يتغير احوال كل طائفة عاما فعاما شهرا فشهرا اسبوعا فاسبوعا يوما فيوما لا يزال هذا التغيير الى انقراض الاخيار لانه لا تقوم الساعة الا على الاشرار وفى المرفوع لا يأتيكم زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (قال الحافظ) روزى اكرغمى رسدت تنك دل مباش * وشكر كن مباد كه از بد بترشود * وفى الحديث (ما من نبى بعثه الله فى امة قبلى الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم وقال عليه السلام يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حفالة كحفالة الشعير او التمر لا يبالى بهم الله واول التغير كان فى الامراء ثم فى العلماء ثم فى الفقراء ففى كل طائفة اهل هدى واهل هوى فكن من اهل الهدى او المتشبهين بهم فان من تشبه بقوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم فهو منهم وفى الحديث (من احب قوما على عملهم حشر فى زمرتهم وحوسب بحسابهم وان لم يعمل بعملهم (ولا جناح عليكم) هذا هو الحكم الثالث يقال جحت السفينة اى مالت الى احد جانبيها وسمى الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحا ثم سمى كل اثم جناحا (ان تنكحوهن) اى تنكحوا المهاجرات وتتزوجوهن وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار (اذا آتيتموهن اجورهن) اذا ظرفية محضة او شرطية جوابها محذوف دل عليه ما تقدمها شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر لان ظاهر النظم يقتضى ايتائين ايتاء الى الازواج وايتاء اليهن على سبيل المهر وفى التيسير التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الادآء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد اى يلتزموها استدل بالآية ابو حنيفة رحمه الله على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ولا على الذمية المطلقة ولا على المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا لانه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يقيد بمضى العدة وقالا عليها العدة وفى الهداية قول ابى حنيفة فيما اذا كان معتقدهم انه لا عدة واما اذا كانت حاملا فقد قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقين ماءه زرع غيره (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) هذا هو الحكم الرابع والامساك چنك درزدن ويعدى بالباء والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر فى دار الحرب وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بازواجها الكفار والمعنى لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية وقال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه كما قال بعض اهل التفسير المراد بالعصمة هنا النكاح يعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة او ارتدت ورجعت اليها فلا يعتد بها ولا يعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجاز له ان يتزوج باربع سواها وبرابعة واختها من غير تربص وعدة وبالفارسية ومايستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد فيكون اشارة الى حكم اللاتى بقين فى دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم وعن الخصى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فيكون قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر مقابلة قوله اذا جاءكم المؤمنات يعنى ان قوله اذا جاءكم الخ اشارة الى حكم اللاتى اسلمن وخرجن من دار الكفر وقوله ولا تمسكوا الخ اشارة الى حكم المسلمات اللاتى ارتددن وخرجن من دار الاسلام الى دار الكفر وعلى التفسيرين زال عقد

النكاح بينهن وبين ازواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين فالعصمة هى المنع اريد بها
فى الآية عقد النكاح الذى هو سبب لمنع ازواجهن اياهن عن الاطلاق اى لاتعتمدوا بما كان بينكم وبينهن من
العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول الى دار الاسلام
فلا حاجة الى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة ابى العاص
ابن الربيع فلحقت بالنبى عليه السلام واقام ابو العاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله
عليه السلام واذا اسلم الزوجان معا او اسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق واذا اسلمت المرأة
فان كان مدخولا بها فاسلم فى عدتها فهى امرأته بالاتفاق وان كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما
وكان فسخا عند الثلاثة وقال ابو حنيفة يعرض عليه الاسلام فان اسلم فهى امرأته والا فرق القاضى بينهما
بابائه عن الاسلام وتكون هذه الفرقة طلاقا عند ابى حنيفة وعند محمد وفسخا عند ابى يوسف ولها المهر ان كانت
مدخولا بها والا فلا بالاتفاق واما اذا ارتد احد الزوجين المسلمين فقال ابو حنيفة ومالك تقع الفرقة حال الردة
بلا تأخير قبل الدخول وبعده وقال الشافعى واحمد ان كانت الردة من احدهما قبل الدخول انفسخ النكاح
وان كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فان اسلم المرتد منهما فى العدة ثبت النكاح والا انفسخ
بانقضائها ثم ان كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لا شئ لها وان كان الزوج فلها الكل بعده
والنصف قبله بالاتفاق كذا فى فتح الرحمن وقال سهل رحمه الله فى الآية ولا توافقوا اهل البدع فى شئ من آرائهم
(واسألوا ما انفقتم) هذا هو الحكم الخامس اى واسألوا الكفار ايها المؤمنون ما انفقتم يعنى آنچه خرج كرده ايد
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها
ممن تزوجها ولعل هذا التطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والا فظاهر حال الكرام الاستغناء عنه
(وليسألوا) اى الكفار منكم (ما انفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات اى يسأل كل حربى اسلمت امرأته
وهاجرت الينا ممن تزوجها منا مهرها وبالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن
وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هريك بايد كه رد كند مهر يراكه بصاحبهٔ خود داده اند وظاهر قوله وليسألوا
يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام وهو امر للمؤمنين بالادآء مجازا من قبيل اطلاق الملزوم وارادة اللازم
كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فانه بمعنى واغلظوا عليهم (ذلكم) الذى ذكر فى هذه الآية من الاحكام
(حكم الله) ما حكم الله به لان يراعى وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية
والعمل به قال فى فتح الرحمن ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك الا قوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن (والله عليم)
بمصالحكم (حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربى كان حكم الله هذا مخصوصا بذلك
الزمان فى تلك النازلة خاصة وقال الزهرى ولولا هذه الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله وبين قريش
يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد روى انه لما نزلت
الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيأ
من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين وقالوا لم نعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به
فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) الفوت بعد الشئ عن الانسان بحيث يتعذر ادراكه وتعديته بالى لتضمنه معنى
السبق او الانفلات دل عليه قوله فآتوا الذين ذهبت ازواجهم اى الى الكفار والمعنى سبقكم وانفلت منكم
اى خرج وفر منكم فجاءة من غير تردد ولا تدبر وبالفارسية واگر فوت شود ازشما اى مؤمنان
(شئ من ازواجكم الى الكفار) اى احد من ازواجكم الى الكفار ودارهم ومهر او بدست شما نيايد وقد قرئ
به وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم لان النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم والشئ لكونه اعم
من الاحد اظهر احاطة لاصناف الزوجات اى اى نوع وصنف من النساء كالعربية او العجمية او الحرة او الامة
او نحوها او فاتكم شئ من مهور ازواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا
هى المرأة روى انها نزلت فى ام الحكم بنت ابى سفيان فرت فتزوجها ثقفى ولم ترتد امرأة ممن قريش غيرها واسلمت
مع قريش حين اسلموا وسيأتى غير ذلك (فعاقبتم) من العقبة وهى النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل
صاحبه فى كذا اى جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر والمعنى فجاءت عقبتكم ونوبتكم

من

من ادآء المهر بان هاجرت امرأة الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم ادآء مهرها الى زوجها الكافر بعد ما فاتت امرأة المسلم الى الكفار ولزم ان يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من ادآء مهور نساء اولئك تارة وادآء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب ونحوه اى يتناوب والافادآء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم ان يعقب ادآء الآخر لجواز ان يتوجه الادآء لاحد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون في الادآء (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) اى من المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعني ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين اى هاجرت اليهم وجب على المسلمين ان يعطوا المسلم الذى فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة ولا يجوز لهم ان يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضى الله عنه واعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما فى الكشاف (واتقوا الله الذى انتم به) لا بغير من الجبت والطاغوت (مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى قال بعضهم حكم اين آيات تا بقاء عهد باقى بود چون مرتفع كشت اين احكام منسوخ كشت وفى الآية اشارة الى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر حكى ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجر فتحت صفاة فطاد نا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فالقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنزفا ما عليه ثلاثة ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية الا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه اخوه وقال ما ندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فاسمعه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنه اخوه واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال يا هذه انى والله ما رضيت بما اصابك ولقد نهيت اخى عن ذلك فهل لك ان تجعل الله بيننا لا تضرينى ولا اضربك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت الحية لا فقال ولم قالت لانى اعلم ان نفسك لا تطيب لى ابدا وانت ترى قبر اخيك ونفسى لا تطيب لك وانا اذكر هذه الشجة فظهر من هذه الحكاية سر المكافأة وشرف التقوى فانه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالا وعمرا * كرم كن نه پرخاش وجنك آورى * كه عالم بزير نكين آورى * چو كارى برآيد بلطف وخوشى * چه حاجت بتندى وكردن كشى * تمى ترسى اى كرك ناقص خرد * كه روزى بلنكيت برهم درد (يا ايها النبى) ندآء تشريف وتعظيم (اذا جاءك المؤمنات) چون بيايند بتو زنان مؤمنه (يبايعنك) اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة فهى حال مقدرة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء سميت البيعة لان المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع ومن عادة الناس حين المبايعة ان يضع احد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها لها بها فى الاحكام والابرام فمبايعة الامة رسولهم الزام طاعته وبذل الوسع فى امتثال اوامره واحكامه والمعاونة له ومبايعته اياهم الوعد بالثواب وتدبير امورهم والقيام بمصالحهم فى الغلبة على اعدآئهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب ان كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال بايع الرجل السلطان اذا اوجب على نفسه الاطاعة له وبايع السلطان الرعية اذا قبل القيام بمصالحهم واوجب على نفسه حفظ نفوسهم واموالهم من ايدى الظالمين (على ان لا يشركن بالله شيأ) اى شيأ من الاشياء اوشيأ من الاشراك والظاهر ان المراد الشرك الاكبر ويجوز التعميم له وللشرك الاصغر الذى هو الرياء فالمعنى على ان لا يتخذن الها غير الله ولا يعملن الا خالصا لوجهه * مرا بى هر كسى معبود سازد * مرا بى را ازان كفتند مشرك

(قال الحافظ) كويا باورنمى دارند روز داورى * كين همه قلب ودغل در كار داور ميكنند
(ولا يسرقن) السرقة اخذ ما ليس له اخذه فى خفاء وصار ذلك فى الشرع لتناول الشئ من موضع مخصوص وقدر مخصوص اى لا يأخذن مال احد بغير حق ويكفى فى قبح السرقة ان النبى عليه السلام لعن السارق
(ولا يزنين) الزنى وطئ المرأة من غير عقد شرعى وقد يقصر واذا مد يصح ان يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين الزنى فى اللغة عبارة عن المجامعة فى الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة واتيان البهائم تم كلامه قال عليه السلام يقتل الفاعل والمفعول به وثبت ان عليا رضى الله عنه احرقهما وان ابابكر رضى الله عنه هدم عليهما حائطا وذلك بحسب ما رأيا من المصلحة وقال عليه السلام ملعون من اتى امرأته فى دبرها واما الاتيان من دبرها فى قبلها فمباح قال فى اللباب اتفق المسلمون على حرمة الجماع فى زمن الحيض واختلفوا فى وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب اكثرهم الى انه لا كفارة عليه فيستغفر وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام من اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قيل لابن عباس رضى الله عنهما ما شأن البهيمة قال ما سمعت فيها من رسول الله شيأ ولكن اكره ان يحل لحمها وينتفع بها كذلك (ولا يقتلن اولادهن) اريد به وأد البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر كما فى الجاهلية قال عليه السلام لا تنزع الرحمة الا من شقى (قال الحافظ) هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را به پسرى بينم * دختران را همه جنكست وجدل با مادر * پسران را همه بدخواه پدرى بينم * حكى ان هرون الرشيد زوج اخته من جعفر بشرط ان لا يقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هرون حيين غضبا عليهما ويقال ولا يشربن دواء فيسقطن حملهن كما فى تفسير ابى الليث وفى نصاب الاحتساب تمنع القابلة من المعالجة لاسقاط الولد بعد ما استبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ مقدرة بمائة وعشرين يوما واما قبله فقيل لا بأس به كالعزل وقيل يكره لان مآل الماء الحياة كما اذا اتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لان مآلها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل لان ماء الرجل لا ينفخ فيه الروح الا بعد صنع آخر وهو الالقاء فى الرحم فلا يكون مآله الحياة ولعل اسناد الفعل الى النساء اما باعتبار الرضى بها او بمباشرتها بامر زوجها
(ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) الباء للتعدية والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه اى يدهشه ويجعله متحيرا فيكون اقبح انواع الكذب وهو فى الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتا وبهتانا اى قال عليه ما لم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدى منك لصبى التقطته فقد بهتته به اى قالت عليه ما لم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب والافتراء الاختلاق يقال فرى فلان كذبا اذا خلقه وافتراه اختلقه قوله يفترينه اما فى موضع جر على انه صفة لبهتان او نصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن وارجلهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس المعنى على نهيهن من ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى الازواج لان ذلك نهى بقوله ولا يزنين بل المراد نهيهن عن ان يلحقن بازواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فى بطنى الذى بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى فكنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولا يجئن بصبى ملتقط من غير ازواجهن فانه افتراء وبهتان لهم والبهتان من الكبائر التى تتصل بالشرك (ولا يعصينك فى معروف) اى لا يخالفن امرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على ان المراد من المعروف الامور الحسنة التى عرف حسنها فى الدين فيؤمر بها والشؤون السيئة التى عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل كل ما وافق فى طاعة الله فعلا او تركا فهو معروف وكما روى عن بعض اكابر المفسرين من انه هو النهى عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الا ذا رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذى رحم محرم فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص ويحتمل ان يكون المراد من المعروف ما يقابل المنكر فيكون ما قبله للنهى عن المنكر وهذا للامر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد

بالمعروف

بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق لانه لما شرط ذلك في طاعة النبي عليه السلام فكيف في حق غيره وهو كقوله الا ليطاع باذن الله كما قال في بعض المعاني فدل على ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر ولم يقل ولا يعصين الله لان من اطاع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وتخصيص الاسور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ووجه الترتيب بين هذه المنهيات انه قدم الاقبح على ما هو ادنى فصاعدا ثم كذلك الى آخرها ولذا قدم ما هو الاظهر والاغلب فيما بينهم وقال صاحب اللباب ذكر الله تعالى في هذه الآية لرسول الله عليه السلام في صفة البيعة خصالا ستا هن اركان ما نهى عنه في الدين ولهذا ذكر اركان ما امر به وهي ايضا ست الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهي عنها دائم في كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم لهم وآكد (فبايعهن) جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لا تكون مانعة وهو امر من المبايعة اى فبايعهن على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام اى بايعهن اذا بايعتك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على ما في ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب (ان الله غفور رحيم) اى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه بزرگى فرمود مردمان ميكويند رحمت موقوفست برايمان يعنى تابنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن ميكويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى تا برحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهركس ندهد * يقول الفقير الامر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام في حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الامر في سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامائه الى يوم القيامة من بحر هذا الفضل ما يغنيهم ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبي لعل المبالغة في الغفور باعتبار الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسي الملائكة افعالك السوء وغفار لانه تعالى ينسيك ايضا ذنبك كيلا تستحي وحظ العارف منه ان يستر من اخيه ما يجب ان يستر منه ولا يفشي منه الا احسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافئ المسيء اليه بالصفح عنه والانعام عليه نسأل الله سبحانه ان يجعلنا متخلقين باخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم احد من المثلة فلما قال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فلما قال عليه السلام ولا يسرقن قالت ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات اى شيأ يسيرا فما ادرى ايحل لى فقال ابو سفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال انت هند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فعفا عنها فقالت وهل تزنى الحرة فقال عمر رضي الله عنه لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان تعصيك في شئ وروى انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وليديهن ثوب قطري والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقيا عن مساس ايدي الاجنبيات وروى انه جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن

وروى ان عمر رضى الله عنه كان يبايع النساء بامره عليه السلام و يلقنهن عنه وهو اسفل منه عند الصفا وروى انه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهى امية اخت خديجة رضى الله عنها قالت فاطمة رضى الله عنها والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها والله ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امر الله وما مست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتك كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءك المؤمنات الخ فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن بقول المقرر انما بايع عليه السلام الرجال مع مس الايدى دون النساء لان مقام الشارع يقتضى الاحتياط وتعليم الامة والا فاذا جاز مصافحة عمر رضى الله عنه لهن كما فى بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام لهن لانه اعلى حالا من عمر من كل وجه و بالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال امرا مشروعا بامر الله وسنته بفعل رسول الله ومن ذلك كانت عادة مستمرة بين الفقراء الصوفية حين ارادة التوبة تثبيتا للايمان وتجديد النور والايقان على ما اشبعنا الكلام عليه فى المبايعة فى سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فارجع وفى التاويلات النجمية قوله تعالى يا ايها النبى اذا جاءك الخ يخاطب نبى الروح و يشير الى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبى الروح يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من اخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين اى مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن اولادهن اى لا يمنعن ولا يردن اولاد الخواطر الروحانية والالهامات الربانية ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لا يدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم لانهن ما بلغن بعد اليها ولا يعصينك فى معروف اى فى كل ما تأمرهن من الاخلاق والاوصاف فبايعهن اى فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والاخلاص واستغفر لهن الله عما وقع منهن قبل دخولهن فى ظل انوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية ان الله غفور يسترها بالموافقات الشرعية رحيم بهن برحمهن بالمخالفات الطبيعية (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما) دوستى مكنيد باكروهى كه فالتولى هنا بمعنى الموالاة والمودة (غضب الله عليهم) صفة لقوما وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لان كلهم مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الاخروية وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم وهو قول الاكثرين وقد قال تعالى فى حق اليهود وغضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء (قد يئسوا من الآخرة) اليأس انقطاع الطمع يعنى نوميد شدند از آخرت لكفرهم بها وعدم ايقانهم على ان يراد بقوما عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية اولعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات على ان يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة يعنى انهم اهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما اصروا على الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها قال عليه السلام يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق فاسلموا (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) من بيان للكفار اى كائنين منهم اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل ان الكافر اذا وضع فى قبره اتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادرى فيقول الملك لا دريت الله انظر الى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور ويقول هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك نزلت الجنة فيكون حسرة عليه و ينقطع رجاؤه ويعلم انه لا حظ له فيها و ييأس من خير الجنة وقيل من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا و يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار فى موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور وفى الآية اشارة الى الابدان المريضة المعتلة الخبيثة المظلمة فان الكفار ايسوا من خروج ضيق قبورا خلاقهم السيئة الى سعة فضاء صفاتهم الحسنة وكذا سائرهم من اهل الحجب الكثيفة ومن اصحاب القبور من حاله على عكس هذا كما اشار النبى عليه السلام بقوله كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك

من اصحاب القبور وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت اجسادهم لارواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن في احب البقاع اليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الغفر لديه * خدايا بحق بني فاطمه * كه برقول ايمان كنم خاتمه * خداوندكارا نظر كن بجود * كه جرم آيد آزبند كان در وجود * چو مارا بدنيا توكردى عزيز * بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة في العشر الاخير من شهر رمضان المنتظم في سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح لله) نزهه عن كل ما لا يليق بجنابه العلي العظيم (ما في السموات) من العلويات الفاعلة (وما في الارض) من السفليات القابلة آفاقا وانفسا اى سبحه جميع الاشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده (وهو العزيز) الغالب الذى لا يكون الا ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الاطلاق غيره فلذا يجب تسبيحه قال في كشف الاسرار من اراد ان يصفوله تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن اراد ان يصفوله في الجنة عيشه فليصف عن اوضار الهوى دينه (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا رسميا (لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعييرا لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون تفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم والتفاوجهه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون انفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ما حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله من الخير لانه ان اخبر انه فعل في الماضي والحال ولم يفعله كان كاذبا وان وعد ان يفعله في المستقبل ولا يفعله كان مخلفا وكلاهما مذموم كما قال في الكشاف هذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعود وهذا بخلاف ما اذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الاعذار فانه لا اثم عليه وفي عرائس البقلي حذر الله المريدين ان يظهروا بدعوى المقامات التي لم يبلغوا اليها لئلا يقعوا في مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل وايضا زجر الاكابر في ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل الى الحق والحقيقة وايضا ليس للعبد فعل ولا تدبير لانه اسير في قبضة العزة يجرى عليه احكام القدرة وتصاريف المشيئة فمن قال فعلت اوتيت او شهدت فقد نسى مولاه وادعى ما ليس له ومن شهد من نفسه طاعة كان الى المعصيان اقرب لان النسيان من العمى وفي التأويلات النجمية يا ايها المؤمنون المقلدون لم تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم انواع الشهوات الحيوانية واصناف اللذات الجسمانية او تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على اعراضكم عن الحق واقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتا عند الله تعالى كما قال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) كبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطيا القبيح يقال مقته فهو مقيت ومقوت وكان يسمى تزوج امرأة الاب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى في علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح ما فعلوه اى عظم بغضا في حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو اشد ممقوتية ومبغوضية ممن مقته الله فله النار ومن احبه الله فله الجنة (قال الكاشفي) ونزد بعضى علماء آيت عامست يعنى هر كه سخنى كويد ونكند درين عتاب داخلست وبا آن علما نيز كه خلق را بعمل خير فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود لانه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وحضرت پيغمبر عليه السلام در شب معراج ديد كه لبهاء چنين كسان بمقراض آتشين مى برند *

بازمن بكوي عالم تفسير كوي را * كردرعمل نكوشي نادان مفسري * باردرخت علم ندانم بجز عمل *
باعلم اكرعمل نكني شاخ بي بري * قيل لبعض السلف حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال لهم انا مأمور وفي
ان اقول مالا افعل فأستحيل مقت الله قال القرطبي رحمه الله ثلاث آيات منعتني ان اقص على الناس انا مأمورون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ومااريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون
وقد ورد الوعيد في حق من يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايضا اى كما ورد في حق من يترك العمل
فالخوف اذا كان على كل منهما في درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف
واكثر الناس في هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى قال في اللباب ان الآية توجب على كل من الزم نفسه
عملا فيه طاعة الله ان يفي به فان من التزم شيأ لزم شرعا اذا الملتزم اما نذر تقرب مبتدأ كقوله لله علي صلاة
اوصوم اوصدقة ونحوه من القرب فيلزمه الوفاء اجماعا اونذر مباح وهو ما علق بشرط رغبة كقوله ان قدم
غائبي فعلي صدقة او بشرط رهبة كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة ففيه خلاف فقال مالك وابو حنيفة
يلزمه الوفاء به وقال الشافعي في قول لا يلزم وعموم الآية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال مالا يفعله
على اى وجه كان من مطلق او مقيد بشرط (ان الله يحب الذين يقاتلون) اعدآء الله (في سبيله) في طريق
مرضاته واعلاء دينه اى يرضى عنهم ويثني عليهم (صفا) صف ذوه در برابر خصم وهو بيان لما هو مرضي
عنده تعالى بعد بيان ما هو محبوب عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال وصفا مصدر
وقع موقع الفاعل والمفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم او مصفوفين والصف
ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار (كانهم بنيان مرصوص) حال من المستكن في الحال الاولى
والبنيان الحائط وفي القاموس البناء ضد الهدم بناه بنيا وبناء وبنيانا وبنية وبناية والبناء المبنى والبنيان
واحد لا جمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النعت من الجمع
يصح تأنيثه وتذكيره والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال في تاج المصادر الرص استوار
برآوردن بنا قال ابن عباس رضي الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بالحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه
فيبنيه اهل مكة المرصوص والمعنى حال كونهم مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه
الى بعض ورصف حتى صار شيأ واحدا وقال الراغب بنيان مرصوص اى محكم كانما بني بالرصاص يعني كويا
ايشان در استحكام بناانند ريخته از ارزيز كايستد از ثبات قدم ايشان در معركه حرب وبيكديكر باز
چسبيدن وهو قول القراء وتراصوا في الصلاة اى تضايقوا فيها كما قال عليه السلام تراصوا بينكم
في الصلاة لا يتخللكم الشياطين فالرحمة في مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل او المحاذاة بالمناكب
كالبنيان المرصوص ولا ينافيه قول سفيان ينبغي ان يكون بين الرجلين في الصف قدر ثلثي ذراع فذلك في غيره
كما في المقاصد الحسنة وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه
الصفة كما في الكشاف يقول الفقير الدليل على فضل الراكب على الراجل ان له سهمين من الغنيمة وانما حث
عليه السلام على التراص لان المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها الا قليلا قال سعيد
ابن جبير رضي الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا لا يجوز
الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسله الامام او منفعة تظهر في المقام المتنقل اليه
كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك ارهابا للعدو وطلبا
للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا يبرز احد لذلك لان فيه رياء او خروجا الى ما نهى الله عنه وانما تكون
المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي عليه السلام يوم بدر وفي غزوة خيبر قال في فتح الرحمن
اما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق اذا فعله البعض سقط عن الباقين وعند النفير
العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلا خلاف في الآية زجر عن التباطئ وحث على التسارع ودلالة
على فضيلة الجهاد وروى في الخبر انه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر
ابن ابي طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما في القاموس وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه احد الامراء
الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم يا اهل المجلس هذا الذي وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل

وكان

وكان عبدالله بن رواحة الانصارى شاعر رسول الله وكان يقص على اصحاب رسول الله فى مسجده على حياته وجلس اليه رسول الله يوما وقال امرت ان اجلس اليكم وامر ابن رواحة ان يمضى فى كلامه كما فى كشف الاسرار ثم ان الجهاد اما مع الاعدآء الظاهرة كالكفار والمنافقين واما مع الاعدآء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب واعظم المجاهدة فى الطاعة الصلاة لان فيها سر الفناء وتشق على النفس (واذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين اى اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرآئيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الاذية كذا فى الارشاد يقول الفقير لاشك ان قتل الاعدآء من باب التسبيح لانهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا وعبدوا معه الاصنام فكان فى مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه ولذا بدأ الله تعالى فى عنوان السورة بالتسبيح واشار بلفظ الحكيم الى ان القتال من باب الحكمة وانه من باب دفع القضاء بالقضاء على ما يعرفه اهل الله وبلفظ العزيز الى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم انهم كرهوا ذلك كانهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا فى ورطة نسبة العجز الى الله سبحانه ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الاذية له عليه السلام لان مخالفة اولى الامر اذية لهم فاشار الحق تعالى بقصة موسى الى ان الرسول حق وان الخروج عن طاعته فسق وان الفاسق مغضوب الله تعالى لان الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه واليم عذابه وعقابه (ياقوم) اى كروه من فاصله ياقومى ولذا تكسر الميم ولو لا تقدير الياء لقيل ياقوم بالضم لانه حينئذ يكون مفردا معرفة فيبنى على الضم وهو ندآء بالرفق والشفقة كما هو شأن الانبياء ومن يليهم (لم تؤذوننى) جرامى رنجانيد مرا اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به والاذى ما يصل الى الانسان من ضرر اما فى نفسه او فى جسمه او قنياته دنيويا كان او اخرويا قال فى القاموس آذى فعل الاذى وصاحبه اذى واذاة واذية ولا تقل ايذآء انتهى فلفظ الايذآء فى افواه العوام من الاغلاط وربما تراه فى عبارات بعض المصنفين (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الاذية ونفى سببها وقد لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فانهم قالوا ان قد اذا دخلت على الحال تكون للتحقيق واذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات انى مرسل من الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فان تعظيمى تعظيم لله واطاعتى اطاعة له وفيه تسلية للنبى عليه السلام بان الاذية قد كانت من الامم السالفة ايضا لانبيائهم والبلاء اذا عم خف وفى الحديث (رحمة الله على اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر) وذلك انه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين هذه القسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك (فلما زاغوا) الزيغ الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى واستمروا عليه (ازاغ الله قلوبهم) اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقال الراغب فى المفردات اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك وقال جعفر لما تركوا اوامر الخدمة نزع الله من قلوبهم نور الايمان وجعل للشيطان اليهم طريقا فازاغهم عن طريق الحق وادخلهم فى مسالك الباطل وقال الواسطى لما زاغوا عن القربة فى العلم ازاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال بعضهم لما زاغوا عن العبادة ازاغ الله قلوبهم عن الارادة يقول الفقير لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته ازاغ الله قلوبهم عن ولايته وجمعيته فهم رأوا موسى على انه موسى لا على انه رسول نبى فحرموا عن رؤية الحق تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق

المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمهم دخولا اوليا ووصفهم بالفسق نظرا الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين قال الامام هذه الآية تدل على عظم اذى الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى ويتبعه اذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لان العلماء ورثة الانبياء فاذاهم فى حكم اذاهم فكما ان الانبياء والاولياء داعون الى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فانهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية الى الاخلاق الروحانية العلوية ومن ظلمة الانانية الى نور الحقية فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتى ضل بالتوجه الى الدنيا والاقبال عليها فأنى يجد الهداية الى حضرة الحق سبحانه (واذ قال عيسى ابن مريم) اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفى عزير ابن الله باثبات الالف خطا للندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وانثى (يا بنى اسرآئيل) اى فرزندان يعقوب ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه اى ارسلت اليكم لتبليغ احكامه التى لابد منها فى صلاح اموركم الدينية والدنيوية درحالتى كه باور دارنده ام من آنچيزرا كه پيش مفست از كتاب توراة يعنى قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن ازنزد خداست وقال ابو الليث يعنى اقرأ عليكم الانجيل موافقا للتوراة فى التوحيد وبعض الشرائع قال القاضى فى تفسيره ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم اذ النسب الى الآباء والاخ يم من بنى اسرآئيل لان اسرآئيل لقب يعقوب ومريم من نسله ثم ان هذا دل على ان تصديق المتقدم من الانبياء والكتب من شعائر اهل الصدق ففيه مدح لامة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل (ومبشرا) التبشير مژده دادن (برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات يعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة وقال بعضهم بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه اوليكون معجزة لعيسى عند ظهوره والتبشير به تبشير بالقرآن ايضا وتصديق له كالتوراة (اسمه احمد) اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر فذكر اول الكتب المشهورة الذى يحكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم النبيين وعن اصحاب رسول الله انهم قالوا اخبرنا يا رسول الله عن نفسك قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امى رؤيا حين حملتنى انه خرج منها نور اضاء لها قصور بصرى فى ارض الشأم وبصرى كجبلى بلد بالشام وكذا بشر كل نبى قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى افرد عيسى عليه السلام بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى كما فى كشف الاسرار وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبى عليه السلام خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريبا وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وامته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام اربعة وعشرين الف مرة وامته امة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل قال الحواريون لعيسى يا روح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب تلقيح الاذهان سمى من حيث تكرر حمده محمدا ومن حيث كونه حامل لواء الحمد احمد انتهى قال الراغب احمد اشارة بالنبى عليه السلام باسمه تنبيها انه كما وجد اسمه احمد يوجد جسمه وهو محمود فى اخلاقه وافعاله واقواله وخص لفظ احمد فى البشر به عيسى تنبيها انه احمد ممن الذين قبله انتهى ويوافقه ما فى كشف الاسرار من ان الالف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى الانبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو اكثر

حمدا من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول اى الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مناقب واجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى * زصد هزار محمد كه در جهان آيد * يكي بمنزلت وفضل مصطفى نرسد * قال ابن الشيخ في حواشيه يحتمل ان يكون احمد منقولا من الفعل المضارع وان يكون منقولا من صفة وهي افعل التفضيل وهو الظاهر وكذا محمد فانه منقول من الصفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود في الدنيا لما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود في الآخرة بالشفاعة وقال الامام السهيلي في كتاب التعريف والاعلام احمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل فمعنى احمد اى احمد الحامدين لربه عز وجل وكذلك قال هو في المعنى لانه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمد احق كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلني من امة احمد فبا حمد ذكر قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر وفي الوجود وفي الدنيا وفي الآخرة تلك الحكمة الالهية في تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف انزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع له سنة وقرآنا ان يقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين تنبيها لنا على ان الحمد مشروع عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آئبون تائبون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحي ونذيرا بقرب الساعة وقيام الدنيا مع ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده تجد معاني اسمه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفي ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وانه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره عليه السلام انتهى كلام السهيلي يقول الفقير الذي يلوح بالبال ان تقدم الاسم احمد على الاسم محمد من حيث انه عليه السلام كان اذ ذاك في عالم الارواح متميزا عن الاحد بميم الامكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذي يقتضيه موطن عالم الارواح ثم انه لما تشرف بالظهور في عالم العين الخارجي وخلع الله عليه من الحكمة خلعة اخرى زائدة على الخلع التي قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجي ولانها ظلال الاسرار والحمد لله تعالى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر في كتاب مواقع النجوم ما انتظم من الوجود شيء بشيء ولا انضاف منه شيء الى شيء الا لمناسبة بينهما ظاهرة او باطنة فالمناسبة موجودة في كل الاشياء حتى بين الاسم والمسمى ولقد اشار ابو يزيد السهيلي وان كان اجنبيا عن اهل هذه الطريقة الى هذا المقام في كتاب المعارف والاعلام له في اسم النبي عليه السلام محمد واحمد وتكلم على المناسبة التي بين افعال النبي عليه السلام واخلاقه وبين معاني اسمه محمد واحمد انتهى كلام الشيخ اشار رضي الله عنه الى ما قدمناه من كلام السهيلي وتعالى بعض العارفين سمي عليه السلام بأحمد لكون حمده اتم واشمل من حمد سائر الانبياء والرسل اذ محامدهم لله تناهي بمقتضى توحيد الصفات والافعال وحمده عليه السلام الظاهر بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والافعال انتهى قال في فتح الرحمن لم يسم باحمد احد غيره ولا دعي به مدة قبله وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده اى من الكهان

والاخبار ان نبيا يبعث اسمه محمد ضحى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك ورجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن اخيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن البراء البكري ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ومحمد بن حمدان الجعفي ومحمد بن خزاعة السلمي فهم ستة لاسابع لهم ثم سمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة اويدعيها احد له او يظهر عليه بسبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى واختلف في عدد اسماء النبي عليه السلام فقيل له عليه السلام القاسم كما ان الله تعالى القاسم وذلك فانه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما ان اسماءه تعالى اسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام اسم آخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة في هذا الموطن فمن اسمائه محمد اي كثير الحمد لان اهل السماء والارض حمدوه في الدنيا والآخرة ومنها احمد اي اعظم حمدا من غيره لانه حمد الله تعالى بما لم يحمد بها غيره ومنها المقفى بتشديد الفاء وكسره لانه اتى عقيب الانبياء وفي تناهم وفي التكملة هو الذي قفى على اثر الانبياء اي اتبع آثارهم ومنها نبي التوبة لانه كثير الاستغفار والرجوع الى الله اولان التوبة في امته صارت اسهل الاترى ان توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس اولان توبة امته كانت ابلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لا يؤاخذ به في الدنيا ولا في الآخرة وغيرهم يؤاخذ في الدنيا لا في الآخرة ومنها نبي الرحمة لانه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك وفي كتاب البرهان للكرماني لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبي عليه السلام بهذا القول انتهى قيل الاولى ان يحترز عن القول بانه لولانبينا عليه السلام لما خلق الله آدم وان كان هذا شيأ يذكره الوعاظ على رؤس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لان النبي عليه السلام وان كان عظيم المرتبة عند الله لكن لكل نبي من الانبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبي اصلا لنفسه كما في التاتارخانية يقول الفقير كان عليه السلام نبي الرحمة لانه هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه كان في الارض امانان فرفع احدهما وبقي الآخر فاما الذي رفع فهو رسول الله عليه السلام واما الذي بقي فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبي الملحمة اي الحرب لانه بعث بالقتال فان قلت المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت كان امم الانبياء يهلكون في الدنيا اذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا وفي كونه عليه السلام نبي الحرب رحمة ومنها الماحي وهو الذي محا الله به الكفر او سيئات من اتبعه ومنها الحاشر وهو الذي يحشر الناس على قدمه اي على اثره ويجوز ان يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى ان الناس يحشرون في عهده اي في دعوته من غير ان تنسخ ولا تبدل ومنها العاقب وهو الذي ليس بعده نبي لا مشرعا ولا متابعا اي قد عقب الانبياء فانقطعت النبوة قال عليه السلام يا علي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي اي بالنبوة العرفية بخلاف النبوة الحقيقية التي هي الانباء عن الله فانها باقية الى يوم القيامة الا انه لا يجوز ان يطلق على اهلها النبي لا يها سمة النبوة العرفية الحاصلة بمجيء الوحي بواسطة جبرائيل عليه السلام ومنها الفاتح فان الله فتح به الاسلام ومنها الكاف قيل معناه الذي ارسل الى الناس كافة وليس هذا بصحيح وان كافة لا يتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وانما معناه الذي كف الناس عن المعاصي كذا في التكملة يقول الفقير هذا اذا كان الكاف مشددا واما اذا كان مخففا فيجوز ان يشار به الى المعنى الاول كما قال تعالى يس اي يا سيد البشر ومنها صاحب الساعة لانه بعث مع الساعة نذيرا للناس بين يدي عذاب شديد ومنها الرؤف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج المنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وثغم اي الجامع للخير ومنها ن اشارة الى اسم النور والناصر ومنها المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى واذا اشتقت اسماؤه من صفاته كثرت جدا ومنها الخاتم بفتح التاء اي احسن الانبياء خلقا وخلقا فكأنه بجمال الانبياء كالخاتم الذي يجمل به اي لما انتقت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذي يختم به الكتاب عند الفراغ منه واما الخاتم بكسر التاء فصناعة انه آخر الانبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعيا النبي عليه السلام فان قلت لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت كان عليه السلام من العرب لا من غيرهم كما قال احب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي

ولسان

ولسان اهل الجنة عربي والجمل مركب العرب مختص بهم لا ينسب الى غيرهم من الامم ولا يضاف لسواهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن والهراوة بالكسر العصا فان قلت لم خص بالعصا وقد كان غيره من الانبياء يمسكها قلت العصا كثيرا ما تستعمل في ضرب الابل وتخص بذلك كما قال به كثير في صفة البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربيا وقيل هي اشارة الى قوله في الحديث في صفة الحوض اذود الناس عنه بعصاي ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام في الانجيل وسماه ايضا المضنا بمعنى محمد ياخود آنكه خداى بفرستد اورا بعد از مسيح وفي التكملة هو بالسريانية ومنها سميا طي بالعبرانية وبرقليطس بالرومية بمعنى محمد وماذماذ بمعنى طيب طيب وفارقليطي مقصورا بمعنى احمد وروى فارقليط بالباء وقيل معناه الذي يفرق بين الحق والباطل وروى ان معناه بلغة النصارى ابن احمد فكانه محمد واحمد وروى انه عليه السلام قال اسمي في التوراة احيد لاني احيدا متي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القرآن محمد لاني محمود في اهل السماء والارض فان قلت قال رسول الله عليه السلام لي خمسة اسماء فذكر محمدا واحمد والماحي والحاشر والعاقب وقد بلغت اكثر من ذلك قلت تخصيص الوارد لا ينافي ما سواه فقد خص الخمسة اما لعلم السامع بما سواها فكانه قال لي خمسة زائدة على ما تعلم او لفضل فيها كانه قال لي خمسة اسماء فاضلة معظمة او لشهرتها كانه قال لي خمسة اسماء مشهورة او لغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني وقيل لان الموحى اليه في ذلك الوقت كان هذه الاسماء وقيل كانت هذه الاسماء معروفة عند الامم السالفة ومكتوبة في الكتب المتقدمة وفيه ان اسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في التكملة لابن عسكر (فلما جاءهم) اى الرسول المبشر به الذي اسمه احمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة واما ارجاعه الى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جدا وكون ضمير الجمع راجعا الى بني اسرائيل لا ينافي ما ذكرنا لان نبينا عليه السلام مبعوث الى الناس كافة (بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز ان تكون للملابسة (قالوا هذا) مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام (سحر مبين) ظاهر سحريته بلاغرية وتسميته عليه السلام سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر وفي الآية اشارة الى عيسى القلب واسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فانها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم ابيها فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية الى الانوار الروحانية وبشرها باحمد السر لكونه احد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والاسمائية قالت هذا امر وهمي متخيل لا وجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين اهل الحق مع المنكرين (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب) وكيست ستمكار تر ازان كس كه دروغ مى سازد بر الله والفرق بين الكذب والافتراء هو ان الافتراء افتعال الكذب من قولي نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه (وهو) اى والحال ان ذلك المفترى (يدعى) من لسان الرسول (الى الاسلام) الذي به سلامة الدارين اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر فاللام في الكذب للعهد اى هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي ومن الافتراء على الله الكذب في دعوى النسب والكذب في الرؤيا والكذب في الاخبار عن رسول الله عليه السلام واعلم ان الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام بامره الرسول عليه السلام كما قال ادع الى سبيل ربك وفي الحديث عن ربيعة الجرشي (قال اتى نبي الله عليه السلام فقيل له لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعقل قلبك) قال فنامت عيني وسمعت اذناى وعقل قلبي قال فقيل لي سيد بنى دارا فصنع مأدبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال فالله السيد ومحمد الداعي والدار الاسلام والمأدبة الجنة ودخل في دعوة النبي دعوة ورثته لقوله ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ولا بد ان يكون الداعي اميرا او مأمورا وفي المصابيح في كتاب العلم قال عوف بن مالك رضي الله عنه لا يقص الا اميرا او مأمورا او مختال رواه ابو داود وابن ماجه قوله

او مختال هو المتكبر والمراد به هنا الواعظ الذى ليس بامير ولا مأمور مأذون من جهة الأمير ومن كانت هذه صفته فهو متكبر فضولى طالب للرياسة وقيل هذا الحديث فى الخطبة خاصة كما فى المفاتيح (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفئوا نور الله) الاطفاء الاخماد وبالفارسية فروكشتن آتش وچراغ اى يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا ابالك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله وقال الراغب فى المفردات الفرق ان فى قوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله يقصدون خفاء نور الله وفى قوله تعالى ليطفئوا يقصدون امرا يتوصلون به الى اطفاء نور الله (بافواههم) بطعنهم فيه وبالفارسية بدهنهاء خود يعنى بكفتار ناپسنديده وسخنان بى ادبانه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس ليطفئه (والله متم نوره) اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه جملة حالية من فاعل يريدون او يطفئوا (ولو كره الكافرون) اتمامه ارغاما لهم وزيادة فى مرض قلوبهم ولو بمعنى ان وجوابه محذوف اى وان كرهوا ذلك فالله يفعله لا محالة (قال الكاشفى) وكراهت اينشانرا اثرى نيست در اطفاء چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير موثرست در نابودن آفتاب * شب پره خواهد كه نبود آفتاب * تا بيند ديدة او مرزبوم * دست قدرت هر صباحى شمع مهر * مى فروزد كورئ خفاش شوم (وفى المثنوى) شمع حق راپف كنى تواى عجوز * هم توسوزى هم سرت اى كنده پوز * كى شود دراز پوزسك پنجس * كى شود خرشيد از پف منطمس * هركه بر شمع خدا آرد پفو * شمع كى ميرد بسوزد پوزاو * چون تو خفاشان بسى بيتند خواب * كين جهان ماند يتيم از آفتاب * اى پريده آن لب و حلق ودهان * كه كند تف سوى مه يا آسمان * تف برويش باز گردد بى شكى * تف سوى گردون نيابد مسلكى * تا قيامت تف برو بارد زرب * همچو تبت بر روان بولهب * قال ابن الشيخ اتمام نوره لما كان من اجل النعم كان استكراه الكفار اياه اى كافر كان من اصناف الكفرة غاية فى كفران النعمة فلذلك اسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان لفظ الكافر اليق بهذا المقام واما قوله ولو كره المشركون فانه قد ورد فى مقابلة اظهار دين الحق الذى معظم اركانه التوحيد وابطال الشرك وكفار مكة كارهون له من اجل انكارهم للتوحيد واصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة فى كراهتهم الدين الحق قال بعضهم جحدوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبى عليه السلام وانكروه بالسنتهم واعرضوا عنه بنفوسهم فقيض الله لقبوله انفسا اوجدها على حكم السعادة وقلوبا زينها بانوار المعرفة واسرارا نورها بالتصديق فبذلوا له المهج والاموال كالصديق والفاروق واجلة الصحابة رضى الله عنهم يقول الفقير هكذا احوال ورثة النبى عليه السلام فى كل زمان فان الله تعالى تجلى لهم بنور الازل والقدم فكرهه المنكرون واراد وا ان يطفئوه لكن الله اتم نوره وجعل لاهل تجليه اصحابا واخوانا يذبون عنهم وينفذون امورهم الى ان يأتيهم امر الله تعالى ويقضوا نحبهم وفى الآية اشارة الى ان النفس لا يدوان تسعى فى ابطال نور القلب واطفائه لان النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة الى اليد اليسرى والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة الى اليد اليمنى كما جاء فى الحديث الربانى) ان الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الايمن فاستخرج منه ذرارى كالفضة البيضاء وقال هؤلاء للجنة ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الايسر فاستخرج منه كالحمة السوداء وقال هؤلاء للنار فلا بد للنفس من السعى فى اطفاء نور القلب وللقلب ايضا من السعى فى اطفاء نار النفس ولو كره الكافرون الساترون القلب بالنفس الزارعون بذر النفس فى ارض القلب (هو الذى ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) بالقرآن او بالمعجزة فالهدى بمعنى ما به الاهتداء الى الصراط المستقيم (ودين الحق) والملة الحنيفية التى اختارها لرسوله ولامته وهو من اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق (ليظهره على الدين كله) ليجعله ظاهرا اى عاليا وغالبا على جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك الاظهار ولقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام فليس المراد انه لا يبقى دين آخر من الاديان بل العلو والغلبة والاديان خمسة اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك

والاسلام كما في عين المعاني للسجاوندي وقال السهيلي في كتاب الامالي في بيان فائدة كون ابواب النار سبعة وجدنا الاديان كما ذكر في التفسير سبعة واحد للرحمن وستة للشيطان فالتي للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبدة الاوثان والمجوسية وامم لا شرع لهم ولا يقولون بنبوة وهم الدهرية فكانهم كلهم على دين واحد اعني الدهرية وكل من لا يصدق برسول فهؤلاء ستة اصناف والصنف السابع هو من اهل التوحيد كالموارج الذين هم كلاب النار وجميع اهل البدع المضلة والجبابرة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فان فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يغفر الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير انهم لا يجتمع عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة اصناف ستة مخلدون في النار وصنف واحد غير مخلد وهم معذبون يوم القيامة من اهل دين الرحمن ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الابواب عدد هذه الاصناف وتبينت الحكمة في ذكرها في القرآن لما فيها من التخويف والارهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة وفي بعض التفاسير الاشراك هو اثبات الشريك لله تعالى في الالوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود او استحقاق العبادة لكن اكثر المشركين لم يقولوا بالاول لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على ان الكفر لا يغاير عن شرك ما يدل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك فان من المعلوم في الدين انه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لا يغفر ان يكفر به وقد يطلق ويراد به عبدة الاصنام وغيرها فان اريد الاول في قوله ولو كره المشركون يكون ارادة ثانيا لوصفهم بوصف قبيح آخر وان اريد الثاني فلعل ايراد الكافرين اولا لما ان اتمام الله نوره يكون بنسخ غير الاسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك وايراد المشركين ثانيا لما ان اظهار دين الحق يكون باعلاء كلمة الله واشاعة التوحيد النبي عن بطلان الآلهة الباطلة واشد الكارهين لذلك المشركون والله اعلم بكلامه وفي التأويلات النجمية هو الذي ارسل رسوله القلب الى امة العالم الاصغر الذي هو المملكة الانفسية الاجمالية المضاهية للعالم الاكبر وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الازلية ودين الحق الغالب على جميع الاديان وهو الله الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين اشركوا مع الحق غيره وما عرفوا ان الغير والغيرية من الموهومات التي اوجدتها قوة الوهم والا ليس في الوجود الا الله وصفاته انتهى (قال الكمال الخجندي)

(له في كل موجود * علامات وآثار) دو عالم پرزه معشوقست كويك عاشق صادق (وقال المولى الجامي)

كر تو بي جلوه در فضاى وجود * هم خود انصاف ده بكو حق كو * در همه اوست پيش چشم شهود * چيست پنداري هستي من و تو * يقول الفقير هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها اهل الشهود فاطبقت فالطعن لواحد منهم بانه وجودي طعن بجميعهم وليس الطعن الا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم والافالاحر اظهر على البصير (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم) اي ادلالت عظيمة شعارا (على تجارة) سيأتي بيان معناها (تنجيكم) اي تكون سببا لانجاء الله اياكم وتخليصه وافادت الصفة المقيدة ان من التجارة ما يكون على عكسها كما اشار اليها قوله تعالى يرجون تجارة لن تبور فان بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذابا اليما كجمع المال وحفظه ومنع حقوقه فانه وبال في الآخرة فهي تجارة خاسرة وكذا الاعمال التي لم تكن على وجه الشرع والسنة او اريد بها غير الله (من عذاب اليم) اي مؤلم جسماني وهو ظاهر وروحاني وهو التحسر والتحير كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل (تؤمنون بالله ورسوله) مرادا فسنت كه ثابت باشيد برايمان كه داريد (وتجاهدون في سبيل الله باموالكم) بمالهاء خودكه زاد وسلاح مجاهدان ترا يد (وانفسكم) وبنفسهاء خودكه معرض قتل وحرب شويد قدم الاموال لتقدمها في ايفاء الجهاد او للترقي من الادنى الى الاعلى وقال بعضهم تقدم ذكر المال لان الانسان ربما يضن بنفسه ولانه اذا كان له مال فانه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر في معنى الامر يجيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه وقع فاخبر بوقوعه كما قيل غفر الله لهم وبغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت وقس عليه نحو سلمكم الله وفاكم الله واعاذكم الله وفي الحديث (جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم) ومعنى الجهاد بالالسنة اسماعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ

ونحو ذلك واخر الجهاد بالالسنة لانه اضعف الجهاد وادناه و يجوز ان يقال ان اللسان احد واشد تأثيرا من السيف والسنان قال علي رضي الله عنه جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان فيكون من باب الترقي من الادنى الى الاعلى وكان حسان رضي الله عنه يجلس على المنبر فيهجو قريشا باذن رسول الله عليه السلام ثم ان التجارة التصرف في رأس المال طالبا للربح والتاجر الذي يبيع و يشتري وليس في كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة واما تجاه فاصلها وجاه وتجوب وهي قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة قال ابن الشيخ جعل ذلك تجارة تشبيها له في الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعا لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هي معاوضة المال بالمال لطمع الربح والايمان والجهاد شبها بها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه (قال الحافظ) فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد (ذلكم) اى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه (خير لكم) على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون فعلى العاقل تبديل الفاني بالباقي فانه خير له وجاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه في سبيل الله فقال عليه السلام لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة بزركى فرموده كه اصل مرابحه درين تجارت اينست كه غير حق را بدهى وحق را بستانى ودر نفحات از ابى عبد الله اليسرى قدس سره نقل ميكند كه پسر وى آمد وكفت سبوى روغن داشتم كه سرمايه من بود از خانه بيرون مى آوردم بيفتاد و بشكست وسرمايه من ضايع شد كفت اى فرزند سرمايه خود آن ساز كه سرمايه پدر تست والله كه پدر ترا هيچ نيست در دنيا وآخرت غير الله شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره فرمود كه سود تمام آن بودى كه پدرش هم نبودى اشارت بمرتبه فناست در باختن سود وسرمايه در بازار شوق لقا * تا چند ببازار خودى پست شوى * بشتاب كه از جام فنا مست شوى * از مايه سود دو جهان دست بشوى * سود تو همان به كه تهى دست شوى * ودخل في الآية جهاد اهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويد آن شيطان در تشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيرور برى دين تو خواهد حق تعالى ترا بر هر يكى ازين دشمنان سلاحى داده تا او را بدان قهر كنى قتال با كافران بشمشير سياست است وبا مبتدعان بتيغ زبان وحجت وبا شيطان بمداومت ذكر حق وتحقيق كلمه وبا هواى نفس بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهيئة اعمال بنده وكزيدة طاعات رونده چنانچه رب العزة كفت (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) وقال بعض الكبار يا ايها الذين آمنوا بالايمان التقليدى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله اى تحقيقا ويقينا استدلاليا وبعد صحة الاستدلال تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم لان بذل المال والنفس في سبيل الله لا يكون الا بعد اليقين واعلم ان التوحيد اما لسانى واما عيانى اما التوحيد اللسانى المقترن بالاعتقاد الصحيح فاهله قسمان قسم بقوا في التقليد الصرف ولم يصلوا الى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وان خرجوا عن حد التقليد الصرف ولكنهم لم يصلوا الى نور الكشف والعيان كما وصل اهل الشهود والعرفان واما التوحيد العيانى فعلى مراتب المرتبة الاولى توحيد الافعال والثانية توحيد الصفات والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الافعال توكل واعتصم ومن تجلى له الصفات رضى وسلم ومن وصل الى تجلى الذات فنى في الذات بالمحو والعدم (يغفر لكم ذنوبكم) في الدنيا وهو جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر و يجوز ان يكون جوابا لشرط او لاستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون وتفعلون ما دللتكم عليه يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (و يدخلكم) في الآخرة (جنات) اى كل واحد منكم جنة ولا بعد من لطفه تعالى ان يدخله جنات بان يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة في اللغة البستان الذى فيه اشجار متكاثفة مظلة تستر ما تحتها (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها بمعنى تحت اغصان اشجارها في اصولها على عروقها او من تحت قصورها وغرفها (الانهار)

من

من اللبن والعسل والخمر والماء الصافى (ومساكن طيبة) اى ويدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهة كائنة (فى جنات عدن) اى اقامة وخلود بحيث لايخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن وهى جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشئ بعد تحرك ويستعمل فى الاستيطان يقال سكن فلان فى مكان كذا استوطنه واسم المكان مسكن فمن الاول يقال سكنت ومن الثانى يقال سكنته قال الراغب اصل الطيب مايستلذه الحواس وقوله ومساكن طيبة فى جنات عدن اى طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم طيبتها سعتها ودوام امرها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المساكن الطيبة فقال قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة مايأتى على ذلك كله قال فى الكبير اراد بالجنات البساتين التى يتناولها الناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين ويكون فائدة وصفها بانها عدن انها تجرى مجرى الدار التى يسكنها الانسان واما الجنات الاخر فهى جارية مجرى البساتين التى قد يذهب الانسان اليها لاجل التنزه وملاقاة الاحباب وفى بعض التفاسير تسمية دار الثواب كلها بالجنات التى هى بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العاملين من الناقصين والكاملين ولذلك اتى بجنات جمعا منكرا ثم اختلفوا فى عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الاعمال والعمال وروى عنه انها ثمان دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقال ابو الليث الجنان اربع كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذلك جنان اربع احداهن جنة الخلد والثانية جنة الفردوس والثالثة جنة المأوى والرابعة جنة عدن وابوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال له رضوان وقد البس الله عليه الرأفة والرحمة كما ان خازن النار مالك قد البس الله عليه الغضب والهيبة وميل الامام الغزالى رحمه الله الى كون الجنان اربعا فلعل الجنات فى الآية باعتبار الافراد لا باعتبار الاسماء وما يستفاد من قلتها بحسب ان الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فى الوجود الانسانى اربع جنان فالغالب فى الجنة الاولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الاكل والشرب والوقاع وفى الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات وفى الثالثة التلذذ بالاذواق الروحانية كالمعارف الالهية وفى الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك اعلى اللذات لانها من الخالق وغيرها من المخلوق ان قلت لم لم تذكر ابواب الجنة فى القرآن انها ثمانية كما ذكرت ابواب النار كما قال تعالى لها سبعة ابواب قلت ان الله سبحانه انما يذكر من اوصاف الجنة مافيه تشويق اليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس فى ان كانت ثمانية او اكثر من ذلك او اقل زيادة فى معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحد او من الف باب لكان ذلك سواء فى حكم السرور بالدخول ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة اذ لا ترغيب فى ان يخبر عن اهل الجنة انهم عند فلان من الملائكة او فى كرامة فلان وقد قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولا شك ان من حدثت عنه انه عند الملك يسقيه ابلغ فى الكرامة من ان يقال هو عند خادم من خدام الملك او فى كرامة ولى من اوليائه بخلاف ذكر ابواب النار وذكر مالك خازنها فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره اطيب المساكن ما ازال عنهم جميع الاحزان واقر اعينهم بمجاورته فهذا الجوار فوق سائر الجوار وقال بعضهم ومساكن طيبة برؤية الحق تعالى فان المساكن انما تطيب بملاقاة الاحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب الى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب انما تطيب بتجلى الحق ولقاء جماله جعلنا الله واياكم من اهل الوصول واللقاء والبقاء (ذلك) اى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات المذكورة بماذكر من الاوصاف الجميلة (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه قال بعض المفسرين الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والاول يحصل بالمغفرة والثانى بادخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار انه نجاة لالم بعده وظفر لانقصان فيه شانا وزمانا ومكانا لانه فى غاية الكمال على الدوام فى مقام النعيم

اعلم ان الآية الكريمة افادت ان التجارة دنيوية واخروية فالدنيا موسم التجار والعمر مدتها والاحياء والقوى رأس المال والعبد هو المشترى من وجه والبائع من وجه فمن صرفهم رأس ماله الى المنافع الدنيوية التى تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة وان كان بتحصيل علم دينى او كسب عمل صالح فضلا عن غيرهما فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ومن صرفه الى المقاصد الاخروية التى لا تنقطع ابدا فتجارته رابحة حرية بان يقال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس فى سبيل الله وذكر الايمان لكونه اصلا فى الاعمال ووسيلة فى قبول الاعمال وتوصيف التجارة بالانجاء لان النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى يغفر لكم بيان سبب الانجاء وقوله ويدخلكم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة مع ان التجارة الدنيوية تكون سببا للنجاة من الفقر المنقطع والتجارة الاخروية تكون سببا للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ يعنى ان نعمتى الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغى ان يعامل الله بالايمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح (قال الحافظ)

كارى كنيم ورنه بحالت برآورد * روزى كه رخت جان بجهان دگر كشيم (وقال ايضا)

كوهر معرفت اندوزكه باخود ببرى * كه نصيب دگرانست نصاب زر وسيم (وقال ايضا)

دلا دلالت خيرت كنم براه نجات * مكن بفسق مباهات وزهدهم مفروش (وقال المولى الجامى)

از كسب معارف شده مشغوف زنارف * درهاى ثمين داده وخرمهره خريده (وقال)

جان فداى دوست كن بهاى كه هست * كمترين كارى درين ره بذل روح

(واخرى) اى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة فاخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف (نصر من الله) بدل او بيان لتلك النعمة الاخرى يعنى نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم (وفتح قريب) اى عاجل عطف على نصر (قال الكاشفى) مراد فتح مكه است يا فتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد وقد بين انواع الفتوح فى سورة الفتح فارجع اشارت الآية الى ان الايمان الاستدلالى اليقينى وبذل المال والنفس بمقتضاه فى طريق الجهاد الاصغر وان كان تجارة رابحة الا ان اصحابها لم يتخلصوا بعد عن الاعواض والاغراض فلا سالك الى طريق الجهاد الاكبر تجارة اخرى فوق تلك التجارة هى اربح من الاولى هى نصر من الله بالتأييد الملكوتى والكشف النورى وفتح قريب الوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضى وانما سماه التجارة لان صفاتهم الظلمانية تبدل هنالك بصفات الله النورانية وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول الى هذا المقام فقد دخل فى اول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة واهله عبيد خلص لا يتوقعون الاجرة بعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فانهم اجراء يعملون للاجرة قال بعض العارفين من عبد الله رجاء الثواب وخوفا من العقاب فعبوده فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالعبادة لاجل ثم النفس فى الجنة والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومى قدس سره

هشت بهشت هفت دوزخ پيش من * هست پيدا هيچ بوبت پيش شمن (وقال بعضهم)

طاعت از بهر جزا مشرك خفيست * ياخدا جو باش وياعبى طلب

واعلم ان من جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يتخلص من العذاب فيصل الى الملك الوهاب (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشرهم يا اكمل الرسل بانواع البشارة الدنيوية والاخروية فلهم من الله فضل واحسان فى الدارين وكان فى هذا دلالة على صدق النبى لانه اخبر عما يحصل ويقع فى المستقبل من الايام على ما اخبره وفى التأويلات النجمية يشير الى تواتر النعم وتوالى الفتوح فتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس وفتح مكة القلب انتهى وفيه اشارة الى ان بلدة النفس انما تخرب بعد التأييد الملكوتى وامداد جنود الروح بان تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب اهل الاسلام على اهل الحرب فيضعون السلاح

من ايدى الكفار ويزيلون آثارهم الكفر والشرك بجعلها للكنائس ومساجد وبيوت الاصنام معابد ومساكن الكفار مقام المؤمنين المخلصين عليه اللعنة على الفتح المطلق كل حين (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اى انصار دينه جمع نصير كشعر يشعر واشراف (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) سيأتى بيانهم (من) كيستند (انصارى الى الله) قال بعض المفسرين من يحتمل ان يكون استفهاما حقيقة ليعلم وجود الانصار و يتسلى به و يحتمل العرض والحث على النصرة وفيه دلالة على ان غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وانه فى وقته جائز حسن اذا كان لله والمعنى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن انصار الله) فان قول عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قول عيسى يدل على انه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بانهم ينصرون الله وايضا الاوجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لان النصرة لا تتعدى بالى فحمل الانصار على الجند لانهم ينصرون ملكهم و يعينونه فى مراده ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه و يعينه فى ذلك المراد و يشاركه فيه فقوله متوجها حال من ياء المتكلم فى جندى والى متعلق به لا بالنصرة والاضافة الاولى لصناعة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعنى الملابسة المصححة للاضافة المجازية لظهور ان الاختصاص الذى تقتضيه الاضافة حقيقة غير متحقق فى اضافة انصارى والاضافة الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله اوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين انصياء وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا قال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فأت النهر الذى عليه القصارون فاسألهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن نتصرك فصدقوه ونصروه (وقال الكاشفى) وفى الواقعة نصرت كردند دين عيسى را بعد از رفع وى وخلق را بخداى دعوت نمودند فالحواريون كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين قال بعض العلماء انما سموا حواريين لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين اولانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وانما قيل كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وتوجههم الى الحق وقوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحوارى وقوله يوم الاحزاب من يأتينى بخبر القوم فقال الزبير انا فقال عليه السلام ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير فشبهه بهم فى النصرة وقال بعض المفسرين دل الحديث ان الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى اذهو فى معنى الاصحاب للانبياء وقال معمر رضى الله عنه كان يحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طلبتهم وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلى كونوا انصار الله فكانوا انصارا لو كانوا حواريين والانصار الاوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الاسلام حتى سماهم الله به وكان له عليه السلام حواريون ايضا من قريش مثل الخلفاء الاربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابى طالب ونحوهم (فآمنت طائفة) اى جماعة وهى اقل من الفرقة لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (من بنى اسرائيل) اى آمنوا بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) اخرى به وقاتلوه (فايدنا الذين آمنوا) اى قويناهم مؤمنى قومه بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى (على عدوهم) اى على الذين كفروا وهو الظاهر فيراد العدو اعلام منه ان الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية وقيل لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم (فاصبحوا) صاروا (ظاهرين) غالبين عالين يقال ظهرت على الحائط علوته وقال قتادة فاصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كما سبق لانهم قالوا فيما روى اليستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وانه يأكل ويشرب والله منزه عن ذلك وفى الآية اشارة الى غلبة القوى الروحانية

على القوى النفسانية لان القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الاكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة ولاشك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الاسلام والايمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع ان اهل الايمان وان كانوا اقل من اهل الكفر فى الظاهر لكنهم اكثر منهم فى الباطن فهم السواد الاعظم والمظاهر الجمالية واعلم ان الجهاد دائم باق ماض الى يوم القيامة انفساوآفاقا لان الدنيا مشتملة على اهل الجمال والجلال وكذا الوجود الانسانى مادام فى هذا الموطن فاذا صار الى الموطن الآخر فاما اهل جمال فقط وهو فى الجنة واما اهل جلال فقط وهو فى النار والله يحفظنا واياكم

تمت سورة الصف بعون الله تعالى فى اواسط ذى الحجة من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض) جميع من حى وجامد تسبيحات مستمرة فما فى السموات هى البدائع العلوية وما فى الارض هى الكوائن السفلية فلكل نسبة الى الله تعالى بالحياة والتسبيح (الملك) بادشاهى كه ملك اوداعمست وبى زوال (القدوس) بالذات منزه عيب وصفت اختلال (العزيز) الغالب على كل ما اراد (الحكيم) صاحب الحكمة البديعة البالغة وقد سبق معانى هذه الاسماء فى سورة الحشر والجمهور على جر الملك وما بعده على انها صفات لاسم الله عز وجل يقول الفقير بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة اذ اخلاء العالم من المرشد مناف للحكمة ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم ابناء الله واحباءه ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية يعنى ينزه ذاته المقدسة ما فى سموات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات اخص الخاصة وما فى ارض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات اخص الخاصة وانما اضفنا السموات الى المفهوم واضفنا الارض الى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ويدل على ذلك اصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب قوة العلم وهو العزيز الذى يعز من يشاء بخلعة نور الفهم والحكيم الذى يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم (هو الذى بعث فى الاميين) جمع امى منسوب الى امة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع الى اسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع الى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة والمشهور عند اهل التفسير ان الامى من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند اهل الفقه من لا يعلم شيأ من القرآن كانه بقى على ما تعلمه من امه من الكلام الذى يتعلمه الانسان بالضرورة عند المعاشرة والنبى الامى منسوب الى الامة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامى لكونه على عادة العامة وقيل سمى بذلك لانه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله سنقرئك فلا تنسى وقيل سمى بذلك لنسبته الى ام القرى وفى كشف الاسرار سمى العرب اميين لانهم كانوا على نعت امهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب نسبوا الى ما ولدوا عليه من امهاتهم لان الخط والقراءة والتعليم دون ما جبل الخلق عليه ومن يحسن الكتابة من العرب فانه ايضا امى لانه لم يكن لهم فى الاصل خط ولا كتابة قيل بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف واهل الطائف من اهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب الكوفة واهل الحيرة اخذوها من اهل الانبار وهى مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن فى اصحاب رسول الله عليه السلام كاتب الا حنظلة الذى يقال له غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط فى الصحابة بعد فى معاوية بن ابى سفيان وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب ايضا غيرهما واختلفوا فى رسول الله عليه السلام انه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره اولا لعلمائنا فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت لا آلة جسمانية لم يحتج اليه من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ معجفه ومنظره وعدم كتابته من عليه بها معجزة باهرة له عليه السلام اذ كان يعلم الكتاب علم الخط واهل الحرف حرفتهم وكان اعلم بكل كمال

اخرى

اخروى اودنيوى من اهله ومعنى الآية هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولايقرؤن من بين الامم فغلبهم الاكثر وانما قلنا اكثرهم لانه كان فيهم من يكتب ويقرأ وان كانوا على قلة (رسولا) كائنا (منهم) اى من جملتهم ونسبهم عربيا اميا مثلهم تارسالت آواز تهمت دور باشد فوجه الامتنان مشاكلة حاله لاحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه واحواله ودركتاب شعيا عليه السلام مذكورست كه انى ابعث اميا فى الاميين واختم به النبيين (قال الكاشفى) ودرراميت آن حضرت عليه السلام نكتهاست اينجا بسه بيت اختصار ميرود * فيض ام الكتاب پروردش * لقب امى ازان خدا كردش * لوح تعليم نا كرفته ببر * همه زاسرار لوح داده خبر * برخط اوست انس وجانرا سر * كه نخواندست خط ازان چه خطر * والبعث فى الاميين لاينافى عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لاسقاط ما لوسلم فلا يعارض المنطوق مثل قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس على انه فرق بين البعث فى الاميين والبعث الى الاميين فبطل احتجاج اهل الكتاب بهذه الآية على انه عليه السلام كان رسول الله الى العرب خاصة وردالله بذلك ما قال اليهود للعرب طعنا فيه نحن اهل الكتاب وانتم اميون لاكتاب لكم (يتلوعليهم آياته) اى القرآن مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قرآءة ولاتعلم والفرق بين التلاوة والقرآءة ان التلاوة قرآءة القرآن متتابعة كالدراسة والاوراد الموظفة والقرآءة اعم لانها جمع الحروف باللفظ لاتباعها (ويزكيهم) صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلوا ى يحملهم على مايصيرون به ازكيا من خبائث العقائد والاعمال وفيه اشارة الى قاعدة التسليك فان المزكى فى الحقيقة وان كان هو الله تعالى كما قال بل الله يزكى من يشاء الا ان الانسان الكامل مظهر الصفات الالهية جميعا ويؤيد هذا المعنى اطلاق نحو قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال فى الارشاد صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى وقال بعضهم ويعلمهم القرآن والشريعة وهى ما شرع الله لعباده من الاحكام اولفظه ومعناه اوالقرآن والسنة كما قاله الحسن اوالكتاب الخط كما قاله ابن عباس اوالخير والشر كما قاله ابن اسحق والحكمة الفقه كما قاله مالك اوالعظة كما قاله الاعمش اوكتاب احكام الشريعة واسرار آداب الطريقة وحاصل معانيه الحكمية والحكمية ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص باولى الفهم وهم خواص الاصحاب رضى الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم الى قيام الساعة لكن معلم الصحابة عموما وخصوصا هو النبى عليه السلام بلاواسطة ومعلم التابعين قرنا بعد قرن هو عليه السلام ايضا لكن بواسطة ورثة استه وكل اهل دينه وملته ولولم يكن سوى هذا التعليم معجزة لكفاه قال البوصيرى فى القصيدة البردية

كفالك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

اى كفالك العلم الكائن فى الامى فى وقت الجاهلية وكفالك ايضا تنبيهه على الآداب لعلمها فى وقت اليتم معجزة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان ليست شرطية ولانافية بل هى المخففة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشان كان الاميون من قبل بعثته ومجيئه لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لاترى ضلالا اعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال قبل البعثة زال توهم انه تعلم ذلك من احد منهم قال سعدى المفتى والظاهر ان نسبة الكون فى الضلال الى الجميع من باب التغليب والا فقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام فى كل منهم يبعث امة وحده يقول الفقير هو اعتراض على معنى الازاحة المذكورة لكنه ليس بشئ فان اهتداء من ذكره من نحو ورقة انما كان فى باب التوحيد فقط فقد كانوا فى ضلال من الشرائع والاحكام الاترى الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى مع انه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولا غيره من شرب الخمر والزمر واللغو واللهو

فكونهم مهتدين من وجه لا ينافي كونهم ضالين من وجه آخر دل على هذا المعنى قوله تعالى يتلو عليهم الخ فان بالتلاوة وتعليم الاحكام والشرائع حصل تزكية النفس والخلاص من الضلال مطلقا فاعرفه (وآخرين منهم) جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الاميين اى يبعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين اى وآخرين كائنين منهم مثلهم فى العربية والامية وان كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقا بآخرين (قال الكاشفى) اصح اقوال آنست كه هركه باسلام درآمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرت عليه السلام همه درين آخرين داخلند فيكون شاملا لكل من اسلم وعمل صالحا الى يوم القيامة من عربى وعجمى وفى الحديث (ان فى اصلاب رجال من امتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب) ثم تلا الآية (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين اى لم يلحقوا بالاميين بعد ولم يكونوا فى زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عربا وعجما وذلك لما ان سنى لما لابد ان يكون مستمر النفى الى الحال وان يكون متوقع الثبوت بخلاف منفى لم فانه يحتمل الاتصال نحو ولما اكن بدعائك رب شقيا والانقطاع مثل لم يكن شيأ مذكورا ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون روى سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال رأيتنى اسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابابكر فقال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام كذلك اولها الملك يعنى جبرائيل عليه السلام يقال شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم فى الفضل والمسابقة لان التابعين لا يدركون شيأ مع الصحابة وكذلك العجم مع العرب ومن شرائط الدين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفى الآية دليل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول نفسه وبلاغه حجة لاهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة ولذلك تمكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم (الحكيم) المبالغ فى الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى استأثر به من بين سائر الافراد وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية لا تأثير للاسباب فيه فكان الكرم منه صرفا لا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفى كشف الاسرار والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بارسال محمد اليهم وتوفيقهم لما يعتقه انتهى يقول الفقير وايضا والله ذو الفضل العظيم على اهل الاستعداد من امة محمد بارسال ورثة محمد فى كل عصر اليهم وتوفيقهم للعمل بموجب اشاراتهم ولولا اهل الارشاد والدلالة لبقى الناس كالعميان لا يدرون اين يذهبون وانما كان هذا الفضل عظيما لان غايته الوصول الى الله المعظيم وقال بعض الكبار والله ذو الفضل العظيم اذ جميع الفضائل الاسمائية تحت الاسم الاعظم وهو جامع احدية جميع الاسماء وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور فقال قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوها وقالها الاغنياء فقيل انهم شاركونا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفى بعض الروايات اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان انفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها (قال الشيخ سعدى قدس سره)

بقنطار زر بخش كردن زكنج * نباشد چو قيراطى از دست رنج

(مثل الذين حملوا التوراة) اى علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة (ثم لم يحملوها) اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات الق من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قراءتها (كمثل الحمار) الكاف فيه زائدة كما فى الكوانبى والحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم هو اكفر من الحمار اى اجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التصغير والاهانة وغاية التهكم والتوبيخ بالبلادة اذ الحمار يذكر بها والبقر وان كان مشهورا بالبلادة الا انه لا يلام الجمل

تعلم يا فتى فالجهل عار * ولا يرضى به الاحمار

(يحمل اسفارا) اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحصل اما حال والعامل فيها معنى المثل

او صفة للحمار اذ ليس المراد معينا فان المعرف بلام العهد الذهنى فى حكم النكرة كما فى قول من قال
ولقد امر على اللئيم يسبنى والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر واشبار قال الراغب السفر الكتاب
الذى يسفر عن الحقائق اى يكشف وخص لفظ الاسفار فى الآية تنبيها على ان التوراة وان كانت تكشف
عن معانيها اذا قرئت وتحقق ما فيها فالجاهل لا يكاد يستبينها كالحمار الحامل لها وفى القاموس السفر الكتاب
الكبير او جزء من اجزاء التوراة وفى هذا تنبيه من الله على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه
ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء (قال الشيخ سعدى) مراد از نزول قرآن تحصيل سيرت خوبست
نه ترتيل سورة مكتوب * علم چندانكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * نه محقق بود
نه دانشمند * چار پايى بر و كتابى چند * آن تهى مغز را چه علم وخبر * كه بر و هيزمست و يا دفتر *
(وقال الكاشفى) كفت ايزد يحمل اسفاره * بار باشد علم كان نبود زهو * علماء اهل دل حاملشان *
علماء اهل تن احالشان * علم چون بر دل زند يارى بود * علم چون بر كل زند بارى بود *
چون بدل خوانى زحق كيرى سبق * چون بكل خوانى سيه سازى ورق * وفى التأويلات النجمية
يعنى مثل يهود النفس فى حمل توراة العلم والمعرفة بعصمة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه واحكامه كمثل حمار
البدن فى حمله اثقال الامتعة النفيسة والاغشية الشريفة والملابس الفاخرة والطيالس الناعمة فكما ان حمار
البدن لا يعرفها ولا يعرف شرفها ولا كرامتها كذلك يهود النفس لا تعرف رفعة رسول القلب ولا رتبته
ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء انه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا اليه واجلسوه فى مكان نازل ثم انه خرج
واستعار البسة نفيسة وعاد الى المجلس فلما رأوه على زى الاكابر عظموه واجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام
قال ذلك الظريف خطابا لكمه كل وآلكم لا يدرى ما الطعام وما اللذة لكن نظر اهل الصورة محصور على الظاهر
لا يرون الفضل الا بالزخارف والزين فما ابعد هؤلاء عن ادراك المعانى والحقائق (بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر
والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد
عليه السلام (والله لا يهدى القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق او الظالمين لانفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود
وتظائرهم وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت
الحمير فصوت الجاهل والمدعى منكر كصوت الحمار واضل وانزل فهو وضار محض وفى الحمار نفع لانه يحمل الاثقال
ويركبه النساء والرجال وقد قال فى حياة الحيوان ان اتخذ شاتم من حافر الحمار الاهلى وابسه المصروع لم يصرع
ثم ان فى الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهى من الصفات الطبيعية البهيمية فمن ابدلها بالعفة
نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغير العاملين ان اعينهم تدور على نظر الحرام ومع مالهم
من النكاح يتجاوزون الى الزنى لعدم اصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فان الشريعة اقوالهم لا اعمالهم
واحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة (قل يا ايها الذين هادوا)
من هاد يهود اذا تهود اى تهودوا والتهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية ايشان كه جهود
شديد وازراه راست بكبيتيد فان المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين اى مالوا عن الاسلام والحق
الى اليهودية وهى من الاديان الباطلة كما سبق قال الراغب الهود الرجوع برفق وصار فى التعارف التوبة
قال بعضهم يهود فى الاصل من قولهم انا هدنا اليك اى تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم
لازما لهم وان لم يكن فيه معنى المدح كما ان النصارى فى الاصل من قولهم نحن انصار الله ثم صار لازما لهم
بعد نسخ شريعتهم ثم ان الله تعالى خاطب الكفار فى اكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لانهم ادخلوا
الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهى الاصنام واما المؤمنون فان الله تعالى خاطبهم فى اغلب المواضع بلا واسطة
مثل يا ايها الذين آمنوا لانهم اسقطوا الوسائط فاسقط الله بينه وبينهم الواسطات (ان زعمتم) الزعم هو القول
بلا دليل والقول بان الشئ على صفة كذا قولا غير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما وفى القاموس الزعم مثلثة
القول الحق والباطل والكذب ضد وأكثر ما يقال فيما يشك فيه انتهى فيبطل ما قال بعضهم من ان الزعم بالضم

بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل قال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء
فى القرءآن فى كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب
(انكم اولياء لله) جمع ولى بمعنى الحبيب (من دون الناس) صفة اولياء اى من دون الاميين وغيرهم ممن ليس
من بنى اسرآئيل وقال بعضهم من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون نحن ابناء الله
واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله
عليه السلام بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) اى فتمنوا من الله ان يميتكم من دار
البلية الى دار الكرامة وقولوا اللهم امتنا والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها وبالفارسية آرزو خواستن
قال بعضهم الفرق بين التمنى والاشتهاء ان التمنى اعم من الاشتهاء لانه يكون فى الممتنعات دون الاشتهاء
(ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا
الموت فان من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ولا يصل اليها
احد الا بالموت قال البقلى جرب الله المدعين فى محبته بالموت وافرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم
من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين ههنا من كذب الكاذبين اذ الصادق يختار اللحوق اليه
والكاذب يفر منه قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن ابغض لقاء الله ابغض الله لقاءه
قال الجنيد قدس سره المحب يكون مشتاقا الى مولاه ووفاته احب اليه من البقاء اذ علم ان فيه الرجوع
الى مولاه فهو يتمنى الموت ابدا (ولا يتمنونه ابدا) اخبار بما سيكون منهم وابدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول
لا بمعنى مطلق الزمان والمراد به ما داموا فى الدنيا وفى البقرة ولن يتمنوه لان دعواهم فى هذه السورة بالغة
قاطعة وهى كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ فى الرد عليهم بلن وهو ابلغ الفاظ النفى ودعواهم فى الجمعة
قاصرة مترددة وهى زعمهم انهم اولياء لله فاقتصر على لا كما فى برهان القرءآن (بما قدمت ايديهم) الباء متعلقة
بما يدل عليه النفى اى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار نحو تحريف
احكام التوراة وتغيير النعت النبوى عليه السلام وهم يعرفون انهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصى
ولما كانت اليدين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة يعنى ان
الايدى هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها اليها فكانها هى (والله عليم بالظالمين) وضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم فى كل امورهم اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم
احد موته وفى الحديث (لا يتمنين احدكم الموت اما محسنا فان يعش يزدد خيرا فهو خير له واما مسيئا فلعله ان
يستعتب) اى يسترضى ربه بالتوبة والطاعة وما روى عن بعض ارباب المحبة من التمنى فلغاية محبتهم وعدم
صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام فى المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم فافلان ازمرك
مهلت خواستند * عاشقان كفتند نى نى زود باد فللتمنى اوقات واحوال يجوز باعتبار ولا يجوز بآخر اما الحال
فكما فى الاشتياق الغالب واما الوقت فكما اشار اليه قوله عليه السلام اللهم انى اسألك فعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين فاذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون روى انه عليه السلام قال فى حق
اليهود لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ثم ان الموت هو الفناء
عن الارادات النفسانية والاوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا فمن له صدق ارادة
وطلب يحب ان يموت عن نفسه ولا يبالى سقط على الموت ام سقط الموت عليه وان كان ذلك مرا فى الظاهر
لكنه حلو فى الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبى * چه خوش كفت يكروز دار وفروش *
شفا بايدت داروى تلخ نوش * واما من ليس له صدق ارادة وطلب فانه يهرب من المجاهدة مع النفس
ويشفق ان يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعى يقاسى من المرارات ما لا تفى ببيانه العبارات والله
الحفيظ (قل ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم
(فانه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه يعنى بكيرد شمارا وشربت آن بچشيد وفرار
سودى ندارد والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف اى باعتبار كون الموصوف بالموصول

فى حكم

في حكم الموصول اى ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم كان الفرار سبب لملاقاته وسرعة لحوقه اذ لا يجد الفار
بركة في عمره بل يفر الى جانب الموت فيلاقيه الموت ويستقبله وقد قيل اذا ادبر الامر كان العطب في الحيلة
(ثم) اى بعد الموت الاضطرارى الطبيعى (تردون) الرد صرف الشئ بذاته او بحالة من احواله يقال رددته
فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومن الرد الى حالة كان عليها قوله تعالى
يردوكم على ادباركم (الى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى عليه احوالكم اى ترجعون الى حيث لا حاكم ولا مالك
سواه وانما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار احوالهم الباطنة واعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام
تفسيره في سورة الحشر (فينبئكم) پس خبر دهد شما را (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى والفواحش
الظاهرة والباطنة بان يجازيكم بها وفي التأويلات النجمية يشير الى الموت الارادى الذى هو ترك الشهوات
ودفع المستلذات الذى تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن نهمتكم الربانية فانه ملاقيكم لا يفارقكم
ولكن لا تشعرون به لانهماككم في بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم في تيار مشتهياتكم الظلمانية فانكم
في لبس من خلق جديد ولا تزالون في الحشر والنشر كما قال وجاءهم الموج من كل مكان اى موج الموت في كل لذة
شهية ونعمة نعيمة ثم تردون الى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة
الطاعات والعبادات فينبئكم اى فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية او بالنية الفاسدة
النفسية انتهى وفيه اشارة الى انه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعى كذلك لا ينفع الفرار من الموت الارادى
لكن ينبغى للعاقل ان يتنبه لفنائه في كل آن ويختار الفناء حبا للبقاء مع الله الملك المنان اعلم ان الفرار الطبيعى
من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لان الخلاص منه عسير جدا الا للمشتاقين
الى لقاء الله تعالى حكى انه كان ملك من الملوك اراد ان يسير في الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب
غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى اتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس
فنفخ في منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم
يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر
حتى انزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته قال اذكرها قال هو سر فدنا اليه فساره وقال انا ملك الموت
فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى ارجع الى اهلى واقضى حاجتى فاودعهم قال لا والله لا ترى
اهلك ومالك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم فرد عليه السلام
فقال ان لى اليك حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته
فوالله ما كان في الارض غائب احب الى ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال
ما لى حاجة اكبر عندى ولا احب من لقاء الله قال فاختر على اى حالة شئت ان اقبض روحك فقال تقدر
على ذلك قال نعم انى امرت بذلك قال فدعنى حتى اتوضأ واصلى فاقبض روحى وانا ساجد فقبض روحه وهو
ساجد (وفي المثنوى) پس رجال از نقل عالم شادمان * وز بقا اش شادمان اين كودكان * چونكه
آب خوش نديد آن مرغ كور * پيش او كوثر نمايد آب شور * واما الفرار العقلى بمعنى استكراهه
الموت او بمعنى الانتقال من مكان الى مكان فالاول منهما ان كان من الانهماك في حظوظ الدنيا فمذموم وان كان
من خوف الموقف فصاحبه معذور كما حكى ان سليمان الدارانى قدس سره قال قلت لامى اتحبين الموت قالت لا
قلت لم قالت لانى لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه رجاء
الاستعداد لما بعد الموت واما الثانى منهما فغير موجه عقلا ونقلا اذ المشاهدة تشهد ان لا مخلص من الموت
فاينما كان العبد فهو يدرك واما الفرار من بعض الاسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل
المفرط في الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام الى غير ذلك فالظاهر انه معذور فيه بل مأمور
واما الفرار من الطاعون فما يرجحه العقل والنقل عدم جوازه اما العقل فما قاله الامام الغزالى رحمه الله
من ان سبب الوباء في الطب الهواء المضر واظهر طرق التداوى الفرار من المضر ولا خلاف انه غير منهى عنه
الا ان الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة
وصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد

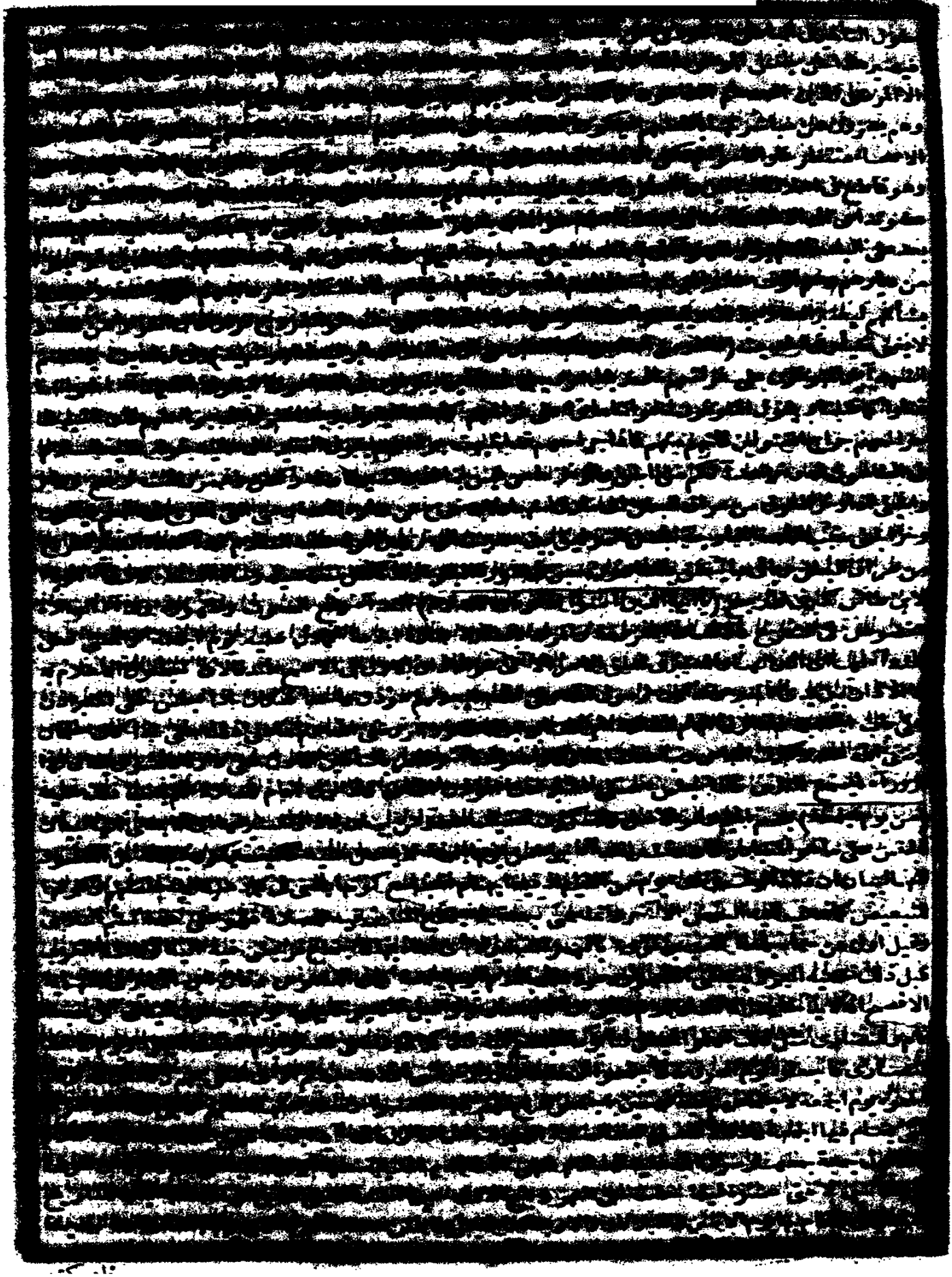

فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادي لهم فاتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا فخطب وصلى الجمعة وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وان يأمره بتقوى الله واحذر ما حذركم الله من نفسه فان تقوى من عمل به ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكون له ذكرا عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان عما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذي صدق قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم في كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فان من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انتهت الخطبة النبوية ثم ان هذه الآية رد لليهود في طعنهم للعرب وقولهم لنا السبت ولا سبت لكم (فاسعوا الى ذكر الله) قال الراغب السعي المشي السريع وهو دون العدو اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما في الكشاف وبالفارسية رغبت كنيد بدان وسعي نمايند دران وعن الحسن رحمه الله اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار واقصد ذكر الزمخشري في الابتكار قولا وافيا حيث قال وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اي مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وفي الحديث (اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فاذا خرج الامام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة وفي عبارة السعي اشارة الى النهي عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس ونعمة وفي الحديث (اذا اذن المؤذن اي في الاوقات الخمسة ادبر الشيطان وله حصاص وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن ابي النجود ما الحصاص قال اما رأيت الحمار اذا اصر باذنيه اي ضمهما الى رأسه ومصع بذنبه اي حركه وضرب به وعدا اي اسرع في المشي فذلك حصاصه وفيه اشارة الى ان ترك السعي من فعل الشيطان وهذا بالنسبة الى غير المريض والاعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فانهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين اي لا سعي من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى فاسعوا واما النسوان فهن امرن بالقرار في البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادي العوام في قضاء الحوائج في الجمعات والخواص في السعي الى ذكره لعلمهم بان المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم الذكر عند المذكور حجاب والسعي الى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل القربة اليه والدنو منه واما المحقق في المعرفة فقد غلب عليه ذكر الله اياه بنعت تجلي نفسه لقلبه (وذروا البيع) يقال فلان يذر الشيء اي يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر اي اتركوا المعاملة

فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقا كالشرآء والاجارة والمضاربة وغيرها ويجوز ابقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة وقال بعضهم النهى عن البيع يتضمن النهى عن الشرآء لانهما متضايفان لا يعقلان الا معا فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر واراد الامر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع والشرآء من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فاذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشرآء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لاشئ انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه مقارب (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين روى انه عليه السلام خطب فقال ان الله افترض عليكم الجمعة فى يومى هذا وفى مقامى هذا فمن تركها فى حياتى وبعد مماتى وله امام عادل او جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه (فاذا قضيت الصلاة) التى نوديتم لها اى اديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالحكم والتصرف فى حوآيجكم اى تفرقوا فيها بان يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوآيج المشروعة التى لابد من تحصيلها للمعيشة فان قلت مامعنى هذا الامر فانه لو لبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب ان هذا امر الرخصة لا امر العزيمة اى لا جناح عليكم فى الانتشار بعد ما اديتم حق الصلاة (وابتغوا من فضل الله) اى الربح يعنى اطلبوا لانفسكم واهليكم من الرزق الحلال باى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل على هذا المعنى سبب نزول قوله واذا رأوا تجارة الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لا للايجاب كقوله واذا حللتم فاصطادوا وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لما روى انه عليه السلام قال طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة وقيل انه للندب فعن سعيد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشئ وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم (كما قال الكاشفى) وكفته اند انتشار هم در زمين مسجد ست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران وقيل صلاة التطوع والظاهر ان مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولاشك فى اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا عند الاضطرار (واذكروا الله) بالجنان واللسان جميعا (كثيرا) اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان الانسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل ما فى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على اهل العالم الاصغر ان يذكروا الله تعالى بعدد اذكار اهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الاجمال والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان ان يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت نعم اذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال ابو يزيد البسطامى قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار مايسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له على انا نقول قول عثمان ان ابابكر وعمر الخ كلام اى كلام فى باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة وهذا مما لا يتنبه له احد والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذى امر بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لا يجامع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلاة امر به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته فى جميع ما تأتونه وتذرونه (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين الحاصل ذكر وى موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا

وآخر

وآخر تست * ازذكر خدا مباش يكدم غافل * كزذكر بود خير دوعالم حاصل * ذكراست كه اهل شوق رادرهمه حال * آسايش جان باشدوآرامش دل * وفى التأويلات النجمية اذا حصلت لكم يا اهل كمال الايمان الذوقى العيانى صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا فى ارض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاسترواح بالروائح الفايحة والمراتعة فى المراتع الارضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروانعم الله عليكم الظاهرة من الغناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بارشاد الطالبين الصادقين المتوجهين الى الله بالروح الصافى والقلب الوافى قال فى الاشباه والنظائر اختص يوم الجمعة باحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الامام والخطبة لها وكونها قبلها شرطا وقرآءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الاحسن وتقليم الاظفار وحلق الشعر ولكن بعدها افضل والبكور فى المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب ولا يسن الايراد بها ويكره افراده بالصوم وافراد ليلته بالقيام وقرآءة الكهف فيه ونفى كراهة النافلة وقت الاستواء على قول ابى يوسف المصحح المعتمد وهو خير ايام الاسبوع ويوم عيد وفيه ساعة اجابة وتجتمع فيه الارواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه اوفى ليلته امن من فتنة القبر وعذابه ولا تسجر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه اخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزور اهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى واذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لان حج الوداع كان كذلك ذكره فى عقد الدرر واللآلى (واذا رأوا) اى علموا (تجارة) هى تجارة دحية بن خليفة الكلبى (او) سمعوا (لهوا) هو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال الهى عن كذا اذا شغله عما هواهم والمراد هنا صوت الطبل ويقال له اللهو والغليظ وكان دحية اذا قدم ضرب الطبل ليعلم به (كما قال الكاشفى) وكاروان چون رسيدى طبل شادى زدندى كما يرى اصحاب السفينة فى زماننا البنادق وما يقال له بالتركى طوپ اوكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها اى اهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهو المراد باللهو (انفضوا اليها) الفض كسر الشئ وتفريق بين بعضه وبعضه كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم اى تفرقوا وانتشروا كما فى تاج المصادر الانفضاض شكسته شدن وپراكنده شدن وحد الضمير لان العطف باو لا يثنى معه الضمير وكان المناسب ارجاعه الى احد الشيئين من غير تعيين الان تخصيص التجارة برد الكناية اليها لانها المقصودة او للدلالة على ان الانفضاض اليها مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه ويجوز ان يكون الترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فاذا كان الطبل من اللهو وان كان غليظا فما ظنك بالمزمار ونحوه وقد يقال الضمير للرؤية المدلول عليها بقوله رأوا وقرئ اليهما على ان او للتقسيم روى ان دحية بن خليفة الكلبى قدم الى المدينة بتجارة من الشأم وكان ذلك قبل اسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه من برود دقيق وزيت وغيرها والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم اهل المسجد ذلك قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه يعنى تا بيشى كيرند از يكديكر بخريدن طعام فما بقى معه عليه السلام الا ثمانية او احد عشر او اثنا عشر او اربعون فيهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود وفى رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله وذكر مسلم ان جابرا كان فيهم وكان منهم ايضا امرأة فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وفى عين المعانى لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة (وتركوك) حال كونك (قائما) اى على المنبر روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة فى الخطبة ذلك وفيه اشعار بان الاحسن فى الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وان جاز القعود لانه والخطبة من واد واحد لاشتمالها على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستقرا فى ذكر الله تعالى ثم لما اراد التنزل لارشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته

بعلة الحكم اى لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فان الشهادة وضعت للاخبار الذى طابق فيه اللسان اعتقاد القلب واطلاقها على الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك لمن يقول انا اقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة الى قرآءته لا بالنسبة الى المقروء الذى هو الحمد لله رب العالمين ومن هنا يقال ان من استهزأ بالمؤذن لا يكفر بخلاف من استهزأ بالاذان فانه يكفر قال بعضهم الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهى الاخبار بما علمه بلفظ خاص ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم الخ دلت الآية على ان العبرة بالقلب والاخلاص و بخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الاسلام واما حكم الزنديق فى الشرع وهو الذى يظهر الاسلام و يسر الكفر فانه يستتاب و تقبل توبته ولا تقبل عند ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله قال سهل رحمه الله اقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه واقر بلسانه ولم يعمل باركانه ما فرض الله من غير عذر ولا جهل كان كابليس وسئل من حذيفة من المنافق قال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لانهم كانوا يومئذ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفى الآية اشارة الى ان المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وان كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور انوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون فى شهادتهم لاعراضهم عنه عليه السلام ومتابعته واقبالهم على الدنيا وشهواتها فحقيقة الشهادة انما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة اهل الدنيا عند ورثة الرسول قال الحسن البصرى رحمه الله يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لا تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال او كلها لا ينفع كما فى احياء العلوم ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر المرء مع من احب فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى انتهى فاذا كانت المحبة المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذى هو هدم الاس والاصل و بناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله وفى التأويلات النجمية المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان والاستعداد العارضى الذى حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانما هم كاذبون فى شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله و يعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لا تمكن الا بعد معرفة الله و بقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلم حقيقة الامن انسلخ عن عمله وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم وقد اطفأوا نور استعداداتهم بالغواشى البدنية والهيئات الظلمانية فانى يعرفون رسول الله حتى يشهد وا برسالته انتهى قال الشيخ ابو العباس معرفة الولى اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب (اتخذوا) اى المنافقون (ايمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد و به استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين واليمين فى الحلف مستعار من اليمين التى بمعنى اليد اعتبارا بما يفعله الحالف والمعاهد عنده واليمين بالله الصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبى عليه السلام كقوله والله والذى نفسى بيده ولكن اذا لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال (جنة) اى وقاية وترسا مما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليطلقوا بها او يتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سبيلها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله (فصدوا عن سبيل الله) يقال صده عن الامر صدا اى منعه وصرفه وصد عنه صدودا اى اعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من اراد الدخول فى الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل واصل الجن ستر الشئ عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والجن والجنة الترس الذى يجن صاحبه والجنة كل بستان ذى شجر يستر باشجاره الارض (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى ساء الشئ الذى كانوا يعملونه من النفاق

والصدوالاعراض عن سبيله تعالى وفى سماء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) القول الشاهد بانهم اسوء الناس اعمالا وبالفارسية اين حكم حق بيدئ اعمال ايشان (بانهم) اى بسبب انهم (آمنوا) اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل الاسلام (ثم كفروا) اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخى اوكفروا سرا ثم للاستبعاد ويجوز ان يراد بهذه الآية اهل الردة منهم كما فى الكشاف (فطبع على قلوبهم) ختم عليها يعنى مهرنهاده شد حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لا يدخلها الايمان جزآ على نفاقهم ومعاقبة على سوء افعالهم فليس لهم ان يقولوا ان الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع ان يصور الشئ بصورة تما كطبع السكة وطبع الدراهم وهو اعم من الختم واخص من النقش كما فى المفردات (فهم لا يفقهون) حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا كما يعرفه المؤمنون والفقه لغة الفهم واصطلاحا علم الشريعة لانه الاصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وان كان سائر العلوم ايضا لا ينال الا بالفهم دل الكلام على ان ذكر بعض مساوى العاصى عند احتمال الفائدة لا يعد من الغيبة المنهى عنها بل قد يكون مصلحة مهمة على ما روى عنه عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته وقال القاشانى ذلك بسبب انهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا اى ستروا ذلك النور بحجب الرذآئل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لا يفهمون معنى الرسالة ولا علم التوحيد والدين (واذا رأيتهم) وچون به بينى منافقانرا چون ابن ابى وامثال او الرؤية بصرية (تعجبك اجسامهم) بشكفت آردترا اجسام ايشان لضخامتها وبروقة منظرهم لصباحة وجوههم واصله من العجب والشئ العجيب هو الذى يعظم فى النفس امره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة ما يتعجب منه (وان يقولوا) وچون سخن كويند (تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم واللام صلة وقيل تضمن الى قولهم وكان ابن ابى جسيما صبيحا فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهيآتهم ويسمعون الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لا يكون الا من صفاء الفطرة فى الاصل ولذا قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه اى غالبا وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للعرآبج قال بعضهم يدل على معروفه حسن وجهه ومازال حسن الوجه احدى الشواهد وفى الحديث (اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم) ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيئات الدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم وتركهم على حالهم وروى عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فاذا وجد عنده معنى فقال ما احسن هذا البيت لو كان فيه ساكن وقال آخر طشت ذهب فيه خل (كانهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم كانهم اوكلام مستأنف لا محل له والخشب بضمتين جمع خشبة كالكم والكمة اوجمع خشب محركة كاسد واسد وهو ما غلظ من العيدان والاسناد الامالة ومسندة للتكثير فان التسفيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كانها اسندت الى مواضع والمعنى بالفارسية كويا ايشان چوبهاء خشك شده اند بديوار بازنهاده شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله مستندين فيها باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير والانتفاع ولذا اعتبر فى الخشب التسفيد لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع فكما ان مثل هذا الخشب لا تنفع فيه فكذا هم لا تنفع فيهم وكما ان الروح النامية قد زالت عنهم فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بعثابتها يقول الفقير فيه اشارة الى ان الاستناد فى مجالس الاكابر اولى من الاستناد حين سمع منه الموطأ حكى ان ابراهيم بن ادهم قدس سره كان يصلى ليلة فاعيى فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف اهكذا تجالس الملوك وكان الحريرى لا يمد رجليه فى الخلوة ويقول حفظ الادب مع الله احق

وهذا من ادب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه [illegible] عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند اهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة على ان العبرة في الكمال والنقصان بالاصغرين اللسان والقلب لا بالاكبرين الرأس والجلد فان الله تعالى لا ينظر الى الصور والاموال بل الى القلوب والاعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لا يخلو من قلة اوعلة اوذلة ولاشك ان بالقلة يكثر الهم الذي يذيب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول وفي الحديث (مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لا تزال قائمة حتى تقعر قوله الارزة بفتح الهمزة وبراء مهملة ساكنة ثم زاى شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار ازبن بركنده شدن يعني مثل منافق مثل صنوبر است كه بلند واستوار برزمين تا كه افتادن وازبيخ برآمدن وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء في بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتي بسيئاته كاملة يوم القيامة (يحسبون) يظنون (كل صيحة) كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفي القاموس الصوت باقصى الطاقة وهو مفعول اول ليحسبون والمفعول الثاني قوله (عليهم) اى واقعة عليهم ضارة لهم ومراد از صيحه هرفريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه برخيزند وقال بعضهم اذا نادى منادٍ في العسكر لمصلحة اوانفلتت دابة اوانشدت ضالة اووقعت جلبة بين الناس ظنوه ايقاعا بهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم والخائن خائف وقال القاشاني لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كاهل الشكوك والارتياب فلذلك غلب عليهم الجبن والغدر انتهى وفي هذا زيادة تحقير لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم (هم العدو) اى هم الكاملون في العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو والمكاثر الذي يكاثرك وتحت ضلوعه داء لا يبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعداء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد ومافوقه (فاحذرهم) اى فاحذران تثق بقولهم وتميل الى كلامهم او فاحذر مما يلتهم لاعداء تك وتخذيلهم اصحابك فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما اى لعنهم قال سعدي المفتي ولا طلب هنالك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على ان اللعن عليهم مما لابد منه قال الطيبي يعني انه من اسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ومن كفر فامتعه يا قادر ويجوز ان يكون تعليما للمؤمنين بان يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على ان للدعاء على اهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فانهم شر الخصماء واضر الاعداء وايراده في صورة الاخبار مع انه انشأ معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الانشاء بالفارسية هلاك كاد خداى ايشانرا يالعنت كاد برايشان وقال بعضهم اهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة ومعنى الشر لهم ويقال هي كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل احلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند (انى يؤفكون) تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق والنور الى ما هم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الافك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء لان الافك بالكسر بمعنى الكذب قال في التأويلات النجمية اذا رأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك اجسام اعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن ارواح النيات الخالصة الصافية وان يقول قولا بالحروف والاصوات مجردا عن المعاني المصفاة تصغى الى قولهم المكذوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخيالية بصورة الخشب المسندة الى جدار الوهم لا روح فيها ولا معنى يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون في العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزي والحرمان والسوء والخذلان انى يعدلون عن طريق الدين الصدق (واذا قيل لهم) عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة درمعالم آورده كه بعد ازنزول اين آيتها قوم ابن ابي وراكفتند

اين آيتها در بارهٔ توناازل شده برونزديك رسول خداى تابراى تو آمرزش طلبدان منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتيد ايمان آوز آوردم تكليف كرديد كه زكوة مال بده دادم همين مانده است كه محمد راسجده مى بايد كرد آيت آمدكه (واذا قيل لهم (تعالوا) اصله تعاليوا فاعل بالقلب والحذف الان واحد الماضى تعالى باثبات الالف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الامر تعال بحذفها وقفا وفتح اللام واصل معنى التعالى الارتفاع فاذا امرت منه قلت تعال وتعالوا فتعالوا جمع امر الحاضر فى صورة الماضى ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم يعنى ثم استعمل فى كل داع يطلب المجيء فى المفرد وغيره لما فيه من حسن الادب اى هلموا واتتوا وبالفارسية بياييد باعتذار ومن الادب ان لا يقال تعالى فلان او تعاليت يا فلان اذا اتانا او فلان متعال اى معنى اريد لانه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق (يستغفر لكم رسول الله) بالجزم جواب الامر اى يدع الله لكم ويطلب منه ان يغفر بلطفه ذنوبكم ويسترعيوبكم وهو من اعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلب فاعلا فاعمل الثانى ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه (لووا رؤسهم) يقال لوى الرجل رأسه اماالهاوالتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤس قال فى تاج المصادر التلوية نيك پيچانيدن اى عطفوها استكبارا چنانچه كسى ازمكروهى روى بتابد وقال القاشانى لضراوتهم بالامور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية (ورأيتهم يصدون) من الصدود بمعنى الاعراض اى يعرضون عن القائل اوعن الاستغفار (وقال الكاشفى) اعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم وذلك لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وفى المثنوى) صورت رفعت بود افلاذرا * معنى رفعت روان پالذرا * صورت رفعت براى جسمهاست * جسمها در پيش معنى اسمهاست (وهم مستكبرون) عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وتصور الخيرية وفى الحديث (اذا رأيت الرجل يجوز اعجبا برأيه فقد تمت خسارته (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وفى كشف الاسرار كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤالهم بتوفيق الايمان ومغفرة العصيان وقيل لما قال الله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عليه السلام لازيدن على السبعين فانزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستو خبر مقدم وعليهم متعلق به وما بعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لاخراج الاستفهام عن مقامه فالهمزة فى استغفرت للاستفهام ولذا قطعت وقطعت والاصل استغفرت فحذفت همزة الوصل التى هى الف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس (ام لم تستغفر لهم) كما اذا اصروا على قبايحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستكفار (لن يغفر الله لهم) لابد الاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دآئرة الاستصلاح المتهمكين فى الكفر والنفاق او الخارجين عن دآئرة المحقين الداخلين فى دآئرة الباطلين المبطلين وفى الآية اشارة الى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى الى موافقة المشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا فى ظلمة الشهوات الحيوانية والاخلاق البهيمية والسبعية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * ومنه يعلم ان الجذبة من جانب المرشد وان كان لها تأثير عظيم لكن اذا كان جانب المريد خاليا عن الارادة لم ينفعه ذلك الا ترى ان استغفار النبى عليه السلام ليس فوقه شئ مع انه لم يؤثر فى الهداية واصل هذا عدم اصابة رشاش النور فى عالم الارواح ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور حكى ان شيخا مر مع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فاتى يضرب الطبل فاشار اليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى اذا كانوا على ساحل البحر القى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقى المريد العتيق فى الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ هكذا قضاء الله تعالى (هم الذين يقولون) اى للانصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم اولعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم (لا تنفقوا) لا تعطوا النفقة

التي يتعيش بها (على من عند رسول الله) يعنون فقرآء المهاجرين وقولهم رسول الله اما للهزؤ والتهكم اولكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لما صدر عنهم ما صدر ويجوز ان ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به اكراما له واجلالا (حتى ينفضوا) اى يتفرقوا عنه ويرجعوا الى قبائلهم وعشائرهم (وقال الكاشفي) تامتفرق كردند غلامان بنزد خواجكان روند و پسران بدران پيوندند * والانفضاض شكسته شدن و پراكنده شدن وانما قالوه لاحتجابهم بافعالهم عن رؤية فعل الله و بما في ايديهم عما في خزآئن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم (ولله خزآئن السموات والارض) رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقرآء من حوله عليه السلام ببيان ان خزآئن الارزاق بيد الله خاصة يعطى من يشاء و يمنع من يشاء ومن تلك الخزآئن المطر والنبات قال الراغب قوله تعالى ولله خزآئن السموات والارض اشارة منه الى قدرته تعالى على ما يريد ايجاده او الى الحالة التي اشير اليها بقوله عليه السلام فرغ ربكم من الخلق والاجل والرزق والمراد من الفراغ اتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعنى اتم قضاء هذه الكليات في علمه السابق والخزآئن جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهي ما يخزن فيه الاموال النفيسة وتحفظ وكذا المخزن بالفتح وقد سبق في قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزآئنه (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون * خواجه پندارد كه روزى اودهد * لاجرم براين وآن منت نهد * زان سبيها اويكى شد پس اكر * كم شود هستند اسباب دكر * حكم روزى بر سبيها مى نهد * بى سبيها نيز روزى ميدهد * قال رجل لحاتم الاصم رحمه الله من اين تأكل قال من خزانة ربي فقال الرجل أيلقى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له فيها خزآئن لكان يلقى علي الخبز من السماء فقد خلق الله في الارض الاسباب ومنها فتح الابواب قال بعض الكبار مراعاة حق ام الولد من الرضاع اولى من مراعاة ام الولادة لان ام الولادة حملته على جهة الامانة فكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير ارادة لها في ذلك فما تغذى الا بما لو لم يخرج منها لاهلكها وامرضها فللجنين المنة على امه في ذلك واما المرضعة فانما قصدت برضاعه حياته وابقاءه ولهذا المعنى الذي اشرنا اليه جعل الله المرضعة لموسى ام ولادته حتى لا يكون لامرأة عليه فضل غير امه فلما كبر وبلغ اقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بني اسرآئيل امتحانا له فقلق من غير تغير الحال عليه وقال يارب اغنني عن بني اسرآئيل فاوحى الله اليه اما ترضى يا موسى ان افرغك لعبادتي واجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانيا فاوحى الله اليه لا يليق بنبي ان يرى في الوجود شيأ لغير سيده فكل من رزق ربك ولا منة لاحد عليك فسكت ثم سأل ثالثا فاوحى الله اليه يا موسى اذا كانت هذه شكاسة خلقك على بني اسرآئيل وانت محتاج اليهم فكيف لو اغنيتك عنهم فاسأل بعد ذلك شيأ فالله تعالى يوصل الرزق الى عبده بيد من يشاء من عباده مؤمنا او كافرا وكل ذلك من الحلال الطيب اذ لم يسبق اليه خاطرة او تعرض ما ولا منة لاحد عليه وانما يمن الجاهل وابتلاؤه تعالى لاوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الاعطاء والاغناء ولا من عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من انعامه عليهم ليكونوا ازهد الناس في الدنيا واوفر اجرا في الآخرة ولذا قال عليه السلام في حق فقرآء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة بار بعين خريفا وكان عليه السلام يستفتح بصعاليك المهاجرين اى فقرآئهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عند الله تعالى على ان الاغنياء ان خصوا بوجود الارزاق فالفقرآء خصوا بشهود الرزاق وهو خير منه وصاحبه انعم فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره ما فاته من وجود الارزاق قال الجنيد قدس سره خزآئنه في السموات الغيوب وخزآئنه في الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والعبد مرتهن بشيئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطي قدس سره من طالع الاسباب في الدنيا ولم يعلم ان ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل وفي التأويلات النجمية ولله خزآئن الارزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزآئن الارزاق الارضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لا يحتسبون ولكن المنافقين بسبب افساد استعداداتهم وعدم نورانيتهم

وغلبه على امرهم مايفهمون الاسرار الالهية والاشارات الربانية (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم فى ناحية قديد على يوم من الفرع بالضم موضع من اضخم اعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق التى بعير وخمسة آلاف شاة وسبى مائتى اهل بيت او اكثر وكانت فى السبى جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق اعتقها النبى عليه السلام وتزوجها وهى ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى رضى الله عنه وهو اجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهنى المنافق حليف بن ابى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال لجعال وانت هناك قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين فاسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن ابى اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله بما قال ابن ابى فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذا ترغم انوفا كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر به انصاريا فقال اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيد الكاذب فقال الحاضرون شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام وعسى ان يكون قد وهم فروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله صدقك وكذب المنافقين وردالله عليهم مقالتهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم كما ان المذلة

لله فعلا ومنة وفضلا كما قال القشيرى قدس سره العز الذى للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقا وملكا وعزه سبحانه له وصفا فاذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن ادب من عرف انه تعالى هو العزيز ان لا يعتقد لمخلوق اجلالا ولهذا قال عليه السلام من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه قال ابو على الدقاق رحمه الله انما قال ثلثا دينه لان التواضع يكون بثلاثة اشياء بلسانه وبدنه وقلبه فاذا تواضع له بلسانه وبدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فان اعتقدها بقلبه ايضا ذهب كل دينه ولهذا قيل اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين ومتى عرفت انه معزلم تطلب العز الا منه ولا يكون العز الا فى طاعته قال ذو النون قدس سره لو اراد الخلق ان يثبتوا لاحد عزا فوق ما يثبته بسير طاعته لم يقدروا ولو ارادوا ان يثبتوا لاحد ذلة اكثر مما يثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا حكى عن بعضهم انه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر اليه لا تعرفه هل هو ذلك الرجل ام لا فقال لى ما لك تطيل النظر الى فقلت انى اشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال انا ذاك انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع يترفع فيه الناس (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون ولعل ختم الآية الاولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر فى البلاغة مع ان فى الاول بيان عدم كياستهم وفهمهم وفى الثانى بيان حماقتهم وجهلهم وفى برهان القرآن الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفيه غموض يحتاج الى فطنة والمنافق لا فطنة له والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ان الله معز اوليائه ومذل اعدائه وروى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان مخلصا وسل سيفه ومنع اباه من الدخول وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه ذلك قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة اى لاجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كبيرا للمنافقين وكان من عظماء بنى قينقاع وكان ممن اسلم ظاهرا والى ذلك اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فاخبرانها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن ابى لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات واستغفر له رسول الله والبسه قميصه فنزل ان يغفر الله لهم وروى انه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار لما امر الله عباده بالرفق بالخلق والشفقة الاتأسيا به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويدلونهم على كل ما يؤدى الى سعادتهم وليس بيد العبد الا التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فعلى العارف ايضاح هذا الطريق الموصل الى هذا المقام والافصاح عن دسائسه وليس بيده اعطاء هذا المقام فان ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى انك لا تهدى من احببت فوظيفة الرسل والورثة من العلماء انما هو التبليغ بالبيان والافصاح لا غير ذلك وجزآؤهم جزآء من اعطى ووهب والدال على الخير كفاعل الخير وفى التأويلات النجمية ولله العزة اى القوة لله الاسم الاعظم ولرسول القلب المظهر الاتم الاعم ولمؤمنى القوى الروحانية ولكن منافقى النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الكدرة لا يعلمون لاستهلاكهم فى الظلمة وانغماسهم فى الغفلة (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا صادقا (لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) فى الصحاح لهيت عن الشئ بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت وتركت ذكره واضربت عنه وفى القاموس لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلهى والهاه اى شغله ولهوت بالشئ بالفتح اللهو لهوا اذا لعبت به والمعنى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود فى ذكر الله مجازا لطلق المسبب واريد السبب قال بعضهم الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قرآءة القرآن والتسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالابدان الصلاة وسائر الطاعات والمراد نهيهم عن التلهى بها اى عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة بالتجوز بالسبب

عن المسبب كقوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج وقد ثبت ان المجاز ابلغ وقال بعضهم هو كناية لان الانتقال من لا تلهكم الى معنى قولنا لا تلهوا انتقال من اللازم الى الملزوم وقد كان المنافقون بخلاء باموالهم ولذا قالوا لا تنفقوا على من عند رسول الله ومتعززين باولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وباموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون ان يكونوا مثلهم فى ذلك (ومن يفعل ذلك) اى التلهى بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو فى اقل حين (فاولئك هم الخاسرون) اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قال الكاشفى) مقتضاى ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بر دوستى همه اشيا تا حدى كه اكر تمام نوال دنيا وبمجموع نعم آخرت بروى عرض كنند بنظر درهيچ كدام تكرد *

چشم دل از نعيم دو عالم به بسته ايم * مقصود ما زدنى وعقبى توئى وبس * وفى الحديث (ما طلعت الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان ويسمعان الخلائق غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى وفى الآية اشارة الى كل ارباب الايمان الحقيقى الشهودى يقول الله لهم لا يشغلكم رقية اموال اعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا اولاد الاحوال التى هى نتيجة الاعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته واسمائه وظهوره فى صورة الاعمال والاحوال ومن يفعل ذلك فانما يشغل بالخلق عن الحق ويحتجب بالنعمة عن المنعم فاولئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة ومار بحوا الا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقى قال بعضهم فى الآية بيان ان من لم يبلغ درجة التمكين فى المعرفة لا يجوز له الدخول فى الدنيا من الاهل والمال والولد فانها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله ومن كان مستقيما فى المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله اياه فيكون محفوظا من الخطرات المذمومة والشاغلات المحجبة واما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فاذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لا يكون ذكرهم صافيا عن كدورات الخطرات وقال سهل قدس سره لا يشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن ادآء الفرآئض فى اول مواقيتها فان من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين (وانفقوا مما رزقناكم) اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة يعنى حقوق واجب را اخراج نمايند فالمراد هو الانفاق الواجب نظرا الى ظاهر الامر كما فى الكشاف ولعل التعميم اولى وانسب بالمقام (من قبل ان يأتى احدكم الموت) بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق الى ما تأخر ولم يقل من قبل ان يأتيكم الموت فتقولوا اشارة الى ان الموت يأتيهم واحدا بعد واحد حتى يحيط بالكل (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب) اى آفريدكار من (لولا اخرتنى) هلا امهلتنى فلولا للتحضيض وقيل لازآئدة للتأكيد ولو للتمنى بمعنى لو اخرتنى (الى اجل قريب) اى امد قصير وساعة اخرى قليلة وقال ابو الليث يا سيدى ردنى الى الدنيا وابقنى زمانا غير طويل وفى عين المعانى مثل ما اجلت لى فى الدنيا (فاصدق) تا صدق كنم وزكاة ادا نمايم وهو بقطع الهمزة لانها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لان اصله اتصدق من التصدق فادغمت التاء فى الصاد وبالنصب لانه مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى فى قوله لولا اخرتنى (واكن من الصالحين) بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وفيه اشارة الى ان التصدق من اسباب الصلاح والطاعة كما ان تركه من اسباب الفساد والفسق والفرق بين التصدق والهدية ان التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لاجل المودة ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضا كانت او نفلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه اوما ل يبلغه الى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل اتق الله يا ابن عباس انما سألت الكفار الرجعة قال ابن عباس رضى الله عنهما انى اقرأ عليك بهذا القرآن فقال يا ايها الذين آمنوا الى قوله فاصدق واكن من الصالحين فقال الرجل يا ابن عباس وما يوجب الزكاة قال مائتا درهم فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة فالآية فى المؤمنين واهل القبلة لكن لا تخلو عن تعريض بالكفار وان تمنى الرجوع الى الدنيا لا يختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك قال بعض العلماء فى الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لان اتيان الموت محتمل فى كل ساعة وكذا غيرها من الطاعات اذ لجاء وقتها لعل الاولى استحبابه

فى اغلب الاوقات ولذا اختار بعض المجتهدين اول الوقت عملا بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله اى لان فيه المسارعة الى رضى الله والاهتمام بالعمل اذ لا يدرى المرء ان يدرك آخر الوقت (ولن يؤخر الله نفسا) اى وان يمهلها مطيعة او عاصية صغيرة او كبيرة (اذا جاء اجلها) اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره يعنى چون عمر بآخر رسيد چيزى بران نيفزايند وازان كم نكنند (قال الشيخ سعدى) كه يك لحظه صورت نه بندد امان * چو پيمانه پر شد بدورزمان * واستنبط بعضهم عمر النبى عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده قال بعضهم الموت على قسمين اضطرارى وهو المشهور فى العموم والعرف وهو الاجل المسمى الذى قيل فيه اذا جاء اجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والموت الآخر موت اختيارى وهو موت فى الحياة الدنيا وهو الاجل المقضى فى قوله ثم قضى اجلا ولا يصح للانسان هذا الموت فى حياته الا اذا وحد الله تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الاغطية وان كان ذلك الكشف فى ذلك الوقت لا يعطى سعادة الا لمن كان من العامة عالما بذلك فاذا انكشف الغطاء يرى ما علم عينا فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لا ميت كالمقتول فى سبيل الله تقله الله الى البرزخ لا عن موت فالشهيد مقتول لا ميت وكذلك هذا المعنى به لما قتل نفسه فى الجهاد الاكبر الذى هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة فى البرزخ فى حياته الدنيا فموته معنوى وقتله مخالفة نفسه (والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت قال القاشانى قضية الايمان غلبة حب الله على محبة كل شئ فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه فتصيرون الى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها لتكون فضيلة فى انفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فاما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره واتدارك امره قبل حلول المنية فانه لا يدرى المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل لا تغتر بلباس الناس فان العاقبة مبهمة * مسكين دل من كرچه فراوان داند * دردا نشى عاقبت فروماند * وفى الحديث (لان يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من ان يتصدق بمائة عند موته وقال عليه السلام الذى يتصدق عند موته او يعتق كالذى يهدى اذا شبع وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان يعنى اهمال نكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كويى فلان را اين وفلان را اين باشد وخود ازان فلان شود به مرد تو روى الامام الغزالى رحمه الله عن عبد الله المزنى انه قال جمع رجل من بنى اسرائيل مالا كثيرا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اتتونى باصناف اموالى فاتى بشئ كثير من الخيل والابل والدقيق وغيره فلما نظر اليها بكى عليها تحسرا فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال ما يبكيك فو الذى خولك ما خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فامهلنى حتى افرقها قال هيهات انقطع عنك المهملة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره * بكذار جهان را كه جهان آن تو نيست * وين دم كه همى زنى بفرمان تو نيست * كرمال جهان جمع كنى شاد مشو ورنكنيه بجان كنى جان آن تو نيست * وفى الآية اشارة الى انفاق الوجود المجازى الخلقى بالارادة الروحانية لنيل الوجود الحقيقى من غير ان يأتى الموت الطبيعى بلا ارادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة ابدية لان النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها ولا شك ان الحياة الطيبة انما هى فى معرفة الله وهى لا تحصل الا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الارادى يتمنى الرجوع الى الدنيا عند الموت الطبيعى لتصدق الوجود المجازى بالارادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقى وكل من كان مستعدا لبذل الوجود الاضافى لقبول الوجود الاطلاقى وجاز زمانه باستيفائه احكام الشريعة الزهراء

واستقصائه آداب الطريقة البيضاء لايمكن له الوقفة على الحجاب والاحتجاب كما اذا جاء زمان نفخ الروح في الجنين باستكمال المدة يشتغل بنور الروح البتة اللهم الا ان تعرض آفة تمنعه عن ذلك والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الامكاني ونيل الوجود الواجبي الحقاني كما قال تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة جعلنا الله واياكم من الباذلين وجوده والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وان يختمنا بالخير بان يوفقنا للاعراض عن الغير

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين في أوائل شهر ربيع الاول من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

سورة التغابن مختلف في كونها مكية او مدنية وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسبح لله ما في السموات) من الروحانيات (وما في الارض) من الجسمانيات اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لايليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا والمراد اما تسبيح الاشارة الذى هو الدلالة فيعم ما كل حي وجماد او تسبيح العبارة الذى هو ان يقول سبحان الله فيعمها ايضا عند اهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن سبحان الملك القدوس رب الاقوات والارزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شئ من رطب ويابس ما اخبر عليه السلام انه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما اضافه الله الى نفسه وما اضاف اليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الامر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك ان يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الايمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهد وذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية اى يسبح وجودك بغير اختيارك وانت غافل عن تسبيح وجودك له وذلك ان وجودك قائم في كل لمحة بوجوده يحتاج الى الكينونة بتكوينه اياه اين قلبك واسانك اذا اشتغلا بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود الا بامره ومشيئته وتلك الحركة اجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لايعرفه الا العارف بالوحدانية (له الملك) الدائم الذى لايزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مر وراست بادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيافريد (وله الحمد) اى حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الاوصاف الجميلة والافعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر باصل الاختصاص قدم او اخر اى له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لاصول النعم وفروعها ولولا انه انعم بها على عباده لما قدر احد على ادنى شئ فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الاولى والآخرة واما ملك غيره فاسترعاه من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتدادا بان نعمة الله جرت على يده فالبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة * باغيراو اضافت شاهى بود چنان * بريك دو چوب پاره زشطرنج نام شاه (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء فهو القادر على الايجاد والاعدام والاسقام والابراء والاعزاز والاذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الامور الغير المتناهية قال بعضهم قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف انه تعالى قادر خشى من سطوات عقوبته عند مخالفته وامل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته وفي التأويلات النجمية ينزه ذاته المقدسة عن الامثال والاضداد والاشكال والانداد ما في سموات القوى الروحانية وما في ارض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالاطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان (هو الذى خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لانه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال في فتح الرحمن الكفر

فعل الكافر والايمان فعل المؤمن والكفر والايمان اكتسباب العبد لقول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة انتهى وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فانهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للاعيان المبدع لها حكي ان سفيا ناظر معتزليا في مسئلة القدر فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني أليس انا الذي قطفت هذه فقال له السني ان كنت الذي قطفتها فردها على ما كانت عليه فافحم المعتزلي وانقطع وانما الزمه بذلك لان القدرة التي يحصل بها الايجاد لابد ان تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الاجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن ادب من عرف انه سبحانه هو المنفرد بالخلق والايجاد ان لا يجعد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلا بالامر والنهي ولا يعتقد ان للعبد على الله حجة بسبب ذلك حكي ان بعض الاكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ثم قال ما عليهم شئ هو انطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال صدق هو انطقهم ولكن انظر كيف الهمهم بين بذلك ان مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذرا للعبيد في سقوط اللوم عنهم (ومنكم مؤمن) مختار للايمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب والمبتدع الذي لا تفضي بدعته الى الكفر وتقديم الكفر عليه لانه الانسب بمقام التوبيخ والاغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف يا آدم اخرج بعث النار يعني ميز اهلها المبعوث اليها قال ومابعث النار اي عدده قال الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والايمان اعظم شعب الشكر روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فاما ادعوان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر يقول الفقير هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافي كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سببا لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ومن هنا قال بعضهم قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه قادركهم ابراهيم خواص قدس سره گفت در باديه وقتي بتجريد مي رفتم پيري را ديدم در گوشة نشسته وگلاهي بر سر نهاده وبزاري وخواري مي گريست گفتم يا هذا تو كيستي گفت من ابو مره ام گفتم چرا مي گري گفت گريست بگريستن سزاوار تراز من جهل هزار سال بدان درگاه خدمت كرده ام ودر افق اعلى ازمن مقدم تر كس نبود اكنون تقدير الهي وحكم غيبي نگركه مرا بچه روز آورد آنكه گفت اي خواص نگر تا بدين جهد وطاعت خويش غره نباشي كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن يك فرمان آمد كه آدم را سجده كن نكردم وآدم را فرمان آمد كه ازان درخت مخور خورد ودر كار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت او در حساب نياوردند ودر كار من عنايت نبود طاعت

ديرينه من زلت شمردند من لم يكن للوصال اهلا * فكل احسانه ذنوبه

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدي هر كه در سايهٔ عنايت اوست * كنهش طاعت است ودشمن دوست

(والله بما تعملون) مطلقا (بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم ومايرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله خاطبهم بمخاطبة حال كونهم ذرا فسماهم كافرين ومؤمنين في ازله واظهرهم حين اظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فاخبر بانه علم ما يعملونه من خير وشر واعلم ان الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر الا ان من اقصته السوابق لم تدنه الوسائل ومن اقعده جده لم ينفعه كده قيل ان بعض الاكابر بلغه ان يهوديا اوصى ان يحمل من بلده اذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال ايكابر الازل اما علم انه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بانكالها وسلاسلها والناس على اربعة اقسام

اصحاب

اصحاب السوابق وهم الذين يكون فكرتهم ابدا فيما سبق لهم من الله لعلمهم ان الحكم الازلى لا يتغير باكتساب العبيد واصحاب العواقب وهم الذين يكفرون ابدا فيما يختم به امرهم فان الامور بخواتمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات واصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون فى السوابق ولا فى اللواحق اى العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت واداء ما كلفوا من احكام ولهذا قيل العارف ابن وقته وقيل الصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل (وفى المثنوى) صوفى ابن الوقت باشد اى رفيق * نيست فردا كفتن از شرط طريق * والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الوقت عن مراعاة الوقت وفى الآية اشارة الى هويته المطلقة عن النسب والاضافات خلقكم اى تجلى لتعيناتكم الجنسية والنوعية والشخصية من غير تقييد وانحصار فمنكم اى فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعا لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق فى الخلق ويستر الخلق بالحق ويقول بالجمعية تأنيسا للمكاشفين بالحقائق والله بما تعملون بصير من ستر الحق بالخلق دفعا للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيسا للطالب الواجد (خلق السموات والارض بالحق) اى بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والارضون السبع كما يدل عليه التصريح فى بعض المواضع قال تعالى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فان قلت ما وجه عدم ذكر العرش والكرسى فى امثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت انهما وان كانا من السماء لان السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما اوسع الافلاك احاطة الا ان آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السموات والارض وما بينهما فانها اقرب الى المخاطبين المكلفين ومعلومة حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا ان الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم الى غير ذلك مما لا يتناهى على ان التغيرات فيها اظهر فهى على عظم القدرة ادل وقد قال تعالى كل يوم هو فى شان واكثر هذه الشؤون فى عالم الكون والفساد الذى هو عبارة عن السموات والارض اذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسى فانهما من الطبيعيات ولهذا لا يفنيان (وصوركم فاحسن صوركم) الفاء للتفسير اى صوركم احسن تصوير وخلقكم فى احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة فلكم جمال الصورة واحسن الاشكال ولذا لا يتمنى الانسان ان يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته احسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح فى حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة الى بعض لان الحسن وهو الجمال فى الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم ايضا جمال المعنى وكمال الخصال * بدرون تست مصرى كه تو يى شكرستانش * چه غمست اكر زبيرون مدد شكر نداری * شدهٔ غلام صورت بمثال بت پرستان * تو چو يوسفى وليكن سوى خود نظر نداری * بخدا جمال خودرا چو در آينه ببينى * بت خويش هم تو باشى بكسى كذر نداری * والمعتد به هو الحسن المعنوى لان الله خلق آدم على صورته اى على الصورة الالهية التى هى عبارة عن صفاته العليا واسمائه الحسنى والا فالحسن الصورى يوجد فى الكافر ايضا * ره راست بايد نه بالاى راست * كه كافر هم از روى صورت چو ماست * نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد فى الكافر كعدل انوشروان مثلا لكن المعتد به ما يكون مقارنا بالايمان الذى هو احسن السير قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من اخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت فى زمن الملك العادل يعنى كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى فى ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نوابا له كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله احسن الصور

صورتا عتيقت من ذل كن ونولى الحق تصوير رحم بيدو نفخ فيها من روحه واليها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاها واسجد لها الملائكة المقربين واسكنها فى جوار مؤذنين بالمها بالامر خصوصا ظاهرها يشتون الخدمة والجمع فى قوله فاحسن صوركم باعتبار الانواع لان صورة الروى ليست كصورة الهندى الى غير ذلك والافراد وهو ظاهر (واليه المصير) اى والى الله الرجوع فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلا لا او اشتراكا فاحسنوا سرآئركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام فكم من صورة حسنا تكون فى العقبى شوها بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما * جمع نمنعم ومنتعمت صورت اهل معنى را * چو جان زروم بود كوتن از حبش مى باش * وتحديث ان ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل احد وان غلظ جلده مسافة ثلاثة ايام وانه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وان اهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر او على احسن كوكب درى فى السماء وهم برد مردمكحلون ابناء ثلاث وثلاثين خلق على لاهل اللطافة وويل لاهل الكثافة اعلم ان الله تعالى خلق سموات الكليات وارض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى فى مظاهر صور الانسان بحسبه اى بجميع الاسماء والصفات ولذا قال تعالى فاحسن صوركم اى جعل صوركم احدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والارضية السفلية كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته يعنى اورد الاسم الجامع فى عنوان الخلق اشارة الى تلك الجمعية فكان مصير الانسان الى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين افراده بحسب التجلى والاستتار والفعل والقوة فليس لاهل الحجاب ان يدعى كمالات اهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجبا من انسان خفى عليه ملكوت فى ارضه وجنوده من كنز الهى غيبى من نال اليه لم يفتقر ابدا وكيف قنع بقشر مع امكان تحصيل اللب وكيف اقام فى الحضيض مع سهولة العروج الى الاوج * چه شكرها ست درين شهر كه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مگسى

(يعلم ما فى السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزآء فعقيبه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال فى برهان التفسير ان انما كرر ما فى اول السورة لاختلاف تسبيح اهل الارض واهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فانهما ضدان ولم يكرر ما فى السموات والارض لان الكل بالاضافة الى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شئ (والله عليم بذات الصدور) اى هو محيط بجميع المضمرات المتمكنة فى صدور الناس بحيث لا تغادرها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالذاتية وخدای تعالى دانا ست بآنچه در سينهاست از خواطر وافكار واغا قيل لها ذات الصدور وصاحبتها الملابسة لها وكونها مخزونة فيها فى الآية ترقى من الاظهر الى الاخفى لانه عالم بما فى السموات وما فى الارض وبما يصدر من بنى آدم سرا وعلنا وبما يصدر بعد بدليل هو مكنون فى الصدور واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء فى العلو والارض فى السفل او الباطنة مثل ان يكون السماء متحركة والارض ساكنة الى غير ذلك قلت للمتكلمين مسلكين فى اثبات العلم الاول ان فعله تعالى متقن اى محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة فكل من فعله متقن فهو عالم والثانى انه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الاشياء ولا يتصور ذلك الا مع العلم وفى قوله ما تسرون اشارة الى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين والى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفى قوله وما تعلنون اشارة الى علماء الباطن من المشايخ والصوفية والى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والاخلاص والحق والباطل (الم يأتكم) ايها الكفرة والالف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق (نبأ الذين كفروا) اى خبر قوم نوح ومن بعدهم

من

من الامم المصرة على الكفر (من قبلكم) اى قبلكم فيكون متحققا بكفروا اوقبل هذا الوقت اوهذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفا للاتيان تكم (فذاقوا وبال امرهم) عطف على كفروا والذوق وان كان فى التعارف للقليل لكنه مستعمل للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف وامرهم كفرهم فهو واحد الامور عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة والمعنى فذاقوا فى الدنيا من غير مهلة مايستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة واحسوه احساس الذائق المطعوم يعنى پس چشيدن كران بارئ خود ودشوارى سرانجام خويش وضرر كفر وعقوبت او دردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وامثال آن وفى ايراد الذوق رمز الى ان ذلك الذوق العاجلى شئ حقير بالنسبة الى ماسيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) اى مؤلم لايقادر قدره وفيه اخبار بان ما اصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم والالم يعذبوا فى الآخرة بخلاف المؤمنين فان ما اصابهم فى الدنيا من الآلام والاوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ماورد فى الاخبار الصحيحة (ذلك) اى ماذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة (بانه) اى بسبب ان الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة والباء اما للملابسة اوللتعدية (فقالوا) عطف على كانت (ابشر) آيا آدميان مثل ما (يهدوننا) راه نمايند ما را اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر وآدمى مثلنا يهدينا ويرشدنا الى الدين اوالى الله والتقرب منه كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ان يكون المعبود حجرا وقد اجمل فى الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وارتفاع بشر على انه فاعل فعل مضمر يفسره مابعده فيكون من باب الاشتغال وهو اولى من جعله مبتدأ ومابعده خبرا لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا قال القاشانى لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يتفضل عليهم بما لايقاس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كل عارف لايعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرى ولا يعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لايعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما امكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بما فى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى اصلا لم يعرفوا منه الكمال فانكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ فحدث فيهم طلب فيحتاجوا الى الهداية فانكروا الهداية وقال بعض العارفين معرفة مقام الاولياء اصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولى الكامل فانه ملأ من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر الابان يناجى ربه وفى الخلق معرفة مقامه والله لو كشف للخلق عن حقيقة الولى لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ولكن فى ستر الحق تعالى لمقام الولى حكم واسرار وادنى ما فى الستر ان لا يتعرض احد لمحاربة الله تعالى اذا آذاهم بعد ان عرفهم انهم اولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وقصالباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فان الاذى لم يزل من الخلق لهم فى كل عصر لجهلهم بمقامهم (فكفروا) اى بالرسل بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا لهم ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا (وتولوا) عن التدبير فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك وقال سعدى المفتى هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غنى الثلاثى والمراد كمال الغنى اذ الطلب يلزمه الكمال (والله غنى) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية او يحمده اولياؤه وان امتنع اعداؤه والحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف انه الحميد فى ذاته وصفاته وافعاله شغله ذكر موالثناء عليه فان العبد وان كثرت محامده من عقائده واخلاقه وافعاله واقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص الا النبى عليه السلام فانه محمد واحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفى الاربعين الادريسية

حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردى رحمه الله من داومه يحصل له من الاموال ما لا يمكن ضبطه (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم فمعنى ازعم زيدا قائما اقول انه كذا ففى تصدير الجملة بقوله ازعم اشعار بانه لا سند للحكم سوى ادعائه اياه وقوله به و يتعدى الى مفعولين تعدى العلم وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما فى حيزها فان مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة اى زعموا وادعوا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا ولن يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضى الله عنه لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه هب لى من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى و يكره للرجل ان يكثر لفظ الزعم وامثاله فانه تحديث بكل ما سمع وكفى ذلك كذبا واذا اراد ان يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه وبذلك يتخلص عن ان يحدث بكل ما سمع فيكون معصوما عن الكذب كذا فى المقاصد الحسنة (قل) ردا لهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه (بلى) اى تبعثون فان بلى لايجاب النفى الذى قبله وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) اى لتحاسبن وتجرون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث و بيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين فقوله وربى قسم لعل اختياره ههنا لما ان فى البعث اظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وايثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن اصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيء نون التأكيد وان كان على حده طلبا للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخى المدة لطول يوم القيامة اولتراخى الرتبة وظاهر كلام اللباب ان يكون وربى قسما متعلقا بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه و يجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الاول لعل فائدة الاخبار بالقسم مع ان المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث ابطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الانصاف و تتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروما بالكلية (وذلك) اى ما ذكر من البعث والجزآء (على الله يسير) اى سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة واذا كان الامر كذلك (فآمنوا) بصرف ارادتكم الجزئية الى اسباب حصول الايمان (بالله) الباعث من القبور المجازى على كل عمل ظاهر اومستور (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى اخبر عن شؤون الله تعالى وصفاته (والنور الذى انزلنا) اى انزلناه على رسولنا وهو القرءآن فانه باعجازه بين بنفسه انه حق نازل من عند الله مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض اومفعول لاذكر الظاهر ان الخطاب لمن خوطب اولا بقوله ألم يأتكم (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون من الجن والانس واهل السماء والارض اى لاجل ما فيه من الحساب والجزآء وهو يوم القيامة فاللام للعهد الى هذا الجمع عن النبى عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضرآء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل بين الظالم والمظلوم او بين كل نبى وامته (ذلك) اليوم (يوم التغابن) تفاعل من الغبن وهو ان تخسر صاحبك فى معاملة بينك و بينه بضرب من الاخفاء والتغابن ان يغبن بعضهم بعضا و يوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعدآء منازل الاشقياء لو كانوا سعدآء و بالعكس وفيه تهكم لان نزولهم ليس بغبن يعنى ان كون نزول الاشقياء منازل السعدآء من النار لو كانوا اشقياء غبنا باعتبار الاستعارة التهكمية والا فهم بنزولهم فى النار لم يغبنوا اهل الجنة وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه ما لا يقع فى امور الدنيا فاللام للعهد الذى يشار به عند عدم المعهود الخارجى الى الفرد الكامل اى التغابن الكامل العظيم الذى لا تغابن فوقه قال القاشانى ليس التغابن فى الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة

الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شئ منها لاحد عرض فان فات شئ من ذلك او افاته احد ولو كان حياته فانما فات او افيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن والتغابن فى افاتة شئ لو لم يفته لبقى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فتظهر الحسرة والتغابن هنالك فى اضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن اضاع استعداده او اكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكمال التام وكانما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحسرا فى نقصانه انتهى وقال الراغب يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن فى المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فلعلهم انهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الاشياء بخلاف مقاديرهم فى الدنيا وقال بعضهم يظهر يومئذ غبن الكافر بترك الايمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الاحسان واذا دخل العارف الجنة ورأه صاحب الحال فانه يراه كما يرى الكوكب الدرى فى السماء فيتمنى ان يكون له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته اسباب ذلك فى الدنيا وقد ورد لا يتحسر اهل الجنة فى الجنة الا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد اطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله وولد ورث مالا من ابيه وابوه شح به وعصى الله فيه فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة * بخورواى نيك سيرت وببره مرد * كان نكون بخت كرد كردونخورد * وفى الحديث لا يلقى الله احدا الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد وقال بعض العارفين لا يجوز الترقى فى الآخرة الا فى مقام حصله المكلف فى هذه الدار فمن عرف شيأ وتعلقت همته بطلبه كان له اما عاجلا واما آجلا فان ظفر به فى حياته كان ذلك اختصاصا واعتناء وان لم يظفر به فى حياته مجلا كان مدخرا له بعد المفارقة يناله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام فى هذا الموطن لم يظفر به ثم ولذلك سمى يوم التغابن لانقطاع الترقى فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن ان لا يعرف الصفاء فى الكدورة واللطف فى صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو فى عين الجمع والانس وايضا يقع الغبن لمن كان مشغولا بالجزآء والعطاء ورؤية الاعواض واما من كان مشغولا بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وايضا يقع الكل فى الغبن اذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه اعظم واجل مما وجدوه فى مكاشفاتهم فى الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وان كانوا لا يعرفونه ابدا حق معرفته واى غبن اعظم من هذا اذ يرونه ولا يصلون الى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله تغابن اهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلى وقال بعض الكبار يوم شهود الحق فى مقام الجمعية يوم غبن اهل الشهود والمعرفة على اهل الحجاب والغفلة فانهم فى نعيم القرب والجمع واهل الحجاب فى جحيم البعد والفرق (ومن يؤمن بالله) بالصدق والاخلاص بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) اى عملا صالحا بمقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر وهو اى العمل الصالح ما يبتغى به وجه الله فرضا او نفلا روى ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فطلب الحمامى الاجرة فتأوه وقال اذا لم يدخل احد بيت الشيطان بلا اجرة فأنى يدخل بيت الرحمن بلا عمل (يكفر) اى يغفر الله ويمح (عنه سيئاته) يوم القيامة فلا يفضحه بها (ويدخله) بفضله وكرمه لا بالايجاب (جنات) على حسب درجات اعماله (تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها واشجارها (الانهار) الاربعة (خالدين فيها) حال من الهاء فى يدخله وحدا ولا حملا على لفظ من ثم جمع حملا على معناه (ابدا) نصب على الظرف وهو تاكيد للخلود (ذلك) اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لانطوآئه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطيبات فيكون اعلى حالا من الفوز الكبير لانه يكون بجلب المنافع كما فى سورة البروج والفوز العظيم فى الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازى والتلبس بلباس الوجود الحقيقى وذلك موقوف على الايمان الحقيقى الذوقى والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فانه نور الشهود حينئذ يستر ظلمات وجوده الاضافى وينوره بنور الوجود

الحقيقي ويدخله جنات الوصول والوصال التي تجري من تحتها الانهار مملوءة من ماء المعارف والحكم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) تصريح بما علم التزاما والمراد بالآيات اما القرآن او المعجزات فان كلا منهما آية لصدق الرسول (اولئك اصحاب النار) اى اهلها اما بمعنى مصاحبوها الخلود هم فيها او مالكوها تنزيلا لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم (خالدين فيها) اى ابدا بقرينة المقابلة (وبئس المصير) اى النار كانت هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وانما قلنا كان لان الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف في المعاني وفي الآية اشارة الى المحجوبين عن الله المحرومين عن الايمان الحقيقي به بان يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة في خواص عباده بحسب التجليات فانهم اصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل ان يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته في الانفس والآفاق ويتخلص عن الحجاب على الاطلاق ففي نظر العارفين عبرة وحكمة وفي حركاتهم شأن ومصلحة حكي ان ابا حفص النيسابوري رحمه الله خرج مع اصحابه في الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر اليها معتبرا فخرج من الدار شيخ مجوسي فقال له يا مقدم الاخيار هل تكون ضيفا لمقدم الاشرار فقال نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسي خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاما من السوق من اهل ملتكم لانكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما ارادوا الخروج قال المجوسي للشيخ لا افارقك بل اكون احد اصحابك ثم اسلم هو واولاده ورهطه وكانوا بضعة عشر نفسا فقال ابو حفص لاصحابه اذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا * چون نظر میداشت ارباب شهود * مؤمن آمد بی نفاق اهل جحود (ما) نافية ولذا زاد من المؤكدة (اصاب) الخلق يعني نرسد هيچ كس (من مصيبة) من المصائب الدنيوية في الابدان والاولاد والاموال (الا باذن الله) استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال اى ما اصاب مصيبة ملتبسة بشيء من الاشياء الا باذن الله اى بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ان تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى في سورة الشعراء وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير اى بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها اما اولا فلان هذا القول في حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من اصابته لامر آخر من كثرة الاجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الاجر الى غير ذلك وما اصاب المؤمنين فمن هذا القبيل واما ثانيا فلان ما اصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب الا باذن الله وارادته ايضا كما قال تعالى قل كل من عند الله اى ايجادا وايصالا فسبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء وكان الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في اموالهم وابدانهم في الدنيا فبين الله ان ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفي اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو منها تحصيل اليقين بان ليس شيء من الامر في يديهم فيبرؤن بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفا من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله الى غير ذلك ولو لم يصب الانبياء والاولياء محن الدنيا ومايطرأ على الاجسام لافتتن الخلق بما ظهر على ايديهم من المعجزات والكرامات على ان طريان الآلام والاوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والانس بربهم فكانهم معصومون محفوظون عنها لكون وجودها في حكم العدم بخلاف حال الكفار والاشرار نسأل الله العفو والعافية من الله الغفار وفي الآية اشارة الى اصابة مصيبة النفس الامارة بالاستيلاء على القلب والى اصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فانهما باذن تجليه القهري للقلب الصافي بحسب الحكمة او باذن تجليه اللطفي الجمالي للنفس الجانية بحسب النقمة (ومن يؤمن بالله) يصدق به ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله والاكتفاء بالايمان بالله لانه الاصل (يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بان يقول قولا ويظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضى به ويسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن عرف الله واعتقد انه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فان التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما ينفر عنه الطبع وقيل يهد قلبه اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وبالفارسية الله راه نمايد دل او را به پسند كارى ومزيد طاعت

وقال

وقال ابو بكر الوراق رحمه الله ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم انها من عدل الله يهد قلبه الى حقائق الرضى وزوائد اليقين وقال ابو عثمان رحمه الله من صح ايمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الايمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الاراء والاهوآء المضلة وقال بعضهم ومن يؤمن بالله تحقيقا يهد قلبه الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى آمن به ويصل الى محل نظره وقال بعضهم ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة باسمائه وصفاته اذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والاسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فان الايمان بالله انما هو بهداية سابقة وهداية القلب انما هى هداية لاحقة يندفع توهم ان الايمان موقوف على الهداية فاذا كانت هى موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما ان الشرط مقدم على المشروط لدار فان للهداية مراتب تقدما وتأخرا لاتقطع ولذلك ندعو ربنا كل يوم ونقول مرارا اهدنا الصراط المستقيم بناء على ان فى كل عمل نريده صراطا مستقيما يوصل الى رضى الله تعالى وقيل انه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله وروى فى يهد سبع قراآت المختار من السبعة يهد مفردا غائبا راجعا ضميره الى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرئ نهد بالنون على الالتفات منها ايضا ويهد مجهولا برفع قلبه على انه قائم مقام الفاعل منها ايضا ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه ايضا بمعنى يهتدى كقوله تعالى امن لا يهدى الا ان يهدى ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها الفا ويهد بحذفها تخفيفا فيهما والمعنى يطمئن ويسكن الى الحق (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها كتسليم من انقاد لامره وكراهة من كرهه وكآفاتها وخلوصها من الآفات (عليم) فيعلم ايمان المؤمن وخلوصه ويهدى قلبه الى ما ذكر (واطيعوا الله) اطاعة العبد لمولاه فيما يأمره (واطيعوا الرسول) اطاعة الامة لنبيها فيما يؤديه عن الله اى لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سننه وليكن جل همتكم فى السراء والضراء العمل بما شرع لكم قال القاشانى واطيعوا الله واطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف عن الكمال والوقوع فى الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وتأخر القدم لامن عدم النظر كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله (فان توليتم) اى اعرضتم عن اطاعة الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف اى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ وزيادة تشنيع التولى عنه وفى التاويلات النجمية اطيعوا الله بتهيئة الاسباب بمظهرية ذاته وصفاته واطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية احكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فان اعرضتم عن تهيئة الاسباب والاستعداد وتصفية هذين الامرين الكليين بالاقبال على الدنيا والاستهلاك فى بحر شهواتها فانما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين (الله لا اله) فى الوجود (الا هو) جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غير وهو القادر على الهداية والضلالة لا شريك له فى الارشاد والاضلال وليس بيد الرسول شئ من ذلك (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى تثبيت قلوبهم على الايمان وللصبر على المصائب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفى الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين ومن تولى عن الطاعة وقبول احكام الدين واعلم ان التوكل من المقامات العالية وهو اظهار العجز والاعتماد على الغير وفى الحدآئق التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما فى ايدى الناس وظاهر الامر يفيد وجوب التوكل مع انه غير موجود فى اكثر الناس فيلزم ان يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلى وهو ان يعتقد العبد انه ما من مراد من مراداته الدنيوية والاخروية الا وهو يحصل من الله فيثق به فى حصوله ويرجو منه وان كانت النفس تلتفت الى الغير وتتوقع منه نظرا الى اعتقاد سببيته والله مسبب الاسباب واما التوكل الطبيعى الذى لا يكون ثقة صاحبه طبعا الا بالله وحده ولا اعتماده الا عليه فى جميع مقاصده مع قطع النظر عن الاغيار

كلها رأسا فهو عسير قلما يوجد الا في الكمل من الاولياء كما حكى عن بشر الحافي رحمه الله انه جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه ان يحج معهم فقال نعم ولكن بثلاثة شروط ان لا تحمل معنا شيأ ولا تسأل احدا شيأ ولا تقبل من احد شيأ فقالوا اما الاول والثاني فنقدر عليه واما الثالث فلا نقدر فقال انتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادا وعن بعضهم انه قال حججت اربع عشرة مرة حافيا متوكلا وكان يدخل الشوك فلا اخرجه لئلا ينقص توكلي وعن ابراهيم الخواص رحمه الله بينما انا اسير في البادية اذ قال لي اعرابي يا ابراهيم التوكل عندنا فاقم عندنا حتى يصح توكلك اما تعلم ان رياءك دخول بلد فيه الطعمة يحملك ويقويك اقطع رياءك عن دخول البلدان فتوكل فاذا كان رياء دخول البلدان مانعا عن التوكل التام فما ظنك بالاقامة في بلاد خصبة ولذا اوقع الله التوكل على الجلالة لانها جامعة لجميع الاسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الاسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل اليه اموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلا ونهارا ان لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فان الاوقات سريعة المرور خاك در دستش بود چون باد هنكام اجل * هر كه اوقات كرامى صرف آب وكل كند (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا خالصا (ان من ازواجكم) جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجيء ما في اللباب (واولادكم) جمع ولد يعم الابن والبنت (عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله وان لم يكن لهم عداوة ظاهرة فان العدو لا يكون عدوا بذاته وانما يكون عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا واشد المكر ما يكون في الدين فان ضرره اشد من ضرر ما يكون في الدنيا وجاء في الخبر ايس عدوك الذي لقيته فقتلته واجرك الله على قتله ولكن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك قدم الازواج لانها مصادر الاولاد ولانها لكونها محل الشهوات الصق بقلوب الناس واشد اشغالا لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء وفي اللباب ان قوله ان من ازواجكم يدخل فيه الذكر فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاما على التغليب ويحتمل ان يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب (فاحذروهم) الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فانه يطلق على الجمع قال بعضهم احذروهم اي احفظوا انفسكم عن محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا احقوقهم على حقوق الله تعالى وفي الحديث (اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم اسخياءكم وامركم شورى بينكم اي ذا تشاور لا يتفرد احد برأي دون صاحبه فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وفي الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبي عليه السلام ام سلمة رضي الله عنها كما في قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل ام سلمة ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة اشارت برأي فاصابت الا ام سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب في امر موسى عليهما السلام حكي ان خسرو كان يحب اكل السمك فكان يوما جالسا في المنظرة وشيرين عنده اذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فاعجبته فامر له باربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس ما فعلت لانك اذا اعطيت بعد هذا احدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال اعطاني عطية الصياد فقال خسرو لقد صدقت لكن يقبح على الملوك ان يرجعوا في عطياتهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل انما اردنا انثى وان قال انثى فقل انما اردنا ذكرا فتودي الصياد فعاد فقال له الملك هذه السمكة ذكر او انثى فقال هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وامر له باربعة آلاف درهم اخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فاخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك ارأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فالتفت عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم واخذه ولم يسهل عليه ان يتركه فغضب الملك وقال لقد صدقت يا شيرين ثم امر باعادة الصياد قال يا دنى الهمة لست

بانقصان ماهذا الحرص وانتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال انى لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت ان يأتى احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتجب خسرو من كلامه فامر له باربعة آلاف درهم اخرى وكتب وصية للناس بان لا تطيعوا النساء اصلا ولا تعملوا برأيهن قطعا وحكى ان رجلا من بنى اسرآئيل اتى سليمان عليه السلام وقال يا نبى الله اريد ان تعلمنى لسان البهائم فقال سليمان ان كنت تحب ان تعلم لسان البهائم انا اعلمك ولكن اذا اخبرت احدا تموت من ساعتك فقال لا اخبر احدا فقال سليمان قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا امسى ادخل عليهما علفا فخط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور اعطنى الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا انك مريض فلا يعمل عليك ثم انى اعطيك عشائى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته لم تضحك قال لاشئ فلما جاءت الليلة القابلة اعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور اقضنى السلف الذى عندك فانى امسيت مغلوبا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لا تدرى كيف كان الحال قال الثور وماذاك قال ان صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار ثورى مريض اذبحه قبل ان يجف فاصبر الليلة واسلخنى ايضا عشاءك حتى اذا جاء الجزار صباحا وجدك جيفا ولا يذبحك فتنجو من الموت ولو تعشيت يتلى بطنك فيخشى عليك ان يحسبك سمينا فيذبحك انى اردت لك ما اسلفتنى الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك اخبرنى والا طلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بما ضحكت اموت من ساعتى فقالت لا ابالى فقال ائتينى بالدواة والقرطاس حتى اكتب وصيتى ثم اخبرك ثم اموت فناولته فبيناهو يكتب اذ طرحت المرأة كسرة من الخبز الى الكلب فسبق الديك واخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتنى قال الديك صاحبنا يريد الموت فتكون انت شبعانا من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى فى مبيتنا الى ثلاثة ايام لا يفتح لنا الباب وان يمت برضى امرأته ابعده الله واسخطه فان لى تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن ان تسأل عن سرى ولو كنت انا مكانه لاضربنها حتى تموت او تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سر زوجها فاخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك * زنى را كجه نشست وناراستى * بلا برسر خود نه زن خواستى * وافادت من التبعيضية فى قوله ان من ازواجكم الخ ان منهما ما ليس بعدو كما قال عليه السلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال عليه السلام ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله فاذا كانت المرأة على هذه الاوصاف فهى ميمونة مباركة والا فهى مشئومة منحوسة * كراخانه آباد وهمخوابه دوست * خدايا برحمت نظر سوى اوست (وان تعفوا) عن ذنوبهم القبيحة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه والتثريب عليه (وتغفروا) باخفائها وتمهيد عذرها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم و يتفضل عليكم وهذا كقوله وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق و يقيم واراد الخطيئة وهو شاعر مشهور سفرا فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته واذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

وقيل ان ناسا من المؤمنين اراد وا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فزينوا لهم القعود قيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لنصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فخشوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة قال القاشانى وان تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرآئمهم بالحلم وتغفروا جنايا تهم بالرحمة فلا ذنب ولا حرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لا فى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله فان الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق باخلاقه وفى الحث على العفو والصفح اشارة الى ان ليس المراد

من الامر بالحذر تركهم بالكلية والاعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من اعظم نعم الجنة وبها نظام العالم فانه لولا الازواج لما وجد الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لاجلهم ومن الله على عباده تذكيرا لنعمه حيث قال خلق لكم من انفسكم ازواجا وهذا كما روى عنه عليه السلام انه كان يقول اتقوا الدنيا والنساء فان الامر بالاتقاء انما هو للتحذير عما يضر فى معاشرتها لا للترك بالكلية فكما ان الدنيا لا تترك بالكلية مادام المرء حيا وانما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولامر ما حبب الله اليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له كما سبق بيانه فى سورة النجم فقد حث عليه السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقى فى الدنيا وبه يحصل العمر الثانى وفى الآية اشارة الى ان النفوس الامارة او اللوامة اولادها وهى صفات تلك النفوس واخلاقها الشهوانية عدو للانسان يمنعه عن الهجرة الى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها فى جميع الاحوال وان تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم فى بعض الاوقات لكونهم معطية لكم وتصفحوا بعد التوبيخ والتعيير وتغفروا بان تستروا ظلماتهم بنور ايمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فان الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بافاضة رحمته عليكم جعلنا الله واياكم من اهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بانواع رحمته (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون (وقال الكاشفى) آزمايش است ناظاهر كردد كه كدام ازايشان حق رابرايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال وولد بسته ازمحبت الهى كرانه ميكيرد وجيء بانما للحصر لان جميع الاموال والاولاد فتنة لانه لا يرجع الى مال او ولد الا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وكأخيرا لاولاد من باب الترقى من الادنى الى الاعلى لان الاولاد الصق بالقلوب من الاموال لكونهم من اجزاء الاباء بخلاف الاموال فانها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الافعال فى مقابلة الفناء من الاولاد وتوحيد الذات فى مقابلة الفناء عن النفس (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والتدبير فى مصالحهم زهدهم فى الدنيا بان ذكر عيبها ورغبهم فى الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضى عنه لا يقولن احدكم اللهم اعصمنى من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكى عن محمد ابن المنكدر رحمه الله انه قال قلت ليلة فى الطواف اللهم اعصمنى واقسمت على الله تعالى فى ذلك كثيرا فرأيت فى المنام كان قائلا يقول لى انه لا يفعل ذلك قلت لم قال لانه يريد ان يعصى حتى يغفر وهذا من الاسرار المصونة والحكم المكنوت عنها وفى مشكاة المصابيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم اخذ عليه السلام فى خطبته قال ابن عطية وهذه وامثالها هى فتنة الفضلاء فاما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك يقال ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله واولاده فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه ويأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع فى الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والاهل رأسا واعرضوا عنهما بالكلية لان كل شئ يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول فى دعائه اللهم من احبنى فاجب دعوتى فاقلل ماله وولده ومن ابغضنى فلم يجب دعوتى فاكثر ماله وولده وهذا للغالب عليهم النفس واما قوله عليه السلام فى حق انس رضى الله عنه اللهم اكثر ماله وولده وبارك فيما اعطيته فهو لغيره (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم اى ان علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سببا لمؤاخذة الله اياكم من تدبير امورهما ولا تتكبروا ما يخالف امر متعالى من فعل او ترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيرا لعباد الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آية

محكمة لا ناسخ فيها العله رضى الله عنه جمع بين الآيتين بان يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم واجتهدوا فى الاتصاف به بقدر طاقتكم فانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وحق التقوى ما يحسن ان يقال ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضى ان يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله هذا لمن رضى عن الله بالثواب فاما من لم يرض عنه الا به فان خطابه فاتقوا الله حق تقاته اشار رضى الله عنه الى الفرق بين الابرار والمقربين فى حال التقوى فقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناظر الى الابرار وقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته ناظر الى المقربين فان حالهم الخروج عن الوجود المجازى بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشانى فاتقوا الله فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم قال السرى قدس سره المتقى من لا يكون رزقه من كسبه ودر كشف الاسرار آورده كه در يك آيت اشارت ميكند بواجب امر ودر ديكرى بواجب حق چون واجب امر بيامد واجب حق وارقم نسخ بركشيد زيرا كه حق بنده را كه مطالبت كند بواجب امر كند تا فعل او در دآئرة عفو داخل تواند شد واكراورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد * بى نيازى بين واستغنا نكر * خواه مطرب باش وخواهى نوحه كر * اكرهمه انبيا واوليا بهم آيند آن كيست كه طاقت آن دارد كه بحق اوجل جلاله قيام نمايد يا جواب حق او بازدهد امر او متناهى نيست اما حق او متناهى نيست زيرا كه بقاى امر بقاى تكليف است وتكليف در دنياست كه سراى تكليف است اما بقاى حق بقاى ذاتست وذات متناهى نيست پس حق متناهى نيست واجب امر برخيزد اما واجب حق برنخيزد دنيا در كذرد ونوبت امر باوى در كذرد اما نوبت حق هركز در نكذرد امروزه هر كسى راسودايى در سرست كه در امر مى نكرند انبيا ورسل بنبوت ورسالت خويش مى نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خود مى نكرند موحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وايمان واخلاص خويش مى نكرند فردا چون سراد قات حق ربوبيت باز كشند انبيا با كمال حال خويش حديث علم خود طى كنند كويند لا علم لنا ملائكه ملكوت صومعهاى عبادت خود آتش در زنند كه ما عبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ما عرفناك حق معرفتك (واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد انفاق الزكاة والظاهر العموم وهو مندرج فى الاطاعة لعل افراده بالذكر لما ان الاحتياج اليه كان اشد حينئذ وان المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الاموال على الاولاد فى المواضع حق قال الامام الغزالى رحمه الله انه قد يكون حب المال من اسباب سوء العاقبة فانه اذا كان حب المال غالبا على حب الله فحين علم محب المال ان الله يفرقه عن محبوبه عقد فى قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى ان احدا اذا احب دنياه حبا غالبا على حب ابنه فلو قصد الابن ان يأخذها منه لابغض الابن واحب هلاكه (خيرا لانفسكم) خبر لكان المقدر جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم او مفعول لفعل محذوف اى ائتوا وافعلوا خيرا لانفسكم واقصدوا ما هو انفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم من الاموال والاولاد وما هم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى ومن يقه الله ويعصمه عن بخل نفسه الذى هى الرذيلة المجبولة فى طينة النفس وقد سبق بيانه فى سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت از بخل نفس خود يعنى حق خدايرا امساك نكند ودرراه وى بذل مى نمايد وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية الى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والاول ضمير من القائم مقام الفاعل (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام وفى الحديث (كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حتى لا اترك منه شيأ وفى حديث الاصمعى اتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق او فيما هو خير منه قالوا وما خير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة روى عن النبى عليه السلام انه كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لى وقال عليه السلام وما ذنبك صفه لى قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبى يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبى يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبى قال فذنبك اعظم

ام العرش قال بل ذنبي اعظم قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك صف لي ذنبك فقال يارسول الله اني ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار فقال عليه السلام عني يعني دور شو از من لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لوقت بين الركن والمقام ثم بكيت التي عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لكبك الله في النار اما علمت ان البخل كفر وان الكفار في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فرومانده كانرا دوزخ شادكن * زروزفرومانده كي يادكن * نه خواهنده بردردي كران * بشكرانه خواهنده ازدرمران * وفي الآية اشارة الى ان الانفاق على الغير علما اوما لا انفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية في الاحدية وان من وفق لانفاق الوجود المجازي في الله فاز بالوجود الحقيقي من الله تعالى (ان تقرضوا الله) بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها وبالفارسية اگر قرض دهيد خدايرا يعني صرف كنيد در آنچه فرمايد وذكر القرض تلطف في الاستدعاء كما في الكشاف قال في اللباب القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم اذا هلكوا وانقطع اثرهم فقيل للقرض قرض لانه قطع شيء من المال هذا اصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل اسم لكل ما يلتمس الجزاء عليه وقيل ان يعطي احد شيأ ليرجع اليه ثم قيل لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل مجاز على الثاني لان الراجع ليس مثله بل بدله واليه يميل ما في الكشاف في سورة البقرة اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون يقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله (قرضا حسنا) تصريحية اصلية اي مقرونا بالاخلاص وطيب النفس قال سهل رضي الله عنه القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله في اعمالكم كما قال ان تعبد الله كانك تراه وقرضا ان كان بمعنى اقراضا كان نصبه على المصدرية وان كان بمعنى مقرضا من النفقة كان مفعولا ثانيا لتقرضوا لان الاقراض يتعدى الى مفعولين ففي التعبير عن الانفاق بالاقراض وجعله متعلقا بالله الغني مطلقا والتعبير عن النفقة بالقرض اشارة الى حسن قبول الله ورضاه والى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة انفاقه لتمام الاستحقاق (يضاعفه لكم) من المضاعفة بمعنى التضعيف اي التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك اي يجعل لكم اجره مضاعفا ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة واكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والاوقات والحال (ويغفر لكم) ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة او يجازي العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمي جزاء الشكر شكرا والله شكور بمعنى انه كثير الثناء على عبده بذكر افعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه وهذا المعنى مختار الامام القشيري رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من اشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب بعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد اداء الفرائض بعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا بعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره بعد نفسه من الغافلين والراتب في العمل بعد نفسه من المفلسين فهذا اشكر الشاكرين ومن ادب من حرف انه تعالى شكور ان يجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على اقسام شكر بالبدن وهو ان لا تستعمل جوارحك في غير طاعته وشكر بالقلب وهو ان لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو ان لا تستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو ان لا تنفقه في غير رضاه ومحبته * نفس مي نيارم زدا شكر دوست * كه شكري نه دا نم كه در خور داوست * عطا يست هر موي ازو بر تنم * چگونه بهر موي شكري كنم * واحسن وجوه الشكر لنعم الله ان لا تستعملها في معاصيه بل في طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق في النفس وتعب في البدن اي اعياء اشد الاعياء وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برئ باذن الله تعالى وان تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد ببركة ذلك ويكتب احدى واربعين مرة (حليم) لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم من البخل والامساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل انه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل انه ليس يبصر قال الامام الغزالي رحمه الله الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله

على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حكى ان ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والارض رأى عاصيا فى معصيته فقال اللهم اهلكه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى رابعا فدعا عليه فاوحى الله اليه ان قف يا ابراهيم فلو اهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق احد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فاما ان يتوبوا واما ان يصروا فلا يفوتنا شئ قيل الحلم حجاب الآفات وقيل الحلم ملح الاخلاق وشتم الشعبى رجل فقال ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وكان الاحنف يضرب به المثل فى الحلم وهو يقول انى صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم يعنى ان الصبور يشعر بانه يعاقب فى الآخرة بخلاف الحليم كما فى المفاتيح والتخلق بالاسم الحليم انما هو بان يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالاحسان تحقيقا للحلم والغفران وفى الاربعين الادريسية يا حليم ذا الاناة فلا يعادله شئ من خلقه قال السهروردى رحمه الله من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوى الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والاناة على وزن القناة هو التثبت والوقار (عالم الغيب والشهادة) خبر بعد خبر اى لا يخفى عليه خافية (وقال الكاشفى) ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وآنچه پنهان ميدارند در دلها از ريا واخلاص وقد سبق الكلام عليه فى اواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لان عالم الغيب اعم والعلم به اتم (العزيز الحكيم) البالغ فى القدرة والحكمة (وقال الكاشفى) غالبست انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقه او خالص نبود حكم كننده بكرامت انها را كه از روى صدق تصدق نمايند والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب اصحاب الكهف قال ابو على الدقاق قدس سره لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف انطقه الله تعالى فقال لم تصرفونى ان كان لكم ارادة فلى ايضا ارادة وان كان خلقكم فقد خلقنى ايضا فازدادوا بكلامه يقينا ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم الا انهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة ان نحمله بالحيلة فحمله الاولياء على اعناقهم وهم يمشون لما ادركه من العناية الازلية وكذا لم يكن فى الملائكة اكبر قدرا ولا اجل خطرا من ابليس الا ان الحكم الازلى بشقاوته كان خفيا عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الازلى لعنه من عرفه ومن لم يعرفه * كليد قدر نيست در دست كس * توانائى مطلق خدايست وبس * ز زنبور كرد اين حلاوت بديد * همانكس كه در مار زهر آفريد * خدايا بغفلت شكستيم عهد * چه زور آورد با قضا دست جهد * چه برخيزد از دست تدبير ما * همين نكته بس عذر تقصير ما * همه هرچه كردم تو برهم زدى * چه قوت كند با خداى خودى * نه من سر ز حكمت بدر مى روم * كه حكمت چنين مى رود بر سرم * وقال الحافظ الشيرازى رحمه الله نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل گفت بكن آن كردم (وقال ايضا) درين چمن نكنم سرزنش بخودرويى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا فى شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن يعنى نيست هيچ مولودى كه مولود مى شود مگر كه در مشبكهاى سرش مكتوبست پنج آيت از سورة تغابن والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش او جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه فى بعض وفى الحديث (من قرا سورة التغابن رفع عنه موت الفجأة وهى بالمد مع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون فى تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

سورة الطلاق اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) التطليق طلاق دادن يعنى عقدة نكاح را حل كردن وكشادن قال فى المفردات اصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال اطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة اذا خليتها فهى طالق اى مخلاة عن حبالة النكاح انتهى والطلاق اسم بمعنى التطليق

كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفى ذلك قالوا المستعمل فى المرأة لفظ التطليق وفى غيرها لفظ الاطلاق حتى لو قال اطلقتك لم يقع الطلاق مالم ينو ولو قال طلقتك وقع نوى اولم ينو والمعنى اذا اردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالاقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فان الشئ لايترتب على نفسه ولا يؤمر احد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ منزلة الشارع فيه والاظهر انه من ذكر السبب وارادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لامته ايضا لتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق اتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى اذا طلقت انت وامتك وفى الكشاف خص النبى بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يافلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه لسان قومه فكانه هو وحده فى حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلى اذا خاطب السيد فبان شرفه على الجمهور اذ جمع الجميع فى اسمه ففيه اشارة الى سر الاتحاد وفى كشف الاسرار فيه اربعة اقوال احدها انه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثانى انه خطاب له والمراد امته والثالث ان التقدير يا ايها النبى والمؤمنون اذا طلقتم فحذف لان الحكم يدل عليه والرابع معناه يا ايها النبى قل للمؤمنين اذا طلقتم انتهى يقول الفقير هذا الاخير انسب بالمقام فيكون مثل قوله يا ايها النبى قل لازواجك قل للمؤمنين قل للمؤمنات ولان النبى عليه السلام وان كان اصيلا فى المأمورات كما ان امته اصيل فى المنهيات الا ان الطلاق لما كان ابغض المباحات الى الله تعالى كما سيجيء كان الاولى ان يسند التطليق الى امته دونه عليه السلام مع انه عليه السلام قد صدر منه التطليق فانه طلق حفصة بنت عمر رضى الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريبا منزلتها من منزلة عائشة رضى الله عنها فقيل له عليه السلام راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة حكاه الطبرى وفى الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة اهلهما عنده تعالى وآورده آنكه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما زن خود را در حال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تا رجوع كند وآنكاه كه از حيض پاك شود اكر خواهد طلاق دهد ودرين باب آيت آمد والقول الاول هو الامثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدأ كما فى حواشى سعدى المفتى فطلقوهن لعدتهن) العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام متى تكون القيامة قال اذا تكاملت العدتان اى عدة اهل الجنة وعدة اهل النار اى عددهم وسمى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق والموت عدة لانها تعد الايام المضروبة عليها وتنتظر اوان الفرج الموعود لها كما فى الاختيار والمعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات اليها وهى الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة اذا طلقت فى طهر يعقب القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة وابعده من الندم لانه ربما ندم فى ارسال الثلاث دفعة فالطلاق السنى هو ان يكون فى طهر لم يجامعها فيه وان يفرق الثلاث فى الاطهار الثلاثة وان يطلقها حاملا فانها اذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعى على وجوه ايضا منها ان يكون فى طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالاطهار وهو الشافعى حيث ان بقية الطهر لا تحتسب من العدة ومنها ما كان فى الحيض او النفاس لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالحيض وهو ابو حنيفة رحمه الله لان بقية الحيض لا تحتسب الا ان تكون غير مدخول بها فانه لا بدعة فى طلاقها فى حال الحيض اذ ليس عليها عدة او تكون مما لا يلزمها العدة بالاقراء فان طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها ما كان بجمع الثلاث اى ان يطلقها ثلاثا دفعة او فى طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة فى قول عامة الفقهاء وهو مسيء بل آثم ولذا كان عمر رضى الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا وطلق رجل امرأته ثلاثا بين يديه عليه السلام فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم اى مقيم بينكم وفيه اشارة الى ان ترك الادب فى حضور الاكابر فحش ينبغى ان يصفع صاحبه اشد الصفع وقال الشافعى اللام فى لعدتهن متعلقة بطلقوهن لانها للتوقيت بمعنى عند او فى فيكون المعنى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر وقال ابو حنيفة رحمه الله الطلاق فى الحيض ممنوع

بالاجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء واليائسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذلك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فان قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقا اولاحقا والنكاح موقوف على الرضى من المنكوحة اومن وليها فيلزم ان يكون الطلاق موقوفا على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفا على الرضى نفسه الذى هو الباطل الغير الواقع فتفكروا علم ان النكاح والطلاق امران شرعيان من الامور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الاحوال والا وقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضى الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضى الله عنها وقبل العقد على عائشة رضى الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهى تبكى على من قتل من اقاربها يوم بدر فاستشفعت الى النبى عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فان قلت كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال عليه السلام يا معاذ ما خلق الله شيأ على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله شيأ ابغض اليه من الطلاق وذلك لان النكاح يؤدى الى الوصال والطلاق يؤدى الى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ايوم الفراق ولا نهار لليلة القطيعة رابعة عدويه كفته كه كفر طعم فراق دارد وايمان لذت وصال وقس عليه الانكار والاقرار وآن طعم واين لذت فردای قیامت بدید آمدکه دران صحرای هیبت وعرصهٔ سیاست قومی را کویند فراق لا وصال له وقومی را کویند وصال لا نهایة له سوختکان فراق همی کویند * فراق اوزمانی هزار روز آرد * بلای اوزشبی هم هزار سال کند * افروختکان وصال همی کویند سراپردهٔ وصلت کشیدروزنواخت * بطبل رحلت برزد فراق یاروال * وفى الحديث (تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش) وعنه عليه السلام لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وعنه عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة قلت يحتمل ان يكون فى ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد ان علمنا انه عليه السلام نبى حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الاخران النهى انما يكون عما لا وجه فيه وان يكون لاظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى اصحابه ليلة التعريس الى ان طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فان بذلك علم شرعية القضاء وان يصلى بالجماعة وان يصدر منه عليه السلام الاحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضى الله عنهما وان يكون من قبيل ترك الاولى وقد جوزوا ذلك للانبياء عليهم السلام فان قلت لعل ما فعله اولى من وجه وان كان ما امر الله به اولى من وجه آخر قلت لا شك ان ما امر الله به كان ارجح وترك الارجح ترك الاولى هذا ولعل ارجحية المراجعة فى وقت لا تقتضى ارجحية ترك الطلاق على فعله فى وقت آخر لان فى كل وقت احتمال ارجحية امر والله اعلم يقول الفقير اسدّه الله القدير ان النبى عليه السلام كان قد حبب اليه النساء مما يحب فى النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح اشارة الى مقام الجمع الذى هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام ارحنى يا بلال والطلاق اشارة الى مقام الفرق الذى هو مقام النبوة كما دل عليه قوله عليه السلام كلمينى يا حميرآء فالاول وصل الفصل والثانى فصل الوصل وان كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل والفرق والجمع فى مقام واحد وهو جمع الجمع كما دل عليه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك (واحصوا العدة) الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصاء اى واضبطوها بحفظ الوقت الذى وقع فيه الطلاق واكملوها ثلاثة اقراء كوامل لانقصان فيهن اى ثلاث حيض كما عند الحنفية لان الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالاطهار كما يغسل الشئ ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالاحصاء هم الازواج لا الزوجات ولا المسلمون والا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق وقال ابو الليث امر الرجال بحفظ العدة لان فى النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها واليه مال الكاشفى حيث قال وشمار كنيد اى مردان عدت زنانرا كه ايشان از ضبط عاجزند يا از احصاء آن غافل

فالزوج يحصى ليتمكن من تفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا فان ارسال الثلاث فى طهر واحد مكروه عند ابى حنيفة واصحابه وان كان لا بأس به عند الشافعى واتباعه حيث قال لا اعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الانفاق عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه ان يسكنها فى البيت اوله ان يخرجها وليتمكن من الحاق نسب ولدها به وقطعه منه قالوا وعلى الرجال فى بعض المواضع العدة منها انه اذا كان للرجل اربع نسوة فطلق احداهن لا يحل له ان يتزوج بامرأة اخرى مالم تنقطع عدتها ومنها انه اذا كان له امرأة ولها اخت فطلق امرأته لا يحل له ان يتزوج باختها مادامت فى العدة ومنها انه اذا اشترى جارية لا يحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة ومنها انه ان تزوج حربية لا يحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة ومنها انه اذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الاول فهى امرأته لانها كانت منكوحته ولم يعترض شئ من اسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضى عدتها من النكاح الثانى ووجوب العدة لا يتوقف على صحة النكاح اذا وقع الدخول بل تجب العدة فى صورة النكاح الفاسد ايضا على تقدير الدخول ومنها انه اذا تزوج حربية مهاجرة الى دارنا بامان وتركت زوجها فى دار الحرب فلا تحل له مالم يستبرئها بحيضة عند الامامين وقال ابو حنيفة لا يجب عليه العدة ومنها انه اذا تزوج امرأة حاملة لا يحل له ان يطأها حتى تضع الحمل ومنها انه اذا تزوج بامرأة وهى حائضة لا يحل له ان يقربها حتى تطهر من حيضها ومنها انه اذا تزوج بامرأة نفساء لا يحل له ان يقربها حتى تطهر من نفاسها ومنها انه اذا زفى بامرأة ثم تزوجها لا يحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن بايقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالامر بالتقوى متعلق بما قبله وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء والتقوى فى الاصل اتخاذ الوقاية وهى ما يقى الانسان مما يكرهه ويؤمل ان يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير فى الشرع لاتخاذ ما يقى العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سببا لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه فى جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له فى الاشياء شك ولا ريب (لا تخرجوهن) بيوتن مكنيد زنان مطلقه (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة اى لا تخرجوهن من مساكنكم عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن وانما اضيفت اليهن مع انها لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن وفى ذكر البيوت دون الدار اشارة الى ان اللازم على الزوج فى سكناهن ما تحصل المعيشة فيه لان الدار ما يشمل البيوت (ولا يخرجن) ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج ولا اثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لان وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع فلا يسقط باسقاط العبد كما قال فى الكشاف فان قلت ما معنى الاخراج والخروج قلت معنى الاخراج اى لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن اولحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى دفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك انتهى فان خرجت المعتدة لغير ضرورة او حاجة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او حرقا لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل او شراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا لا ليلا كما فى كشف الاسرار (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) اى الزنى فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كردارى وقال بعضهم مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى متبينة كبين من الابانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وهو الزنى فى هذا المقام وقيل البذاء بالمد وهو القول القبيح واطالة اللسان فانه فى حكم النشوز فى اسقاط حقهن فالمعنى الا ان يبذون على الازواج واقاربهم كالاب والاخ فيحل حينئذ اخراجهن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو كل معصية وهو استثناء من الاول اى لا تخرجوهن فى حال من الاحوال الا حال كونهن آتيات بفاحشة او من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة اى لا يخرجن الا اذا ارتكبت الفاحشة بالخروج يعنى ان من خرجت اتت بفاحشة كما يقال لا تكذب

الا ان تكون فاسقا يعنى ان تكذب تكن فاسقا (وتلك) الاحكام (حدود الله) التى عينها لعباده ولهذا الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر (ومن يتعد) اصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدى المتعدى بمعنى التجاوز اى ومن يتجاوز (حدود الله) حدوده المذكورة بان اخل بشئ منها على ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل امر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) اى اضر بها قال البقلى قدس سره ان الله حد الحدود باوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فاذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون فى ظلمات البعد وهذا اعظم الظلم على النفوس اذ منعوها من وصولها الى الدرجات والقربى قال بعضهم التهاون بالامر من قلة المعرفة بالامر فلابد من الخوف اوالرجاء اوالحياء اوالعصمة فى علم الله فهى اسباب اربعة لاخامس لها حافظة عن الوقوع فيملا ينبغى فمن ليس له واحد من هذه الاسباب فقد وقع فى المعصية وظلم النفس فالكامل يعطى نفسه حقها ظاهرا وباطنا ولايظلها حكى ان معروف الكرخى قدس سره رأى جارية من الحور العين فقال لمن انت ياجارية فقالت لمن لايشرب الماء المبرد فى الكيزان وكان قد برد له كوز ماء ليشرب به فتناولت الحورآء الكوز فضربت به الارض فكسرته قال السرى السقطى رحمه الله واقد رأيت قطعه فى الارض لم ترفع حتى عفا عليها التراب فكانت للحورآء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزآءه فى اعطائه نفسه حقها فان فى جسده من يطلب ضد الجارية ونحوها فلابد من اعطاء كل ذى حق حقه (لاتدرى) تعليل لمضمون الشرطية اى فانك ايها المتعدى لاتدرى عاقبة الامر وقال بعضهم لاتدرى نفس (لعل الله) شايد خداى تعالى (يحدث) يوجد فى قلبك فان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشئ بعد ان لم يكن عرضا كان ذلك او جوهرا واحداثه ايجاده (بعد ذلك) الذى فعلت من التعدى (امرا) يقتضى خلاف مافعلته فيبدل بغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولايتسنى تلافيه برجعة اواستئناف نكاح فالامر الذى يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولايمكن تداركه اوعن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى ليكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وفى الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لان احداث الرجعة لايكون بعد الثلاث فتى الثلاث عون للشيطان وفى تركها رغم له فان الطلاق من اهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه اى جنوده واعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فاعظمهم عنده الاعظم فتنة يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيأ ثم يجيء احدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم انت اى نعم المفضل اوالشرير انت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به اونعم انت ذلك الذى يستحق الاكرام فيكون بفتح النون حرف ايجاب به (فاذا بلغن) بس چون برسد زنان (اجلهن) اى شارفن آخر عدتهن وهى مضى ثلاث حيض ولولم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال فى المفردات البلوغ والبلاغ الانتهاء الى اقصى القصد والمنتهى مكانا كان اوزمانا اوامرا من الامور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينته اليه مثل فاذا بلغن الخ فانه للمشارفة فانها اذا انتهت الى اقصى الاجل لايصح للزوج مراجعتها وامساكها والاجل المدة المضروبة للشئ (فامسكوهن) اى فانتم بالخيار فان شئتم فراجعوهن والرجعة عند ابى حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطئ واللمس والنظر الى الفرج بشهوة فيهما (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق وفى الحديث (اكمل المؤمنين احسنهم خلقا والطفهم باهله (اوفارقوهن) ياجدا شويد ازايشان وبكذاريد (بمعروف) بايفاء الحق وانتفاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (واشهدوا) كواه كيريد اى عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع اذقد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت احدهما بعد الفرقة فيدعى الباقى منهما ثبوت الزوجية لاخذ الميراث وهذا امر ندب لاوجوب (ذوى عدل) تثنية ذامنصوب ذوبمعنى الصاحب اى اشهدوا اثنين (منكم) اى من المسلمين كما قاله الحسن اومن احراركم كما قاله قتادة يكونان عادلين لاظالمين ولا فاسقين والعدالة هى

الاجتناب عن الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة الحسنات على السيئات والالمام من غير اصرار لايقدح فى العدالة اذ لا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الانبياء عليهم السلام كذا فى الفروع (واقيموا الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة خالصة (لله) تعالى وذلك ان يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله برئ بها عن وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لان الاعمال بالنيات والحاصل ان الشهادة امانة فلابد من تأدية الامانة كما قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه (ذلكم) اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة اوعلى جميع ما فى الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادائها على وجهها من غير تبديل وتغيير (يوعظ به) الوعظ زجر يقترن بتخويف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ذلكم توعظون به كما فى سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فان من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الايمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على ان للانسان يومين اليوم الاول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفا زمان طلوع الشمس الى غروبها وشرعا زمان طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلا كان اونهارا طويلا كان اوقصيرا وذلك الزمان اما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الاول اوغير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذى لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا ان يكون المراد من اليوم الاخر ما يكون محدودا ايضا من وقت النشور الى ان يستقر الفريقان فى مقرهما من الجنة اوالنار فعلى هذا يمكن ان يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان القرار فى القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية عن بعثنا من مرقدنا وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر فى اواخر سورة الحشر قال بعض الكبار علمان باليقظة بعد النوم علمك بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد غير ان للبرزخ بالجسم تعلقا فى النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على ما تمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو امر مستقر فالعاقل يسعى فى اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيى على الايمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما (ومن يتق الله) فى طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور (يجعل له مخرجا) مصدر ميمى اى خروجا وخلاصا مما عسى يقع فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن وقال بعضهم هو عام اى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له خروجا من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبى عليه السلام انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وفى الجلالين من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة اواسم مكان بمعنى يخرجه الى مكان يستريح فيه وفى فتح الرحمن يجعل له مخرجا الى الرجعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عمن طلق امرأته ثلاثا اوالفا هل له من مخرج فقال لم يتق الله فلم يجعل له مخرجا بانت منه بثلاث والزيادة اثم فى عنقه ويقال المخرج على وجهين احدهما ان يخرجه من تلك الشدة والثانى ان يكرمه بالرضى والصبر فانه من قبيل العافية ايضا كما قال عليه السلام واسأل الله العافية من كل بلية فالعافية على وجهين احدهما ان يسأله ان يعافيه من كل شئ فيه شدة فان الشدة انما يحل اكثرها من اجل الذنوب فكانه سأل ان يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التى من اجلها تحل الشدة بالنفس والثانى انه اذا حل به بلاء ان لا يكله الى نفسه ولا يخذله وان يكلأه ويرعاه وفى هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والالم لذة والصبر شكرا ولا يتحقق بها الا الاكمل (ويرزقه) بعد ذلك الجعل (من حيث لا يحتسب) من ابتدائية متعلقة بيرزقه اى من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفى المهر ويؤدى الحقوق ويعطى النفقات قال فى عين المعانى من حيث لا يرتقب من الخان اويعتد من الحساب

ازسببها بكذر وتقوى طلب * تاخدا روزى رساند بى سبب * حق رجايى بخشدت رزق حلال *
كه نباشد در كمان ودر خيال * قال عليه السلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرأها ويعيدها وعنه عليه السلام من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى ان عوف بن مالك الاشجعى رحمه الله اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول
الله فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ففعل
فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (وقال الكاشفى)
عوف بازن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمود نداندك فرصتى را پسر عوف از اهل شرك خلاص
يافته وچهار هزار كوسفند ايشانرا رانده بسلامت بمدينه آمد واين آيت نازل شد كه هر كه تقوى ورزد روزى
حلال يابد وفى عين المعانى فافلت ابنه باربعة آلاف شاة وبالامتعة وفى الجلالين واصاب ابلا لهم وغنما
فساقها الى ابيه آورده اند كه در روزكار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد واز عمر توليت عمل
خواست تا در ديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن دانى كفت ندانم كه نياموخته ام عمر كفت ما عمل
بكسى ندهيم كه قرآن نداند مرد باز كشت وجهدى ورنج عظيم بر خود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا
عمل دهد چون قرآن بياموخت ويادكرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاى رسانيد كه
در دل وى نه حرص ولايت ماند نه تقاضاى ديدار عمر * پس روزى عمر اورا ديد كفت يا هذا هجرتنا اى جوانمرد
چه افتاد كه بيكبارگى هجرت ما اختيار كردى كفت يا امير المؤمنين تو نه ازان مردان باشى كه كسى وادارد كه
هجرت تو اختيار كند ليكن قرآن بياموختم وچنان توانكر دل كشتم كه از خلق واز عمل بى نياز شدم
عمر كفت آن كدام آيت است كه ترا بدين دركاه بى نيازى دركشيد كفت آن آيت كه در سورة الطلاق است
(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) واعلم ان كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيويا
واخرويا جسمانيا وروحانيا وان اعسر الضيق ما يكون اخرويا واوفر الرزق ما يكون روحانيا فمن يتق الله حق
التقوى يجعل له مخرجا من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فان قيل ان اتقى الاتقياء هم الانبياء والاولياء
مع ان اكثرهم ابتلى بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء والاولياء
ثم الامثل فالامثل اجيب بان اشد الشدة وامد المدة ما يكون اخرويا وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه
ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واما ما اصابهم فى الدنيا باختيارهم للاجر الجليل وبغير اختيار
للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال بعضهم شكا اليه
عليه السلام بعض الصحابة الفاقة فقال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال كم من مستديم
للطهارة لا يرتب له كفايته فضلا عن ان يوسع عليه ويوجه بان تخلف الاثر كالتوسيع مثلا لمانع لا ينافى الاقتضاء
اى اقتضاء العلة لمعلولها واثرها اما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر واما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء
العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة احد الضدين لا يبقى للآخر تاثير يقول الفقير والذى
يقع فى قلبى ان اصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بانواع الرزق المعنوى والغذاء الروحانى من العلوم والمعارف
والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم فى الرزق الصورى والغذاء الجسمانى انما هو لتطبيق الفقر الظاهر
بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغننى بالافتقار اليك فاصحاب الطهارة الدائمة
مرزوقون ابدا اما ظاهرا او باطنا معا واما باطنا فقط على ان لاهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى
من اهل النهاية محروما من الرزق مطلقا الا نادرا والله الغنى وفى التأويلات النجمية ومن يتق الله اى يجعل
ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وافعاله تعالى جنة افعاله باضافة الاشياء كلها خلقا وايجادا الى ذاته وصفاته
وافعاله يجعل له مخرجا من مضايق ذاته وصفاته وافعاله الى وسائع ذاته وصفاته وافعاله ويرزقه من حيث
لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد (ومن يتوكل على الله)
التوكل سكون القلب فى كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى جميع الاحوال
(فهو) اى الله تعالى (حسبه) بمعنى محسب اى كاف يعنى كافى المتوكل فى جميع اموره ومعطيه حتى يقول
حسبى فان قلت اذا كان حكم الله فى الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلت معناه ان المتوكل يكون فارغ القلب

ساكن الجاش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محمودا قال عليه السلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومعناه تذهب اول النهار خماصا اى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا اى ممتلئة البطون وليس فى الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو وتروح وانما التوكل بعد الحركة فى امر المعاش كتوكل الزارع بعد القاء الحب فى الارض وكان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جماعة جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وفى المثنوى) كر توكل ميكنى در كار كن * كشت كن پس تكيه بر جبار كن * رمز الكاسب حبيب الله شنو * از توكل در سبب كاهل مشو * واما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها كل ضامر فى الدين ودل الحديث المذكور على ان التوكل الحقيقى ان لا يرجع المتوكل الى رزق معين وغذآء موظف كالطير حتى لا ينتقض التوكل اللهم الا ان يكون من الكمل فان المعين وغيره سوآء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره وفى التأويلات النجمية ومن يتوكل فى رزق نفسه من الاحكام الشرعية وفى رزق قلبه من الواردات القلبية وفى رزق روحه من العطايا والمنح الالهية الروحانية فالله الاسم الاعظم حسبه من حيث الاسماء الكافية او التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعا الى التوكل (ان الله بالغ امره) بالاضافة اى منفذ امره ومتم مراده وممضى قضائه فى خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وفى التأويلات النجمية ان الله بالغ امره فى كل مأمور بما هو منتهاه واقصاه وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اى يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (كما قال الكاشفى) رسانند ه است كار خود را بهر جا خواهد يعنى آنچه مراد حق سبحانه باشد از و فوت نشود وقرئ بالغ امره على الفاعلية اى نافذ امره وفى القاموس امر الله بلغ اى بالغ نافذ يبلغ اين اريد به (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك (قدرا) اى تقديرا متعلقا بنفس ذاته وبزمانه وقومه وبجميع كيفياته واوصافه وانه بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره وبالفارسية اندازه كه از ان در نكذرد او مقدارا وحدا معينا او وقتا واجلا ونهاية ينتهى اليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعنى با مقدارى از زمانكه پيش ر پس نيفتد وفى التأويلات النجمية اى رتبة وكما لا يليق بذلك الشئ وقال القاشانى ومن يتوكل على الله بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع اليه من الوسائل فهو كافيه يوصل اليه ما قدر له ويسوق اليه ما قسم لاجله من انصبة الدنيا والآخرة ان الله يبلغ ما اراد من امره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ما خاف احدا ولا رجاه وفوض امره اليه ونجا قد عين الله لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل لا يزيد بسعى ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة انتهى وفى المفردات تقدير الله الاشياء على وجهين احدهما باعطاء القدرة والثانى ان يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك ان فعل الله ضربان ضرب اوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل انه ابدعه كاملا دفعة لا يعتريه الكون والفساد الى ان يشاء ان يفنيه او يبدله كالسموات وما فيها ومنه ما جعل اصوله موجودة بالفعل واجزآءه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره فى النواة ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير منى الآدمى ان يكون منه الانسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين احدهما بالحكم منه ان يكون كذا ولا يكون كذا اما على سبيل الوجوب واما على سبيل الامكان وعلى ذلك قوله تعالى قد جعل الله لكل شئ قدرا والثانى باعطاء القدرة عليه انتهى والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقدير الله وتوقيته لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله (قال الكاشفى) بناء اين آيت بر تقوى وتوكلست تقوى نفحهٔ بوستان قربست واز رتبهٔ معيت خبر دهد كه ان الله مع الذين اتقوا وتوكل رآيحهٔ كلزار كفايتست واز بوى ريحان محبت رسد كه ان الله يحب المتوكلين وبى اين دو صفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد * سلوك راه معنى را توكل بايد وتقوى * توكل مركب راهست وتقوى توشهٔ رهرو * قال سهل قدس سره لا يصح التوكل الا للمتقين ولا تتم التقوى الا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال ومن يتق الله الخ وقال بعضهم من تحقق

فى التقوى هوّن الله على قلبه الاعراض عن الدنيا و يسر له امره فى الاقبال عليه والتزين بخدمته و جعله اماما لخلقه يقتدى به اهل الارادة فيجعلهم على اوضح السنن واوضح المناهج وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من يكل اموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين اجمع قال الربيع رحمه الله ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم اجيب دعوة الداع اذا دعان (واللائى) من الموصولات جمع التى يعنى ان زنان كه (يئسن من المحيض من نسائكم) اللاتى دخلتم بهن لكبرهن ويبسهن وقدروه بستين سنة و بخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه أيس يأيس يأسا واياسا لا ايسا وفاعلهما آيس لا يائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من المحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعملت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فاى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء اذا كان حملها من الولد واما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء واما الاياس فى مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الاصل ائياس على افعال حذفت منه الهمزة التى هى عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الانثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها ويكون للارنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفى القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحاضا فهى حائض وحائضة من حوائض وحيض سال دمها والحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا اياس لها اى يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف (ان ارتبتم) من الارتياب بالفارسية بشك شدن اى شككتم واشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة اشهر) فقوله واللائى يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيها فاعلموا انها ثلاثة اشهر كذا قالوا والاشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلال او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر (واللائى) وآن زنان كه (لم يحضن) اى ما رأين الدم لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعد زمن الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند ابى حنيفة والشافعى لا تنقضى عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء وتبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وضع السجاوندى الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه فى لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر ان يضع الميم الدالة على اللازم لان المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسد العلة نظرا الى ظهور عدم حمل التى لم تحض لصغرها (واولات الاحمال) واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار والمراد الحبل اى الثقل المحمول فى الباطن وهو الولد فى البطن والمعنى وذوات الاحمال من النساء والحبالى منهن (اجلهن) اى منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن فلو وضعت المرأة حملها اى ولدت وحطت ما فى بطنها يعنى ازالاى بزير آورد بعد طلاق الزوج او وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للازواج فكيف بعد ساعة او يوم او شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله) فى شأن احكامه وحقوقه (يجعل له من امره يسرا) اى يسهل عليه امره ويوفقه للخير ويعصمه من المعاصى والشر بسبب التقوى نحن للبيان قدم على المبين للفواصل او بمعنى فى (ذلك) المذكور من الاحكام وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لا لتعيين خصوصية المخاطبين (امر الله) حكمه الشرعى (انزله)

من الاهتمام بالرزق وانفاقه سعة الصدر ويسر السخا والطمأنينة والرضى بالله وايضا سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفى التأويلات النجمية يعنى كل ذى سعة مأمور بانفاق مايقدر على انفاقه فالخفى المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والسر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الالهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فى استعدادها الازلى وقابليتها الغيبية سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض (وكأين من قرية) بمعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من اهل قرية وبالفارسية وبسيار از اهل ديهى وشهرى فهو من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم وصفه بصفته او من المجاز العقلى والاسناد الى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة فى الاحكام المذكورة وتأكيد لايجابها عليهم (عتت عن امر ربها ورسله) قال فى المفردات العتو النبو عن الطاعة وفى القاموس عتا عتوا وعتيا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى والعتو لا يتعدى بعن وانما عدى بها لتضمينه معنى الاعراض كانه قيل اعرضت عن امر ربها وامر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد فى التكبر والعناد وفى ايراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما ان عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم وبمرتبة انفسهم ودوام احتياجهم اليه فى التربية قوله وكاين مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ (فحاسبناها حسابا شديدا) اى ناقشناها فى الحساب وضيقنا وشددنا عليها فى الدنيا واخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والامراض والاوجاع والسيف وتسليط الاعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدما معجلا على استئصالها وذوقها العذاب الاكبر لترجع الى الله تعالى لان البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأسا فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال (وعذبناها عذابا نكرا) اى منكرا عظيما هائلا متنفرا عنه بالطبع لشدته وايلامه او غير متوقع فانهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع اشد الما واللطف الغير المتوقع اتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابى چنانكه نديده بودند ونشناخته وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الاغراق والاحراق والريح والصيحة فالنكر الامر الصعب الذى لا يعرف والانكار ضد العرفان يقول الفقير اضاف الله المحاسبة والتعذيب الى نفسه مع ان سببهما كان العتو عن امره وامر رسله لان الرسل كانوا فانين فى الله فاتخذوا الله وكيلا فى جميع امورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك انهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب اممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم واهلكوه وقس عليهم احوال الكمل من الاولياء (فذاقت) پس بچشيدند اهل آن ديه (وبال امرها) اى ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها اى احسته احساس الذائق المطعوم (وكان عاقبة امرها خسرا) هائلا لا خسر وراءه يعنى زيانكارى وكدام زيان ازان بدتر كه از حيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها فى المخالفات قال فى المفردات الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب الى الانسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك فى القنيات الخارجية كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر وفى النفسية كالصحة والسلامة والعقل والايمان والثواب وفى الآية اشارة الى اهل قرية الوجود الانسانى وهو النفس والهوى وسائر القوى فانها اعرضت عن حكم الروح فلم تدخل فى حكم الشريعة وكذا عن متابعة امر القلب والسر والخفى فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت فى بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة امرها خسران الضلالة ونيران الجهالة (اعد الله لهم) مع ذلك فى الآخرة ولام لهم لام التخصيص المحض لا لام النفع كما فى قولهم دعا له فى مقابلة دعا عليه (عذابا شديدا) اى قدره فى علمه على حسب حكمته او هيأ اسبابه فى جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم اهل الحساب والعذاب فى الدنيا والآخرة لا فى الدنيا فقط فان ما اصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة ايضا وهذا المعنى من قوله فحاسبناها الى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا الهمت به حين المطالعة ثم وجدت فى تفسير الكواشى

وكشف الاسرار وابى الليث والاستلة المفحمة مايدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة الى ان يقال فيه تقديما وتأخيرا وان المعنى انا عذبناها عذابا شديدا فى الدنيا وحاسبها حسابا شديدا فى الآخرة على ان لفظ الماضى للتحقيق كما كثر الفاظ القيامة فان فيه وفى نحوه تكلفا بينا على ما ارتكبه من بعد من اجلاء المفسرين ودل قوله فى الاثر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا على ان المحاسبة عامة لما فى الدارين وان المراد بها فى بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقا (فاتقوا الله ياأولى الالباب) اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة الاولى واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الايمان يقينيا فلذلك وصفهم بقوله (الذين آمنوا) اى الايمان التحقيقى اليقينى العيانى الشهودى وفيه اشارة الى ان منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافى ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شئ يكون سببا لاصل شئ آخر ويكون سببا فى زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازى والدخول فى لب الوجود الحقيقى والاتصاف بالايمان العيانى قال بعضهم الذين آمنوا حقا وصدقا ويجوز ان يكون صفة كاشفة لامقيدة فانه لايليق ان يعد غير المؤمنين من اولى الالباب اللهم الا ان يراد باللب العقل العارى عن الضعف باى وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الامر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لانهم المنتفعون انتهى والظاهر ان قوله الذين آمنوا مبتدأ خبره قوله تعالى (قد انزل الله اليكم) والخطاب من قبيل الالتفات (ذكرا) هو النبى عليه السلام كما بينه بان ابدل منه قوله (رسولا) وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن وتبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح اى للتجوز فيه عليه السلام بالذكر اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه يعنى ان رسول الله شبه بالذكر الذى هو القرآن لشدة ملابسته به فاطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به مايلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا لها اوبجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه عليه السلام سبب لارساله وقال بعضهم ان التقدير قد انزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن وارسل اليكم رسولا يعنى محمدا عليه السلام لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله انزل نظيره قوله علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء باردا فيكون الوقف فى ذكرا تاما بخلافه اذا كان بدلا وقال القاشانى قد انزل الله اليكم ذكرا اى فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد رسولا اى روح القدس الذى انزله به فابدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هو انزاله بالاتصال بالروح النبوى والقاء المعانى فى القلب (يتلو) يقرأ ويعرض (عليكم) ياأولى الالباب اوايها المؤمنون (آيات الله) اى القرآن (مبينات) اى حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ماتحتاجون اليه من الاحكام اومبينات بالفتح بمعنى واضحات لاخفاء فى معانيها عند الاهالى اولاعربية فى اعجازها عند البلغاء المنصفين وانما يتلوها اوانزله (ليخرج) الرسول ويخلص اوالله تعالى قال بعضهم اللام متعلقة بانزل لابقوله يتلو لان يتلو مذكور على سبيل التبعية دون انزل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله والا فاخراج الموصوفين بالايمان من الكفر لا يمكن اذ لا كفر فيهم حتى يخرجوا منه اى ليحصل لهم الرسول ماهم عليه الان من الايمان والعمل الصالح باخراجهم عما كانوا عليه اوليخرج الله من علم اوقدر انه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم اظهارا لشرف الايمان والعمل الصالح وبيانا لسبب الاخراج وحثا على التحقق بهما (من الظلمات الى النور) اى من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن الكفر الى الايمان ومن الشبهات الى الدلالات والبراهين ومن الغفلة الى اليقظة ومن الانس بغير الله الى الانس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم فى السعى والاجتهاد بعناية الله تعالى وفى التأويلات النجمية ليخرج الذين آمنوا بالايمان العلمى وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لا بمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالاعمال والاحوال الى نور الاطلاق برؤية فاعلية الحق فى الاشياء انتهى يقول الفقير انما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة اسبابها وانواعها ولذا قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى شدائدهما فانها كالظلمات وكذا الاعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد فى حق الظلم

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) خالصا من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الايمان والعمل الصالح ونهاية امر من اتصف بهما تنشيطا وترغيبا لغيرهما لهما قال بعض الكبار لو كان الايمان بذاته يعطى مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الاخلاق بدونه وللايمان وللمكارم آثار ترجع على اصحابها فى اى دار كان كما ورد فى حق ابى طالب فانه قال العباس رضى الله عنه يارسول الله ان اباطالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار وكما روى ابولهب فى المنام وهو يمص ماء من ابهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام وكما قيل انه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى خطيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام ما بال هذا الرجل فى هذه الخطيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما فى انيس الوحدة وجليس الخلوة فاذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا ايمان فكيف مع ايمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الايمان الذى هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الاقرار عند البعض يفيد المغايرة على ما هو المذهب الاصح وهو كاف فى دخول الجنة بوعد الله وكرمه فى القول الحق المثبت بالادلة القوية فذكر العمل الصالح بعده للاهتمام والحث عليه اخبارا بان اهله يدخلون ابتداء بلا حساب او بحساب يسير (يدخله جنات تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها واشجارها (الانهار) الاربعة المذكورة فى سورة محمد عليه السلام (خالدين فيها) مقيمين فى تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها (ابدا) ظرف زمان بمعنى دائما غير منقطع فيكون تأكيدا للخلود لئلا يتوهم ان المراد به المكث الطويل المنقطع آخرا (قد احسن الله له رزقا) حال اخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لان الجملة الخبرية اذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولا لازمها يحمل على التعجب اذا اقتضاه المقام كانه قيل ما احسن رزقهم الذى رزقهم الله وما اعظمه فرزقا ظاهره المفعولية لاحسن والتنوين للتعظيم لاعداده تعالى فيها ما هو خارج عن الوصف او للتكثير عددا لما فيه مما تشتهيه الانفس من الرزق والانفس او مددا لان اكلها دائم لا ينقطع ولا بعد فى ان يكون له بمعنى اليه ويكون رزقا تمييزا بمعنى قد هيأ له واعد مما يحسن اليه به من جهة الرزق قال بعض الكبار الجزاء على الاعمال فى حق العارفين من عين المنة فهو جزاء العمل لا جزاء العامل فافهم قال فى الاستئناف المفحمة الظاهر ان الرزق الحسن مال فى قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى يقول الفقير هذا التفسير ليس فى محله لان المراد رزق الآخرة كما دل عليه ما قبل الآية لا رزق الدنيا وفى التأويلات النجمية ومن يؤمن بالله ايمانا حقيقيا عينيا ويعمل عملا صالحا منزها عن رؤيته مقدسا عن نسبته الى العامل المجازى يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد احسن الله له رزقا فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفى بالفناء والبقاء (الله الذى) الخ مبتدأ وخبر اى الملك القادر الذى (خلق سبع سموات) بيافريد هفت آسمان بعضى بالاء بعض نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها او لكفايته فى المقصود من اثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل باخبار خلقه تعالى سبع سموات من غير نظر الى التعيين (ومن الارض) اى وخلق من الارض (مثلهن) اى مثل السموات السبع فى العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد از زمين مانند آسمانها بعضى در تحت بعض فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سموات وليس بمعطوف على سبع سموات لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وابو على بكراهيته فى غير موضع الضرورة واختلف فى كيفية طبقات الارض فالجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك متطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة اى سواء كان بالهواء او بغيرها بخلاف السموات قال القرطبى والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين

نسألك من خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذبك من شرها وشر اهلها وشر من فيها وروى شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي عليه السلام جالس اذاتى عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا العنان هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما الذى فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال فوقها العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سمائين او كما قال ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال الارض وتحتها ارض اخرى بينهما خمسمائة عام ثم قال والذى نفس محمد بيده لو انكم ادليتم بحبل لهبطتم على الله ثم قرأ عليه السلام هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما فى خريدة العجائب وفى المقاصد الحسنة لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله فسره بعض اهل العلم فقال انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى قال شيخنا معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن فالله سبحانه كان قبل ان يحدث الاماكن انتهى كلام المقاصد الحسنة قال بعض العارفين فيه اشارة الى انه ما من جوهر فى العالم العلوى والسفلى الا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفى الحديث (اجتمع املاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الارض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من اين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع ونقول فالارض بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام وكذا ما بينهما على ما دل عليه حديث ابى هريرة وفى الحديث (من اخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين قال ابن الملك وفيه اشعار بان الارض فى الآخرة ايضا سبع طباق وفى الكواشى قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والارضون مثل السموات فكما ان فى كل سماء نوعا من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل ارض اهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل ارض اسم خاص كما ان لكل سماء اسما خاصا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن وعن عطاء بن يسار فى هذه الآية فى كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا معناه ان فى كل ارض خلقا لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وابراهيم وعيسى فينا قال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث الارضون سبع فى كل ارض من الخلق مثل ما فى هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كابراهيمكم هو مجهول ان صح نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما على انه اخذه عن الاسرائيليات اى اقاويل بنى اسرائيل مما ذكر فى التوراة او اخذه من علمائهم ومشايخهم كما فى شرح النخبة وذلك واشباهه اذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام المقاصد مع تفسير الاسرائيليات وقال فى انسان العيون قد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين فى كل ارض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة اى لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطى ويمكن ان يأول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى ما فى انسان العيون ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بافتاده خطابا لحضرة محمود الهدايى قدس سرهما الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير قال فى خريدة العجائب وليس هذا القول اى خبر فى كل ارض آدم الخ بأعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة ففى كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لا على المطابقة والمكايسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يرى ان الارض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى

وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار يعني الحائل بين كل ارض وارض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة اليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردي وعلى هذا اى وعلى انها سبع ارضين وفي كل ارض سكان من خلق الله تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستعدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم و يستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة قال سعدي المفتي وقد تأول الآية تارة بالاقاليم السبعة اى فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة الى الاثيريات فهي ارضها التي ينزل عليها منها الصور الكائنة وهي النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الاثير التي فيها الشهب وذوات الاذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التي هي السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملنا اياها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفي وغيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هي الاعضاء السبعة المشهورة وفي التأويلات النجمية هي طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح واراضي النفوس وهي النفس الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية (يتنزل الامر) اى امر الله واللام عوض عن المضاف اليه (بينهن) اى بين السموات السبع والارضين السبع والظاهر ان الجملة استئنافية للاخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ امره في العلويات والسفليات كلها فالامر عند الاكثرين القضاء والقدر بمعنى يجري قضاؤه و ينفذ حكمه بين السماء السابعة التي هي اعلى السموات وبين الارض السابعة التي هي اسفل الارضين ولا يقتضي ذلك ان لا يجري في العرش والكرسي لان المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضي التخصيص بالحكم كذا قالوا يقول الفقير تحقيق هذا المقام يستدعي تمهيد مقدمة وهي انه استوى الامر الارادي الايجادي على العرش كما استوى الامر التكليفي الارشادي على الشرع الذي هو مقلوب العرش والتجليات الايجادية الامرية المتنزلة بين السموات السبع والارضين السبع موقوفة على استواء امر تمام حصول الاركان الاربعة على العرش وتلك الامور الاربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهي حركة العرش فالعرش مستوى امره الايجادي لا مستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الامر الالهي بينهن وهي التجليات الالهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية اشير اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان و بقوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها واما التجليات الشهودية فما كانت وتكون في الدنيا والآخرة لقلوب اهل الكمال وارواحهم واسرارهم من الانبياء العظام والاولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وارض من جانب العرش العظيم ابدا دائما ان الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقا في الدنيا والآخرة فيفني و يعدم عوالم و يوجد و يظهر عوالم اخرى لا نهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن في امر وشان بحسب مقتضيات استعدادات اهل العصر وموجبات قابليات اصحاب الزمان (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) متعلق بخلق او بينزل او بما يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شئ ومنه البعث للحساب والجزاء فتطيعوا امره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص عن الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لان فعله تعالى خال عن العبث روى عن الامام الاعظم انه قال ان هذه الآية من اخوف الآيات في القرآن لا لام الغرض فانه تعالى منزه عن الغرض اذ هو لمن له الاحتياج والله غني عن العالمين (وان الله قد احاط بكل شئ علما) كما احاط به قدرة لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والاحاطة العلم البالغ و بالفارسية و بدرستي كه فرا رسيده است بهمه چيز از روى علم يعني علم قدرت او محيط است بهمه اشيا از موجودات علمي وعيني هيچ چيز از دائرة علم وقدرت او خارج نيست * ومزيست زسر قدرتش كن فيكون *

باه انش او یکیست بیرون ودرون * درغیب وشهادة ذرة نتوان یافت * ازدآ ثرة قدرت وعلمش بیرون * ویجوزان یکون العامل فی اللام بیان ماذکر من الخلق وتنزل الاهرای اوحی ذلک وبینه لتعلموا بماذکر من الامور التی تشاهدونها والتی تتلقونها من الوحی من عجائب المصنوعات انه لایخرج عن علمه وقدرته شیء مما اصلا قوله علما نصب علی التمییز ای احاط علمه بکل شیء کما فی عین المعانی اوعلی المصدر المؤکد لان المعنی وان الله قد علم کل شیء علما کما فی فتح الرحمن قال البقلی قدس سره ملوکان للانسان قدرة المعرفة کالارواح لم یخاطبه بالعلل والاستدلال لیعلم برؤیة الاشیاء وجود الحق وکان کالارواح فی الخطاب بلاعلة فی تعریف نفسه ایاها بقول الست بربکم اذهنالک خطاب وشهود وتعریف بغیر علة فلما علم عجزه وهو فی عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف احاله الی الشواهد بقوله خلق سبع سموات الخ ولیس یعارفه فی الحقیقة من عرفه بشیء من الاشیاء او بسبب من الاسباب فمن نظر الی خلق الکون یعرف انه ذوقدرة واسعة وذواحاطة شاملة ویخاف من قهره ویذوب قلبه بعلمه فی رؤیة اطلاع الحق علیه قال الشیخ نجم الدین فی تأویلاته وفی هذه الآیة الکریمة غوامض من اسرار القرآن مکنونة ویدل علیه قول ابن عباس رضی الله عنهما لما سئل عن هذه الآیة وقال لوفسرتها لقطعوا حلقومی ورجوفی والمعنی الذی اشار الیه رضی الله عنه مما لایبرز عنه ولایشار الیه ولکن یذاق

تمت سورة الطلاق بعون الله الملک الخلاق فی خامس عشر جمادی الاولی من شهور سنة ست عشر وسبعمائة والف

سورة التحریم ثنتا عشرة آیة مدنیة

بسم الله الرحمن الرحیم

(یاایها النبی لم تحرم ما احل الله لک) اصل لم لما والاستفهام لانکار التحریم وهو بالفارسیة حرام کردن کما ان الاحلال حلال کردن روی ان النبی علیه السلام خلا بسریته مارية القبطیة التی اهداها الیه المقوقس ملک مصر فی یوم عائشة رضی الله عنها ونوبتها وعلمت بذلک حفصة رضی الله عنها فقال لها اکتمی علی ولاتعلمی عائشة فقد حرمت مارية علی نفسی وابشرک ان ابابکر وعمر رضی الله عنهما یملکان بعدی امرامتی فاخبرت به عائشة رضی الله عنها ولم تکتم وکانتا متصادقتین متظاهرتین علی سائر ازواج النبی علیه السلام قال السهیلی رحمه الله امر هما ان لاتخبر عائشة ولاسائر ازواجه بمارأت وکانت رأته فی بیت مارية بنت شمعون القبطیة ام ولده ابراهیم المتوفی فی الثدی وهو ابن ثمانیة عشر شهرا فخشی ان یلحقهن بذلک غیرة واسر الحدیث الی حفصة فافشته وقیل خلا بها فی یوم حفصة کما قال بعض اهل التفسیر کان رسول الله علیه السلام یقسم بین نسائه فلما کان یوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضی الله عنه استأذنت رسول الله فی زیارة ابیها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله الی ام ولده مارية القبطیة قال فی کشف الاسرار دوبیرون مدینه درنخلستان درسرایی مقام داشت که زنان رسول ثمی خواستند که درمدینه بااینشان نشیند وگاه گاه رسول خدا از بهر طهارت بیرون شدی واورا دیدی انتهی فادخلها بیت حفصة فوقع علیها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه یقطر عرقا وحفصة تبکی فقال مایبکیک فقالت انما اتیت لی من اجل هذا ادخلت امتک بیتی ثم وقعت علیها فی یومی علی فراشی فلورأیت لی حرمة وحقا ماکنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله الیس هی جاریتی احلها الله لی اسکتی فهی حرام علی التمس بذلک وجهی لاتخبری بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذی بینها وبین عائشة فظنت ان الامر بشر لها ان رسول الله قد حرم علیه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بمارأت فلم تکتم فطلقها رسول الله بطریق الجزآء علی افشاء سره واعتزل نساءه ومکث تسعا وعشرین لیلة فی بیت مارية قال ابو اللیث اقسم ان لایدخل علیهن شهرا من شدة موجدته علیهن حتی نزلت الآیة ودخل عمر رضی الله عنه علی بنته حفصة وهی تبکی فقال اطلقکن رسول الله فقالت لاادری هوذا معتزلا فی هذه المشربة وهی بفتح الراء وضمها الغرفة والعلیة کما فی القاموس وروی انه قال لها لوکان فی آل الخطاب خیر لما طلقک قال عمر فاتیته علیه السلام فدخلت وسلمت علیه فاذا هومتکیء علی رمل حصیر قد اثر فی جنبه فقلت اطلقت نساءک یارسول الله فقال لافقلت الله اکبر لورأیتنا یارسول الله وکنا معشر قریش نغلب النساء فلما قدمنا المدینة

وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله وقال عمر للنبي عليه السلام لاتكترث بامر نسائك والله معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضي الله عنها لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل علي رسول الله فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا وانك قد دخلت في تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله عن امر الله راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وكان تحته عليه السلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرة بنت الحارث المصطلقية ونقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم عسل وشربت او وهرچيز كه حلو باشد دوست داشتي وقتي زينب رضي الله عنها مقداري عسل داشت كه بعضي خويشان وي درمكه بطريق هديه فرستاده بود هركاه آن حضرت عليه السلام بخانهٔ وي آمدي زينب شربت فرمودي وآن حضرت رادر خانهٔ وي بسبب آن توقف بيشتر واقع شدي آن حال بربعضي ازواج طاهرات كران آمد عائشه وحفصة اتفاق نمودند كه چون آن حضرت بعد ازآشاميدن شربت عسل درخانهٔ وي نزدهركدام ازمادر آيند كوييم ازتوبوي مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند ازدرختان باديه واكرچه شيرينست واما رايحهٔ كريهه دارد وحضرت بوي خوش دوست ميداشت براي مناجات ملك وازروايح ناخوش محترزمي بود پس آن حضرت روزي شربت آشاميد ونزدهركدام آمد ازازواج كفتند يارسول الله ازشما رايحهٔ مغفور مي آيد وايشان در جواب فرمودند كه مغفور نخورده ام امادرخانهٔ زينب شربت عسل آشاميده ام كفتند جرست - الخلة العرفط يعني ان تلك الخلة اكلت العرفط وبالفارسية زنبور آن عسل ازشكوفهٔ عرفط جريده بود والجرس خوردن منج چرا را وفي القاموس الجرس اللحس باللسان امام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود كرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسي فوالله لاآكله ابدا واين سوكند بدان خورد تادیكركس ويرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية والقول الاول وهو ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس في الآية وقال في كشف الاسرار قصة العسل اسند كما قال في اللبابين ان هذا هو الاصح لانه مذكور في الصحيحين انتهى وقصة مارية اشبه ومعنى الآية لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين اومن العسل اى تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا لك لان اعتقاد كونه حراما بعد ما احل الله مما لايتصور من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء قال الفقهاء من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد احله الله فقد كفر اذما احله الله لايحرم الا بتحريم الله اياه بنظم القرآن او بوحي غير متلو والله تعالى انما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (تبتغي مرضاة ازواجك) الابتغاء جستن والمرضاة مصدر كالرضى وفي بعض التفاسير اسم مصدر من الرضوان قلبت واوها الفا والازواج جمع زوج فانه يطلق على المرأة ايضا بل هو الفصيح كما قال في المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الازواج مع ان من ارضاها النبي عليه السلام في هذه القصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما اما لان ارضاءهما في الامر المذكور ارضاء لكلهن اولان النساء في طبقة واحدة في مثل تلك الغيرة لانهن جبلن عليها على انه مضى ماسضى من قول السهيلي اولان الجمع قد يطلق على الاثنين اوللتحذير عن ارضاء من تطلب منه عليه السلام مالا يحسن وتلح عليه ايتهن كانت لانه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من ضمير تحرم اى حال كونك مبتغيا وطالبا لرضى ازواجك والحال انهن احق بابتغاء رضائك منك فانما فضيلتهن بك فالانكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة وفيه اشارة الى فضل مارية والعسل وفي الحديث (اول نعمة ترفع من الارض العسل) وقد بين في سورة النحل (والله غفور) مبالغ في الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضى لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محافظة على عصمتك (وقال الكاشفي) مهربان كه كفارت سوكند نوفرمود

قال

قال فى كشف الاسرار هذا اشد ما عوتب به رسول الله فى القرآن وقال البقلى ادب الله نبيه ان لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى اليه كما قال بعض المشايخ فى قوله لتحكم بين الناس بما اراك الله ان المراد به الوحى الذى يوحى به اليه لا ما يراه فى رأيه فان الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم فى قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله اولى من كل رأى انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان ان من شغله شئ من دون الله وصل اليه منه من ضرب لا تبرأ جراحته الا بالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبى عليه السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم انى اعوذ بك من كل قاطع يقطعنى عنك آزرده است كوشه نشين ازوداع خلق * غافل كه اتصال جقست انقطاع خلق (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فان فرض بمعنى اوجب انما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل اصله تحللة كتكرمة وتعلة وتبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم والتعليل والتبصير والتذكير الا ان هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فانه من المعتل اللام نحو سمى تسمية او مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال حلل اليمين تحليلا كفرها اى فعل ما يوجب الحنث وتحلل فى يمينه استثنى وقال ان شاء الله وقوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم اى قدر ما يقول ان شاء الله كما فى المفردات اوقدر ما يبر الله قسمه فيه بقوله وان منكم الا واردها قال فى تاج المصادر قوله فعلته تحلة القسم اى لم افعله الا بقدر ما حللت به يمينى ان لا افعله ولم ابالغ ثم قيل لكل شئ لم يبالغ فيه تحليل يقال ضربته تحليلا والباب يدل على فتح الشئ ومعنى الكفارة الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم على ما مر تفصيله فى سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل ايمانكم وبين لكم ما تحل به عقدتها من الكفارة وهى المرادة ههنا لا الاستثناء اى ان يقول ان شاء الله متصلا حتى لا يحنث فان الاستثناء المتصل ما كان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الايمان بالكفارة او بالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد خداى تعالى براى شما فرو كشادن سوكندهاى شما را بكفارت يعنى آنچه بسوكند بيندند بكفارت توان كشاد قال فى الهداية ومن حرم على نفسه شيأ مما يملكه لم يصر محرما وعليه ان استباحه واقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند ابى حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله اوامة فعلى وطئها قال ابن عباس رضى الله عنهما التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته انت على حرام فلو نوى الطلاق طلقت وان نوى اليمين كان يمينا وان اراد الكذب لم يقع شئ وكذا لو حرم طعاما على نفسه ونوى اليمين كان يمينا خلافا للشافعى كما فى عين المعانى وقال بعضهم لم يثبت عن رسول الله عليه السلام انه قال لما احله الله هو حرام على وانما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله لذلك قلت عن الحسن البصرى قدس سره انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل انه اعتق رقبة فى تحريم مارية وعاودها لانه لا يناقى كونه مغفورا له ان يكفر فهو والامة سواء فى الاحكام ظاهرا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى اموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه الحكمة (واذ اسر النبى) الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس واسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم اسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذ ظرف اى اذكر الحادث وقت الاسرار والاكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يا محمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأديب والتعتب او واذكروا ايها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بان قيل واذ اسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك او خصوصا على الانفراد فذكره بوصف النبى للاشعار بصدقه

فى دعوى النبوة (الى بعض ازواجه) وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبى عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل احد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس واربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا ابو هريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وابو حفص ابوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام والحفص ولد الاسد (حديثا) قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع او الوحى فى يقظته او منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن (فلما نبأت به) اى اخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وافشته اليها (واظهره الله عليه) اى اطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى برسانيدن كسى را برتهانى وديده ور كردانيدن قال الراغب ظهر الشئ اصله ان يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيخفى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة (عرف) النبى حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن (بعضه) اى بعض الحديث الذى افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بان قال لها الم اشارتك ان تكتمى سرى ولا تبديه لاحد وهو حديث الامانة روى انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرطا بالكرامة التى خص الله بها اياها وبعض الشئ جزء منه (واعرض عن بعض) اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة ان ينتشر ذلك فى الناس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما يجرى من ترك الادب فانه صفة الكرام قال الحسن البصرى قدس سره ما استقصى كريم قط وقال بعضهم ما زال التغافل من فعل الكرام (فلما نبأها به) اى اخبر النبى حفصة بالحديث الذى افشته بما اظهره الله عليه من انها افشت سره (قالت من انبأك هذا) من اخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت ان عائشة اخبرته وفيه تعجب واستبعاد من اخبار عائشة بذلك لانها اوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن (قال) النبى عليه السلام (نبأنى) بفتح ياء المتكلم (العليم الخبير) الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ ايضا من قبيل التفنن يقال ان انبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل الى الثانى بنفسه ايضا فقوله تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمال الثانى وقوله من انبأك على الاستعمال الثالث قوله العليم والعالم والعلام من اسمائه سبحانه ومن ادب من علم انه سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر ان يستحى منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم انه قال كنت جائعا فقلت لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيا فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا عليه مكتوب اما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامام الغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقا واذا اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد انه تعالى خبير بافعاله مطلع على سره علم انه تعالى احصى عليه جميع ما عمله او اخفى فى عمله وان كان هو قد نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه حكى ان رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايام الوفا كثيرة فقال لو لم اعص الله كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا الف معصية وانى فى كل يوم عملت كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا يقول الفقير * مذنبم كرچه ولى در رب غفورم كريمست * بمن افتاده دهد از كرمش شايد دست (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة رضى الله عنهما فالالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فى العتاب لكن العتاب يكون للاولياء كما ان العقاب

يكون للاعداء كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ففيه ارادة خير لحفصة وعائشة بارشادهما الى ما هو اوضح لهما (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق والا فالجزآء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه وصغو قلبيهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام فى وان تظاهرا الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغوا مال واصغى اليه مال بسمعه قال الشاعر تصغى القلوب الى اغر مبارك * من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين فى كلمة فرارا من اجتماع المتجانسين وربما جمع (وان تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لانه اقوى الاعضاء اى تتعاونا على النبى عليه السلام بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره وكانت كل منكما ظهرا لصاحبتها فيه (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) قوله هو مبتدأ ثان جيء به لتقوى الحكم لا للحصر والا لانحصرت الولاية له عليه السلام فى الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع اسم ان بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح المؤمنين واليه مال السجاوندى رحمه الله اذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر ان صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا بالواو والنون وحذفت النون بالاضافة وسقطت فى التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت فى الكتابة ايضا حملا للكتابة على اللفظ نحو يمح الله الباطل ويبى الانسان وسندع الزبانية الى غير ذلك والمعنى فلن يعدم هوى النبى عليه السلام من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه فيكون جبريل وما بعده اى على تقدير العطف داخلين فى الولاية لرسول الله ويكون جبريل ايضا ظهيرا له بدخوله فى عموم الملائكة ويجوز ان يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفا عليه وظهير خبر للجميع فتختص الولاية لله قال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضى الله عنهما قال فى الارشاد هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فانه جمع بين التظهير المعنوى والتظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية الاحكام الظاهرة ومعاون آن حضرت كه رضاء او برضاء فرزندان خود ايثار كنند ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم ان المراد بصالح المؤمنين الاصحاب اوخيارهم وعن مجاهد هو على رضى الله عنه يقول الفقير يؤيده قوله عليه السلام يا على انت منى بمنزلة هرون من موسى فان الصالحين هم الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى وكلا جعلنا صالحين وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام والحقنى بالصالحين فاذا كان على بمنزلة هرون فهو صالح مثله وقال السهيلى رحمه الله لفظ الآية عام فالاولى حملها على العموم قال الراغب الصلاح ضد الفساد الذى هو خروج الشئ عن الاعتدال والانتفاع قل او كثر وهما مختصان فى اكثر الاستعمال بالافعال وقوبل الصلاح فى القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة وروى ان رجلا قال لابراهيم بن ادهم قدس سره ان الناس يقولون لى صالح فبم اعرف انى صالح فقال اعرض اعمالك فى السر على الصالحين فان قبلوها واستحسنوها فاعلم انك صالح والا فلا وهذا من كلام الحكمة (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (وقال الكاشفى) وتمام فرشتكان آسمان وزمين (بعد ذلك) اى بعد نصرة الله وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لانها من الخوارق كما وقعت فى بدر ولا يلزم منه افضلية الملائكة على البشر (ظهير) خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه اى فوج مظاهر له معين كانهم يد واحدة على من يعاديه فاذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهرا ما وقوه وما ينبىء عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله ونصرة الله بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته يعنى ان نصرة الله اما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب او نصرة بتوسط مخلوقاته والثانى يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة اعظم وابعد رتبة بالنسبة الى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه

فالمراد بالبعدية ما كان بحسب الرتبة لا الزمان بان يكون مظاهرة الملائكة اعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين وجبريل داخل فى عموم الملائكة ولا يخفى ان نصرة جميع الملائكة تعم جبريل اقوى من نصرة جبريل وحده قال فى الارشاد هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تدار كا لما يوهمه الترتيب من افضلية المقدم اى فى النصرة فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهيره عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبر الفصلها عن مظاهرة جبريل قال بعضهم لعل ذكر غير الله مع ان الاخبار بكونه تعالى مولاه كاف فى تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبى عليه السلام عند الله وعند الناس وعند الملائكة اجمعين يقول الفقير ايده الله القدير هذا ما قالوا والظاهر ان الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان اقوى فى نصرته عليه السلام من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد فى الظهير لكون المقام مقام التهديد ايضا وقدم جبريل على الصلحاء لكونه اول نصير له عليه السلام من المخلوقات وسفيرا بينه وبين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليهم فى باب النصرة لان نصرة الملائكة نصرة بالفعل القالبى ونصرة الصلحاء نصرة به وبالهمة وهى اشد وما يفيده البعدية من افضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر اذهم اقدر على الافعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفى قوله وصالح المؤمنين اشارة غريبة اطلعنى الله تعالى عليها وهى ان صالحا اسم النبى عليه السلام كما فى المفردات فان قلت كيف هو فنصرة النبى لنفسه محال قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم فى قوله السلام عليك ايها النبى ان صح انه عليه السلام قاله فى تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففرت منكم وذلك لان فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه اشارة ايضا الى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييد ملك الالهام قال بعض الكبار ليس فى العالم اعظم قوة من المراة بسر لا يعرفه الا من عرف فيم وجد العالم وبأى حركة اوجده الحق تعالى وانه عن مقدمتين فانه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار اليه والشهوة فى ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذى ينظر اليها من الحضرة الالهية وبماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ما خصها به من القوة بقوله وان تظاهرا الخ وما ذكر الا معينا قويا من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فان صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو اقوى من الفعل فان فهمت فقد رميت بك على الطريق فانه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة الا بالله وقد اخبر الشيخ افضل الدين الاحدى قدس سره انه تفكر ذات ليلة فى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال فقلت اين المنازع الذى يحتاج مقابلته الى جنود السموات والارض وقد قال تعالى ولله جنود السموات والارض واذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد فاذا بهاتف يقول لى لا تعجب قيمة ما هو اعجب فقلت وما هو فقال الذى قصه الله فى حق عائشة وحفصة قلت وما قص قتلا وان تظاهرا الخ فهذا اعجب من ذكر الجنود انتهى قال فتحرك خاطرى الى معرفة هذه العظمة التى جعل الله نفسه فى مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فاخبرت بها فى واقعة فاسررت بشئ سرورى بمعرفة ذلك وعلمت من استند تاليه ومن يقويهما وعلمت ان الله تعالى لو لا ذكر نفسه فى النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت انهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير فى العالم ما اعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذى كهيئة المكنون فشكرت الله على ما اولى انتهى وكان الشيخ على الخواص قدس سره يقول ما اظن احدا من الخلق استند الى ما استند اليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لا سيما عائشة وحفصة الا قليل فان النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى ان اقوى الملائكة المخلوقة من انفاس العامة الزكية من كان مخلوقا من انفاس النساء ولو لم يكن فى شرفهن الا استدعاؤهن اعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان فى ذلك كفاية فان السجود اشرف حالات العبد فى الصلاة ولو لا الخوف من اثارة امر فى نفوس السامعين يؤديهم الى امور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى اليه

لاظهرت تأمن ذلك عجبا ولكن لذلك اهل والله عليم خبير (عسى ربه) سزاست وشايد پروردكار او يعني النبي عليه السلام (ان طلقكن) اگر طلاق دهد شمارا كه زنان او بيند وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف اومتقدم اى ان طلقكن فعسى (ان يبدله) اى يعطيه عليه السلام بدلكن (ازواجا) مفعول ثان ليبدله وقوله (خيرا منكن) صفة للازواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات الى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير ان طلقكن وغيركما او تعميم الخطاب لكل الازواج بان يكن كاهن مخاطبات لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه السلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه ان طلقكما لا يعود ضرر ذلك الا اليكما لانه يبدله ازواجا خيرا منكما وليس فى الآية ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق الطلاق للكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه يعنى ان هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله عالما بانه عليه السلام لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم الا ان فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد عليه السلام قيل كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له واذاهن اياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله

وفى فتح الرحمن عسى تكون للوجوب فى القاطع القرآن الا فى موضعين احدهما فى سورة محمد فهل عسيتم ان توليتم والثانى هنا ليس بواجب لان الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الابدال (مسلمات) مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار او منقادات انقيادا ظاهريا بالجوارح مصدقات بالقلوب (قانتات) مطيعات اى مواظبات على الطاعة او مصليات (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجيء وقت افطاره وقال بعضهم الصوم ضربان حقيقى وهو ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمى وهو حفظ الجوارح من المعاصى كالسمع والبصر واللسان والسايح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الاول انتهى اومهاجرات من مكة الى المدينة اذ فى الهجرة مزيد شرف ليس فى غيرها كما قال ابن زيد ليس فى امة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة فى اللغة الجولان فى الارض (ثيبات) شوهر ديدكان (وابكارا) دختران بكر والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوى فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب اذا رجع سميت به المرأة لانها راجعة الى زوجها ان اقام بها والى غيره ان فارقها او الى حالتها الاولى وهى انه لا زوج لها فهى تخلو عن الثوب اى الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذراء بالبكر لانها على اول حالتها التى طلعت عليها قال الراغب سميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففى البكر معنى الاولية والتقدم ولذا يقال البكرة لاول النهار والباكورة للفاكهة التى تدرك اولا وسط بينهما العاطف دون غيرهما لتنافيهما وعدم اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكانه قيل ازواجا خيرا منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المحمودة كائنات بعضها ثيبات تعريضا لغير عائشة وبعضها ابكارا تعريضا لها فانه عليه السلام تزوجها وحدها بكرا وهو الوجه فى ايراد الواو الواصلة دون او الفاصلة لانها توهم ان الكل ثيبات او كلها ابكار قال السهيلى رحمه الله ذكر بعض اهل العلم ان فى هذا اشارة الى مريم البتول وهى البكر والى اسية بنت مزاحم امرأة فرعون وان الله سيزوجه عليه السلام اياهما فى الجنة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابو الليث رحمه الله تكون ولية فى الجنة ويجتمع عليها اهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعنى آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لان زمن آسية قبل زمن مريم ولان ازواج النبى عليه السلام كلهن ثيب الا واحدة وافضلهن خديجة وهى ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان ايضا لانه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفى كشف الاسرار روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

ان النبي عليه السلام دخل على خديجة وهي تجود بنفسها يعني وي وفات ميكند فقال اتكرهين ماتنزل بك يا خديجة وقد جعل الله في اكره خيرا كثيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقرئيهن مني السلام فقالت يارسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة اخت موسى فقالت بالرفاء والبنين اى اعرست ملتبسا بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الاوائل للعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبي عليه السلام عن هذا القول وامر بان يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ثم ان المراد من الابدال ان يكون في الدنيا كما افاده قوله تعالى ان طلقكن لان نساء الجنة يكن ابكارا سوآء كن في الدنيا ثيبات اوابكارا وفي الحديث (ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعلق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا فان قلت فاذا يكون اكثر اهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام يامعشر النساء تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار قلت لعل المراد بالرجل بعض الرجال لان طبقات الابرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام ادنى اهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون الف خادم ولا بعد في كثرة الخادم لما قال بعضهم ان اطفال الكفار خدام اهل الجنة على ان الخدام لا يحصرون فيهم بل لاهل الجنة خدام اخران قلت كان عليه السلام يحب الاخف الايسر في كل شئ فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة او اثنتين قلت ذلك من اسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء روى انه عليه السلام اعطى قوة اربعين رجلا في البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس الا الجماع الحلال فانه يصفيها ويجلي العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على ان شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فان نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم ان في الآيات المتقدمة فوائد منها ان تحريم الحلال غير مرضي كما ان ابتغاء رضي الزوج بغير وجهه ليس بحسن ومنها ان افشاء السر ليس من المروءة خصوصا افشاء اسرار السلاطين الصورية والمعنوية لا يحق وكل سر جاوز الاثنين شاع اى المسر والمسر اليه او الشفتين ومنها ان من الواجب على اهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها ان البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها وان كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الايمان والاسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب افضل من شرف النسب والعلم الديني والادب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل ان يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة المستحسنة (يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم) امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة اصله اوقيوا كاعدوا والمراد بالنفس هنا ذات الانسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا انفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاء خودرا ودور كنيد يعني بترك المعاصي وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب والتعليم اصله اهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهال على غير قياس وهو كل من في عيال الرجل ونفقته من المرأة والولد والاخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الامر بالمعروف للاقرب فالاقرب وفي الحديث (رحم الله رجلا قال باهله صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وفي الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعني كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل ان كان وليا ومن عدم الخيانة ان كان مواليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على اهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول وقيل اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الاهلين بالنصيحة مع ان حكم الاجانب كحكمهم في ذلك لان الاقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين

ولان شرائط الامر والنهى قد لا توجد فى حق الاجانب بخلاف الاقارب لاسيما الاهل فان الرجل سلطان اهله
وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا انفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون اهاليكم صالحين بمتابعتكم
فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشانى رحمه الله الاهل بالحقيقة
هو الذى بينه وبين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سواء اتصل به اتصالا جسمانيا اولا وكل ما تعلق به تعلقا
عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فان زكى
نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة
يجذب اليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سواء هى قواه الطبيعية الداخلة فى تركيبه او نفوس
انسانية منتكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر
معهم فان المرء يحشر مع من احب (نارا) نوعا من النار (وقودها) ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها وبالفارسية
آتش انكيزوى فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به
بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة (الناس) كفار الانس والجن وانما يذكر الجن ايضا لان المقصود
فى الآية تحذير الانس ولان كفار الجن تابعة لكفار الانس لان التكذيب انما صدر اولا من الانس (والحجارة)
يتقد بها ايضا اتقاد غيرها بالحطب ففيه بيان لغاية احراقها وشدة قوتها فان اتقاد النار بالحجارة مكان
من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام ناركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وعن
رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن
دخان وشدة الالتصاق بالابدان فيكون العذاب بها اشد وقيل وقودها الناس اذا صاروا اليها
والحجارة صيروا اليها (قال الكاشفى) تا بتان سنكين كه كفار مى پرستند دليله قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم وقرن الناس بالحجارة لانهم نحتوها واتخذوها ارباما من دون الله يا كنجهاء زروسيم
كه منشأ آن سنكست * زروسيمند سنك زرد ورسفيد * اندرين سنكها مبتدا ميد * دلى ازسنك
مختر بايد * كه زسنكيش راحت افزايد * دل ازين سنك اكر تو برنكنى * سرز حسرت بسى بسنك زنى *
وقيل اراد بالحجارة الذين هم فى صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كنى وصفهم بقوله فهى كالحجارة او اشد قسوة
كما قال فى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان العلمى قوا انفسكم واهليكم من القوى الروحانية
نار حجاب البعد والطرد التى يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق الست بربكم قالوا بلى وحجارة قلوبهم
القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعية الشيطانية انتهى وامر الله المؤمنين
باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة حيث قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين للمبالغة فى التحذير ولان الفساق وان كانت دركاتهم
فوق دركات الكفار فانهم تبع للكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق
مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار اصالة ولا يبعد ان يأمرهم بالتوقى عن الارتداد كما فى التفسير الكبير
(عليها) اى على تلك النار العظيمة (ملائكة) تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية التسعة عشر
واعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسى بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور
قال القاشانى هى القوى السماوية والملكوتية الفعالة فى الامور الارضية التى هى رؤساء الكواكب
السبعة والبروج الاثنى عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من الملائكة التى هى الطبيعة
الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس
الانسانية عنها ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها
لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت انفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها
محبوسة فى اسرها معذبة بايديها (غلاظ) غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران جمع غليظ بمعنى خشن
خال قلبه عن الشفقة والرحمة (شداد) شداد القوى جمع شديد بمعنى القوى لانهم اقوياء لا يعجزون عن الانتقام
من اعداء الله على ما امروا به وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال اقوياء على الافعال الشديدة يعملون بارجلهم
كما يعملون بايديهم اذا استرحموا لم يرحموا لانهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم الا فيه فتقضى

جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحمة كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبي احدهم مسيرة سنة اوكما بين المشرق والمغرب يضرب احدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين الفا فيهوون فى النار (لا يعصون الله ما امرهم) اى امره فى عقوبة الكفار وغيرها على انه بدل اشتمال من الله وما مصدرية اوفيما امرهم به على نزع الخافض وما موصولة اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويعزمون على اتيانه فليست هذه الجملة مع التى بعدها فى معنى واحد (وقال الكاشفى) برشوت فريضته نشوند تا مخالفت امر بايد كرد كاعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة (ويفعلون ما يؤمرون) اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة ونقصان وقال القاضى لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويستمرون على فعل ما يؤمرون به فى المستقبل قال بعضهم لعل التعبير فى الامر اولا بالماضى مع نفى العصيان بالمستقبل لما ان العصيان وعدمه يكونان بعد الامر وثانيا بالمستقبل لما ان امرهم بعذاب الاشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار فى هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لانهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الارضية الذين لا يصعدون الى السماء فان من الملائكة من لا يصعد من الارض الى السماء ابدا كما ان منهم من لا ينزل من السماء الى الارض ابدا وفيها دليل ايضا على انه لا نهى عند هؤلاء الملائكة فلا عبادة للنهى عندهم فقاتهم اجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الارض فانهم يجمعون بين اجر عبادة الامر واجر اجتناب النهى قال الكرمانى فى شرح البخارى ان قلت الترك ايضا عمل لان الاصح ان الترك كف النفس فيحتاج الى النية قلت نعم اذا كان المقصود امتثال امر الشارع وتحصيل الثواب اما فى اسقاط العقاب فلا فالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب الى النية وما اشتهر ان التروك لا تحتاج اليها يريدون به فى الاسقاط يعنى لو اريد بالترك تحصيل الثواب وامتثال امر الشارع لا بد فيها من قصد الترك امتثالا لامر الشارع فتارك الزنى ان قصد تركه امتثال الامر يثاب (يا ايها الذين كفروا) اى يقال لهم عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به يعنى چون زبانيه كافران را بكشند دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعية خلاصى نمايند پس حق تعالى باملائكه گويد يا ايها الذين كفروا (لا تعتذروا اليوم) اى فى هذا اليوم يعنى عذر مكوييد امروز كه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد قال القاشانى اذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات المظلمة الا الجزاء على الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن يقال اعتذرت الى فلان من جرمى ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقا وغير محق قال الراغب العذر تحرى الانسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة اضرب ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنبا او يقول فعلت ولا اعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت اليه اتيت بعذر وعذرته قبلت عذره (انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا اى حقيقة والنهى عن الاتيان بما هو عذر صورة وفى حسبانهم وفى بعض التفاسير لا تعتذروا اليوم لما انه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهى لهم ان كان قبل مجىء الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون وان كان بعده فيأول هذا القول ويقال لا يؤذن لهم ان يقوا اعتذارهم ولا يسمع البتة وفى التأويلات النجمية قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق فى الدنيا لا تطلبوا مشاهدة الحق فى الآخرة انما تكافئون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له فى يوم الدنيا كما قال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا انتهى قال بعض العارفين لا يتحسر يوم القيامة على فوات الاعمال الصالحة الا العامة اما العارفون فلا يرون لهم عملا يتحسرون على فواته بل ولا يصح الفوات ابدا انما هى قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الانسان انا مقصر فى جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة اذ لا يقدر احد ان ينقص مما قسم له ذرة ولا يزيد عليه ذرة فلا يصح الندم الا فى اعمال توهم العبد انها له ثم فوتها وذلك لا يقوله عارف (مصرع)

در دائرة قسمت من نقطة تسليم (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) التوبة ابلغ وجوه الاعتذار

بان يقول فعلت واسأت وقد اقلعت وفى الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على مافرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما امكنه ان يتدارك من الاعمال بالاعادة فمتى اجتمع هذه الاربعة فقد كملت شرائط التوبة كما فى المفردات والنصح تحرى فعل اوقول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من ابنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا انفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبايح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لايعودون فى قبيح من القبايح الى ان يعود اللبن فى الضرع وكذا الوحز وا بالسيف واحرقوا بالنار موطنين انفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف اصلا وعن على رضى الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى استغفرك واتوب اليك فقال ياهذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة اى القضاء صلاة او صوما اوزكاة اونحوها ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى قال سعدى المفتى والمذهب السنى انه يكفى فى تحقق التوبة الندم والعزم على ان لايعود بخلاف اهل الاعتزال حيث يلزم فى تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب فى التوبة قال ر الكبار مالم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهى ترك لاتوبة وقيل نصوحا من نصاحة وب بالفتح وهى بالفارسية جامه دوختن اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وفى الحديث ثم فطوبى لمن مات على رقعه) ومعناه ان يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه استقيموا ان تحصوا اى س وا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لاتميلوا ومنه ياحنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشرى مامنع قول الناصح ان يروقك وهو الذى ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتصراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع شبه التوبة فى خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها الظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقال ذوالنون المصرى قدس سره التوبة ادمان البكاء على ماسلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران اخوان السوء وملازمة اهل الجنة وقال القشيرى رحمه الله هى توبة السنى لا المبتدع لانه لاتوبة له بدليل قوله عليه السلام حجر الله على كل صاحب بدعة ان يتوب وقال الواسطى قدس سره هى ان يتوب لالغرض وقال الشيخ ابوعبد الله بن خفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع اليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح فى التوبة الصدق فيها وترك مامنه تاب سرا وعلنا وقولا وفكرا وقال القاشانى رحمه الله مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية فكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق * توبه چون باشد پشيمان آمدن * بردر حق نومسلمان آمدن * خدمتى ازسر كرفتن بانياز * باحقيقت روى كردن ازمجاز * وفى التأويلات النجمية يشير الى المؤمنين الذين لم تترسخ اقدامهم فى ارض الايمان ترسخ اقدام الكمل ويحثهم على التوبة الى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والاقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت فى ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية [illegible] والخواص عن الغفلات والاخص عن رؤية الحسنات وفى الحديث (ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة) ودخل فى الناس الذكور والاناث وهى اى التوبة واجبة على الفور لما فى التأخير من الاصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة ان لايذكره الله ذنبه لان التوبة لاتبقى للذنب وجودا فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عند الله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصى العذاب كما لو تاب السارق عند الحاكم لاترفع توبته عنه حد القطع وفى حديث ماعز كفاية فانه عليه السلام قال فى حقه انه تاب توبة لو قسمت على اهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل امر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف (وفى المثنوى) بود مردى پيش ازين نامش نصوح * بد زدلاكى زن

اورافتوح * بودروی او چورخسار زنان * مردئ خودراهمی کرداونهان * اوبحمام
زنان دلالئ بود * دردغا وحیله بس چالاک بود * سالها می کرددلا کی وکس * بونبرد ازحال
وسرآن هوس * زانکه آوازورخش زن وار بود * لیک شهوت کامل و بیدار بود * دختران
خسروانرازین طریق * خوش همی مالیدومی شست آن عشیق * توبهامی کردوبادرمی کشید *
نفس کافرتوبه آش رامی درید * رفت پیش عارف آن زشت کار * گفت مارادرد عایی یادداز *
سراودانست آن آزادمرد * لیک چون حلم خدایید انکرد * سست خندیدو بگفتای بدنهاد *
زانکه دانی ایزدت توبه دهاد * آن دعاازهفت گردون درگذشت * کارآن مسکین باآخر خوب گشت *
یک سبب انگیخت صنع ذی الجلال * که رهانیدش زنفرین وو بال * اندران حمام پری کردطشت *
گوهری ازدخترشه یاوه گشت * گوهری ازحلقهاء گوش او * یاوه گشت وهرزنی درجست وجو *
پس درحمام رابستندسخت * تابجویند اولش دربیخ رخت * رختها جستند وآن بدانشد *
دزدگوهر نیزهم رسوانشد * پس بجد جستن گرفتند ازگزاف * دردهان وگوش
واندرهرشکاف * بانگ آمدکه همه عریان شوید * هرکه هستیدازعجوزوکرنوید *
یک بیک راحاجبه جستن گرفت * تابدید آیدکهردانه شگفت * آن نصوح ازترس شددرخلوتی *
روی زردولب کبود ازخشیتی * گفت یارب بارهابر گشته ام * توبهاوعهدهابشکسته ام *
کرده ام آنها که ازمن می سزید * تاچنین سیل سیاهی دررسید * نوبت جستن اکردرمن رسد *
وه که جان من چه سختیها کشد * این چنین اندوه کافررامباد * دامن رحمت گرفتم داد داد *
کرمرا این بارستاری کنی * توبه کردم من زهرنا کردنی * من اگراین بارتقصیری کنم *
پس دگرمشنودعاوگفتنم * درمیان یارب ویارب بدو * بانگ آمدازمیان جست وجو *
جمله راجستیم پیش آی نصوح * گشت بیهوش آن زمان پریدروح * بعدآن خوف وهلاک
جان بده * مژدهاآمدکه اینک کم شده * ازغریوونعره ودستک زدن * پرشده حمام قدزال الحزن *
آن نصوح رفته بازآمدبخویش * دید چشمش تابش صدروزپیش * می حلالی خواست ازوی هرکسی *
بوسه می دادندبردستش بسی * بدگمان بودیم مارا کن حلال * لحم توخوردیم اندرقیل وقال *
زانکه ظن جمله بروی بیش بود * زانکه درقربت زجمله پیش بود * کوهرابردست او بردست وبس *
زوملازم تربخانون نیست کس * اول اوراخواست جستن درنبرد * بهرحرمت داشتش تاخیرکرد *
تابود کانرا بیند ازدیجا * اندرین مهلت رهانذ خویش را * پس حلالیها ازوی خواستند *
وزبرای عذربری خواستند * گفت بدفضل خدای دادگر * ورنه زانجم گفته شدهستم بتر * آنچه
گفتندم زبدازصدیکیست * برمن این کشفست ارکس راشکیست * آفرینهابرتوبادا ای خدا *
تاکهان کردی مرااز غم جدا * کرسرهرموی من گردد زبان * شکرهای تونیایددربیان * بعد
ازان آمد کسی کزمرحمت * دخترسلطان مامی خواندت * دخترشاهت همی خواندبیا * تاسرش
شویی کنون ای پارسا * گفت رورودست من بی کارشد * وین نصوح توکنون بیمارشد * روکسی
دیگربجواشتاب وتفت * که مراوالله دست ازکاررفت * بادل خود گفت کزحدرفت جرم * از دل من
کی رود آن ترس وکرم * من بمردم یک دره وباز آمدم * من چشیدم تلخی مرگ وعدم * توبه کردم
حقیقت باخدا * نشکنم تاجان شدن ازتن جدا * بعدآن محنت کرابارد کر * پارودسوی خطر
الاکه خر (عسی ربکم) شاید پرورد کارشما وفی کشف الاسرار الله برخودواجب کردتائب را ازشما
(ان یکفر عنکم سیئاتکم) بسترهابل بمحوهاوبدلها حسنات (ویدخلکم جنات) جمع جنات اما لکثرة
المخاطبین لان لکل منهم جنة اولتعددها لکل منهم من الانواع (تجری من تحتها الانهار) قال فی الارشاد
ورود صیغة الاطماع والترجیة للبری علی سنن الکبریاء فان الملوک یحسبون بلعل وعسی ویقع ذلک
موقع القطع والاشعار بانه تفضل والتوبة غیرموجبة له وان العبد ینبغی ان یکون بین خوف ورجاء وان بالغ
فی اقامة وظائف العبادة یقول الفقیر التکفیر اشارة الی الخلاص من الجحیم لان السیئات هی سبب العذاب

فاذا

فاذا زال السبب زال المسبب وادخال الجنات اشارة الى التقريب لان الجنان موضع القرب والكرامة وجريان الانهار اشارة الى الحياة الابدية لان الماء اصل الحياة وعنصرها فلابد للانسان فى مقابلة هذه الانهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الالهام وخمر الحال فكما ان الحياة المعنوية فى الدنيا انما تحصل بهذه الاسباب فكذا الحياة الصورية فى الاخرة انما تحصل بصورها (يوم لا يخزى الله النبى) رف ليد خلكم والاخزآء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن * ومعانى هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما فى تاج المصادر والنبى المعهود * يعنى روزى كه خجل نكند خداى تعالى پيغمبر را يعنى نه نفس اورا عذاب كند ونه شفاعت اورا در بارة عاصيان مردود سازد * قال بعض اهل التفسير يخزى اما من الخزى وهو الفضاحة فيكون تعريضا للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين او من الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الانسب هنا بالنظر الى شأن الرسول خصوصا اذا تم الكلام فى النبى وان اريد المعنى الاول حينئذ يجوز ان يكون باعتبار ان خزى الامة لا يخلو عن انشاء خزى ما فى الرسول على ما يشعر به قوله فى دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الاشعار حيث لم يقل لا تخزنى كما قال ابراهيم عليه السلام ولا تخزنى يوم يبعثون ليكون دعاؤه عاما لامته من قوة رحمته وادخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزى كناية عن العذاب لملازمة بينهما والاولى العموم لكل خزى يكون سببا من الاسباب من الحساب والكتاب والعقاب

[illegible] (والذين آمنوا معه) عطف على النبى ومعه صلة لا يخزى اى لا يخزى الله معه الذين آمنوا اى يعمهم [illegible] اوحال من الموصول بمعنى كائنين معه اومتعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى واسلمت [illegible] خزى المؤمنين الذين اتبعوه فى الايمان كما قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون [illegible] والتعيير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حسابا يسيرا بل ويرفع الحساب [illegible] ويكشف لهم جماله ويعطى مأمولهم من الشفاعة لاقاربهم واخوانهم ونحوهم

وقال داود القيصرى رحمه الله فى قوله تعالى واسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان ومع فى هذا الموضع كمع فى قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وقوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه ولا شك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول وكذا اسلام بلقيس ما كان عند اسلام سليمان فالمراد كما انه آمن بالله آمنت بالله وكما انه اسلم اسلمت لله انتهى كلام القيصرى وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق كما سبق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله والذين الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله نورهم الخ او خبره معه والمراد بالايمان هو الكامل حينئذ حتى لا يلزم ان لا يدخل عصاة المؤمنين النار (نورهم) اى نور ايمانهم وطاعتهم على الصراط قال فى عين المعانى نور الاخلاص على الصراط لاهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لارباب الاحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لاهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس (يسعى) السعى المشى القوى السريع ففيه اشارة الى كمال اللمعان (بين ايديهم) اى يضيء بين ايديهم يعنى قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشئ لكونه بين اليدين غالبا فالجمع اما باطلاقه على التثنية او بكثرة ايدى العباد (وبايمانهم) جمع يمين مقابل الشمال اى وعن ايمانهم وشمائلهم على وجه الاضمار يعنى جهة ايمانهم وشمائلهم او عن جميع جهاتهم وانما اكتفى بذكرهما لانهما اشرف الجهات ومن ادعيته عليه السلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وامامى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعلنى نورا وقال بعضهم تخصيص الا[illegible] لان ارباب السعادة يؤتون صحائف اعمالهم منهما كما ان اصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم ووراء ظهورهم [illegible] لذلك وقائدا على الصراط الى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشانى نورهم يسعى بين ايديهم اى بحسب النظر والكمال العلمى وبايمانهم اى الذى لهم بحسب العمل وكماله اذ النور العلمى من منبع الوحدة والعملى من جانب القلب الذى هو يمين النفس او نور السابقين منهم يسعى بين ايديهم ونور الابرار منهم يسعى بايمانهم وقد سبق تمامه فى سورة الحديد وفى الحديث من المؤمنين من نوره ابعد ما بيننا وبين عدن ابين ومنهم من نوره لا يجاوز قدميه (يقولون) اى يقول المؤمنون وهو الظاهر او الرسول لامته والمؤمنون لانفسهم اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا اى يشفقون على العادة البشرية على نورهم ويتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون (ربنا)

اى بورود كارما (اتمم لنا نورنا) نكاه دار وباقى دار نور ما تا بسلامت بكذريم فيكون المراد بالاتمام هو الادامة الى ان يصلوا الى دار السلام (واغفر لنا) يعنى از ظلمات كاه بالكن (انك على كل شئ قدير) من الاتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال فى الكشاف كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا وقيل يتفاوت نورهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا فيكون قوله يقولون من باب بنو فلان قتلوا زيدا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره لا يسقط الافتقار الى الله عن المؤمنين فى الدنيا والاخرة وهم فى العقبى اشد افتقارا اليه وان كانوا فى دار العز والغنى ولشوقهم الى لقائه يقولون اتمم لنا نورنا واعلم ان ما لا يتم فى هذه الدار لا يتم هناك الا ما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم ان الانوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الافعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام فى حديث طويل والصلاة نور والسر فيه ان المصلى يناجى ربه ويتوجه اليه وقد قال عليه السلام ان العبد اذا قام يصلى فان الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة اذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذاة صحيحة فانها تكتسب من انوار الذات النيرة الا ترى ان القمر الذى هو فى ذاته جسم اسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل فى المحاذاة والمقابلة فاذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفى الحديث بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام فى يوم القيامة وفيه اشارة الى ان كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فان الاعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذى يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف او خلوجا اولا يستطيع المشى اوا عمى او المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان اوغيره من المتغلبين وفى الحديث وددت انا قد رأينا اخواننا قالوا يا رسول الله السنا اخوانك قال انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يا رسول الله فقال ارأيت لو ان رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم الا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لاثر الوضوء من البياض فى وجه المتوضى ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذى فى وجه الفرس ويديه ورجليه فان الغر جمع الاغر والغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها ويكون فى رجلين ويد وفى رجل فقط وفى رجل فقط ولا يكون فى اليدين خاصة الامع الرجلين ولا فى يد واحدة دون الاخرى الامع الرجلين والدهم جمع الادهم بمعنى الاسود فان الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الابهم وفرس بهيم اذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الالوان ومنه استعير ما روى انه يحشر الناس يوم القيامة بهما بالضم اى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لاصلاح الحوض والدلو (يا ايها النبى) اى رسول خبر دهنده يا بلند قدر (جاهد الكفار) بالسيف يعنى جهاد كن با كافران بشمشير (والمنافقين) بالحجة او بالوعيد والتهديد او بلقائهم بوجه قهرا او بافشاء سرهم وقال القاشانى جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك وبينهم قيل النفاق مستتر فى القلب ولم يكن للنبى عليه السلام سبيل الى ما فى القلوب من النفاق والاخلاص الا بعد اعلام من قبل الله فامر عليه السلام بمجاهدة من علم نفاقه باعلام الله اياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وان يجرى عليه احكام المسلمين مادام ذلك الى ان يموت (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه اشارة الى ان الغلظة على اعداء الله من حسن الخلق فان ارحم الرحماء اذا كان مأمورا بالغلظة عليهم فاظنك بغيره فهى لا تنافى الرحمة على الاحباب كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا يعنى ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكر ايمان نياورند ومخلص نشوند دوزخست قال القاشانى مادام واعلى صفتهم اود آئما ابدا لزوال استعدادهم او عدمه (وبئس المصير) اى جهنم او مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاما مبالغة فى ذمهم وفيه اشارة الى نبى القلب المجاهد فى سبيل الله

فانه مأمور بجهاد الكفار اى النفس الامارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين اى الهوى المتبع وصفاته البهيمية والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير اذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب اشد من شدة العذاب يقول الفقير اذا كان الاعداء الظاهرة يحتاجون الى الغلظة والشدة فما ظنك باعدى الاعداء وهى النفس الامارة فتى الغلظة عليها نجاة وفى اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء * هست نرمى آفت جان ستور * وزدرشتى مى بردجان خار پشت * وفى المثل العصا لمن عصى وقول الشيخ سعدى * درشتى ونرمى بهم در بهست * چوفصاد جراح ومرهم نهست * يشير الى ان للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال فاول المعاملات الجمال لان الله تعالى سبقت رحمته غضبه ثم الجلال فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين وكذا المنافقون الاخلاص واليقين امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالغلظة عليهم ليظهر احكام كل من الاسماء المتقابلة ففيه اشارة الى ان من خلق للرحمة وهم المؤمنون لا يغضب عليهم ولا يغلظ لانه قلب الحكمة وعكس المصلحة وان من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم اهل البدعة ولذا لا يجوز ان يلقاهم السنى بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن ان يجتهد فى طريق الحق حتى يدفع كيد الاعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لان به يحصل الترقى الذى هو من خصائص الانسان ولذا خص بالثقلين واما جهاد الملائكة فبالتبعية او بتكثير السواد فاعرف (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب مثال هذه المواضع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله حال هؤلاء الكفرة حالا وما لا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به (امرأة نوح وامرأة لوط) اضيف مفعوله الاول اثر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هى واعلة بالعين المهملة او الواو المعجمة وامرأة لوط هى واهلة بالهاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما فى حكمهما وتصرفهما بعلاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين اى كانتا تحت نكاح نبيين وفى عصمة رسولين عظيمى الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما واظهار العبدين المرادبهما نوح ولوط لتعظيمهما بالاضافة التشريفية الى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح والافيكفى ان يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما يتقيهما من صحبة النبى والخيانة ضد الامانة فهى انما تقال اعتبارا بالعهد والامانة اى فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة الى الجنون والدلالة على الاضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فانه ما بغت امرأة نبى قط فالبغى للزوجة اشد فى ايراث الانفة لاهل العار والناموس من الكفر وان كان الكفر اشد منه فى ان يكون جرما يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلام بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة (فلم يغنيا) الخ بيان لما ادى اليه جنايتهما اى فلم يغن النبيان (عنهما) اى عن تينك المرأتين بحق الزواج (من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) من الاغناء اى لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبسر زن لوط سنك بارید (وقيل) لهما عند موتهما او يوم القيامة وصيغة المضى للتحقق قاله الملائكة المؤكلون بالعذاب (ادخلا النار مع الداخلين) اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء ذكر بلفظ جمع المذكر لانهن لا ينفردن بالدخول واذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الاطماع عمن يرتكب المعصية ان ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له فى الطريقة والسيرة وان كان بينه وبينه لحمة نسب او صهر قال القاشانى الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل العبرة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمة الطبيعية والخلطة والمعاشرة لا يبقى لها اثر فيما بعد الموت اذ لا انساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطنى فان جميع القوى الخيرة والشريرة وان تولدت من بين زوجى الروح والجسد لكن الشريرة ليست من اهل الروح فى الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والاشقياء مفترقون فى الدارين * چه نسبت است برندى صلاح وتقوى را * سماع وعظ كجا نغمه رباب كجا (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين

فى ان وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدى اعدآء الله وهى فى اعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسى وامرأة آسية من الاسى وهو الحزن قال بعض الكبار الحزن حلية الادباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على انواعها او من الاسو وهو المداواة والآسى بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمنين على الصبر فى الشدة حتى لا يكونوا فى الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون التى صبرت على اذى فرعون كما سيجيء (اذ قالت) ظرف للمثل المحذوف اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت (رب) اى پروردگار من (ابن لى) على ايدى الملائكة او بيد قدرتك فانه روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده (عندك بيتا فى الجنة) اى قريبا من رحمتك على ان الظرف حال من ضمير المتكلم لان الله منزه عن الحلول فى مكان او ابن لى فى اعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفا للفعل وفى الجنة صفة لبيتا وفى عين المعانى عندك اى من عندك بلا استحقاق منى بل كرامة منك روى انها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها سئل بعض الظرفاء اين فى القرءآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا فى الجنة هو الدار (ونجنى من فرعون) الجاهل (وعمله) الباطل اى من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيء الذى هو كفره ومعاصيه (ونجنى من القوم الظالمين) اى من القبط التابعين له فى الظلم روى انه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها طلب منها ان ترجع عن ايمانها فابت فاوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد يعنى اوراچهاميخ كرد وربطها والقاها فى الشمس حق تعالى ملائكه را بفرمود تا كردوى درآمده ببالهاء خود اوراسايه كردند واراها الله بيتها فى الجنة ونسيت ما هى فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هى مجنونة تضحك وهى فى العذاب وفى هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع انها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك امر بان يلقى عليها حجر رحى وهى فى الاوتاد فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فاوصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فالقى الحجر عليها بعد خروج روحها فلم تجد الما وقيل اشتاقت الى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك ودر اكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا بآسمان برد بجسد وى وحالا در بهشت است كما قال الحسن البصرى قدس سره رفعت الى الجنة فهى فيها تاكل وتشرب وتتنعم قال فى الكشاف وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين وفى المثنوى * تا فرود آيد بلا بى دافعى * چون نباشد از تضرع شافعى * جز خضوع وبندكى واضطرار * اندرين حضرت ندارد اعتبار * فعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون وجمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وسميت مريم فى القرءآن باسمها فى سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لانها اقامت نفسها فى الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله ايضا زيدا فى القرءآن كما سبق فى سورة الاحزاب والمعنى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التى احصنت فرجها) الاحصان العفاف يعنى باز ايستادن از زشتى كما فى تاج المصادر والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقا حراما وحلالا على آكد الحفظ وبالفارسية آن زنى كه نكاه داشت دامن خود را از حرام وفاحشه كما فى تفسير الكاشفى قال بعضهم صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لانه كان عنينا وهو من لا يقدر على الجماع لمرض او كبر سن او يصل الى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر فى ثيبات لكونها فى صورة الثيب من حيث ان لها بعلا وقال السهيلى رحمه الله احصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص اى لم يعلق بثوبها ريبة اى انها طاهرة الاثواب فكنى باحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص اربعة

الكمان والاعلى والاسفل فلا يذهبن وهمك الى غير هذا لان القرء آن انزه معنى واوجز لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ماذهب اليه وهم الجاهل انتهى قال فى الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع ومعنى احصنته منعته (فنفخنا فيه) الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح فى الشئ اى فنفخنا بسبب ذلك فى فرجها على ان يكون المراد بالفرج هنا الجيب (كما قال الكاشفى) پس در دميديم در كريبان جامه او وكذا السجاوندى فى عين المعانى اى فيما انفرج من جيبها وكذا ابو القاسم فى الاسئلة لم يقل فيها لان المراد بالكناية جيب درعها وهو الى التذكير اقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج العضو واريد بضميره معنى آخر للفرج ومنه قوله تعالى ومالها من فروج وكذا يكون اسناد النفخ الى الضمير مجازيا اى نفخ جبريل بامرنا وهو انما نفخ فى جيب درعها (من روحنا) اى من روح خلقناه بلا توسط اصل واضاف الروح الى ذاته تعالى تفخيما لها ولعيسى كقوله وطهر بيتى وفى سورة الانبياء فنفخنا فيها اى فى مريم اى احيينا عيسى فى جوفها من الروح الذى هو من امرنا وقال بعضهم احيينا فى فرجها واوجدنا فى بطنها ولدا من الروح الذى هو بامرنا وحده بلا سببية اصل وتوسل نسل على العادة العامة او من جهة روحنا جبريل لانه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها او ففعلنا النفخ فيه وقرئ فيها على وفاق ما فى سورة الانبياء اى فى مريم والمآل واحد انتهى يقول الفقير يلوح لى ههنا سر خفى وهو ان النفخ وان كان فى الجيب الا ان عيسى لما كان متولدا من المائين الماء المتحقق وهو ماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ فى الجيب بمنزلة صب الماء فى الفرج فالروح المنفوخ فى الجيب كالماء المصبوب فى الفرج والماء المصبوب وان لم يكن الروح عينه الا انه فى حكم الروح لانه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى فنفخنا فيه اى فى الفرج سوآء قلت انه فرج القميص او العضو فاعرف ولا يقبله الا الالباء الروحانيون (وصدقت) معطوف على احصنت (بكلمات ربها) اى بالصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام وفى كشف الاسرار يعنى الشرآئع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التى بشر بها جبريل (وكتبه) اى بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الالهية متقدمة او متأخرة (وكانت من القانتين) اى من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفى عين المعانى من المطيعين المعتكفين فى المسجد الاقصى والتذكير لتغليب المذكر فان مريم جعلت داخلة فى ذلك اللفظ مع المذكرين والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او كانت من القانتين اى من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليه السلام فمن لابتدآء الغاية وعن النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيأ حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذآء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة فى المضغ فضرب به مثلا يؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبى عليه السلام مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يرو مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام فى حقها خذوا ثلثى دينكم من عائشة ولذا قال فى الامالى وللصديقة الرجحان فاعلم * على الزهرآء فى بعض الخصال

لكن الكمال المطلق انما هو لفاطمة الزهرآء رضى الله عنها كما دل عليه الحديث المذكور و[illegible] تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الادام يقول الفقير رأيت [illegible] فى المنورة كان النبى عليه السلام يقول لى عائشة ست النساء اللاتى اجتمعن ومعناه على ما الهمت وقتئذ ان عائشة رضى الله عنها هى السادسة من النساء الست اللاتى اجتمعن فى نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الست من التسع متساوية فى الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودى عليها بذلك وخفيت احوال الباقيات من الست لحكمة خفية الهية ولذا لم يعين لى رسول الله عليه السلام من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبى عليه السلام وان كانت القرون متفاوتة والاعصار متباينة ولذا قال الحافظ * نشان اهل خدا عاشقيست باخود دار * كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم * (وقال المولى الجامى) اسرار عاشقانرا بايد زبان ديكر * دردا كه نيست پيدا در شهر همزبانى * والله الهادى

(تمت سورة التحريم فى اوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة فى سلك شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

سورة الملك مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق الجزء التاسع والعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية اوعقلية ونسبتها الى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله يعنى ان البركة تتضمن معنى الزيادة وهى تقتضى التعالى عن الغير كما قال ليس كمثله شئ اى فى ذاته لوجوب وجوده وفى صفاته وافعاله لكماله فيهما واما قوله تخلقوا باخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنه فان الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فاين احياء عيسى عليه السلام الاموات من احياء الله تعالى فانه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد فى ذاته فان التزايد فى ذاته لايكون الا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك ان المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده واما غيرهم فهم فى حكم العارفين لان الادلة القطعية لما دلت على ذلك كان فى قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما ان اثرها يظهر فى الاكثر من اليد يقال فلان بيده الامر والنهى والحل والعقد اى له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ قال الحكيم السنائى * بداو قدرتست ووجه بقاش * آمدن حكمش ونزول عطاش * صبعينش نفاذ حكم قدر * قدمينش جلال وقهر وخطر وفى عين المعانى اليد صلة اوالقدرة والمذهب انها صفة له تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال فى كشف الاسرار ملك همجو هزار عالم بدست اوست والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور لا بقبضة غيره فيأمر وينهى ويعطى ويمنع ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغنى ويمرض ويشفى ويقرب ويبعد ويعمر ويخرب ويفرق ويصل ويكشف ويحجب الى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الالهية والسلطنة الازلية والابدية وقال بعضهم البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها الى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات اى تكاثر خيره الذى بيده الملك وتزايد نعمه واحسانه كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روى لا ينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا تنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفى الكواشى معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من (ب ر ك) وبعكسه يشتمل على معنى الثبوت اى ثبت الخير فى خزائن الذى وقال سهل قدس سره تعالى من تعظم عن الاشباه والاولاد والاضداد والانداد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره هو المبارك على من انقطع اليه اوكان له اى فانه وارث النبى عليه السلام وخليفته وقد قيل فى حقه وبارك عليه وقال القاشانى قدس سره الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه فى عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ونهاية الازدياد فى العلو والبركة وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كلا بما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفى الاية اشارة الى ان الملك اذا كان بيده فهو الملك وغيره المملوك فلابد للمملوك من خدمة المالك * خدمت اوكن مكر شاهان تراخدمت كنند * چاكراوباش تاسلطان تراكردد غلام * وفى الحديث القدسى يادنيا اخدمى من خدمنى قال فى كشف الاسرار ملك انسانيت جداست وملك دلها جدا وملك جانها

جدا

جدا زیرا انسانیت ملک در دنیا راند انما الحیوة الدنیا لعب ولهو وزینة ودل ملک در اخرت راند یحبهم ویحبونه وجان ملک در عالم حقیقت راند وجوه یومئذ ناضرة الی ربها ناظرة آن عزیز راه کوید فردا که علم کبریای او بقیامت برآید که لمن الملک الیوم من از کوشهٔ دل خویش بدستوری او دری برکشایم ودردی از دردهای او بیرون دهم تا کرد قیامت برآید وکویم لمن الملک اکر معترضی براه آید کویم او که چون ما ضعفا ومساکین دارد میکوید لمن الملک ما چون او ملک جباری داریم چرا نکوییم لمن الملک اکر او را چون ما بندکانست ما را چون او خداوندست ومن هذا البیان یعرف سر قول عین العارفین ابی یزید البسطامی قدس سره الهی ملکی اعظم من ملکک ای فان ملک العبد هو القدیم وملک الرب هو الحادث فاعرف جدا فان هذا المقام من مزالق الاقدام (وهو) تعالی وحده (علی کل شئ) من الاشیاء وعلی کل مقدور من الانعام والانتقام وغیرهما (قدیر) مبالغ فی القدرة علیه ومنتهی الی اقصاها یتصرف فیه حسبما تقتضیه مشیئته المبنیة علی الحکم البالغة والجملة معطوفة علی الصلة مقررة لمضمونها مفیدة لجریان احکام ملکه تعالی فی جلائل الامور ودقائقها قال بعضهم وهو علی کل شئ قدیر ای ما یمکن ان تتعلق به المشیئة من المعدومات الممکنة لان الموجود الواجب لا یحتاج فی وجوده الی شئ ویمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممکن لا یراد وجوده اذ هو تحصیل الحاصل والمعدوم الممتنع لا یمکن وجوده فلا تتعلق به المشیئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالایجاد وبالموجود بالابقاء والتحویل من حال الی حال قال القاشانی وهو القادر علی کل ما عدم من الممکنات یوجده علی ما یشاء فان قرینة القدرة تخص الشئ بالممکن اذ تعلل القدرة به فیقال انه مقدور لانه ممکن (وفی التأویلات النجمیة) تعالی وتعاظم فی ذاته وصفاته واسمائه وافعاله الذی بیده المطلقة الملأی السحاء سلطنة الوجود المطلق الفائض علی الوجودات المقیدة وهو ای هویته المطلقة ظاهرة فی کل شئ قادرة علی کل شئ (الذی خلق الموت والحیاة) شروع فی تفصیل بعض احکام الملک وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الاول فلا وقف علی القدیر والموت عند اهل السنة صفة وجودیة مضادة للحیاة کالحرارة والبرودة والحیاة صفة وجودیة زائدة علی نفس الذات مغایرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وما روی عن ابن عباس رضی الله عنهما من ان الموت والحیاة جسمان وان الله خلق الموت علی صورة کبش املح لا یمر بشئ ولا یجد رآیحته شئ الا مات وخلق الحیاة علی صورة فرس انثی بلقاء وهی التی کان جبریل والانبیاء علیهم السلام یرکبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشئ ولا یجد رآیحتها شئ الا حی وهی التی اخذ السامری من اثرها قبضة فالقاها علی العجل فحی فکلام وارد علی سبیل التمثیل والتصویر والا فهما فی التحقیق من قبیل الصفات لا من قبیل الاعیان هکذا قالوا وجوابه ان کون الموت والحیاة صفتین وجودیتین لا ینافی ان یکون لهما صورة محسوسة کالاعیان فانهما من مخلوقات عالم الملکوت ولکل منهما صورة مثالیة فی ذلک العالم بها یری ویشاهد یشاهده من یغیب عن عالم الملک وینسلخ عن البدن یؤیده ان یحیی علیه السلام یذبح الموت بین الجنة والنار علی صورة کبش ولا شک ان الذبح انما یتعلق بالاعیان وایضا ان عالم الاخرة عالم الصفة یعنی ان کل صفة باطنة فی الدنیا تتصور بصورة ظاهرة فی العقبی حسنة او قبیحة فلا شئ من المعانی الا وهو مجسم مصور فقول ابن عباس رضی الله عنه محمول علی هذا نعم ان قولهم ان الحیاة فرس انثی یخالف قولهم ان البراق حقیقة ثالثة لا ذکر ولا انثی وقال بعضهم الموت عبارة عن عدم صفة الحیاة عن محل [illegible] ان الموت والحیاة من باب العدم والملکة فان الحیاة هی الاحساس والحرکة الارادیة والا[illegible] والموت عدم ذلک عما من شأنه ان یکون له کما قال صاحب الکشاف الحیاة ما یصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلک ومعنی خلق الموت والحیاة ایجاد ذلک المصحح واعدامه انتهی ای ایجاد اثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحی وباطنه مع کونه فی غایة الاقتدار علی الحرکة والتقلب وبجعله جمادا کان لم تکن به حرکة اصلا وکذا ایجاد اثر الحیاة بنفخ الروح واضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادرا علی التقلب بنفسه بالارادة وعدم تلک الملکة لیس عدما محضا بل فیه شائبة الوجود والا لم یعتبر فیه المحل القابل للامر الوجودی فلذلک صح تعلق الخلق بالموت کتعلقه بالحیاة وبهذا التقریر اندفع ما اعترضوا به من ان العدم حال لا یکون مخلوقا لان المخلوق حادث وعدم الحوادث ازلی ولو کان مخلوقا لزم وجود الحوادث ازلا وهو باطل وقال بعضهم معنی خلق الموت علی تقدیر

ان يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فان الخلق يجيء بمعنى التقدير كما في قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ولا يبعد ان يقال ان تعلق الخلق بالموت بمعنى الايجاد انما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على الحياة لان الموت في عالم الملك ذاتي والحياة عرضية يعني ان الموت اسبق لان الاشياء كانت مواتا ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ولانه ادعى الى احسان العمل واقرب الى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه افلح وفي الحديث لو لا ثلاث ما طأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وفي الارشاد الاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الاية ليبلوكم الخ فان استدعاء ملاحظتها لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى وظاهره يخالف قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فان المراد بهذه الحياة هي الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضا ثم ان الالف واللام في الموت والحياة عوض عن المضاف اليه اى موتكم وحياتكم ايها المكلفون لان خلق موت غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والاعراض والجواهر مخلوقة له تعالى واصل الحياة حياة تجليه واصل الموت صوت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين في الدنيا فاذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بانهم يشاهدون عيانا بلا استتار ابدا لا يجري عليهم طوارق الحجاب بعد ذلك قال الله تعالى بل احياء عند ربهم خلق الموت والحياة يميت قوما بالمجاهدات ويحيي قوما بالمشاهدات يميت قوما بنعت الفناء في ظهور سطوات القدم ويحيي قوما بنعت البقاء في ظهور انوار البقاء لولا التجلي والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم في العشق وقال سهل قدس سره الموت في الدنيا بالمعصية والحياة في الاخرة بالطاعة في الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الاجسام مخلوقة وهي التي قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها اوصلها الى اوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء فكانوا في علمه احياء قبل ايجاده لهم ثم اظهرهم فاعارهم الحياة المخلوقة التي احيي بها الخلق واماتهم في سره فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا ثم اورد عليهم حياة الابد فكانوا احياء ابدا وقال الواسطي قدس سره من احياه الله عند ذكره في ازله لا يموت ابدا ومن اماته في ذلك لا يحيي ابدا وكم حي غافل عن حياته وميت غافل عن مماته (ليبلوكم ايكم احسن عملا) اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على ان افعال الله معللة بمصالح العباد وانه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند اهل السنة ليس هي على ظاهرها بل معناها ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة والغرض مثل هذه اللام لام العلة عقلا ولام الحكمة والمصلحة شرعا وايكم مبتدا واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى عدى اليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته والا فهو لا يتعدى بلا واسطة الا الى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا وقد ذكر المفعول الاول هنا وهو كم مع اختصاصه بافعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار لمعنى العلم والبلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الامور فالابتلاء من الله ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة بحسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله يعني اتم عقلا عند الله وفهما لمراده فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد اول كل شيء وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والافاق كما قال عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل الارض قالوا وانما كان ذلك لتفكره في امر الله الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض كذا في الارشاد يقول الفقير لعل حال يونس عليه السلام اشارة الى انه عمل قالبي مفضل على عمل اهل الارض في زمانه بخواص قلبية فان اعمال المقربين واحد منها مقابل بمائة الف بل بغير حساب باعتبار التفاوت في الاحسان والشهود والاخلاص ولذا قال تعالى

احسن فانه بعبارته اشارة الى احوال المقربين وباشارته الى احوال غيرهم من الابرار والكفار والمنافقين وذلك
ان نية الانسان لا تخلو اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيء نية وعملا وهو حال الكفار واما
ان يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوء نية وعملا وهو حال المنافقين واما
ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملا وهو حال الابرار واما ان يكون متعلقها
فى لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو احسن نية وعملا وهو حال المقربين ولما كان المقصود الاعظم
هو تحصيل هذا الاحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فانه مفهوم بطريق الاشارة وكذا غيره ولقد اصاب
من قال فى تفسير الآية تا بيازمايد شمارا يعنى باشما معامله آزمايند كان كند تا ظاهر شود كه دردار تكليف
كدام از شما نيكوترند از جهت عمل يعنى اخلاص كدام بيشترست وكذا من قال احسن الاعمال ما كان اخلص
بان يكون لوجه الله خالصا واصوب بان يكون موافقا للسنة اى واردا على النهج الذى ورد عن الشارع فالعمل
اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ولذا قال عليه السلام للاعرابى قم صل فانك لم تصل وكذا اذا كان صوابا
ولم يكن خالصا لم يقبل ايضا ولذا جعل الله اعمال اهل الرياء والنفاق هباء منثورا وقول من قال من العارفين
حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الاخلاص فان الاخلاص سر عظيم من اسرار
الله تعالى لا يناله الا الخواص وفى الارشاد ايثار صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم
المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من
الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد
الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك
الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى ثم ان
المراد ايكم عمله احسن من عمل غيره ولا معنى لقول السجاوندى فى عين المعانى استفهام بمعنى الهمزة ولذا
لم يعمل فيه الفعل تقديره أأنتم احسن عملا ام غيركم انتهى فانه يشعر بان يكون التفاوت بالنسبة الى الانسان
وغيره كالملائكة ومؤمنى الجن مثلا وليس بمراد وعبارة القرآن فى اسناد الحسن الى الانسان تدل على ان من
كان عمله احسن كان هو احسن ولو انه ابشع الناس منظرا ومن كان عمله اسوء كان بخلاف ذلك ره راست
بايد نه بالاى راست * كه كافر هم از روى صورت چو ماست ولم يقل اكثر عملا لانه لا عبرة بالكثرة مع القبح
قالوا والحسن انما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح وقال بعضهم ليبلوكم ايكم
احسن اخذا من حياته لموته واحسن اهبة فى دنياه لآخرته قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى
الله عنهما خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك فانك لا تدرى
ما اسمك غدا وسئل عليه السلام اى المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا
فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الاعمال المقارنة للاخلاص سواء كانت صلاة او صوما او زكاة او حجا
او نحوها وان كان لبعض الاعمال تفاوت بالنسبة الى البعض الآخر كالصلاة فانها معراج الشهود وفيها كسر
النفس واتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى ان منهم من يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة
ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فانه سبب لورود الحكمة الالهية الى القلب ولذا كان بعض السلف
يواصلون فمنهم من يطوى ثلاثة ايام ومنهم من يطوى فوق ذلك الى سبعة الى ثلاثين الى اربعين فمن طوى
اربعين يوما انفتح له باب الحكمة العظمى مع ان فى الصوم تهذيب الاخلاق ايضا [illegible] المفاسد يجيء من
قبل الاكل والشرب فيا ايها المؤمنون سابقوا وسارعوا فالنفس مطية والد[illegible] السابقون السابقون
اولئك المقربون وقد قال عليه السلام قد سبق المفردون والتفريد هو تقطيع الموحد عن الانفس والآفاق
وشهود الحق فى عالم الاطلاق فلا بد من السير والسلوك ثم الطيران فى هواء الوحدة والهوية الذاتية فان به
يحصل الانفصال عن منازل الاكوان السفلية الحادثة ويتحقق العروج الى عالم الوجوب والقدم نسأل الله
من فضله ان يرينا وجهه الكريم انه هو البر الرحيم (وهو) اى والحال انه وحده (العزيز) الذى لا يفوته من
اساء العمل (الغفور) لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل قال بعضهم لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه
اذا علم بمخالفته قال مرغبا للمسيء فى التوبة حتى لا يقول مثلى لا يصلح للخدمة لمالى من القاطعة واين التراب

ورب الارباب الغفور الذى يسترذنوب المسيء ويتلقى من اقبل اليه احسن تلقى كما قال فى الحديث القدسى ومن اتانى يمشى اتيته هرولة (الذى خلق سبع سموات) ابدعها من غير مثال سبق (طباقا) صفة لسبع سموات وقولهم الصفة فى الاعداد تكون للمضاف اليه كما فى قوله سبع بقرات سمان لايطرد ويجوز جعله حالا لان سبع سموات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباق الشئ مثل كتاب مطابقه بكسر الباء وطابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو واحد وازنتهما والباب يدل على وضع شئ مبسوط على مثله حتى يغطيه والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس اوصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة ومافوقها من الكرسى والعرش بحار من نور قال القاشانى نهاية كمال عالم الملك فى خلق السموات لايرى احكم خلقا واحسن نظاما وطباقا منها قال الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الارض فيياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير ان خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة انفرط حتى قال مهندسوهم لو حفر فى الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين وان السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسى الذى هو اقرب بها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فاظنك بما تحته وكل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) استئناف والخطاب للرسول اولكل احد ممن يصلح للخطاب ووضع خلق الرحمن موضع الضمير اذ المقام مقام ان يقال فى خلقه وهى السموات على ان يكون بمعنى المخلوق والاضافة بمعنى اللام للاشعار بانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا ومن لتأكيد النفى والمعنى ماترى فيه شيأ من اختلاف واضطراب فى الخلقة وعدم تناسب بل هو مستوى مستقيم قال القاشانى سلب التفاوت عنها بساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الاخر فلا يناسبه ولا يلائمه قال الراغب التفاوت الاختلاف فى الاوصاف كانه يفوت وصف احدهما الاخر اووصف كل واحد منهما الاخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عاما فسئل بان المخلوقات باسرها على غاية التفاوت لان الليل غير النهار الى غير ذلك من الاضداد ثم اجاب بان ليس فيها تناقض اوزيادة غير محتاج اليها اونقصان محتاج اليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على ان خالقها عالم انتهى وفى الآية اشارة الى شمول رحمته الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان الموجودات كلها علوية كانت اوسفلية نورانية كانت اوظلمانية روحانية كانت اوجسمانية خلقت من نور الرحمن ورحمته من غير تفاوت فى الخلقة واصل الرزق * ادیم زمین سفرهٔ عام اوست * بران خوان یغما چه دشمن چه دوست (فارجع البصر) اى رده الى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا وهو العود الى ماسنه اليه امكانا كان اوفعلا اوقولا بذاته كان رجوعه اوبجزء من اجزائه اوبفعل من افعاله ورجعه غيره رجعا اى رده واعاده (هل ترى) فيها (من فطور) جمع فطر كما فى القاموس وهو الشق (كما قال فى تاج المصادر) الفطر آفريدن وابتدا كردن وشكافتن يقال فطره فانفطر اى شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتيامها قاله القاشانى ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها اوبعضها اوكمالها كما فى المناسبات فاذا لم ير فى السماء فطور وهو مخلوق فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات (ثم ارجع البصر كرتين) اى رجعتين اخريين واعد النظر مرة بعد مرة فى طلب الخلل والعيب * يعنى اكر بيك نكر بستن معلوم نكردى تكرار كن نكر بستن را * والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة واعانات وفيرة بعضها فى اثر بعض وذلك لان الكلال الاتى لايقع بالمرتين اى رجعة بعد رجعة وان كثرت قال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيامة لم ترفيه فطورا وقال الواسطى رحمه الله كرتين اى قلبا وبصرا لان الاول كان بالعين خاصة والحاصل ان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق

الحقائق واذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد الا الكلال والحرمان فتحقق الامتناع ومتا
اتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب) ينصرف ويرجع وبالفارسية باز كردد (اليك) بسوى تو
(البصر) چشم تو (خاسئا) اى ذليلا بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن
ذلك طردا بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على انه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو مع انه اسم
فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب خسوءا فمعناه تباعد من
هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار وخسأ يجيء متعديا ايضا يقال خسأت الكلب فخسأ اى
باعدته وطردته وزجرته مستهينا به فانزجر وذلك اذا قيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر اى انقبض من
مهانة وفى القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك ان يدنو من الناس ولا يكون خاسئا فى الاية
من المتعدى الا بان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا (وهو حسير) اى كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة
وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذى هو الاعياء كما فى تاج المصادر الحسور رنجه شدن
وكند شدن چشم از مسافت دور وقال الراغب يقال للمعيى حاسر ومحسور اما الحاسر فتصور انه قد حسر
بنفسه قواه واما المحسور فتصور ان التعب قد حسره وقوله تعالى وهو حسير يصح ان يكون بمعنى حاسر وبمعنى
محسور انتهى والجملة حال من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة
قال بعضهم فاذا كان الحال هذا فى بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع فى كماله وجلاله وجماله فكيف
بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد سبحان من تحير فى ذاته سواه * فهم خرد بكنه كمالش
نبرد راه * عمرى خرد چو چشمه ها چشمها كشاد * تا بر كمال كنه آله افكند نگاه * ليكن كشيد
عاقبتش درد ودیده میل * شكل الف كه حرف نخستست از آله وفى التأويلات النجمية فارجع بصرك
الظاهر من ظواهر الاشياء الى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن الى بواطن الاشياء يعنى انظر باتحاد بصرك
وبصيرتك الى ظواهر الاشياء وبواطنها هل ترى من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد من الموجودات
لاعطائه كل ذى حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل
ومطالعة الزلل كما قال الامام حجة الاسلام قدس سره فى بعض كلماته ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود
لانه لو كان ولم يظهر لكان بخلا وهو جواد ولكان عجزا وهو قادر كما قال تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه
ثم هدى وقال بعضهم انما لم يكن فى الامكان ابدع مما كان اى اظهر من هذا العالم لانه ماثم الا ربتان الحق
فى المرتبة الاولى وهو القدم والعالم فى الثانية وهو الامكان والحدوث فلو خلق ما خلق الى ما لا يتناهى فلا يزال
فى المرتبة الثانية الامكانية (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء
اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب
السموات الى الارض والناس وجملناها فازين والتزيين بالفارسية آراستن وهو ضد الشين بالفارسية
معيوب كردن والدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وكون السماء قربى من سائر السموات انما هو بالاضافة الى
ما تحتها من الارض لا مطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى ما فوقها من العرش (بمصابيح) بجراغها جمع
مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات
والثوابت تتراءى كلها مركوزة فى السماء الدنيا مع ان بعضها فى سائر السموات لان السموات اذا كانت شفافة
واجراما صافية فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا او فى سموات اخرى فهى [illegible] وان تظهر فى السماء الدنيا
وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ويدل على المصابيح القمر لانه اعظم
نيريها بالليل واذا جعل الله الكواكب زينة السماء التى هى سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل
زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف فى الخير وذكر ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا جاء
العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى رضى الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق
تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال عليه السلام نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كانت لى ابنة
لانكحتكها وسماه سراجا وكان اسمه الاول قمقاما كثرها عمر رضى الله عنه حين جمع الناس على ابى بن كعب
رضى الله عنه فى صلاة التراويح فلما رأها على رضى الله عنه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب

وعن بعضهم قال امرني المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد ثم ادرما اكتب لانه شيء لم اسبق اليه فرأيت في المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فاثبت وكتبت بذلك وفيه اشارة الى سماء القلب لدنوه منك من سماء الروح وزينة انوار المعارف والعلوم الالهية والواردات الرحمانية (وجعلناها) اي المصابيح المعبر بها عن النجوم اي بعضها كما في تفسير ابي الليث (رجوما) جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ويرمى للطرد والزجر او جمع راجم كسجود جمع ساجد (للشياطين) هم كفار الجن يخرجون الانس من النور الى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم في الواقع فالمعنى وجعلناها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا بالكواكب نفسها فانها قارة في الفلك على حالها فتهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضوا من اعضائه او عقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فاطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت لان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذه ثقب في السماء وينصره قول بعض المكاشفين ان الكواكب ليست مركوزة في هذا التعين وانما هي بانعكاس الانوار في بعض عروقه اللطيفة والذي يرى كسقوط النجم فكدفع الشعلة من موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك انتهى وقال الفلاسفة ان الشهب انما هي اجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلا في اوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذي يلوح ان مذهب الفلاسفة قريب في هذه المادة من مذهب اهل الحقائق ومر بيان مذهبهم في الصافات والله اعلم بالخفيات (واعتدنا لهم) اي هيئنا للشياطين في الآخرة بعد الاحراق في الدنيا بالشهب ومنه العتاد اي العدة والاهبة (عذاب السعير) اي عذاب جهنم الموقدة المشعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اوقدتها ولذلك لم يؤنث بالتاء في آخره مع انه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الاسماء يطلق على الاخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم واخرى بالآخر واعلم ان في كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة اهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين في واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب اضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه في اضلاله فكان سببا لدخوله في دركة من الدركات الست التحتانية جزاء لضلاله واضلاله واذيته لمن تبعه فيادعا اليه بعصا حبته ومقارنته كما قال تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين مع شياطينهم وفي الآية اشارة الى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم وكفرهم به اما بالتعطيل او بالامساك وقال سعدي المفتي الاظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به ما بعده ولئلا يلزم شبه التكرار (عذاب جهنم) اي الدركة الثانية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل بجهم الوجه كالح منقبض وفيه اشارة الى ان عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسبب لاسوط ولا عصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء (وبئس المصير) اي جهنم وقال بعضهم جهنم من الجهنام وهي البئر البعيدة القعر ففيه اشارة الى ان اهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون في نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال في فتح الرحمن تضمنت هذه الاية ان عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء في الاثر انه يمر على جهنم زمن تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة فالذي في هذه الاية هي جهنم باسرها اي جميع الطبقات والتي في الاثر هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة انتهى وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتي زمان تبقى جهنم خالية عن اهلها وهم عصاة الموحدين ويأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير وهي بقلة (اذا القوا) اي الذين كفروا اي في جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة وفي ايراد الالقاء دون الادخال اشعار

بتحقيرهم وكون جهنم سفلية (سمعوا لها) اى لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (شهيقا) لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير الذى هو انكر الاصوات وافظعها غضبا عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق او شهيق الحمار آخر صوته والزفير اوله والشهيق رد النفس والزفير اخراجه (وهى تفور) اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب اذا كان الماء يغلى به لاقرار لهم اصلا والفور شدة الغليان ويقال ذلك فى النار وفى القدر وفى الغضب وفوارات الماء سميت تشبيها بغليان القدر وفعلت كذا من فورى اى من غليان الحال وفارة المسك تشبيها بها فى الهيئة كما فى المفردات قال بعضهم نطقت الاية بان سماعهم يكون وقت الالقاء على ما هو المفهوم من اذا ومن قوله وهى تفور ان يكون بعده اللهم الا ان تغلى بما فيها كائنا ما كان ويأول اذا القوا باذا اريد الالقاء واذا قربوا من الالقاء بناء على ان صوت الشهيق يقتضى ان يسمع قبل الالقاء انتهى (تكاد تميز من الغيظ) الجملة خبر آخر وتميز اصله تتميز بتائين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ اشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه اذا وصف بالافراط فى الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم اى يقرب ان تمزق تركيبها وينفصل بعضه من بعض وبالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ ازشدت خشم بر كافران شبه اشتعال النار بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية قال الامام لعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلى عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد تمزق قال فى المناسبات وكان حذف احدى التائين اشارة الى انه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بالف زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا وتحطم اهل المحشر وتقول لا تنقمن اليوم من اكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم الا النبى صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو امر به ان يقتلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها فعل من غير كلفة وهذا كما اطغأها فى الدنيا بنفخة كما قال عليه السلام لقد اذنيت منى النار حتى جعلت انفثها خشية ان تغشاكم قال بعضهم تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور واصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ يقول الفقير تقرر من هذا البيان ودل سائر الاثار الصحيحة ايضا ان جهنم لها حياة وشعور كسائر الاحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة الى ارتكاب المجاز عند اهل الله تعالى فى امثال ذلك قال جعفر الطيار رضى الله عنه كنت مع النبى عليه السلام فى طريق فاشتد على العطش فعلمه النبى عليه السلام وكان حذآء نا جبل فقال عليه السلام بلغ منى السلام الى هذا الجبل وقل له يسقيك ان كان فيه ماء قال فذهبت اليه وقلت السلام عليك ايها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامى الى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة بكيت لخوف ان اكون من الحجارة التى هى وقود النار بحيث لم يبق فى ماء (كلما القى) الالقاء يفكندن (فيها) اى فى جهنم (فوج) جماعة من الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم اغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان سوال اهلها بعد بيان حال نفسها (سألهم) اى ذلك الفوج وضمير الجمع باعتبار المعنى (خزنتها) اى خزنة النار وهى مالك واعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة اى ليزداد والعذاب الروحانى على العذاب الجسمانى جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينه دار قال فى تاج المصادر الخزن تكاه داشتن مال وسر (الم يأتكم) اى وقالوا لهم ايها الكفرة الفجرة الم يأتكم فى الدنيا (نذير) اى منذر يتلو عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا والانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف ويعدى الى مفعولين كما فى تاج المصادر (قالوا) اعترافا بانه تعالى قد ازاح علتهم بالكلية ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يأتوا من قدره كما تزعم الجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد

على ضده (بلى) لايجاب نفى اتيان النذير (قد جاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ولنفس الجملة المجاب بها مبالغة
فى الاعتراف وتحسرا على فوت سعادة التصديق وتمهيدا لبيان التفريط الواقع منهم اى قال كل فوج من تلك
الافواج قد جاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا
ماانزل الله عليه من آياته روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال انا النذير والموت المغير
يعنى موت غارت كننده است والساعة الموعد يعنى قيامت وعده كاهست (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه
نذيرا من جهته تعالى فان قلت هذا يقتضى ان لا يدخلها الفاسق المصر لانه لم يكذب النذير قلت قد دلت
الادلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقا والمراد بالفوج هنا بعض من القى فيها وهم الكفرة كما سبق (وقلنا)
فى حق ما تلاه من الايات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير بسبب الاشتغال بالامور الدنيوية والاحكام
الرسومية الخلقية (ماانزل الله) على احد (من شئ) من الاشياء فضلا عن تنزيل الايات عليكم وقال بعضهم
ماانزل الله من كتاب ولا رسول (ان انتم) اى ما انتم يا معشر الرسل فى ادعاء ان الله تعالى نزل عليكم ايات تنذروننا
بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه
على امثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح
بعمومه حتما (وقالوا) ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل (لو كنا) فى الدنيا (نسمع) كلاما (او نعقل)
شيأ وفيه دليل على ان العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لانه لابد اولا من سماع ثم تعقل المسموع وقال
سعدى المفتى قوله لو كنا الخ يجوز ان يكون اشارة الى قسمى الايمان التقليدى والتحقيقى اى الاستدلالى لانه
يحتاج الى النظر دون التحقيق العيانى لانه يحصل بالكشف لا العقل (ما كنا) اليوم (فى اصحاب السعير) اى فى عداد
اهل النار الموقدة واتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الحزنة قالوا لهم
فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم من السنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك
وفى التأويلات النجمية لو كنا نسمع باسماع قلوبنا او نعقل بعقول ارواحنا ما كنا فى اصحاب السعير ولكنا سمعنا
باسماع مختومة وعقول معلولة مقفولة (فاعترفوا) اضطرارا حين لا ينفعهم الاعتراف وهو اقرار عن معرفة
وفى عين المعانى عرفوا انفسهم بالجرم (بذنبهم) اختيارا بصرف قواهم الى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم
بايات الله ورسله وقال بعضهم افرد الذنب لانه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير اوريد به
الكفر وهو وان كان على انواع فهو ملة واحدة فى كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الابدى فى النار (فسحقا)
مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحقا
وابعادا بسبب ذنبهم او لفعل مرتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا يقال
سحق الشئ مثل كرم فهو سحيق اى بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده
ان يدعوا عليهم به كما فى التيسير ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداى تعالى دور كردنى ايشان را از رحمت
خود قال بعضهم دعاء عليهم من الله اشعارا بان المدعو عليه مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به
من البعد والهلاك (لاصحاب السعير) اللام للبيان كما فى هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه
اشارة الى ان الله تعالى بعد اهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد (ان الذين يخشون ربهم بالغيب)
اى يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا ورأى عيونهم حال كون ذلك العذاب
غائبا عنهم ولم يعاينوه بعد فى بالغيب حال من المضاف المقدر او غائبين عنه تعالى اى عن معاينة عذابه
واحكام الاخرة او عن اعين الناس لانهم ليسوا كالمنافقين الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون على انه حال من الفاعل وهو ضمير يخشون او بما خفى منهم وهو
قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والالف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد ابى بكر الصديق
رضى الله عنه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلى ولصدره ازيز كازيز
المرجل من البكاء والازيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس (لهم مغفرة) عظيمة تأتى على جميع
ذنوبهم ولما كان السرور اتما يتم بالاعطاء قال (واجر كبير) اى ثواب عظيم فى الاخرة فضلا منه تعالى يكون
لهم به من الاكرام ما ينسيهم ما قاسوه فى الدنيا من شدائد الالام وتصغر فى جنبه لذائذ الدنيا وهى الجنة

ونعيمها

ونعيمها وكفته اند ايمنى از شدايد ومكاره يعنى مزد ترسندكان امان باشد از هرچه مى ترسند * لا تخافوا
مژدهٔ ترسنده است * هركه مى ترسد مبارك بنده است * خوف وخشيت خاص دانايان بود *
هركه دانا نيست كى ترسان بود * ترسكارى رستكارى آورد * هركه درد آرد عوض درمان بود *
فلابد من العقل اولا حتى يحصل الخوف ثانيا وكان بعض الاكاسرة وكانوا اعقل الملوك يرتب واحدا
يكون وراءه بالقرب منه يقول اذا اجتمعت جنودة انت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا
حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق ان المخافة قبل الرجاء فان الله تعالى خلق جنة ونارا
فلن تخلصوا الى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى وان منكم الا واردها قال فضيل قدس سره اذا قيل لك
اتخاف الله فاسكت فانك اذا قلت لا فقد جئت بامر عظيم واذا قلت نعم فالخائف لا يكون على ما انت عليه
الا ترى ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم عليه السلام خليلا القى فى قلبه الوجل حتى ان خفقان قلبه يسمع من بعيد
كما يسمع خفقان الطير فى الهواء وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذى بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف اسباب
واول الامر العقل السليم ثم يحصل كماله بترك العصيان وذلك ان ترك المعصية وان كان نتيجة الخوف لكن القلب
يترقى فى الرقة بترك المعصية فيشتد خوفه فقاسى القلب لا يعرف الخوف لان عقله ضعيف مغلوب يقال العقل
كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فاذا سلط العقل على النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم
كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وان غلبت النفس كان سعيها فاسدا كالمرأة التى قهرت
زوجها ففسدت الجملة مبر طاعت نفس شهوت پرست * كه هر ساعتش قبلهٔ ديكرست * كرا جامه
پاكست وسيرت پليد * در دوزخش را نبايد كليد (واسروا قولكم او اجهروا به) وپنهان سازيد سخن
خود را در شان پيغمبر عليه السلام يا آشكارا كنيد مر انرا قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء يعنى درباب حضرت پيغمبر سخنان ناشايسته كفتندى فيظهر الله رسوله
عليها فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما تقولون فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به
فان الله يعلمه واسرار الاقوال واعلانها مستويان عنده تعالى فى تعلق علمه والامر للتهديد لا للتكليف وتقديم
السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط
بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى اولان
مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شئ يجهر به الا وهو او مباديه مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار
غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (انه عليم بذات الصدور) مبالغ فى الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه
ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها
فلا يخفى عليه سر من اسرارها قال القاشانى انه عليم بذات الصدور لكون تلك السرائر عين علمه فكيف لا يعلم
ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرآئى اسراره ولم يقل ذوات الصدور لارادة الجنس وذات هنا تأنيث
ذى بمعنى صاحب حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه اى عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهى الخواطر
القائمة بالقلب من الدواعى والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيه
كما يقال للبن ذو الاناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها (الا يعلم) آيا نداند (من خلق) اى الا يعلم السر والجهر
من اوجد بحكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها فهو انكار ونفى لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر
ومن فاعل يعلم ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول يعلم والعائد محذوف اى الا يعلم الله من خلقه
(وهو) اى والحال انه تعالى وحده (اللطيف) العالم بدقائق الاشياء يرى اثر النملة السوداء على الصخرة الصماء
فى الليلة الظلماء (الخبير) العالم ببواطنها قال القاشانى هو المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو فى الحقيقة
باطنا وظاهرا لا فرق الا بالوجوب والامكان والاطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية
فان قلت ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لا تكرار فيه فانه قال الامام الغزالى رحمه الله انما يستحق اسم
اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك فى ايصالها الى المستصلح على سبيل

الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف فى الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا قال بعضهم كنا جماعة من الفقراء فاصابتنا فاقة وجماعة فذهبنا الى ابراهيم الخواص قدس سره وقلت فى نفسى اباسط الشيخ فى احوالى واحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره علىّ قال لى الحاجة التى جئتنى فيها الله عليم بها ام لا فارفعها اليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا الى المنزل فتح علينا بشئ واذا علم العبد انه مطلع على سره عليم بخفىّ ما فى صدره يكتفى من سؤاله برفع همته اليه واحضار حاجته فى قلبه من غير ان ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم انه يوصل اليهم ما يحتاجون اليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من اول الامر حتى تم وصلح للاكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدآئس والمذرى والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الالات التى تتوقف عليها هذه الاعمال من الاخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث تكاد لا تنحصر وهكذا كل شئ ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد الى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة فى طى كل كثيفة كصيانة الودآئع فى المواضع المجهولة الا ترى انه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن الشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلا ومعدنا لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد ان يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فان الله تعالى لطف به بايجاده ذلك القلب فى جوفه ووصف نفسه بانه لطيف خبير مطلع على ما فى الباطن فاذا كان هو المنظر الالهى وجب تخليته عن الافكار والاغيار وتحليته بانواع المعارف والعلوم والاسرار وتجليته بتجلى الله الملك العزيز الغفار بوجوه اسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وان يرينا جماله (هو) وحده (الذى جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) اختلفوا فى مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها ياجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة انه قال الدنيا اى بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط اربعة وعشرون الف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقد خرج بطليوس مقدار قطر الارض واستدارتها فى المجسطى بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التى يتوسل بها فى اثبات الاوضاع الفلكية والارضية بادلتها التفصيلية قال استدارة الارض مائة الف وثمانون الف اسطاربوس وهى اربعة وعشرون الف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكى والذراع ثلاثة اشبار وكل شبر اثنتا عشرة اصبعا والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطاربوس اربعمائة الف ذراع قال وغلظ الارض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا يكون الفين وخمسمائة فرسخ وخمسة واربعين فرسخا وثلثا فرسخ فمجال فبسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فيكون مائتى الف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب الخريدة فان كان ذلك حقا فهو وحى من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب ايضا من الحق واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقينى الذى يقطع على الغيب به انتهى (ذلولا) اى لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا الى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقاد تا آسان باشد سير شما بران ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشى عليها او جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الابار وشق العيون والانهار وبناء الابنية وزرع المحبوب وغرس الاشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة فى الصيف جدا وباردة فى الشتاء فلا تكون كفاتا للاحياء والاموات وايضا بتها بالجبال الراسيات كيلا تمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة لنا فكانت على صورة الانسان الكامل فى سكونها وسكونها وكانت هى وحقائقها فى مقابلة القلم الاعلى والملائكة

المهيمة والحاصل ان الله تعالى جعل الارض بحيث ينتفع بها وقسمها الى سهول وجبال وبرارى وبحار وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وقارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته قال سهل قدس سره خلق الله الانفس ذلولا فمن اذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها واتبعها اذلته نفسه واهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل اوهو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلا والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلا وجعلهما البيهقى فى تاج المصادر من الباب الثانى حيث قال فى ذلك الكتاب والباب الذل خوار شدن والذل رام شدن وكذا فى مختار الصحاح وجعل صاحب القاموس الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر والذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عرى عن علامة التأنيث مع ان الارض مؤنث سماعى (فامشوا فى مناكبها) الفاء لترتيب الامر على الجعل المذكور وهو امر اباحة عند بعض اى فاسلكوا فى جوانبها وشبر فى صورة الامر عند آخرين اى تمشون فى اطرافها من حيث ان منكبى الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب واذا مشوا وساروا فى جوانبها واطرافها فقد احاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للارض فى قوله فامشوا فى مناكبها كاستعارة الظهر لها فى قوله ما ترك على ظهرها انتهى او فى جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشير بن كعب سرية فقال لها ان اخبرتنى ما مناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء رضى الله عنه فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية اى تذليل البعير لا مطلقا كما فى حواشى سعدى المفتى فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشى فى الجبال على تقدير ان يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ورد فى الحديث انه تزالق عليه الارجل ولا تثبت ومنها ما يشق سلوكها وانما لم تعتبر لندرتها وقلتها وفى التأويلات النجمية هو الذى جعل لكم ارض البشرية ذلولا منقادة فخذوا من ارضها بقدر الحاجة من اعاليها واسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية ابدانكم وتهيئة اسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة (وكلوا من رزقه) والتقوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والامر ان كان امر اباحة فالرزق ما يكون حلالا وان كان خبرا فى صورة الامر بمعنى تأكلون فيجوز ان يكون شاملا للحرام ايضا فانه من رزقه ايضا وان كان التناول منه حراما (واليه) اى الى الله وحده (النشور) اى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشرا احياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشورا فهو يتعدى ولا يتعدى كرجعه رجعا ورجع بنفسه رجوعا الا ان الميت لا يحيى بنفسه بدون احياء الله اذ هو محال (امنتم) آيا ايمن شديد اى مكذبان وهو استفهام توبيخ فالهمزة الاولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة (من) موصولة (فى السماء) اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه وهو كقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وحقيقته امنتم خالق السماء وما لكها قال فى الاسئلة خص السماء بالذكر ليعلم ان الاصنام التى فى الارض ليست بآلهة لانه تعالى فى جهة من الجهات لان ذلك من صفات الاجسام واراد انه فوق السماء والارض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى على انه لا يلزم من الايمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ما ذا ترى وكن مع اهل السنة من الورى كما فى الكبريت الاحمر للامام الشعرانى قدس سره واما رفع الايدى الى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز ان تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى امنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان وفى فتح الرحمن هذا المحل من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه الى الله قوله من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول امنتم (ان يخسف بكم الارض) بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة

اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من اى امنتم من فى السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن والخسوف بزمين فرو شدن والمشهور ان الباء فى مثل هذا الموضع للتعدية اى يدخلكم ويذهبكم فيها وبالفارسية فرو بردشما را بزمين قال الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا غاب به فيها وفى القاموس ايضا خسف الله بفلان الارض غيبه فيها (فاذا هى) پس آنكاه زمين پس ازفرو بردن شما بوى (تمور) قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم فاذا الارض تدور بكم الى الارض السفلى وبعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم اخرى للتعذيب بها (ام امنتم) بالايمن شديد وهو انتقال الى التهديد بوجه آخر (من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل اى ام امنتم من فى السماء ارساله على ان قوله ان يرسل بدل من من ايضا والمعنى هل جعل لكم من هذين امان واذ لا امان لكم منهما فما معنى تمادیكم فى شرككم (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به اهو واقع ام لا أشديد ام ضعيف يعنى حين حققتم المنذر به تعلمون انه لا خلف لخبرى وان عذابى لشديد وانه لا دافع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ فالنذير وكذا النكير الاتى مصدران بمعنى الانذار والانكار واصلهما نذيرى ونكيرى بياء الاضافة فحذفت اكتفاء بكسر ما قبلها قال فى برهان القرآن خوفهم بالخسف اولا لكونهم على الارض وانها اقرب اليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانيا يقول الفقير اشارت الآية الاولى على ما الهمت فى جوف الليل الى ان الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض الى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على اهل الغفلة كالخسف ولذا ما قام بعض العارفين متهجدا فاخذه البرد وبكى من العرى قيل له من قبل الله تعالى اقمناك وانمناهم فتبكى علينا يعنى ان اقامتك وانامة الغافلين نعمة لك ونقمة لهم فاشكر عليها ولا تجزع من العرى فان بلاء العرى اهون من بلاء الغفلة واشارت الآية الثانية الى نزول المطر الشديد من السماء فانه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضبا فى صورة الرحمة فعلى العاقل ان لا يضيع الوقت ويغتنم الفراغ قبل الشغل ايقظنا الله واياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وامثالهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وانكار الله تعالى على عبده ان يفعل به امرا صعبا وفعلا هائلا لا يعرف وفى الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه (اولم يروا) اى اغفلوا ولم ينظروا (الى الطير) فالرؤية بصرية لانها تتعدى بالى واما القلبية فتعديتها بفى والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذى جناح يسبح فى الهواء اما لكون جمعه فى الاصل كركب وراكب او مصدره جعل اسما لجنسه فباعتبار تكثره فى المعنى وصف بصافات وفى المفردات انه جمع طائر (فوقهم) يجوز ان يكون ظرفا لير واوان يكون حالا من الطير اى كائنات فوقهم (صافات) حال من الطير والصف ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن انما هو اجنحة الطير لا انفسها والمعنى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء فكما ان الاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها فكذا الاصل فى الطيران صف الاجنحة وبسطها والقبض انما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما فى السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على صافات لانه بمعنى وقابضات والا لما عطف الفعل على الاسم (ما يمسكهن) فى الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانى فانه يقتضى الهبوط الى السفل (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم ابداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذى يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال

نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان حكي ان بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه اكثر مما يقبل على امثاله ولم يكن احسن منهم صورة ولا اكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحراء ومعه اصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير ان ينظر الملك اليه ولا اشار بشئ من ذلك ولم تعلم الجماعة لاى شئ ركض فرسه فمالبث الا ساعة حتى عاد ومعه شئ من الثلج فقيل له بم عرفت ان الملك اراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شئ لا يكون عبثا فقال الملك لهذا اقربه واقدمه عليكم فانكم مشغولون بانفسكم وهو مشغول بمراقبة احوالى وفى التأويلات النجمية يشير الى طيران الارواح العلوية المخلوقة قبل الاجساد بالفى عام الباسطات الاجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو سماء القدرة انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الاشياء الغريبة وكيف يدبر الامور العجيبة (امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) اصله ام من على ان ام منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك والاستفهام متوجه الى تعيين الناظر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته واشارة هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والافات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على انه نعت لمصدره او ينصركم من عذاب كائن من عند الله على انه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم خبره وام منقطعة او متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على ان يكون المعنى الله الذى له هذه الاوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب ان اصابكم ام الذى يشار اليه ويقال فى حقه هذا الذى تزعمون انه جند لكم ينصركم من دون الله وايثار الرحمن للدلالة على ان رحمة الله هى المنجية من غضبه لا غير قال القاشانى اى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم الباطنة والظاهرة او يمسك ما ارسل من النعم المعنوية والصورية او يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم او يمنع ما اصابكم به وقد رعليكم (ان الكافرون الا فى غرور) ان نافية بمعنى ما اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبايحهم لغيرهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به (امن هذا الذى يرزقكم) يعطيكم الرزق (ان امسك) الرحمن وحبس (رزقه) بامساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة فى فمه فامسك الله عنه قوة الابتلاع بجزاهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة واعرابه كاعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرازق ذو القوة المتين يرزقكم ام الذى يقال فى حقه هذا الحقير المهين الذى تدعون انه يرزقكم برزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذى هو جند لكم الخ وردعليهم الثانى بقوله امن هذا الذى يرزقكم الخ (بل لجوا فى عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتوا اى عناد واستكبار وطغيان ونفورا اى شراد عن الحق وتباعد واعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذى اقاموا عليه فاللجاج التمادى فى العناد

فى تعاطى الفعل المزجور عنه والعتو التجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم واشارة الى انهم (حمر مستنفرة فرّت من قسورة) يعنى كوييا ايشان خران وحشى اند رميدكان كه كريخته باشند از شير يا از صياد يا ريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آوازهاء مختلف * كسى را كه پندار در سر بود * مپندار هركز كه حق بشنود (افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل فى الكب وكبه قلبه وصرعه يعنى اسقط على وجهه ولا يقال اكبه فان اكب لازم وعند صاحب القاموس لازم متعد ومكبا حال من فاعل يمشى والمعنى فمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اشد هداية ورشدا الى المقصد الذى يؤمه قال فى المناسبات لم يسم سبحانه لمشيانه طريقا لانه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل اتفاق قال اهدى (اممن) اى اهو اهدى ام من (يمشى سويا) اى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل المكب كناية عن الاعمى لانه لا يهتدى الى الطريق فيتعسف يعنى بى راه ميرود فيلزمه ان يكب على وجهه بخلاف البصير السوى فرقست ميان آنكه از روى يقين * باديدهٔ بينا رود اندر ره دين * با آنكه دو چشم بسته بى دست كسى * هر كوشه همى رود بظن وتخمين وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله فى الدنيا فحشره الله على وجهه الى النار فى العقبى والمؤمن استقام على امر الله فى الدنيا فحشره الله على قدميه الى الجنة فى الاخرة وقيل للنبى عليه السلام وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفيه اشارة الى ان الله تعالى يظهر للانسان يوم القيامة ما ابطن اليوم خيرا او شرا سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بران تصوير حشرت واجبست قال القاشان افمن يمشى منتكسا بالتوجه الى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب الى الامور الطبيعية اهدى اممن يمشى مستويا منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لا توصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الاعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه الخجلة بواسطة ظلمة الفضلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سويا بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذى لا فيه امت ولا عوج (قل) يا افضل الخلق (هو) تعالى وحده (الذى انشأكم) ايها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الانسان الغافل ايضا اى انشأكم انشاء بديعا قابلا لجمع جميع الحقائق الالهية والكيانية وابتدأ خلقكم على احسن خلق بان صوركم فاحسن صوركم (وجعل لكم السمع) واعطى لكم الاذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من السنة الموجودات باسرها فانها كلها تنطق نطق الانسان كما قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قيل لبزرجمهر من اكمل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء وقدم السمع لانه شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم ولان فوآئد السمع اقوى بالنسبة الى العوام وان كانت فوآئد البصر اعلى بالنسبة الى الخواص ولان السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولا شك ان مرتبة الخطاب اقدم بالنسبة الى مرتبة الرؤية لان مرتبة الرؤية هى مرتبة التجلى فهى نهاية الامر الا ترى انه عليه السلام سمع قبل النبوة صوت اسرافيل ولم ير شخصه واما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وام لهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب التى هى مرتبة الوحى الى مرتبة التجلى التى هى مرتبة الموحى (والابصار) لتنظروا بها الى الايات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى فى غاية الكمال ونهاية الاتقان (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة بل لتقبلوا بها الواردات القلبية والالهامات الغيبية قال فى القاموس التفؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع افئدة انتهى وخص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف بها تحصل كما فى كشف الاسرار ولان القلب كالحوض حيث ينصب اليه ما حصل من طريق السمع والبصر (قليلا ما تشكرون) اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من

وسبي اذا تبع قال بعض المفسرين واهل اللغة صنه الا يتناقضا فعل في الحقيقة مسند الى اصحاب الوجوه بمعنى بهلاكم
وقيل لعلهم بانهم المصرين مع اعترافهم بالايمان منكرون للاعادة فلا جرم يسوء وجوههم صفيح مانيكرونه
وتعلوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الاليم ما لا يدخل تحت الوصف (وقيل) او يضاعف عذابهم فتسند اليهم اذاقتهم
بالنار الروحانية قبل الاحراق بالنار الجسمانية والتاء تاون الزيانية وايراد المجهول لكون المراد بيان المقول لا بيان
القائل (هذا) مبتدأ اشير به الى ما رأوه من زلفة وسيئة مقوله (الذي كنتم به تدعون) اى تطلبون نصفه الدنيا وتستعجلونه
انكارا واستهزاء على انه تفتعل او دعا من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا اذا استدعاه وقيل هو من
الدعوى اى كنتم بسبب ذكر النبي عليه السلام والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون ان لا يبعث ولا يحشر
ولا حساب قالباء للسببية ويجوز ان تكون للملابسة ومن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليلة في صلاته فبقي
يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره
(قل) يا خير الخلق (أرأيتم) اى اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية قال بعضهم لما كانت الرؤية
سببا للاخبار صح بها عنه وبعضهم لما كان الاخبار قويا بالرؤية شاع ارأيت في معنى اخبر (ان اهلكني الله) اى
اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون به
ريب المنون ويقولون ان امر محمد لا يتم ولا يبقى بل يزول عن قريب (ومن معي) من المؤمنين وحصل مقصودكم
(او رحمنا) بتأخيرنا فحصل مقصودنا فضمن في جواب رحمته معنى ما يترتب على الاحدى الحسنيين اما ان نهلك
فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فانتم ما تصنعون وأي راحة لكم في موتنا واي
منفعة وغاية لكم الى العذاب كما قال تعالى (فمن) يس كيست آنكه او (يجير) ينجي ويخلص قال في تهذيب
المصادر والاجارة زينهار دادن وفي القاموس لياره انقذه واعاذه (الكافرين من عذاب اليم) مؤلم شديد
الايلام اى لا يجيركم منه احد اذا نزل بكم سوء امتنا او بقينا انما النجاة بالايمان والعمل الصالح ووضع الكافرين
موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به وقال بعضهم كيف قال ان اهلكني الله الخ بعد ان
علم انه تعالى لا يهلك الانبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة في التخويف كانه قيل نحن معاشر الانبياء والمؤمنين
نخاف الله ان يأخذنا بذنوبنا فمن يجيركم من عذابه وانتم كافرون وكيف لا تخافون وانتم بهذه المثابة من
الاجرام فيكون معنى اهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما في ابتلالين (قل) يا اشفق الخلق (هو الرحمن)
اى الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها وموصلها (آمنا به) وحده لما علمنا ان كل ما سواه فما بنعمة او منعم
عليه ولم نكفر به كما كفرتم على ان يكون وقوع آمنا مقدما على به تعريضا للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم
(وعليه توكلنا) فوضنا امورنا الا على غيره اصلا كما فعلتم انتم حيث توكلتم على ربالكم واموالكم لعلمنا بان ما عداه
كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدما يدل على الاختصاص (فستعلمون) يا كفار مكة عن
قريب البتة عند معاينة العذاب (من) استفهامية او موصولة (هو في ضلال مبين) منا ومنكم اى خطأ ظاهر
(وفي التأويلات النجمية) وعلى خيفه الاتم ولطفه الاعم توكلنا بكليتنا لا على غيره فستعلمون من هو في ضلال
مبين اى من توجه اليه بالاستغاثة منه او من اعرض عنه بالانكار له (قل) يا اكرم الخلق (أرأيتم) اى
اخبروني (ان اصبح) اكرر فهو بمعنى صار (ماؤكم) وكان ماء اهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون
الحضرمي (غورا) خبر اصبح وهو مصدر وصف به اى غائرا في الارض بالكلية ذاهبا نازلا فيها وقيل بحيث
لا تناله الدلاء ولا يمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فرو رفته بزمين چنانكه
دست ودلو بدان نرسد يقال غار الماء نضب والتصوب فرو شدن آب در زمين وفي المفردات الغور المنهبط
من الارض (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ (بماء معين) جار وبالفارسية پس كيست آنكه بيارد براى شما
آب جاري من عان الماء ومعن كلاهما بمعنى جرى او ظاهر للعيون سهل المأخذ يعني تناله الايدي فهو على هذا
اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كبيع من البيع لعل تكرير الامر بقل لتأكيد المقول وتنشيط المقول له فان
قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه قلت لان الماء اهون موجود واعز مفقود كما في الاستدلال
بالنعمة ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين ايات بايد گفت كه الله رب العالمين در تفسير زاهدي رحمه الله
آمده كه زنديق شنيد كه معلمي شاگرد خود را تلقين مي كرد فمن يأتيكم بماء معين فرجواب داد كه يأتي به

المعول والمعين قال في القاموس المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه تا بينا شد هاتفي وهو من يسمع صوته ولا يرى شخصه آواز دهد كه اينك كه آب چشمه چشم بوقت ترشد بكوتا بمعول ومعين باز آيند فصرخ بالقلم من البر اتعالى الله وبيناته وترك جرعة القرآن وآياته والفاعوقب بذهاب ما عيفيه لان البز آمن جنس العمل وفي المثنوي * فلسفي صنطق مستهان * مي كذشت از سوي مكتب آن زمان * چونكه بشنيد آيت او از نايستاد * كفت ما آريم آبي بر بلند * تا بزخم بيل وتيزي تبر * آب را آريم از پستي زبر * شب بخفت ديد اورا شير مرد * زد طبانچه هر دو چشمش كور كرد * كفت هان زين چشمه چشم اي شقي * تا بر فوري بر آري صادقي * روز بر جست ديد وچشمش كور ديد * نور فائض از دو چشمش ناپديد * وفي الحديث سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك قال في التيسير هي ثلاثون آية وثلثمائة وثلاث وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة واحد وعشرون حرفا وفي حديث آخر وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ سورة الملك والم تنزيل السجدة وقال علي رضي الله عنه من قرأها يجيء يوم القيامة على اجنحة الملائكة وله وجه في الحسن كوجه يوسف عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فاتى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا اعلم انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام هي المانعة اي من عذاب الله تعالى هي المنجية تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام المنجية وكانت تسمى في التوراة المانعة وفي الانجيل الواقية قال ابن مسعود رضي الله عنه يؤتى الرجل في قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ على رأسي سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وهي سورة الملك اي حفظها واودعها في جوفه وبطنه من قرأها في ليلة او يوم فقد اكثر واطاب يقول الفقير سورة الملك عند اهل الحقائق هي سورة الامام الذي يلي يسار القطب وينظر الى عالم الشهادة واليه الاشارة بقوله ملك الناس فسر هذه السورة في اولها كما ان سر يس في آخرها وهو قوله تعالى فسبحان الذي الخ ولذا تقرأ عند المحتضر لان وقت الموت قبض الملكوت الذي هو الروح وهو بيده تعالى بقي الكلام في قراءة الموتى في قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضي الله عنهما على القراءة وكذا اخرج السيوطي رحمه الله عن عكرمة رضي الله عنه انه قال يعطى للمؤمن مصحفا يقرأ في القبر واخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله انه رأى بعينه الثابت البناني رحمه الله يصلي في قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يستمعون القرآن كثير من قبره واخرج عن الحسن البصري قدس سره انه قال بلغني ان المؤمن اذا مات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله وذكر اليافعي رحمه الله ان مالك بن دينار مات له قبل موته بنت لها سنتان فرأها في المنام وهي تقول له يا ابت الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يا بنية وانتم تعرفون القرآن فقالت يا ابت نحن اعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الامام الشعراني في كتاب الجواهر له عن بعض اهل الله انه قال من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب اعمالهم في الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى آخر البرزخ كما وقع لثابت البناني رحمه الله فانهم وجدوا في قبره شخصا على صورته يصلي فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور اهل البرزخ لاهل الدنيا في النوم واليقظة فاذا رؤي مثال احدهم فهو اما مثال خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فارواح الاولياء في البرزخ مالها خروج منه ابدا واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والاخرة انتهى وقال السيوطي رحمه الله نقلا عن بعض المحققين ان رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الاعلى ولا تعلق بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الارض كالروح المحمدي يرد على من يصلي

عليه عند ورود اجتماع القرطع [illegible] لا يمسك من قبره [illegible]

الله تعالى والرسول عليه السلام [illegible] الصحابة [illegible]

من الاولياء [illegible] صدر الدين القنوى [illegible] الكمل من الانبياء والاولياء

الماضين [illegible] تمت سورة الملك بعونه تعالى في غرة

شعبان المبارك من شهور سنة [illegible] الف   سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

(ن) اى هذه سورة نون او بحق نون وهو على تقدير [illegible] القسم [illegible] على سبيل التأكيد [illegible] المتعلق مع [illegible] من بيان [illegible] شأن المقسم به [illegible] لا يليق القسم بشأنه [illegible] الاسم الى ان يكون [illegible] وهو النون حرف واحد في الكتابة وثلاثة احرف في التلفظ وقد قال عليه السلام من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف واراد عليه السلام بالحرف ما يتهجى به فيحصل [illegible] بثلاثين حسنة لانه مشتمل في التلفظ على نونين بينهما واو وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر اقسم [illegible] بنصرته للمؤمنين اعتبارا بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال سهل قدس سره النون اسم من اسماء الله تعالى وذلك انه اذا اجتمعت اوائل هذه السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه انه اسم من اسماء النبي عليه السلام كما في التكملة ولعل هذا القائل اشار الى قوله عليه السلام اول ما خلق الله نورى فيكون النون اسمه عليه السلام فان قلت فيلزم التكرار لان القلم ايضا من اسمائه كما قال اول ما خلق الله القلم قلت التغاير في العنوان بمنزلة التغاير في الذات فسمى عليه السلام باعتبار نورانيته نورا وباعتبار انه صاحب القلم قلما كما سمى خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم هو لوح من نور واسم نهر في الجنة (وفي المفردات) النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة في الآية اقسم الله بالحوت الذى لطخ سهم نمرود بدمه لان نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضبا بدم سمكة في بحر معلق في الهواء فاكرم الله ذلك الحوت بان اقسم به واحل جنسه من غير ذكاة فانه لا يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا انفردت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمه الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره كما في الاحياء يقال لو اريد به معنى الحوت كانت المناسبة بين المتعاطفين كما في ابن كم الخليفة والف باذنجانة يقول الفقير المناسبة بينهما خفية لا يدركها الا اهل الحقائق وهى ان كبد الحوت غذاء اهل الجنة قبل كل شيء فيجدون بعد اكله حياة ابدية في ابدانهم كما ان القلم يكتب به من العلوم ما فيه حياة باقية لارواحهم ولذا سمى جبريل روحا لانه كان يجيء بالوحى الذى هو سبب لحياة القلوب والارواح فيكون النون والقلم كلاهما والعلم ولا شك في ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذى ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم هو اسم الحوت الذى احتبس يونس عليه السلام في بطنه ولذا سماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو في بحر تحت الارض السفلى اسمه ليوثا او بهموت بالباء المثناة التحتانية وفي عين المعاني لوثيا او برهوت كما قال على رضى الله عنه

مالى اراكم كلكم سكوتا   والله ربى خلق البرهوتا

روى ان الله تعالى لما خلق الارض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة اى تضطرب فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الارض فوضعها على كاهله وهو كما حيث بين الكتفين ثم اخرج يديه احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ثم قبض على الارضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمى الملك قرار فاهبط الله ثورا من الجنة له [illegible] الف قرن واربعون الف قائمة فجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا الف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض مشتبكة الى تحت العرش ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس في اليوم نفسين فاذا تنفس مد البحر واذا رد النفس جزر البحر ولم يكن لقوائمه

قرار فخلق الله كمكاما من الرمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقر عليه قوآئم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتا يقال له برهوت فوضع الكمكام على وبر الحوت والوبر الجناح الذى يكون فى وسط ظهره وذلك مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والارض مرارا وانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقا اعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشئ من ذلك فسلط الله عليه بقة فى انفه فشغلته وفى رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وانها لتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت قبل وانبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه واسنان وانبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب ان الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الارض فى البحار فلذلك لا يؤثر فى البحار زيادة فاذا امتلأت اجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم ان الارض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور على كمكام من الرمل متلبدا والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق الى الثرى ولا يعلم ما ورآء ذلك احد الا الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الاخبار مما تزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيرا فى عجائب خلقه فان صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وان تكن من اختراع اهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا فى خريدة العجائب وقال فى كشف الاسرار بعض مفسران كفتند ماهيست بر آب زير هفت طبقهٔ زمين ماهى از كرانئ بار زمين خم در خم كرديد بر مثال نون شد شكم با آب فرو برده وسر از مشرق بر آورده وذنب از مغرب وخواست كه از كران بارى بنالد جبريل بانك بروى زد چنان بترسيد كه كران بارئ زمين فراموش كرد وتا بقيامت نيارد كه بجنبد ماهى چون بار برداشت وتناليد رب العالمين اورا دو تشريف داد يكى آنكه بدو قسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كارد از حلق او برداشت همه جانورانرا بكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانند كه هر كه بار كشد رنج او ضايع نكنند اى جوانمرد اكر ماهى بار زمين كشيد بندهٔ مؤمن بار امانت مولى كشيد كه وحملها الانسان ماهى كه بار زمين برداشت از كارد عقوبت ايمن كشت چه عجب كه اكر مؤمن بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن كردد (والقلم) هو ما يكتب به والواو للقسم على التقدير الاول وللعطف على الثانى والمراد قلم اللوح كما جاء فى الخبر ان اول ما خلق الله القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والاعمال والارزاق وهو القدر الذى يجب ان يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وبعد ما خلق القلم خلق النون اى السمكة فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفى رواية الواحدى فى الوسيط اول چيزى كه خداى تعالى بيافريد قلم بود پس نون را بيافريد وآن دواتست وقلم از ان دوات نوشت آنچه بود وهست وباشد وبرين تقدير خداى تعالى قسم فرمود بدوات وبقلم اعلى كه از نورست كما فى تفسير الكاشفى وفى القاموس النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين او جنس القلم اقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوآئدهما فان التفاهم بالنطق والبيان انما يكون بين الحاضرين واما بالنسبة الى من غاب وبعد من اهل عصر واحد ومن اهل الزمان الآتى فانما يكون بالكتابة كما قال بعضهم البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولو لم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم برادته فتوضع حيث لا تطأها الاقدام والا اورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام امور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ما قام دين ولا صلح عيش قال بعضهم

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

كذا قضى الله للاقلام مذ بريت * ان السيوف لها مذ رهفت خدم

وقال بعضهم اذا اقسم الابطال وما بسيفهم * وعدوه مما يجلب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

(ومايسطرون) ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا اى كتبه سطرا سطرا وضمير الجمع لاصحاب القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية ودبكر سوكند ياد فرمود بآنچه اصحاب قلم از آسمانيان وزمينيان مى نويسند از كتاب وكلام ودر تبيان از ابن هيضم رحمه الله نقل فرمود كه نون دهنست وقلم زبان ومايسطرون آنچه حفظه بر بنده مى نويسند حق تعالى بديتها سوكند فرموده قال بعض العارفين النون نون الذات والقلم قلم الصفات ومايسطرون هى الافعال والشؤون الالهية يكتبونها على لوح القدرة والارادة حرفا حرفا يقول الفقير فيه اشارة الى ان نون الجمع الذاتى اى دواته وهو اصل كتاب الوجود الذى هو ام الكتاب سمى بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وان شئت قلت الى نون النقطة التى هى مرتبة الاحدية وقد كان الامام على رضى الله عنه يقول فى خطبته على رؤس الاشهاد انا نقطة باء بسم الله انا جنب الله الذى فرطتم فيه انا القلم وانا اللوح المحفوظ وانا العرش وانا الكرسى وانا السموات السبع والارضون فاذا صحا وارتفع عنه تجلى الوحدة فى اثناء الخطبة يشرع معتذرا ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الاحكام الالهية وفى التأويلات النجمية يشير بكلمة ن الى العلم الاجمالى المندمج فى الاحدية الذاتية الجمعية وبالقلم الى العلم التفصيلى فى الوحدة الاسمائية وانما نسبنا الاجمالى الروحى الى ن والتفصيلى القلبى الى القلم لان هذه الدواة مشتملة بما فى بطنها على جميع الحروف المجردة فالكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المفصلة فى النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو فى ضمير الدواة بالاجمال فاذا فهمت المقصود فاعلم ان الله تعالى اقسم بعلمه الاجمالى الكائن فى الاحدية وبعلمه التفصيلى الثابت فى الواحدية وبالتحقيق اقسم باحدية ذاته المطلقة وبواحدية اسمائه الجمعية اذ العلم من حيث هو عين ذاته واقسم ايضا بكل ما سطر قلمه الكريم من دوائه القديم من الحروف الالهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار فى بيان حروف كتاب الوجود الظلى وكلماته وآياته وسوره ان الشؤون الغيبية حروفه العاليات والاعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الارواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات واما كتاب الوجود الحقيقى فحروفه المجردة الاسماء الذاتية الاحدية وكلماته الاسماء الصفاتية الواحدية وآياته الاسماء الافعالية الواحدية وسوره الاسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الاجمال وتلك الحروف التى هى مظاهر تفصيل القلم مجملة فى مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فاذا انتقل المداد منها الى القلم تفصلت الحروف به فى اللوح وتفصل العلم بها الى غاية واما علم الاجمال المعبر عنه بالنون فان النون فى الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها فى الوسط بكونه مراد التميم الدائرة الذاتية التى هى ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فان النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الامر والخط الفاصل بينهما وهو خط الف قام بين تدوير النونين برزخ جامع وهو مستوى العصف الالهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه ما فرطنا فى الكتاب من شئ وهو كتاب ينطوى على العلوم الجمة المنطوى عليها ايضا مداد النون وتشتمل على مائة واربعة عشر سورة كما اشتمل النون على عدد يطابقها فان النونين والواو والالف الذى انتهى اليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفا واحدا تمم لاربعة عشر فاعلم ذلك فانه دقيق قل ان تجده فى كلام احد انتهى وقال القاشانى ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة باول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم ومايسطرون من صور الاشياء وماهياتها واحوالها المقدرة على ما تقع عليه وفاعل مايسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة

الاسماء نسب اليها مجازا لقسم بها وبما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدأ امره ومخزن غيره لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى اول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفى والجنون حائل بين النفس والعقل و جن فلان اى اصابه الجن او اصاب جنانه او حيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يا محمد وانت برىء منه ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام فى غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأى قال ابو حيان قوله بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام و ذهب الى القسم ايضا حضرة الشيخ نجم الدين فى تأويلاته روى انه عليه السلام غاب عن خديجة رضى الله عنها الى حرآء فلم تجده فاذا هو قد طلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له ما لك فذكر نزول جبرآئيل عليه السلام وانه قال له اقرأ بسم ربك فهو اول ما نزل من القرءآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر عليه السلام ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قريش ودخل فى النصرانية فسألته فقال ارسلينى الى محمد فارسلته فاتاه فقال هل امرك جبرآئيل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام ووقعت تلك الواقعة فى السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس آيات من اول هذه السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما نزل قوله سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية وفى التأويلات النجمية ما انت بنعمة ربك بمستور عما كان من الازل وما سيكون الى الابد لان الجن هو الستر وما سمى الجن جنا الا لاستتاره من الانس بل انت عالم بما كان خبير بما سيكون ويدل على احاطة علمه قوله عليه السلام فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين يدى فعلمت ما كان وما سيكون قال الامام القشيرى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى نصرة الحق لعبده اتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بما ذا سلاه وباى شئ خفف عليه تحمل اثقال الاذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعنى اذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فان ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم انه عليه السلام لما قبل هذه النصيحة وامتثل بامر ربه فولى نصرته والرد عنه فلما قيل انه مجنون اقسم على نفى ذلك بقوله ن والقلم الخ تحقيقا لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله اساطير الاولين وكان رد الله عنه وذبه اتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرءآن باقيا على الالسنة الى يوم القيامة (وان لك) بمقابلة مقاساتك الوان الشدآئد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة (لاجرا) لثوابا عظيما (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد وبالفارسية مزدى برد وامكه هركز انقطاع بدان راه نيابد ويقال اجر النبى مثل اجر الامة قاطبة غير منقوص ويجوز ان يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتدآء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال كما فى الكشاف (وقال الكاشفى) غير ممنون منت نانهاده يعنى حق تعالى بى واسطه كسى كه ازومنت بايد داشت بتو عطا كرد وفيه اشارة الى ان انوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى فى الشهود فى جميع المواطن ولا ممنونة لان الفتح والفيض انما يجيء ممن عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم اجره قبول شفاعته وهى غير منقطعة عن اهل الكبائر من امته لا يخيب الله رجاءه عليه السلام فى غفرانهم جميعا بلا عتاب ولا عذاب بقول الفقير الظاهر ان اجره عليه السلام هو الله تعالى لانه عوض له عما سواه ولذا جاء اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والله تعالى مان لا يمنون والى هذا المقام يشير قول الصديق رضى الله عنه الله ورسوله اى ابقيت الله ورسوله حين ما قال له عليه السلام ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فالله تعالى

عوض عن نفس الفانى عن نفسه وعن ولده وماله وهو الاجر العظيم لانه العظيم (وانك لعلى خلق عظيم) لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم لكونك متخلقا باخلاق الله واخلاق كلامه القديم ومتأيدا بالتأييد القدسى فلا تتأثر بافترآتهم ولا تتأذى باذاهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال واصبر وما صبرك الا بالله ولا احد اصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على انه عليه السلام مشتمل على الاخلاق الحميدة ومستولى على الافعال المرضية حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعية له ولهذا قال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اى لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقى لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع اليه الطبع وللانسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذى هو فى الرأس وهى من عالم الملك وهى الشكل وصورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التى هى فى القلب وهى من عالم الملكوت وهى الخلق فكما ان لهيئته الظاهرة حسنا او قبحا صوريا باعتبار اشكالها واوضاعها والوانها فكذلك لسيرته الباطنة حسن او قبح معنوى باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق الى المحمود والمذموم تارة والى الحسن والقبيح اخرى وكثيرا ما يطلق ويراد به المحمود فقط لانه اللائق بان يسمى خلقا ومن هذا قوله تعالى خلق عظيم وعليه قول الامام الرازى الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان بالافعال الجميلة شئ وسهولة الاتيان بها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمى خلقا لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان احتاج فى كونه ملكة راسخة الى اعتمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما فى الحديث (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل) وفى حديث آخر (لا تجالسوا اهل الاهوآء والبدع فان لهم عرة كعرة الجرب) ومن ذلك كانت مصاحبة الاخيار مستحسنة مرغبا فيها ومصاحبة الاشرار مستقبحة مرهبا عنها وكذلك يتبدل بالسعى فى اسبابه ولذلك صنف اطباء الارواح ابوابا فى علم الاخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحانى كما الف اطباء الاشباح فصولا فى علم الابدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وانما افرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على ان ذلك الخلق الذى هو عليه السلام عليه جامع لمكارم الاخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة ابراهيم واخلاص موسى وصدق وعد اسمعيل وصبر يعقوب وايوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من اخلاق سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى فبهداهم اقتده اذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام ولا الشرآئع لان شريعته ناسخة لشرآئعهم ومخالفة لها فى الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر اخلاقه فلما امر بذلك فكانه امر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين

لكل نبى فى الانام فضيلة * وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية الا بالعلم والعرفان والايقان والاحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية الا ما فيه رضى الله من فرض او واجب او مستحب ولم يصدر منه حرام او مفسد او مكروه فكان هو الملك بل اعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن اى ارادت به انه عليه السلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف ومتخليا عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفى رواية قالت للسائل الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون يعنى اقرأ الآى العشر فى سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبيه للسامعين على عظام اخلاقه من الايمان الذى هو اصل الاخلاق القلبية والصلاة التى هى عماد الاخلاق البدنية والزكاة التى هى رأس الاخلاق المالية الى آخرها فى الآيات وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى رحمه الله

بودهم بحر مكرمت هم كان * كوهرش كان خلقه القرآن * وصف خلق كسى كه قرآنست * خلق رانعت اوجه امكانست * وفى التأويلات النجمية كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق

انا القرآن والسبع المثانى * وروح الروح لا روح الاوانى

محمد بن حكيم الترمذى قدس سره فرموده كه هيچ خلقى بزرگتر از خلق حضرت محمد عليه السلام نبوده چه زمستيت خود دست بازداشت وبخود را كلى باحق گذاشت وامام قشيرى قدس سره گفته كه نه از بلا منحرف شد ونه از عطا منصرف گشت وگفته كه آن حضرت راهيچ مقصد ومقصودى جز خداى تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره كان على خلق عظيم بجوده بالكونين

له هم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

وقال الحسين النورى قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بانوار اخلاقه يقول الفقير كان خلقه عظيما لانه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيما فافهم جدا وفى تلقيح الاذهان لحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اوتى عليه السلام جوامع الكلم لانه مبعوث لتتميم مكارم الاخلاق كما قال عليه السلام ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهو عين كونه على الصراط المستقيم قال صلى الله عليه وسلم ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يارسول الله قال كلها فيك يا ابابكر واحبها الى الله السخاء انتهى ولذلك كان احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء وانما قال مع التوحيد لانه قد يوجد مكارم الاخلاق ولا ايمان كما انه قد يوجد الايمان ولا اخلاق اذ لو كان الايمان يعطى بذاته مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها فى اى دار كان كما ورد فى حق ابى طالب قال بعض الكبار من اراد ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من امته فلينظر الى القرء ان فانه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر الى رسول الله فكان القرء آن انتشاء صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرء آن كلام الله وهو صفته فكان محمدا عليه السلام خلعت عليه صفة الحق من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال بعضهم من اراد ان يرى رسول الله فليعمل بسنته لا سيما فى مكان اميتت السنة فيه فان حياة رسول الله بعد موته هى حياة سنته ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا لانه المجموع الاتم الاكمل صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف اخلاق ابدا لانه صلى الله عليه وسلم ابان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن اجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم اخلاق وزال عنها اسم الذم قال صلى الله عليه وسلم لمن ركع دون الصف زادك الله حرصا ولا تعد وقال لا حسد الا فى اثنتين وقال اكثروا من ذكر الله وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون وقال تعالى فلا تقل لهما اف وقال اف لكم وغير ذلك من الآيات والاخبار فما امر الله باجتناب بعض الاخلاق الا لمن يعتقد انها سفساف اخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لا يرى فى العالم الا اخلاق الله تعالى التى به وجدت وفى كشف الاسرار فى تفسير الآية عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج واراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت اليها قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ما التفت يمينا وشمالا فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم اى جوانمرد قدر آن مهتر كه داند وكدام خاطر ببدايت عزا ورسد صد هزار و بيست وچهار هزار نقطة نبوت كه رفتند در برابر درجات اوكواكب بودند وبا آنكه اوغائب بود همه نور نبوت از وكرفتند چنانكه آفتاب اگر چه غائب باشد كواكب نور از وى گيرند ليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب در نور او پيدا شوند همچنين همه انبيا نور از وكرفتند ليكن چون محمد عليه السلام بعالم صورت در آمد ايشان هم كم شدند

كانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفى القصيدة البردية فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس فى الظلم

ومن اخلاقه عليه السلام ما اشار اليه قوله صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك فانه عليه السلام ما امر امته بشئ قبل الائتمار به وفى الحديث (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار) وروى عن على بن موسى الرضى عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد ابن على عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عن ابيه على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق فى الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق فى النار لا محالة (فستبصر ويبصرون) يقال ابصرته وبصرت به علمته وادركته فان البصر يقال للجارحة الناظرة ولقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفى تاج المصادر الابصار ديدن بچشم وبدل فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشانى فستبصر ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت وقال مقاتل هذا وعيد بعذاب بدر (ولذا قال الكاشفى) بدان وقت كه عذاب نازل شود برايشان معلوم كردد كه ديوانه تويى يا ايشان وهو الاوضح ففيه وعد لرسول الله عليه السلام بغلبة الاسلام واهله وبالانتقام من الاعداء (بايكم المفتون) اى ايكم الذى ابتلى بفتنة الجنون فايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة فى المبتدأ كما فى بحسبك زيد او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما فى قوله (حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا) والباء للالصاق نحو به داء او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى فى والمفتون مبتدأ مؤخر والامة داخلة فى خطاب فستبصر بالتبعية لا يختص به عليه السلام كالسوابق وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد ابن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر اى أصالح عليه السلام ام قومه (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره (وهو اعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير وفى الآية اشعار بان المجنون فى الحقيقة هو العاصى لا المطيع واشارة الى الضال عن سبيل الوصول الى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل الى شهواتها والمهتدى الى طريق التوحيد والوحدة بنور العناية الازلية والهداية الابدية قال بعض الكبار وهو اعلم بالمهتدين اى القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل وهادى التوفيق هو الحق تعالى فللهادى الذى هو الله الابانة والتوفيق وليس للهادى الذى هو المخلوق الا الابانة خاصة ومن لا علم له بالحقائق يظن ان العبد اذا صدق فى الارشاد والوعظ اثر ذلك القبول فى نفوس السامعين واذا لم يصدق فى ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فانه لا اقرب الى الله ولا اصدق فى التبليغ عنه ولا احب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك قاعم القبول فمن سمعهم بل قال الرسول الصادق فى التبليغ انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فلم يعم القبول مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من اكابر اولى العزم من الرسل علمنا ان الهمة ما لها اثر جملة واحدة فى المدعو وان الذى قبل من السامعين ليس هو من اثر همة الداعى الهادى الذى هو المبلغ وانما هو قوة الاستعداد فى محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى فى خلقه من مزاج يقتضى له قبولا مثل هذا وامثاله وهو المزاج الخاص الذى لا يعلمه الا الله الذى خلقهم عليه وهو قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين قال الشيخ سعدى قدس سره * كفت عالم بكوش جان بشنو * ورنماند بكفتنش كردار * باطلست انكه مدعى كويد * خفته را خفته كى كند بيدار * مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ور نوشته است پند بر ديوار (فلا تطع المكذبين) اى اذا تبين عندك ما تقدم قدم على ما انت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك اليه من الكف عنهم ليكفوا عنك وتصلب فى ذلك امره عليه السلام بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل دلت الآية على ان الاطاعة للعاصى عصيان والاقتداء بالطاغى طغيان (ودوا لو تدهن) لو للتمنى والادهان فى الاصل مثل التدهين واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال فى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور وترك الدعوة (فيدهنون) اى فهم يداهنونك حينئذ بترك الطعن (كما قال الكاشفى) فرمان مبر مشركان مكه را كه ترا بدين آباء دعوت مى نمايند ودوست مى دارند كه تو نرمى كنى با ايشان وسر زنشى نكنى بر شوك تا ايشان نيز چرب ونرمى كنند

و بردين توطعنه نزتند فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا فى حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جوابا للتمنى والفعل للاستقبال والفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن و يجوز ان يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك فالتسبب عن التمنى وتقدير المبتدأ لانه لولا لم كان الفعل منصوبا بالاقتضاء التسبب عما فى حيز التمنى ذلك قال بعضهم لا توافقهم فى الظاهر كما لا توافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر موافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء واتما هم فلانهما كهم فى الرذائل وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب اهوائهم وتفرق امانيهم يصانعون و يضمون تلك الرذيلة الى رذيلتهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهى من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهى من الحسنات و يقال الادهان الملاينة لمن لا ينبغى له ذلك وهو لا ينافى الامر بالمداراة كما قال عليه السلام امرت بمداراة الناس كما امرت بالتبليغ قال الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر قال فى الكشاف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم انتهى ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فانه من الكبائر واصل الحلف اليمين الذى يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف اى العهد ثم عبر به عن كل يمين (مهين) حقير الرأى والتدبير لانه لم يعرف عظمة الله ولذا اقدم على كثرة الحلف من المهانة وهى القلة والحقارة و يجوز ان يراد به الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان يعنى عيب كننده در عقب مردم باطعنه زننده در روى بايشان قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه فى اقفية الناس وفيه اشارة الى من يعيب و يطعن فى اهل الحق فى رياضاتهم و مجاهداتهم وانزوآتهم وعزلتهم عن الناس (وفى الحديث لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا) وفى حديث آخر (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) يعنى من ينظر الى عيب نفسه يكون ذلك مانعا له عن النظر الى عيب غيره وتعييبه به وذلك لا يقتضى ان لا ينهى العاصى عن معصيته اقتداء بامر الله تعالى بالنهى عن المنكر لا عجابا بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فانه العالم ببواطن الامور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة قيل لاعرابى أتهمز الفارة قال السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذى يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم و يكسر اعراضهم كانه يضربهم باذاه اياهم (مشاء بنميم) مضر به نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية واظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر اما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وفى التعريفات النمام هو الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه او الثالث وسواء كان الكشف بالعبارة او بالاشارة او بغيرهما وفى الحديث (لا يدخل الجنة نمام) اى ماش بالسعاية وهى بالفارسية نمز كردن وفى التأويلات النجمية مشاء بنميم يحفظون كلام اهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من اصحاب الحجب فيضحكون عليهم و ينسبون ذلك الكلام الى السفسقة والسفه (مناع) مبالغة مانع (للخير) اى بخيل والخير المال اومناع الناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق ولارباب السلوك من ارشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم دين محمد لا انفعه بشئ ابدا وكان الوليد موسرا له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة فى الطائف (معتد) متجاوز فى الظلم اى يتجاوز الحق والحد بان يظلم على الناس و يمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدال وفى التأويلات النجمية متجاوز فى الظلم على نفسه بانغماسه فى بحر الشهوات وانهماكه فى ظلمة

المنهيات (اثيم) كثير الاثم وهو اسم للافعال المبطئة عن الثواب (وقال الكاشفي) بسيار كناهكار زيانكار وفي التأويلات النجمية كثير الاثام بالركون الى الاخلاق الرديئة والرغبة الى الصفات المردودة (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب العتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشيدن بعنف (وقال الكاشفي) عتل يعني سخت روى وزشت خوى انتهى ومن كان جافيا في المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجتراءا على كل معصية قال في القاموس العتل بضمتين مشددة اللام الاكول المنيع الجافي الغليظ (بعد ذلك) اى بعد ما عد من مقابحه (زنيم) دعي ملصق بالقوم وملحق بهم في النسب وليس منهم فالزنيم هو الذي تبناه احد اى اتخذه ابنا وليس بابن له من نسبه في الحقيقة قال تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم قال الراغب الزنيم والمزنم الزائد في القوم وليس منهم اى المنتسب الى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من اذنيها ومن الحلق وفي الكشاف الزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد المعزة تقطع فتضلى معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله وفي القاموس الزنمة محركة شئ يقطع من اذن البعير فيترك معلقا يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضي الله عنهما الحقيقة حيث قال انه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف انه كان له زنمة اى في حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبي لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه ابدا وفي قوله بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبايحه وكان الوليد دعيا في قريش وليس من نسبهم وسخنهم اى اصلهم ادعاه ابوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعني وليد هجده ساله بود كه مغيره دعوى كرد كه من پدر او ام واورا بخود كرفت فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخي رتبة وفي الحديث (لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم) فالجواظ الجموع المنوع والجعظري الفظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف اكول شروب غشوم ظلوم وفي الحديث (الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر) وقيل بغت ام الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فعني زنيم حينئذ ولد الزنى وبالفارسية حرام زاده كه پدر او معلوم نباشد قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغي الام ذو حسب لئيم

در تفسير امام زاهد مذكورست كه چون حضرت رسول صلى الله عليه وسلم اين آيت در انجمن قريش بر وليد خواند بهر عيبي كه رسيد در خود باز يافت مكر حرام زادكي باخود كفت من سيد قريش و پدر من مردي معروفست ومن ميدانم كه محمد دروغ نكويد چكونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزد مادر آمد القصه بعد از تهديد بسيار از واقرار كشيد كه پدر تو در قصهٔ زنان برآتي نداشت واورا برادر زاد كان بودند چشم بر ميراث وي نهاده مرارشك آمد غلام فلانرا بمزد كرفتم وتو فرزند اويي ودليل روشن بر صدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزة او با آن حضرت صلى الله عليه وسلم ودرين باب كفته اند * جرم وكناه مدعي از فعل مادرست * كورا خطاى مادر او خاكسار كرد * والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده كما في الكشاف وفي الحديث (لا تزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى اوالسكران يعمهم الله بعذابه وفي حديث آخر (ولد الزنى شر الثلاثة) قال الرهاوي في شرح المنار هذا في مولود خاص لانا قد نشاهد ولد الزنى اصلح من ولد الرشدة في امر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وامامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى يقول الفقير اذا كان الرضاع يغير الطباع فان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنى ولا عبرة بالصلاح الظاهر والكرامات الصورية وفي الحديث (ولدت من نكاح لا من سفاح) وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وجميع الاولياء الكرام قدس الله اسرارهم فالزنى اقبح من الكفر من وجه فان الله يخرج الحي من الميت اى المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزاني فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية وان كان صالحا للولاية الصورية وقيل نزلت الآية في الاخنس ابن شريف واسمه ابي وكان ثقفيا مصطلقيا في قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة

التعريف

التعريف به ذكره السهيلي قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن لاسيما الولاة الامور قال في فتح الرحمن ثم هذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفي برهان القرآن قوله حلاف الى قوله زنيم اوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على ان ضعف القول بواو الثمانية صحيح (ان كان ذا مال و بنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع على حذف الجار اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان متعلا ذا مال كثير مستظهرا بالبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) استئناف جاري مجرى التعليل المنهى اى اذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هي احاديث لا نظام لها اكتتبوها كذبا فيما زعموه لقوله اكتتبها فهي تملى عليه وبالفارسية افسانهاء بيشينيانست وقال السدى اساجيع الاولين اى جعل مجازاة النعم التي خولناها من المال والبنين الكفر بايا تنا قال المبرد الاساطير جمع اسطورة نحو احدوثة واحاديث وقد سبق غير هذا وفي التأويلات النجمية لا تطع الحلاف المهين الحقير في نفسه بسبب ثروة اعماله المنسوبة الى الرياء والسمعة وبنين الاحوال المطعونة بالعجب والاعجاب اذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال اساطير الاولين ماسطره الصوفية المتقدمون وهي من ترهاتهم وخرافاتهم (سنسمه على الخرطوم) اصله ستوسمه من الوسم وهو احداث السمة بالكسر اى العلامة وبالفارسية داغ كردن والميسم بالكسر المكواة اى آلة الكي والخرطوم كزنبور الانف او مقدمه او ماضممت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ كما في القاموس والمعنى نجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله اذ الانف اكرم موضع من الوجه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف بالانف وحمي انفه وفلان يحمي انفه وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه ولقد وسم العباس رضي الله عنه لباعره في وجوهها فقال له الله عليه السلام اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها اى في ادبارها وفي التعبير عن الانف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير وكلما كان الحيوان اخبث واقبح كانت الاستهانة والاستقباح اشد واكثر قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب الكشف هو ضعيف فان الوليد مات قبله فلم يوسم بوسم بقي اثره مدة حياته وقال الراغب تلزمه عارا لا ينمحي عنه كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه اكرم موضع والانف اهين عضو منه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان الوسم على الوجه شين فكيف اذا كان على اظهر موضع منه وكما قال العتبي وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشي بالنميمة والبخل والظلم والاثم والجفوة والدعوة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة قال والذي يدل على هذا ما روي عن الشعبي في قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بان تسود وجهه غاية التسويد اذ كان بالغا في عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل وفي التأويلات النجمية نكوى خرطوم استعداده بكي نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية (انا بلوناهم) يقال بلى الثوب بلى اى خلق وبلوته اختبرته كأني اخلقته من كثرة اختباري له والبلايا اختبارات والمعنى انا ابتلينا اهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف والجلود والعظام والدم تمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى (كما بلونا اصحاب الجنة) اى ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف في موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ واصحاب الجنة قوم من اهل صنعاء وفي كشف الاسرار سه برادر بودند كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلي هي جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفي فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمن وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان ابوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت (قال الكاشفي) وده ازيك

حاصل نيز برايشان قسمت كردى فكان يجتمع لهم شئ كثير ويتزودون به اياما كثيرة فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولوا عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ اقسموا) ظرف لبلونا والاقسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان از فقرا (ليصرمنها) الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية ببرخرما بريدن من صرمه اذا قطعه اى ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره (مصبحين) اى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق قوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة او حال بعد حال لعل ايراده بعد ايرادا قسامهم على فعل مضمر لقصودهم مستنكر عندارباب المروءة واصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان احدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على امر مستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر ان المعنى ولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله ابوهم وقال ابوحيان ولا يثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر الاستثناء ان شاء الله گفتن واستثنا كردن والباب يدل على تكرير الشئ مرتين او جعله شيئين متواليين اومتباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك اذا قلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة اخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم اويقتضى رفع حكم اللفظ كما هو فى الاول قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة وفى الثانى قوله لافعلن كذا ان شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء الله (فطاف عليها) اى على الجنة اى احاط بها (طائف) بلاء طائف كقوله واحيط بثمره وذلك ليلا اذ لا يكون الطائف الا بالليل ويضادل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها (من ربك) مبتدئ من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى فطاف الخ تعريضا بما نالهم من النائبة انتهى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير اوغافلون عن طوافه بالنوم الذى هو اخو الموت وبالفارسية وايشان خفتگان بودند والنوم استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه اوان يتوفى الله النفس من غير موت اى ان يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه اوالنوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة (فاصبحت) پس گشت جنت ايشان باان بلا (كالصريم) فعيل بمعنى مفعول اى كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ لان النار السماوية احرقتها وقيل كالليل لان الليل يقال له الصريم اى صارت سوداء كالليل لاحتراقها (فتنادوا) اى نادى بعضهم بعضا (مصبحين) حال كونهم داخلين فى الصباح (ان اغدوا) اى اغدوا على ان ان مفسرة اوبان اغدوا على انها مصدرية اى اخر جوا غدوة واول النهار وبالفارسية بامداد بيرون آييد (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وفى كشف الاسرار دران بستان هم زرع بودهم درخت انگور انتهى يقول الفقير فالحرث يجوز ان يراد به الحاصل مطلقا وان يراد به الزرع خصوصا لانه اعز شئ يعيش به الانسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء وقال بعضهم انه يتعدى بعلى كما فى القاموس غدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب الحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثا قال تعالى ان اغدوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول اى فاغدوا لجوابه محذوف (فانطلقوا) فمضوا اليها وبالفارسية پس برفتند بجانب باغ (وهم يتخافتون) التخافت بايكديكر پنهان راز گفتن اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع احد ولا يدخل عليهم (ان لا يدخلنها) اى الجنة (اليوم عليكم مسكين) من المساكين فضلا على ان يكثروا وبالفارسية امروز برشما يعنى درباغ شما درويشى تا بهره بگيرد واز حصة ما كم نكردد وان مفسرة

لما فى المضاف من معنى القول بمعنى اى لايدخلنها تفسيرا لما يتضافتون والمسكين هو الذى لاشئ له وهو ابلغ من الفقير والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لاارينك ههنا فان دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم اياه من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم (وغدوا) مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند (على حرد) الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريدا اى ممتنعا من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب (قادرين) حال مقدرة من فاعل غدوا فان القدرة مع الفعل عند اهل الحق والمعنى وخرجوا اول الصباح على امتناع من ان يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم اوعلى الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل الا النكد والحرمان وفى الكشاف وغدوا قادرين على نكد لاغير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقروذهاب مال لايقدرون فيها الاعلى النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتجاوزا الحرمان والمسكنة (فلما رأوها) پس آن هنكام كه ديدند باغ رابخلاف آنچه كذاشته بودند (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (انا لضالون) اى طريق جنتنا وماهى بها لما رأوا من هلاكها (بل نحن محرومون) قالوه بعد ما تأملوها ووقفوا على حقيقة الامر وانها هى مضر بين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على انفسنا بسوء نيتنا وهى ارادة حرمان المساكين وقصد منع الفقراء (قال اوسطهم) اى رأيا اوسنا وفى الكشاف اعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من سطة قومه اى من سطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا (وقال الكاشفى) گفت فاضلتر ايشان ازروى عقل وسن ياصائب تر براى قال الراغب الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذى بين السرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل ونحو ذلك جعلناكم امة وسطا وعلى ذلك قال اوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيها على انه قد خرج من حد الخير (الم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله بالتسبيح والتهليل وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا اليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فغيرهم وفى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وعلى هذا قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على انه يؤاخذ به واما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فمرفوع (قالوا) معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة (سبحان ربنا) تنزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بنا (انا كنا ظالمين) بقصد حرمان المساكين اتباعا لشح النفس كانهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة (فاقبل بعضهم على بعض) پس روى آوردند بعضى ازايشان بر بعضى ديكر (يتلاومون) اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعنى خوارداشتن اى يلوم بعضهم بعضا على ما فعلوا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره وبالفارسية اين آنرا مى كفت وآن چنين انديشيدى وآن عذرمى آورد كه تو هم بدين راضى بودى (قالوا) يعنى بكاه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند (يا ويلنا) اى واى برما ودردزدكى (انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله تعالى وبالفارسية ازحد برندكان دركنهكارى كه درويشانرا محروم ساختيم (عسى ربنا) شايد پروردكارما كه ازكرم اوميدواريم (ان يبدلنا) ان يعطينا بدلا منها بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها) بهترى ازان باغ (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة لان الله منتهى رجائهم وطلبهم اولتضمنها معنى الرجوع والا فالمشهور ان تتعدى الرغبة بكلمة فى اوعن دون الى روى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فابدلهم الله من ليلتهم

ماهو خير منها قالوا ان الله امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعربن ارض الشام اى موضع قليل النبات و يأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم يعنى دران باغ خوشهٔ انكور ديدم برابر مردى سياه برپاى ايستاده محققان كفته اند هركه ببلايى مبتلا كردد ومثال او عرضهٔ تلف شود واو تأمل نمايد وداند كه باستحقاق برو نازل شده پس بكاه اعتراف نموده بحضرت عزت بازكشت كند بهتر وخوشتر از آنچه ازو بازستده بدو دهد چنانچه بوستان حيوان بعوض باغ ضروانى و پيرورومى قدس سره ازين معنى خبر ميدهد آنجا ميفرمايد * اوكم خم شكست وسركه بريخت * من نكويم كه اين زيانم كرد * صد خم شهد صافى ازپى آن * عوضم داد وشادمانم كرد * وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى قدس سره يقول الفقير ان كان ذلك القول منهم على حد ما يصدر من المضطر فابدال الله اياهم جنة خيرا من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وان كان عن توبة واخلاص فذلك الابدال من آثار تحقيق التوبة ونتايج الاخلاص فان للاخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ ابى الربيع المالقى رحمه الله قال سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكرنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ فحضينا اليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد ان نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فاعطتنا الشاة فحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شئ فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم فقلت له لا تفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فاتفق ان استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراه فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد امرنا باكرامه فنخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا ان يبكى عليها صغارنا فقلت له اخرجها من البيت الى وراء الجدار فاذبحها فلما اراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخشيت ان تكون قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله قد ابدلنا خيرا منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة اكرامنا الضيف ثم قالت يا اولادى ان شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها وان تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعى عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن اطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الامر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبثت قلوبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين واذا طابا بهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وفى كشف الاسرار كذلك افعل بامتك اذا لم تعطف اغنياؤهم على فقرآئهم بان امنعهم القطر وارسل عليهم الجوائح وارفع البركة من زروعهم وتجاراتهم ففيه وعيد لمانعى الزكاة والصدقة باهلاك المال وانزال العذاب باى طريق كان * مكن بدكه بدبينى اى يارينك * نيايد زتخم بدى بارينك * كسى نيك بيند بهر دوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم واشد وبالفارسية بزركتر ست چه اين عذاب بزوال يابد وآن باقى باشد (لو كانوا يعلمون) انها كبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ويطرحهم ويرميهم عليه (ان للمتقين) اى من الكفر والمعاصى (عند ربهم) اى فى الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لانه لا ملك فيها حقيقة وصورة الا الله فكانها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء والا فمحال كون عندية الجنة بالنسبة

الى

الى الله تعالى مكانية وهى ظرف معمول للاستقرار الذى تعلق به للمتقين ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل والاظهر ان معنى عند ربهم فى جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والحيز لا عندية المكان كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر اذ للمقربين قرب معنوى من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فى المكان وتارة يستعمل فى الاعتقاد نحو عندى كذا وتارة فى الزلفى والمنزلة كقوله تعالى بل احياء عند ربهم وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الاضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه (افنجعل المسلمين كالمجرمين) كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يسا ووا نافردهم الله تعالى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى افنخيف فى الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين فى حصول النجاة والوصول الى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين اجرموا بالكفر والشرك والا فالاجرام فى الجملة لا ينافى الاسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق ففيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (مالكم كيف تحكمون) تعجيبا من حكمهم واستبعاد انه واذانا بانه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية فى موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للانكار اى لانكار ان يكون لهم وجه مقبول يعتد به فى دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى اى شئ ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن امر الجزاء مفوض اليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف فى اى حال أفى حال العلم ام فى حال الجهل فيكون ظرفا او اعالمين ام جاهلين فيكون حالا وفى التأويلات النجمية افنجعل المتقين لاحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للاخلاق الرديئة والاوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة مالكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح (ام لكم) اى بل ألكم وبالفارسية آياشما راست (كتاب) نازل من السماء (فيه) متعلق بقوله (تدرسون) اى تقرؤن قال فى المفردات درس الشئ معناه بقى اثره ودرست العلم تناولت اثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن ادامة القراءة بالدرس (ان لكم فيه لما تخيرون) تخير الشئ واختياره اخذ خيره قال الراغب الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الانسان خيرا وان لم يكن خيرا وفى تاج المصادر التخير بركزيدن والمعنى ما تخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فيكون مفعولا واقعا موضع المفرد فلا يكسر همزة ان ولكن لما جيء باللام كسرت فان لام الابتداء لا تدخل على ما هو فى حيز ان المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم ان والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل ارفع حالا منه فأتوا بكتاب ان كنتم صادقين ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر ان لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله فى القرآن بصورته والفرق بين الوجهين ان المدروس فى الاول ما انسبك من الجملة وفى الثانى الجملة بلفظها وقوله فيه لا يستغنى عنه بفيه اولا فقد يكتب المؤلف فى كتابه ترضيا للناس فى مطالعته ان فى هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدى المفتى لك ان تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر انه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام (ام لكم ايمان علينا) قوله علينا صفة ايمان وكذا بالغة اى عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) اى متناهية فى التوكيد والصحة لان كل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل أضمنا لك واقسمنا بايمان مغلظة ثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى تحكمكم يومئذ وتعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم وانبأ عنا لحكمهم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم

لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم كما سبق (سلهم) امر من سال يسال بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيهه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم يعنى بئرس اى محمد مشركا كزاكه (ايهم) كدام ايشان (بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) اى قائم يتصدى لتعهده كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القيام بالدعوى والكفالة الحجة عليها قال الراغب قوله زعيم اما من الزعامة اى الكفالة او من الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب (ام لهم) آيا ايشانراست) (شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم) پس بكويند بايد شريكان خود غالبا ء للتعدية ويجوز ان تكون للمصاحبة (ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد يعنى انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسيء كما قال ما لكم كيف تحكمون ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالايمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدوهم وان كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت ان ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه اشارة الى ان اللائق بالحاكم تحرى الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وان حكم بلا تحرى فلا يخلو عن خطأ وان اصاب مثل صلى فى ارض لم يعلم القبلة فيها فانه ان صلى بتحرى فصلاته صحيحة وان اخطأ القبلة وان صلى فيها بغير تحرى ففير صحيحة وان اصابها واذا كان الحكم بلا تحرى خطأ فكيف الحكم بشئ والادلة قائمة بخلافه (يوم يكشف عن ساق) يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة اى اذكر يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للاقطع الشصح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخل بان شبهت حال البخيل فى عدم تيسر الانفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الامر فى الموقف بالمخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب بسبب وقوع امر هائل بالغ الى نهاية الشدة مع انهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن لخلاص انفسهن فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته قال المولى الفناري فى تفسير الفاتحة فالساق التى كشفت لهم عبارة عن امر عظيم من اهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا عظم امرها وتقول لمن وقع فى امر عظيم شديد يحتاج فيه الى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق اى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة وقيل ساق الشئ اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فان ساق الشجر مثلا اصله والاغصان تنبت على ذلك الاصل وتقوم به فالمعنى حينئذ يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتكيره على الوجه الاول للتهويل لان يوم القيامة يوم يقع فيه امر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثانى للتعظيم (ويدعون) اى الكفار والمنافقون (الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتى غير هذا (فلا يستطيعون) لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الاسباب والآلات وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم اى تردعظاما بلا مفاصل لا تثنى عند الرفع والخفض فيبقون قياما على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفى الحديث (وتبقى اصلابهم طبقا واحدا) اى فقارة واحدة ودر خبرست كه پشت كافر ومنافق چون سرون كاويك مهره شود كان سفافيد الحديد فى ظهورهم عن ابى بردة عن ابى موسى رضى الله عنه قال حدثنى ابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه فى الدنيا فذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فى الدنيا ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره فيقال اتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا لا يشبهه شئ فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى

اقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود ولا يستطيعون كقوله تعالى يوم يكشف الخ يقول الله
يا عبادي ارفعوا رؤسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة
فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال والله الذي لا اله الا هو أحدثك ابوك بهذا الحديث
فحلفت له بثلاث ايمان فقال عمر ما سمعت من اهل التوحيد حديثا هو احب الي من هذا الحديث وفي تفسير
الفاتحة للفناري رحمه الله يتجلى الحق في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل امة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة
وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في ادنى صورة من الصور التي كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم و بينه علامة تعرفونه
بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون انت ربنا فيأمرهم بالسجود
فلا يبقى من كان يسجد لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما اراد ان يسجد
خر على قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف الخ وقال ايضا يكون على الاعراف من كساوت كفتا ميزانه
فهم ينظرون الى النار و ينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بما يدخلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود
وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى وكفته اند كه
دران روز نوري عظيم بنمايد وخلق بسجده درافتند فيكون كشف الساق عبارة عن التجلي الالهي
كما ذهب اليه البعض وفي الحديث (يوم يكشف عن ساق) قال عن نور عظيم يخرون له سجدا كما في كشف
الاسرار وفيه ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأخذ الله عز وجل للمظلوم
من الظالم حتى لا يبقى مظلمة عند احد حتى انه ليكلف شاتب اللبن بالماء ثم يبيعه ان يخلص اللبن من الماء فاذا فرغ
من ذلك نادى منادليسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى احد
عبد شيأ من دون الله الا مثلت له آلهته بين يديه و يجعل الله ملكا من الملائكة على صورة عزير و يجعل ملكا
من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم فيتبع هذا اليهود و يتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم الى النار
وهم الذين يقول الله لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون واذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون
قال الله لهم ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله مالنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره
فينصرف الله عنهم فيمكث ما شاء ان يمكث ثم يأتيهم فيقول ايها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم
وما كنتم تعبدون فيقولون والله مالنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته
ما يعرفون به انه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم و يخر كل منافق على قفاه و تجعل اصلابهم كصياصي
البقر ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم انتهى واعلم ان حديث الفصول يجمع عليه وهو من آثار الصفات
الالهية كرؤيته في المنام في الصورة الانسانية والا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن
مشى على المراتب لم يعثر ثم ان الآية دلت على جواز ورود الامر بتكليف ما لا يطاق والقدرية لا يقولون بذلك
ففيها حجة عليهم كما في الاستدلة المفحمة لكن ينبغي ان يعلم ان المراد بما لا يطاق هو المحال العادي كنظر الاعمى
الى المصحف ولا نزاع في تجويز التكليف به وكذا المحال العارضي كايمان ابي جهل فانه صار محالا بسبب عارض
وهو اخبار الله تعالى بانه لا يؤمن وقد اجاز الاشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة واما المحال العقلي وهو الممتنع
لذاته كاعدام القديم فلم يذهب الى جواز التكليف به احد (خاشعة ابصارهم) حال من مرفوع يدعون
على ان ابصارهم حر تنفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها والا فالاعضاء ايضا
خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع في الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع (وقال الكاشفي) يعني خداوندان
ابصار سر در پيش افكنده وشرمنده باشند قال ابو الليث وذلك ان المسلمين اذا رفعوا رؤسهم من السجود
صارت بيضاء كالثلج فلما نظر اليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا
واسودت وجوههم كما قال تعالى (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم فان الرهق غشيان الشئ الشئ (ذلة) شديدة
تخزيهم كانه تفسير لخشوع ابصارهم يقال ذل يذل ذلا بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعني خوار
(وقد كانوا) في الدنيا (يدعون) دعوة التكليف (الى السجود) اى اليه والاظهار في موضع الاضمار
لزيادة التقرير اولان المراد به الصلاة وما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث انه اعظم الطاعات

قال بعضهم يدعون بدعوة الله صريحا مثل قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا اضمنا مثل قوله تعالى اقيموا الصلاة فان الدعوة الى الصلاة دعوة الى السجدة وبدعوة رسول الله عليه السلام صريحا كقوله عليه السلام اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء قالوا اى السجود اوضمنا كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم وبدعوة علماء كل عصر ومن اعظم الدعوة الى السجود اذان المؤذنين واقامتهم فان قولهم حي على الصلاة دعوة بلا مرية فطوبى لمن اجاب دعوتهم بطوع لا باكراه استثنا لقوله تعالى اجيبوا داعي الله والجملة حال من ضمير يدعون (وهم سالمون) حال من مرفوع يدعون الثانى اى اصحاء فى الدنيا سلمت اعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من ادآء السجدة وقبول الدعوة اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه و يأتونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره وبالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهره ندارند * مده فرصت ازدست كربايدت * كه كوى سعادت زميدان بري * كه فرصت عزيزست چون فوت شد * بسي دست حسرت بدندان بري و فى الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة اوتخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مرافقتك فى الجنة فقال اعني بكثرة السجود وكان السلف يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول وسبعة اذا فاتهم الجماعة قال ابوسليمان الدارانى قدس سره اقمت عشرين سنة ولم احتلم فدخلت مكة فاحدثت بها حدثا فما اصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وقال الشيخ ابوطالب المكى قدس سره فى قوت القلوب ولابد من صلاة الجماعة سيما اذا سمع التأذين اوكان فى جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه و بين المسجد مائة دار واولى المساجد التى يصلى فيها اقربها اليه الا ان يكون له نية فى الابعد لكثرة الخطى اوافضلى امام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل افضل او يريدان يعمر بيتا من بيوت الله بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله من صلى الخمس فى جماعة فقد صلا البر والبحر عبادة وقال ابوالدرداء رضى الله عنه حالفا بالله تعالى من احب الاعمال الى الله ثلاثة امر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة واصلاح بين الناس وفى الآية اشارة الى انه يرفع الحجاب ويبقى المحجوبون فى حجاب انانيتهم و يشتد عليهم الامر و يدعون الى الفناء فى الله فلا يستطيعون لافساد استعدادهم الفطرى بالركون الى الدنيا وشهواتها ذليلة ابصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهو ان الاحتجاب وقد كانوا فى زمان استعدادهم يدعون الى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم نائمون فى نوم الغفلة لا يرفعون له رأسا لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والامراض الهيولانية (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) من منصوب للعطف على ضمير المتكلم اوعلى انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فدعنى ومن يكذب بالقرآن وخل بيني و بينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ويطيق له وكافيك امره يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى اكفيك قال فى فتح الرحمن وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعنى مع فلان اى سأعاقبه والحديث القرآن لان كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع اوالوحى فى يقظته اومنامه يقال له حديث (سنستدرجهم) يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفى تاج المصادر الاستدراج اندك اندك نزديك دانيدن خداى بنده را بخشم وعقوبت خود والمعنى نستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة النعمة وازدياد النعمة حتى توقعهم فيه فاستدراج الشخص الى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء (من حيث لا يعلمون) اى من الجهة التى لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفى الحديث (اذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج) وتلا هذه الآية وقال امير المؤمنين رضى الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم انه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله وروى ان رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم اعصيك ولم انت لا تعاقبنى فاوحى الله الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لا تشعر كونها عقوبة ان جمد عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الالهى بالعبد ان يرزق العلم و يحرم العمل به او يرزق العمل ويحرم

الاخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم انه ممكور به واخفى مايكون المكر الالهى فى المتأولين من اهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد ان كل مجتهد مصيب يدعو الناس على بصيرة وعلم قطعى وكذلك مكر الله بالخاصة خفى مستور فى ابقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الادب الواقع منهم فتراهم يتلذذون باحوالهم ويهجمون على الله فى مقام الادلال وما عرفوا ما ادخر لهم من المؤآخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين مكر الله فى نعمه اخفى منه فى بلائه فالعاقل من لا يأمن مكر الله فى شئ وادق مكر بصاحب النعمة الظاهرة او الباطنة انه يخطر فى نفسه انه مستحق لتلك النعمة وانها من اجل اكرامه خلقت ويقول ان الله ليس بمحتاج اليها فهى لى بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيرا من لا تحقيق عنده من العارفين لان الله انما خلق الاشياء بالاصالة لتسبح بحمده واما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالاول وقال بعض المحققين كل علم ضرورى و جده العبد فى نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف ان ذلك من الله الا الكمل من الرجال و يحتاج صاحب مقام الفتوح الى ميزان دقيق لانه قد يكون فى الفتوح مكر خفى واستدراج ولذلك ذكره تعالى فى القرآن على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فسماه عذابا شديدا وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما جيئتهم العادة فقيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم واعلم ان كل فتح اعطاك اد با وترقيا فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح اعطى العبد احوالا وكشفا واقبالا من الخلق فليحذر منه فانه نتيجة عجلت فى غير موطنها فينقلب صاحبها الى الدار الآخرة صفرا لا يدين نسأل الله اللطف قال ابو الحسين رضى الله عنه المستدرج سكران والسكران لا يصل اليه الم فجع المعصية الا بعد افاقته فاذا افاق من سكرتهم خلص ذلك الى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون الى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ما تحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال ابو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوآئد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب (واملى لهم) الاملاء مهلت دادن اى وامهلهم باطالة العمر وتأخير الاجل ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى) اى اخذى بالعذاب (متين) قوى شديد لا يطاق ولا يدفع بشئ و بالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر چيزى دفع نشود وكرفتن من سخت است كس را طاقت آن نباشد وفى الكشاف سمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه فى التسبب للهلاك قال بعضهم الكيد اظهار النفع وابطان الضر للمكيد وفى المفردات الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محمودا ومذموما وان كان يستعمل فى المذموم اكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محمودا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف قال بعضهم اراد بالكيد العذاب والصحيح انه الامهال المؤدى الى العذاب انتهى وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق (ام تسألهم) آيا مبطلى ازايشان برابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت وهو معطوف على قوله ام لهم شركاء (اجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) اى من غرامة مالية وهى ما ينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك اى لا تسأل منهم ذلك فليس له عذر فى اعراضهم وفرارهم (ام عندهم الغيب) اى اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن) فى التضجر والعجلة بعقوبة قومك و بالفارسية مباش در دلتنكى وشتاب زدكى (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام يعنى يونس كه صبر نكرد بر اذيت قوم و بى فرمانى الهى ازميان قوم برفت تا بشكم ماهى محبوس كشت (اذ نادى) داعيا الى الله فى بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا وغما يقال كظم السقاء اذا ملأه وشد رأسه و بالقيد الثانى قال تعالى والكاظمين الغيظ بمعنى للممسكين عليه وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو

انقاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والجملة حال من ضمير نادى وعليه يدور النهى لانها عبارة عن الضجرة
المذكورة صريحا فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا لاعلى النداء فانه امر مستحسن ولذلك
نادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه
من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت او بنحو ذلك قال بعضهم فاصبر لحكم ربك بسعادة من
بعد وشقاوة من شقى ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولا تكن كصاحب الحوت فى استيلاء صفات النفس عليه
وغلبة الطيش والغضب للاحتجاب عن حكم الرب حتى ردعن جناب القدس الى مقر الطبع فالتقمه حوت
الطبيعة السفلية فى مقام النفس وابتلى بالاجتنان فى بطن حوت الرحم (لولا ان تداركه) ناله وبلغه
ووصل اليه وبالفارسية اكرنه آنست كه دريافت اورا (نعمة) ورحمة كائنة (من ربه) وهو توفيقه
للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وان مع الفعل فى تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر
بمعنى ولولا تدارك نعمة من ربه اياه حاصل (لنبذ) اى طرح من بطن الحوت فان النبذ القاء الشئ وطرحه
لقلة الاعتداد به (بالعراء) اى بالارض الخالية من الاشجار قال الراغب العراء مكان لا ستر به (وهو مذموم)
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيما من جهة الجسد ومليم من ألام الرجل
بمعنى اتى ما يلام عليه ودخل فى اللوم فان قلت فسر المذموم بالمليم وقد اثبته الله تعالى بقوله فالتقمه الحوت
وهو مليم اجيب على ذلك التفسير بان الالامة حين الالتقام لا تستلزم الالامة حين النبذ اذ التدارك نفاها
فالتقت على ما هو حكم لولا الامتناعية كما اشير اليه فى تصوير المعنى آنفا وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد
جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعراء كما فى الحال الاولى لانه نبذ غير مذموم بل محمود (فاجتباه ربه)
عطف على مقدر اى فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه بان رد اليه الوحى وارسله الى
مائة الف او يزيدون يقال جبيت الماء فى الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق
الاصطفاء وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ومن انكر الكرامات والارهاص لابد ان يختار
القول الاول لان احتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هنالك لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد ان يكون معجزة
وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من
ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين
فتكون الآية مدنية وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف حتى تعالى فرمود كه صبر كن وآن دعا در توقف دار كه
كارها بصبر نيكو شود * كارها از صبر كردد دلپسند * خرم آن كز صبر باشد بهره مند * چون در
افتادى بكرداب حرج * صبر كن والصبر مفتاح الفرج * دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى ان ترك
الاولى يصدر من الانبياء عليهم السلام والا لما يكون يونس عليه السلام ملوما وعلى ان الندم على ما فرط من العبد
والتضرع الى الله لذلك من وسائل الاكرام وعلى ان توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى ان الصلاح درجة عالية
لا ينالها الا اهل الاجتباء وعلى ان فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله فجعله من الصالحين على ان الصلاح
انما يكون بجعل الله وخلقه وان كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف ارادته الجزئية والمعتزلة يؤولونه
تارة بالاخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والاصل هو الحقيقة (وان) مخففة واللام دليلها
(يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) يقال ازلقه ازل رجله يعنى بلغزانيد (لما سمعوا الذكر) لما ظرفية
منصوبة بيزلقونك والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا اى نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث
يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم
نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين قال فى كشف
الاسرار الجمهور على هذا القول روى انه كان فى بنى اسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الاصابة بالعين
وكان الواحد منهم اذا اراد ان يعين شيأ يتجوع له ثلاثة ايام ثم يتعرض له فيقول تالله ما رأيت احسن من هذا
فيتساقط ذلك الشئ وكان الرجل منهم ينظر الى الناقة السمينة او البقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية
خذى المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع فتنحر والحاصل انه لا يمر به شئ فيقول فيه
لم ار كاليوم مثله الا عانه وكان سببا لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة

ان يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت مثله ولا مثل حجبه تا پرتو جمال آن حضرت بآسيب عين الكمال ازساحت عالم محو سازد. فقال فعصمه الله تعالى (وقال الكاشفى) حق تعالى براى عصمت وى ازچشم بد اين آيت رافرستاد قال الحسن البصرى قدس سره دوآء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية (كما قال الحافظ) حضور مجلس انس است دوستان جمعند * وان يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد * وفى الاسرار المحمدية قد قيل ان فى هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقا وغسلا وشربا انتهى وفى الحديث (العين حق) اى اثرها فى المعين واقع قالوا ان الشئ لا يعان الا بعد كماله وكل كامل فانه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين اضيف ذلك اليها ولما خاف يعقوب عليه السلام على اولاده من العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولد رجل واحد قال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فامرهم ان يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم السلام وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله عليه السلام فى اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ان جبريل اتانى فرقانى فقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فافقت والرقية بالفارسية افسون كردن يقال رقاه الراقى رقيا ورقية اذا عوذه ونفث فى عوذته قالوا وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ما هو ولعله يدخله سحر او كفر واما ما كان من القرآن او شئ من الدعوات فلا بأس به كما فى المغرب للمطرزى ولا تختص العين بالانس بل تكون فى الجن ايضا وقيل عيونهم انفذ من اسنة الرماح وعن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بيتها جارية تنشكى وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة واراد بها العين اصابتها من الجن كما فى شرح المصابيح وفى الحديث (لو كان شئ يسبق القدر لسبقته العين) اى لو كان شئ مهلكا او مضرا بغير قضاء الله وقدره لكان العين اى اصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وعما يدفع العين ما روى ان عثمان رضى الله عنه رأى صبيا صليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤس فى المزارع والكروم ووجهه ان النظر الشؤم يقع عليها اولا فتنكسر سورته فلا يظهر اثره ومن الشفاء من العين ان يقال على ماء فى اناء نظيف ويسقيه منه ويغسله عنس عابس بشهاب قابس ورددت العين من المعين عليه والى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسى وست آيات الشفاء وهى وشف صدور قوم مؤمنين شفاء لما فى الصدور فيه شفاء للناس ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ومن الشفاء ان يؤمر العائن فيغتسل او يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه اصابة العين ان الناظر اذا نظر الى شئ واستحسنه ولم يرجع الى الله والى رؤيته صنعه قد يحدث الله فى المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق انه من الله وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سببها ووجهها بعض بان العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد كما قيل مثل ذلك فى بعض الحيات قال فى الاسرار المحمدية ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين وربما يؤثر فى طمس البصر ومنها ما يؤثر فى الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الافاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يستبعدان تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مشام جسمه اى ثقبه كالفم والمنخر والاذن فيتضرر به واذا كانت النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها لم يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعدان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور وبه يحصل الجواب عمن انكر اصابة العين وقال انها لا حقيقة لها لان تاثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الامم على اختلاف

تدفع امر العين ولا تكره و بعض النفوس لا تحتاج الى المقابلة بل بتوجه الروح ونحوه
الضرر بخبر بما يوصف الشئ للاعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية واذا قتلت ذوات السموم
نفسها اختفى اثر لسعها لان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فمادامت حية فان نفسها
تمده بامتزاج الهوآء بنفسها وانتشاق الملسوع به قال الجاحظ علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة
العرب واهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون عيونها لما
فيها من التهم والشره لما يحصل عند ذلك من اجوافها من البخار الردئ وينفصل من عيونها ما اذا خالط الانسان
نقصه وافسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والاشربة على رؤسهم مخافة العين وكانوا يأمرون اتباعهم
قبل ان يأكلوا ان يطردوا الكلب والسنور ويشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض اسرار قوله عليه السلام
من اكل وذو عينين ينظر اليه لم يواسه اشتى بداء لا دواء له وفائدة الرقى ان الروح اذا تكيفت به وقويت
واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فازالته
والحاصل ان الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وانه واجب على كل مسلم اعجبه شئ
ان يبرك و يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة ومن عرف
باصابة العين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره قال بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه
ما يقوم به معاشه ويكف اذاه عن الناس وقيل ينفى والاحتياط الامر بلزوم بيته دون الحبس والنفى وبهذا
التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم فى بعض البلاد مكانا مخصوصا بحيث لا يخالطون الناس
ولا يشاركونهم فى محلاتهم وذكر الجاحظ ان اعجب ما فى الدنيا ثلاثة البوم لا تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين
لحسنها قال فى حياة الحيوان وما تصور فى نفسه انه احسن الحيوان لم يظهر الا بالليل والثانى الكركى لا يطأ
الارض بقدميه بل باحداهما فاذا وطئها لم يعتمد عليها خوفا ان تخسف الارض والثالث الطائر الذى يقعد
على سواقى الماء من الانهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركى لا يشبع من الماء خشية ان يفنى فيموت عطشا
ففى الاول اشارة الى ذم العجب وفى الثانى الى مدح الخوف وفى الثالث الى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير
العاقل والسعيد من وعظ بغيره واخذ الاشارة من كل شئ نسأل الله البصيرة التامة بمنه (ويقولون) لغاية
حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه والا فقد علموا
انه اعقلهم (انه) عليه السلام (لمجنون) الظاهر انه مثل قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون
(وقال الكاشفى) بدرستى كه اين مرد ديوكرفته يعنى بااو جنى است كه اورا تعليم ميدهد كما قال الوليد
ابن المغيرة معلم مجنون يعنى يأتيه رئى من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه
عليه السلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل (وما هو الا ذكر للعالمين) على انه حال من فاعل
يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جرأتهم على التفوه بتلك العظيمة اى يقولون ذلك
والحال ان القرآن ذكر للعالمين من الجن والانس اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم
فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا فى حقه من الجنون
اى انه من اول الامور على كمال عقله وعلو شأنه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان الفضل
لا يعرفه الا ذووه اذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر
وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفيه اشارة الى الالهام فانه ذكر لصاحبه
ولمن اعتقده واقتدى به اذ الآثار باقية الى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه ذكرا
وشرفا للعالمين لا ريب فيه * اى شرف جملة عالم بتو * روشنى ديدة آدم بتو * وفيه اشارة الى
سادات امته واركان دينه
تمت سورة نون بعون خالق القلم وما يسطرون فى الخامس والعشرين يوم الاثنين من شعبان من سنة ست
عشرة بعد المائة

سورة الحاقة وآيها احدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحاقة) هى من اسماء القيامة من حق يحق بالكسر اذا وجب وثبت لانها يحق اى يجب مجيئها ويثبت وقوعها

كما قال تعالى ان الساعة آتية لا ريب فيها فالاسناد حقيقي وقال الراغب في المفردات لانها يحق فيها الجزاء فالاسناد مجازي كنهاره صائم ونحوه (ما الحاقة) الاصل ماهي اي اي شئ هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة واحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه في أعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الفائدة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا كذا في الارشاد (وما ادراك) من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودرى به اي علم به من باب رمى وادراه به اعلمه قال في تاج المصادر الدراية والدرية والدرى دانستن ويعدى بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء اكثر قوله ما مبتدأ وادراك خبره ولا مساغ سهنا للعكس والمعنى واي شئ اعلمك يا محمد وبالفارسية وچه چيزدانا كردانيدترا (ما الحاقة) جملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني لادراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على معنى ان اعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام قال بعضهم ان النبي عليه السلام وان كان عالما بوقوعها ولكن لم يكن عالما بكمال كيفيتها ويحتمل ان يقال له عليه السلام اسما على غيره وفي التأويلات النجمية يشير بالحاقة الى التجلي الاحدي الاطلاقي في مرآة الواحدية المغني للكل كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بقهر سطوات انوار الاحدية جميع ظلمات التعينات السائرة اطلاق الذات المطلقة وسمي بالحاقة لثبوته في ذاته وتحققه في نفسه (كذبت ثمود) قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له (وعاد) قوم هود وهي قبيلة ايضا وتمنع كما في القاموس (بالقارعة) من جملة اسماء الساعة ايضا لانها تقرع الناس اي تضرب بفنون الافزاع والاهوال اي تصيبهم بها كانها تقرعهم بها والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمث والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة في وصف شدتها فان في القارعة ما ليس في الحاقة من الوصف يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدائده قيل منها قوارع القرآن للآيات التي تقرأ حين الفزع من الجن والانس لقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسي ونحوها وفي الآية تخويف لاهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر (فاما ثمود) وكانوا عربا منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهابا وايابا (فاهلكوا) اي اهلكهم الله لتكذيبهم فاخبر عن الفعل لانه المراد دون الفاعل لانه معلوم (بالطاغية) اي بالصيحة التي جاوزت عن حد سائر الصيحات في الشدة فرجفت منها الارض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من التعارض بين قوله تعالى فاخذتهم الرجفة وبين قوله تعالى فاخذتهم الصيحة والقصة واحدة وفي الآية اشارة الى اهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فانهم اهل العلم القليل كما ان ثمود اهل الماء القليل فلما كذبوا فناء اهل العلم الباطن من طريق السلوك اهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح في الباطن وان كان لهم صلاح في الظاهر وذلك لانهم لم يتبعوا صالحا من الصلحاء الحقيقيين فبقوا في فساد النفس (واما عاد) وكانت منازلهم بالاحقاف وهي الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن وكانوا عربا ايضا ذوي بسطة في الخلق وكان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين واوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ في عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زمانا من قبيل الترقي من الضال الشديد الى الاضل الاشد (فاهلكوا بريح) هي الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (صرصر) اي شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها وهي بالفارسية بانك كردن بازوبرغ وآنچه بدان ماند او شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فان الصر بالكسر شدة البرد (عاتية) مجاوزة للحد في شدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب باذنه وتنقطع باذنه وله اعوان كاعوان ملك الموت روى انه ما يخرج من الريح شئ الا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد اصابتهم ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية او المعنى عاتية على عاد فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار

[illegible] او اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكا[illegible] (سخرها عليهم) التسخير [illegible] الشئ الى الغرض المختص به قهرا والمسخر هو المقيض للفعل [illegible] تلك الريح الموصوفة [illegible] قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر انه صفة اخرى ويقال استئناف لدفع ما يتوهم من كونها باتصالات [illegible] مع انه لو كان كذلك لكان بتسبيبه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى (سبع ليال) منصوب على الظرفية لقوله سخرها انث العدد لكون الليالى جمع ليلة وهى مؤنث فتبع مفرد موصوفه يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالى بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالاعلال مثل الاهالى والاهال فى جمع اهل الا حالة النصب نحو قوله تعالى سيروا فيها ليالى واياما آمنين لانه غير منصرف والفتح خفيف (وثمانية ايام) ذكر العدد لكون الايام جمع يوم وهو مذكر (حسوما) جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام وقال بعضهم صفة لما قبله (كما قال الكاشفى) روزها وشبهاى متوالى والمعنى على الاول حال كون تلك الريح متتابعات ما خفق هبوبها فى تلك المدة ساعة حتى اهلكتهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على دآء الدابة مرة بعد اخرى حتى ينحسم وينقطع الدم كما قال فى تاج المصادر الحسم بريدن وپيوسته داغ كردن فهو من استعمال المقيد فى المطلق اذ الحسم هو تتابع الكى او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها لها بمن يحسم الدآء فى تتابع الفعل واما لان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهى كانت ايام برد العجوز من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر اسبوع من شهر صفر الى غروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضى الله عنه يرفعه آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب اى فى بيت فى الارض فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة فمن نظر الى الاول قال برد العجوز ومن نظر الى الثانى قال برد العجز وفى روضة الاخبار رغبت عجوز الى اولادها ان يزوجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا الى ان تصبرى على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت فى السابعة ماتت فسميت تلك الايام ايام العجوز واسماء هذه الايام الصن وهو بالكسر اول ايام العجوز كما فى القاموس والصنبر وهى الريح الباردة والثانى من ايام العجوز كما فى القاموس والوبر وهو ثالث ايام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من ايامها ومطفئ الجمر وهو خامس ايام العجوز او رابعها كما فى القاموس وقيل مكفئ الظعن اى مميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة ام لا والآمر والمؤتمر قال فى القاموس آمر ومؤتمر آخر ايام العجوز قال الشاعر

كسع الشتاء بسبعة غبر * ايام شهلتنا من الشهر * فاذا انقضت ايام شهلتنا * بالصن والصنبر والوبر
وبآمر واخيه مؤتمر * ومعلل وبمطفئ الجمر * ذهب الشتاء موليا هربا * واتتك موقدة من الحر

قال فى الكواشى ولم يسم الثامن لان هلاكهم واهلاكها كان فيه وفى عين المعانى ان الثامن هو مكفئ الظعن ثم قال فى الكواشى ويجوز انها سميت ايام العجوز لعجزهم عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لاهلاكهم فيه والذى لم يسم هو الاول وان كان العذاب واقعا فى ابتدآئه لان ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعا لليلة لان التاريخ يكون بالليالى دون الايام فالصن ثانى الايام الثمانية اول الايام المذكورة لياليها انتهى يقول الفقير سر العدد ان عمر الدنيا بالنسبة الى الانس سبعة ايام من ايام الآخرة وفى اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم فى الليالى السبع اشارة الى الليالى البشرية الساترة للصفات السبع الالهية التى هى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفى الايام اشارة الى الايام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهى الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التى تقطع امور الحق واحكامه من الخيرات والمبرات يعنى قاطعات كل خير وبر وقال القاشانى واما عاد المغالون المجاوزون حد الشرآئع بالزندقة والاباحة فى التوحيد فاهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية

اى

اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى اودية الهلاك حضرها الله عليهم فى مراتب الغيوب السبع التى هى ليالهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ماظهر منهم ومابطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى) يامحمد او يامن شأنه ان يرى و يبصر ان كنت حاضرا حينئذ (القوم) اى قوم عاد فاللام للعهد وبالفارسية پس تومیدیدی قوم عادرا اگر حاضر مى بودى (فيها) اى فى محال هبوب تلك الريح او فى تلك الليالى والايام ورجحه ابو حيان للقرب وصراحة الذكر (صرعى) موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لان الرؤية بصرية والصريع بمعنى مصروع اى مطروح على الارض ساقط لان الصرع الطرح وقد عرفوا بموتهم (كانهم) كويا ايشان از عظم اجسام (اعجاز نخل) بيضاء درخت خرما اند الكاف فى موضع الحال اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحدا ومن المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باصول نخل كما قال فى القاموس العجز مثلثة وكندس وكتف مؤخر الشئ واعجاز النخل اصولها انتهى والنخل اسم جنس مفرد لفظا وجمع معنى واحدته نخلة (خاوية) اصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام اى خلا والمعنى متأكلة الاجواف خالية الاشئ فيها يعنى انهم متساقطون على الارض امواتا طوالا غلاظا كانهم اصول نخل مجوفة بلا فروع شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت وخلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وقيل كانت الريح تدخل من افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسادهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه اشارة الى ان اهل النفس موتى لاحياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لابالله كما قال كانهم خشب مسندة كانهم اعجاز نخل اى اقوياء بحسب الصورة لامعنى فيهم ولاحياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذ لاتقوم بالله والى ان النفس وصفاتها محوفة ليس لها بقاء لان البقاء انما هو بفيض الروح يعنى ان الذى رش عليه من رطوبة الروح حى باذن الله وصلح قابلا للصفات الالهية والامات وفسد (فهل ترى لهم من باقية) الاستفهام لانكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لاوصف والتاء للنقل الى الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى اى ماترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم غير المؤمنين ويجوز ان يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية اومصدرا بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشئ على الحالة الاولى وهو يضاد الفناء * مقرر ست كه بودند برزمانه بسى * شهان تخت نشين خسروان شاه نشان * چوعاصفات قضا ازمهب قهروزيد * شدند خالى وازان خالى نيزنيست نشان * فعلى العاقل ان يجتهد حتى يبقى فى الدنيا بالعمر الثانى كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين على ان الحياة الباقية الحقيقية هى ماحصلت بالتجلى الالهى والفيض المالى الكلى فسأل الله سبحانه ان يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة اسمائه وصفاته ووجوب وجوده (وجاء فرعون) اى فرعون موسى افرده بالذكر لغاية علوه واستكباره (ومن قبله) ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ ابو عمرو و يعقوب والكسائى قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من اهل مصر (والمؤتفكات) اى قرى قوم لوط اى اهلها لانها عطفت على ماقبلها من فرعون ومن قبله يقال افكه عن الشئ اى قلبه وائتفكت البلدة باهلها اى انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهى المنقلبات بالخسف وهى خمس قريات صعبه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهى اعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لان قوم لوط اتوا بفاحشة ماسبقهم بها من احد من العالمين (بالخاطئة) الباء للملابسة اوالتعدية وهو الاظهر اى بالخطا او بالغفلة اوالافعال ذات الخطا العظيم التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فالخاطئة على الاول مصدر كالعاقبة وعلى الاخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والاظهر انه من المجاز العقلى كشعر شاعر (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح فالرسول هنا بمعنى الجمع لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالاضافة ليست للعهد بل للجنس (فاخذهم) اى الله تعالى بالعقوبة اى كل قوم

[illegible] اى [illegible] فى الشدة على عقوبات سائر الكفار او على القدر المعروف عند الناس كما زادت [illegible] على معاصى سائر الكفرة اغرق من كذب نوحا وهم كل اهل الارض غير من ركب معه فى السفينة وحمل مدائن لوط بعد ان نتقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره بذلك من الملائكة ثم قبلها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذى ليس فى الارض ما يشبهه واغرق فرعون وجنوده ايضا فى بحر القلزم او فى النيل وهكذا عوقب كل امة عاصية بحسب اعمالهم القبيحة وجوزيت جزآء وفاقا وفى كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لاولى الالباب يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى يأخذه آكل الربا زآئدا على ما اعطاه (انا لما طغى الماء) المعهود وقت الطوفان اى جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على ارفع جبل فى الدنيا خمس عشرة ذراع او حده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة فانتقم الله منهم بالاغراق (حملناكم) ايها الناس اى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فكأنكم محمولون باشخاصكم وفيه تنبيه على المنة فى الحمل لان نجاة آبائهم سبب ولادتهم (فى الجارية) يعنى فى سفينة نوح لان من شأنها ان تجرى على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صورى (لنجعلها) اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها الى الفعلة والقصة بدلالة ما بعد الآية من الوعى (وقال الكاشفى) تا كردانيم آن كشتى را براى شما پندى وعبرتى در نجات مؤمنان وهلاك كافران وفى كشف الاسرار تا آنرا يادكارى كنيم تا جهان بود وقد ادرك السفينة اوآئل هذه الامة وكان الواحها على الجودى (وتعيها) اى تحفظها وبالفارسية ونكاه دارد اين پندرا والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك يقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام لا خير فى العيش الا لعالم ناطق ومستمع واع والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء يقال اوعيت المتاع فى الوعاء ومنه ما قال عليه السلام لاسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما لا توعى فيوعى الله عليك ارضخى ما استطعت وقال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث ما اوعيت من زاد

(اذن واعية) اى اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعى فعل القلب ولكن الآذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعتت الآذان بنعت القلوب (وفى البستان) وكر نيستى بسعى جاسوس كوش * خبر كى رسيدى بسلطان هوش * والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم يعنى ان من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم فى الايمان المنجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا للنجاة والادامة المذكورتين قال فى الكشاف الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالى بهم بآلة وان ملأوا ما بين الخافقين وفى الحديث (افلح من جعل الله له قلبا واعيا) وعن النبى عليه السلام انه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله ان يجعلها اذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى ان انسى اذ هو الحافظ للاسرار الالهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة وفى رواية اخذ باذن على بن ابى طالب وقال هى هذه ذكره النقاش كرچه ناصح را بود صد داعيه * پندرا اذنى بيايد واعيه * كر نبودى كوشهاء غيب كير * وحى ناوردى زكردون يك بشير * قال بعضهم تلك آذان اسمعها الله فى الازل خطابه فهى واعية يعنى من الحق كل خطاب وعن ابى هريرة انه قيل لى انك تكثر رواية الحديث وغيرك لا يروى مثلك فقلت ان المهاجرين والانصار كان شغلهم عمل اموالهم وكنت امرأ مسكينا الزم رسول الله واقنع بقوتى وقال عليه السلام يوما من الايام

انه

انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت نمرة على حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فما نسيت من مقالته عليه السلام شيأ وفيه اشارة الى تأثير حسن المقال وفائدته والا لكان دعاؤه عليه السلام كافيا فى وعيه كما وقع لامير المؤمنين رضى الله عنه (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها والنفخ ارسال الريح من الفم وبالفارسية دميدن والصور قرن من نور اوسع من السموات ينفخ فيه اسرافيل بامر الله فيحدث صوت عظيم فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصعقون ثم يموتون الا من شاء الله والمصدر المبهم هو الذى يكون لمجرد التأكيد وان كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب اذ لا يفيد امرا زائدا على مدلول الفعل الا انه حسن اسناد الفعل فى الاية الى المصدر وهو النفخة لكونها نفخا مقيدا بالوحدة والمرة لا نفخا مجردا مبهما والمراد بها ههنا النفخة الاولى التى لا يبقى عند ها حيوان الا مات ويكون عندها خراب العالم المدلل عليه الحمل والدك الاتيان وفى الكشاف فان قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه انهما لا تثنى فى وقتها انتهى يعنى ان حدوث الامر العظيم بالنفخة وعلى عقبها انما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث انه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفى كشف الاسرار ذكر الواحدة للتأكيد لان النفخة لا تكون الا واحدة (وحملت الارض والجبال) اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فان الريح من قوة عصفها تحمل الارض والجبال كما حملت ارض وجود قوم عاد وجبال جمالهم مع هوادجها (فدكتا دكة واحدة) اى فضربت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال اثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج الى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والا فالظاهر فدككن دكة واحدة لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن والدك ابلغ من الدق وفى الصحاح الدك الدق وقد دككه اذا ضربه وكسره حتى سواه بالارض وبابه رد وفى المفردات الدك الارض اللينة السهلة ودكت الجبال دكا اى جعلت بمنزلة الارض اللينة ومنه الدكان (فيومئذ) اى فحينئذ وهو منصوب بقوله (وقعت الواقعة) هى من اسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار اسند اليه وقعت اى اذا كان الامر كذلك قامت القيامة التى توعدون بها او نزلت النازلة العظيمة التى هى صيحة القيامة وهو جواب لقوله فاذا نفخ فى الصور ويومئذ بدل من اذا كرر لطول الكلام والعامل فيهما وقعت (وانشقت السماء) وآسمان برشكافت از طرف عجزه يعنى انفرجت لنزول الملائكة لامر عظيم اراده الله كما قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت (فهى) اى السماء (يومئذ) ظرف لقوله (واهية) ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا كالغزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وان كانت قابلة للخرق والالتئام يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا قال فى القاموس وهى كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفى المفردات الوهى شق فى الاديم والثوب ونحوهما (والملك) اى الخلق المعروف بالملك وهو اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة (على ارجائها) اى جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهى جملة حالية ويحتمل ان تعطف على ما قبلها كذا قالوا والمعنى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيجيؤن الى اكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على ارجائها وموتهم بعدها فان الملائكة يموتون عند النفخة الاولى لا ينافى التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال انهم هم المستثنون بقوله الا من شاء الله اى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا الملائكة ونحوهم قال المولى الفناري فى تفسير الفاتحة فاذا وهت السماء نزلت ملائكتها على ارجائها فيرون اهل الارض خلقا عظيما اضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله نزل فيهم لما يرون من عظم المملكة مما لم يشاهدوه ومن قبل فيقولون افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بعالمى الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل اهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله ايضا ويرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتما وهم اكثر عددا من اهل السماء الدنيا فيقول انى لاتى افيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل اهل السماء الثالثة ويرمى بكوكبها المسمى زهرة فى النار فيقبضه الله بعينه فيقول

الخلائق اخبركم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل اهل السماء السابعة فيزورون خلقا اكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق اخبركم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة وعلى الجنبة اليسرى منهم ويكون اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فيسمى بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا ابصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يفزعون باجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التي لا يحزنهم الفزع الاكبر تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على انفسهم غير ان النبيين يفزعون على امتهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك سلم سلم وكان قد امر ان ينصب للامنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فاذا فرغ الناس خوفا من جهنم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى الى الحشر فيناديهم انبياؤهم ارجعوا ارجعوا وينادي بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه السلام اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم انتهى يقول الفقير دل هذا البيان على ان المراد بالوهي سقوط السماء على الارض التي تسمى بالساهرة وان نزول الملائكة على ارجاء السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وان ذكر في اثناء النفخة الاولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والارض اللذين انما يكونان بعد النفخة الثانية وان معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان اي لا تقصدون مهربا الا وهناك لي اعوان ولي به سلطان (ويحمل عرش ربك) وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه الا الله تعالى لانه في الافاق بمنزلة القلب في الانفس والقلب اوسع شيء لما وسع الله كما في الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة في ذكر العرش عقيب ما تقدم ان العرش بحاله خلاف السماء والارض ولذلك لا يفنى وايضا له وجه آخر سيأتي وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال ان الله خلق العرش وابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة الهواء والقلم والنور ثم خلق العرش من انوار مختلفة من ذلك نورا خضر منه اخضرت الخضرة ونورا صفر منه اصفرت الصفرة ونورا حمر منه احمرت الحمرة ونورا بيض وهو نور الانوار ومنه ضوء النهار قال بعض الكبار الانوار اربعة على عدد المراتب الاربع فاذا اعطى الانوار يعطى في مرتبة الطبيعة نورا اسود وفي مرتبة النفس نورا احمر وفي مرتبة الروح نورا اخضر وفي مرتبة السر نورا ابيض (فوقهم) اي فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية اي يحملون العرش فوق انفسهم فالمحمول لا يلزم ان يكون فوق الحامل فقد يكون في يده وقد يكون في جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحمل حينئذ واما على التقدير الاول فالظاهر ان فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (ويومئذ) اي يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى فيكونون ثمانية قال بعض العلماء الاربعة اللاحقة اشارة الى الائمة الاربعة الذين هم ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد لانهم اليوم حملة الشرع فاذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حكما وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون قال عليه السلام اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش من شحمة اذنه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغني ان اسمه زوقيل وعن الحسن البصري قدس سره ثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله يقول الفقير الانسب هو الاول لكونه ادخل في العظمة والهيبة واظهار القدرة ولان الاركان اربعة كاركان الكعبة واركان القلب اذ في يمين القلب الروح والسر وفي يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف اذ الالف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل ورآءه الا باعتبار التضعيف والله اعلم ومر في اوائل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده (وفي التأويلات النجمية) يشير الى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التي هي مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم (ويومئذ) العامل فيه قوله (تعرضون) على الله اي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان

العسكر

العسكر لتعرف احوالهم يقال عرض الجند اذا امرتهم عليه ونظرت احالهم والخطاب عام للكل على التغليب روى ان في يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة فتنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل كما تقول جئتك عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض الى كونه تعالى محمولا حاضرا في العرش واجيب بانه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من اتيانه تعالى في ظلل من الغمام اتيان امره وقضائه واما حديث النزول فمحمول على ظهوره تعالى في مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لان النبي عليه السلام رآه ليلة المعراج في صورة شاب امرد لان الصورة الانسانية اجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه في ذاته عن اوصاف الجسمانيات (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان في الاصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالا اى تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفية اى سر من اسراركم وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل وغير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب (قال في الكشاف) خافية اى سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذي يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففي الاية زجر عظيم عن المعصية لتأديها الى الافتضاح على رؤس الخلائق فقلب الانسان ينبغي ان يكون بحال لو وضع في طبق وادير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو صفة اهل الاخلاص والنصيحة (فاما) تفصيل لاحكام العرض (من) موصولة (اوتى كتابه) اى مكتوبه الذي كتبت الحفظة فيه تفاصيل اعماله (بيمينه) تعظيما له لان اليمين يتيمن بها والباء بمعنى في او للالصاق وهو الاوجه والمراد منهم الابرار فان المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة يقول الفقير لعل هذا مكافاة له حين اخذ سيفه بيده وخرج من دار الارقم وهو يظهر الاسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الاسلام فرضي الله عنه وعن محبيه وفي الحديث اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على ان رتبة ابي بكر فوق رتبة غيره لان الصديقية تلي النبوة (فيقول) فرحا وسرورا فانه لما اوتي كتابه بيمينه علم انه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله (هاؤم اقرؤا كتابيه) اى خذ وا يا اهل بيتي وقرابتي واصحابي كتابي وتناولوه اقرؤا كتابي زيرا در اينجا علي نيست كه از اظهار آن شرم دارم ودر تبيان اورده كه اين كتاب ديگر است بغير كتاب اعمال كه نوشته ودر او بشارت جنت است وپس چه كتاب حفظ ميان بنده وخداوند ست وكسي ان را نه بيند ونه خواند وفي الخبر حسنات المؤمن في ظاهر كتابه وسيئاته في باطنه لا يراها الا هو فاذا انتهى يرى مكتوبا مقدغفرتها لك فاقلب فيرى في الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور هاؤم اقرؤا كتابيه اى هلموا اصحابي كما في عين المعاني يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان او يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا خذي خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابي مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين فهو اقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة واصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني افرغ عليه قطرا والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل كما هو الاصل في هاء السكت لانها انما جيء بها حفظا للحركة اي لتحفظ حركة الموقوف عليه اذ لولاها لسقطت الحركة في الوقف فتثبت حال الوقف اذ لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا في كل المواضع على اثباتها وقفا ووصلا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة في المصحف في كل المواضع وهي كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وما كان ثابتا فيه لابد ان يكون مثبتا في اللفظ الا ان حمزة اسقط الهاء من ثلاث كلم وصلا وهي ماليه وسلطانيه وماهيه واثبتها وقفا على الاصل

ولم يعمل بالاصل فى كتابيه وحسابيه واثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين وتبين من هذا التقرير ان المستحب ايثار الوقف اتباعا للوصل وان اثباتها وصلا اتباع المصحف قال فى القاموس هاء السكت هى اللاحقة لبيان حركة او حرف ماهيه وهاهناه واصلها ان يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف انتهى وهذه الهاء لا تكون الا ساكنة وتحريكها لحن اى خطأ لانه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت فى القرآن فى سبعة مواضع فى لم يتسنه وفى فبهداهم اقتده وفى كتابيه وفى حسابيه وفى ماليه وفى سلطانيه وفى ماهيه واما الهاء التى فى القاضية وفى هاوية وخاوية وثمانية وعالية ودانية وامثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء (انى ظننت انى ملاق حسابيه) الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد اعمال العباد فى الاخرة خيرا وشرا للمجازاة اى علمت وايقنت انى مصادف حسابى فى ديوان الحساب الالهى وانى احاسب فى الاخرة يعنى دانستم وايمان آوردم كه مرا حساب خواهند كرد وانرا آماده ومتهيء شدم قال الراغب الظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت العلم ومتى ضعفت جدا لم تجاوز حد التوهم انتهى ومنه يعلم قول من قال سمى اليقين ظنا لان الظن يلى اليقين انتهى وانما فسر الظن بالعلم لان البعث والحساب مما يجب بهما الايمان ولا ايمان بدون اليقين قال سعدى المفتى وفيه بحث فان ايمان المقلد واعتبار وصرحوا بان الظن الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض يكفى فى الايمان ثم انه يجوز ان يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب ان يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد انى ظننت انى ملاق حسابى على الشدة والمناقشة لما سلف منى من الهفوات والآن لزال الله عنى ذلك وفرج همى انتهى يقول الفقير هذا معدول عما عليه ظاهر القرآن فان الظن فى مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى حكاية قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم المؤمنون بالاخرة وفى قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى علم وايقن بالعلامة القوية قال القاضى ولعل التعبير عن العلم بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد وما يحبس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا يعنى ان الظن استعير للعلم الاستدلالى لانه لا يخلو عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد اليه من الدليل للاشعار المذكور واما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفى الكشاف وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت (فهو) اى من اوتى كتابه بيمينه (فى عيشة) نوع من العيش وهو بالفتح وكذا المعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن قال بعض العلماء اذا كسر العين من العيش يلزمه التاء كما فى عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى وفى الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام لا عيش الا عيش الاخرة (راضية) ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فان النسبة نسبتان نسبة بالحرف ككى ومدى ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر ويجوز ان يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازى ومال الوجهين كون العيشة مرضية والى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية فى نفسها فكانها لرغادتها قد رضيت بما هى فيه مجازا او بمعنى مرضية كما مر دافق اى مدفوق انتهى (وفى التأويلات النجمية) راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طاهرة عن نوائب الحذر (وبالفارسية) درزندكانى باشد پسنديده صافى از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت وذلك اى كون العيشة مرضية لاشتمالها على امور ثلاثة الاول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثانى كونها دائمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضى بها واكرامه والا يكون استهزاء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤسا ابدا (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء كما ان النار سافلة لانها تحت الارض او الدرجات او الابنية والاشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هى له وهو بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية (قطوفها) ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدى المفتى اعتبار السرعة فى مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ معنى السرعة قطع الكل بمرة وفى القاموس القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى فلا حاجة الى ان يقال غلب هنا فى جميع ما يجتنى من الثمر عنبا كان او غيره (دانية)

من الدنو وهو القرب اى قريبة من مريديها يعنى خوشه هاى ان ازدست چينند نزديك ينالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لا يتأخر ادراكها انتهى واذا اراد ان تدنو الى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فان فى قطفها وتحصيلها تعبا ومشقة غالبا وكذا الاتؤكل الا بمزاولة اليد يقول الفقير اشجار الجنة على صورة الانسان يعنى ان اصل الانسان رأسه وهى فى طرف العلو ورجله فرعه مع انها فى طرف السفل فكذلك اصول اشجار الجنة فى طرف العلو واغصانها متدلية الى جانب السفل ولذا لا يرون تعبا فى القطف على ان نعيم الجنة تابع لارادة المتنعم به فيتصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والامر امر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الاخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الاكل والشرب لان احدهما شقيق الاخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكرهنا الملابس وان ذكرت فى موضع آخر يقال لمن اوتى كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقا (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا اى سائغا لا تنغيص فيه فى الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدنى كوارند وجعل الهنيء صفة لهما لان المصدر يتناول المثنى ايضا من هنؤ الطعام والشراب وهنئ يهنأ ويهنؤ ويهنى هناءة وهناء اى صار هنيأ سائغا فهو هنيء ومنه اليهنى المشتهر فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال فى المثنوى * وين بزاز بهر ميان روزرا * يخنى باشد شه فيروزرا * واسناد الهناءة الى الاكل والشرب مجاز للمبالغة لانها للمأكول والمشروب وقولهم هنيأ عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لان السائغ محظوظ منه يسبب الصحة والعافية غالبا (بما اسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة اوبدله او بسببه ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ما ترجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله (فى الايام الخالية) اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله فى ايام الصيام لاسيما فى الايام الحارة وهو الاولى لان الجزاء لابد وان يكون من جنس العمل وملائما له كما قال بعض الكبار لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وانما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونظائر ذلك ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمنى وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فلم يقل كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من بث يوم الزحف فان هذا مالا تعطيه الحكمة كما فى مواقع النجوم وروى يقول الله يا اولياى طال ما انظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية قوله قلصت من الباب الثانى يقال قلص الظل اى نقص والماء اى ارتفع فى البئر والشفة اى انزوت والثوب اى انزوى بعد الغسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شئ بعضه على بعض وخمصه الجوع خمصا وخمصة من الباب الاول يعنى بار يك ميان كردو براكرسنكى وفيه اشارة الى ايام الازل الخالية عن الاعمال والعلل والاسباب اى كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب القيض بما اسلفه الله لكم فى الازل والقدم من العناية اذ بتلك العناية تتم مع الحق فى جميع الاحوال * چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست * آن به كه كار خود بعنايت رها كنند (واما من اوتى كتابه بشماله) تحقيرا له لان الشمال يتشاءم بها بان تلوى يسراه الى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى ما فيه من قبايح الاعمال (فيقول) تحزنا وتحسرا وخوفا مما فيه وهو من قبيل الالم الروحانى الذى هو اشد من الالم الجسمانى (يا) هؤلاء يا معشر المحشر (ليتنى) كاشكى من وهو تمنى للمحال (لم اوت) متكلم مجهول من الايتاء بمعنى لم اعط (كتابيه) هذا الذى جمع بجميع سيئاتى (ولم ادر) متكلم من الدراية بمعنى العلم (ما حسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امروز چيست حساب من چه حاصلى نيست مرا نراجز عذاب وشدت ومحنت فما استفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز ان تكون موصولة بتقدير المبتدأ فى الصلة (ياليتها) تكرير للتمنى وتجديد للحسرة اى ياليت الموتة التى متها وذقتها وذلك ان الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى وحياتى ولم ابعث بعدها ولم القى ما القى يتمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وانه لا يبعث للحساب ولا يلقى ما اصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز ان يكون ضمير ليتها لما شاهد من الحالة اى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على تمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة

للحياة لما انه وجد تلك الحالة امر من الموت فتمناه عندها وكان في الدنيا اشد كراهية للموت قال الشاعر

وشر من الموت الذي ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت اعظم

(ما اغنى عني) اي لم يدفع عني شيأ من عذاب الاخرة على ان ما نافية والمفعول محذوف (ماليه) اي مالي الذي كان لي في الدنيا من المال والاتباع على ان ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الاتباع فانه اذا كان اسما مضافا الى ياء المتكلم لم يعم وفي الكشاف ما اغنى نفي واستفهام على وجه الانكار اي شيأ اغنى عني ما كان لي من اليسار انتهى حتى ضيعت عمري فيه اي لم ينفعني ولم يدفع عني شيأ من العذاب فما استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى يقول الفقير الظاهر ان ماليه هو المال المضاف الى ياء المتكلم اي لم يغن عني المال الذي جمعته في الدنيا شيأ من العذاب بل الهاني عن الاخرة وضر في فضلا عن ان ينفعني وذلك ليوافق قوله تعالى ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ وقوله وما يغني عنه ماله اذا تردى وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب ونظائر ذلك فاذهب اليه اكثر اهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن (هلك عني سلطانيه) قال الراغب السلاطة التمكن من القهر ومنه سمي السلطان والسلطان يقال في السلاطة نحو قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد يقال لذي السلاطة وهو الاكثر وسميت الحجة سلطانا وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن اكثر تسلطه على اهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله هلك عني سلطانيه يحتمل السلطانين انتهى والمعنى هلك عني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا اوضلت عني حجتي كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومعناه بطلت حجتي التي كنت احتج بها عليهم في الدنيا وبالفارسية كم كشت ازمن حجتي كه دردنيا چنك دران زده بودم ورجح هذا المعنى بان من اوتي كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع اهل الشقاوة يقول الفقير قوله تعالى ما اغنى عني ماليه يدل على الاول على ان فيه تعريضا بنحو الوليد من رؤساء قريش واهل ثروتهم ويجوز ان يكون المعنى تسلطي على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات وذلك لان كل احد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه فيزول في القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعا (خذوه) حكاية لما يقوله الله يومئذ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع الى من الثاني اي خذوا هذا العاصي ربه (فغلوه) بلا مهلة اي اجمعوا يديه الى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع في عنقه اويده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد الى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن وفي الفقه وكره جعل الغل في عنق عبده لانه عقوبة اهل النار وقال الفقيه ان في زماننا جرت العادة بذلك اذا خيف من الاباق كما في الكبرى بخلاف التقييد فانه غير مكروه لانه سنة المسلمين في المتمردين (ثم الجحيم صلوه) دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه اي لا تدخلوه الا الجحيم ولا تحرقوه الا فيها وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدي المفتي فيكون مخصوصا بالمتعظمين وفيه بحث انتهى وقدم جوابه (ثم في سلسلة) من نار وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة والجار متعلق بقوله فاسلكوه والفاء ليست بمانعة عن التعلق (ذرعها) طولها وبالفارسية كز آن والذراع ككتاب ما يذرع به حديدا او قضيبا وفي المفردات الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والارض والذرع برشي بيودن قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله (سبعون) والجملة في محل الجر على انها صفة سلسلة وقوله (ذراعا) تمييز (فاسلكوه) السلك هو الادخال في الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك في السلسلة في الشدة لا على تراخي المدة يعني ان ثم اخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك اذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ ان كلمتي ثم والفاء ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي ان يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله خذوه اي قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد واهول مما قبله من الاوامر مع تعاقب المأمور بهن من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصليه الجحيم وسلكهم اياه في السلسلة الموصوفة والمعنى فادخلوه فيها بان تلقوها على جسده وتجعلوه محاطا بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه

لا يستطيع حراكا ما كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فى السلسلة كما يكون الثعلب فى الجبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل فى جبة السنان وهى الدرع وذلك انما يكون رهقا اى غشية وبالفارسية پس در آريد اورا دران يعنى در جسد او پيچيد محكم تا حركت نتواند كرد . وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية فى الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به اى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة لانها افظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة فى التكثير وقال سعدى المفتى الظاهر انه لا مانع من الحمل على ظاهره من العدد قال الكاشفى يعنى بذراع ملك كه هر ذراعى هفتاد باعست وهر باعى از كوفه تا مكه وقال بعض المفسرين هى بالذراع المعروفة عندنا وانما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله اعلم باى ذراع هى وعن كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة فى فيه وتخرج من دبره ويلوى فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه يقول الفقير هذا يقتضى ان يكون ذلك عذاب الكافر لان جسده يكون فى العظم مسيرة ثلاثة ايام وضرسه مثل جبل احد على ما جاء فى الحديث وعن النبى عليه السلام قال لوان رضراضة اى صخرة قدر رأس الرجل وفى رواية لوان رضراضة مثل هذه واشار الى صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء الى الارض وهى خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها وقعرها قال الشراح اللام فى السلسلة فى هذا الحديث للعهد اشارة الى السلسلة التى ذكرها الله فى قوله ثم فى سلسلة الخ روى ان شابا قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ الى قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه صاح الشاب وسقط وغشى عليه فلما اتم الشيخ صلاته قال من هذا قالوا هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ ارفعوه واحملوه حتى نذهب به الى امه ففعلوا ما امر به الشيخ فلما رأت امه ذلك فزعت واقبلت وقالت ما فعلتم بابنى قالوا ما فعلنا به شيأ الا انه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بامر الله فقالت اية آية هى فاقرؤها حتى اسمع فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية الى سمع الشاب شهق شهقة اخرى فخرجت معها روحه بامر الله فلما رأت الام ذلك خرت ميتة وفى التأويلات النجمية قوله ثم فى سلسلة الخ يشير الى كثرة اخلاقه السيئة واوصافه الرديئة واحكام طبيعته الظلمانية اذ هى يوم القيامة كلها سلاسل العذاب واغلال الطرد والحجاب (انه) بدرستى كه ابن كس كانه قيل ماله يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم) وصفه تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله من الحث على الحضيض وهو قرار الارض والمعنى ولا يحث اهله وغيرهم على اعطاء طعام يطعم به الفقير فضلا عن ان يعطى ويبذل من ماله على ان يكون المراد من الطعام العين فاضمر مثل اعطاء او بذل لان الحث والتحريض لا يتعلق بالاعيان بل بالاحداث واضيف الطعام الى المسكين من حيث ان له اليه نسبة او المعنى ولا يحثهم على اطعامه على ان يكون اسما وضع موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء فالاضافة الى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل يعنى يكون ترك الفعل اشد فى ان يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام للبخل كفر والكافر فى النار فتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على ان حرمان المسكين صفة الكفرة كما فى قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلا يلزم ان يكون الكفار مخاطبين به بالفروع وفى عين المعانى وبه تعلق الشافعى فى خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لان توجيه الخطاب بالامر ولا امر ههنا على انه ذكر الايمان مقدما وبه نقول انتهى وقال ابن الشيخ فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة

والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لا على معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الادآء فيهم لان مدار اهلية الادآء هو استحقاق الثواب بالادآء ولا ثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لاتستلزم اهلية الادآء كما تقرر فى الاصول انتهى والحاصل ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة لاغير وعن ابى الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الآخر بالاطعام والحض عليه * جوى بازدارد بلاى درشت * عصابى شنيدى كه عوجى بكشت * كسى نيك بيند بهرد وسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (فليس له اليوم) وهو يوم القيامة (ههنا) اى فى هذا المكان وهو مكان الاخذ والغل (حميم) اى قريب نسبا اوودا يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحاملونه ويفرون منه كقوله ولايسأل حميم حميما وقال فى عين المعانى قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشانى لاستيحاشه من نفسه فكيف لايستوحش غيره منه وهو من تتمة مايقال للزبانية فى حقه اعلاما بانه محروم من الرحمة وحثا لهم على بطشه (ولا طعام الا من غسلين) قال فى القاموس الغسلين بالكسر مايغسل من الثوب ونحوه كالغسالة ومايسيل من جلود اهل النار والشديد الحر وشجر فى النار انتهى والمعنى ولا طعام الا من غسالة اهل النار ومايسيل من ابدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه ورميى كه ازتنهاء ايشان مى رود روى انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيء وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام الا من ضريع فى الغاشية وهو فعلين من الغسل فالياء والنون زائدتان وفى الكواشى اونونه غير زائدة وهو شجر فى النار وهو من اخبث طعامهم والظاهر ان الاستثناء متصل بجعل الطعام شاملا للشراب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى فانهم فسروه بمن لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا كان اومشروبا (لا يأكله الا الخاطئون) صفة غسلين والتعبير بالاكل باعتبار ذكر الطعام اى لا يأكل ذلك الغسلين الا الآثمون اصحاب الخطايا وهم المشركون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله من خطئ الرجل من باب علم اذا تعمد الخطأ اى الذنب فالخاطئ هو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ هو الذى يفعله غير متعمد اى يريد الصواب فيصير الى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطئ وقد يصيب وفى عين المعانى الخاطئون طريق التوحيد وفى التأويلات النجمية ولا يحض مساكين الاعضاء والجوارح بالاعمال الصالحات والاقوال الصادقات والاحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لان المؤنس ليس الا الاعمال والاحوال ولا طعام لنفسه الميتة المشومة الا غسالة اعماله وافعاله القبيحة الشنيعة لا يأكله الا المتجاوزون عن اعمال الروح والقلب القاصدون مراضى النفس والهوى متبعون للشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية (فلا اقسم) اى فاقسم على ان لا مزيدة للتأكيد واما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله بما الخ وقال بعضهم هو جملتان والتقدير وما قاله المكذبون فلا يصح اذ هو قول باطل ثم قال اقسم (بما تبصرون وما لا تبصرون) قسم عظيم لانه قسم بالاشياء كلها على سبيل الشمول والاحاطة لانها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما يكون لا تقابان يكون مقسما به اذ من الاشياء ما لا يليق بان يكون مقسما به واليه الاشارة بقول القاشانى اى الوجود كله ظاهرا وباطنا وبقول ابن عطاء آثار القدرة واسرارها وبقول الشيخ نجم الدين بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بابصار الظواهر وما لا تبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعنى بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين اى بما اظهر الله لملائكته والقلم واللوح وبما اختزن فى علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وما اظهر الله للخلق من صفاته واراهم من صنعه وابدى لهم من علمه فى جنب ما اختزن عنهم الا كذرة فى جنب الدنيا والاخرة ولو اظهر الله ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلا عن حمله وقال الشيخ ابو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب اذا كان العبد من اهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وابصر ما عمى عنه سواه كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون

ومالا تبصرون (انه) اى القرءآن (لقول رسول) وقوله قول الحق كما قال وما ينطق عن الهوى وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وفى كشف الاسرار اضاف القول اليه لانه لما قال قول رسول اقتضى مرسلا وكان معلوما ان ما يقرؤه كلام مرسله وانما هو مبلغه فالاضافة الاختصاصية الى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ ليس الا اذ شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتى القول فى القرءآن والمراد به القرآءة قال الله تعالى حتى تعلموا ما تقولون اى ما تقرؤن فى صلاتكم (كريم) على الله تعالى يعنى بزركوار نزد خداى تعالى وهو النبى عليه السلام ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل اى هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون انه شاعر او كاهن فالمقصود حينئذ اثبات حقية القرءآن وانه من عند الله والحاصل ان القرءآن كلام الله حقيقة اظهره فى اللوح المحفوظ وكلام جبريل ايضا من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين ايضا من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قال الكاشفى) چنانچه ابوجهل ميكويد وسبق معنى الشعر فى يس (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون بالقرءآن وكونه كلام الله اوبالرسول وكونه مرسلا من الله والمراد بالقلة النفى اى لا تؤمنون اصلا كقولك لمن لا يزورك فلما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا يقول الفقير يجوز عندى ان تكون قلة الايمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى ان القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة اخرى (قال الكاشفى) چنانچه عقبة بن ابى معيط كمان ميبرد كرر القول مبالغة فى ابطال اقاويلهم الكاذبة على القرءآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذى يخبر عن الكوآئن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفى كشف الاسرار الكاهن هو الذى يزعم ان له خدما من الجن يأتونه بضرب من الوحى وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام لان الجن حجبوا ومنعوا من الاستماع انتهى وقال الراغب فى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى وفى شرح المشارق لابن الملك العراف من يخبر بما اخفى من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون فى المستقبل وفى الصحاح العراف الكاهن (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون اى لا تتفكرون اصلا (قال الكاشفى) اندكى پند ميكيريد يعنى پند كيرنمى شويد وفى كشف الاسرار اندك پندى پذيريد ودرى بايد وفى تاج المصادر التذكر يادكردن وبايادآوردن وپندكرفتن ومذكر شدن كلمة كه مؤنث بود وقال بعضهم المراد من الايمان القليل ايمانهم واستيقانهم بانفسهم وقد جحدوا بالسنتهم لا معنى النفى وقال بعضهم ان كان المراد منه الايمان الشرعى فالتقليل للنفى وان كان اللغوى فالتقليل على حاله لانهم كانوا يصدقون ببعض احكام القرءآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرءآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الايمان فلذلك ويخوا عليه ويعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلام ومعانى القرءآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوآئع والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا ويأخذ جعلا على ذلك ويقتصر على من يسأله وليس واحدا منها من دأبه عليه السلام والحاصل ان الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين فانهم لا ينزلون شيأ فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى ما يلقيه عليه السلام منافية لمعانى اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معانى قوله عليه السلام فلو تذكر اهل مكة معانى القرءآن ومعانى اقوال الكهنة لما قالوا بانه كاهن وفى برهان القرءآن خص ذكر الشعر بقوله

ما تؤمنون لان من قال القرءآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرءآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه فان الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقوله ما تذكرون لان من ذهب الى ان القرءآن كهانة وان محمدا عليه السلام كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فانه اسجاع لا معانى تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون فى كلامهم ذكر الله انتهى قال المولى ابو السعود فى الارشاد وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا انتهى اى فتعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه ان الانابة شرط للتذكر كما قال تعالى وما يتذكر الا من ينيب والكافر ليس من اهل الانابة وايضا ما يذكر الا اولوا الالباب اى اولوا العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من اهل التذكر ولا شك ان كون الشئ امرا بينا لا ينافى التذكر الا ترى الى قوله تعالى ءاله مع الله قليلا ما تذكرون مع ان شواهد الالوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على انه يظهر من تقريراتهم انه لا بد من التذكر فى نفى الكهانة لخفاء امرها فى الجملة بالنسبة الى الشعر والعلم عند الله العلام (تنزيل) اى هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل تربية للسعدآء وتبشيرا لهم وانذارا للاشقياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى ومبشرا ونذيرا (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) كما يتقوله الشعرآء اى ولو ادعى محمد علينا شيأ لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون وفى ذكر البعض اشارة الى ان القليل كاف فى المؤاخذة الاتية فضلا عن الكثير سمى الافترآء تقولا وهو بناء التكلف لانه قول متكلف كما قال صاحب الكشاف التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل وسميت الاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها لان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور وغرآئبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه وكان الاقاويل جمع اقوولة من القول وان لم يثبت عن نقلة اللغة ولم يكن اقوولة مستعملا لكن كونه على صورة جمع افعولة كاف فى التحقير ويؤيد انه ليس جمع الاقوال لزوم ان لا يعاقب بما دون ثلاثة اقوال فالاقاويل ههنا بمعنى الاقوال لا انه جمعه وفى حواشى ابن الشيخ الظاهر ان الاقاويل جمع اقوال جمع قول كاناعيم جمع انعام جمع نعم (لاخذنا منه) حال من قوله (باليمين) اى بيمينه وقال سعدى المفتى هو من باب الم نشرح لك فى التفصيل بعد الاجمال (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وفى المفردات الوتين عرق يسقى الكبد اذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لاهلكناه او لضربنا عنقه لانه تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فانه اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف اى يواجهه وهو اشد من المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفى المفردات لاخذنا منه باليمين اى منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالاخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على ان الباء صلة اى زائدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او ذكر الملزوم وارادة اللازم (فما منكم) ايها الناس (من احد عنه) اى عن القتل او المقتول وهو متعلق بقوله (حاجزين) دافعين وهو وصف لاحد فانه عام لوقوعه فى سياق النفى كما فى قوله عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد اسود الرأس غيرنا فمن احد فى موضع الرفع بالابتدآء ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول او عن قتله واهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين اى لا يقدر على الحجز والدفع وهذا مبنى على اصل بنى تميم فانهم لا يعملون ما لدخولها على القبيلتين وقد يجعل حاجزين خبر الما على اللغة الحجازية ولعله اولى فتكون كلمة ما هى المشبهة بليس فمن احد اسم ما وحاجزين منصوب على انه خبرها ومنكم حال مقدم وكان فى الاصل صفة لاحد وفى الاية تنبيه على ان النبى عليه السلام لو قال من عند نفسه شيأ او زاد او نقص حرفا واحدا على ما اوحى اليه لعاقبه الله وهو اكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شئ من كتاب الله او قال شيأ من ذات نفسه كما ضل بذلك بعض الفرق الضالة (وانه) اى القرءآن (لتذكرة) موعظة وبالفارسية پنديست (للمتقين) لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرءآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال الى الدنيا وغلبه حبها

فانه يكذب به ولا ينتفع وفى تاج المصادر التذكير والتذكرة بياددادن وحرف وامذكر كردن ومنه الحديث
فذكروه اى فاجلوه لان فى تذكير الشئ اجلالا له (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) اى ان منكم ايها الناس مكذبين
بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ما اشد هذه الآية على هذه الامة وفيه اشارة الى مكذبى
الالهام ايضا فانهم ملتصقون بمكذبى الوحى لان الكل من عند الله لكن اهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالاعمى
فكيف يقرون (وانه) اى القرآن (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على الكافرين) المكذبين له عند مشاهدتهم
لثواب المؤمنين المصدقين به وفى الدنيا ايضا اذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز ان يرجع الضمير الى التكذيب
المدلول عليه بقوله مكذبين (وانه) اى القرآن (لحق اليقين) اى اليقين الذى لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان
بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى
لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الراغب فى المفردات اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية
واخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور فى غير هذا الكتاب انتهى وقد سبق الفرق
من شرح النصوص فى آخر سورة الواقعة فارجع وقال الامام معناه انه حق يقين اى حق لا بطلان فيه ويقين
لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الاخر للتأكيد وقال الزمخشرى لليقين حق اليقين كقولك هو العالم
حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى محض اليقين وصرف اليقين كقولك
هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شئ آخر وقال الجنيد قدس سره حق
اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهو ان يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم
على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما اخبر الصديق الاكبر فى مشاهدة النبى عليه السلام حين سأله ماذا ابقيت
لنفسك قال الله ورسوله فاخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ما سوى الله وقوته على الصدق معه ولم يسأله
النبى عليه السلام عن كيفية ما اشار اليه لما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة
كيف اصبحت قال اصبحت مؤمنا حقا فاخبر عن حقيقة ايمانه فسأله عليه السلام عن ذلك لما كان يجد
فى نفسه من عظم دعواه ثم لما اخبر لم يحكم له بذلك فقال عرفت فالزم اى عرفت الطريق الى حقيقة الايمان
فالزم الطريق حتى تبلغ اليه وكان يرى حال ابى بكر رضى الله عنه مستورا من غير استخبار عنه ولا استكشاف
لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب
العزة باليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اى فسبح الله بذكر اسمه العظيم بان تقول سبحان الله تنزيها له عن الرضى
بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك فمفعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط
فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل ان يكون صفة ربك ويؤيده
ما روى ان رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الاية اجعلوها فى ركوعكم فالتزم ذلك جماعة من العلماء كما
فى فتح الرحمن وقال فى التأويلات النجمية نزه وقدس تنزيها فى عين التشبيه اسم ربك اى مسمى ربك اذ الاسم عين
المسمى عند ارباب الحق واهل الذوق وقال القاشانى نزه الله وبرده عن شوب الغير بذلك الذى هو اسمه الاعظم
الحاوى للاسماء كلها بان لا يظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فتحجب برؤية الاثنينية او الاثانية
والا كنت مشبها لا مسبحا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد
القرآن قلت فى نفسى لفتى شاعر كما يقول قريش حتى بلغ الى قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا
ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ثم مر حتى انتهى الى آخر السورة فادخل الله
فى قلبى الاسلام

تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى فى السابع عشر من شهر رمضان من شهور ست عشرة ومائة والف

سورة المعارج اربع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سأل سائل بعذاب واقع) من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى
يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل لا محالة سواء طلبه

او لم يطلبه اى استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة فى لسان العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعدية سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير فانه نظير دعا وهو يتعدى بالباء لا من قبيل التعدية بالتضمين بان ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كما زعمه صاحب الكشاف لان فائدة التضمين على ما صرح به ذلك الفاضل فى تفسير سورة النحل اعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة فى الجمع بين معنى سأل ودعا لان احدهما يغنى عن الآخر والمراد بهذا السائل على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره الجمهور هو النضر بن الحرث من بنى عبد الدار حيث قال انكارا واستهزآء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وصيغة الماضى وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية انه قال لرجل من اهل سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له وقيل السائل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وسأل ان يأخذهم الله اخذ شديدا ويجعله سنين كسنى يوسف وقيل ان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لان الكفرة كانوا يسألون النبى عليه السلام واصحابه انكارا واستهزآء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا اى فاسأل عنه لان الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة اى عذابا واقعا كقولك سألته الشئ وسألته عن الشئ (للكافرين) اى عليهم فاللام بمعنى على كما فى قوله تعالى وان اسأتم فلها اى فعليها او بهم فاللام بمعنى الباء على ما ذهب بعضهم فى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اى بان يعبدوا الله او على معناه اى نازل لاجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف اهل الامل والظن الكاذب الذين يظنون انهم يتركون فى قبائح اعمالهم وهم لا يعذبون (ليس له) اى لذلك العذاب (دافع من الله) اى من جهته تعالى اذ احياء وقته واوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) صفة لله لانه من الاسماء المضافة مثل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود قال الراغب العروج ذهاب فى صعود والمعارج المصاعد ومعنى ذى المعارج بالفارسية خداوند درجها بلنداست والمراد الافلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهى السموات السبع والكرسى والعرش (تعرج الملائكة) المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لان من الملائكة من لا ينزل من السماء اصلا ومنهم من لا يعرج من الارض قطعا (والروح) اى جبريل افرده بالذكر تمييزه وفضله كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فقد ذكر مع نزولهم فى آية وعروجهم فى اخرى (اليه) اى يعرجون من مسقط الامر الى عرشه والى حيث تهبط منه اوامره كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى بالذهاب اليه فجعل عروجهم الى العرش عروجا الى الرب لان العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الاحكام والى حيث شاء الله تعالى تهبط بها الملائكة باعمال بنى آدم الى الله تعالى والروح اليها ناظر فى ذلك المشهد (فى يوم) متعلق بتعرج كالى (كان مقداره خمسين الف سنة) مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله خمسين خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والاصل كمقدار مدة خمسين الف سنة واعلم ان تحقيق هذه الآية يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان البروج اثنا عشر على ما افاده هذا البيت وهو قوله حون حمل حون ثور وجون جوزا وسرطان واسد * سنبله ميزان وعقرب قوس وجدى ودلو وحوت * وكان مبدأ الدورة العرشية من الميزان ومنه الى الحوت اوجد الله فيه الارواح السماوية والصور الاصلية الكلية المتعينة فى جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت احد وعشرون الف سنة ومن الحمل الى برج السنبلة فى الحكم خمسون الف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهى جمعة من جمع

الآخرة في اول هذه الدورة التي هي هذه السنبلة بموجب الامر الالهي الموحى به هنالك ظهر النوع الانساني وبعث نبينا عليه السلام في الالف الآخر من السبعة في الاجزاء البرزخية الجامعة بين احكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فلما تم دور البروج الاثني عشر ينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فاخذنا كلية الالف الاول في الدولة المحمدية والكلية الاخرى للآخرة وللحشر اي اخذنا النصف الاول من الف الميزان الثاني لهذه النشأة والنصف الاخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الاخبار في قيام الساعة وامتدادها الى خمسمائة سنة بعد الالف وهي النصف الاول من الالف الثاني من الميزان الثاني ولم يتجاوز حد الدنيا عنه خمسمائة [illegible] الشريعة فبعث النبي عليه السلام في زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذي هو اول النهار المشروع ومنه الى طلوع الشمس نظير الزمان الذي هو من المبعث الى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيئا بعد شيء كذلك ظهور احكام الآخرة من حين المبعث يزداد الى زمان طلوع الشمس من مغربها كما اشار عليه السلام اليه بقوله بعثت انا والساعة كهاتين وهاتان فبقوله لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع اهله بعده وكذا يسمع جمهور الناس في آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ما ورد في الاخبار الصحيحة فاليوم مراتب فالمتكلم فيوم كالآن وهو ادنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار اليه بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فسمى الزمن الفرد يوما لان الشأن يحدث فيه وهو اصغر الازمان وادقها والساري في كل الادوار سريان المطلق في المقيد ويوم كالف سنة وهو اليوم الالهي ويوم الآخرة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة وكما قال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ويوم كخمسين الف سنة والى ما لا يتناهى كيوم اهل الجنة فلا حد لاكبر الايام يوقف عنده فهذا اليوم الذي كان مقداره خمسين الف سنة هو يوم المعراج ويوم القيامة ايضا. در فتوحات آورده كه هر اسمى را از اسماء الهيه روزيست خاص كه تعلق بدو دارد ودر قرآن در روز از ايام مذكور ست يوم الرب كه هزار سالست ويوم ذي المعارج كه پنجاه هزار سالست. وكل الف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لاهل الدنيا بتبديل الاحكام والشرائع وانواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالانسان وكل خمسين الف سنة دورة الهية تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم واهله وكان عروج الملائكة من الارض الى السماء ونزولهم من السماء الى الارض لاجراء احكام الله وانفاذ امره في مدة البروج الستة الاخر التي هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وهي خمسون الف سنة كما سبق وعند العارف من يطلق على نزول الملائكة العروج ايضا وان كانت حقيقة العروج انما هي لطالب العلو وذلك لان لله تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائما الى الحق لعدم تحيزه وكل ما كان اليه فهو عروج وان كان في السفلية لانه هو العلي الاعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت اجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التي اعطاها الله لها فالملائكة اذا نزلت نزلت بجناحيها واذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم اي يقع في اليوم الطويل الذي هو يوم القيامة لاجراء احكام الله على ما شاء وانفاذ امره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم اي مرة ثانية ليشتد حرها فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له اي الصفائح الى نار جهنم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة اي ان لم يكن له ذنب سواه او كان ولكن الله عفا عنه واما الى النار اي ان كان على خلاف ذلك رواه مسلم وروى ان القيامة خمسين موقفا يسئل العبد في كل منها عن امر من امور الدين فان لم يقدر على الجواب وقف في كل موقف بمقدار اليوم الالهي الذي هو الف سنة ثم لا ينتهي اليوم الى ليل اي يكون وقت لاهل الجنة كالنهار ابدا ويكون زمان اهل النار كالليل ابدا اذ كما لا ظلمة لاهل النور كذلك لا نور لاهل الظلمة وفيه تذكير لعاقل على ان يوم القيامة اذا كان امده مقدار خمسين الف سنة فالاغلب آخره ثم هذا الطول في حق الكافر والعاصي لا المؤمن والمطيع لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه

انه قيل لرسول الله عليه السلام ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وفى التمثيل بالصلاة اشارة الى وجه آخر لسر العدد وهو ان الكافر اضاع الصلاة وهى فى الاصل خمسون صلاة فكانه عذب بكل واحدة منها الف سنة ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى العرش ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان المراد بيان طول اليوم وعروج الملائكة ونزولهم فى مثل هذا اليوم الى العرش ومنه لتلقى امره وتبليغه الى محله مرارا وكرارا لا بيان طول المعارج لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف الى العرش اى بالنظر الظاهرى والا فهى ازيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما ستجيء الاشارة اليه وقول من قال جعل ما بين الكرسى والعرش كما بين غيرهما غير موجه لما فى الحديث الصحيح ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض فيكون بين الكرسى الذى هو سقف الجنة وبين العرش الذى هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة اولها من ارض الكرسى الى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين الف سنة تأمل تعرف ان كلامه ليس بصحيح من وجوه الاول ان المراد فى هذا المقام بيان الطول من اسفل العالم الى اعلاه وانه مقدار خمسين الف سنة لا من سقف الجنة الى سقفها لانه على ما ذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار بالنظر الى اسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود والثانى ان مراد النبى عليه السلام من التمثيل بما بين السماء والارض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه الا الله كما يقتضيه المقام والثالث ان الحديث الذى اورده لا يدل على ان نهاية الدرجة الاخيرة من تلك الدرجات منتهية الى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز ان يكون المقدار ازيد مما ذكره لان طبقات المجاهدين متفاوتة على ان سقف الجنة وان كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهى التى ينتهى دونها عالم التركيب وهى موضع قدم النبى عليه السلام ليلة المعراج وما بين اسفل الجنة من محدب الكرسى الى اعلاها من تلك الذروة التى هى محدب العرش لا حد له يعرف على ما سيجيء فى سورة الاعلى ان شاء الله تعالى فاذا تحققت هذا البيان الشافى فى الآية الكريمة وهو الذى اشار اليه الحكماء الالهية فدع عنك القيل والقال الذى قرره اهل المراء والجدال فانه ان قوله فى يوم بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا انتهى وفيه ان كونه محمولا على التمثيل انما يظهر اذا فسرت المعارج بغير السموات وهو خلاف المقصود ومنه ان معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم من ايام الدنيا ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكر يكى از بنى آدم خواهد كه سير كند از دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكه است وايشان بيكروز ميروند او بدين مقدار بسال تواند رفت انتهى وفيه ان سير الملائكة لحظى فيصلون من اعلى الاوج الى اسفل الحضيض فى آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم فى العرف غير واضح ومنه ان اليوم فى الآية عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون الف سنة لا يدرى احدكم مضى وكم بقى الا الله تعالى انتهى وفيه ان ايام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على اهل الاخبار وعندى انها ثلثمائة وستون الف سنة بمقدار ايام السنة دل عليه قولهم ان عمر الانسان جمعة من جمع الآخرة وقد اسلفناه فى موضعه ومنه ان المراد باليوم هو يوم من ايام الدنيا يعرج فيه الامر من منتهى اسفل الارضين الى منتهى اعلى السموات ومقدار ذلك اليوم خمسون الف سنة واما اليوم الذى مقداره الف سنة كما فى سورة الم السجدة فباعتبار نزول الامر من السماء الى الارض وباعتبار عروجه من الارض الى السماء فالنزول خمسمائة وكذا الصعود والمجموع الف وفيه انه زاد فى الطنبور نغمة اخرى حيث اعتبر العروج من اسفل الارضين ليطول المسافة وظاهر انه لا يتم المقصود بذلك ومنه ان المراد تصعد الحفظة باعمال بنى آدم كل يوم الى محل قربته وكرامته وهو السماء فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من سنى الدنيا لو خفف فيه غير الملك لان الملك يصعد من منتهى امر الله من اسفل السفل الى منتهى امره من فوق السماء

السابعة فى يوم واحد ولو صعد فيه بنو آدم لصعدوا فى خمسين الف سنة انتهى وفيه ما فى السابق من تقدير اليوم فى حق الملائكة مع ان قصر للصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لانه شأن الملائكة الحفظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه ان قوله فى يوم متعلق بواقع على ان يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنى الدنيا فتكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى وفيه انه من ضيق العطن لانه لا مانع من ارادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج ايضا على ما عرف من تقديرنا السابق فان قلت لما ذا وصف الله ذاته فى مثل هذا المقام بذى المعارج قلت للتنبيه على ان عروج الملائكة على مصاعد الافلاك ونزولهم منها انما هو للامر الالهى كما قال تعالى يتنزل الامر بينهن ومن امره ايصال اللطف الى اوليائه وارسال القهر على اعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للامم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدى الى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ما تيسر لى فى هذا المقام والعلم عند الله العلام وفى التأويلات النجمية فى ذى المعارج اى يصعد بتعذيب اهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعدا فوق مصعد من معرج نفوسهم الى معرج قلوبهم ومنه الى معرج سرهم ومنه الى معرج روحهم يعذبهم فى كل مرتبة عذابا اشد من الاول وفى قوله تعالى تعرج الخ اى تعرج الخواطر الروحانية خصوصا خاطر جبريل الروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من ايام الله وهى ايام السماء التى تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم قال القاشانى فى ذى المعارج اى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ما اشار اليه اهل السلوك من منازل اليقين ومناهل القلب فى مراتب الفناء فى الافعال والصفات الى الفناء فى الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازاء كل صفة مصعدا بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء فى الصفات تعرج الملائكة من القوى الارضية والسمائية فى وجود الانسان والروح الانسانى الى حضرته الذاتية الجامعة فى القيامة الكبرى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو يوم من ايام الله العلى بالذات ذى المعارج العلى وهى الايام الستة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد واما اليوم المقدر بالف سنة فى قوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فهو يوم من ايام الرب المدبر الذى وقت به العذاب وانجاز الوعد فى قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده والتدبير فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وذلك اليوم هو اليوم الاخير من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم صلى الله عليه وسلم والذى قال فيه ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم مع قوله بعثت انا والساعة كهاتين فهذا يوم من ايام الربوبية والتدبير واما اليوم الذى هو من ايام الالوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية باسماء الله الغير المتناهية التى تتدرج معها لاتساعها فى الاسماء السبعة وهى الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد من اخواته الى انتهائها بالتجلى الذاتى وكما ان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى الحاصل من ضرب ايام الدنيا فى عدد اسماء الربوبية وهى تسع واربعون سنة وآخره اول الخمسين الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيامة الكبرى (فاصبر) يا محمد (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فان العذاب يقع فى هذه المدة المتطاولة التى تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو الجامل فى الظاهر وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة (انهم) اى اهل مكة (يرونه) اى العذاب الواقع اى يزعمونه فى رأيهم (بعيدا) اى يستبعدونه بطريق الاحالة كما كانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا الآية من يحيى العظام وهى رميم فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم اياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد ردا لوقوعه وامكانه (ونراه) اى فعله (قريبا) لعلمنا باستحقاقهم اياه بحسب استعدادهم اى هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الامكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله انهم يرون المقضى عليهم من الموت والبعث والحساب

بعيد البعد آمالهم وزاده قربا فان كل كائن قريب والبعيد ما لا يكون وفى الحديث ما الدنيا فيما مضى وما بقى الا كتوب شق باثنين وبقى خيط واحد الا وكان ذلك الخيط قد انقطع قال الشاعر

هل الدنيا وما فيها جميعا * سوى ظل يزول مع النهار

ماهمچو مسافريم در دور بردرخت * چون سايه برفت زود بردار درخت

ومن عجب الايام انك قاعد * على الارض فى الدنيا وانت تسير

فسبحان هذا الحكيم سخينة * يقوم قعود والثواب تطير

(يوم تكون السماء كالمهل) وهو ههنا خبث الحديد وخثره مما يذاب على مهل وتدرج ها وردى از زيت لسيلانه على مهل لغلظته وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها او كالقير والقطران فى سوادها فيوم متعلق بقريبا اى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم اى يظهر امكانه والاقتضى الامكان لاختصاصه بوقت او متعلق بمحضر مؤخرا اى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف (وتكون الجبال كالعهن) العهن الصوف المصبوغ قال تعالى كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر فى قوله تعالى فكانت وردة كالدهان والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح قال فى كشف الاسرار اول ما تتغير الجبال تصير رملا سهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسأل حميم حميما) اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك واذا كان الحال بين الاقارب هكذا فكيف يكون بين الاجانب والتنكير للتعميم (يبصرونهم) استئناف كانه قيل لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقيل يبصرونهم والضمير الاول للحميم الاول والثانى للثانى وجمع الضمير ين لعموم الحميم لكل حميمين اثنين قال فى تاج المصادر التبصير بينا كردن والتعريف والايضاح ويعدى الى المفعول الثانى بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى يعنى عدى يبصرونهم بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار واذا فسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيدا وما فى الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعنى بينا كرده شوند ايشان بخويشان خود فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل الاشتغالهم بحال انفسهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه واقرباءه وعشيرته ولكن لا يسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما يتعارفون ساعة ثم يتناكرون (يود المجرم) اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب (لو) بمعنى التمنى فهو حكاية لوداداتهم (يفتدى) فداد هد وهو حفظ الانسان عن النائبة بما يبذل عنه (من عذاب يومئذ) اى من العذاب الذى ابتلوا به يوم اذ كان الامر ما ذكر وهو بكسر الميم لاضافة العذاب اليه وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه) اصله بنين سقطت نونه بالاضافة وجمعه لان كثرتهم محبوبة مرغوب فيها (وصاحبته) زوجته التى يصاحبها (واخيه) الذى كان ظهيرا له ومعينا والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه ويجعله فداء لنفسه حتى يخلو هو من العذاب فضلا عن ان يهتم بحاله ويسأل عنها كانه قيل كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ (وفصيلته) وهى فى الاصل القطعة المنفصلة من الجسد وتطلق على الآباء الاقربين وعلى الاولاد لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هو الاباء الاقربون والعشيرة الادنون لقوله وبنيه (التى تؤويه) أوى الى كذا انضم اليه وآواه غيره كما قال تعالى آوى اليه اخاه اى ضمه الى نفسه بمعنى تؤويه اضمه اليها فى النسب او عند الشدائد فيلوذ بها وبالفارسية وخويشان خود را كه بناى اده اند اذا دوا (فى الارض جميعا) من الثقلين او الخلائق ومن للتبعيض (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده ويبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه وفيه اشارة الى عجز الروح المتصبح بصبغة النفس فانه يود ان يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب بجنى القلب وصفاته وصاحبة نفسه واخى سره وفصيلته

اى توابعه وشيعته ومن فى ارض بشريته جميعا من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتداء
لا ينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت (كلا) ردع للمجرم عن الوداده وتصريح بامتناع انجاء الافتداء
اى لا يكون كما يتمنى فانه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الاجرام استحق العذاب فلا ينجو منه وفى الحديث يقول
الله لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك ما فى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت
منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى وعن القرطبى ان كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقا
وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثانى يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه ويكون كلا من الجملة الثانية التى
تليه والمحققون على الاول ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الوقف المطلق على كلا (انها) اى النار المدلول
عليها بذكر العذاب والمراد جهنم (لظى) وهو علم للنار وللدرك الثانى منها منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص
الذى لا يخالطه دخان فيكون فى غاية الاحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر ان بمعنى مسماة بهذا
الاسم ويجوز ان يراد اللهب الخالص على الاصل فيكون خبرا بلا تأويل (كما قال الكاشفى) بدرستى كه آتش
دوزخ كه مجرم ازوفتاد هدزبانه ايست خالص (وفى كشف الاسرار) آن آتشى است زبانه زن (نزاعة
للشوى) نزع الشئ جذبه من مقره وقلعه والشوى الاطراف اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل
ونزاعة على الاختصاص للتهويل اى اعنى بلظى جذابة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد وقلاعة لها بقوة
الاحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس يعنى ان النار تنزع
جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لانهم كانوا يسعون بالاطراف للاذى والجفاء ويصرفون عن الحق الاعضاء
الرئيسة التى تشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذى كانوا لا يعقلون به فى الرأس (تدعو من ادبر) اى عن الحق
ومعرفته وهو مقابل اقبل ومعنى تدعو تجذب الى نفسها وتحضرفهو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم
فتحضرهم (قال الكاشفى) زبانه ميزند وكافر رابخود ميكشد ازصد ساله ودو يست ساله راه چنانچه مقناطيس
آهن راجذب ميكند * وتقول لهم الى الى يا كافر ويا منافق ويا زنديق فانى مستقرك اوتدعو الكافرين
والمنافقين بلفظ فصيح باسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب ويجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه
فى جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه فى الشجرة اوتدعو زبانيتها على حذف المضاف اوعلى الاسناد
المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعو اليه (وتولى) اى اعرض عن الطاعة لان من اعرض يولى وجهه
وفى التأويلات النجمية من ادبر عن التوجه الى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن
الاقبال على الآخرة والادبار عن الدنيا وقال القاشانى بمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها اذا الجنس الى الجنس
يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل
بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية
واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء
منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد (وجمع) المال حرصا وحبا للدنيا (فاوعى) فجعله فى وعاء
وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول امله وانعدام
شفقته على عباد الله والا ما ادخر بل بذل وفى جمع الجمع مع الادبار والتولى تنبيه على قباحة البخل وخساسة
البخيل وعلى انه لا يليق بالمؤمن وفى الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج بين يدى الله وهو بالفارسية برء
فيقول له اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته اكثر ما كان فارجعنى
آتك به كله فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وفى الخبر بصق عليه السلام يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه
فقال يقول الله لابن آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين
وللارض منك وئيد يعنى زمين راازتو آوازشديد بود بجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق
وأنى اوان الصدقة وفى التأويلات النجمية جمع الكمالات الانسانية من الاخلاق الروحانية والاوصاف
الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الارشاد والتعليم والتسليك
(ان الانسان) اى جنس الانسان (خلق) حال كونه (هلوعا) مبالغة هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند
مس المكروه بحيث لا يستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم

وقد فسره احسن تفسير على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (اذا) ظرف لجزوعا (مسه الشر) اى اصابه ووصل اليه الفقر او المرض او نحوهما (جزوعا) مبالغا فى الجزع مكثرا منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء الهلوع الذى عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفى الحديث شر ما اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع فالهالع المحزن يعنى اندوهكين كننده والخالع الذى يخلع قلبه قال بعض العارفين انما كرهت نفوس الخلق المرض لانه شاغل لهم عن اداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى اذ الروح الحيوانى حين يحس بالالم يغيب عن تدبير الجسد الذى يقوم بالتكليف وانما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ما خير نبى فى الموت الا اختاره (واذا) ظرف لمنوعا (مسه الخير) اى السعة او الصحة او غيرهما (منوعا) مبالغا فى المنع والامساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل فى الشح فان الغنى قد يعطى فى المرض ما لا يعطيه فى الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة افضل ودر لباب از مقاتل نقل ميكند كه هلوع جانوريست در پس كوه قاف كه هر روز هفت صحرا از كياه خالى ميكند يعنى همه حشايش اترا مى خورد و آب هفت دريا مى آشامد و در كرما و سرما صبر ندارد و هر شب در انديشهٔ آنست كه فردا چه خواهد خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى را در بى صبرى و انديشهٔ روزى بدين دابه تشبيه ميكند * جانور را كه بجز آدميست * معده چو پرشد سبب بى غميست * آدميست آنكه نه سيرى برد * بر سر سيرى غم روزى خورد * خورد همه عمر چه بيش وچه كم * روزئ هر روزه ز خوان كرم * وزره حرص وامل هم چنان * هيچ غمى نيست بجز فكر نان * والاوصاف الثلاثة وهى هلوعا وجزوعا ومنوعا احوال مقدرة لان المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو ما يدخل تحت التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها كما قال المتنبى الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم ولا يلزم ان لا تفارقه بالمعالجات المذكورة فى كتب الاخلاق فانها كبرودة الماء ليست من اللوازم المهيئة للوجود بل انما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها ايضا بالاسباب التى سببها اذا اراد فان قيل فيلزم ان يكون له هلع حين كان فى المهد صبيا قلنا نعم ولا محذور الا يرى انه كيف يسرع الى الثدى ويحرص على الرضاع ويبكى عند مس الالم ويمنع بما وسعه اذا تمسك بشئ فزوحم فيه قال الراغب فان قيل ما الحكمة فى خلق الانسان على مساوى الاخلاق قلنا الحكمة فى خلق الشهوة ان يمانع نفسه اذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى يعنى كما انه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وجعلت الدلالة الى الصراط السوى من الشارع قال بعض العارفين الشح فى الانسان امر جبلى لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لا غير فلذلك قال ومن يوق شح نفسه فاثبت الشح فى النفس الا ان العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ان الانسان خلق هلوعا الخ واصل ذلك كله ان الانسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لا على الافادة فلا تعطيه حقيقته ان يتصدق او يعطى احدا شيأ ولذلك ورد الصدقة برهان يعنى دليل ان هذا الانسان وقى بهذا شح النفس يقول الفقير وعليه المزاح المعروف وهو ان بعض العلماء وقع فى الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين يا سلطانى ناولنى يدك فقيل لا تقل هكذا فانه اعتاد الاخذ لا الاعطاء بل قل خذ بيدى وقال بعضهم الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلى فى الانبياء والجان وما كان من الجبلة فمحال ان يزول الا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع صلى الله عليه وسلم لهذه الامور مصارف فقال لا حسد الا فى اثنتين وامر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال ولا تقل لهما اف ثم مدح من قال اف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال ولا تخافوهم ثم قال وخافون فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالا محمودا وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك يقول الفقير ومنه يعلم صحة قول من قال ان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء على ما اسلفناه فى سورة يوسف والحاصل ان اصول الصفات باقية فى الكل لبقاء المحاربة مع النفس اذ لا يحصل الترقى الا بالمحاربة والترقى مستمر الى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء اصول الصفات فاصل النفس امارة لكن لا يظهر اثرها فى الكاملين كما يظهر فى الناقصين فاعلم ذلك قال القاشانى ان النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات

فمن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التي اوردناها بالجبن والبخل المشار اليهما بقوله واذا مسه الشر الخ لمحبة البدن ما يلائمه وتسببه فى شهواته ولذاته وانما كانا اردأ لجذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود وفى التأويلات النجمية يشير الى هلع الانسان المستعد لقبول الفيض الالهى ساعة فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه الى الكمال فانه لا يزال فى طريق السلوك يتعلق باسم من الاسماء الالهية ويتحقق به ويتخلق ثم يتوجه الى اسم آخر الى ان يستو فى سلوك جميع الاسماء اذا مسه الشر الفترة الواقعة فى الطريق يجزع ويضطرب ويتقلقل ولا يعلم ان هذه الفترة الواقعة فى طريقه سبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه واذا مسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه ويخل على طالبيه (الا المصلين) استثناء من الانسان لانه فى معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار اى ان المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها الا المصلين فانهم بدلوا تلك الطبائع واتصفوا باضدادها (الذين هم) تقديم هم يفيد تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل (على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على ادائها كما روى عن النبى عليه السلام انه قال افضل العمل ادومه وان قل وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام اول ما افترض الله على امتى الصلوات الخمس واول ما يرفع من اعمالها الصلوات الخمس واول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وانها آخر ما يجب عليه رعايته فانه يؤخر الصوم فى المرض دون الصلاة الا ان لا يقدر على التيمم والايماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال والذين هم على صلاتهم يحافظون وكان آخر ما اوصى به عليه السلام الصلاة وما ملكت ايمانكم وفى الآية اشارة الى صلاة النفس وهى التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهى التصفية عن الميل الى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهى التخلية عن الركون الى المقامات العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهى بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفى وهى بالفناء فى الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات (والذين) اى والا الذين (فى اموالهم حق معلوم) اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقة الموظفة (للسائل) اى للذى يسأل ومن كان له قوت يوم لا يحل له السؤال واما حكم الدافع له عالما بحاله فكان القياس ان يأثم لانه اعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا اثم فى الهبة للغنى وله ان يرده برد جميل مثل ان يقول آتاكم الله من فضله (والمحروم) الذى لا يسأل اما حياء او توكلا فيظن انه غنى فيحرم وفيه اشارة الى احوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغى ان يفيض عليه ويرشده الى طلب الحق والمحروم هو المرمى الساقط على ارض العجز بسبب الاهل والعيال والاشتغال باسبابهم فيسليهم ويطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه ويفيض عليهم من بركات انفاسه الشريفة لئلا يحرم عن كرم الله وفيضه (والذين يصدقون بيوم الدين) اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لا يؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالاحوال المذكورة قال القاشانى والذين يصدقون من اهل اليقين البرهانى او الاعتقاد الايمانى باحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجناية تعالى (قال الكاشفى) وعلامت ترس الهى اجتناب از ملاهى ومناهى است وقال الحسن يشفق المؤمن ان لا تقبل حسناته وتقديم من يحسن ان يكون للحصر امتثالا لامره تعالى فارهبون مع جواز ان يكون للتقوية (ان عذاب ربهم غير مأمون) كه عذاب خداوند ايشان نه آنست كه ازان ايمن باشند وهو اعتراض موذن بانه لا ينبغى لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لانه لا يعلم احد عاقبته قال القاشانى والذين هم الخ اى اهل الخوف من المبتدين فى مقام النفس الساترين عنه بنور القلب لا الواقفين معه او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب

من السالكين اوفى مقام المشاهدة من التلوين فانه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقية كما قال ان عذاب ربهم غير مأمون ومن العذاب اعجاب المرء بنفسه فانه من الموبقات الموقعات فى عذاب نار الحجاب وجحيم العذاب نسأل الله العافية (والذين هم لفروجهم) فرج الرجل والمرأة سوءتهما اى قبلهما عبر به عنهما رعاية للادب فى الكلام وادب المرء خير من ذهبه والجار متعلق بقوله (حافظون) من الزنى متعففون عن مباشرة الحرام فان حفظ الفرج كناية عن العفة (الا على) بمعنى من كما فى كتب النحو (ازواجهم) نساؤهم المنكوحات (او ما ملكت ايمانهم) من الجوارى فى اوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضى مدة الاستبراء عبر عنهن بما اجرى لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء اولانوثتهن المنبئة عن القصور وايراد ما ملكت الايمان يدل على ان المراد من الحافظين هنا الذكور وان كان الحفظ لازما للاناث ايضا بل اشد لانه لازم عليهن على عبيدهن وان كانوا مما ملكت ايمانهن ترجيحا لجانب الذكور فى صيانة عرضهم (فانهم) اى الحافظين (غير ملومين) على عدم حفظهم منهن اى غير معيبين شرعا فلا يؤاخذون بذلك فى الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاى سرزنش نيستند وفيه اشعار بان من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب (فمن ابتغى) پس هركه طلب كند براى نفس خود (وراء ذلك) الذى ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح اربع من الحرائر ولا حد لملك اليمين (فاولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله الكاملون فى العدوان المتناهون لانه من عدا عليه اذا تجاوز الحد فى الظلم ودخل فيه حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا روى ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية وفى الحديث ومن لم يستطع اى التزويج فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه عليه السلام ارشد عند العجز عن التزويج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل وقد اباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز وفى رواية الخلاصة الصائم اذا عالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته ارجو ان لا يكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم العادون اى الظالمون المتجاوزون من الحلال الى الحرام قال البغوى الآية دليل على ان الاستمناء باليد حرام قال ابن حريج سألت ابن عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون حبالى واظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال بعضهم نعم يباح عند ابى حنيفة واحمد اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضى حسين مع الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال ابو حنيفة احسبه ان يخور أسابر أس يقول الفقير من اضطر الى تسكين شهوته فعليه ان يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنى ونحوه والحق احق ان يتبع وهو العمل بالارشاد النبوى الذى هو الصوم فان اضطر فالعمل بما ذكرناه اولى واقرب من افعال اهل الورع والتقوى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشئ من حقوقها والامانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الانسان سواء كان من جهة البارى تعالى وهى امانات الدين التى هى الشرائع والاحكام او من جهة الخلق وهى الودائع ونحوها والجمع بالنظر الى اختلاف الانواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الانسان على نفسه لله او لعباده وهو يضاف الى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الاضافة الى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره الامانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشئ بحفظه واصلاحه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيانة عند الائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند الخاصمة من خصال المنافق اكرمى بايد از آتش امانت * فرومكذار قانون امانت * بهر عهدى كه مى بندى وفا كن * رسوم حق كزارى را ادا كن قال بعض الكبار كل من اتصف بالامانة وكتم الاسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب اهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالامانة كلام اعضائه له فى دار الدنيا لانها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يشهد الا عدل مرضى بلا شك وفى التأويلات

الجمعية يشير الى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وهى كمال المظهرية وتمام المضاهاة الالهية الى عهد ميثاق الست بربكم قالوا بلى ورعاية ذلك العهد ان لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم والذين هم لاماناتهم التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذى اخذ الله ميثاقه منهم فى الازل راعون بان لم ينسوا الفطرة بالغواشى الطبيعية والاهوآء النفسانية (والذين هم بشهاداتهم) الباء متعلق بقوله (قائمون) سواء كانت للتعدية او للملابسة والجمع باعتبار انواع الشهادة اى مقيمون لها بالعدل ومؤدونها فى وقتها احياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة ادآؤها عند الاحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف او وضيع قال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها الان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى كتمها وتركها تضييعها وابطالها وفى الاشباه اذا كان الحق يقوم بغيرها او كان القاضى فاسقا او كان يعلم انها لا تقبل جاز الكتمان وفى فتح الرحمن تحمل الشهادة فرض كفاية وادآؤها اذا تعين فرض عين ولا يحل اخذ اجرة عليها بالاتفاق فاذا طلبه المدعى وكان قريبا من القاضى لزمه المشى اليه وان كان بعيدا اكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لانه يلحقه الضرر وان كان الشاهد يقدر على المشى فاركبه المدعى من عنده لا تقبل شهادته وان كان لا يقدر فاركبه لا باس به ويقتصر فى المسلم على ظاهر عدالته عند ابى حنيفة رحمه الله الا فى الحدود والقصاص فان طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم فى جميع الحقوق سرا وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة ان لا اله الا الله فلا يشركون به فى شئ من الافعال والاقوال والاحوال وقال القاشانى فى الآية اى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير (والذين هم على صلاتهم يحافظون) تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم اى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتراف الذنوب فالدوام المذكور اولا يرجع الى نفس الصلوات والمحافظة الى احوالها وفى المفردات فيه تنبيه على انهم يحفظون الصلاة بمراعاة اوقاتها واركانها والقيام بها فى غاية ما يكون من الطوق فان الصلاة تحفظهم بالحفظ الذى نبه عليه فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى الحديث من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابى بن خلف وهو الذى ضربه النبى عليه السلام فى غزوة احد برمح فى عنقه فخات منه فى طريق مكة وكان اشد واطغى من ابى جهل دل عليه كونه مقتولا بيد النبى عليه السلام ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للادامة على ما هو الظاهر من قوله تعالى حافظوا على الصلوات فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة وللاشعار بان الصلاة اول ما يجب على العبد ادآؤه بعد الايمان وآخر ما يجب عليه رعايته بعده كما سبق وكيفيته اتدوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل والحاصل ان فى تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذانا بان كل واحد من تلك الصفات حقيق بان يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شئ منها تتمة للاخرى قال بعضهم دلت هذه الآية على ان التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتى بل هو اعتبارى اذ لا يخفى انه ليس المراد من الدآئمين طائفة والمحافظين اخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه فى عهد رسول الله من الاخلاق الحسنة والاعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجيء منهم الى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة قال فى برهان القرآن قوله الا المصلين عد عقيب ذكرهم الخصال المذكورة اول سورة المؤمنين وزاد فى هذه السورة والذين هم بشهاداتهم قائمون لانه وقع عقيب قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واقامة الشهادة امانة يؤديها اذا احتاج اليها صاحبها لاحياء حق فهى اذا من جملة الامانة فى سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت باعادة ذكر الصلاة حيث يقول والذين هم على صلاتهم يحافظون بعد قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دآئمون انتهى وقال القاشانى والذين هم على صلاة القلب وهى المراقبة يحافظون

اوصلاة النفس على الظاهر وفى فتح الرحمن واتفق القرآء على الافراد فى صلاتهم هنا وفى الانعام بخلاف الحرف المتقدم فى المؤمنين لانه لم يكتنفها فيهما ما اكتنفها فى المؤمنين قبل وبعد من تعظيم الوصف فى المتقدم وتعظيم الجزآء فى المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به اكثر القرآء ولم يكن ذلك فى غيرها فناسب الافراد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الفاضلة (فى جنات) اى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولايدرك كنهها (مكرمون) بالثواب الابدى والجزآء السرمدى اى سيكونون كذلك فكأن الاكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر اوهو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل اوبمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فى جنات (فمال الذين) اى فما بال الذين (كفروا) وحروا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للانكار فى موضع رفع بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه قال فى فتح الرحمن وقف ابو عمرو والكسائى بخلاف عنه على الالف دون اللام من قوله فمال هؤلاء فى النساء ومال هذا الكتاب فى الكهف ومال هذا الرسول فى الفرقان وقال الذين فى سأل ووقف الباقون فى قال على اللام اتباعا للخط بخلاف عن الكسائى قال ابن عطية ومنعه قوم جملة لانها حرف جر فهى بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس واما ان اختار احد الوقف فيما ذكرناه ابتداء فلا انتهى (قبلك) حال من المنوى فى الذين كفروا اى فما لهم ثابتين حولك (مهطعين) حال من المستكن فى قبلك من الاهطاع وهو الاسراع اى مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) الجار متعلق بعزين لانه بمعنى مفترقين وعزين حال بعد حال من المنوى فى الذين اى فرقا شتى وبالفارسية كروه كروه حلقه زدكان جمع عزة وهى الفرقة من الناس واصلها عزوة من العز وبمعنى الانتماء والانتساب كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى اما فى الولادة اوفى المظاهرة فهم مفترقون كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع) الطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة له واكثر الطمع من جهة الهوى (كل امرئ) هر مردى (منهم) اى من هؤلاء المهطعين (ان يدخل جنة نعيم) بالايمان اى جنة ليس فيها الا التنعم المحض من غير تكدر وتنغص (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ اى اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام وبالفارسيه نه اينچنين است وكافرانرا در بهشت راه نيست ان قيل كيف يكون الطمع وهم قالوا ذلك استهزآء اجيب بان الله عليم باحوالهم فلعل منهم من كان يطمع والافيكون المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه ايراد يدخل مجهولا من الادخال دون يدخل معلوما من الدخول مع انه الظاهر فى رد قولهم لندخلنها اشعار بانه لايدخل من يدخل الا بادخال الله وامره للملائكة به وبانهم محرومون من شفاعة تكون سببا للدخول وبان اسناد الدخول اخبارا وانشاء انما يكون للمرضى عنهم والمكرمين عند الله بايمانهم وطاعتهم كقوله تعالى اولئك يدخلون الجنة وقوله ادخلوا الجنة وفى تنكير جنة اشعار بانهم مردودون من كل جنة وان كانت الجنان كثيرة وفى توصيفها بنعيم اشعار بان كل جنة مملوءة بالنعمة وان من طرد عن راحة النعيم وقع فى كدر الجحيم وفى ايراد كل اشعار بان من آمن منهم بعد قولهم هذا واطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائنا من كان ممن لم يؤمن (انا خلقناهم مما يعلمون) كما قال ولقد علمتم النشأة الاولى وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجاوندى علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سبق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزآء واستهزآئهم برسول الله وبما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا اقسم وفى التأويلات النجمية انا خلقناهم من الشقاوة الازلية للعداوة الابدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من خلقهم من السعادة الازلية للمحبة الابدية باليد اليمنى الجمالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الالهية والارادة السرمدية ولاعبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وانما العبرة بالاصطفائية والخاصية فى المعرفة فمن عرف الله كان فى جوار الله لان ترابه من تراب الجنة

فى الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان فى بعد عنه لانه من عالم النار فى الحقيقة وكل يرجع الى اصله (فلا اقسم) اى اقسم كما سبق نظائره (وقال الكاشفى) فلا پس نه چنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم (برب المشارق والمغارب) جمع المشارق والمغارب امالان المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقا ومغربا (وبالفارسية) باآفريدكار مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطه ديكر طلوع ميفرمايد وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهر روز بنقطه ديكر غروب ميكند اومشرق كل كوكب ومغربه يعنى مراد مشارق ومغارب نجوم ست چه هريك ازايشان رامحل شروق وغروب از دائرة افق نقطه ديكرست * اوالمراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبى وبالمغرب موته اوالمراد انواع الهدايات والخذلانات (انا لقادرون) جواب القسم (على ان نبدل خيرا منهم) اى نبدلهم حذف المفعول الاول للعلم به وخيرا مفعوله الثانى بمعنى التفضيل على التسليم اذلا خير فى المشركين او نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين لبسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل واتما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكى يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعنى كسى برما پيشى نتواند كرفت اكر ارادة امرى كنيم ومغلوب نتوان ساخت دراظهار آن وقيل عاجزين لان من سبق الى شئ عجز (فذرهم) نخلهم وشأنهم (يخوضوا) ويشرعوا فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم وهو جواب الامر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله اعملوا ماشئتم (ويلعبوا) فى الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وانت مشتغل بما امرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف (حتى يلاقوا) من الملاقاة بمعنى المعاينة (يومهم) هو يوم البعث عند النفخة الثانية والاضافة لانه يوم كل الخلق وهم منهم اولان يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكانه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين (الذى يوعدون) الآن اوعلى الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوز ان يكون من الايعاد وهو بالفارسية بيم كردن (يوم يخرجون من الاجداث) بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر (سراعا) حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف اى مسرعين الى جانب الداعى وصوته وهو اسرافيل ينادى على الصخرة كما سبق (كانهم الى نصب) حال ثانية من المرفوع وهو كل ما نصب فعبد من دون الله وعن ابن عمر رضى الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها واحد الانصاب كما قال تعالى وما ذبح على النصب وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال الاخفش جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع (يوفضون) من الايفاض وهو بالفارسية شتافتن واصله متعد اى يسرعون اليهم يستلمه اولا وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم التى اعتادوها من الاسراع الى ما لا يملك نفعا ولا ضرا (خاشعة ابصارهم) حال من فاعل يوفضون وابصارهم فاعلها على الاسناد المجازى يعنى وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعون ما يتوقعون من العذاب (ترهقهم ذلة) هو ايضا حال من فاعل يوفضون اى تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونسارى (ذلك) اليوم المذكور الذى سيقع فيه الاحوال الهائلة وهو مبتدأ خبره قوله (اليوم الذى كانوا يوعدون) اى يوعدونه فى الدنيا على السنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لان الوعد الاول محمول على الآتى والاستمرارى كما مر وهذا الوعد محمول على المانى بدلالة لفظ كان وفى الذلة اشارة الى ذلة الانانية فانهم يوم يخرجون من الاجداث يسارعون الى صورتناسب هيئاتهم الباطنة فيكون اهل الانانية فى انكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لابليس بقوله انا خير منه فكما ان ابليس طرد عن مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من فى حكمه من الانس ولذا كان السلف يبكون دما من الاخلاق السيئة لاسيما ما يشعر بالانانية من آثار التعين فان التوحيد الحقيقى هو ان يصير العبد فانيا عن نفسه باقيا بربه فاذا لم يحصل هذا فقد بقى فيه بقية من الناسوتية وكل انا يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله اسأل ان يكرمنى به واياكم

تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج فى العاشر من شوال من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة نوح مكية وآيها سبع او ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا ارسلنا نوحا الى قومه) مر سر نون العظمة مرارا والارسال يقابل بالامساك يكون للتسخير كارسال الريح والمطر يبعث من له اختيار نحو ارسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحو انا ارسلنا الشياطين على الكافرين قال قتادة ارسل نوح من جزيرة فذهب اليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه او هو سريانى معناه الساكن لان الارض طهرت من خبث الكفار وسكنت اليه وهو اول من اوتى الشريعة فى قول واول اولى العزم من الرسل على قول الاكثرين واول نذير على الشرك وكان قومه يعبدون الاصنام واول من عذبت امته وهو شيخ المرسلين بعث ابن اربعين سنة او ثلاثمائة وخمسين او اربعمائة وثمانين ولبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على انه لم يرسل الى اهل الارض كلهم لانه تعالى قال الى قومه فلو ارسل الى الكل لقيل الى الخلق او مايشابهه كما قيل لرسول الله وما ارسلناك الا كافة للناس ولقول رسول الله كان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ثم قال ان قيل فما جريمة غير قومه حتى عممهم فى الدعاء عليهم كما قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فانه اذا لم يرسل اليهم لم يكن كلهم مخالفا لامره وعاصيا له حتى يستحقوا الدعاء بالاهلاك اجيب بانه يحتمل انه تحقق ان نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك ان يدعى عليهم بالاهلاك ايضا انتهى وفيه نظر لانه قال فى انسان العيون فى قوله عليه السلام وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من اهل الارض ولما اخبر بانه لا يؤمن منهم الا من آمن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امرأة او كانوا اربعمائة كما فى العوارف وقد يقال من الادميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع اهل الارض الا من آمن ولو لم يكن مرسلا اليهم ما دعا عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اى فى الدنيا حتى نبعث رسولا وقول بعض المفسرين ارسل الى آل قابيل لا ينافى ماذكر لانه يجوز ان يكون آل قابيل اكثر اهل الارض وقتئذ وقد ثبت ان نوحا عليه السلام اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ماحدثت فى قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف كون اول الرسل آدم ارسله الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرائعه فان قلت اذا كانت رسالة نوح عامة لجميع اهل الارض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام قلت رسالة نوح عليه السلام عامة لجميع اهل الارض فى زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من فى زمنه ومن يوجد بعد زمنه الى يوم القيامة فلا مساواة وحينئذ يسقط السؤال وهو انه لم يبق بعد الطوفان الا مؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذى حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام (أن) اى (انذر قومك) خوفهم بالنار على عبادة الاصنام كى ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول ويجوز ان تكون مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها الفعل اى بان انذرهم وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار كذا فى الارشاد وقال بعض العارفين الانبياء والاولياء فى درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال اورث قومه البسط والانس ومن خرج من نور العظمة اورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله لذلك ارسله الى قومه بالانذار فلما عصوه اخذهم بالقهر

(من قبل ان يأتيهم) من الله تعالى (عذاب اليم) عاجل كالطوفان والغرق او آجل كعذاب الآخرة فلا يبقى لهم عذر ما اصلا كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والاليم بمعنى المؤلم او المتألم مبالغة والالم جسمانى وروحانى والثانى اشد كانه قيل فافعل نوح عليه السلام فقيل (قال) لهم (ياقوم) اى كرره من اصله ياقومى شاطبهم باظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطييب بالهم (انى لكم نذير) منذر من عاقبة الكفر والمعاصى وافرد الانذار مع كونه بشيرا ايضا لان الانذار اقوى فى تأثير الدعوة لما ان اكثر الناس يطيعون اولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع فى العطاء واقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال يقول الفقير الظاهر ان الانذار اول الامر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام قم فانذر والتبشير ثانى الامر كما قال تعالى وبشر المؤمنين فالانذار يتعلق بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وان امكن تبشير الكفار بشرط الايمان لا فى حال الكفر فانهم فى حال الكفر انما يستحقون التبشير التهكمى كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم (مبين) موضح لحقيقة الامر بلغة تعرفونها او بين الانذار (ان اعبدوا الله) متعلق بنذير اى بان اعبدوا الله والامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح (واتقوه) يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (واطيعون) يتناول امرهم بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات وفى التأويلات النجمية اى فى اخلاقى وصفاتى وافعالى واعمالى واقوالى واحوالى انتهى وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله وتقواه الا انه خصه بالذكر تأكيدا فى ذلك التكليف ومبالغة فى تقريره قال بعضهم اصله واطيعونى بالياء ولم يقل واطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعنى اسند الاطاعة الى نفسه لما ان اطاعة الرسول اطاعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى واطيعوا الرسول فاذا كانوا مأمورين باطاعة الرسول فكان للرسول ان يقول واطيعون وايضا ان الاجابة كانت تقع له فى الظاهر (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجب ما قبله لا ما تأخر عن الاسلام فانه يؤآخذ به ولا يكون مغفورا بسبب الايمان ولذلك لم يقل يغفر لكم ذنوبكم بطبق من التبعيضية فانه يعم مغفرة جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد (ويؤخركم) بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والاغراق والاحراق ونحوها من اسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم ان من اهلك بسبب من هذه الاسباب لم يمت باجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد ان الايمان يزيد فى آجالهم كذا فى بعض التفاسير (الى اجل مسمى) معين مقدر عند الله والاجل المدة المضروبة للشئ قال فى الارشاد وهو الامد الاقصى الذى قدره الله لنهم بشرط الايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا به وهو المراد بقوله تعالى (ان اجل الله) وهو ما قدر اهلاكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الاجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الاجل المسمى فانه البعيد المبرم واضيف الاجل هنا الى الله لانه المقدر والخالق اسبابه واسند الى العباد فى قوله اذا جاء اجلهم لانهم المبتلون المصابون (اذا جاء) وانتم على ما انتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الاجل المشروط بشرط الايمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الاجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما (لو كنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى ما امرتكم به اولعلمتم ان الاجل لا تأخير فيه ولا اهمال وفيه اشارة الى انهم ضيعوا اسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم فى حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك الى حيث صاروا كانهم شاكون فى الموت * روزى كه اجل در آيد از پيش وپست * شايد نيست كه مهلت ندهد يك نفست * ياري نرسد دران دم از هيچ كست * پر باد شود جمله هوا وهوست (قال) اى نوح مناجيا ربه وحاكيا له وهو اعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية الجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعييت به العلل (رب) اى يا رب وقد كان من (انى دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) فى الليل والنهار اى دآئما من غير

فتورولا توان فيهما فظرفان لدعوت اراد بهما الدوام على الدعوة لان الزمان منحصر فيهما وفى كشف الاسرار بشبهاد رخانهاى ايشان وبروزهاد راشجمنهاى ايشان وكان يأتى باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت من على الباب فيقول اناوح قل لااله الاالله (فلم يزدهم دعائى الافرارا) عما دعوتهم اليه وفى التأويلات النجمية من متابعتى ودينى وما اناعليه من آثار وحيدت والفرار بالفارسية كريختن وهو مفعول ثان لقوله لم يزدهم لانه يتعدى الى مفعولين يقال زاده الله خيرا وزيده فزاد وازداد كما فى القاموس واسناد الزيادة الى الدعاء مع انها فعل الله تعالى لسببيته لها والمعنى ان الله يزيد الفرار عند الدعوة لصرف المدعو اختيارة اليه (وانى كلما دعوتهم) اى الى الايمان وفى التأويلات النجمية كلما دعوتهم بلسان الامر مجردا عن انضمام الارادة الموجبة لوقوع المأمور فان الامر اذا كان مجردا عن الارادة لا يجب ان يقع المأمور به بخلاف ما اذا كان مقرونا بالارادة فانه لابد حينئذ من وقوع المأمور به (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بان يدخلوا اصابعهم فى ثقب آذانهم قصدا الى عدم الاستماع (واستغشوا ثيابهم) الاستغشاء جامه بسردر كشيدن كما فى تاج المصادر مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وفى الاصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل بمعناه واصل الاستغشاء طلب الغشى اى الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطى والستر وانما جيء بصيغته التى هى السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمى به لثوب الغزل اى رجوعه الى الحالة التى قدر لها والمعنى وبالغوا فى التغطى بثيابهم كانهم طلبوا منها ان تغشاهم اى بجميع اجزاء بدنهم آلة الابصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر اليه فان المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة الى المتواضع والمؤمن والسنى اولئلا يعرفهم فيدعوهم يقول الفقير هذا الثانى ليس بشئ لان دعوته على ماسبق كانت عامة لجميع من فى الارض ذكورهم واناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بان المؤمن كان اقل القليل معلوما على كل حال على ان التغطى من موجبات الدعوة لان بذلك يعلم كونه من اهل الفرار اذلم يكن فى ذلك الزمان حجاب وقال بعضهم ويجوز ان يكون التغطى مجازا عن عدم ميلهم الى الاستماع والقبول بالكلية لان من هذا شأنه لا يسمع كلام غيره (واصروا) اى اكبوا واقاموا على الكفر والمعاصى وفى قوت القلوب الاصرار يكون بمعنى ان يعقد بقلبه متى قدر على الذنب فعله اولا يعقد الندم ولا التوبة منه واكبر الاصرار السعى فى طلب الاوزار وفى تاج المصادر الاصرار برچيزى باستادن وكوشش راست كردن است يقال اصر الحمار على العانة وهى التطيح من حمر الوحش اذا ضم اذنيه الى رأسه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على الكفر والمعاصى والاكباب عليهما بتشبيه الاقبال المذكور باصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها ولو لم يكن فى ارتكاب المعاصى الا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للفساد (واستكبروا) تعظموا عن اتباعى وطاعتى واخذتهم العزة فى ذلك (استكبارا) شديدا لانهم قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون قال بعض العارفين من اصر على المعصية اورثته التعادى فى الضلالة حتى يرى قبيح اعماله حسنا فاذا رأه حسنا يتكبر ويعلو بذلك على اولياء الله ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره الاصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر (ثم انى دعوتهم) دعوة (جهارا) اى اظهرت لهم الدعوة يعنى آشكارا در محافل ايشان والجهر ظهور الشئ بافراط لحاسة البصر او حاسة السمع (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اشارة الى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الاوقات اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة عقب مرة على وجوه متضالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والاعلان ضد الاسرار يقال اسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية اى من غير اطلاع احد عليه وجهرت به اظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز ان يكون ثم لتراخى بعض الوجوه عن بعض بحسب الزمان بان ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم فى السر فعاملوه بالامور الاربعة وهى الجعل والتغطى والاصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار اى خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلمهم جميعا كلمهم واحدا واحدا سرا وقال بعضهم

آشكارا كردم مر بعضى ايشانرا يعنى با آشكارا آواز برداشتم و باعلاى صوت دعوت كردم و باز كفتم
مر بعضى ديكر ازايشانرا وفى بعض التفاسير ان نوحا عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا
يضربونه فى اليوم مرات حيل صبره فسأل الله ان يواريه عن ابصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه
بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل ان يعيده الى ما كان وهو قوله اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا وقال القاشانى ثم انى دعوتهم جهارا اى نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام
العقل وعالم النور ثم انى اعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة واسررت لهم فى مقام القلب بالاسرار الباطنة
ليتوصلوا اليها بالمعقول (فقلت) لهم عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت (استغفروا ربكم) اطلبوا المغفرة
منه لانفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى قبل الفوت بالموت (انه) تعالى (كان غفارا) للتائبين بجعل ذنوبهم
كان لم تكن والمراد من كونه غفارا فى الازل كونه مريد المغفرة فى وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له
وفى كشف الاسرار كان صلة اليه ورؤية التقصير فى العبودية الندم على ماضاع من ايامهم بالغفلة
عن الله وفى الحديث (من اعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة لانه تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا
ولذا كان على رضى الله عنه يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وعن بعض العلماء قال الله
تعالى ان احب عبادى الى المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا
اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار ابلغ من الغفور وهو من الغفر واصل
الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لانه يستر الرأس والمغفرة من الله ستره الذنوب وعفوه عنها
بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وانما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفى بعض الاخبار
عبدى لو اتيتنى بقراب الارض ذنوبا لغفرتها لك ما لم تشرك بى حكى ان شيخا حج مع شاب فلما احرم قال لبيك
اللهم لبيك فقيل له لا لبيك فقال الشاب للشيخ الا تسمع هذا الجواب فقال كنت اسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة
قال فلاى شئ تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال فالى اى باب التجئ فقيل له قد قبلناك * همه طاعت آرند
ومسكين نياز * بيا تا بدركاه مسكين نواز * چو شاخ برهنه براريم دست * كه بى برك ازين
بيش نتوان نشست (يرسل السماء) اى المطر كما قال الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم وقال بعضهم
اى ماء السماء فحذف المضاف (عليكم) حال كونه (مدرارا) اى كثير الدرور اى السيلان والانصباب
وبالفارسية فروكشايد برشما باران بى دريى وبيهنكام وفى الارسال مبالغة بالنسبة الى الانزال وكذا المدرار
صيغة مبالغة ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كمولهم رجل اوامرأة معطار ويرسل جواب شرط
محذوف اى ان تستغفروا يرسل السماء وقول الضحاك فى مثله انه جواب الامر وهو ههنا استغفروا تسامح
فى العبارة اعتمادا على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كان قوم نوح تعللوا وقالوا ان كنا
على الحق فكيف نترك وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم الله بما يمحق
ما سلف منهم من المعاصى ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التى هى
اوقع فى قلوبهم من المغفرة تواجب اليهم اذ النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الامر بان قال
يرسل السماء الخ دون المغفرة بان قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا ان اثرها وبركتها ما يقاس عليه حال
المغفرة فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات كما ان المعصية سبب لخراب العالم بظهور اسباب الشهر
الالهى وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل
سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يقول الفقير هذا القول هو
الموافق للحكمة لان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر ليرجعوا اليه الا ترى الى قريش حيث ان الله جعل لهم
سبع سنين كسنى يوسف بدعاء النبى عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأسا (ويمددكم
باموال وبنين) اى يوصل اليكم ويعط لكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم
(ويجعل لكم) اى وينشئ لكم (جنات) بساتين ذوات اشجار واثمار (ويجعل لكم) فيها (انهارا) جارية
تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقى النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والانهار على
الاصداد لكونهما من توابع الارسال وانما اخرهما لرعاية رأس الآية والاشعار بان كلا منهما نعمة الهية على

حدة وعن الحسن البصري قدس سره ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قال في فتح الرحمن ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فاذا اجدبت الارض وقنط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع ابو حنيفة واصحابه من خروج اهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم يفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله في سورة البقرة (مالكم لا ترجون لله وقارا) انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد اى الظن بناء على انه اى الرجاء انما يكون بالاعتقاد وادنى درجته الظن والوقار في الاصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لانه يتسبب عنها في الاغلب ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له والمعنى اى سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان والطاعة له اى لا سبب لكم في هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية وبالفارسية چيست شمارا كه اميد نداريد يعنى تمى شناسيد مر خدايرا عظمت و بزركوارى واعتقاد نمى كنيد تا بترسيد از نافرمانى او وفى كشف الاسرار هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اى لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما لكم لا تخشون منه عقابا ولا ترجون منه ثوابا بتوقيركم اياه وفى التأويلات النجمية ما لكم لا تطلبون ولا تكسبون من اسم الله الاعظم ما يوقركم عنده بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصير وابسبب تحققكم بجميع اسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه (وقد خلقكم اطوارا) يقال فعل كذا طورا بعد طور اى تارة بعد تارة وعدا طوره اى تجاوز حده وقدره والمعنى والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم مرة قدركم تارات اى مرات حالا بعد حال عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم هى اشارة الى الاطوار السبعة المذكورة في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فهذه هى التارات والاحوال السبع المترتبة بعضها على بعض كل تارة اشرف مما قبلها وحال الانسان فيها احسن مما تقدمها * چون صورت نو بت نه نكارند بكشمير * چون قامت نو سرو نه كارند بكشور * كرنقش نو پيش بت آزر بنكارند * از شرم فرو ريزد نقش بت آزر * وقيل خلقكم صبيانا وشبانا وشيوخا وقيل طوالا وقصارا واقوياء وضعفاء مختلفين في الخلق والخلق كما قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وقيل خلقهم اطوارا حين اخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين اذن بهم ابراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فاراه اياهم وقال بعض اهل المعرفة خلقكم اطوارا من اهل المعرفة ومن اهل المحبة ومن اهل الحكمة ومن اهل التوحيد ومن اهل الشوق ومن اهل العشق ومن اهل الفناء ومن اهل البقاء ومن اهل الخدمة ومن اهل المشاهدة خلق طور الارواح القدسية من نور الجبروت وطور المعقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور اجسام الصديقين من تراب الجنة فكل طور يرجع الى معدنه من الغيب (الم تروا) ياقوى والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلمهم علما ذلك بالسماع من اهله او بمعنى الابصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة (كيف خلق الله سبع سموات) حال كونها (طباقا) اى متطابقا بعضها فوق بعض كما سبق في سورة الملك اتبع الدليل الدال على انه يمكن ان يعيدهم وعلى انه عظيم القدرة بدلائل الانفس لان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه ثم اتبع ذلك بدلائل الآفاق (وجعل القمر فيهن نورا) اى منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل على انه ذهب ابن عباس وابن عمرو وهب بن منبه رضى الله عنهم الى ان الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلى السماء

وظهورها

وظهورها كما يلى الارض وهو الذى يقتضيه لفظ السراج لان ارتفاع نوره فى طرف العلو ولولا ذلك لاحرقت جميع ما فى الارض بشدة حرارتها فجعلها الله نورا وسراجا لاهل الارض والسموات فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا حذف لدلالة الاول عليه (وجعل الشمس) هى فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ولو اضاءت من الرابعة او من السماء الدنيا لم يقم لها شئ (كما قال فى المثنوى) آفتابى كز وى اين عالم فروخت * اندكى كر بيش آيد جمله سوخت (سراجا) من باب التشبيه البليغ اى كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة وحضرت رسول صلى الله عليه وسلم بجهت آن چراغ گفته كه كما قال تعالى وسراجا منيرا نوروى تاريكى كفر ونفاق را ازعرصه روى زمين زآئل كردانيد * چراغ چشم دل چشم وچراغ جان رسول الله * كه شمع ملت است از پرتو احكام او رخشان * درين ظلمت سراكرنه چراغ افروخق شرعش * بجا كس را خلاصى بودى ازتاريكى طغيان * والسراج اعرق عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذى هو ازالة ظلمة الليل لانهم يستعملونه فى الليالى فلا يرد ان يقال ان نور القمر عرضى مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به وايضا انه من تشبيه الاعلى بالادنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس فى ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نورا دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدودا من الشجرة المباركة المنفى عنها الجهات وانها الحضرة الجامعة للاسماء والصفات (والله انبتكم من الارض نباتا) اى انباتا عجيبا وانشأكم منها انشاء غريبا بواسطة انشاء ابيكم آدم منها او انشأ الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض استعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض لانهم اذا كانوا نباتا كانوا احدثين لاصالة حدث النبات ووضع نباتا موضع انباتا على انه مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهى قوله ويخرجكم اخراجا وقال بعضهم نباتا حال لا مصدر ونبه بذلك ان الانسان من وجه نبات من حيث ان بدأه ونشأته من التراب وانه يغوثه وان كان له وصف زائد على النبات والنبات ما يخرج من الارض سواء كان له ساق كالشجر او لم يكن كالنجم لكن اختص فى التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض اهل المعرفة والله انبتكم من الارض نباتا اى جعل غذاءكم الذى تغوبه اجسادكم من الارض كما جعل النبات يغو بالماء بواسطة التراب فغذاء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه وذلك لمجازاة الاولياء ومحاسبة الاعداء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة اياها مع يعيدكم رمزا الى ان الاخراج مع الاعادة فى القبر كشئ واحد لا يجوز ان يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض وفى التأويلات النجمية والله انبت من ارض بشريتكم نبات الاخلاق والصفات ثم يعيدكم فى تلك الارض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع الى احكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعى ويخرجكم اى ويظهركم ويغلبكم على التصرف فى العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم (والله) كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك (جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) سبق بيانها فى سورة الملك وغيرها (بساطا) مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم قال ابو حيان ظاهره ان الارض ليست كرية بل هى مبسوطة كما قال سعدى المفتى وانما قال ظاهره لانه يقال التشبيه انما هو فى التقلب عليها على ما فسروه انتهى وقد مر مرارا ان كرية الارض لا تنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دائرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة (لتسلكوا) من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الادخال (منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلا وقيل هو المسلك بين الجبلين قال فى المفردات الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل فى الطريق الواسع

ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ اى لتسلكوا متخذين من الارض سبلا فتقتصر فوافيها مجيئا وذهابا او يضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطا للسلوك المذكور ولا يشاق غيره من الوجوه كالنوم والاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك اما جسمانى بالحركة الاينية الموصلة الى المقصود واما روحانى بالحركة الكيفية الموصلة الى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والانس ونحوها وقال القاشانى والله جعل لكم ارض البدن بساطا لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجا اى طرقا واسعة او من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين رضى الله عنه سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض اراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى عليه السلام بالبدن (قال نوح) اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الاول ولذا ترك العطف اى قال مناجيا له تعالى (رب) اى يا رب ورد كارمن (انهم عصونى) داموا على عصيانى ومخالفتى فيما امرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) اى استمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصارت تلك الاموال والاولاد سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا اسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة معصمة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سببا معصما للاتباع ودل الكلام على ان ازدياد المال والولد كثيرا ما يكون سببا لهلاك الروحانى ويورث الضلال فى الدين اولا والاضلال عن اليقين ثانيا قال ابن الشيخ المفهوم من نظم الآية ان اموالهم واولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو ازدياد خسارهم والامر فى الحقيقة كذلك فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الابدية بالشكر عليهما وصرفهما الى وجوه الخير الا انهما اذا ادبا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب المؤبد فى الآخرة صارا كانهما محض الخسار لان الدنيا فى جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما فى الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن اكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة فى حقه هلاك محض اذ لا عبرة لانتفاعه بها فى جنب ما ادت اليه * فتغافل درانديشهٔ سود ومال * كه سرمايهٔ عمر شد پايمال (ومكروا) عطف على صلة من لان المكر الكبار يليق بكبرآئهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية وفى كشف الاسرار المكر فى اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى اخفاء التدبير (مكرا كبارا) اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم فى منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على اذية نوح قال الشيخ لما كان التوحيد اعظم المراتب كان المنع منه والامر بالشرك اعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكرا كبارا (وقالوا) اى الرؤساء للاتباع والسفلة (لا تذرن آلهتكم) اى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا وقال بعضهم لبعض فالقائل هو الجميع (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) جرد الاخيرين عن حرف النفى اذ ابلغ التأكيد نهايته وعلم ان القصد الى كل فرد فرد لا الى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوصا فهو من عطف الخاص على العام خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام باعيانها عنهم الى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود قال الراغب الود صنم سمى بذلك اما لمودتهم له اولاعتقادهم ان بينه وبين البارى تعالى مودة تعالى الله عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كان العرب تسمى عبد يغوث ويعوق لمراد وهو كغراب ابو قبيلة سمى به لانه تمرد ونسر لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غرب صنعاء اليمن وقيل انتقلت اسماؤها اليهم فاتخذوا امثالها فعبدوها الذى يبعد بقاء اعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت الدنيا فى زمان الطوفان ولم يضعها نوح فى السفينة لانه بعث لنفيها وجوابه ان الطوفان دفنها فى ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى اخرجها اللعين لمشركى العرب نظيره ماروى ان آدم

عليه

عليه السلام كتب اللغات المختلفة في طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق بقي مدفونا ثم وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل عليه السلام الكتاب العربي وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورهم لا يكادون يفارقونها فلما مات بارض بابل فطار أى ابليس فعلهم ذلك جاءهم في صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور باسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرض من عهد الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها في زمان مهلايل بن قينان ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية وذلك اما باغراء الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق او بانه كان لعمرو بن لحي وهو اول من نصب الاوثان في الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالاصنام التي كانت تعبد في زمن نوح وادريس وهي ود الخ فذهب واتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام في العرب وعاش عمرو بن لحي ثلاثمائة واربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده الف مقاتل ومكث هو وولده في ولاية البيت خمسمائة سنة ثم انتقلت الولاية الى قريش فكثروا فيها خمسمائة اخرى فكان البيت بيت الاصنام الف سنة وذكر الامام الشعراني ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله عن كل شيء وامر ولبذلك عامتهم ظنوا وان بعض عامتهم صرح بالتعطيل ووضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك العلماء ان ذلك لا يجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلي ولا ادري من اين سرت لهم تلك الاسماء القديمة أمن قبل الهند فقد ذكر عنهم انهم كانوا المبدأ في عبادتهم الاصنام بعد نوح ام الشيطان الهمهم الى ما كانت عليه الجاهلية الاولى قبل نوح وفي التكملة روى تقي بن مخلد ان هذه الاسماء المذكورة في السورة كانوا ابناء آدم عليه السلام من صلبه وان يغوث كان اكبرهم وهي اسماء سريانية ثم وقعت تلك الاسماء الى اهل الهند فسموا بها اصنامهم التي زعموا انها على صور الدراري السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم ادخلها الى ارض العرب عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر فمن قبله سرت الى ارض العرب وقيل كانت ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لانه ينسر الشيء ويقتلعه وفي التأويلات النجمية لا تتركن عبودية آلهتكم التي هي ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الاسد ويعوق الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشاني اى معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم واحببتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (وقد اضلوا) اى الرؤساء والجملة حالية (كثيرا) اى خلقا كثيرا او اضل الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم باوصاف العقلاء (ولا تزد الظالمين) بالاشراك فان الشرك ظلم عظيم اذ اصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهل شيء اسوء في هذا من وضع اخبث المخلوق وعبادته موضع الخالق الفرد الصمد وعبادته (الا ضلالا) الجملة عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني اى قال رب انهم عصوني وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا قالوا ومن الحكاية لا من المحكي او من كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير ان يعطف احدهما على الآخر فحكى الله احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بالواو النائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ويجوز عطفه على مقدر اى فاخذلهم فقالوا وحينئذ من الحكي والمراد بالضلال هو الضياع والهلاك والضلال في تمشية مكرهم وترويجه مصالح دنياهم لا في امر دينهم حتى لا يتوجه انه انما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به ان يدعو الله في ان يزيد ضلالهم وان هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم فذلك لا يجوز في حق الانبياء وان كان يمكن ان يجاب بانه بعدما اوحي اليه انه لا يؤمن من قومك الا من قد آمن وان المحذور هو الرضى المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه السلام بقوله واشدد على قلوبهم فمن احب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تزد

الظالمين الا ضلالا وغيا ليزدادوا عقابا كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار قالوا دعا نوح الابناء بعد الاباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما ايس من ايمانهم دعا عليهم (مما خطيئاتهم) اي من اجل خطيئات قوم نوح واعمالهم المخالفة للصواب وهي الكفر والمعاصي وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادة ما الابهامية فائدة غير التوكيد وهي تفخيم خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها والخطيئات جمع خطيئة وقرأ ابو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة لان المقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا الف سنة والخطيئات لكونه جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة الا بالقرينة والظاهر من كلام الرضي ان كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله (اغرقوا) في الدنيا بالطوفان لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقا (فادخلوا نارا) تنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار والمراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء فان من مات في ماء او نار او اكلته السباع او الطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب اي بالابدان ويحرقون من جانب اي بالارواح فجمعوا بين الماء والنار كما قال الشاعر

الخلق مجتمع طورا ومفترق * والحادثات فنون ذات اطوار

لا تعجبن باضداد اذا اجتمعت * فالله يجمع بين الماء والنار

او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة واتصال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله من مات فقد قامت قيامته على ان النار اما نصف نار وهي للارواح في البرزخ واما تمام نار وهي للارواح والاجسام جميعا بعد الحشر وقس على الجحيم النعيم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) اي لم يجد احد منهم لنفسه واحدا من الانصار ينصرهم على من اخذهم بالقهر والانتقام وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ومن دون الله حال متقدمة من قوله انصارا والجملة الاستئنافية الى هنا من كلام الله اشعارا بدعوة اجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام واصحابه وتخويفا للعاصي من العذاب واسبابه (وقال نوح) بعد ما قنط من اهتدائهم قنوطا تاما بالامارات الغالبة وباخبار الله تعالى (رب) اي پروردگار من (لا تذر على الارض) لا تترك على الارض (من الكافرين) بك وبما جاء من عندك حال متقدمة من قوله (ديارا) احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء اي فاهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لما انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديار من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اي احد وساكن وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار وقد فعل به ما فعل باصل سيد فمعنى ديار على الاول احد يدور في الارض فيذهب ويجيء وعلى الثاني احد ممن ينزل الدار ويسكنها وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو كان من الدوران لم يبق على وجه الارض جني ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وانما المعنى اهلك كل ساكن دار من الكفار اي كل انسي منهم يقول الفقير جوابه سهل فان المراد كل من يدور على الارض من امة الدعوة وليس الجن والشيطان منها اذ لم يكن نوح مبعوثا الى الثقلين وليس ديار فعالا من الدار والا لقيل دوار لان اصل دار دور فقلبت واوه الفا فلما ضعفت عينه كان دوارا بالواو الصحيحة المشددة اذ لا وجه لقلبها ياء (انك ان تذرهم) عليها كلا او بعضا ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم واظهار بانه كان من الغيرة في الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها (يضلوا عبادك) عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه اشعار بان الاهل لان يقال لهم عباد اهل الايمان انتهى وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك كقوله تعالى

وصدوا

وصدوا عن سبيل الله دل عليه انه كان الرجل منهم ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه واوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا) ونزايند (الا فاجرا) الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وما سد به النهر والفجور شق ستر الديانة (كفارا) مبالغا فى الكفر والكفران قال الراغب الكفار ابلغ من الكفور وهو المبالغ فى كفران النعمة والمعنى الا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الارض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون اليه بعد البلوغ فهو من مجاز الاول وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله بالوحى لقوله تعالى فى سورة هود واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قلت هذا اذا كان دعاء نوح متأخرا عن وحى تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر ان مثل هذا الدعاء انما يكون فى الاواخر بعد ظهور امارات النكال قال بعضهم لا يلد الحية الا الحية وذلك فى الاغلب ومن هنا قيل اذا طاب اصل المرء طابت فروعه ونحوه الولد سر ابيه قال بعضهم فى توجيهه ان الولد اذا كبر انما يتعلم من اوصاف ابيه او يسرق من طباعه بل قد يصحب المرؤ رجلا فيسرق من طباعه فى الخير والشر يقول الفقير معناه فيه ما فيه اى من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر فى الاب باطنا فى الابن كما كان فى قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن فى ابيه من الجلال وكان الامر بالعكس فى هابيل بن آدم وهكذا الامر الى يوم القيامة فى الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قومه انما هو لما فيها من قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لا نفس دعائه عليهم من حيث كونه دعاء انتهى اشار الى ان دعاء نوح كان بالامارات حيث جربهم قريبا من الف سنة فلم يظهر منهم الا الكفر والفجور ولو كان بالوحى لما اعتذر كما قال القاشانى مل من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذى غلب عليه الكفر لا يلد الا مثله فان النطفة التى تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل الا مثلها كالبذر الذى لا ينبت الا من صنفه وسنخه وغفل عن ان الولد سر ابيه اى حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقى الاستعداد صافى الفطرة نقى الاصل بحسب الاستعداد الفطرى وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة ابى ابراهيم عليه السلام فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التى غلبت على باطنه وحجبته فى تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى ويدل على ما ذكر من ان دعاءه ليس مبنيا على الوحى ما ثبت ان النبى عليه السلام شبه عمر رضى الله عنه فى الشدة بنوح وابا بكر رضى الله عنه فى اللين بابراهيم قال بعض العارفين فى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فى هذه الآية عتاب لطيف فانها نزلت حين مكث يدعو على قوم شهرا مع ان سبب ذلك الدعاء انما هو الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب انى ما ارسلتك سبابا ولا لعانا وانما بعثتك رحمة اى لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كانه يقول لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيرا فانك اذا دعوتنى لهم ربما اجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتى فترى سرور عينك وقرتها فى طاعتهم لى واذا لعنتهم ودعوت عليهم واجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمى ان آخذهم الا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم فى الارض وكل ذلك انما كان بدعائك عليهم فكانك امرتهم بالزيادة فى الطغيان الذى اخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما ادبه به ربه فقال ان الله ادبنى فاحسن تأديبى ثم صار يقول بعد ذلك اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقام ليلة كاملة الى الصباح بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم لا يزيد عليها فاين هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك فى ذلك والله يتولى هداك وقال بعض اهل المعرفة نوح چون از قوم خود برنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون از قوم خود برنجيد بشفقت كفت اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون واعلم انه لا يجوز ان يدعى على كافر معين لانا لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقا وقد دعا عليه السلام على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل فى الدعاء على الكافرين (رب اغفر لى) ذنوبى وهى ما صدر منه من ترك الاولى (ولوالدى) ذنوبهما ابوه لمك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتدحرج او هو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون

اللام وروى بعضهم الفتح فى الميم وامه سمخا بنت انوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين ادم وفى اشراق التواريخ امه قسوس بنت كابيل وفى كشف الاسرار هيجل بنت لاموس ابن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة ادريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحوآء عليهما السلام (ولمن دخل بيتى) اى منزلى وقيل مسجدى فانه بيت اهل الله وان كان بيت الله من وجه وقيل سفينتى فانها كالبيت فى حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما (مؤمنا) حال كون الداخل مؤمنا وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك (وللمؤمنين والمؤمنات) بى اومن لدن آدم الى يوم القيامة وكفته اند مراد اين امت مرحومه اند خص اولا من يتصل به نسبا ودينا لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات وفى الحديث (ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من اب او اخ او صديق فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان الله ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم (ولا تزد الظالمين الا تبارا) اى هلاكا وكسارا وبالفارسية مكر هلاكى بسختى والتبر قاق الذهب قال فى الاول ولا تزد الظالمين الا ضلالا لانه وقع بعد قوله وقد اضلوا كثيرا وفى الثانى الا تبارا لانه وقع بعد قوله لا تذر على الارض الخ فذكر فى كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه والظاهر انه عليه السلام اراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين فى زمانه متمكنين فى الارض ما بين المشرق والمغرب فسئوله ان يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق وما نقل عن بعض المنجمين من انه اراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول اصحاب التواريخ بان الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا فى الاطراف مغاربها ومشارقها من اهل السفينة دل الكلام على ان الظالم اذا ظهر ظلمه واصر عليه ولم ينفعه النصح استحق ان يدعى عليه وعلى اعوانه وانصاره قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارآءة اهلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله برآءتهم فاهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر اسباب الهلاك وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبى ولا مجنون حين غرقوا لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال والمجانين وفى الاسئلة المفحمة ولو اهلك الاطفال بغير ذنب منهم ما ذا يضر فى الربوبية ليس الله يقول قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا يقول الفقير الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والامهات لان نوحا عليه السلام الحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اذ من سيفجر ويكفر فى حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقا عموما بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالاصالة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموما وخصوصا بالنجاة لان المغفور ناج لا محالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذا قرأ القرآن بالليل فر بآية يقول لى يا عكرمة ذكرنى هذه الآية غدا فقرأ ذات ليلة هذه الآية اى رب اغفر لى الخ فقال يا عكرمة ذكرنى هذه غدا فذكرتها له فقال ان نوحا دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فاهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه فى المؤمنين فيغفر الله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه ورد عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال نجاة المؤمنين بثلاثة اشياء بدعاء نوح وبدعاء اسحق وبشفاعة محمد عليه السلام يعنى المذنبين وفى التأويلات النجمية رب اغفر لى ولوالدى من العقل الكلى والنفس الكلى ولمن دخل بيتى مؤمنا من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الايمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم الا تبارا هلاكا بالكلية بالفناء فى الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لا دعاء عليهم انتهى وقال القاشانى رب اغفر لى اى استرنى بنورك بالفناء فى التوحيد ولروحى ونفسى اللذين هما ابوا القلب ولمن دخل بيتى اى مقامى فى حضرة القدس مؤمنا بالتوحيد العلمى ولارواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء فى التوحيد ولا تزد الظالمين الذين

نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور الانبارا هلاكا بالغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى فيكون دعاء عليهم كما لا يخفى

تمت سورة نوح يعون من بيده الفتوح يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل) يا محمد لقومك (اوحى الىّ) اى القى على بطريق الوحى واخبرت باعلام من الله تعالى والايحاء اعلام فى خفاء وفائدة اخباره بهذه الاخبار بيان انه رسول الثقلين والنهى عن الشرك والحث على التوحيد فان الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم اذا آمنوا فكيف لا يؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم (انه) بالفتح لانه فاعل اوحى والضمير للشان اى ان الشان والحديث (استمع) اى القرآن اوطه اواقرأ وقد حذف لدلالة ما بعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشيدن والمستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (نفر من الجن) جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة وبالفارسية كروهى كه ازده كمتر وازسه بيشتر بودند قال فى القاموس النفر ما دون العشرة من الرجال كالنفير والجمع انفار وفى المفردات النفر عدة رجال يمكنهم التفر الى الحرب بالفارسية بيرون شدن والجن واحده جنى كروم وروى ونحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلق رسول الله عليه السلام فى طائفة من اصحابه الى سوق عكاظ فادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على انه عليه السلام لم ير الجن حينئذ اذ لو رآهم لما استند معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ما عرف بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحى وكذا لم يشعر بحضورهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبره الله بذلك وقد مضى ما فيه من التفصيل فى سورة الاحقاف فلا نعيده والجن اجسام رقاق فى صورة تخالف صورة الملك والانس عاقلة كالانس خفية عن ابصارهم لا يظهرون لهم ولا يكلمونهم الا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية او الهوائية ويدل على الاول مثل قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار فان المشهور ان المركبات كلها من العناصر فما يغلب فيه النار فناري كالجن وما يغلب فيه الهواء فهوائى كالطير وما يغلب فيه الماء فمائى كالسمك وما يغلب فيه التراب فترابى كالانسان وسائر الحيوانات الارضية واكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج واعترف جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور ارباب الملل والمصدقين بالانبياء قال القاشانى ان فى الوجود نفوسا ارضية قوية لا فى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولا على هيئات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولا فى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد او تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية او النارية او الدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوية امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلا يستبعد ان ترتقى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فربما تجت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولا ينكر ان تشتعل اجرامها الدخانية باشعة الكواكب فتحترق وتهلك او تنزجر عن الارتقاء الى الافق السماوى فتتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا كلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى فى الوجود الانسانى لاستتارها فى غيب الباطن (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا) اى كتابا مقروأ على لسان الرسول (عجبا) مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ما خرج عن حد اشكاله ونظائره والمعنى بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وقال البقلى كتابا عجيبا البركة وفيه اشارة الى انهم كانوا من اهل اللسان قال عيزار بن حريث كنت عند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فاتاه رجل

فقال له كنا في سفر فاذا نحن بحية جريحة تشحط في دمها اى تضطرب فان الشحط بالحاء المهملة الاضطراب في الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما امسينا ونزلنا اتانا امرأتان من احسن نساء الجن فقالتا ايكم صاحب عمرو اى الحية التي دفنتموها فاشرنا لهما الى صاحبها قالتا انه كان آخر من بقي ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين كافري الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فان كنتم اردتم به الدنيا نوبناكم اى عوضناكم فقلنا لا انما فعلنا ذلك لله فقالتا احسنتم وذهبتا يقال اسم الذي لف الحية صفوان بن معطل المرادي صاحب قصة الافك والجني عمرو بن خابر رحمه الله (يهدي الى الرشد) الى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم اهدني رشدي اى الاهتداء الى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول الى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغي يقال في الامور الدنيوية والاخروية والرشد كالمذهب يقال في الامور الاخروية فقط (فآمنا به) اى بذلك القرآن ومن ضرورة الايمان به الايمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم * داخل اندر دعوت اوجن وانس * تا قيامت امتش هر نوع وجنس * اوست سلطان وطفيل اوهمه * اوست شاهنشاه وخيل اوهمه (ولن نشرك) بعد اليوم البتة اى بعد علمنا الحق (بربنا احدا) حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد اى لا نجعل احدا من الموجودات شريكا له في اعتقادنا ولا نعبد غيره فان تمام الايمان انما يكون بالبراءة من الشرك والكفر كما قال ابراهيم عليه السلام اني بريء مما تشركون فلكونه قرآنا معجزا بديعا موجب الايمان به ولكونه يهدي الى الرشد موجب قطع الشرك من اصله والدخول في دين الله كله فمجموع قوله فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا مسبب عن مجموع قوله انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد ولذا عطف ولن نشرك بالواو مع ان الظاهر الفاء (وانه تعالى جد ربنا) بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على انه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات فاندفع ما قيل من انك لو عطفت وانا ظننا وانا سمعنا وانه كان رجال وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه وانما هو امر اخبروا به عن انفسهم انتهى ومن قرأ بالكسر عطف على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل في الفتح والكسر غير ذلك والاقرب ما قلناه والمعنى وان الشان ارتفع عظمة ربنا كما تقول في الثناء وتعالى جدك اى ارتفع عظمتك وفي اسناد التعالي الى العظمة مبالغة لا تخفى من قولهم جد فلان في عيني اى عظم تمكنه او سلطانه لان الملك والسلطنة غاية العظمة او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو اليمن والدولة والحظوظ الدنيوية سواء استعمل بمعنى الملك والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد في اللغة كما يكون بمعنى العظمة و بمعنى اب الاب واب الام يكون بمعنى الحظ واليمن يقال رجل مجدود اى محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذاتيان الازليان بيمن الملوك والاغنياء فاطلق اسم الجد عليه استعارة (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده كانه قيل ما الذي تعالى عنه فقيل ما اتخذ اى لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا ابنا ولا بنتا كما يقول الظالمون وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه متعالى عنه لعظمته او لسلطانه او لغناه فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثير وابقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الامكان والحدوث وايضا هو خارج عن دآئرة التصور والادراك فكيف يكيفه احد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته او ولدا من نوع يماثله وقد قالت النصارى ايضا المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا ان تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعني ان الولد يقتضي الام التي هي صاحبة الاب الوالد واشار بالصاحبة الى النفس وبالولد الى القلب فيكون الروح كالزوج والاب لهما وهو في الحقيقة مجرد عن كل علاقة وانما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وايضا ليستكمل ذاته من جهة الصفات (وانه) اى الشان (كان يقول سفيهنا) اى جاهلنا وهو ابليس او مردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر ان يكون ابليس من الجن كما قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والسفه خفة الحلم او نقيضه او الجهل كما في القاموس وقال الراغب السفه خفة في البدن واستعمل في خفة النفس

لنقصان العقل وفى الامور الدنيوية والاخروية والمراد به فى الآية هو السفه فى الدين الذى هو السفه الاخروى كذا فى المفردات (على الله) متعلق بيقول او بردعلى لان ما قالوه عليه تعالى لا له (شططا) هو مجاوزة الحد فى الظلم وغيره وفى المفردات الافراط فى البعد اى قولا ذا شطط اى بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وفى الآية اشارة الى ان العالم الغير العامل فى حكم الجاهل فان ابليس كان من اهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيها جاهلا لا يجوز التقليد له فالاتباع بالجاهل ومن فى حكمه اتباع بالشيطان والشيطان يدعو الى النار لانه خلق منها (وانا ظننا ان) مخففة من الثقيلة اى ان الشان (لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اى كنا نظن ان الشان والحديث لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه فى ان لله صاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا انهم قد يكذبون عليه تعالى وكذ بامصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول واشار بالانس الى القوى الروحانية وبالجن الى القوى الطبيعية وقال القاشانى انس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا ان البصير يدرك شكله ولونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحى الوارد على القلب بواسطة روح القدس ان لسنا فى شئ من ادراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل فى الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية او المقدمات الوهمية والتخييلية فليس الله من قبيل المخلوق جنسا او نوعا او صنفا او شخصا فكيف يكون له صاحبة وولد (وانه) اى وان الشان (كان) فى الجاهلية (رجال) كائنون (من الانس) خبر كان قوله (يعوذون) العوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به (برجال من الجن) فيه دلالة على ان للجن نساء كالانس لان لهم رجالا ولذا قيل فى حقهم انهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كابليس وذريته قال اهل التفسير كان الرجل من العرب اذا امسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) عطف على يعوذون والماضى للتحقق اى فزاد الرجال العائذون الانسيون الجن (رهقا) مفعول ثان لزاد اى تكبرا وعتوا وسفها فان الرهق محركة يجيء على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال فى آكام المرجان وبهذا يجيبون المعزم والراقى باسمائهم واسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم باسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الانس ما يحملهم على ان يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون ان الانس اشرف منهم واعظم قدرا فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة اكابر الناس اذا خضع لهم اصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم او المعنى فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم واذا استعاذوا بهم فامنوا ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والقاءه حينئذ لترتيب الاخبار واسناد الزيادة الى الانس والجن باعتبار السببية وروى عن كردم بن ابى السائب الانصارى رضى الله عنه انه قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ما ذكر النبى عليه السلام بمكة فاذا فى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك فنادى منادا لا نراه يقول يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الخ قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال اذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل اعوذ بدانيال وبالجب من شر الاسد انتهى اشار بذلك الى ما رواه البيهقى فى الشعب ان دانيال طرح فى الجب والقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص اليه فاتاه رسول فقال يا دانيال فقال من انت قال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره وروى ابن ابى الدنيا ان بخت نصر ضرى اسدين والقاهما فى جب وجاء بدانيال فالقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلى دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به فى ذلك تمنع الشر الذى لا يستطاع كما فى حياة الحيوان فعلم من ذلك ان الاستعاذة بغير الله مشروعة فى الجملة لكن بشرط التوحيد

واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشانى فى الآية اى تسفند القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بها فزادوهم غشيان المحارم واتيان المناهى بالدواعى الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية (وانهم) اى الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن على انه كلام مؤمنى الجن للكفار حين رجعوا الى قومهم منذرين فكذبوهم او الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة على انه كلام الله تعالى (ان لن يبعث الله احدا) ان هى المخففة والجملة سادة مسد مفعولى ظنوا واعمل الاول على ما هو مذهب الكوفيين لان ما فى كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل والظاهر ان المراد ببعثة الرسالة اى لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم انه بعث اليهم محمدا عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعل الانس وقيل بعد القيامة اى لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزآء يقول الفقير فيه اشارة الى اهل الغفلة من الانس والجن فانهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون ان الله لا يبعث احدا من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق فى اللذات والانهماك فى الشهوات ولا يدرون ان الله تعالى يبعث من فى القبور مطلقا ويحيى اجسادهم وقلوبهم وارواحهم بالحياة الباقية لان اهل النوم لانقطاع شعورهم لا يعرفون حال اهل اليقظة وفيه اثبات العجز لله تعالى والله على كل شئ قدير (وانا لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء لاستماع ما يقول الملائكة من الحوادث او خبرها للافشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب باللمس واللمس باليد فى كون كل واحد منهما وسيلة الى تعرف حال الشئ فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال فى كشف الاسرار ومنه الحديث الذى ورد ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان امرأتى لا تدع عنها يد لامس اى لا تريد طالب حاجة صغرا يشكو تضييعها ماله (فوجدناها ملئت حرسا) اى حراسا وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل (شديدا) اى قويا ولو كان جمعا لقيل شدادا وقوله ملئت حرسا حال من مفعول وجدناها ان كان وجدنا بمعنى اصبنا وصادفنا ومفعول ثان ان كان من افعال القلوب اى فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز (وشهبا) عطف على حرسا وحكمه فى الاعراب حكمه جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقد مر تحقيقه (وانا كنا نقعد) قبل هذا (منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الاخبار للالقاء الى الكهنة اوصالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى على الوجه الاول اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى على الثانى اى مقاعد كائنة للسمع وفى كشف الاسرار اى مواضع لاستماع الاخبار من السماء وكان لكل حى من الجن باب فى السماء يستمعون فيه ومن احاديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تنزل فى العنان وهو بالفتح السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند انفسهم يقول الفقير وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب ان الملائكة مرة ينزلون فى العنان فيتحدثون هنالك واخرى يتذاكرون فى السماء ولا مانع من عروج الشياطين الى السماء فى مدة قليلة للطافة اجسامهم وحيث كانوا نارية او هوائية او دخانية لا يتأثرون من النار والهوآء حين المرور بكرتهما ولو سلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله فى كل شئ حكمة واسرار (فمن) شرطية (يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن اى فى هذا الزمان وبعد المبعث وفى الباب ظرف حالى استعير للاستقبال (يجد له) جواب الشرط والضمير لمن اى يجد لنفسه (شهابا رصدا) الرصد الاستعداد للترقب اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصدا على المفعول له وفى الآية اشارة الى طلب القوى الطبيعية ان تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى نبه لها الانس والجن ومنع الاسترقاق اصلا

لئلا يلتبس على الناس اقوال الرسول المستندة الى الوحى الالهى باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين
مما استرقوه من اقوال اهل السماء ويدل على ماذكر قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا فانه يدل على
ان الحادث هو الكمال والكثرة اى زيدت حرسا وشهبا حتى امتلأت بهما وقوله تعالى وانا كنا نقعد منها
مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن
ذلك قالوا ما هذا الا لامر اراده الله باهل الارض وذلك قولهم (وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة
السماء منا (ام اراد بهم ربهم رشدا) اى خيرا وصلاحا اوفق لمصالحهم والاستفهام لاظهار العجز عن الاطلاع
على الحكمة قال بعضهم لعل الترديد بينهما مخصص بالاستفهام وان يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده
بمعنى لا ندرى اريد شر ام خير وربطوه للموافقة بين المعطوفين فى كونهما جملة فعليه والباء فى الموضعين
متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب
الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قال صاحب الانتصاف ومن عقائد
الجن ان الهدى والضلال جميعا من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد اليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل
فجمعوا بين حسن الاعتقاد والادب (وانا منا الصالحون) اى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن انفسهم
وفى معاملتهم مع غيرهم اومايكون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد
كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائى كانهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض فالصالحون مبتدأ ومنا
خبره المقدم والجملة خبران ويجوز ان يكون الصالحون فاعل الجار والمجرور الجارى مجرى الظرف لاعتماده
على المبتدأ (ومنا دون ذلك) اى قوم دون ذلك فى الصلاح فحذف الموصوف لانه يجوز حذف هذا الموصوف
فى التفصيل بمن حتى قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام ودون ظرف وهم
المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان
لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب به عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) واما حالهم بعد استماعه فسيحكى
بقوله وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون اى كما قبل هذا طرائق فى اختلاف الاحوال فهو بيان
للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج
وروافض وشيعية وسنية قال فى المفردات جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرائق والظاهر ان الطرائق جمع
طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى كنا طرائق قددا اشارة الى اختلافهم فى درجاته كقوله
هم درجات والطريق الذى يطرق بالارجل اى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا
كان او مذموما وقيل طريقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشئ طولا والقدد المقدود
ومنه قيل لقامة الانسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعنى انها من القد كالقطعة من القطع وصفت
الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد
على حدة ومنه كنا طرائق قددا اى فرقا مختلفة اهوآؤها وقد تعددوا قال القاشانى وانا منا الصالحون
كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنا دون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة
والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كاذوى مذاهب مختلفة لكل
طريقة وجهة عما عينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبما دون
ذلك اى ادنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واما الظالمون لانفسهم فمندرج
فى قوله تعالى كنا طرائق قددا فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل ان يكون دون بمعنى
غير فيندرج القسمان الاخيران فيه (وانا ظننا) اى علمنا الآن بالاستدلال والتفكر فى آيات الله فالظن هنا
بمعنى اليقين لان الايمان لا يحصل بالظن ولان مقصودهم ترغيب اصحابهم وترهيبهم وذا بالعلم لا بالظن كما قال
عليه السلام انما النذير العريان (ان) اى ان الشان (لن نعجز الله) عن امضاء ما اراد بنا كائنين (فى الارض) ايانا كنا
من اقطارها فقوله فى الارض حال من فاعل نعجز والاعجاز عاجز كردن (ولن نعجزه هربا) قوله هربا حال
من فاعل لن نعجز اى هاربين من الارض الى السماء والى البحار والى جبل قاف اولن نعجزه فى الارض
ان اردنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا فالفرار من موضع الى موضع وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لا يفيد

فوائتامنه ولعل الفائدة فى ذكر الارض حينئذ الاشارة الى انها مع سعتها وانبساطها ليست مخفى منه تعالى ولامهربا (وانا لما سمعنا الهدى) اى القرآن الذى يهدى للحق هى اقوم (آمنا به) من غير تأخير وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما انزله من الهدى (فلا يخاف) اى فهو لا يخاف فالكلام فى تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب ادخال الفاء انه دال على تحقيق ان المؤمن ناج لا محالة وانه المختص بذلك دون غيره (بخسا) اى نقصا فى الجزآء (ولا رهقا) ولا ان ترهقه ذلة وتغشاه اوجزآء بخس ولا رهق اى ظلم اذلم يبخس احدا حقا ولا رهق اى ظلم احدا فلا يخاف جزآءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم قال الواسطى رحمه الله حقيقة الايمان ما اوجب الامان فمن بقى فى مخاوف المرتابين لم يبلغ الى حقيقة الايمان (وانا منا المسلمون) اى بعد استماع القرءان (ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فالقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل وقد غلب هذا الاسم اى القاسط على فرقة معاوية ومنه الحديث خطابا لعلى رضى الله عنه (تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فالناكثون اصحاب عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة اى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها الى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميت الوقعة يوم الجمل والقاسطون اصحاب معاوية لانهم قسطوا اى جاروا حين حاربوا الامام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين والمارقون الخوارج فانهم الذين مرقوا اى خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبدالله ابن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هى من ارض العراق على اربعة فراسخ من بغداد (فمن اسلم) پس هركه كردن نهاد امر خدايرا همچنانچه ما كرديم قال سعيد المفتى يجوز ان يكون من كلام الجن ويجوز ان يكون مخاطبة من الله لرسوله كما فيما بعده من الآيات (فاولئك) اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) التحرى فى الاصل طلب الاحرى والاليق قولا وفعلا اى طلبوا وقصدوا (رشدا) يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كما فى القاموس اى اهتدآء عظيما الى طريق الحق والصواب يبلغهم الى دار الثواب فتحرى الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده اند راه راست وازان بمقصد خواهند رسيد ودل على ان للجن ثوابا على اعمالهم لانه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه (واما القاسطون) الجائرون عن سنن الهدى (فكانوا لجهنم حطبا) الحطب ما يعد للايقاد اى حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس روى ان الحجاج قال لسعيد بن جبير حين اراد قتله ما تقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلنى جاهلا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون واسند بعضهم قول سعيد الى امرأة كما قال فى الصحاح ومنه قول تلك المرأة للحجاج انك قاسط عادل فيحتمل التوارد (وان لو استقاموا) ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الجن والانس او كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) الاسقاء والسقى بمعنى وقال الراغب السقى والسقيا هو ان تعطيه ماء ليشرب والاسقاء ان تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء كما يقال اسقيته نهرا فالاسقاء ابلغ وغدق من باب علم اذا غزر ووصف الماء به للمبالغة فى غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لانه اصل السعة وان كان اصل المعاش هو اصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر رضى الله عنه ايغا كان الماء كان العشب وايغا كان العشب كان المال وايغا كان المال كانت الفتنة والمعنى لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم الرزق فى الدنيا وبالفارسية هر آينه بدهيم ايشان را آب بسيار بعد از تلك سالى يعنى روزى برايشان فراخ كردانيم وفيه دلالة على ان الجن يأكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض اهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هو القيام على سبيل السنة والميل الى اهل الصلاح وبالاسقاء الافاضة على قلوبهم ماء الوداد (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فى ذلك الاسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات او فى ذلك الماء والمال واحد (وقال الكلبى) تا بيازمايم ايشانرا در آن

زند كافى كه بوظائف شكر چكونه قيام نمايند وفيه اشارة الى ان المرزوق بالرزق الروحانى والغذآء المعنوى يجب عليه القيام بشكره ايضا وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته اوعن موعظته اووحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) اى شاقا صعبا يتصعد اى يعلوا المعذب و يغلبه فلا يطيقه على انه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط فى الابرة اذا ادخلته فيها اى يسلكه فى عذاب صعد كما قال ماسلككم فى سقر اى ادخلكم فيها فحذف الجار واوصل الفعل ثم ان كان اعراضه بعدم التصديق كان عذابه بالتأييد والافبقدر جريمته ان لم يغفرله وروى ان صعدا جبل فى النار اذا وضع عليه يديه اورجليه ذابتا واذا رفعهما عادتا وقال بعضهم صعدا جبل املس فى جهنم و يكلف الوليد ابن المغيرة صعوده اربعين عاما فيجذب من اعلاه بالسلاسل فاذا انتهى الى اعلاه انحدر الى اسفله ثم يكلف ثانيا وهكذا يعذب ابدا (وان المساجد لله) عطف على قوله انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى و بعبادته خصوصا المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله و يدخل فيها البيوت التى يبنيها اهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ثم هذا لاينافى ان تضاف المساجد وتنسب الى غيره تعالى بوجه آخر اما لبنائها كمسجد رسول الله اولمكانها كمسجد بيت المقدس الى غير ذلك من الاعتبارات واعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت (فلا تدعوا) اى لا تعبدوا فيها الفاء للسببية (مع الله احدا) اى لا تجعلوا احدا غير الله شريكا لله فى العبادة فاذا كان الاشراك مذموما فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير (قال الكاشفى) پس مخوانيد دران باخداى تعالى يكى راچنانچه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح را بالوهيت ياد ميكنند وچنانكه مشركان درحوالى بيت الحرام ميكويند لبيك لاشريك لك الا شريك هولك تملكه وما ملك وكفته اند مراد ازين مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام جعلت لى الارض مسجدا وتربتها طهورا پس درهيچ بقعه بياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد * درا بجز از ياد خدا شاد مكن * بيادوى از كسى ديكر ياد مكن * قال بعض العارفين انما تبرأ تعالى من الشريك لانه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذى لا يلحقه اذهو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ما الخلق مع الله لانه تعالى يعلمهم وهم لا يعلمونه فهو تعالى معهم اينما كانوا فى ظرفية امكنتهم وازمانهم واحوالهم ما الخلق معه تعالى فانهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولو عرفوه من طريق الايمان كانوا كالاعمى يعلم انه جليس زيد ولكن لا يراه فهو كانه يراه بخلاف اهل المشاهدة فانه ذو بصر الهى فمن دعا الله مع الله ما هو كمن دعا الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله احدا ثم ان السجود وان كان لله لا يقع فى الحس ابدا الا لغير الله اى لجهة غير الله لان الله ليس بجهة بل هو بكل شئ محيط فاوقع من عبد سجود الا لغير الله لكن منه ما كان لغير الله عن امر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ما كان من غير امره كالسجود للاصنام وهو مردود وانما وضعت المساجد للتعظيم كما انه عينت القبلة للادب يروى عن كعب انه قال انى لاجد فى التوراة ان الله تعالى يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان المسلم اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد فهو زآئر الله وحق على المزور ان يكرم زآئره ومن هنا قالوا ان من دخل المسجد ينوى زيارة الله تعالى قال بعض اهل المعرفة ان مساجد القلوب لزوار تجليه فلا ينبغى ان يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم ان مساجد القلوب الصافية عن القاذورات مختصة بالله تعالى و بالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله احدا من الاسماء الجزئية اى طهروا مساجد قلوبكم لتجلى اسم الله الاعظم فيها لاغير وقال ابن عطاء مساجدك اعضاؤك التى امرت ان تسجد عليها لا تخضعها ولا تذلها لغير خالقها وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة فى ايجاب السجود على هذه الاعضاء ان هذه الاعضاء التى عليها مدار الحركة هى المفاصل التى تنفتح وتنطبق فى المشى والبطش واكثر السعى و يحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير (وانه) من جملة الموحى به اى واوحى الى ان الشان (لما قام عبد الله) اى النبى عليه السلام ولذا جعلوه فى اسمائه لانه هو العبد الحقيق فى الحقيقة

المضاف الى اسم الله الاعظم فرقا وان كان هو المظهر له جمعا ودر آثار امده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام ازين خوشتر نيامده چه شريطه عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيچكس را قدرت برا قامت بران نبوده لاجرم در وقت عروج آن حضرت برمنازل ملكى باين اسم مذكور شد كه سبحان الذى اسرى بعبده و بهنگام نزول قرآن ازمدارج فلكى اورا بهمين نام ميكندكه تبارك الذى نزل الفرقان على عبده * آن بنده شعار بندكى دوست * كز جملة بنده كان كزين اوست * دانند بيندكيش راهى * كانرا نديده هيچ شاهى * وايراده عليه السلام بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وهو العبودية اى كونه عبدا لله وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه اذ التقدير واوحى الى انى لما قمت وهذا على قرآءة الفتح واما على قرآءة نافع وابى بكر فيتعين كونه للاشعار بالمقتضى وفيه تعريض لقريش بانهم سموا عبد ود وعبد يغوث وعبد شمس ونحوها لا عبد الله وان من سمى منهم بعبد الله فانما هى من قبيل التسمية المجردة عن معانيها (يدعوه) حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما سبق (كادوا) اى قرب الجن (يكونون عليه لبدا) جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهى ما تلبد بعضه على بعض اى تراكب وتلاصق ومنها لبدة الاسد وهى الشعر المتراكب بين كتفيه والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضا ويقع من ازدحامهم على النبى عليه السلام تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرآئته واقتدآء اصحابه به قياما وقعودا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله قبله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وعلى قرآءة الكسر اذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لاصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به فى الصلاة يقول الفقير فى هذا المقام اشكال على القرآئتين جميعا لان المراد ان كان ما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما على ما ذهب اليه المفسرون فلا معنى للازدحام اذ كان الجن بنخلة نفرا سبعة او تسعة ولا معنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القارى وانما وقع الازدحام فى الجون بعد العود من نخلة على ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه ولا مخلص الا بان يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبدا او بان يتجوز فى النفر حينئذ بقى تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى وان كان المراد ما ذهب اليه ابن مسعود رضى الله عنه ففيه ان ذلك كان بطريق المشاهدة على ما اسلفناه فى الاحقاف ولا معنى لاخباره بطريق الوحى على ما مضى فى اول السورة وايضا انه لم يكن معه عليه السلام اذ ذاك الا نفر قليل من اصحابه بل لم يكن الا زيد ابن حارثة رضى الله عنه على ما فى انسان العيون فلا معنى للازدحام والله اعلم بمراده (قل انما ادعو) اى اعبد (ربى ولا اشرك به) اى بربى فى العبادة (احدا) فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتى وهذا حالى فليكن حالكم ايضا كذلك (قل انى لا املك) لا استطيع (لكم) ايها المشركون (ضرا ولا رشدا) كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا اى ليس هذا بيدى بل بيد الله تعالى فانه هو الضار النافع الهادى المضل فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل ما يدل مقابله عليه وفى التأويلات النجمية اى من حيث وجوده المضاف اليه كما قال انك لا تهدى من احببت واما من حيث وجوده الحق المطلق فانه يملك الضر والرشد كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال القاشانى اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطانى عليكم تهتد وابنورى والا بقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقسركم على الهداية (قل انى لن يجيرنى) ينقذنى ويخلصنى (من الله) من قهره وعذابه ان خالفت امره واشركت به (احد) ان استنقذنه او ان ينجينى منه احد ان اراد فى بسوء قدره على من مرض او موت او غيرهما قال بعضهم هذه لفظة تدل على الاخلاص فى التوحيد اذ التوحيد هو صرف النظر الى الحق لا غير وهذا لا يصح الا بالاقبال على الله والاعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ما عداه (ولن اجد من دونه ملتحدا) يقال الحد فى دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لان اللاجئ يميل اليه والمعنى ولن اجد عند الشدآئد ملتجأ غيره تعالى وموئلا ومعدلا فلا ملجأ ولا موئل ولا معدل الا هو وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره اى واذ لا املك لنفسى شيأ فكيف املك لكم شيأ (الا بلاغا من الله) استثناء متصل من قوله لا املك اى من مفعوله فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة عن نفسه فلا يضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة فى توصيف نفسه

[illegible] على انه لا يدع التبليغ الذى يستطيعه لتظاهرهم على عداوته وقوله من الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا منه وليس متعلقا بقوله بلاغا لان صلة التبليغ فى المشهور انما هى كلمة عن دون من و بلاغا واقع موقع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم او استثناء من قوله ملتحدا اى لن اجد من دونه تعالى منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به فهو حينئذ منقطع فان البلوغ ليس ملتحدا من دون الله لانه من الله و باعانته وتوفيقه (ورسالاته) عطف على بلاغا باضمار المضاف وهو البلاغ اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى وتبليغ رسالاته التى ارسلنى بها يعنى الآن ابلغ عن الله واقول قال الله كذا ناسبا للمقالة اليه وان ابلغ رسالاته التى ارسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان وقال سعدى المفتى لعل المراد من بلاغا من الله ما هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ما هو بها انتهى والمراد بالرسالة هو ما ارسل الرسول به من الامور والاحكام والاحوال لا معنى المصدر والظاهر ان المراد الا التبليغ والرسالة من الله تعالى و جمع الرسالة باعتبار تعدد ما ارسل هو به (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد بان لا يمتثل امرهما به ودعوتهما اليه فيشرك به اذ الكلام فيه وهو يصلح ان يكون مخصصا للعموم فلا متمسك للمعتزلة فى الآية على تخليد عصاة المؤمنين فى النار (فان له نار جهنم خالدين فيها) اى فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (ابدا) بلا نهاية فهو دفع لان يراد بالخلود المكث الطويل (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام ولاستقلالهم لعددهم حتى قالوا هم بالاضافة الينا كالحصاة من جبال كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ عند حلوله بهم (من اضعف ناصرا واقل عددا) اى فسيعلمون الذى هو اضعف واقل أهم ام المؤمنون فمن موصولة واضعف خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء واضعف خبره والجملة فى موضع نصب سدت مسد مفعولى العلم وناصرا وعددا منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما يوعدون على ما رأوه يوم بدر وايا ما كان ففيه دلالة على ان الكفار مخذولون فى الدنيا والآخرة وان كثروا عددا وقويوا جسدا لان الكافرين لا مولى لهم وان المؤمنين منصورون فى الدارين وان قلوا عددا وضعفوا جسدا لان الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الاعظم فان نصره ينزل من العرش (قال الحافظ) تيغى كه آسمانش ازفيض خود دهد آب * تنها جهان بگيرد بى منت سپاهى (قل ان ادرى) اى ما ادرى لان ان نافية (اقريب) خبر مقدم لقوله (ما توعدون) و يجوز ان يكون ما توعدون فاعلا لقريب ساد مسد الخبر لوقوعه بعد الف الاستفهام وما موصولة والعائد محذوف اى اقريب الذى توعدونه نحو اقائم الزيدان (ام يجعل له ربى امدا) اى غاية تطول مدتها والامد وان كان يطلق على القريب ايضا الا ان المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والامد ان الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية والمعنى ان الموعود كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود انكارا له واستهزاء فان قيل اليس قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادرى اقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقى من الدنيا اقل ممن انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع فى كل ساعة فغير معلوم على ان كل آت قريب ولذا قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقال كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما اوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق فى طوفان الموت وبحر البلاء قال بعض اهل المعرفة قل ان ادرى اقريب ما توعدون فى القيامة الصغرى من الفناء الصورى والموت الطبيعى الاضطرارى والدخول فى نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله او فى الكبرى من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلا ام ضرب الله له غاية واجلا (عالم الغيب) وحده وهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم لجميع ما غاب عن الحس على ان اللام للاستغراق والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية (فلا يظهر) آگاه نكند (على غيبه احدا) الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما

موجبا لعين اليقين احدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الارتضاء يستديدن واصله تناول مرضى الشئ اى الا رسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعلمة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة تامة من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احد لاحد من الاولياء ما فى مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالاخبار الغيبى والتلقف من الحق فيدخل فى الرسول وارثه قال الجنيد قدس سره قعد على غلام نصرانى متنكرا وقال ايها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فاطرقت رأسى ورفعت فقلت اسلم اسلم فقد حان وقت اسلامك فاسلم الغلام فهذا اما بطريق الفراسة او بغيرها من انواع الكشوف وخرج من البين اهل الكهانة والتنجيم لانهم ليسوا من اهل الارتضاء والاصطفاء كالانبياء والاولياء فليس اخبارهم بطريق الالهام والكشف بل بالامارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع اكثرها الا كاذبا ومن قال انا اخبر من اخبار الجن يكفر لان الجن كالانس لا يعلم غيبا وقد سبق ان الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة ابدا لان الشياطين منعوا من السماء قال ابن الشيخ انه تعالى لا يطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا وما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية ان لا يطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه السلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا فيه ثم الآية نظير قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء (فانه يسلك) پس بدرستى كه درمى آرد خداى تعالى يعنى ميسازد وبالعربية يدخل ويثبت (من بين يديه) اى قدام الرسول المرتضى (ومن خلفه رصدا) قال فى القاموس الرصد محركة الراصدون اى الراقبون بالفارسية نكهبانان يقال للواحد والجماعة كما فى المفردات وهو تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعنى ان جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يسمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فتخبره الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس امر الرسالة قال القاشانى الا من ارتضى من رسول اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية فانه يسلك من بين يديه اى من جانبه الالهى ومن خلفه اى ومن جهة البدنية رصدا حفظة اما من جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها والابلاغ الايصال وبالفارسية رسانيدن ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم

سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزآء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لاجراء عتاده تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزآء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما واما من ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امتهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك (واحاط بما لديهم) اى بما عند الرصد والرسل حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى اى وقد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا (واحصى) علم علما بالغا الى حد الاحاطة تفصيلا وبالفارسية وشمرده است (كل شئ) مما كان وما سيكون (عددا) اى فردا فردا فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو او جدها فاحصاها عددا وقال ابن عباس رضى الله عنهما احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شئ حتى مثاقيل الذر والخردل (قال الكاشفى) مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعنى معلومى مطلقا از دائرة علم او خارج نيست * هر چه دانستنى است در دو جهان * نيست از علم شاملش پنهان * قوله عددا تمييز منقول من المفعول به كقوله وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وفائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على ان المعدوم ليس بشئ لانه لو كان شيأ لكانت الاشياء غير متناهية وكونه احصى عددها يقتضى كونها متناهية لان احصاء العدد انما يكون في المتناهى فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بان المعدوم ليس بشئ حتى يندفع هذا التناقض والتنافى كذا في حواشى ابن الشيخ رحمه الله

تمت سورة الجن بعون ذى الطول والمن في عصر الثلاثاء السابع من ذى القعدة من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

سورة المزمل وآيها تسع عشرة او عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها المزمل) اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها وقغطى فادغم التاء في الزاى فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائما بالليل متزملا في قطيفة اى دثار مخمل فامر ان يترك التزمل الى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما جاءه جبريل خافه فظن ان به مسا من الجن فرجع من جبل حرآء الى بيت خديجة مرتعدا وقال زملونى فبينما هو كذلك اذ جاءه جبريل وناداه وقال يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذى زمل امر اعظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله قال السهيلى رحمه الله ليس المزمل من اسمائه عليه السلام التى يعرف بها كما ذهب اليه بعض الناس وعده في اسمائه وانما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سمته باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها اى اغضبها واغضبته فاتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه قم يا نومان وكان نائما ملاطفة واشعارا بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا ايها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى وفي فتح الرحمن الخطاب اختاص بالنبى عليه السلام كما يها المزمل ونحوه عام للامة الا بدليل يخصه وهذا قول احمد والحنفية والمالكية وقال اكثر الشافعية لا يعمهم الا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الامة هل يعم غيره قال الشافعى والحنفية والاكثر لا يعم وقال ابو الخطاب

من امة المخاطبة ان وقع جوابا لهم والا فلا (قم الليل) بكسر الميم لالتقاء الساكنين اى لا تتثاقل وترقد ودع هذه الحال الظاهر افضل منها وقم الى الصلاة فى الليل فانتصاب الليل على الظرفية جاز استغرق الحدث الواقع فيه فحذف فى وصول الفعل اليه فنصب لان حمل الجر لا يكون فى الفعل والنصب اقرب اليه من الرفع ومن ذلك قال بعضهم هو منصوب نظرا الى الظاهر فى الاستعمال ومن ذلك من شهد منكم الشهر فليصمه وقوله لينذر يوم التلاق فى احد الوجهين كما سبق ومثله الاحياء فى قوله من احيى ليلة القدر ونحوه فان الاحياء وان كان وقعا على الليل فى الظاهر لكن المراد به احياء الصلاة والذكر فى الليل واستعمالها وحتى الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال بعض العارفين ان الله اشتاق الى مناجاة حبيبه فناداه ان يقوم فى جوف الليل وقد قالوا ان القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده اهل الذوق من الحلاوة (الا قليلا) استثناء من الليل (نصفه) بدل من لليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل والنصف احد شقى الشئ اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب يعنى انه يجوز ان يوصف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول بالعبادة مع انهما متساويان فى المقدار من حيث ان النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم ان القلة فى النصف بالنسبة الى الكل لا الى العديل الآخر والاولى ان يكون احد النصفين المساويين اقل من الآخر وفيه انه من حر آته عن الفائدة خلاف الظاهر كما فى الارشاد (او انقص منه) اى انقص القيام من النصف المقارن له الى الثلث (قليلا) اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا يحط الى نصف الليل (او زد عليه) اى زد القيام على النصف المقارن له الى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر اى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل الا فى الجزء القليل منه وهو نصفه او انقص القيام من نصفه او زد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل (ورتل القرآن) فى اثناء ما ذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقرآنرا كشاده حروف خوان بحديكه بعضى آن بربى بعضى باشد (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها ولذا نهى ابن مسعود رضى الله عنه عن التعجل وقال ولا يكن هم احدكم آخر السورة يعنى لا بد للقارئ من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل فى حقائق الآيات فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يقع فى الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل والرتل اتساق الشئ وانتظامه على استقامة والترتيل هو يدا كردن سخن بى تكلف قال فى الكشاف ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهزه هزا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يجئ المتلو فى تتابعه كالثغر الالص والامر بترتيل القرآن يشعر بان الامر بقيام الليل نزل بعد ما تعلم عليه السلام مقدارا منه وان قل وقوله انا سنلقى على الاستقبال بالنسبة الى بقية القرآن ثم الظاهر ان الامر به يعم الامة لانه امر مهم للكل والامر للوجوب كما دل عليه التأكيد والندب وكانت قراءته عليه السلام مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اما الاولان فمدهما طبيعى قدر الالف واما الاخير فمده عارضى بالسكون فيجوز فيه ثلاثة اوجه الطول وهو مقدار الفات ثلاث والتوسط قدر الفين والقصر قدر الف وكان عليه السلام مجودا للقرآن كما انزل وتجويده تحسين الفاظه باخراج الحروف من مخارجها واعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة فى قراءته بالزيادة على اداء مخرجه والمبالغة فى بيان صفته فينبغى ان يتحفظ فى الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحدود فى المد عن الادماج والتخليط بان تكون قراءته بحال كانه يلف بعض الحروف والكلمات فى بعض آخر لزيادة السرعة وذلك ان القراءة بمنزلة البياض ان قل صار سمرة وان كثر صار برصا وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القراءة فليس بقراءة فعلم من هذا ان التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير اما الترتيل فهو تؤدة وتأن وتمهل قال فى القاموس ورتل الكلام ترتيلا احسن تأليفه

وترتل فيه ترسل انتهى فهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرءآن اقل من ثلاث لم يفهمه وفى قوت القلوب افضل القرآءة الترتيل لان فيه التدبر والتفكر وافضل الترتيل والتدبر للقرءآن ما كان فى صلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لان اقرأ البقرة ارتلها واتدبرها احب الى من ان اقرأ القرءآن كله هذرمة اى سرعة وعن النبى عليه السلام انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفى كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لم اعدلها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر قال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرءآن كما امر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون ان ما يجدونه فى قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب من القلب وفى الحديث (يؤتى بقارئ القرءآن يوم القيامة فيوقف فى اول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها ولكون المقصود من انزال القرءآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوى شرع الانصات لقرآءة القرءآن وجوبا فى الصلاة وندبا فى غيرها وللقارئ اجر وللمستمع اجران لانه يسمع وينصت او يسمع باذنيه والقارئ يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدى الفرض ولذا قالوا استماعه اثوب من تلاوته (وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى) صرف اوكن حواس جسمانى * وقف اوكن قواى روحانى * دل بمعنى زبان بلفظ سپار * چشم برخط ونقط وعجم كذار * كوش ازومعدن جواهر كن * هوش ازومخزن سرآئر كن * درادايش مكن زبان كج مج * حرفهايش اداكن ازمخرج * دورباش ازتهتك وتعجيل * كام كيرازتأمل وترتيل * واما الحدر فهو الاسراع فى القرآءة كما روى انه ختم القرءآن فى ركعة واحدة اربعة من الامة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد ابن جبير وابو حنيفة رضى الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهم رجع فقرأ مرة اخرى وفى القاموس وابو الحسن على بن عبد الله بن سادان بن البتنى كعربى مقرئ ختم فى النهار اربع ختمات الا ثمنا مع افهام التلاوة انتهى واما ما روى فى مناقب الشيخ موسى السدرانى من اكابر اصحاب الشيخ ابى مدين رضى الله عنه من ان له وردا فى اليوم والليلة سبعين الف ختمة فمعناه ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة فيكون فى كل اثنتى عشرة ساعة خمسة وثلاثون الف ختمة لانها اما ان تنبسط الى ثلاث واربعين سنة وتسعة اشهر واما الى اكثر وعلى التقدير الاول يكون اليوم والليلة منبسطا الى سبع وثمانين سنة وستة اشهر فيكون فى كل يوم وليلة من ايام السنين المنبسطة ايامها ولياليها ختمتان ختمة فى اليوم وختمة فى الليلة كما هو على العادة ويحتمل التوجيه باقل من ذلك باعتبار سرعة القارئ وهذا اى الحدر مختار ابن كثير وابى عمرو وقالون واما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائى وهذا كله انما يتصور فى مراتب الممدود وفى الحديث (رب قارئ للقرءآن والقرءآن يلعنه) وهو متناول لمن يخل بمبانيه او معانيه او بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو انه جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بان يدل حرفا مكان حرف بان يقول مثلا الطالحات بدل الصالحات وبالاعراب كرفع المجرور ونصبه سوآء تغير المعنى به ام لا كما اذا قرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفى خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الاخفاء والادغام والاظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولا شك ان هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفى الذى لا يعرفه الا مهرة القرآء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراآت فى غير محلها لا يتصور ان يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى بعض شروح الطريقة ومن الفتنة ان يقول لاهل القرى والبوادى والعجائز والعبيد والاماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب ان يعلم مقدار ما يصح به النظم والمعنى ويتوغل فى الاخلاص وحضور القلب * لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت * شود ازتو حضور خاطر فوت * فكر حسن غنا برد هوشت * متكلم شود فراموشت * لعنت است اين كه سازدت پى سيم * روز وشب با امير وخواجه نديم * لعنت است اين كه همت تو تمام *

كشت مصروف لفظ وحرف وكلام * نقد عمرت زفكرت معوج * خرج شد در رعايت مخرج *
صرف كردى همه حيات سره * در قرآت سبعه وعشره * همچنين هرچه از كلام خدا *
جز خدا قبله دلست ترا * موجب لعن ومايه طردست * حبذا مقبلى كه زان فردست * معنى
لعن چيست مردودى * بمقامات بعد خشنودى * هركه ماند از خدا بيك سره * آمد اندر
مقام بعد سرو * گرچه ملعون نشد ز حق مطلق * هست ملعون بقدر بعد از * روى ان
عمران بن حصين رضى الله عنه مر على قاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس انتهى فيكون
اعطاء شيء اياه من قبيل الاعانة على المعصية كالاعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس ولا يدع
السوال في كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار وفي الخبر طيبوا طرق القرآن من افواهكم باستعمال السوال
والصلاة بعد السوال تفضل على الصلاة بغير سوال بسبعين ضعفا وفي قوت القلوب وفي الجهر بالقرآن
سبع نيات منها الترتيل الذي امر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب اليه في قوله عليه السلام زينوا
القرآن باصواتكم وفي قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي يحسن صوته وهو احب من اخذه بمعنى الغنية
والاكتفاء ومنها ان يسمع اذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله الا في الجهر
ومنها ان يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب احيائه
ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونا له على البر والتقوى ومنها
ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فاذا كان القارئ على هذه
النيات فجهره افضل لان فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات وكان اصحاب رسول الله عليه السلام
اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وفي شرح الترغيب اختلف في القراءة بالالحان فكرهها
مالك والجمهور ورخص وجهاعما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم واباحها ابو حنيفة وجماعة من السلف
للاحاديث لان ذلك سبب للرقة وانارة الخشية وفي ابكار الافكار انما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه
ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان افرط حتى زاد حرفا او اخفاه فهو حرام وقال بعض اهل المعرفة قوله
ورتل اي ائتل وجاءت التلاوة بمعنى الابلاغ في مواضع من القرآن فالمعنى بلغ احكام القرآن لاهل النفوس
المتمردة المنصرفة عن الاقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية
الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لاصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى كتاب
فصلت آياته وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الاسرار المستهلكين في عين المشاهدة
المستغرقين في بحر المعاينة وهم اخص الخواص وهذا من قبيل الحد واوجد اسراره لارباب الارواح
الطاهرة القائمين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته (انا سنلقي عليك) اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه
لقوله تعالى (قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وايضا ان
القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم الا من كان مؤيدا كالنبي عليه السلام والثقل
حقيقة في الاجسام ثم يقال في المعاني وقال بعضهم ثقيلا تلقيه كما سئل رسول الله عليه السلام كيف يأتيك
الوحي قال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني اي يقلع وينجلي وقد وعيت ما قال
واحيانا يتمثل الي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي
في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا اي يترشح (قال الكاشفي) در حين نزول وحي
بر آن حضرت برين وجه كه مذكور شد اگر بر شتر سوارى بودى دست و پاى شتر خم كشتى واگر تكيه بر ران يكى
از ياران داشتى خوف شكستن آن بودى و در ين محل روى كلبر كش برافروخته (مصراع) بسان كل كه بصحن
چمن برافروزد * وفي التأويلات النجمية ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولا شك ان نبينا عليه السلام كان
الطف الانبياء خلقا وخلقا واعدلهم مزاجا وطبعا واكملهم روحانية ورحمانية وافضلهم نشأة وفطرة
واشملهم استعدادا وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية المشتملة على الاوامر
والنواهي والاحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته والجملة اعتراض بين الامر وهو قم الليل وبين

تعليله

تعليله وهو ان ناشئة الليل الخ لتسهيل ما كلفه عليه السلام من القيام يعنى ان فى توصيف ما سيلقى عليه بالثقل ايماء الى ان ثقل هذا التكليف بالنسبة اليه كالعدم فاذا كان ما سيكلف اصعب واشق فقد سهل هذا التكليف وفى الكشاف اراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التى وردبها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لا يثقل عليه امثاله يقول الفقير شورة المزمل مما نزل فى اوائل النبوة فكان قوله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يشير الى مدة الوحى الباقية لان حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوفى التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملا ثقيلا لانه عليه السلام بعث لتتميم مكارم الاخلاق ولاشك ان ما كان اجمع كان اثقل والله تعالى اعلم بمراده وايضا ان كون القول ثقيلا انما هو بالنسبة الى النفس الثقيلة الكثيفة لتراكم حجبها وبعدها عن درك الحق واما بالنسبة الى النفس الخفيفة اللطيفة فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعا عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات فى ارتفاع الكلفة وفى الذوق والحلاوة (ان ناشئة الليل) اى النفس التى تنشأ فى الليل من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض فالموصوف محذوف والاضافة للملابسة يعنى النفس الناشئة فى الليل (هى) خاصة (اشد وطأ) اى كلفة وثقلا مصدر قولك وطئ الشئ اى داسه برجله او جعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطأ من التى تقوم بالنهار فلا بد من قيام الليل فان افضل العبادات اشقها فالوطأ مصدر من المبنى للمفعول لان الواطئ الذى يلقى ثقله على العابد هو العبادة فى الليل فيكون العابد بالليل اشد موطوأ له من العابد بالنهار ووطأ نصب على التمييز ويجوز ان يكون معنى اشد وطأ اشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب فى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة (واقوم قيلا) اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء اى ازيد من جهة السداد والاستقامة فى المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعنى خواندن قرآن درو بصواب تراست كه دل فارغ باشد واصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان مى خواند وبدل تفكر ميكند * خاموش شد عالم بشب تا چست باشى در طلب * زيراكه بانك عربده تشويش خلوتخانه بود * ويحتمل ان تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ اذا قام او يكون بمعنى العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث فيكون الوطأ مصدرا من المبنى للفاعل فان كل واحد من قيام الليل ومن العبادة التى تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه بمعنى اشد وطأ اثقل واغلظ على المصلى من صلاة النهار فيكون افضل يعنى آن سخترست از جهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت بر نفس بغايت شاق است ويحتمل ان يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فانها تحدث واحدة بعد واحدة اى ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون اشد وطأ اى بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضى الله عنهما قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضى الله عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وفى قوت القلوب ان يصلى بين العشائين ما تيسر الى ان يغيب الشفق الثانى وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لانه آخر ما يبقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى اذا قطعت الارض العليا ودارت من ورآء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الاول من اوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل اى ساعته لانها اول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها اشد من جهة موافقة القلب للكائن لها لسانها وان فسرت بالقيام او العبادة او الساعات كان المعنى انها اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها او من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمه الله اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق (ان لك فى النهار سبحا طويلا) اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك كتردد السابح فى الماء

واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى قال الراغب السبح المر السريع فى الماء اوفى الهوآء استعير لمر النجوم فى الفلك كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس كقوله تعالى فالسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل كقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا وفى تاج المصادر السبح تصرف كردن در معيشت وفى بعض التفاسير قيل السباحة لما فيها من التقلب باليد والرجل فى الماء وقيل معنى الآية ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شئ من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام من نام عن حزبه اوعن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قرأه من الليل ومن اقوال المشايخ ان المريد الصادق اذا فاته ورد من اوراده يليق به ان يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام واخيار امته ومن لا ورد له لا وارد له اى وارد خاص بالخواص وفى قوت القلوب من فاته ورد من الاوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا تقضى الا الفرآئض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزآئم كيلا يعتاد الرخص (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرءآن ودراسة علم خصوصا بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فانهما من ساعات الفتح والفيض وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سوآء كان قلبا اولسانا اواركانا وسوآء كان قياما اوقعودا اوعلى الجنوب وبالفارسية ويادكن پروردكار خودرا وباسماء حسنى اورا بخوان قال عليه السلام من احصاها اى حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه فكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت فالذكر والنسيان فى الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلى المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال شيخى وسندى روح الله روحه فى شرح تفسير الفاتحة للقنوى قدس سره من اشتغل من الاسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب انه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقيقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقى بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية اما من الوجه العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسائط والاسباب والادوات والمواد المعنوية والصورية واما من الوجه الخاص بدون الوسائل والاغيار اومنهما معا جميعا اذ وجهه اما هذا اوذاك لا غيرهما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم فى الآية اذا اردت قرآءة القرءآن اوالصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم وقال القاشانى واذكر اسم ربك الذى هو انت اى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) التبتل الانقطاع والتبتيل دل از دنيا بريدن والمعنى وانقطع الى ربك انقطاعا تاما بالعبادة واخلاص النية والتوجه الكلى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم وبالفارسية يعنى نفس خودرا از انديشه ماسوى الله مجرد ساز واز همكى روى بردار دل درو بند واز غيرش بكسل هر چه جز اوست برون كن از دل وليس هذا منافيا لقوله عليه السلام لا رهبانية ولا تبتل فى الاسلام فان التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذرآء رضى الله عنها البتول اى المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكاح والرغبة عنه لقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم وقوله عليه السلام تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة واما اطلاق البتول على فاطمة الزهرآء رضى الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بنى اسرآئيل فى الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتيلا مكان تبتلا لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل لان حظ القرءآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم لما لم يكن الانقطاع الكلى الا بتجريد النبى عليه السلام نفسه عن العوآئق الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه

قيل

قيل تبتيلا مكان تبتلا فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما في قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا على وجه وهو ان التقدير انبتكم منها انباتا فنبتم نباتا وكذا التقدير ههنا اى تبتل اليه تبتلا يتبتل عما سواه تبتيلا والانسب بيتبتل ربك تبتيلا فان التبتل فعل الله فلا يحصل للعبد الا بمعاونته وفي التأويلات النجمية واذكر اسم ربك بفنا صفاتك وافعالك وتبتل اليه تبتيلا بفنا ذاتك وبقاء ذاته ثم ان التبتل يكون من الدنيا اما ظاهرا فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين اظهروا الفقر في ظواهرهم وابطنوا الحرص في ضمائرهم واما باطنا فقط وهو ممدوح كالاغنياء من الانبياء والاولياء عليهم السلام فانهم انقطعوا عن الدنيا باطنا اذ ليس فيهم حب الدنيا اصلا وانما لم ينقطعوا ظاهرا لان ارادتهم تابعة لارادة الله والله تعالى اراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وايوب والاسكندر وغيرهم عليهم السلام واما ظاهرا وباطنا كاكثر الانبياء والاولياء وقد يكون التبتل من الخلق اما ظاهرا فقط كتبتل بعض المتعبدة في قلل الجبال واجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا واما باطنا لا ظاهرا كاهل الارشاد وهم عامة الانبياء وبعض الاولياء اذ لابد في ارشاد الخلق من مخالطتهم واما ظاهرا وباطنا كبعض الاولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا في المواضع الخالية عن الناس قال بعضهم السلوك الى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الاقبال على الله بملازمة الذكر والاعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر الى جانب المسافر اليه وان كان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد فان مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرآة لكن لا تتجلى فيها لصدأ في وجهها فحق صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة اليها ولا بحركتها الى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب فالحجاب في عين العبد والا فالله متجلى بنوره غير خفي على اهل البصيرة وان كان فرق بين تجلي وتجلي بحسب المحل ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فتجلي العامة كتجلي صورة واحدة في مرآتي كثيرة في حالة واحدة وتجلي الخاصة كتجلي صورة واحدة في مرآة واحدة والبه الاشارة بقوله عليه السلام لي مع الله وقت اذ لا يحتوي ان التجلي في ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يراه غيره فيه يقول الفقير ان في هذا المقام اشكالا وهو انه عليه السلام اذا كان مستغرق الاوقات في الذكر دائم الانقطاع الى الله على ما افاده الآيتان فكيف يتأتى له السبح في النهار على ما افصح عنه قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا ولعل جوابه من وجوه الاول ان الامر بالذكر الدائم والانقطاع الكلي من باب الترقي من الرخصة الى العزيمة كما يقتضيه شأن الاكامل والثاني ان السبح في النهار ليس من قبيل الواجب فله ان يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الاوقات بالذكر والثالث ان الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال تعالى في رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والرابع ان ذلك بحسب اختلاف الاحوال والاشخاص فمن مستغل ومن ذاكر والله اعلم بالمرام

(رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح اى هو رب ما وخالقهما ومالكهما وما بينهما من كل شئ قال في كشف الاسرار يريد به جنس المشارق والمغارب في الشتاء والصيف (لا اله الا هو) استئناف لبيان ربوبيته بنفي الالوهية عما سواه يعني هيچ معبودى نيست سزاوار عبادت مكر او (فاتخذه) لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى (وكيلا) موكولا وموفضا اليه لاصلاحها واتمامها واسترح انت وفي التأويلات النجمية رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الاسماء والصفات ورب مغارب الصفات والاسماء لاستتاره باستتار حجب الصفات وهي حجب الذات وهو المتعين في جميع الموجودات فلا اله الا هو فاتخذه وكيلا اى برد نفسك عنك وعن وجودك المجازي واتخذ وجوده الحقيقي مقام وجودك المجازي وامش جانبك هذا مثل ما قال المريد لشيخه اريد ان اجج على التجريد فقال له شيخه برد نفسك ثم سر حيث شئت قال الامام القشيري رحمه الله ان الله هو المتولي لاحوال عباده يصرفهم على ما يشاء ويختار واذا تولى امر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل واغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه ان مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل حكي عن محمد الدينوري رحمه الله انه قال كان علي دين فاهتممت به في بعض الليالي وضاق صدري فرأيت كأن قائلا يقول لي اخذت هذا المقدار عليك الاخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لي ما قضيت به الدين ثم لم احاسب بعد ذلك قصابا ولا بقالا

ثم قال القشيرى اعلم ان من جعل المخلوق وكيلا له فانه يسأله الاجر وقد يخونه فى ماله وقد يخطئ فى تصرفه او يخفى عنه الاصوب والارشد لصاحبه ومن رضى بالله وكيلا اعطاه الاجر وحقق آماله واثنى عليه ولطف به فى دقائق احواله بما لا يهتدى اليه آماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلا لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرآئضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك لبك [illegible] لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقى رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفى الحوآيج والمصائب [illegible] ريحا او صاعقة او نحوهما فليكثر منه فانه يصرف عنه السوء ويفتح له ابواب الخير والرزق (واصبر على ما يقولون) يعنى قريشا مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات فى حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفى حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفى حق القرءآن من انه اساطير الاولين ونحو ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) تأكيد للامر بالصبر اى واتركهم تركا حسنا بان تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما اعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن او باللسان او بالقلب وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يحتمل للثلاثة ويدعو الى تحريها ما امكن مع تحرى المجاملة قال الحكماء تسلح على الاعدآء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة * آسايش دو كيتى تفسير اين دو حرفست * با دوستان تلطف با دشمنان مدارا (وذرنى والمكذبين) اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم وقد سبق فى ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية اى دعنى معهم وهو الظاهر ويجوز على العطف اى دعنى على امرى مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرءآن وهو اوفق للصناعة لان النصب انما يكون نصا فى الدلالة على المصاحبة اذا كان الفعل لازما وهنا الفعل متعد (اولى النعمة) ارباب التنعم وبالفارسية خداوندان نازوتن آسانى صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا اهل ترفه وتنعم لا سيما بنى المغيرة والنعمة بفتح النون التنعم وبكسرها الانعام وما انعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفى تاج المصادر التنعم بناز زيستن وفيه اشارة الى ان متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كما قال عليه السلام لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن واليا اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وفيه تسلية للفقرآء فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام (ومهلهم) التمهيل زمان دادن والمهل التؤدة والسكون يقال مهل فى فعله وعمل فى مهلة (قليلا) اى زمانا قليلا واجلهم اجلا يسيرا ولا تعجل فان الله سيعذبهم فى الآخرة اذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبرى كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير ولذا قيل انها مدنية (ان لدينا) فى الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب واسبابه وهو اولى من قول بعضهم فى علمنا وتقديرنا لان المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل اشد تأثيرا على ان تلك الآلات صور الاعمال القبيحة ولا شك ان معاصرى النبى عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات (انكالا) قيودا ثقالا يقيد بها ارجل المجرمين اهانة لهم وتعذيبا لا خوفا من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر من حيث ان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب الشديد فى حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون فى الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم فى الآخرة امور مضادة لتنعمهم (وجحيما) وبالفارسية وآتشى عظيم وهى كل نار عظيمة فى مهواة وفى الكشاف هى النار الشديدة الحر والاتقاد (وطعاما ذا غصة) هو ما ينشب فى الحلق ويعلق من عظم وغيره فلا ينساغ اى طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما فى الدنيا من النباتات والاشجار سمان قاتلان للحيوان الذى يأكلهما مستكرهان عند الناس فما ظنك بضريع جهنم وزقومها وهو فى مقابلة الهنيء والمرىء لاهل الجنة وانما ابتلوا بهما لانهم اكلوا نعمة الله وكفروا بها (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر انواع العذاب جاء فى التفسير انه لما نزلت هذه الآية خر النبى عليه السلام مغشيا عليه وعن الحسن البصرى قدس سره انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك

الثالثة فاخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيى البكاء بجاؤا فلم يزالوا حتى شربه شربة من سويق اعلم ان اختلاف العذاب الروحانى فى الاخرة ثلاثة حرقة فرقة المشتهيات وخزى خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح الكاشف عيب المجرم (يوم ترجف الارض والجبال) ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيء القيامة واماره لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين افرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض لكونها اجساما عظاما اوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وايضا ان زلزلة العلويات اظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع (وكانت الجبال) من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) فى القاموس الكثيب التل من الرمل انتهى من كتب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول فى اصله ثم صار اسما بالغلبة للرمل المجتمع (مهيلا) اى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اى نثر واسيل بحيث لو حرك من اسفله انهال من اعلاه وسال لتفرق اجزآئه كالعهن المنفوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الاجزآء منثورا سائلا لاينافى كونه رملا مجتمعا وبالفارسية كوهها سخت چون ريك روان شد ازهيبت آن روز فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل واصله مهيول كبيع من باع لا فعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان ذلك خاصة لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا والحاصل ان الارض والجبال يدق بعضها بعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فترجع الجبال كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثا وتبقى الارض مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات النجمية يوم ترجف ارض البشرية وجبال الانانية وكانت جبال انانية كل واحد رملا منثورا متفتتا شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها (انا ارسلنا اليكم) ياهل مكة شروع فى التخويف باهوال الدنيا بعد تخويفهم باهوال الآخرة (رسولا) هو محمد عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لاينافى ارساله الى من عداهم فان مكة ام القرى فمن ارسل الى اهل مكة فقد ارسل الى اهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ليندفع اوهام اهل الوهم (شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام ردءه وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء اولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سيرة (فعصى فرعون الرسول) اى فعصى فرعون المعلوم حاله كبرا وتعما الرسول الذى ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه بان جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى ان كل واحد منهم كانه فرعون فى نفسه لتمرده (فاخذناه) بسبب عصيانه (اخذا وبيلا) ثقيلا لايطاق يعنى باتش غرق كردن وازراه آب باتش بردن والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ماحاق باولئك لامحالة (فكيف تتقون) قال ابن الشيخ مرتب على الارسال فالعصيان وكان الظاهر ان يقدم على قوله كما ارسلنا الا انه اخر زيادة فى التهويل اذ علم من قوله فاخذناه انهم مأخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة على زيادة كانه قيل هبوا انكم لاتؤخذون فى الدنيا اخذة فرعون واشباهه فكيف تتقون اى تقون انفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى رحمه الله فى تاج المصادر الاتقاء حذر كردن وخود را نگاه داشتن انتهى وافتعل يجيء بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لاتساعده فانه ليس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل (ان كفرتم) اى بقيتم على الكفر (يوما) اى عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز ان يكون

خلرتها اى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اى لاسبيل اليه لفوات وقته فلقى على ساله وكذا اذ المنتصب بكفرتم على تأويل بعدتم اى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان بعدتم يوم القيامة والجزآء (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة مافيه من الدواهى وهو صفة ليوما نصب بالدخل الى اليوم للمبالغة فى شدته والافنفس اليوم لاتأثيرله البتة والولدان بالفارسية نوزادكان ازمادر جمع ولد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد (شيبا) شيوخا بير كندوموى سرايشان سفيد سازد جمع اشيب والشيب بياض الشعر واصله أن يكون بضم الشين كحمر فى جمع احمر لان الضم يقتضى الواوفكسرت لاجل صيانة الياء فرقا بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض اهل التفسير ويؤيده ماقال فى الكشاف وقد مر بى فى بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحلك الغراب اى سواده واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت ابيض قال اريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون وقال احد الدور قى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فى فصل الخطاب و بشر المريسى ومريس قرية بمصر اخذ الفقه عن ابى يوسف القاضى الا انه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن واضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الالم والضرر الى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة المقام مايجثو به الانبياء عليهم السلام على الركب فاظنك بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الاية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا وهم ابعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم اولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال مايذوب تحته الجبال الرواسى والثانى انه محمول على التمثيل بان شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا امور تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية الشدة وفى الحديث (يقول الله) اى فى يوم القيامة (يا آدم) خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه اصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار) اى ميز اهلها المبعوث اليها (قال ومابعث النار اى عدده قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال) اى النبى عليه السلام (فذلك) التقاول (حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولا صغير بل هما كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة معناه لو تصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن احمالهن ولشاب الصغار انتهى وفى بيانه نظر ستأتى الاشارة اليه فى الوجه الثالث (وترى الناس سكارى) اى من الخوف (وماهم بسكارى) اى من الخمر (ولكن عذاب الله شديد) والثالث انه محمول على الفرض والتقدير بان يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لو كان هنالك صبى لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من بعد من اجلة اهل التفسير اذ هو يشعر بان يوم القيامة لايكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت انه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا فى الصغر وكذا من المقرر ان الحبلى تبعث حبلى ففى ذلك اليوم حبل وصغير نعم اذا دخلوا الجنة صاروا ابناء ثلاث وثلاثين والرابع انه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعنى على الكناية بانه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لاينقضى بعد بل يمتد الى حيث يكون مقداره خمسين الف سنة فهو كناية عن غاية الطول لا انه تقدير حقيقى يعنى

ان هذا على عادة العرب فى التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقبت الايام والشهور وفى الاية اشارة الى النفس والهوى وبعد نفوسهم من الله فى يوم قيامة القيامة الذى يجعل ولدان اعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا منهدمة متفانية (السماء) مبتدأ خبره قوله (منفطر به) اى منشق بسبب ذلك اليوم لان الله تعالى مسبب الاسباب فيجوز ان يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار ذكر الله من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمتها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وفى القاموس السماء معروف ويذكر ويجوز ان يكون الباء بمعنى فى واليه ذهب المكى فى قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به اى فيه يعنى فى ذلك اليوم وقيل الباء للالة والاستعانة مثلها فى فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الالة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء ايضا (كان وعده مفعولا) الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله اى كان وعده تعالى اى يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدائد كائنا متحققا لانه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل ان يرتاب فيه او الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال فى الصحاح الوعد يستعمل فى الخير والشر فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد (ان هذه) اشارة الى الايات المنطوية على الفوارع المذكورة وهى من قوله ان لدينا انكالا الى هنا (تذكرة) موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه وبالفارسية پندى وعبرتيست قيل القرآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين وبيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وامان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن اراد الطريق الى رب العالمين (فمن شاء) من المكلفين يعنى پس هركه خواهد از مكلفان (اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ومقام قربه (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل منهما فاطلاق الادنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام النبى عليه السلام واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز المقدار الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوات الخمس لما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس زيادة (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على ادنى والثلث احد اجزآء الثلاثة والجمع اثلاث اى انك تقوم اقل من ثلثى الليل وتقوم من نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما اى و يقوم معك طائفة من اصحابك ومن تبعيضية فلا دلالة فيه على ان قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة فى قيام الليل وهم اصحابك وفيه وعدلهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا اردت الوعد له انا اعلم ما فعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزآء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى اكثر الاوقات بالتوجه الى الله والاعراض عن النفس الا فى اوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الالة وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما واوقاتهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخداى تعالى اندازه ميكند شب وروز را ومبداند مقادير ساعات آن قال الراغب التقدير تبيين كمية الشئ وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما اجرى من تكوير الليل

على النهار وتكوير النهار على الليل اى ادخال هذا فى هذا وان ليس احد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل من المقدار المذكورة ولذا قال (علم) الله (ان) اى ان الشأن (لن تحصوه) لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ان تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فالضمير عائد الى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر والاحصاء انستن وشمردن برسبيل استقصا وتوانستن قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا اى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر اجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الاية على وقوع تكليف مالا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لانهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وفى التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم ان لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل (فتاب عليكم) بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب اى فرخص والتبعة ما يترتب على الشئ من المضرة (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) اى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل او نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقرآءة كما عبر عنها بسائر اركانها على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجازا مرسلا فتبين ان التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بما كان فرضا فى وقت ثم نسخ افضل من التطوع بما لم يكن فرضا اصلا كما قالوا صوم يوم عاشوراء افضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان وفى الحديث ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على ان قيام الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء وامهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ صخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بامر الدنيا جاهل بامر الآخرة والجعظرى الفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختال والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافى والصخاب من الصخب وهو محركة شدة الصوت صخب كفرح فهو صخاب واقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متواليا او قام جزأ ثم نام نومة اخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى اصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وبأى ورد احيى الليل فقد دخل فى اهل الليل وله معهم نصيب ومن احيى اكثر ليلة او نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقى منها كذا فى قوت القلوب وقيل المراد بالآية قرآءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فانه لا يشق وتالون بقرآءته شارح الصلاة ثواب القيام فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن قال الطيبى فى قوله لم يحاجه القرآن ان قرآءته لازمة لكل انسان واجبة عليه فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرآن مجاز ويفهم من كلامه ان قرآءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يخلص عن المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغنتاه عن قيام الليل او حفظتاه من كل شر وسوء وعنه عليه السلام ايعجز احدكم ان يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ومن ذلك قالوا ان قرآءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة واطول الاى افضلها الكثيرة الحروف وان اقتصر على قصار الاى عند فتوره ادرك الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية

فى اشارة

فی اشارة الآیة یعنی اجمعوا واحفظوا فی قلوبکم الصافیة عن کدورات النفس والهوی ما یظهر علیها لاستعدادکم من الحقائق والدقائق والعوارف والمعارف ولا تفشوها الی غیر اهلها فینکروا علیکم فیحرموکم بالکفر والزندقة بالالحاد والالحاد فان حقائقه ودقائقه من المکنونات الالهیة (علم ان) ای ان الشأن (سیکون منکم مرضی) استئناف بیانی لحکمة اخری داعیة الی الترخیص والتخفیف ومرضی جمع مریض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وفیه اشارة الی مرضی القلوب بحب الانانیة والاشتغال بحب الدنیا وشهواتها فانه لا یظهر علیها من اسرار القرآن وحقائقه شئ * چنانچه شیخ سنائی گوید * بحب نبود کرا زقرآن نصیبت نیست جز حرفی * کما زخرشید جز گرمی نیابد چشم نابینا * عروس حضرت قرآن نقاب آنگه براندازد * که دارالملک ایمان را مجرد یابد ازغوغا (وآخرون) عطف علی مرضی (یضربون فی الارض) صفة آخرون ای یسافرون فیها للتجارة من ضرب فی الارض سافر فیها ابتغاء الرزق قال الراغب الضرب فی الارض الذهاب فیها وهو بالارجل (یبتغون) الابتغاء جستن (من فضل الله) وهو الربح وفیه تصریح بما علم التزاما وبیان ان ما حصلوه من الرزق من فضل الله ومحل یبتغون حال من ضمیر یضربون وقد عم ابتغاء الفضل تحصیل العلم فانه من افضل المکاسب وفیه ان معلم الخیر وهو رسول الله علیه السلام کان حاضرا عندهم وقت نزول الایة فاین یذهبون الان یجعل آخر السورة مدنیا فقد کانوا یهاجرون من مکة الی المدینة لطلب العلم وایضا ان هذا بالنسبة الی خصوص الخطاب واما بالنسبة الی اهل القرن الثانی فبقاء الحکم یوقعهم فی الحرج وفی حدیث ابی ذر رضی الله عنه انه قال حضور مجلس علم افضل من صلاة الف رکعة وافضل من شهود الف جنازة ومن عیادة الف مریض قیل ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن بلا علم (وآخرون یقاتلون) الاعداء (فی سبیل الله) عطف علی مرضی ایضا یقاتلون صفته وسبیل الله ما یوصل الی الاجر عند الله کالجهاد وفیه تنبیه علی انه سیؤذن لهم فی القتال مع الاعداء سوی الله فی هذه الایة بین درجة المجاهدین فی سبیل الله والمکتسبین للمال الحلال للنفقة علی نفسه وعیاله والاحسان الی ذوی الحاجات حیث جمع بینهما فدل علی ان التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ایما رجل جلب شیأ من مدینة من مدائن المسلمین صابرا محتسبا فباعه بسعر یومه کان عند الله من الشهداء (فاقرؤا ما تیسر منه) ای واذا کان الامر کما ذکر وتعاضدت الدواعی الی الترخیص فاقرؤا ما تیسر من القرآن من غیر تحمل المشاق فان قیل کیف تثقل قیام اللیل علی الاصحاب رضی الله عنهم وقد خفف علی کثیر من التابعین حتی کانوا یقومون الی طلوع الفجر منهم الامام ابو حنیفة وسعید بن المسیب وفضیل بن عیاض وابو سلیمان ابن الدارانی ومالک بن دینار وعلی بن بکار وغیرهم حتی قال علی بن بکار الشامی منذ اربعین سنة لم یحزنی شئ الا طلوع الفجر قلت الثقلة لم تکن فی قیامه بل فی محافظة القدر المفروض کما سبق علی انه لا بعد فی ان یثقل علیهم قبل التعذر بذلک ثم کان من امر بعضهم انه ختم القرآن فی رکعة واحدة کعثمان وتمیم الداری رضی الله عنهما (واقیموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزکاة) الواجبة وقیل هی زکاة الفطر اذ لم یکن بمکة زکاة غیرها وانما وجبت بعدها ومن فسرها بالزکاة المفروضة جعل آخر السورة مدنیا وذلک ان فرضها متأخر بحسب کمیتها عن نزوله فضلا عن انه سیعجز وعده لرسوله ویتم دینه ویظهره حتی تفرض الزکاة وتؤدی (وأقرضوا الله قرضا حسنا) وقرض ذهید خدایرا قرض نیکو والقرض ضرب من القطع وسمی ما یدفع الی الانسان من المال بشرط رده بدله قرضا لانه مقروض مقطوع من ماله ارید به الانفاقات فی سبل الخیرات غیر المفروض فانها کالقرض الذی لا خلف فی ادائه وفیه حث علی التطوع کما قال علیه السلام ان فی المال لحقا سوی الزکاة علی احسن وجه وهو اخراجها من اطیب الاموال واکثرها نفعا للفقیر آبحسن النیة وخفاء الصدقة الی اخره وفی الصلاء وجه هذا التفسیر هو ان قوله واقیموا الزکاة امر بمجرد اعطائها علی ای وجه کان بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا لیس کذلک بل هو امر بالاعطاء المقید بکونه حسنا وتسمیة الانفاق لوجه الله اقراضا استعارة تشبیهیة بالاقراض من حیث ان ما انفقه یعود علیه مع زیادة وقال بعضهم هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اکبر والنفقة فی سبیل الله کما قال عمر رضی الله عنه او النفقة علی الاهل وفی الحدیث علی الطعم المسلم نفسه واهل بیته فهو له صدقة ای یؤجر علیه بحسن نیته ثم ههنا امر غامض وهو انه روی عن الامام الغزالی

رحمه الله عن القاضي الباقلاني ان ادعاء البرآءة من الغرض بالكلية كفر لان التنزه خاصة الهية لا يتصور الاشراك فيها فلعل ما يقال ان العبد ليبلغ الى درجة بعمل ما يعمل لا لغرض بل لرضى الله او لامتثال امره فقط انما هو من الغفلة عن غرض خفي هل هو غرض جلي لكنه مراد علي يقول الفقير هذا وارد على اهل الارادة واما اهل الفناء عن الارادة وهم اهل النهاية الاكملون فلا غرض لهم اصلا وامرهم عجيب لا يعرفه الا امثالهم او من عرفه الله بشأنهم (وما) شرطية (تقدموا لانفسكم من خير) اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه) جواب الشرط ولذا جزم (عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وفي كشف الاسرار تجدوا ثوابه خيرا لكم من متاع الدنيا واعظم اجرا لان الله يعطي المؤمن اجره بغير حساب قوله خيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه او فصل بينه وبين المفعول الثاني وان لم يقع بين معرفتين فان افعل في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله واعظم عطف على خيرا واجرا تمييز عن نسبة الفاعل والاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان او اخرويا وقال بعضهم المشهور ان وجد اذا كان بمعنى صادف يتعدى الى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بعد ان يكون خيرا حالا من الضمير وفي الحديث اعلموا ان كل امرئ على ما قدم قادم وعلى ما خلف نادم وعنه عليه السلام ان العبد اذا مات قال الانسان ما خلف وقالت الملائكة ما قدم ومر عمر رضي الله عنه ببقيع الغرقد اي مقبرة المدينة لانها كانت منبت الغرقد وهي بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

وروي عن عمر رضي الله عنه انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه مسكين فاخذه ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر لكن رب المسلمين يدري ما هو فكانه قال وما تقدموا الخ * تو نيكي كن بآب انداز اي شاه * اكر ماهي نداند داند الله (واستغفروا الله) اي سلوا الله المغفرة لذنوبكم في جميع اوقاتكم وكافة احوالكم فان الانسان فلما يخلو عن تفريط وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار الى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الاسماء من القرآن مثل ان يقول استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله انه كان غفارا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (ان الله غفور) يغفر ما دون ان يشرك به (رحيم) يبدل السيئات حسنات وفي عين المعاني غفور يستر على اهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهد والتوقير ومن عرف انه الغفور الذي لا يتعاظمه ذنب يغفره اكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم ان كان مع الانكسار فهو صحيح وان كان مع التوبة فهو كامل وان كان عريا عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مرارا وسيد الاستغفار قوله اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت

تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الاربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة المدثر مكية وآيها ست وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها المدثر) بتشديدين اصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وفيه اشارة الى ان الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام في مقام الانذار بالمدثر روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال كنت على جبل حرآء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري ولم ار شيأ فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر يعني انما تدثر بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرآئصه رعبا من الملك النازل من حيث انه رأى ما لم يره قبل

ولم

ولم يستأنس به بعد فظن ان به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقيب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي عليه السلام بعلم او حكم يلقي ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتضلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر كما قال في كشف الاسرار وتفسير الكاشفي جابر بن عبد الله رضي الله عنه نقل ميكند از رسول صلى الله عليه وسلم در زمان فترت وحي براهي ميرفتم ناگاه از آسمان آوازي شنيدم چشم بالا كردم ديدم همان ملك كه در غار حرا بمن آمده بود بر كرسي نشسته ميان زمين وآسمان از سطوت وهيأت وعظمت وهيكل او خوفي بر من طاري شد بخانه باز گشتم وگفتم مرا بپوشانيد جامها بر من پوشيدند ومن در انديشه آن حال بودم كه حضرت عزت جل شانه وحي فرستاد كه يا ايها المدثر وقال المسهيلي رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع من هول الوحي اول نزوله وقال دثروني دثروني فقال له ربه يا ايها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل وفائدة اخرى مشاكلة الاية بما بعدها ووجه المشاكلة بين اول الكلام وبين قوله قم فانذر وخفي الابعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام انى انا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا اجتهد جرد ثوبه واشار به مع الصياح تأكيدا في الانذار والتحذير وقد قيل ايضا ان اصل قولهم النذير العريان ان رجلا من خثعم وهو بكعفر جبل واهله خثعميون وابن انمار ابو قبيلة من معد كما في القاموس اخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فافلت الى قومه نذيرا لهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد في الانذار والتخويف النذير العريان فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فامر المتدثر بالثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى (قم) اى من مضجعك يعني خوابگاه (فانذر) الناس جميعا من عذاب الله ان لم يؤمنوا لانه عليه السلام مرسل الى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل الا وقد بلغتها دعوته وقرعها انذاره وافرد الانذار بالذكر مع انه ارسل بشيرا ايضا لان التخلية بالمهمة قبل التحلية بالمهمة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان اول الامر هو الانذار يقول الفقير امده الله القدير بالفيض الكثير خوطبت بقوله قم فانذر وانا متوجه مراقب عند الرأس الشريف في الحرم النبوي فحصل لي اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الالهي وغلبني الارتعاد وظننت اني مأمور بالانذار الظاهري في ذلك المقام لما ان اكثر الناس كانوا يسيئون الادب في ذلك الحرم حتى اني بكيت مرة بكاء شديدا من غلبة الغيرة فقيل لي اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم اني عرفت بالهام من الله تعالى اني رسول نفسي لا غير مأمور بتزكيتها واصلاح قواها ومن الله الاعانة على ذلك (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وعظمة عما يقول فيه عبدة الاوثان وسائر الظالمين ويروى انه لما نزل قال رسول الله عليه السلام الله اكبر فكبرت خديجة ايضا وفرحت وايقنت انه الوحي لان الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وان لم يكن في اوائل النبوة صلاة وذلك لان الصلاة عبارة عن اوضاع وهيئات كلها تعطي التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لان وجه الله يحاذي وجه العبد حينئذ على ما ورد في الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اى اى شئ حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء اولا لدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر به وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لاجزائيه واعلم ان كبرياءه تعالى ذاتي له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو اكبر من ان يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فهو المكبر والمثنى لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الازل الى الابد (وثيابك فطهر) جمع ثوب من اللباس اى فطهرها عما لا يبنى بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فانه قبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبيثا سواء كان في حال الصلاة او في غيرها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لانه من لوازمه ومعنى التقصير

ان تكون الى انصاف الساقين اوالى الكعب فانه عليه السلام جعل غاية طول الازار الى الكعب وتوعد على ماتحته بالنار وحضرت مرتضى رضى الله عنه كفت كوتاه كن جامه را فانه اتقى وانقى وابقى وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فان المشركين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن الى تطهير الظاهر لان الغالب ان من نقى باطنه ابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهارة فى كل شئ فان الدين بنى على النظافة ولا يدخل الجنة الا نظيف والله يحب الناسك النظيف وفى الحديث غسل الاناء وطهارة الفناء يورثان الغنى وفى المرفوع نظفوا افواهكم فانها طرق القرءآن قال الراغب الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله وثيابك فطهر قيل معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى اوطهر قلبك كما فى القاموس اواخلاقك فحسن قاله الحسن وفى الخبر حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار اوعملك فاصلح كما فى الكواشى ومنه الحديث يحشر المرء فى ثوبيه اللذين مات فيهما اى عمليه الخبيث والطيب كما فى عين المعانى وانه ليبعث فى ثيابه اى اعماله كما فى القاموس اواهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباسا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن (كما فى كشف الاسرار) وقال ابن عباس لاتلبسها على معصية ولا على غدر البسها وانت بر طاهر كما فى فتح الرحمن قال الشاعر

وانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

وذلك ان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما ان اهل الصدقة والوفاء يسمى طاهر الثياب ودد نفحات از شيخ ابو الحسن شاذلى قدس سره نقل ميكند كه حضرت رسالت را صلى الله عليه وسلم درخواب ديدم ومرا كفت اى على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله فى كل نفس يعنى پاكيزه كرد ان جامهاى خود را آز چرك تا بهره مند كردى بمدد وتأييد خداى تعالى در هر نفسى كفتم يا رسول الله ثياب من كدامست فرمود كه بر تو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت وخلعت توحيد وخلعت ايمان وخلعت اسلام هركه خدايرا دوست دارد بروى آسان شود هر چيز وهركه خدايرا بشناسد در نظر وى خرد نمايد هر چيز وهركه خدايرا به يكانكى بداند بوى شريك نيارد هيچ چيزرا وهركه خداى تعالى را ايمان آرد ايمن كردد از هر چيز وهركه باسلام متصف بود خدايرا عاصى نشود واكر عاصى شود اعتذار كند وچون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى پس شيخ فرمود از اينجا دانستم قول خدايرا وثيابك فطهر * در تو پوشيد لطف يزدانى * خلعتى از صفات روحانى * دارش از لوث خشم وشهوت دور * تا بپاكيزكى شوى مشهور (والرجز فاهجر) قرأ عاصم فى رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الرآء ومعناهما واحد وهو الاوثان وسبق معنى الهجر فى المزمل اى ارفض عبادة الاوثان ولا تقربها كما قال ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ويقال الرجز العذاب اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم سمى ما يؤدى الى العذاب رجزا على تسمية المسبب باسم سببه والمراد الدوام على الهجر لانه كان بريئا من عبادة الاوثان ونحوها (ولا تمنن تستكثر) برفع تستكثر لانه مستقبل فى معنى الحال اى ولا تعط مستكثرا اى رآئيا لما تعطيه كثيرا اوطالبا للكثير على انه نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيأ وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته اى يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاى الكثرة فهو اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لعلو منصبه فى الاخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقرآء امته ولم تحل له ولاهله لشرفه اوللتنزيه للكل اى له ولامته وقال بعضهم هو من المنة لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة خصوصا اذا من بعمله على الله بان يعده كثيرا فان العمل من الله منة عليه كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الايجاد فضلا عما لا يحصى من انواع الجود (ولربك فاصبر) اى فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من اذية المشركين فان المأمور بالتبليغ لا يخلو عن اذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المر حلوا وبالتمرن يحصل الذوق تحمل چو زهرت نمايد تخست ولى شهد كردد چو در طبع رست وقال بعض اهل المعرفة اى جرد صبرك عن ملاحظة الغير فى جميع المراتب اى فى الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر فى البلاء كما قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال القاشانى يا ايها المدثر

اى المتلبس بدثار البدن المحتجب بصورته قم عما كنت اليه وتلبست به من اشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فانذر نفسك وقومك وجميع من عدا الله عذاب يوم عظيم وان كنت تكبر شيأ وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره وليصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه وظاهر لك فطهره اولا قيل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق وقبايح الافعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى العذاب فاهجر اى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفاسقة والغواشي الظلمانية والهيولانية ولا تعط المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل ما تفعل صابرا على الفضيلة له لا لشئ آخر غيره (فاذا نقر في الناقور) الناقور بمعنى ما ينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل مرة للاصعاق واخرى للاحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت يعنى جعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ اذ هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم اى فاذا نفخ في الصور والفاء للسببية اى سببية ما بعدها لما قبلها دون العكس فهى بمعنى اللام السببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلق عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو اذ والتقدير اذ نقر في الناقور يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا كانه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم (غير يسير) خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التى يحيى الناس عندها اذ هى التى يخص عسرها بالكافرين جميعا واما النفخة الاولى فهى مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى وفي الحديث كيف انعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر ان ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال القاشاني ينقر في البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات المكتسبة المردية الموجبة للعذاب او الحسنة المنجية الموجبة للثواب ولا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احد وان خفي يسره على غيرهم الا على المحققين من اهل الكشف والعيان (ذرني ومن خلقت وحيدا) حال اما من الياء اى ذرني وحدى معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدى لم يشركني في خلقه احدا ومن العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظيرا يضاف سماه الله بالوحيد تهكما به واستهزاء بلقبه كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وصرفه عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه ونسبه لانه كان زنيما وهو من الحق بالقوم وليس منهم كمرا ووحيدا في الشرارة والخباثة والدناءة (وجعلت له مالا ممدودا) اى مبسوطا كثيرا وهو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقال الثورى كان له الف دينار (وبنين) ودادم او اربعة او سبعة (شهودا) جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره اى حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا معه في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم وكان له عشرة بنين اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون واطبق المحدثون على ان الوليد بن الوليد اسلم وعمارة قتل كافرا اما يوم بدر او في الحبشة على يد النجاشي قال السهيلي رحمه الله هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذى يقال له سيف الله وغيره ؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نعمه (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض فاتممت عليه النعمة فان اجتماع المال والجاه هو الكمال عند اهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحان نبت طيب الرائحة والولد والرزق وفي التأويلات النجمية يشير الى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة في الشر والظلم والجور والجهل وكثرة اموال اعماله السيئة الذميمة وثروة اجناس اخلاقه الذميمة والى بنى اتباعه

الخبيثة الخسيسة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند ارباب النفوس المتمردة عن اوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق واهاليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية يعنى دعنى واياه فانى اسلط عليه ابابكر الخلق وعمر الروح وعثمان السر وعلى القلب حتى انهم بانوارروحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغلبون على اعماله ويقتلون بنى اتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته (ثم يطمع) يرجى (ان ازيد) على مااوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لامزيد على ماوتيه سعة وكثرة يعنى انه اوتى غاية ماأوتى عادة لا مثاله اولانه منافٍ لماهو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم اى لايجمع فيه بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب فيكون متصلا بماقبله (انه كان لآياتنا عنيدا) يقال عند خالف الحق ورده عارفا به فهو عنيد وعاند يعنى منكر وستيزه كننده والمعاندة المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير بمعنى الجالس والمواكل والمعاشر وهو تعليل لما قبله على وجه الاستئناف التحقيقى فان معاندة آيات المنعم وهى الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتى ماأوتى استدراجا وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيدا يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركا للعناد فى سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير*

آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش * بسيار بخايد سرانكشت نداست * (سأرهقه صعودا) قال الراغب رهقه الامر غشيه بقهر يقال رهقته وارهقته مثل ردفته واردفته وتبعته واتبعته ومنه ارهقت الصلاة اى اخرتها حتى غشى وقت الاخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان لارهق وفى بعض التفاسير صعودا ما فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال اوبمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره اما باعتبار كون موصوفه طريقا او باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرها بدل مايطمعه من الزيادة ارتقاء عقبة شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على ان يكون الارهاق تكليف الشئ العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالى رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت انتهى وهو مثال لمايلقى من العذاب الصعب الذى لايطاق ويجوز ان يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا يهوى كذا ابدا يعنى برپالاى آن نتوان رفت اورا در زنجيرهاى آتشين كشيده ازپيش مى كشند وازعقب كرزهاء آتشين كشيده ازپيش مى كشند وازعقب كرزهاء آتشين ميزنند تابرآنجا ميرود درهفتاد سال وبازكشتن وزيرافتادن اوهمچنين است قوله سبعين خريفا اى سبعين عاما لان الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كانه العام كله وهذا كما تسمى المدة الصورية علة تامة لذلك قال فى القاموس الخريف كامير ثلاثة اشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار اى تجتنى وعنه عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال فى تاج المصادر والتفكير اندیشه كردن والتقدير اندازه وتهية كردن اى فكر ماذا يقول فى حق القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر فى نفسه مايقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان يتمناه قريش قاتلهم الله اوثناء عليه بطريق الاستهزاء به على معنى ان هذا الذى ذكره وهو كون القرآن سحرا فى غاية الركاكة والسقوط اوحكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ماأشجعه واخزاه الله ماأشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق فى قاتلهم الله فى المنافقين مزيد البيان وروى ان الوليد مر بالنبى عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفى بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة اى حسنا وبهجة وقبولا وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق اى كثير الماء شبه القرآن بالشجرة الغضة الطرية التى استحكم اصلها بكثرة الماء واثمرت فروعها فى السماء وثابت له اعلى واعذل ولاعلاه الاثمار ولاسفله الاغداق

على طريق التخييل (قال الكاشفي) مراورا حلاوتي وعذوبتي هست كه هيچ سخن را نباشد وبروي طراوتي وتازكي هست كه هيچ حديثي را نبود اعلاي آن نهال ثمر سعادات كليه واسفل اين شجرة طيبه عروق فضائل وحكم جليه است ثم قال الوليد وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد اى مال عن دينه وخرج الى دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم اى بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه ما احماه اى أغضبه يعنى گفت كه قريش ميگويند كه سخنان محمد را عليه السلام پسند ميدهى وانرا بزرك ميدارى وثنا ميگويى تا ازفضلة طعام ايشان بهره برداري اگر چنين است تا همه قريش فراهم شوند وتراكفايتى حاصل كنند تا ازطعام ايشان بى نيازشوى وليد اين سخن از ابو جهل بشنيد درخشم شد گفت الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا واين اصحاب محمد خود هركز از طعام سير نشوند وازفقر وفاقه نياسايند چه صورت بندد كه ايشان را فضلة طعام بود تا بديكرى دهند پس هردو برخاستند وبر انجمن قريش شدند وليد گفت شما كه قريش ايد بدانيد كه حال وكار اين محمد در عرب منتشر گشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند واز حال وى پرسند جواب ايشان چه خواهيد داد تزعمون انه مجنون فهل رأيتموه يخنق لان العرب كانت تعتقد ان الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول فى حقه ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه راضين به (ثم قتل كيف قدر) تكرير للتعجيب للمبالغة فى التشنيع وثم للدلالة على ان النكرة الثانية فى التعجيب ابلغ من الاولى اى للتراخى بحسب الرتبة وان اللائق فى شأنه ليس الا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على اصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) اى فى القرآن مرة بعد مرة وتأمل فيه (ثم عبس) فقلب وجهه يعنى روى فاهم كشيد وترش كرفت لا لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (وبسر) اتباع لعبس قال سعدى المفتى لكن عطف الاتباع على المتبوع غير معروف والظاهر ان كلا منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسوداد وجهه ومنه ذكره الحلبى والمعهدة عليه وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه نحو ابسار الرجل حاجته مالها فى غيرا وانها وقوله ثم عبس وبسر اى اظهر العبوس قبل اوانه وفى غير وقته انتهى (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عن اتباعه (فقال) عقيب توليه عن الحق (ان) نافية بمعنى ما ولذا اورد الا بعدها (هذا) الذى يقوله محمد عليه السلام اى القرآن (الا سحر يؤثر) اى يروى ويتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال اثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور اى منقول ينقله خلف عن سلف وادعية مأثورة اى مروية عن الاكابر وفى تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيته والعمل به كفر كما قيل (عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه * ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) وقد سبق معناه وما يتعلق به فى مواضعه (ان هذا) ما هذا (الا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذا خلى عن العاطف فانه تمرد وعنادا لا على سبيل الاعتقاد لما روى قبل انه اقر بان القرآن ليس من كلام الانس والجن واراد بالبشر يسارا وجبرا وابا فكيهة اما الاولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبى عليه السلام يجلس عندهما واما ابو فكيهة فكان غلاما روميا يتردد الى مكة من طرف مسيلمة الكذاب فى اليمامة (سأصليه سقر) اى ادخله جهنم لما قال فى الصحاح سقر اسم من اسماء النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس اذا آذته وآلمته وسميت سقر لا يلاسمها قوله سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا بدل الاشتمال سوآ جعل مثلا لما يلقى من الشدائد واسم جبل من نار لان سقر تشتمل على كل منهما (وما ادراك ما سقر) ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لقوله سقر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق فى الحاقة والمعنى اى شئ اعلمك ما سقر فى وصفها يعنى انه خارج عن دائرة ادراك العقول ففيه تعظيم لشأنه (لا تبقى ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما سقر اى لا تبقى شيأ يلقى فيها الا اهلكته بالاحراق واذا اهلكت لم تذرها هالكة حتى يعاد خلقا جديدا وتهلك اهلا كانيا وهكذا

كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ولا تبقى على شئ اى لا ترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لانها خلقت من غضب الجبار قال فى تهذيب المصادر الابقاء باقى كردن ونيز شفقت بردن وقيل لا تبقى حيا ولا تذر ميتا كقوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى (لواحة للبشر) يقال لاحت النار الشئ اذا احرقته وسودته ولاحه السفر او العطش اى غيره وذلك ان الشئ اذا كان فيه سومة فاذا احرق اسود والبشر جمع بشرة وهى ظاهر جلد الانسان اى مغيرة لاعالى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل فان قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله لا تبقى ولا تذر قلت ليس فى الاية دلالة على انها تفنى بالكلية مع انه يجوز ان يكون الافناء بعد التسويد وقيل لا يحتمل للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح اى ظهر وان البشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى فيصل الى الكافر سمومها وحرورها كما يصل الى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام (عليها) اى على سقر (تسعة عشر) اى ملكا يتولون امرها ويتسلطون على اهلها وهم مالك وثمانية عشر معه اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ احدهم سبعين الفا فى كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عددا لرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فيجوز ان يكون لكل واحد منهم اعوان لا تعد ولا تحصى ذكر ارباب المعانى والمعرفة فى تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوها منها ان سبب فساد النفس الانسانية فى قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هى الحس الظاهرة والحس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشرة قال ابن الشيخ والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة اى ما لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهى الحواس الخمس الظاهرة والحس الباطنة والفاعلة اى ما لها مدخل فى الفعل اما باعثة او محركة اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية هى القوى التى لا تختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا وهى سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدى المفتى وانت خبير بان اثبات هذه القوى بناؤه على الاصول الفلسفية ونفى الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن امثاله اى وان ذكرها الامام فى التفسير الكبير وتبعه من بعده وقال ايضا والحق ان يحال علمه الى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن ادراك امثاله انتهى ويرده ما قال الامام السهيلى فى الامالى ان النكتة التى من اجلها كانوا تسعة عشر عددا اولم يكونوا اكثر او اقل فلعمرى ان فى الكتاب والسنة لدليلا عليها واشارة اليها ولكنها كالسر المكنون والناس اسرع شئ الى انكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن فى نشرها وذكرها سوء التأويل لتصورا كثر الافهام عن الوعى والتحصيل مع قلة الانصاف فى هذا الجيل انتهى ومنها ان ابواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر ومنها ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشرة مشغولة بغير العبادة مصروفة الى ما يؤاخذ به بانواع العذاب يعنى انه لم يخلق فى مقابلة الخمس التى جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريما لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما فى حواشى سعدى المفتى فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر ومنها انه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الارض من الجبال وهى مائة وتسعون اصلها تسعة عشر ومنها ان المدبرات للعالم النجوم السيارة وهى سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلى المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وترديهم فى مهاويها ومنها ما قال السجاوندى فى عين المعانى قد تكلموا فى حكمة العدد على انه لا تطلب للاعداد العلل فان التسعة اكثر الاحاد والعشرة اقل المشرات فقد جمع بين اكثر القليل واقل الكثير يعنى ان التسعة عشر عدد جامع بينهما

فلهذا

فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد ومنها ما قال فى كشف الاسرار ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وعدد الزبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحدا منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها ما لاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على ما فى كشف الاسرار وهو ان عدد حروف البسملة تسعة عشر (كما قال المولى الجامى) نوزده حرفست كه هرذره هزار * عالم ازو يافته فيض عميم ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الاية حيث سدوا سبيل الكفر والمعاصى خلق الله فى مقابلة كل حرف منها ملكا من الغضب والجلال وجعله اية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ما قلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهو اكبر الحيات بالفارسية اژدر فى فمه اثناب مثل اسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق احمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الانسان والحيوان وسره انه كفر بالله وبآياته الحسنى التى هى تسعة وتسعون فاستحق ان يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا بعددها فى قبره الذى هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم ان يسلط عليه ذلك العدد فى النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لانه ينقرض عن اهل النار امداد الرحمة الرحيمية ومنها ما فى التأويلات النجمية من ان اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول فى جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهى تسعة غير الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهى الاعضاء والجوارح السبع التى ورد بهما الحديث بقوله عليه السلام امرت ان اسجد على سبعة اعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة فى الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز ان تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر (وما جعلنا اصحاب النار) اى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها فاصحاب النار هنا غير اصحاب النار فى قوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة وفى كشف الاسرار وما جعلنا خزنة اصحاب النار فحذف المضاف انتهى وفيه بعد لانهم خزنة النار لا خزنة اصحابها (الا ملائكة) ايضا لفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولا يميلوا اليهم فان المجانسة مظنة الرأفة فلذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى واشدهم بأسا وعن النبى عليه السلام لقوة احدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم ويروى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد ابن اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته انه اذا قام على اديم واجتمع جماعة على ازالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الاديم حتى يتقطع قطعا ورجلاه على حالهما انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين فنزلت اى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فمن ذا الذى يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ ارواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة ما يقلب الارض فيجعل عاليها سافلها وتقام آدميان طاقت ديو واريك فرشته ندارند تا بمقاومت بجا بسر آيند (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) اى وما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم ووقوعهم فى الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر اى بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيها على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من داخل المبتدأ والخبر فوجب حمل مفعوله الثانى على الاول ولا يصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية الا بالتوجيه المذكور فان عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل امر الجم الغفير واستهزآئهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور واللام للطلب اى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم وفى عين المعانى سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة النار وعددهم فاجاب عليه السلام بانهم تسعة عشر يعنى دوبار با صابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) اى يزدادا ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل (ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان

وازدياد الايمان فان نفى ضد الشئ بعد اثبات وقوعه ابلغ فى الاثبات ونفى لما قد يعترى المستيقن والمؤمن من شبهة ما فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وانما لم ينظم المؤمنين فى سلك اهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما فيهم من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك بخلاف قول الذين فى قلوبهم مرض) شك او نفاق فان كلا منهما من الامراض الباطنة فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة اذ النفاق انما حدث بالمدينة وكان اهل مكة اما مؤمنا حقا واما مكذبا واما شاكا (والكافرون) المصرون على التكذيب فان قلت كيف يجوز ان يكون قولهم هذا مقصودا لله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا اشكال (ماذا اراد الله بهذا مثلا) تمييز لهذا او حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية اى اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فاطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين والاستفهام لانكار انه من عند الله بناء على انه لو كان من عنده لما جاء ناقصا وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال اى يضل الله من يشاء اضلاله كابى جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم اضلالا كائنا مثل ماذكر من الاضلال لا اضلالا ادنى منه لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق واصله ان الله لا يضل الا بحسب الضلالة الازلية لان الضلال وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة (ويهدى من يشاء) هدايته كاصحاب محمد عليه السلام هداية كائنة مثل ماذكر من الهداية لا هداية ادنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الايات الى جانب الهدى وحقيقته ان الله لا يهدى الا بموجب الهداية الازلية اذ الاهتداء وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من احواله الازلية فلا يجوز خلافه فى عالم العين والابد (وما يعلم جنود ربك) اى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفى الحديث ان لله جنودا منها العسل (الا هو) لفرط كثرتها وفى حديث موسى عليه السلام انه سأل ربه عن عدد اهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطا عدد كل سبط عدد التراب وفى الاسرار المحمدية ليس فى العالم موضع بيت ولا زاوية الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله والدليل على ذلك امر النبى عليه السلام بالتستر فى الخلوة ولان لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه اشارة الى ان لله فى اختيار عدد الزبانية حكمة والا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشانى ومايعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات واحوالها وفى التأويلات النجمية الاهوية الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الاسماء الجزئية وجزئيات الاسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فارواح ليس لهم عقل الا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف الى العالم ولا الى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وارواح مدبرة اجساما طبيعية ارضية وهى ارواح الانامى وارواح الحيوانات من كل جسم عنصرى طبيعى وهذه الارواح المدبرة لهذه الاجسام مقصورة عليها مسخر بعضها البعض كما قال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وارواح اخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحى ومنهم الموكل بالالقاء ومنهم الموكل بالارزاق ومنهم الموكل بقبض الارواح ومنهم الموكل باحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لاعمال العباد ومنهم غير ذلك واما مراتبهم وتفاوتها ففيهم الاكبر والكبير فجبريل اكبر من عزرائيل وميكائيل اكبر من جبريل واسرافيل اكبر من ميكائيل وقال بعضهم هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هى لترتيب المملكة الظاهرة للعالم الاعلى والاسفل لانه اذا كان ما فى السموات وما فى الارض جنوده فمن يقاتلون غايتى الا ان المراد بهم جنود التسخير اذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا باسرهم تحت ايدى الاثنى عشر ملكا الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم فى الفلك الاقصى كل وال فى برج كابراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا اسماءهم

وحراتبهم وماشاء الله ان يجريه على ايديهم فى عالم الخلق الى يوم القيامة فارتقم ذلك كله فى نفوسهم وعلموه علما محفوظا لا يتبدل ولا يتغير كما علمنا نحن اسماءهم واحوالهم من مقابلة قلوبنا اللوح المحفوظ ثم ان الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان اوامرهم الى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشى بينهما بما يلقى اليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم حجابا لهؤلاء الولاة فى الفلك الثانى منازل يسكنونها وانزلهم اليها وهى الثمانى والعشرون منزلة التى تسمى المنازل التى ذكرها الله بقوله والقمر قدرناه منازل يعنى فى سيره ينزل كل يوم منزلة منها الى ان ينتهى الى آخرها ثم يدور دورة اخرى ليعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شئ فصله الحق لنا تفصيلا فاسكن فى هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب اولئك الولاة الذين فى الفلك ثم ان الله امر هؤلاء ان يجعلوا لهم نوابا ونقباء فى السموات السبع فى كل سماء نقيبا كالحجاب لهم لينظروا فى مصالح العالم العنصرى بما يلقيه اليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها فجعل الله اجسام هذه الكواكب النقباء اجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها ارواحها وانزلها فى السموات السبع فى كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثنى عشر واليا بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين كما يأخذ اولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء ملكا يسبح فيه هوله كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم افلاك يسبحون فيها اذ كان لهم التصرف فى حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة واعوان يزيدون على الالف اعطاهم الله مراكب سماها افلاكا فهم ايضا يسبحون فيها وهى تدورهم على المملكة فى كل يوم مرة فلا يفوتهم شئ من المملكة اصلا من ملك السموات والارض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم فى خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون فى حقنا اذ كنا نحن المقصود الاعظم من العالم كله قال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسبب دوران الافلاك علينا كل يوم دورة انما هو لينظر هؤلاء الولاة فيما تدعو حاجة الخلق اليه من الامور فيسددوا خللهم وينفذوا احكام الله فيهم من كونه مريدا فى خلقه لا من كونه آمرا اليه فينفذون الاقدار فيهم فى ازمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الامور بايدى هؤلاء الجماعة من الملائكة واقعد منهم من اقعد فى برجه ومسكنه الذى فيه تخت ملكه وانزل من انزل من الحجاب والنقباء الى منازلهم فى سمواتهم كذلك جعل فى كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فمنهم اهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق فى كل صباح ومساء ولا يقولون الا خيرا فى حقنا ومنهم المستغفرون لمن فى الارض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الالهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن فى الارض ومنهم الموكلون بايصال الشرائع ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالالهام وهم الموصلون العلوم الى القلوب ومنهم الموكلون بالارحام بتصوير ما يكون الله فى الارحام ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم فما من حادث يحدثه الله فى العالم الا وقد وكل الله باجرائه الملائكة ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة فلا يزالون تحت سلطانهم اذ هم خصائص الله ثم ان العامة ما تشهد من هؤلاء الملائكة الا منازلهم التى هى اجرام الكواكب ولا تشهد اعيان الحجاب ولا النقباء واما اهل الكشف فيشهدونهم فى منازلهم عيانا ثم اعلم ان الله قد جعل فى هذا العالم العنصرى خلقا من جنسهم ولاة عليهم نظير العالم العلوى فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة امور جميع العالم من القضاة واضرابهم ثم جعل بين ارواح هؤلاء الولاة الذين هم فى الارض والولاة الذين هم فى السموات مناسبات ودقائق تمتد اليهم بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الارضيون منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده حسنا قويا قبل ذلك الامر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الامر الطاهر فورده الى شكله من الرداءة والقبح والجور فكان والى جور ونائب ظلم وبخل فلا يلوم الا نفسه فهذه امهات مراتب حكام العالم اصحاب المراتب على سبيل الاجمال واما الرعية فلا يحصى عددهم الا الله ولله تعالى فى الارض ملائكة لا يصعدون الى السماء ابدا وملائكة فى السماء لا ينزلون الى الارض

ابدا كل قدعلم صلاته وتسبيحه بالهام من الله تعالى كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى رحمه الله (وماهى) اى سقر وذكر صفتها (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة وعظة وانذارا لهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الانس مع انها تذكرة للجن ايضا لانهم هم الاصل فى القصد بالتذكرة اوو ماعدة الخزنة الا تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا ان الله قادر على ان يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لا يحتاج فى ذلك الى اعوان وانصارا صلا فانه لو قلب شعرة واحدة فى عين ابن ادم او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وايلاما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز ان يعود الضمير الى الآيات الناطقة باحوال سقر فانها تذكرة لاشتمالها على الانذار (كلا) ردع لمن انكر سقر اى ارتدع عن انكارها فانها حق او انكار ونفى لان تكون لهم تذكرة فان كونها ذكرى للبشر لا ينافى ان بعضهم لا يتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم الا يرى الى قوله تعالى تالهم عن التذكرة معرضين (والقمر) مقسم به مجرور بواو القسم يعنى وسوكند بماه كه معرفت اوقات وآجال بوى بازبسته است وفى فتح الرحمن تخصيص تشريف وتنبيه على النظر فى عجائبه وقدرته فى حركاته المختلفة التى هى مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل وقال ابو الليث وخالق القمر يعنى الهلال بعد ثالثه (والليل) معطوف على القمر وكذا الصبح يعنى وبحرمة شب (اذ) بسكون ذال اذ وهو ظرف لما مضى من الزمان (ادبر) على وزن افعل اى انصرف وذهب فان الادبار نقيض الاقبال (والصبح) قال فى القاموس الصبح الفجر او اول النهار والجمع اصباح وفى المفردات الصبح والصباح اول النهار وهو وقت ما احمر الافق بحاجب الشمس (اذا) ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على اذا هنا نظرا الى تأخره من الليل من وجه (اسفر) اى اضاء وانكشف فان الاسفار بالفارسية روشن شدن قال الراغب السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالاعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والاسفار يختص باللون نحو والصبح اذا اسفر اى اشرق لونه ووجهه واسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم اسفرت اى دخلت فيه نحو اصبحت وفى قوت القلوب الفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذى تحت الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثانى من اول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وهو اول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه ارض الدنيا يسترعيتها الجبال والبحار والاقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط الدنيا عرضا مستطيرا انتهى قال الكاشفى اقسم بالقمر اى بالقلب المستعد الصافى القابل للانذار المتعظ به المنتفع بتذكيره تعظيما وبدليل ظلمة النفس اذا دبر اى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب باشراق نور الروح عليه وتلالى طوالعه وبصبح طلوع ذلك اذا اسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح فى مقام ذكر سقر ودواهيها لان سقر اشارة الى الطبيعة وجهنم النفس (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كانه والحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها والافعل لا تجمع على فعل بل على فعالى كحبلى وحبالى والمعنى ان سقر لاحدى البلايا او لاحدى الدواهى الكبر الكثيرة وهى اى سقر واحدة فى العظم لا نظيرة لها كقولك انه احد الرجال هذا اذا كان منكرا لسقر وان كان منكرا لعدة الخزنة فالمعنى انها من احدى الحجج الكبر نذيرا من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وان كان منكرا الآيات فالمعنى انها لاحدى الآيات الكبر (نذيرا للبشر) تمييز من نسبة احدى الكبر الى اسم ان لان معناه انها من معظمات الدواهى التى خلقها الله للتعذيب فيصح ان ينتصب منه التمييز كما تقول هى احدى النساء عفافا والنذير مصدر كالنكير والمعنى لاحدى الكبر انذارا اى من جهة الانذار او حال مما دلت عليه الجملة اى معنى قوله انها لاحدى الكبرى كبرت منذرة وحذف التاء مع ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضميرانها فى تأويل العذاب او لكون النذير بمعنى ذات انذار على معنى النسب كقولهم امرأة طاهر اى ذات طهارة

(لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بدل من للبشر باعادة الجار وان يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من اى
كائنا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله اولم يشأ ذلك ويتأخر بالمعصية فيضله
وفيه اشارة الى ان لكسب العبد دخلا فى حصول المرحومية والمحرومية وفى التأويلات النجمية
اقسم بنور الشريعة الزهراء وبظلمة ليل الطبيعة الظلماء وبصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس
الطبيعة ان الجحود مظاهر احدى هذه المراتب الكلية الكبرى اما اهل الشريعة واما اهل الحقيقة واما اهل
الطبيعة وقوله نذيرا للبشر اى جعلنا الحصر فى المراتب الثلاث الكلية لتنبيه الانسان ويحترزان يكون
من اهل الانذار لمن شاء منكم ان يتقدم الى مقام الشريعة او يتأخر الى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة
اعلى المراتب ولم يصل اليه الا المنذر من الكمل اعرض عن ذكره انتهى ويجوز ان يكون اهل الحقيقة داخلا
فى ان يتقدم لانه واهل الشريعة كل منهما من المتقدمين وان كان بينهما فرق فى التقدم وتفاوت فى السير
والمسارعة والحاصل ان اهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام
القلب والروح والسر واما غيرهم فتأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فى ورطة الطبيعة
(كل نفس) من نفوس الانس والجن المكلفين (بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة
وفى بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الاعمال السيئة من رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته اى تركته
مقيما عنده وثابتا والرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما اخذ منك والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس
المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما اوجبه عليه من التكاليف التى هى حق خالص له تعالى فان اداها المكلف
كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى
الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على ان تكون التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وفى فتح الرحن للمبالغة
او على تأنيث اللفظ لا على معنى الانسان ونحوه وليس اى الرهينة صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
لا تدخله التاء بل يستوى فيه المذكر والمؤنث الا ان يحمل على ما هو بمعنى الفاعل فانه يؤتى فى مؤنثه بالتاء
كما فى عكسه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الراغب قيل فى قوله كل نفس بما كسبت
رهينة انه فعيل بمعنى فاعل اى ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول اى كل نفس مقامة فى جزاء ما قدم من عملها
ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان (الا اصحاب اليمين) استثناء متصل من كل
نفس لكثرتهم فى المعنى واصحاب اليمين اهل الاعمال الصالحة من المؤمنين اى فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا
من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه بادآء الدين قال القاشانى كل نفس بما كسبت رهينة بكسوبها رهن عند الله لافكاك لها
لاستيلاء هيئات اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها الا اصحاب اليمين من
السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن (فى جنات)
كانه قيل ما بال اصحاب اليمين فقيل هم فى جنات لا يكتنه كنهها ولا يوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد
ان كلا منهم نال جنة منها (يتساءلون عن المجرمين) تفاعل هنا بمعنى فعل اى يسألون المجرمين عن احوالهم وقد
حذف المسئول لكونه عين المسئول عنه ولدلالة ما بعده عليه يروى ان الله يطلع اهل الجنة وهم فى الجنة حتى
يرون اهل النار وهم فى النار فيسألونهم (ما سلككم فى سقر) مقدر بقوله هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون اى
قائلين اى شئ ادخلكم فيها وكان سبب الدخول كم من سلكت الخيط فى الابرة سلكا اى ادخلته فيها فهو من السلك
بمعنى الادخال لا من السلوك بمعنى الذهاب فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا
ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين قرأ ابو عمرو وسلكم بادغام الكاف فى الكاف والباقون
بالاظهار (قالوا) اى المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة فعدم اقرارنا بفرضية
الصلاة وعدم ادآئها سلكا فيها اصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال (ولم نك نطعم المسكين)
على معنى استمرار نفى الاطعام لا على نفى استمرار الاطعام والمراد ايضا الاطعام الواجب والا فاليس بواجب من
الصلاة والاطعام لا يجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون أنطعم من لو يشاء الله اطعمه فكانوا لا يرحمون
المساكين بالاطعام ولا يحضون عليه ايضا كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
فى حق المؤاخذة قال فى التوضيح الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات اجماعا اما العبادات فهم

مخاطبون بها فى حق المؤاخذة فى الآخرة اتفاقا ايضا لقوله تعالى ما سلككم فى سقر الايات اما فى حق وجوب الاداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفى بعض التفاسير وللحنفى ان يقول هذا انما هو تأسف منهم على تفريطهم فى كسب الخير وحرمانهم عما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يمنع من ذلك ان يكونوا مأمورين بالعمل قبل الايمان (وكنا نخوض مع الخائضين) اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبى عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم وغيبتهم وقولهم بانه شاعر او ساحر او كاهن وغير ذلك والخوض فى الاصل بمعنى الشروع مطلقا فى اى شئ كان ثم غلب فى العرف بمعنى الشروع فى الباطل والقبيح وما لا ينبغى وفى الحديث اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فى معصية الله (وكنا نكذب بيوم الدين) اى بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهى والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل اذ هو تكذيب القيامة وانكارها كفر والامور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقى من القبيح الى القبيح كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم (حتى اتانا اليقين) اى الموت ومقدماته فانه امر متيقن لا شك فى اتيانه وبالفارسية آمد بما مرك ومقدمات او برهمان حال مرديم فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا كما فى الكشاف وفيه اشارة الى ان بقاءهم فى سقر الطبيعة انما كان بسبب هذه الرذائل والذمائم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الانبياء والملائكة وغيرهم اى لو قدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لا تنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد انهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم اذ الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الاذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا اذن فى الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع فى الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذ لعصاة المؤمنين والا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود رضى الله عنه تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قوله قالوا لم نك من المصلين الى قوله بيوم الدين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا عليه السلام يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الانبياء ثم الاباء ثم الابناء ثم يقول الله بقيت رحمتى ولا يدع فى النار الا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من اهل النار لواحد من اهل الجنة يا فلان اما تعرفنى انا الذى سقيتك شربة ويقول آخر انا الذى وهبت لك وضوأ ويقول آخر اطعمتك لقمة وآخر كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة اما قبل دخول النار او بعده (فما لهم عن التذكرة معرضين) الفاء لترتيب أنكال اعراضهم عن القرءآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبر لما الاستفهامية وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرءآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأكد الدواعى للايمان به وفى كشف الاسرار پس چه رسيدست ايشانرا كه ازچنين پندى روكردانيده اند يقال الاعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له (كانهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشيا وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نافرة يعنى خران رميدكان فاستنفر بمعنى نفر كما ان استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشرى كانها تطلب النفار من نفوسها بسبب انهم جمعوا هم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فابقى السين على بابها من الطلب قال الراغب مستنفرة قد قرئ بفتح الفاء وكسرها فاذا كسر الفاء فمعناه نافرة واذا فتح فمعناه منفرة (فرت من قسورة) اى من اسد لان الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب اشد الهرب ومثل القسورة الحيدرة لفظا ومعنى وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة لانه يغلب السباع ويقهرها قال ابن عباس رضى الله عنهما القسورة هو الاسد بلسان الحبشة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها (وقال الكاشفى) كريختند از شير يا از صياد يا ريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آوازهاء مختلف شبهوا فى اعراضهم عن القرءآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها يعنى چنانچه خر بيابانى از ايهامى كريزد ايشان اذ استماع

قرءآن می کریزند زیرا که کوش سخن شنو ودل پند پذیر ندارند کما اشار الیه فی المثنوی ازکجا این قوم
خام ازکجا * ازجمادی جان کجا باشد رجا * فهمها ی کج مج کوته نظر * صد خیال بد درآرد در
* راز جز با رازدان انباز نیست * راز اندر کوش منکر راز نیست وفیه من ذمهم وتهجین حالهم
ما لا یخفی یعنی ان فی تشبیهم بالحمر شهادة علیهم بالبله ولا تری مثل نفار حمر الوحش واطرادها فی العدو اذا خافت
من شیء ومن اراد اهانة غلیظة لاحد والتشنیع علیه باشنع شیء شبهه بالحمار روی ان واحدا من العلماء کان یعظ
الناس فی مسجد جامع وحوله جماعة کثیرة فرأی ذلک رجل من البله وکان قد فقد حماره فنادی للواعظ وقال
انی فقدت حمارا فاسأل هذه الجماعة لعل واحدا منهم رآه فقال له الواعظ اقعد مکانک حتی ادلک علیه فقعد الرجل
فاذا واحد من اهل المجلس قام واخذ ان یذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فانه حمارک والظاهر انه قال ذلک
القول اخذا من هذا الکلام فانه فر من تذکرة الملک العلام (بل یرید کل امرئ منهم ان یؤتی صحفا منشرة)
عطف علی مقدر یقتضیه المقام کانه قیل لا یکتفون بتلک التذکرة ولا یرضون بها عنادا ومکابرة بل یرید کل
واحد منهم ان یؤتی قراطیس تنشر وتقرأ وذلک انهم ای ابا جهل بن هشام وعبد الله بن امیة واصحابهما قالوا
لرسول الله صلی الله علیه وسلم لن نتبعک حتی تأتی کل واحد منا بکتب من السماء او یصبح عند رأس
کل رجل منا اوراق منشورة یعنی مهر برکرفته عنوانها من رب العالمین الی فلان ابن فلان نؤمر فیها
باتباعک ای بان یقال اتبع محمدا فانه رسول من قبلی الیک کما قالوا ولن نؤمن لرقیک حتی تنزل علینا کتابا نقرؤه
وامرئ قال فی القاموس المرء مثلثة المیم الانسان او الرجل ولا یجمع من لفظه ومع الف الوصل ثلاث لغات
فتح الراء دآئما وضمها دآئما واعرابها دآئما وان مع صلته مفعول یرید وصحفا مفعول ثان لیؤتی والاول ضمیر
کل ومنشرة صفة صحف جمع صحیفة بمعنی الکتاب قال فی تاج المصادر وصحف منشرة شدد للکثرة (کلا) ردع
عن اقتراحهم الآیات وارادتهم ما ارادوه فانهم انما اقترحوها تعنتا وعنادا لا هدی ورشادا (بل لا یخافون
الآخرة) لاستهلاکهم فی محبة الدنیا فلعدم خوفهم منها اعرضوا عن التذکرة لا لامتناع ایتاء الصحف
(کلا) ردع عن اعراضهم عن التذکرة (انه) الضمیر فی انه وفی ذکره للتذکرة لانها بمعنی الذکر او القرءآن کالموعظة
بمعنی الوعظ والصیحة بمعنی الصوت (تذکرة) ای تذکرة فالتنوین للتعظیم ای تذکرة بلیغة کافیة وفی برهان
القرءآن ای تذکیر للحق وعدل الیها للفاصلة (فمن) پس هرکه (شاء) ان یذکره ویتعظ به قبل الحلول فی القبر
(ذکره) ای جعله نصب عینه وحاز بسببه سعادة الدارین فانه ممکن من ذلک (وما یذکرون) بمجرد مشیئتهم للذکر
کما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالی فمن شاء ذکره اذ لا تأثیر لمشیئة العبد وارادته فی افعاله وضمیر الجمع اما
ان یعود الی الکفرة لان الکلام فیهم او الی من نظر الی عموم المعنی لشموله لکل من المکلفین (الا ان یشاء الله)
استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال ای وما یذکرون لعلة من العلل او فی حال من الاحوال
الا بان یشاء الله او حال ان یشاء الله ذکرهم وهذا تصریح بان افعال العبد بمشیئة الله لا بارادة نفسه قال فی عین
المعانی فمن شاء الخ تخییر باعطاء المکنة لتحقیق العبودیة وقوله الا ان یشاء الله تخییر بامضاء القدرة لتحقیق
الالوهیة (هو) ای الله تعالی (اهل التقوی) ای حقیق بان یتقی عقابه ویؤمن ویطاع فالتقوی مصدر من المبنی
للمفعول (واهل المغفرة) حقیق بان یغفر لمن آمن به واطاعه قال بعضهم التقوی هو التبری من کل شیء
سوی الله فمن لزم الآداب فی التقوی فهو اهل المغفرة

تمت سورة المدثر فی اوآئل ذی الحجة من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة القیامة تسع وثلاثون او اربعون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

(لا اقسم بیوم القیامة) لا صلة لتوکید القسم وما کان لتوکید مدخوله لا یدل علی النفی وان کان فی الاصل
للنفی قال الشاعر * تذکرت لیلی فاعترتنی صبابة * وکاد ضمیر القلب لا یتقطع
ای یتقطع والمعنی بالفارسیة هرآینه سوکند میخورم بروز رستاخیز او للنفی لکن لا لنفی نفس الاقسام بل
لنفی ما ینبیء هو عنه من اعظام المقسم به وتفخیمه کان معنی لا اقسم بکذا لا اعظمه باقسامی به حق اعظامه
فانه حقیق باکثر من ذلک واکثر او لنفی کلام معهود قبل القسم ورده کانهم انکروا البعث فقیل لا ای لیس

الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فيأباه تعظيم المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله يقولون القيامة القيامة وانما قيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته ونظمه بعضهم

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي * غداة احل الحاملون جنازتي

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) قال في عين المعاني القسم بالشيء تنبيه على تعظيمه او ما فيه من لطيف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على ان كلا من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما ان له نوع فضل يقتضي ذلك واللوم عذل الانسان بنسبة ما فيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هي النفس الواقعة بين الامارة والمطمئنة فلها وجهان وجه يلي النفس الامارة وهو وجه الاسلام فاذا نظرت الى الامارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والاقدام على المخالفة وتلوم ايضا نفسها على ما فاتت عنها في الايام الماضية من الاعمال والطاعات والمراقبة في المراتع الحيوانية الظلمانية ووجه يلي النفس المطمئنة وهو وجه الايمان فاذا نظرت بهذا الوجه الى المطمئنة وتنورت بنورانيتها وانصبغت بصبغتها تلوم ايضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهي لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها الى ان تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت ان اقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشاني جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هي المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها ابدا في التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة في الخير واعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها ان اخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسيانا انتهى هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه) وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والاسناد الى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذي عليه اللحم بالفارسية استخوان ويجيء جمع عظيم ايضا ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه الموالي العظام والمعنى ايحسب الانسان الذي ينكر البعث ان الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار لجازاته بما عمل في الدنيا وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريف وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يعني اكذب حسي او ايجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجا على قول المنكر كقوله من يحيي العظام وهي رميم وقيل ذكر العظام واراد نفسه كلها الا ان العظام قالب النفس لا يستوي الخلق الا باستوائها ودل هذا الانكار على انه ناشئ من الشبهة وذلك بالنسبة الى البعض والله قادر على الاحياء لا شبهة فيه بالنسبة الى العاقل المتفكر المستدل (بلى) ايجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع اي نجمعها وبالفارسية آرى بجمع كنيم حال كوننا (قادرين) فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد بلى (على ان نسوي بنانه) اي نجمع سلاميانه ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهي العظام الصغار في اليد والرجل وفي الحديث كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس اي على صاحبه صدقة من اي انواع الصدقة من قول وفعل ومال وفي القاموس البنان الاصابع او اطرافها قال الراغب البنان الاصابع قيل سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن للانسان ان يبني بها ما يريد اي يقيم يقال ابن بالمكان بني لذلك خص في قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه وقوله واضربوا منهم كل بنان خصه لاجل انها يقاتل بها ويدافع او المعنى على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ بجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفا فالى اي جهة نظر ثبت المطلوب بالاولوية ولذا خص بالذكر ثم في العظام اشارة الى كبار اعماله الحسنة والسيئة وفي البنان الى صغار افعاله الحسنة والسيئة فان الله تعالى يجمع كلا منها ويجازي عليها (بل

يريد الانسان ليفجر امامه) الفجور شق الشئ شقا واسعا والفجور شئ ستر الديانة وقال بعضهم الفجور الميل والمكذب والفاسق فاجر اى مائل عن الحق ومنه قول الاعرابى فى حق عمر رضى الله عنه [illegible] ان كان فجر اى كذب واللام للتأكيد مثل قوله وانصح لكم فى ادعكم وان يفجر مفعول يريد وقد ينال مفعوله محذوف يدل عليه قوله ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه وقال سعدى المفتى الظاهر ان يريد ههنا نزل منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعنى مقام تقبيح حال الانسان اى يوقع جميع ارادته ليفجر وجعل ابو حيان بل لمجرد الاضراب عن الكلام الاول وهو نجمعها قادرين من غير حال المضمون والاخذ فى بيان ما عليه الانسان من انهماكه فى الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على سبب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام وهذا ابلغ واولى والمعنى بل يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه فالامام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه يذنب ويقول غدا اتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجورا لبذله عهدا لا يفى به (وقال الكاشفى) بلكه خواهد آدمى آنكه دروغ كويد با آنچه اورا درپيش است از بعث وحساب وفيه اشارة الى ان الانسان المحجوب يريد ليفجر امامه بحسب الاعتقاد والنية قبل الاتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف فى محله (يسأل) سؤال استبعاد واستهزاء (ايان) اصله اى آن وهو خبر مقدم لقوله (يوم القيامة) اى متى يكون والجملة استئناف تعليلى كانه قيل ما يفعل حين يريد ان يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزئ ويقول ايان يوم القيامة او حال من الانسان فى قوله بل يريد الانسان اى ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا متى تكون القيامة فدل هذا الانكار على ان الانسان يميل بطبعه الى الشهوات والفكرة فى البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره ويأبى عن الاقرار به فقوله ايحسب الانسان الخ دل على الشبهة والجهل وقوله بل يريد الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه اشارة الى ان المحجوب يسأل ايان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة فى كل ساعة ولحظة بل فى كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الافنائى والابقائى كما قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد (فاذا برق البصر) اى تحير واضطرب وجال فزعا من اهوال يوم القيامة من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش ثم استعمل فى كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانها (وخسف القمر) اى ذهب ضوءه فان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله اوذهب نفسه من خسف المكان اى ذهب فى الارض ولكن هذا المعنى لا يناسب ما بعد الآية قال بعضهم اصل الخسف النقصان ويكون فى الوصف وفى الذات وفيه رد لمن عبد القمر فان القمر لو كان الها كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف والماذهب ضوؤه قال فى فتح الرحمن الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء احد النيرين او بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فاذا كسفت الشمس او القمر فزعوا للصلاة وهى لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة ويصلى بهم امام الجمعة ويطيل القراءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع ويصلى الناس فى منازلهم ركعتين كسائر النوافل (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء كما روى عن النبى عليه السلام او جمع بينهما فى الطلوع من المغرب او فى الالقاء فى النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لانه اخبر عنه بغير الخبر الاول وقال القاشانى فاذا برق البصر اى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بان جعلا شيأ واحدا طالعا من مغرب البدن لا يعتبر لهما مرتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحا واحدا انتهى (يقول الانسان) المنكر للقيامة وهو عامل فى اذا (يومئذ) اى يوم اذ تقع هذه الامور قول الآيس من حيث انه لا يرى شيأ من علامات ممكنة للفرار كما يقول من أيس من وجدان زيد اين زيد حيث لم يجد علامة اصابته (اين المفر) اى الفرار وقال سعدى المفتى ولعله لاستمع من الابقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتصيره (كلا) ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدى المفتى هذا لا يناسب ان يقوله قول الآيس اذ لا طلب حينئذ ثم قوله كلا من قول الله تعالى وجوز ان يكون من قول الانسان لنفسه وهو بعيد (لا وزر) لا ملجأ يعنى بناه كما هى

نباشد كافرانرا مستعار من الجبل فان الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت اليه وتحصنت به وزر تشبيها له به وخبر لا محذوف اى لا ملجأ ثمة او فى الوجود ومن بلاغات الزمخشرى اتل على كل من وزر كلا لا وزر اى اتل عليه هذه الآية ومعنى وزر الاول بالفارسية كناه كردن فان الوزر بالكسر الاثم وقال بعضهم

لعمرك ما فى الفتى من وزر * من الموت يدركه والكبر

اى لا ملجأ للفار من الموت والكبر اذ كل منهما من الامر الالهى والامر المحكم والقضاء المبرم يدرك الانسان لا محالة (الى ربك يومئذ المستقر) اى اليه تعالى وحده استقرار العباد اى لا يتوجهون الا الى حيث امرهم الله من مقام حسابه او الى حكمه استقرار امرهم فان الملك يومئذ لله فهو كقوله ان الى ربك الرجعى وان الى ربك المنتهى واليه ترجعون اى الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتداء والى ربك خبره ويومئذ معمول الى ربك ولا يجوز ان يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وان كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام فى قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه (ينبأ الانسان يومئذ) اى يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله او الملك بامره او كتابه بنشره (بما قدم) اى عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى (واخر) اى لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما اخر خلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره شيخ الاسلام عبد الله الانصارى قدس سره فرموده كه كناه از پيش فرستى بجرأت ومال از پس بكذارى بحسرت كناه رابتو به نيست كن تا نماند ومال را بصدقه پيش فرست تا بماند * كر فرستى ز پيش به باشد * كه بحسرت ز پس نكاه كنى * وفى الحديث ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر اشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة (بل الانسان على نفسه بصيرة) الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على اعمال نفسه والموصوف محذوف اى بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على اعمال نفسه شاهدة جوارحه واعضاؤه بما صدر عنه من الافعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا فى الاسناد كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة او ذو بصيرة والتاء للمبالغة كما فى علامة ونسابة ومعنى بل الترقى اى ينبأ الانسان باعماله بل هو لا يحتاج الى ان يخبره غيره فانه يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قال القاشانى بل الانسان حجة بينة يشهد بعلمه لبقاء هيئة اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صورا اعضائه فلا حاجة الى ان ينبأ من خارج * باش تا از صدمهٔ صور سراقيلى شود * صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار (ولو ألقى معاذيره) حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبأ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بان يقول مثلا لم افعل او فعلت لاجل كذا او لم اعمل او وجد مانع او كنت فقيرا ذا عيال او خفت فلانا او طمعت فى عطائه الى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة چه چندين عذر انكيزى وچندين حيله ها سازى * چو ميدانى كه ميدانم وميدانم كه ميدانى او ينبأ باعماله ولو اعتذر بكل عذر فى الذب عنها فان الذب والدفع لا رواج له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر بلغة اهل اليمن اى ولو ارخى ستوره يعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوقات فى حال مباشرة المعصية فى الدنيا لا يغنى عنه شيأ لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهودا وفى الكشاف لانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (لا تحرك به) اى بالقرآن (لسانك) يا دام جبريل يقرأ ويلقى عليك (لتعجل به) اى باخذه اى لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت (ان علينا جمعه) فى صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شئ من معانيه (وقرآنه) بتقدير المضاف اى اثبات قرآنه فى لسانك بحيث تقرؤه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف الى مفعوله والقراءة ضم الحروف

والكلمات

بعضها الى بعض فى الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم اذا جمعتهم (فاذا قرأناه) اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل واسناد القرآءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) اى فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلا مهلة وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا جمعناه واثبتناه فى صدرك فاعمل به وقال الواسطى رحمه الله جمعه فى السر وقرءآنه فى العلانية (ثم ان علينا بيانه) اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه وسمى ما يشرح المجمل والمبهم من الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره وفى ثم دليل على انه يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق وعلى التفسير كان عليه السلام اذا القى الوحى نازع جبريل القرآءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وحوفا من ان يفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى كما قال تعالى ولا تعجل بالقرءآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم يقضيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه وعن بعض العارفين انه قال فيه اشارة الى صحة الاخذ عن الله بواسطة كانه تعالى يقول خذه عن جبريل كانك ما علمته الا منه ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة واكابر المحققين يسمون هذه الجهة التى هى عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لا ارتباط بين الحق والموجودات الا من جهة الاسباب والوسائط فليس عندهم ان يقول الانسان اخبرنى ربى اى بلا واسطة وهم مخطئون فى هذا الحكم فانه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة وجهة الكثرة وجب ان تكون جهة الوحدة بلا واسطة وهو الوجه الخاص وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام اكمل الخلق فى جهة الوحدة لكون احكام كثرته وامكانه مستهلكة بالكلية فى وحدة الحق واحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلا واسطة اى من الوجه الخاص وكان ينطبع فى قلبه ما يريد الحق ان يخبره به فاذا جاءه الكلام من جهة الوسائط اى من الوجه العام بصور والفاظ والعبارات التى استدعتها احوال المخاطبين كان يبادر اليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه اياه من حيث اللا واسطة لينفس عن نفسه ما يجده من الكربة والشدة التى يلقاها من اجه من التنزل الروحانى فان الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكى فعرف الحق نبينا عليه السلام ان القرءآن وان اخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فان انزالنا اياه مرة اخرى من جهة الوسائط يتضمن فوائد زائدة منها مراعاة افهام المخاطبين به لان انطلاق المخاطبين بالقرءآن حكم ارتباطهم بالحق انما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة الى اكثرهم فلا يفهمون عن الله الا من تلك الجهة ومنها معرفتك اكتساب تلك المعانى العبارة الكاملة تلك المعانى وتستجلى فى مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فيتجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الامر منك الى امتك فيأخذ كل منهم حصته منه علما وعملا فى قوله تعالى لا تحرك به لسانك الخ تعليم وتأديب اما التعليم فما اشير اليه من ان باب جهة الوحدة مسدود على اكثر الناس فلا يفهمون عن الله الا من الجهة المناسبة لحالهم وهى جهة الوسائط والكثرة الامكانية واما التأديب فانه لما كان الآتى بالوحى من الله جبريل فقد يدر بذكر ما اتى به كان كالتجيل له واظهار الاستغناء عنه وهذا خلل فى الادب بلا شك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف ان قوله تعالى لا تحرك به الخ واقع فى البين بطريق الاستطراد فانه لما كان من شأنه عليه السلام الاستعجال عند نزول كل وحى على ما سبق من الوجه ولم ينه عنه الى ان اوحى اليه هذه السورة من اولها الى قوله ولو القى معاذيره وعجل فى ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله لا تحرك الخ ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدئ به من خطاب الناس ونظيره ما لو القى المدرس على الطالب مسئلة وتشاغل الطالب بشئ لا يليق بمجلس الدرس فقال القى الى بالك وتفهم ما اقول ثم كمل المسئلة يقول الفقير ايده الله القدير لاح لى فى سر المناسبة وجه لطيف ايضا وهو ان الله تعالى بين قبل قوله لا تحرك به الخ جمع العظام ومتفرقات العناصر التى هى اركان ظاهر الوجود ثم انتقل الى جمع القرءآن اواجزآئه التى هى اساس باطن الوجود فقال بعد قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ان علينا جمعه فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا ان هذا القرءآن غير مبدل وزيد فيه ونقص وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل ما استعد لاطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى بيده ملكوت كل شئ

والقرءان اشرف الاشياء واكملها فله ايضا ملك وملكوت فاما ملكه فهو الاحكام والشرائع الظاهرة التى تتعلق بمصالح الامة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وامثالها واما ملكوته فهو الاسرار الالهية والحقائق اللاهوتية التى تتعلق ببواطن خواص الامة واخص الخواص بل بخلاصة اخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية والكل واحد من الملك والملكوت مدركات يدرك بها لا غير لان الوجدانيات والذوقيات لا تسعها السنة العبارات لانها منقطع الاشارات فقوله لا تحرك الخ يشير الى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن اسرار الباطن والحقائق الالهية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وان مظهره الجامع جامع بين ملك القرءان وملكوته وهو عليه السلام يتبع بظاهره ملكه وبباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المتبعين للقرءان فى كل زمان (كلا) عود الى تكملة ما ابتدئ به الكلام يعنى نه چنانست اى آدميان كه كمان برده ايد در امر عقبى (بل تحبون العاجلة) اى الدنيا يعنى دنياى شتاب كننده را (وتذرون الآخرة) فلا تعملون لها بل تنكرونها وفى التأويلات النجمية تحبون نعمة شهرة الدنيا وتذرون نعمة حصول الآخرة والخطاب للامة (وجوه يومئذ ناضرة) النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الغض الناعم من كل شئ اى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى فى آية اخرى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل (الى ربها ناظرة) قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ والى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشئ ورؤيته والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التى فيها بطريق ذكر المحل وارادة الحال وهذا عند اهل المقال واما عند اهل الحال فلا ينحصر النظر فى البصر والاجاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهرا والظاهر بصرا بجميع الاجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة فى الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا الاحكم للقالب والجسد الظاهر هنا وانما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الاعضاء بهما فاعرف جدا بزرگى راپرسيدند كه راه از كدام جانب است گفت از جانب تو نيست چون از تو در گذشتى از همه جانبها راهست * چون بصديقان بيا كردند وزان رمه ساختند * جزبدل رفتن دران ره يك قدم را بار نيست والمعنى ان الوجوه تراه تعالى عيانا مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وحق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق مثل مؤمن مثل بازاست باز را چون بگيرند وخواهند كه شايستهٔ دست شاه كردد مدتى چشم او بدوزند بندى بر پايش نهند در خانهٔ تاريك بازدارند از جفتش جدا كنند يك چندى بگرسنگيش مبتلى كنند تا ضعيف ونحيف كردد ووطن خويش فراموش كند وطبع كذا شتكى دست بدارد آنكه بعاقبت چشمش بگشايند شمعى پيش وى بيفروزند طبلى از بهر وى بزنند طعمهٔ كوشت پيش وى نهند ودست شاه مقروى سازند باخود كويد در كل عالم كرا بود اين كرامت كه مرا است شمع پيش ديدهٔ من آوازطبل نواى من كوشت مرغ طعمهٔ من دست شاه جاى من برمثال اين حال چون خوانند كه بندهٔ مؤمن را حلهٔ خلت پوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتى در چهار ديوار لحد بازدارند كه ابى ازدست وروابى ازقدم بستانند بنابى ازديده بردارند روز كارى برين صفت بگذارند آنكه تا كاه طبل قيامت بزنند بنده از خانهٔ لحد سر برآرد چشم بگشايد نور بهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند برمائدهٔ خلد بنشيند چنانچه آن باز چشم باز كند خود را بردست شاه بيند بندهٔ مؤمن چشم باز كند خود را بمقعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك بيند سيان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان در جلال وجمال حق نكران اينست كه رب العالمين كفت وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره من الاشياء الكثيرة والاولى ان التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة لان التقييد يعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائى فان النظر الى غيره فى جنب النظر اليه لا يعد نظرا بل هو بمنزلة العدم كما فى قوله زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من اهل الجنة من فاز بالتجلى الذاتى الابدى الذى لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذى اشار اليه عليه السلام بقوله صنف من اهل الجنة لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب وكان يذكر ما ايضا فى دعائه ويقول واسألك لذة النظر الى وجهك الكريم ابدا آمين

سرمدا دون ضرآء مضرة ولا فتنة مضلة فالضرآء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي او التجلي بصفة تستلزم حصول الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب خللا او نقصا في العلم والشهود آورده اند اوراد هر يك از اوتاد اين كلماتست * اللهم اني اسألك النظرة الى وجهك الكريم هر كس ببهشت آرزويي دارد وعاشق جز آرزوي ديدن ديدار ندارد پير طريقت كفت بهرهٔ عارف در بهشت سه چيزاست سماع وشراب وديدار سماع را كفت (فهم في روضة يحبرون) شراب را كفت (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ديدار را كفت (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سماع بهرهٔ كوش شراب بهرهٔ لب ديدار بهرهٔ ديده سماع واجدانرا شراب عاشقانرا ديدار محبانرا سماع طرب افزايد شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد كند شراب راز جلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع را هفت اندام رهي كوش چون ساقي اوست شراب همه نوش ديدار را زير هر موي ديدهٔ روشن ... جميع اهل السنة حملوا هذه الآية على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لا ضر ربها ونحوه وجعله الزمخشري كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه وجوابه انه لا يعدل الى الكناية بلا ضرورة داعية اليها وهي ههنا مفقودة فالاحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب الحقيقة واما قوله عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا ردآء الكبرياء على وجهه حيث ان المعتزلة قالوا ان الردآء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه انهم حجبوا عن ان المرتدي لا يحجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات وبردآء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية يعني ردآء كبرياء نفس مظهرست ومشاهدهٔ ذات بدون مظهري محالست والردآء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء ردآؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا ردآء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية ابدا وهي رتبة المظهر لانها كالمرآة واما قوله عليه السلام حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال نور اني اراه فمعناه ان النور المجرد لا تمكن رؤيته يعني انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما في المظاهر ومن ورآء حجابية المراتب فالادراك ممكن ومن المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب جمعه آلاء فيكون مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه سوآء اريد به المعنى الحقيقي او اريد به العين بطريق ذكر المحل وارادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبان الانتظار لا يعدى بالى ان جعل حرفا واخذه بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول لان الانتظار يعد من الآلام ونعيم الجنة حاضر لاهلها ويخالف المنقول ايضا وهو انه عليه السلام قال ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة يعني تا هزار ساله راه الرا بيند واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية يعني بمقدار ازان ثم قرأ عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر ان المخالف اتبع رأيه وهواه وروي انه عليه السلام نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم اصله لا تتضامون اي لا ينضم بعضكم الى بعض ولا يقول ارنيه بل كل ينفرد برؤيته وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذ مضمومة يعني لا ينالكم ظلم بان يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي فثبت ان المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم اذا رأوه فيا خسران اهل الاعتزال وسئل مالك بن انس رضي الله عنهما عن قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل له ان قوما يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فاين هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم قال الناس ينظرون الى الله باعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب العقد الفريد ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى اهل البدعة ان الرؤية هي اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغي للمؤمن ان تكون

همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فان غيرها نعم بهيمية مشتركة قال بعض العارفين دلت الآية على ان القوم ينظرون الى الله تعالى فى حال العصر والبسط لان النضرة من امارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة والا لتنغص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا فى اول سطوة من سطواته فهم يرونه فى حال الانس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلى الحق فيقوم لهم بالنظر من نفسه الى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضى بقاء الرآئى وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد فى وجود الحق اتم كما هو مقتضى عالم الذات قال النصرابادى قدس سره من الناس من طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو اتم بركة واشمل نفعا وقال بعضهم القرب المذكور فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو الذى منع الخلق عن الادراك للحق كما ان الهواء لما كان مباشرا لحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص الغائص فيه وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره ان يراه والحق اقرب الى الانسان من نفسه فكان لا يرى لقربه كما انه تعالى لا يرى لبعده وعلوذاته اين التراب من رب الارباب ولكن اذا اراد العبد ان يراه تنزل من علوه ورفع عبده الى رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر وهما فى شأنهما متوسطان فى القرب والبعد ففى غاية القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب والكل يراه فى الدنيا الا يعرف انه هو وفرق بين المعارف وغيره الا ترى انه اذا كان فى قلبك لقاء شخص وانت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلم عليك وانت لم تعرفه فقد رأيته ومارأيته كالسلطان اذا دار فى بلده متنكرا فانه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم ان منهم من يقول لم تيسر لى رؤية السلطان الى الآن وانا اريد ان انظر اليه مع انه نظر اليه مرارا فهو فى حال بصره اعمى فاشد حجابه ثم انه لو اتفق له النظر اليه فربما لا يتعمق فتفرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا انما تفاوتت الافراد فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة وقال بعض العارفين الخلق اقرب جار للحق تعالى وذلك من اعظم البشرى فان الجار حقا مشعر وعامعر وقا يعرفه العلماء بالله فينبغى لكل مسلم ان يحضر هذا الجوار الالهى عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام قل رب احكم بالحق اى الحق الذى شرعته لنا تعاملنا به حق لا ننكر شيأ منه مما يقتضيه الكرم الالهى فهو دعاء افتقار وخضوع وذل حكى ان الحجاج اراد قتل شخص فقال له فى اليك حاجة قال ما هى قال اريد ان امشى معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة ان تعفو عنى فعفا عنه (ووجوه يومئذ) يتعلق بقوله (باسرة) اى شديدة العبوس مظلمة ليس عليها اثر السرور اصلا وهى وجوه الكفرة والمنافقين وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه فان قيل فقوله وجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل ان ذلك اشارة الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجرى مجرى التكلف ويجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك قوله تعالى (تظن) تتوقع اربابها بحسب الامارات والجملة خبر بعد خبر ورجح ابو حيان والطيبى تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه ان المصدرية كما توهم فانها انما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فاما بعد فعل الظن او ما يؤدى معنى العلم فتجيء المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضى (ان يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمى الفقير فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيرا اى مفقورا وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على الحيل فهى تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير بناء على ان قضية المقابلة بين الآيتين تقتضى ذلك قال بعضهم اصح آنست كه آن بلا حجابست از رؤيت رب الارباب (مصراع) كه از فراق بتر در جهان بلا يى نيست * و فى التأويلات النجمية ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لا الى غيره بسبب الاعراض عن الدنيا فى هذا اليوم والاقبال على الله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة بسبب الاقبال على الدنيا فى هذا اليوم والادبار عن الله جزآء وفاقا وقال بعضهم ووجوه يومئذ ناضرة للتنور بنور القدس والاتصال بعالم السرور والسرور والنعيم الدائم ووجوه يومئذ باسرة كالحة لجهامة هيئاتها وظلمة مايها من الجحيم والنيران ومعاجة ماتراه هنالك

من الاهوال وسوء الجيران (كلا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين يديكم من الموت الذى يقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (اذا بلغت التراقى) الضمير للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها او تقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء اى اذا بلغت النفس الناطقة وهى الروح الانسانى اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فاذا بلغت اليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوانهاى سينه وكردن وفى كشف الاسرار آن وقت كه جان بجنبر كردن رسد جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء وضم القاف قال فى القاموس من الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى والعاتق موضع الرداء من المنكب قال بعضهم لكل احد ترقوتان ولكن جمع التراقى باعتبار الافراد وبلوغ النفس التراقى كناية عن عدم الاشفاء يعنى بكارة او رسيدن ونزديك شدن والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس المحلقوم رفعت وسيقت الى الله اى الى موضع امر الله ان ترفع اليه (وقيل من راق) معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم لعل وجهه استثقال الراء المشددة التى بعدها قاف غليظة التلفظ فى الادغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام المستفهم عنه فى النفس والفرار من الاظهار دون سكتة لانه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء من اهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه يعنى افسون ميكند ويفسيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الانسان طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب من راق اى من يرقيه تنبيها على انه لا راقى يرقيه فيشفيه وذلك اشارة الى نحو ما قاله

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة خرزات كان العرب يعلقونها على اولادهم خوفا من العين وهو باطل لقوله عليه السلام من علق تميمة فقد اشرك واياها اراد صاحب البيت المذكور وقيل هو من كلام ملائكة الموت يقولون ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى وفعله من باب علم وقوله ملائكة الرحمة لا يمانعه قوله فلا صدق ولا صلى الآيات لان الضمير فيه لجنس الانسان فلا يتعين كون المحتضر من اهل النار قال الكلبى يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله من راق وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر (وظن انه الفراق) ويقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ان ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التى ضيع العمر النفيس فى كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لان الانسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الامام هذه الآية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المعدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة وهى تستدعى وجود الموصوف قال المزنى دخلت على الشافعى فى مرض موته فقلت كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا ادرى اروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

قال بعضهم

فراق ليس يشبهه فراق * قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفى الحديث (ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك افارقك وتفارقنى الى يوم القيامة (قال الشيخ سعدى) كوس رحلت بكوفت دست اجل *

اى دوچشمم وداع سر بكنيد * اى كف ودست وساعد و بازو * همه توديع يكدكر بكنيد * برمن افتاده مرك دشمن كام * آخراى دوستان كذر بكنيد * روز كارم بشد بنادانى * من نكردم شما حذر بكنيد * قال يحيى بن معاذ رحمه الله اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد عند رأسه والثانى عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذى عند رأسه يا ابن آدم ارفضت الآجال اى تفرقت وانضيت الآمال اى هزلت ويقول الذى عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذى عن يساره ذهبت الاشغال وبقى الوبال ويقول الذى عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال (والتفت الساق بالساق) الالتفاف برهم پيچيدن اى والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتوآء احداهما بالاخرى اوالتفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهورها لازم لظهور ذلك الامر وقد سبق فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه (الى ربك يومئذ المساق) اى الى الله والى حكمه يساق الانسان لا الى غيره اى يساق الى حيث لا حكم هناك الا لله (وقال الكاشفى) بسوى جزاى پروردكار تو آن روز بازكشت باشد همه كس را فالمساق مصدر ميمى بمعنى السوق بالفارسية راندن والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى سوق الانسان (فلا صدق) الانسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرءآن الذى نزل عليه اى لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وانما دخلت على الماضى لقوة التكرار يعنى حسن دخول لا على الماضى تكراره كما تقول لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى تتبعها اخرى تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو اوفلا صدق ماله بمعنى لا زكاه فحينئذ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع ان دأب القرءآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم فى وقت الضرورة القوية وايضا فى تأخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى (ولا صلى) ما فرض عليه وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤآخذة يعنى ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الايمان وان لم يجب ادآؤها عليه فى الدنيا (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرءآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فان نفى التصديق لا يستلزم اثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فاذا لا تكرار فى الآية (وتولى) واعرض عن الطاعة لله ولرسوله (ثم ذهب الى اهله) اهل بيته اوالى اصحابه (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه افتخارا بذلك وبالفارسية پس بازكشت بسوى كسان خود مى خراميد از روى افتخار كه من چنين و چنين كارى كرده ام يعنى تكذيب وتولى من المط وهو المد فان المتبختر يمد خطاه يعنى ان التمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون اصله يتمطط بمعنى يتمدد ابدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى اومن المطا مقصورا وهو الظهر فانه يلويه ويحركه فى تبختره فالفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفى الحديث (اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم والمطيطاء كحميرآء التبختر ومد اليدين فى المشى والبأس شدة الحرب (اولى لك) واى برتو اى انسان مكذب (فاولى) پس واى برتو (ثم اولى لك فاولى) تكرير للتأكيد فهو مستعمل فى موضع ويل لك مشتق من الولى وهو القرب والمراد دعاء عليه بان يليه مكروه واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم نقل الثلاثى الى افعل فعدى الى مفعولين وفى القاموس اولى لك تهديد ووعيد اى قاربه ما يهلكه اواولى لك الهلاك فيكون اسما بمعنى احرى اى الهلاك اولى واحرى لك من كل شئ فيكون خبر مبتدأ محذوف (وقال الكاشفى) اولى لك سزاوارست ترا مركى سخت فاولى پس سزاوارست ترا عذاب اليم در قبر ثم اولى لك پس نيك سزاوارست ترا هول قيامت فاولى پس بغايت سزاست ترا خلود در دوزخ وروى انه لما نزلت هذه الآية اخذ رسول الله بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وهزه مرة اومرتين ولكزه فى صدره وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدنى يا محمد ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز اهل هذا الوادى فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله اسوء قتلة اقعصه ابنا عفرآء واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه

واقعصه قتله مكانه واجهز على الجريح اثبت قتله واسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول
ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل (ايحسب الانسان ان يترك سدى) اى يحيى حال كونه
مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال اسديت ابلى اسداء اى اهملتها
وتقول اسديت حاجتى وسديتها اذا اهملتها ولم تقضها وتكرير الانكار لحسبانها يتضمن تكرير انكاره
للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث ايضا وتقريره ان اعطاء القدرة والالة والفعل بدون التكليف
والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الاعمال وذلك لا يليق بحكمته فاذا
لابد من التكليف فى الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم الا لان يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من المفسدين فى الارض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون فى الدنيا
فلابد من البعث والقيامة وانما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار من طلب تعجيل نتائج
اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الادب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته (الم يك نطفة من منى يمنى)
الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها
ببدء الخلق وقال ابن الشيخ هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم
الماء الصافى قل او كثر والمنى ماء الرجل والمرأة اى ما خلق منه حيوان فالحبل لا يكون الا من المائين ويمنى
بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق فى الرحم ولذا سميت منى كالى وهى قرية بمكة لما يمنى فيها
من دماء القرابين والمعنى الم يكن الانسان ماء قليلا كائنا من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع
ولذا نكرهما يمنى ويصب فى الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الانسان اولا وكمال قدرته ثانيا حيث صير
مثل هذا الشئ الدنى بشرا سويا وقال بعضهم فائدة قوله يمنى للاشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق
من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله فيما امر به ونهى الا انه
تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام
والمراد منه قضاء الحاجة كناية (ثم كان علقة) اى ثم كان المنى بعد اربعين يوما قطعة دم جامد غليظ احمر
بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء ابيض كقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وهو عطف على قوله الم يك لان انكار
عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الانسان نطفة ثم كان علقة (فخلق) اى فقدر بان جعلها
مضغة مخلقة بعد اربعين اخرى اى قطعة لحم قابل لتفريق الاعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل المضغة
عظاما تتميز بها الاعضاء بان صلبها فكسا العظام لحما يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لافاضة القوى ونفخ
الروح (فسوى) فعدله وكمل نشأته (قال الكاشفى) پس راست كرد صورت واندام اورا وروح در دميد
وفى المفردات جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الالهية اى جعله معادلا لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم
معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه (فجعل منه) اى من الانسان
باعتبار الجنس او من المنى وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله (الزوجين) اى الصنفين
(الذكر والانثى) بدل من الزوجين ويجوز ان يكونا منصوبين باضمار اعنى ولا يخفى ان الفاء تفيد التعقيب
فلابد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله فخلق فسوى محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين
الزوجين وقوله فجعل منه الزوجين على التفرقة الواقعة (أليس ذلك) العظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء
البديع (بقادر على ان يحيى الموتى) وهو اهون من البدء فى قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب
والعناصر الاصلية روى ان النبى عليه السلام كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى تنزيها له تعالى عن عدم
القدرة على الاحياء واثباتا لوقوعها عليه وفى رواية بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ
سبح اسم ربك الاعلى اماما كان او غيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فاذا انتهى الى
آخرها فليقل سبحانك الله بلى اماما كان او غيره وفى الحديث (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها
أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس
ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل سبحانك بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون
فليقل آمنا بالله) وفى الآية اشارة الى ان الله يحيى موتى اهل الدنيا بالاعراض عنها والاقبال على الآخرة والمولى

وايضا يعني انوف التفوه بسطوع انوار القرب عليها وايضا يعني مرتق القلوب تحت ظلمة التعين الكامنة الظالمة بنور الروح والسر والخفي ومن اشتد العجز الى الله فقد كفر بالتشفع الى الله تعالى بالمعصية وحسبنا الله الكافي

تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة في الحادى والعشرين من ذى الحجة من سنة ست اثنتي عشرة ومائة والف

سورة الانسان احدى وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل اتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى اى قد اتى و بالفارسية آيا آمد يعنى بدرستى كه آمد تركوا الالف قبل هل لانها لاتقع الا في الاستفهام وانما لزوم اداة الاستفهام ملفوظة او مقدرة اذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب من قد فانها موضوعة لتقريب الماضى الى الحال والدليل على ان الاستفهام غير مراد ان الاستفهام على الله محال فلابد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك ان تحمله على الاقرار بانك قد وعظته وقد يجيء بمعنى الجحد تقول وهل يقدر احد على مثل هذا فتحمله على ان يقول لايقدر احد غيرك (على الانسان) قبل زمان قريب والمراد جنس الانسان لقوله من نطفة لان آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم او ما يعمه ويعمهم على التغليب او نسبة حال البعض الى الكل للملابسة على المجاز (حين من الدهر) الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الازمان طال او قصر وفي المفردات الحين وقت بلوغ الشيء وحصوله وهو مبهم ويتخصص بالمضاف اليه نحو ولات حين مناص ومن قال حين على اوجه للاجل والسنة والساعة والزمان المطلق انما فسر ذلك بحسب ما وجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد وهي مدة لبثه في بطن امه تسعة اشهر الى ان صار شيئا مذكورا على ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما (لم يكن) فيه فالجملة صفة اخرى لحين بحذف الضمير (شيئا مذكورا) بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا نطفة في الاصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيئا مذكورا بالانسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الارواح لايوجب كونه شيئا مذكورا عند الخلق مالم يتعلق بالبدن ولم يخرج الى عالم الاجسام روى ان الصديق او عمر رضى الله عنهما كما في عين المعاني لما سمع رجلا يقرأ هذه الآية بكى وقال ليتها تمت فلا نبتلى اراد ليت تلك تمت وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف ومعنى الاستفهام التقريرى في الآية ان يحمل من ينكر البعث على الاقرار بانه تم اتى عليه في زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وقال القاشانى اى كان شيئا في علم الله بل في نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه في عالم الغيب وعدم شعور من في عالم الشهادة به وفي التأويلات النجمية اعلم ان الانسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله ازلا وابدا لايعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الازلى الابدى بالاشياء قبل ايجاد الاشياء وقبل وجودها خلق الخلق وهم معدومون في كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه باعيان الاشياء لان الاشياء مظاهر اسمائه وصفاته وهي عين ذاته مفهوما اى ما اتى على الانسان حين من الاحيان وهو كان منسيا فيه بالنسبة الى الحق الى الخلق لا بالنسبة

وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة مشهودة عنده وهل للاستفهام الانكارى بخلاف المحجوبين من علم المعرفة والحكمة الالهية وقال جعفر الصادق رضى الله عنه هل اتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله ذاكرا لك فيه (انا خلقنا الانسان) اى خلقناه يعنى جسمه والاظهار لزيادة التقرير (من نطفة) حتى كان علقة في اربعين يوما ومضغة في ثمانين ومنفوخا فيه الروح في مائة وعشرين يوما كما كان ابوهم آدم خلق من طين فالقى بين مكة والطائف فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة اخرى ثم من صلصال فاقام اربعين سنة اخرى فتم خلقه في مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ماجاء في رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا كان سنين في آدم كان اياما في اولاده وحمل بعضهم الانسان الاول على آدم والثانى على اولاده على ان يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذى لايعرف مقداره والاولى وهو حمله في كلا الموضعين على الجنس اظهر لان المقصود تذكير الانسان كيفية الخلق بعد ان لم يكن ليتذكر اول امره من عدم كونه شيئا مذكورا وآخر امره من كونه شيئا مذكورا مخلوقا من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق

امتناح

(امشاج) اخلاط بالفارسية آميختها جمع مشج كسبب او كتف على انه مفرد ومشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصفت النطفة به لان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ما روى فى المرفوع وفى الخبر ما من مولود الا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر وقال الحسن رحمه الله نطفة مشجت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض واليه ذهب صاحب القاموس حيث قال ونطفة امشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى فيكون النطفتان ودمها جمعا فقال الراغب هو عبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار اليها بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية انتهى فيكون معنى امشاج الوان واطوار على ما قال قتادة وفى التأويلات النجمية اى من نطفة قوة القابلية الممتزجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية لان خلقنا من نطفة الفيض الاقدس المتعلق بالفاعل وبنطفة الفيض المقدس المتعلق بالقابل فالفيض الاقدس الذاتى بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الاسمائى بمنزلة ماء المرأة (نبتليه) حال مقدرة من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتى اى ليتعلق علمنا باحواله تفصيلا فى العين بعد تعلقه بها اجمالا فى العلم وليظهر احوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء اى عن ارادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل انا خلقناه مريدين تكليفه فاعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لان المراد ذكر ما هو من اسبابه والآلة التى بها يستكمل فطرته الاولى لاكثر الخلق من المبدأ السمع ثم البصر ثم فهم العقل وفى اختيار صيغة المبالغة اشارة الى كمال احسانه اليه وتمام انعامه وبصيرا مفعول ثان بعد ثان لجعلناه وفى التأويلات النجمية فجعلناه سميعا جميع المسموعات بصيرا جميع المبصرات كما قال كنت سمعه وبصره فبى يسمع وبى يبصر فلا يفوت منه شئ من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جدا يا مسكين وقال ابو عثمان المغربى قدس سره ابتلى الله الخلق بتسعة اشياء ثلاث فتانات هى سمعه وبصره ولسانه وثلاث كافرات هى نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هى عقله وروحه وقلبه فاذا ايد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجدا الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هى العليا قال الله تعالى قاتلوهم حتى لا تكون فتنة (انا هديناه السبيل) مترتب على ما قبله من اعطاء الحواس فانه استئناف تعليلى لجعله سميعا بصيرا يعنى ان اعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتمكن بها متقدم على الهداية والمعنى ارشدناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بانزال الآيات ونصب الدلائل كما قال وهديناه النجدين اى بيناله طريق الخير والشر فان النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة الى البغية كما فى بعض التفاسير (اما شاكرا واما كفورا) حالان من مفعول هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا فالتفصيل ذى الحال مع مجيئه من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم لان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه وبالتفصيل تبين انها تعلقت به فى كل واحدة من الحالتين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لان الشكر الاعتراف بالمنعم وراس الكفران جحوده ويقال شاكر النعمة وكفورها قال الراغب الكفور يقال فى كافر النعمة وكافر الدين جميعا ويجوز ان يكون لعله التقسيم بان يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى ويجعل كل واحد من مدخولى اما قيدا له فيحصل بالتقييد بكل منهما قسم منه اى هديناه فى حال كونه شاكرا لما هديناه او لا وبعضهم كفورا بالاعراض عنه وايراد الكفور لمراعاة الفواصل اى رؤس الآى والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل اما شكورا واما كفورا او اما شاكرا واما كافرا والحاصل ان الشاكر

والكفور كما يشار عن التشبيه والتشبيه لم يكن مجرد الكفران مستلزما للنوال حتى يصح عن يتوصل كلية عنها بخلاف مجرد الشكر فانه مستلزم للاثابة يقتضي وعد الكريم فلذا عبر بالاية على سبيل التهكم لان المبالغة فيه كما يدل عليه امر المؤمنين في الكفران لا على اصله وكل ذلك يقتضي سعة رحمته وسبقها على غضبه وقرأ ابو السمال بفتح الهمزة في اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبسوء اختياره وفي التأويلات النجمية اما اختياره في الاهتداء فعلى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية واما في سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختيار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حسناتهم واستعداداتهم الاصلية واختيار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى سيئاتهم وقابلياتهم الازلية ايضا كما قال هؤلاء اهل الجنة ولا ابالي وهؤلاء اهل النار ولا ابالي اي المدح والذم يتعلق بهم لا في ذاتهم بل في اتصافهم بالوصف المحمود والمذموم بحسب استعداداتهم الاصلية وقابلياتهم الازلية (انا اعتدنا) هيأنا في الآخرة كان الاعتداد لاعداد الشيء حتى يكون عتيدا حاضرا معدا (للكافرين) من افراد الانسان الذي هديناه السبيل (سلاسل) جمع سلسلة (يقادون) الى جهنم وفي كشف الاسرار اعتدنا للكافرين في جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعا وهي بغير تنوين في قراءة حفص واما الوقف فبالالف لغة ربيعة وبدونها اخرى وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور من تكرير تسليل وتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسل وفي القاموس السلسلة اي بالفتح ايضا الماء الشديد البارد والشيء بالكسر دآثر من حديد ونحوه (واغلالا) بها يقيد ومن اهانة وتعذيبا الاخوذا من الغرا وجمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب فقد سبق في الحاقة مفصلا (وسعيرا) نارا بها يحرقون يعني وآتشي آفروخته كه دران بسوزند ما يجرون الى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحترقون بان يقيدوا بالاغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم اختيارهم نار الخوف من الله تعالى وفيه اشارة الى ان الله تعالى اعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات المظاهرة بحب الدنيا وطلبها واغلال العوائق الباطنة بالرغبة اليها وفيها نار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم في مقام الاجمال للجمع بينهما في الذكر ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بجاوب اطراف النظم الكريم (ان الابرار) شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر كربه ولبيب او جمع بار كشاهد وشهاد وهو من بره بالفتح اي يطيعه يقال بر ربه كعلمه وضربه وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذي الذر ولا يضر الشر كما قيل ولا تؤذ غلاما ان اردت كماله * فان لها نفسا تطيب كما لكا

وفي المفردات البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اي التوسع في فعل الخير وبر العبد ربه توسع في طاعته ويشمل الاعتقاد والاعمال الغرآ ئض والنوافل. وقال سهل رحمه الله الابرار الذين هيئهم خلق من اخلاق العشرة الذين وعدلهم النبي عليه السلام بالجنة قال عليه السلام ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضي الله عنه هل في امتي يا رسول الله قال كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله السخاء (يشربون) في الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان او غيره قال يشربون ابتدآء كالمطيعين او انتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل (من كأس) هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وقد تطلق على نفس الخمر ايضا على طريق ذكر المحل وارادة الحال وهو المراد هنا عند الاكثر حتى روى عن الضحاك انه قال كل كأس في القرآن فالخمر هي الا في الاولى من الصافات وعلى الاطلاق البيانية او البيانية (كان) بتكوين الله (مزاجها) اي ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ما يمتاز به من الصفرآء والسوداء والبلغم والدم بالكيفيات المناسبة لكل منها (كافورا) اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة في المقام المحمدي وكذا سائر العيون ماؤها في بياض الكافور عرفا بحته وبرده دون طعمه والافتقس للكافور لا يشرب ونظيره حتى اذا جعله نارا اي كالنار والكافور طيب معروف يطيب به الاكفان والاموات لحسن رآئحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برآئحته وفي التاج عن الكافور طيب معروف يكون من شجر ببجاني بحر الهند والصين يقال نخلة كثيرا فتأنثه العرب وخشبه ابيض هش ويوجد في اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما يبيض بالتبعيد ويعين في الجنة انتهى

والحمله

والجملة صفة كأس (عينا) بدل من كافورا يعنى كافور چشمه ايست والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيها بها فى الهيئة وفى عيلان الماء فيها (يشرب بها عباد الله) صفة عين وعباد الله هنا الابرار من المؤمنين لان اضافة التكريم الى اسمه للاعظم مختصة بالمؤمن فى الغالب كالاضافة الى كناية التكلم كقوله ياعبادى لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكانه ليس بعبده اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها فى لذتها وعلى هذا فيه اشارة الى ان المقربين الاقوياء يشربون شراب الكافور صرفا غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فان حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى فانزلنا به الماء اى انزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكى رحمه الله فى قوت القلوب (يفجرونها تفجيرا) التفجير والتفجرة آب راندن وفى المفردات الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان الكريقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم كما يفيده بناء التفعيل اذ التشديد للكثرة اجراء سهلا لا تمتنع عليهم بل تجرى جريا بقوة وايدفاع لان الانهار منقادة لاهل الجنة كالاشجار وغيرها فتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة اخرى لعينا وفى التأويلات النجمية يشير بالابرار الى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الاعظم الشامل للاسماء الذين سقاهم ربهم المتجلى لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المفجر الجارى فى انهار ارواحهم واسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة وقال القاشانى ان الابرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفا بل كان فى شرابهم مزيج من لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستمر لذتهم فى النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هواى له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر ام صفا

وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبتلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيرا لانهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية والا لم يكن كافورا لظلمة حجاب الانانية واثنينيته وسواده انتهى قال بعضهم اختلفت احوالهم فى الدنيا فاختلفت مشاربهم فى الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم ان الكأس اما نفسانية شيطانية وهى ما تكون لاهل الفسق فى الدنيا وهى حرام وفى الحديث (اذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الايمان بالله لا تدخلها على فانى لا استقر انا وهى فى وعاء واحد فان ابى وشربها نفر الايمان نفرة لا يعود اليه اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شئ لا يعود اليه ابدا واما جسمانية رحمانية وهى ما تكون للمؤمنين فى دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب واما روحانية ربانية وهى ما تكون لاهل المحبة والشوق فى الدارين وهى الذالاقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره

ألا ياساقيا انى لظمآن ومشتاق * ادر كأسا ولا تكثر فان القوم قد ذاقوا

خذ الدنيا وما فيها فان العشق يكفينا * لنا فى العشق جنات وبلدان واسواق

(يوفون بالنذر) استئناف كانه قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا والنذر ايجاب الفعل المباح على نفسه تعظيما لله بان يقول لله على كذا من الصدقة وغيرها وان شفى مريضى اورد غائبى فعلى كذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلى كذا ففى الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله

من باب النذر وقيل النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر واذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح الا في الطاعة وفي الحديث (من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه) قال هرون بن معروف جاء في خبر فقال ان ابي حلف علي بالطلاق ان اشرب دواء صعا مسكر فذهبت به الى ابي عبد الله فلم يرخص له وقال قال عليه السلام كل مسكر حرام واذا اجمع الاطباء على ان شفاء المريض في الخمر لا يشربها اذا كان له دواء آخر واذا لم يكن يشربها او يتداوى بها في قول ثم ان الاهتمام بما اوجبه الله على عبده ينبغي ان يكون اكمل مما اوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فانه يتهاون بما اوجبه الله عليه فلا يؤدي الصلاة الواجبة مثلا واذا نذر شيأ في بعض المضايقات يسارع الى الوفاء وليس الامن الجهل وقال القاشاني اي الابرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون يوما) اي يوم القيامة (كان شره) اي هوله وشدته وعذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار بالغا اقصى المبالغ يعني بهمه كس بهمه جارسيده من استطار الحريق اي النار وكذا الفجر قال في القاموس المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو ابلغ من طار بمنزلة استقنفر من نفر واطلق الشر على اهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السموات والارض مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة الى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك ان لا يكون خيره مستطيرا ايضا فان ليوم القيامة امورا سارة كما ان له امورا ضارة وقال سهل رحمه الله البلايا والشدائد عامة في الآخرة للعامة والملامة خاصة للخاصة ثم ان يوفون الخ بيان لاعمالهم واتيانهم بجميع الواجبات وقوله ويخافون الخ بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فان الطاعات انما تتم بالنيات وبمجموع هذين الامرين سماهم الله بالابرار قال بعض العارفين يشير الى ارباب السلوك في طريق الحق وطلبه حيث اوجبوا على انفسهم انواع الرياضات واصناف المجاهدات وتركوا الرقاد واهلكوا بالجوع الاجساد واحرقوا بالعطش الاكباد وسدوا الاذان من استماع كلام الاغيار واعموا ابصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقي وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الازلي خوفوا انفسهم من يوم تجلي صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وادخلهم في حرمه الآمن (ويطعمون الطعام على حبه) اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه ونحوه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير الى مصدر الفعل كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى او كائنين على حب الله او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف الى المفعول والفاعل متروك اي على حبهم لله ويجوز ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اي على حب الله الاطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب ايضا الان طعم الشيء ذوقه مأكولا او مشروبا والظاهر الخصوص وان جاز العموم واعلم ان مجامع الطاعات محصورة في امرين الطاعة لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الطعام وهو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باي وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع كما في حواشي ابن الشيخ وقال بعض اهل المعرفة اي يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار وسد خلة الغير في سائر احتياجهم او يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله (مسكينا) فقيرا لا شيء له عاجزا عن الكسب وبالفارسية درويش بي مايه وقال القاشاني المسكين الدائم السكون الى تراب البدن (ويتيما) طفلا لا اب له (واسيرا) الاسر الشد بالقد سمي الاسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وان لم يكن مشدودا بذلك والمعنى واسيرا مأخوذا لاجلك لنفسه نصرا ولا حيلة اي اسير كان فانه عليه السلام كان يوتى بالاسير قيد فعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه لانه يجب اطعام الاسير الكافر والاحسان اليه في دار الاسلام بما دون الواجبات عند عامة

العلماء

العلماء الى ان يرى الامام رأيه فيه من قتل او من او فداء او استرقاق فان القتل فى حال لا ينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذا لا يحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل او المعنى اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك عبدا او امة وكذا المسجون يعنى مسجون از اهل فقر كه در حق از حقوق مسلمين حبس كرده باشند وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك اى بالامهال والوضع عنه بعضا او كلا وهو كل الاحسان وفى الحديث (من انظر معسرا او وضع له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله) اى حماه عن حرارة القيامة وقيل الزوجة من الاسرآء فى يد الازواج لما قال عليه السلام اتقوا الله فى النساء فانهن عوانى عندكم والعانى الاسير وفى القاموس العوانى النساء لانهن يظلمن فلا ينتصرن وقال القاشانى الاسير المحبوس فى اسر الطبيعة وقيود صفات النفس وفى التأويلات النجمية ويطعمون طعام المعارف والحكم الالهية المحبوبة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من ابيه الروح واسير الاعضاء والجوارح المقيدين بقيود احكام الشريعة وحبال آثار الطريقة انتهى (انما نطعمكم لوجه الله) جز اين نيست كه مخور انيم شما را اى طعامها براى رضاى خدا على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر * هر چه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه بمنت دهى آن خود مده * منت ومزدى كه در احسان بود * وقت جزا موجب نقصان بود * وعن الصديقة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه اشرف الاعضاء وقال بعضهم الوجه مجاز عن الرضى لان الرضى معلوم فى الوجه وكذا السخط (لا نريد منكم جزآء) على ذلك بالمال والنفس والفرق بين الجزآء والاجر ان الاجر ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان او اخرويا ويقال فيما كان عن عقد وما يجرى مجرى العقد ولا يقال الا فى النافع واما الجزآء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال فى النافع والضار والمجازاة المكافأة وهى مقابلة نعمة بنعمة هى كفؤها (ولا شكورا) اى شكرا باللسان ومدحا ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها قال القاشانى لا نريد منكم مكافأة وثناء لعدم الاحتجاب بالاعراض والاعواض وفى التأويلات النجمية لا نريد منكم جزآء بالذكر الجميل فى الدنيا ولا شكورا عن عذاب الآخرة اذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لا يكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه والحاصل ان معاملة العبد المخلص انما هى مع الله فلا حق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن اراد النصيحة فان الاطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب ان يكون خالصا لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم * زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار * چو در خانه زيد باشى بكار (انا نخاف من ربنا يوما) اى عذاب يوم وهو مفعول نخاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو اخر لكان صفة له او مفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ما هو الاصل فى تعديته لانه يقال خاف منه فيكون يوما بدلا من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه او بتقدير يخاف آخر (عبوسا) من قبيل اسناد الفعل الى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه يعنى روزى كه رو بهادرو ترش كردد از شدت اهوال كما روى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر او معنى عبوسا يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة اى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة فى التشبيه فان العبوس الاسد كالعباس (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره لا لارادة مكافأتكم فقوله انا نخاف الخ بدل من انما نطعمكم الخ فى معرض التعليل لاطعامهم يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس وفى الكشاف القمطرير العبوس الذى يجمع بين عينيه واز امام حسن بصرى رحمه الله پرسيدند كه قمطرير چيست فرمود كه سبحان الله ما اشد اسمه وهو اشد من اسمه يعنى چه سخت است اسم

روز قیامت واو محفوظ ست از اسم خود (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم منه یعنی نگاهداشت خدای تعالی ایشانرا از بدی ورنج وهول وعذاب آن روز. فشر مفعول ثان لوقی المتعدی الی اثنین وفی الحدیث الصحیح قال رجل لم یعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فی البر ونصفه فی البحر فوالله لئن قدر الله علیه لیعذبنه عذابا لا یعذبه احدا من العالمین فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم فامر الله البر فجمع ما فیه وامر البحر فجمع ما فیه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشیتك یا رب وانت اعلم فغفر الله له ای بسبب خشیته وقوله لئن قدر الله بتخفیف الدال من القدر ای لئن تعلقت قدرته یوم البعث بعذاب جسمه ظن المسکین انه بالفناء علی الوجه المذکور یلتحق بالمحال وقدرة الله لا تتعلق بالمحال فلا یلزم منه الکفر فجمع رماده من البر والبحر محمول علی جمع اجزائه الاصلیة یوم القیامة ویجوز ان یحمل علی حال البرزخ فان السؤال فیه للروح والجسد جمیعا علی ما هو المذهب الحق (ولقاهم نضرة وسرورا) ای اعطاهم بدل عبوس الغبار وحزنهم نضرة فی الوجوه یعنی تازکی وخوبروئی وسرورا فی القلوب یعنی شادی وفرح دردل فهما مفعولان ثانیان وفی تاج المصادر التلقیة چیزی پیش کسی وا آوردن وفی المفردات لقیته کذا اذا استقبلته به قال تعالی ولقاهم نضرة وسرورا (وجزاهم) اعطی کل واحد منهم بطریق الاجر والعوض (بما صبروا) ما مصدریة ای بسبب صبرهم علی مشاق الطاعات ومهاجرة هوی النفس فی اجتناب المحرمات وایثار الاموال وفی الحدیث (الصبر اربعة الصبر علی الصدمة الاولی وعلی ادآء الفرآئض وعلی اجتناب المحارم وعلی المصائب (جنة) مفعول ثان لجزاهم ای بستانا یأکلون منه ماشاؤا (وحریرا) یلبسونه ویتزینون به وبالفارسیة وجامهٔ ابریسم بهشت بپوشند فالمراد بالجنة لیس دار السعادة المشتملة علی جمیع العطایا والکرامات والا لما احتیج الی ذکر الحریر بعد ذکر الجنة بل البستان کما ذکرنا فذکرها لا یغنی عن ذکر الملبس ثم ان البستان فی مقابلة الاطعام والصبر علی الجوع والحریر فی مقابلة الصبر علی العری لان ایثار الاموال یؤدی الی الجوع والعری وعن ابن عباس رضی الله عنهما ان الحسن والحسین رضی الله عنهما مرضا فعادهما النبی علیه السلام فی ناس معه فقالوا لعلی رضی الله عنه لو نذرت علی ولدیك نذرا یعنی اگر نذر کنی برامید عافیت وشفای فرزندان مکر صواب باشد فنذر علی وفاطمة وفضة جاریة لهما رضی الله عنهم ان برئا مما بهما ان یصوموا ثلاثة ایام تقربا الی الله وطلبا لمرضاته وشکرا له فشفیا فصاموا ومامعهم شئ یفطرون علیه فاستقرض علی من شمعون الخیبری الیهودی ثلاثة اصوع من شعیر وهو جمع صاع وهو اربعة امداد کل مد رطل وثلث قال الداودی معیاره الذی لا یختلف اربع حفنات بکفی الرجل الذی لیس بعظیم الکفین ولا صغیرهما اذ لیس کل مکان یوجد فیه صاع النبی علیه السلام فطحنت فاطمة رضی الله عنها صاعا یعنی فاطمهٔ زهرا ازان جویك صاع باآسیادست آردکرد وخبزت خمسة اقراص علی عددهم جمع قرص بمعنی انبزة فوضعوا بین ایدیهم وقت الافطار لیفطروا به فوقف علیهم سائل فقال السلام علیکم یا اهل بیت محمد مسکین من مساکین المسلمین اطعموفی اطعمکم الله من موائد الجنة فآثروه یعنی حضرت علی رضی الله عنه نصیب خود بدان مسکین دادوسائر اهل بیت موافقت کردند یعنی سخن درویش بسمع علی رسید روی فرا فاطمه کردوگفت

فاطم ذات المجد والتعیین * یا بنت خیر الناس اجمعین
اما ترین البائس المسکین * قد قام بالباب له حنین
یشکو الی الله و یستکین * یشکو الینا جائعا حزین

فاطمه رضی الله عنها او را جواب دادوگفت

امرك یا ابن عم سمع طاعه * ما بی من لؤم ولا ضراعه
ارجو اذا اشبعت ذا مجاعه * الحق بالاخیار والجماعه
وادخل الخلد ولی شفاعه

آنگه طعام پیش نهاده بودند جمله بدرویش دادند وبرگرسنگی صبر کردند وباقوال ید وقوا الا الماء واصبحوا صیاما فاطمه رضی الله عنها صاعی دیگر جو آردکرد وازان نان پخت فلما امسوا ووضعوا الطعام بین ایدیهم

وقف عليهم يتيم فقال السلام عليكم ياهل بيت محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة حضرت على رضى الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روى فراغاطمه كرد وگفت

انى لاعطيه ولاابالى * واوثر الله على عيالى * امسوا جياعا وهموا اشبالى * اصغرهم يقتل فى القتال

فآثروه يعنى همچنان طعام كه در پيش بود جمله يتيم دادند وخود كرسنه خفتند ديگر روز آن صاع كه مانده بود فاطمه رضى الله عنها انرا آرد كرد ونان پخت فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم اسير فقال السلام عليكم اهل بيت النبوة اسير من الاسارى اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة آن طعام باسير دادند و بجز آب نچشيدند وسه روز بران بگذشت فلما اصبحوا فى اليوم الرابع اخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فاقبلوا على النبى عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام مااشد مايسوءنى ماارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذيا محمد هنأك الله فى اهل بيتك فاقرأه السورة ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل البيت فقط لان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك فى العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوى الا انها مشهورة بين العلماء مسفورة فى الكتب قال الحكيم الترمذى رحمه الله هذا حديث مفتعل لايروج الا على احمق جاهل ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال لاشك فى وضعه ثم صحة الرواية تقتضى كون الآية مدنية لان انكاح رسول الله فاطمة عليا كان بعد وقعة احد وقد قال الجمهور ان السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة نقلا عن جمع من العلماء الكبار ان هل اتى على الانسان من السور النازلة فى المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية الا آية واحدة وهى ولاتطع منهم آثما او كفورا فانها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردى مدنية الا قوله فاصبر لحكم ربك الى الآخر فانه مكى ودل على ذلك ان الاسير انما كان فى المدينة بعد آية القتال والامر بالجهاد فغضت الآيات المكية الى الآيات المدنية فان شئت قلت انها اى السورة مكية وان شئت قلت انها مدنية على ان الآيات المدنية فى هذه السورة اكثر كمية من الآيات المكية فالظاهر ان تسمى مدنية لامكية ونحن لانشك فى صحة القصة والله اعلم (متكئين فيها) اى فى الجنة (على الارائك) برتختهاى آراسته قوله متكئين حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى قيد المجازاة بتلك الحال لانها ارفه الاحوال فكان غيرها لايدخل فى الجزاء والارائك هى السرر فى الحجال تكون فى الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة والوان الجواهر جمع اريكة كسفينة ولاتكون اريكة حتى تكون فى حجلة وهى بالفرش واحدة حجال العروس وهى بيت مزين بالثياب والستور والظاهر ان على الارائك متعلق بمتكئين لان الاتكاء يتعدى بعلى اى مستقرين متمكنين على الارائك كقوله متكئين على فرش ولايبعد ان يتعلق بمقدر و يكون حالا من ضمير متكئين اى متكئين فيها على الوسائد او غيرها مستقرين على الارائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) اى حرارة و برودة كما يرون فى الدنيا لان الحرارة غالبة على ارض العرب والبرودة على ارض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير اى يمر عليهم هواء معتدل لاحار ولابارد مؤذ يعنى ان قوله لايرون الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفى الحديث (هواء الجنة سجسج لاحر فيه ولاقر) اى معتدل لاحر فيه ولابرد فان القر بالضم البرد وفى الخبر عن النبى عليه السلام انه قال اشتكت النار الى ربها فقالت اكل بعضى بعضا فنفسنى فاذن لها فى كل عام بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ماتجدون من البرد من زمهرير جهنم واشد ماتجدون من الحر من حرها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فيبنما اهل الجنة فى الجنة اذ رأوا ضوأ كضوء الشمس وقد اشرفت الجنان له فيقول اهل الجنة يارضوان قال وبنا عز وجل لايرون فيها شمسا ولازمهريرا فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولاقمر ولكن هذه فاطمة وعلى رضى الله عنهما ضحكا ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وكان سعيكم مشكورا قال القاشانى لايرون فى جنة الذات شمس حرارة الشوق اليها مع الحرمان ولازمهرير برودة الوقوف

مع الاكوان فان الوقوف مع الكون يرد قاصر وفقل عاصر وفى التاويلات النجمية لايرون فى جنة الوصال حرمن المشاهدة المغنى للمشاهد بحيث لايجد لذة الشهود لان سطوة المشاهدة تفنى المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود والى هذا المعنى اشار النبى عليه السلام فى دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لازمهر برد الحجاب والاستتار (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ماقبلهما حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب اما بحسب الجانب او بحسب السمك والضمير الى الجنة او اشجارها ومعناه ان ظلال الاشجار فى الجنة قريبة من الابرار من جوانبهم حتى صارت الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لاشمس فيها مؤذية لتظللهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فان الظل فى الدنيا للراحة (وذللت قطوفها تذليلا) اى سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود وقطفت العنب قطعته وسمى العنقود قطفا لانه يقطف ويقطع وقت الادراك (ويطاف) يدار من طاف بمعنى دار والطواف والاطافة كلاهما لازم بالفارسية كرد چيزى بكشتن وانما جاءت التعدية هنا من الباء فى بآنية (عليهم) اى على الابرار اذا ارادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجيء (بآنية) اوعية جمع اناء نحو كساء واكسية والاوانى جمع الجمع كما فى المفردات واصل آنية اءنية بهمزتين مثل افعلة قال فى بعض التفاسير الباء فيها ان كانت للتعدية فهى قائمة مقام الفاعل لانها مفعول له معنى والا فالظاهر ان يكون القائم مقامه عليهم (من فضة) نعت لآنية (واكواب) جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لاأذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول الى ادارته وهو مستعمل الآن فى بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لان المقصود مايطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله ويطوف الخ (كانت قواريرا) جمع قارورة بالفارسية آبكينه وفى القاموس القارورة ماقر فيه الشراب ونحوه (قواريرمن فضة) اى تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى مافى داخلها من خارجها فكان تامة وقواريرالاول حال من فاعل كانت على المبالغة فى التشبيه يعنى ان القواريرانما تتكون من الزجاج لامن الفضة فليس المعنى انها قواريرزجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قواريروانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها فى نفسها ليست زجاجا ولا فضة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت ان آنية الجنة مباينة فى الحقيقة لقوارير الدنيا وفضتها ولان قوارير الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما فى الجنة لايقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لاطافة فيها ومافى الجنة ليس كذلك وان شارك كل واحدة منهما الاخرفى بعض الاوصاف فشبهت بالفضة فى بياضها ونقائها وبقائها وبالقارورة فى شفافيتها وصفائها فهى حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف فى صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارض الجنة من فضة واوانى كل ارض تتخذ من تربة تلك الارض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قواريروهو ان اصل القواريرفى الدنيا الرمل واصل قواريرالجنة هو فضة الجنة فكما ان الله قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة صافية فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لانسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين كذا فى حواشى ابن الشيخ قال بعضهم لعل الوجه فى اختيار كون كانت تامة مع امكان جعلها ناقصة وقواريرالاول خبرا تكوين الله فيكون فيه تفخيم للآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى وقواريرالثانى بدل من الاول على سبيل الايضاح والتبيين اى قواريرمخلوقة من فضة والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قواريرالثانى ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قواريرقال ابن الجزرى وكلهم وقفوا عليه بالالف الاحزة وورشا وانما صرفه من صرفه لانه وقع فى مصحف الامام بالالف وانما كتب فى المصحف بالالف لانه رأس آية فشابه القوافى

والفواصل التي تزاد فيها الالف للوقف (قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله كانت قوارير وايضا النقاء فقد ذكره الله بقوله من فضة وايضا الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله قدروها تقديرا او قدروها بامالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله ويطاف عليهم اى قدروا شرابها على اضمار المضاف على قدر استروآتهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان طرفي الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد لا فيض فيها ولا غيض اى لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك على قدر اكف الخدم (ويسقون فيها) اى في الجنة بسق الله او بسق الطائفين بامر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست في قوله يشربون من كأس بصيغة المعلوم (كأسا) خمرا (كان مزاجها) ما تمزج به وتخلط (زنجبيلا) الزنجبيل عرق يسري في الارض ونباته كالقضب والبردي وعلم منه ان ما كان مزاجها زنجبيلا غير ما كان مزاجها كافورا والمعنى زنجبيلا اى ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيبه العرب والذ ما تستلذ به لانه يحذو اللسان ويهضم الطعام كما في عين المعاني ولما كان في تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم ان ليس فيها سلاسة الانحدار في الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع والاحراق ازال ذلك الوهم بقوله (عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى) عند الملائكة من خازن الجنة واتباعه (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها فكان العين سميت بصفاتها قال بعضهم يطلق عليها ذلك وتوصف به لانه علم لها يعني ان سلسبيل صفة لا اسم والا لامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة ويقال انما صرف مع انه اسم عين وهي مؤنث معنوي لرعاية رأس الآية قال في الكواشي لفظ مفرد بوزن فعليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه ولذلك حكم بزيادة الباء اى بعدم التفاوت في المعنى بوجودها وعدمها والا فالباء ليست من حروف الزيادة وقيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة والخلاوة وقال ابن المبارك من طريق الاشارة معنى السلسبيل سل من الله اليه سبيلا قال ابن الشيخ جعل الله مزاج شراب الابرار ولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التي تهيج الاشتهاء وتعين على تهشئة ما تناولوه من المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه في تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور وذلك وفي التأويلات النجمية يشير بالزنجبيل الى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة المعقولة من مفهوم التوحيد وبالسلسبيل الى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلا لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها وصراحتها وقال القاشاني كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذي هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير في الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين في الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلا لسلاستها في الحلق وذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال في ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق (ويطوف عليهم) اى يدور على الابرار (ولدان) فانهم اخف في الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة (مخلدون) اى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون ابدا وبالفارسية وبخدمت مى كردد برايشان غلمانى چون كودكان نوزاد جاويد مانده در حال طفوليت او مقرطون يعني بسران كوشواره دار واخلد القرط وفي التاج انه من الخلد وهو الروح كانهم روحانيون لا جسم لهم (اذا رأيتهم) يا من شأنه الرؤية (حسبتهم لؤلؤا) جمعه اللا لى وتلا لا الشئ لمع لمعان اللؤلؤ (منثورا) متفرقا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وتفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة

واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض لغاية بياضه وبريقه فيكون مخالفا للمجتمع فيه والظاهر على ماذهب اليه البعض منثورا اى متفرقا فى الجنة فهو احسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون وبالمخزون لانهن لا ينتشرن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات فى الخيام قال فى عين المعانى وفيه اشارة الى ان الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لانه يجمع بياض اللون الى لذة الطعم انتهى ومنه يعلم ان لا لواطة فى الجنة وان قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مرارا قال بعضهم منثورا من سلكه على البساط وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط مفسوج بالذهب وقد تبرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى نواس كأنه ابصر هذا حيث يقول كان صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء درّ على ارض من الذهب

وقال بعضهم منثورا من صدفه يعنى انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه وهو غير مثقوب لانه احسن واكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعنى تروتازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر رونق وآب داد شان قصورى پيدا نشده قال فى كشف الاسرار ولدان مخلدون اى غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى فسمى الغلمان ولدانا لانهم على صورتهم فى ان فى اطلاقهم عليهم خطابا بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم فى الجنة وقال فى عين المعانى قيل انهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدما لاهلها بدليل انهم سموا ولدانا ولا ولادة فى الجنة انتهى وفى اللباب اختلفوا فى الولدان فقيل انشأهم الله لاهل الجنة من غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم كانهم لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الأيدى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروى ان الحسن رحمه الله لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى عن على رضى الله عنه والحسن البصرى رضى الله عنه ان الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة وعن الحسن رحمه الله لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام اللباب فالله تعالى قادر على ان يجعل اموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة فى الدنيا لغاية صغرهم فى مرتبة القابلية لها فى الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووى الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة وقال الطيبى فى شرح المشكاة الحق التوقف اى لا الحكم بانهم من اهل الجنة كما ذهب اليه البعض ولا بانهم تبع لآبائهم فى النار كما ذهب اليه البعض الآخر فالمذاهب اذا فيهم ثلاثة وفى التأويلات النجمية ويطوف عليهم ولدان مخلدون اى تجليات ذاتية مقرطون بشرطة الاسماء والصفات اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من تشعشع انوار الذات وتلألؤ انوار الصفات والاسماء (واذا رأيت ثم) وجون بنكرى ونظر كنى در بهشت قال فى الارشاد ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه اى ما كل المعنى ان بصرك ايما وقع فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا لا يوصف وهو ما يتنعم به (وملكا كبيرا) اى واسعا وهنيئا كما فى الحديث (ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه والآية من باب الترقى والتعميم يعنى ان هنالك امورا اخر اعلى واعظم من القدر المذكور درفصول آمده كه نعيم راحت اشباح است وملك كبير لذت ارواح نعيم ملاحظة دار است وملك كبير مشاهدة ديدار ودر ديدار بهيچ كار نيايد الجار ثم الدار زاهدان فردوس ميجويند ومادى دار دوست وفى التأويلات النجمية يعنى اذا تحققت بمقام التوحيد وحال الوحدة وصلت الى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله انتهى فيكون المراد بالملك الكبير فى الدنيا هو الشهود الحاصل لاهل الجنة المعنوية والملك بالضم بالفارسية پادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال فى بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف فى المأمورين بالامر والنهى ومنه الملك واما الملك بالكسر فهو التصرف فى الاعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والاول جامع للثانى لان كل ملك مالك ولا عكس (عاليهم ثياب سندس خضر) عاليهم ظرف

على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمير عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ اى فوقهم وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن واضافة الثياب الى السندس كاضافة الخاتم الى الفضة وبالفارسية بربهشتيان يعنى لباس زبرين ايشان جامهاء ديباى نازك ولم يرض الزجاج بكون عاليهم نصبا على الظرف بمعنى فوقهم لانه لم يعرف فى الظروف وخضر جمع اخضر صفة ثياب كقوله ويلبسون ثيابا خضرا فالضمير للابرار المطوف عليهم لان المقام مقام تعداد نعيمهم وكرامتهم فالمناسب ان تكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفين وعن الامام ان المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج وهذا من علامات الملك (واستبرق) بالرفع عطفا على ثياب بحذف المضاف اى ثياب استبرق وهو معرب استبره بمعنى الغليظ سبق بيانه فى سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسما للديباج الغليظ الذى له بريق (وحلوا اساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظا ومستقبل معنى واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون والتحلية التزيين بالحلى وبالفارسية باحلى زيور كردن وفيه تعظيم لهم بالنسبة الى ان يقال وتحلوا واساور جمع اسورة فى جمع سوار وسوار المرأة اصله دستواره وكان الملوك فى الزمان الاول يتحلون بها ويسورون من يكرمونه ولا ينافى هذه الآية ما فى الكهف والحج من قوله من اساور من ذهب لامكان الجمع بين السوار الذهب والسوار الفضة فى ايديهم كما تجمع نساء الدنيا بين انواع الحلى وما احسن المعصم اذ يكون فيه سواران من جنسين وزيادة كالذهب والفضة واللؤلؤ وايضا لامكان المعاقبة فى الاوقات تارة يلبسون الذهب واخرى يلبسون الفضة وايضا لامكان التبعيض بان يكون البعض ذهبا والبعض فضة فان حلى اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فللمقربين الذهب وللابرار الفضة وايضا يعطى كل احد ما يرغب فيه ويميل طبعه اليه فان الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب (وسقاهم) بياشاماند ايشانرا (ربهم شرابا) هو ما يشرب (طهورا) هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان فى اجوافهم من قذر واذى وبه تحصل الصفوة المهيئة لانعكاس نور الجمال الالهى فى قلوبهم وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين فلذا ختم بها مقالة ثواب الابرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل وقيل مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا وما مسته الايدى القذرة والاقدام الدنسة ولا يؤول الى ان يكون نجسا بل يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك (قال الكاشفى) بباید دانست كه جوى كوثر در بهشت خاصهٔ حضرت رسالت است وذكر آن در سورهٔ كوثر خواهد آمد وچهار جوى ديكر ازان متقيانست آب وشير وخمر وعسل وشمهٔ از صفات او در سورهٔ محمد مرقوم رقم بيان شد ودو چشمه ازان اهل خشيت است فيهما عينان تجريان ودو چشمه ازان اهل يمين است فيهما عينان نضاختان واين چهار چشمه در سورة الرحمن امد ديكر چشمهٔ رحيق ازان ابرارست وچشمهٔ تسنيم ازان مقربان واين هردو در سورهٔ مطففين مذكورند ودو چشمه ازان اهل بيت است كافور وزنجبيل كه آنرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز از ايشانست ومحققان آنرا شراب شهود كويند كه مرآت دل نوشنده را بلوامع انوار قدم روشن ساخته پذيراى نقوش عكوس ازل وابد كرداند ووقت وحال او را چنان صافى سازد كه مطلقا شوائب غيريه در مشارع وحدت نماند ورنك دوكانكى مبدل كردانيده جام مدام را يك رنك سازد * همه جا مست نيست كويى مى * يا مدامست ونيست كويى جام * عارفى كفته اكر فردا بزم نشينان دار بقا را براى آنكه سرور شراب طهور خواهند چشانيد امروز باده نوشان خمخانهٔ افضال را بنقد ازان نصيبى تمام داده اند * از سقاهم ربهم بين جملهٔ ابرار مست * در جمال لايزالى هفت وپنج وچار مست * اى جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب دهد در جام دل ريزد وعارف او را نوش كند قومى را شراب مست كرد وقومى را ديدار

واسكر القوم دور كأس * وكان سكرى من المدير

بزركى را بخواب نمودند كه معروف كرخى رحمه الله كرد عرش طواف مى كرد ورب العزة فرشتكانرا مى كفت او را شناسيد كفتند نه كفت معروف كرخى است بمهر ما مست شده تا ديدهٔ او بر ما نيايد هشيار نكردد هر كرا

امروز شراب محبت نیست فردا اورا شراب طهور نیست قال بعضهم صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرأ قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجعل يحرك فمه كانه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له اتقرأ ام تشرب قال والله لو لم اجد لذته عند قرآءته كلذتي عند شربه ما قرأته وفي التأويلات النجمية قوله عاليهم الخ يشير الى اتصاف اهل الجنة بملابس الصفات الالهية والاخلاق الربانية من خضر اى من الصفات الذاتية واستبرق اى من الصفات الاسمائية والى تحليهم بحلى اساور الاسماء الذاتية والصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الاغيار (ان هذا) على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ترونه من فنون الكرامات ويجوز ان يكون خطابا من الله فى الدنيا للابرار اى ان هذا الذى ذكر من انواع العطايا (كان لكم جزآء) عوضا بمقابلة اعمالكم الحسنة فان قيل كيف يكون جزآء لاعمالهم وهى مخلوقة لله عند اهل السنة واجيب بانها لهم كسبا عندهم ولله خلقا (وكان سعيكم) وهست شتافتن شما در كار خير در دنيا (مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب لخلوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزآء عملك الرديء فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم قال بعضهم ادنى الدرجات ان يكون العبد راضيا عن ربه واليه الاشارة بقوله كان لكم جزآء واعلاها كونه مرضيا له واليه الاشارة بقوله وكان سعيكم مشكورا ولما كان كونه مرضيا اعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الابرار وفى التأويلات النجمية ان هذا كان لكم جزآء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكورا غير مضيع بسبب الرياء والسمعة (انا نحن نزلنا عليك القرءآن تنزيلا) اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فكانه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة وسحر فانا الملك الحق اقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى فلا تكترث بطعنهم فانك انت النبى الصادق المصدق (فاصبر لحكم ربك) بتاخير نصرك على الكافرين فان له عاقبة حميدة ولا تستعجل فى امر المقابلة والانتقام فان الامور مرهونة باوقاتها وكل آت قريب (ولا تطع منهم) اى من الكفار (آثما او كفورا) او لاحد الشيئين والتسوية بينهما فاذا قلت فى الاثبات جالس الحسن او ابن سيرين كان المعنى جالس احدهما فكذا اذا قلت فى النهى لا تكلم زيدا او عمرا كان التقدير لا تكلم احدهما والاحد عام لكل واحد منهما فهو فى المعنى لا تكلم واحدا منهما فمآل المعنى فى الآية ولا تطع كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه فاو للاباحة اى للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان اى عصيان المخاطب للداعى اليهما والاستقلال به والتقسيم الى الآثم والكفور مع ان الداعين يجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه اليه من الاثم والكفر لا باعتبار انقسامهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لانهم كانوا كفرة والكفر اخبث انواع الاثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم واثمهم وذلك ان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر فالمراد بالاثم ما عدا الكفر اذ العام اذا قوبل بالخاص يراد به ما عدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيها على غاية خبثه من بين انواع الاثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفورا ولا بعد ان يراد بالآثم من هو تابع وبالكفور من هو متبوع (وقال الكاشفى) (آثما) گناهكارى را كه ترا باثم خواند چون عتبة بن ربيعه كه گفت از دعوت خود باز ايست تا دختر خود را بتو دهم (او كفورا) وناسپاسى را كه ترا بكفر دعوت كند چون وليد بن مغيره كه گفت بدين آباء رجوع كن تا ترا توانگر سازم وفى نهيه عليه السلام عن الاطاعة فيما يدعونه اليه مع انه ما كان يطيع احدا منهم ولا يتصور فى حقه ذلك اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة وان احدا لو استغنى عن توفيق الله وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر انه لا بد لكل مسلم ان يرغب الى الله ويتضرع اليه ان يحفظه من الفتن والآفات فى جميع اموره وقال القاشانى ولا تطع منهم آثما اى محتجبا بالصفات والاحوال او بذاته عن الذات او بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات او كفورا محتجبا بالافعال والآثار واقفا معها او بافعاله ومكسوباته عن الافعال فتحجب بموافقتهم انتهى عصمنا الله واياكم من موافقة الاعدآء مطلقا (واذكر اسم ربك بكرة) اول النهار (واصيلا)

اى عشيا وهو آخر النهار اى وداوم على ذكره فى جميع الاوقات فاريد بقوله بكرة واصيلا الدوام لانه عليه السلام كان آتيا بالذكر المأمور به واتصابهما على الظرفية اودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل كما يطلق على ما بعد العصر الى المغرب فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتناول وقتى الظهر والعصر قال سعدى المفتى التأويل بالدوام انما يحتاج اليه لو ثبتت فرضية الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر انه كذلك فانها فرضت ليلة المعراج بقول الفقير وفيه ان الصلوات الخمس وان فرضت ليلة المعراج الا ان المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتاريخ فى نزول الآية مجهول أهى نازلة قبل المعراج ام بعده فان كان الثانى ثبت مطلوبه والا فلا قال القاشانى واذكر ذلك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه وأظهار كمالاته فى المبدأ والمنتهى بالصفات النظرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الاول وايداع كمالاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كمالاتها (ومن الليل فاسجد له) وفى بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء يس معنى جنين باشد كه بر پنج نماز مداومت نمائى وتقديم الظرف للاهتمام لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وافضل الاعمال اشقها واخلصها عن الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لافادة معنى الشرط كانه قال مهما يكن من شئ فاسجد له ففيها وكادة اخرى لامرها وفى التأويلات النجمية واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك اذ السجود صورة الفناء الذاتى والركوع صورة الفناء الصفاتى والقيام صورة الفناء الافعالى فافهم بعض اسرار الصلاة (وسبحه ليلا طويلا) اى صل صلاة التهجد لانه كان واجبا عليه فى طائفة طويلة من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه فقوله ليلا طويلا نصب على الظرفية فان قلت انتصاب ليلا على الظرفية وطويلا نعته ومعناه سبحه فى الليل الطويل فمن اين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت ظاهران توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فان الامر بالتهجد يتناوله ايضا فهو لتطويل زمان التسبيح وفى التعبير فى التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على انه ليس فى مرتبة ماقبله (ان هؤلاء) اى كفار مكة عادا الى شرح احوال الكفار بعد شرح صدوره عليه السلام بما ذكر من قوله انا نحن الخ (يحبون العاجلة) دوست ميدارند سراى شتابنده را يعنى دنيارا وينهمكون فى لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر والاعراض عن الاتباع لاشتباه الحق عليهم (ويذرون) يتركون (وراءهم) اى امامهم لايستعدون فهو حال من يوما او ينبذون وراء ظهورهم فهو ظرف ليذرون فوراء يستعمل فى كل من امام وخلف والظاهر فى وجه الاستعمالين ان وراء اسم للجهة المتوارية اى المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما فى جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف فى ذلك فيستعار له اسم الوراء (يوما ثقيلا) لايعبأون به ويوما مفعول يذرون وثقيلا صفته ووصفه بالثقل مع انه من صفات الاعيان الجسمية لا الامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله بثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفى الآية وعيد لاهل الدنيا ونعيها خصوصا لاهل الظلم والرشوة (نحن) لاغيرنا (خلقناهم) من نطفة (وشددنا اسرهم) اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والاخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم ان يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب والاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وقد المضاف وهو المفاصل وفى كشف الاسرار وآفرينش انسان سخت بستيم تا آفرينش واندامان بريكى بود معناه شددنا خلقهم وقال الراغب اشارة الى الحكمة فى تركيب الانسان المأمور بتدبرها وتأملها فى قوله وفى انفسكم افلا تبصرون وقيل وشددنا مخرج البول والغائط اذا خرج الاذى انقبض او معناه انه لايسترخى قبل الارادة (واذا شئنا) تبديلهم (بدلنا امثالهم) اى بدلناهم بامثالهم بعد اهلاكهم والتبديل يتعدى الى مفعولين غالبا كقوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات يعنى يذهب بها ويأتى بدلها بحسنات (تبديلا) بديع الاريب فيه وهو البعث كما ينبىء عنه كلمة اذا فالمثلية فى النشأة الاخرى انما هى فى شدة الاسر وباعتبار الاجزاء الاصلية ولا ينافيها الغيرية بحسب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان درخلقت يعنى ايشانرا بميرانيم ودرنشأت ثانيه بمانند همين صورت وهيأت بازآريم او المعنى واذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم فقيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة

ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة واذ الدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية والا فالمناسب كلمة ان اذ لا تحقق لهذا التبديل قال القاشاني نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم وقويناهم بالميثاق الاول والاعمال الحقيق واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا بان نسلب افعالهم بافعالنا ونحو صفاتهم بصفاتنا ونغني ذواتهم بذاتنا فيكونوا ابدالا (ان هذه تذكرة) اشارة الى السورة او الآيات القريبة اى عظة مذكرة لما لابد منه في تحصيل السعادة الابدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفي عين المعاني تذكرة اى اذكار بما غفلت عنه عقولهم (وقال الكاشفي) يا معامله اهل بيت در بذل وايثار عبرتيست مؤمنانرا تا بمثل آن عمل كنند وازمثل اين جزا بهره يابند (فمن) پس هر كه (شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) تحقيق للحق وبيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وان مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى غاية ما في الباب ان المشيئة ليست من الافعال الاختيارية للعبد بل هي متوقفة على ان يشاء الله اياها وذلك لا ينافي كون الفعل الذي تعلقت به مشيئة العبد اختياريا له واقعا بمشيئته وان لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذي يقول به اهل السنة ويقولون الامر بين الامرين اى بين القدر والجبر قال في عين المعاني قوله تعالى فمن شاء الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى وما تشاؤن الخ اظهار قهر الالوهية (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته قال القاشاني وما تشاؤن الا بمشيئتي بان اريد فتريدون فتكون ارادتهم مسبوقة بارادتي بل عين ارادتي الظاهرة في مظاهرهم ان الله كان عليما بما اودع فيهم من العلوم حكيما بكيفية ايداعها وابرازها فيهم باظهاركالهم (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر (اعد لهم عذابا اليما) اى متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وفي الآية اشارة الى ادخال الله بعض عباده في رحمة معرفته واما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة في مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة فان الله اعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وايضا عذابا بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر فيه حسن الخاتمة لمواقعته الفاقعة على ما لا يخفى على اهل النظر والفهم.

تمت سورة الانسان بعون ذي الاحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة المرسلات خمسون آية مكية استثنى منها واذا قيل لهم اركعوا الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار ان ملائكة كل يوم او كل عام او كل حادثة طائفة وعرفا بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس فانتصابه على الحالية اى جاريات بعضها اثر بعض كعرف الفرس او العرف بمعنى المعروف والاحسان نقيض النكر بمعنى المنكر اى الشئ القبيح فانهم ان ارسلوا للرحمة فظاهر وان ارسلوا للعذاب الكفار فذلك معروف للانبياء والمؤمنين يعني ان عذاب الاعداء احسان للاولياء فانتصابه على العلية وعصفا مصدر مؤكد وكذا نشرا وفرقا

والماء

والفاء للدلالة على اتصال سرعة جريهن فى نزولهن وهبوطهن بالارسال من غير مهلة وهى لعطف الصفة على الصفة اذ الموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول الى الواو فى الناشرات لانها غير المرسلات فالقسم الاول وصفهم الله بوصفين يتعقب احدهما على الآخر والقسم الثانى وصفهم بثلاثة اوصاف كذلك والفرق الفصل والالقاء هنا بمعنى الايصال والانزال لا الطرح وذكرا بمعنى الوحى مفعول الملقيات وترتيب الالقاء على ماقبله بالفاء ينبغى ان يكون لتأويله بارادة النشر والفرق وسيأتى تمامه اقسم الله بطوآئف من الملائكة ارسلهن باوامره بنحو التدبير وايصال الارزاق بالتصرف فى الامطار والرياح وكتابة اعمال العباد بالليل والنهار وقبض الارواح فعصفن فى مضيهن يعنى سخت رفتند عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوآئف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى اونشرن الشرآئع فى الاقطار اى فرقن واشعن اونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل اى احيين بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) لاهل الحق اى معذرة لهم فى الدنيا والآخرة لاتباعهم الحق (اونذرا) لاهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذرا مصدر من عذر اذا محا الاساءة ونذرا اسم مصدر من انذر اذا خوف لا مصدر لانه لم يسمع فعل مصدرا من افعل وانتصابهما على البدلية من ذكرا قال ابن الشيخ ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا اونذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان القاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع القاء عذره ومحو اساءته وكذا القاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع القاء انذاره على كفره انتهى اوانتصابهما على العلية للصفات المذكورة اوللاخيرة وحدها وهو الاولى بمعنى فاللاتى القين ذكرا لمحو ذنوب المعتذرين الى الله بالتوبة والاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين وفى كشف الاسرار لاجل الاعذار من الله الى خلقه لئلا يكون لاحد حجة فيقول لم يأتنى رسول ولاجل انذارهم من عذاب الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عذرا اونذرا قال يقول الله يا ابن آدم انما امرضكم لاذكركم وامحص به ذنوبكم واكفر به خطاياكم وربكم اعلم ان ذلك المرض يشتد عليكم وانا فى ذلك معتذر اليكم قال بعضهم المعنى ورب المرسلات الخ وفى الارشاد لعل تقديم نشر الشرآئع ونشر النفوس والفرق على الالقاء اى مع ان الظاهر ان الفرق بين الحق والباطل يكون مع النشر لا بعده وان القاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرآئع فى الارض واحياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها اوللاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوآئف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولوجيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل فى هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة اوجه واسد لما ذكرنا فى المدثر ان المحققين على انه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك قال فى كشف الاسرار درروزكار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد از اهل عراق نام او صبيغ واز عمر ذاريات ومرسلات پرسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى يعنى تا كه مردم درو فرو مانند عمر اورا دره زد وكفت لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك يعنى اكر من ترا سر سترده يافتم من ترا كردن زدم عمر رضى الله عنه اين سخن را از بهر آن كفت كه از رسول خدا عليه السلام شنيده بود درصفت خوارج كه سيماهم التحليق كفت درامت من قومى خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت باموسى الاشعرى وكان اميرا على العراق كه يكسال اين صبيغ را مهجور داريد باوى منشينيد وسخن مكوييد پس از يكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضى الله عنه توبه وعذر وى قبول كرد شافعى رحمه الله كفت حكمى فى اهل الكلام كحكم عمر فى صبيغ قال فى القاموس صبيغ كامير بن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة انتهى (انما توعدون لواقع) جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فانما هذه ليست هى الحصرية بل ما فيها موصولة وان كتبت متصلة فى خط المصحف والموعود هو مجيء القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكلبى المراد

ان كل ماتوعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول وفى التأويلات النجمية انما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلى فى الله لواقع حاصل بالنسبة الى اهل المعرفة والشهود وارباب الذوق والوجود واما بالنسبة الى اهل الحجاب والاستحجاب فسيقع ان كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب والى هذا الوقوع المحقق اشار بقوله كل شئ هالك الا وجهه اى فى الحال وبقوله كل من عليها فان اى فانى فى عين البقاء اذ المقيد مستهلك فى اطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب فى نور الشمس واستهلاك اعتبارات التصفية والتثليثية والتربيعية فى الاثنين والثلاثة والاربعة ثم اخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لاهل الشقاوة بقوله (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت ذواتها فان الطمس محو الاثر الدال على الشئ وهو الموافق لقوله واذا الكواكب انتثرت اوذهب بنورها والاول اولى لانه لاحاجة فيه الى الاضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره مابعده او بالابتداء وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على الاعرابين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ماتوعدون او يعتم اوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وفيه اشارة الى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن ادراك الحقائق عند طلوع شمس الحقيقة (واذا السماء فرجت) صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التى نفاها بقوله ومالها من فروج وفتحت فكانت ابوابا فالفرج الشق وكل مشقوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد وفيه اشارة الى صدع سماء الارواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف وهو ما ينفض به الحب ويذرى ونحوه وبست الجبال بسا فالنسف والبس بالفارسية پراكنده كردن وداميدن وفيه اشارة الى تلاشى جبال الخيالات والاوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادى المشاهدات وهو ادى المعاينات (واذا الرسل اقتت) اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على امهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبل حصوله فان علم ذلك الى الله تعالى يعنى ان تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات القيامة من حيث ان ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلا فى الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا للشهادة فقد جاء وقتها والمعنى واذا الرسل بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فان التوقيت كما يجيء بمعنى تحديد الشئ وتعيين وقته فكذا يجيء بمعنى جعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود وعلى المعنى الاول لا يقع على الذوات بدون اضمار فان الموقت هو الاحداث لا الجثث فلا يقال زيد موقت الا ان يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل انما هو بالنسبة الى حضورهم لا بالنسبة الى ذواتهم لان الذوات قارة لا يعتبر فيها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا وقال سعدى المفتى وفى وقوعه على المعنى الثانى على الجثث بدون اضمار بحث ظاهر وان ذهب اليه صاحب الكشف ونحوه وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت والباقون ابدلوا الواو همزة لان الضمة من جنس الواو فاجمع بينهما يجرى مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا ولهذا السبب تستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو ليست بلازمة فيه وفى كشف الاسرار الالف والواو لغتان والعرب تبدل الالف من الواو وتقول وسادة واسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر وموتر وفى الآية اشارة الى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على امة الاعضاء والجوارح (لاى يوم اجلت) تقدير بقول هو جواب لاذا فى قوله واذا الرسل اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل اى بجمعهم واحضارهم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله قال القاشانى واذا الرسل اى ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لها اما لايصال البشرى والروح والراحة واما لايصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب والعقاب فى وقت الاعمال ورسل البشر وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها الذى عين لهم الفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق ويقضى بالحقوق ويحكم بين المحسن والمسيء ويميز بين ارباب شهود الوحدة الذاتية وبين اصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه الا من كان معاملته لله فى الله وبين الرجل وامه وابيه واخيه

ادان يكونوا متفقين على الحق والعدل (وما ادراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ وادراك خبره اى اى شئ جعلك دارياوعالما ماهو وما كنهه اذلم ترمثله وكذا الخبر احد قبلك شدته حتى تسمع منه (وقال الكاشفى) وچه چيزدانا كرد ترا كه چيست روز فصل چه گونه اورا توان دانست فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر يوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه (ويل) واى (يومئذ) اى فى ذلك اليوم الهائل (للمكذبين) بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق اى الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل فى الاصل مصدر منصوب سادمسد فعل لا من لفظه فاصله اهلكه الله اهلا كاوهلك هو هلا كا عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه اوصفته ووضع الويل موضع الاهلاك والهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد فعله المختص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مختصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك وقال بعضهم الويل واد فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى ذابت وقال الجنيد قدس سره الويل يومئذ لمن كان يدعى فى الدنيا الدعاوى الباطلة (الم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل وهو استئناف انكارلعدم الاهلاك اثباتا وتقريراله لان نفى النفى يثبت الاثبات ويحقق الاهلاك فكانه قيل لم يكن عدم الاهلاك بل قداهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب اى نجعلهم تابعين للاولين فى الاهلاك فليس الكلام معطوفا على ماقبله لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع تنبيه على ان يكون مقطوعا عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الاخبار عما سيقع فى المستقبل باضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة (كذلك) اى فعلا مثل ذلك الفعل الذى اخبر به نفعل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم اى سننا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره (ويل) مكرر وهى بزرك (يومئذ) يوم اذاهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفى برهان القرآن كررها فى هذه السورة عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون تكرارا مستهجنا ولو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون بعض وقيل ان من عادة العرب التكرار والاطناب كما ان عادتهم الاقتصار والايجاز ولان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز وقد يجد كل احد فى نفسه من تأثير التكرار ما لا يخفاه به (الم نخلقكم) اى الم نجعلكم وانفق القراء على ادغام القاف فى الكاف فى هذا الحرف وذكر النقاش انه فى قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم فى رواية حفص بالاظهار قاله فى الايضاح (من ماء مهين) بهوان الحدوث والامكان والابتذال اى من نطفة قذرة مهينة يعنى خوار وبى مقدار والميم اصلية ومهانته قلته وخستها وكل شئ ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته اى خلقنا كم منه ولذا عطف عليه قوله (فجعلناه) اى الماء وبالفارسية پس نگاه داشتيم آن آب را (فى قرار مكين) وهو الرحم بكسر الحاء المهملة اى وعاء الولد فى بطن الام يعنى در قرار گاه استوار كه رحم است فالقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين اى جعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظا سالما عن التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لا منها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين فى مكة اى متمكن فيها ومكين عند الامير اى ذو منزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلا لا مفيلا (الى قدر معلوم) اى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله للولادة تسعة اشهر اواقل منها واكثر وهو فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه اى مؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان (فقدرنا) اى قدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه واعضائه والوانه ومدة حمله وحياته ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) اى نحن بمعنى المقدرون والى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضى الله عنه ويجوز ان يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك اى على خلقه

وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل
ويعضده قوله فنعم القادرون حيث خلقناه بقدرتنا وجعلناه على احسن الصور والهيئات (ويل)
بزر كتر بلايى (يومئذ للمكذبين) اى بقدرتنا على ذلك او على الاعادة قال ابو الليث اى الشدة من العذاب
لمن يرى الخلق الاول فانكر الخلق الثانى (الم نجعل الارض كفاتا) عرفهم اولا نعمه الانفسية لانها كالاصل
ثم اتبعها النعم الآفاقية والكفت باهم آوردن والكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ
اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لما يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخرجماع كل اثم وكفاتا مفعول ثان
لنجعل لانه بمعنى الم نصيرها كفاتا تكفت وتضم (احياء) كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر
يدل عليه كفاتا وهو تكفت والافالاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة وان كانت مشتقة
لاتعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الاسماء العاملة فمن جعل الكفات
مصدرا او جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملا ومن جعله اسما لمن يكفت او جمعا للكفت
بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشرى فانه جعل كفاتا وهو اسم عاملا وقد طعن فيه (وامواتا)
غير محصورة فى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما تشبيها لها بالام فى ضمها للناس الى نفسها احياء وامواتا
كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم وايضا كما ان الارض كفات
الاحياء بمعنى انهم يسكنون فيها كذلك انها كفات لهم بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور
المستقذرة وتكبرهما فى معنى التعريف الاستغراقى لا للافراد والنوعية ويجوز ان يقال ان الارض وان كانت
كفاتا لجميع احياء الانس وامواتهم لكن الاحياء والاموات غير منحصرة فيها لان بعض الحيوان يكفته الهواء
والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير ونقل عن القفال انه قال دلت
الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الارض كفات الميت فتكون حرزا والسارق من
الحرز يجب عليه القطع (وجعلنا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت يعلى وبيا فريديم درزمين كوهها استوار
وپاى برجا ففعول جعلنا مقدر ورواسى صفة له من رسا الشئ يرسو اى ثبت والجبال ثوابت على ظهر الارض
لاتزول (شامخات) صفة بعد صفة والشامخ العالى المرتفع اى طوالا شواهق يعنى بلند وسرفراز ومنه
شمخ بانفه عبارة عن الكبر وفى عين المعانى رواسى اى ثوابت الاصول رواسخ العروق شامخات اى مرتفعات
الفروع ووصف بجمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كما شهر معلومات ونحوه والتنكير للتفخيم
وللاشعار بان ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها وان فى عداد الجبال ما لم يعرف ولم يرفان السماء
فيها جبال ايضا بدلالة قوله تعالى من جبال فيها من برد (واسقيناكم) ويا شاما نيديم شمارا (ماء فراتا) اى عذبا
جدا بان خلقنا فيها انهارا وينابيع اى جعلناه سقيا لكم ومكانا كم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم
وسمى نهر الكوفة فراتا للذته وقال ابو الليث ماء عذبا من السماء ومن الارض يقال اى الفرات للواحد والجمع
وتاؤه اصل والتنكير للتفخيم اولا فادة التبعيض لان فى السماء ماء فراتا ايضا بل هى معدنه ومصبه (ويل) وادى
جهنم (يومئذ) دران روز خطر ناك (للمكذبين) بامثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) اى يقال يومئذ
للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم (الى ما كنتم به
تكذبون) فى الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية (انطلقوا) خصوصا (الى ظل) اى الى
ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم اى دخان غليظ اسود (ذى ثلاث شعب) جمع شعبة يعنى
خداوندسه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذى ثلاث
شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط
بالكفار كالسرادق وهو ما يمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من
حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قال القاضى اخذا من التفسير الكبير خصوصية الثلاث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة
فى الدماغ المشوشة للنفس عن ادراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب الدافعة للنفس
عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالاوصاف

الالهية ولذلك قيل [illegible] شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع ما يصدر من الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لا ينشأ الا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الانسان تشعبت شعب العذاب على حسبها پس هركه خواهد كه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كردد امروز بنور عقل متمسك شده از تيرگى صفت شيطانى وسبعى وبهيمى بايد كذشت * زتاريكى خشم وشهوت حذر كن * كه از دود آن چشم دل تيره كردد * غضب چون درآمد رود عقل بيرون * هوى چون شود چيره وجان خيره كردد * ويحتمل ان تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التى هى السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فشكرها ورعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها واتلافها منشأ الشقاوات يقول الفقير عندى وجه آخر وهو ان الايمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الاركان دل على هذا قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون فاورد التكذيب الذى هو صفة القلب فان القلب لكونه مدار الاعضاء والقوى اذا فسد فسد اللسان وسائر الاركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الاقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة فى الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة فى الآخرة لان لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة (لا ظليل) اخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم اى لا يظل من الحر وتوصيف الظل بانه لا يظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على ان تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم فان شأن الظل ان يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وانه ينفعه ببرده ونسيمه والذى امروا بالانطلاق اليه يضاعف عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلا عن ان يستريحوا ببرده اورد لما اوهمه لفظ الظل من الاسترواح كما مر فى الواقعة (ولا يغنى من اللهب) اى غير مغن لهم من حر اللهب كما يغنى ظل الدنيا من الحر فقوله لا ظليل فى موضع الجر على انه صفة لظل ولفظ غير مانع للصفتية اى ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغنى محذوف هو شيأ ومن لبيانه ويغنى من اغنى عنى وجهه اى ابعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وفى التأويلات النجمية ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه واثره وروحه لا ظل النفس والهوى وقال بعضهم ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المنشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية (انها) اى الشعب لانها هى المذكورة لا النار (ترمى بشرر) مى افكند در آن روز شرارها را كه هر شرارة (كالقصر) مانند كوشكى عظيم اى كل شررة كقصر من القصور فى عظمها كما دل على هذا التفسير قوله كانه جمالة صفر فالشرر جمع شررة وهى ما تطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم كما قال فى القاموس الشرار والشرر ككتاب وجبل ما يتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى وكالقصر فى موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالى ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر ايضا الخطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر اى لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل ان نار ادخانها وشررها هكذا فما بالك بحال اهلها (كأنه) اى الشرر وفى فتح الرحمن كأنه اى النار ثم رد الضمير الى لفظ النار دون معناها فقال كانه (جمالة صفر) جمع جمل كحجارة فى جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع او اسم جمع كالحجارة والجمل ذكر الابل والناقة انثاها واذا لم يكن فى جماعة الابل انثى يقال جمالة بالكسر والصفر جمع اصفر والصفرة لون من الالوان التى بين السواد والبياض وهى الى البياض اقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد والمعنى كأن كل شررة جمل اصفر او كجمل اسود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لان بياضها تعلوه كدرة ولان صفر الابل يشوب رؤس اشعارها سواد وفى الحديث (شرار جهنم اسود كالقير) فالاول وهو التشبيه بالقصر تشبيه فى العظم

والثانى وهو التشبيه بالجمل فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفى المفردات قوله تعالى كانه جمالة صفر قيل جمع اصفر وقيل بل اراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر وفى التأويلات النجمية كل صفة من الاوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة والشدة كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة او كأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الاشر صفر من شدة قوة النار فى ذلك الشرر وهى القوة الغضبية (ويل) مشقت بسيار (يومئذ للمكذبين) باهوال يوم القيامة واحوال العصاة فيه (وقال الكاشفى) مرد دروغ زنانراست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنرا باور ندارند (هذا يوم لا ينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على انه خبر هذا اى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك وايضا يوم القيامة يوم طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم اولا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق قال القاشانى لا ينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الاذن فيه بالختم على الافواه وقال بعضهم لا ينطقون من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال ابو عثمان رحمه الله اسكتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدى رحمه الله * سر از جيب غفلت برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (ولا يؤذن لهم) ودستورى ندهند مر ايشانرا در اعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب والنصب يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع اذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه (ويل) كرب واندوه (يومئذ للمكذبين) بهذه الاخبار وبما جاء من الحق الواقع البتة (هذا) اليوم الذى شاهدتم اهواله واحواله (يوم الفصل) بين الحق والباطل وقال البقلى هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شئ عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق فى جوده وشهوده ووجوده (جمعناكم) يا امة محمد (والاولين) من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل اذ الفصل بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق الا بجمع الكل فلابد من احضارهم لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب (فان كان لكم كيد) حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر ان هذا خطاب من الله للكفار (فكيدون) اصله فكيدونى حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو امر من كاد يكيد كيدا وهو المكر والاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لانفسكم وتخلصوا من عذابى ان قدرتم فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعنى حيله با خداى پيش نرود وبمكر ودستان عذاب از خود دفع نتوانيد كرد * بمكر وحيله عذاب خداى رد نشود * نياز بايد واخلاص وناله سحرى * توان خريد بيك آه ملك هر دو جهان * از ان معامله غافل مشو كه حيف خورى * وهذا امر اهانة وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا وتخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا ان الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون لما ذكر من التقريع والتخجيل ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفى بعض التفاسير اى فان وجد كيد نافع لكم على ان لكم متعلق بكان او نافعا لكم على انه حال من كيد (ويل) غم وغصة (يومئذ) دران روز هولناك (للمكذبين) حيث ظهر ان لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة (فى ظلال) جمع ظل كشعاب وشعب او ظلة كقباب وقبة اى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لا كظل المكذبين وبالفارسية درسايهاى درختان بهشت باشند قال بعضهم الظاهر انه اخبار عن كونهم تحت اشجار مثمرة لهم فى جنانهم يقول الفقير الاظهر ان كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى لان الظل للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه وانما ذكر الله الظل تشويقا للقلوب لان من البلاد ما هى حارة قليلة المياه والاشجار والظلال (وعيون) عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية وبركنار چشمهاى آب (وفواكه) اى الوان الفاكهة يعنى ودرميان ميوها (مما يشتهون) ويتمنون يعنى از آنچه آرزو كنند فيتناولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل انهم مستقرون فى فنون الترفه وانواع التنعم خلاف ما عليه

مخالفوهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا
من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشربها اكلا وشربا هنيئا سائغا رافها بلا داء ولا تخمة بسبب ما كنتم
تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى في الحاقة وهذا مر اكرام اظهارا للرضى عنهم والمحبة
لهم تمسك القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب ان السببية انما هي بفضل الله ووعده الذي
لا يخلف لا بالذات بحيث ان يمتنع عدمه او يوجب النقص او الظلم (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزي المحسنين)
اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل
وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفي) جيل وقيح ودم مر اهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمي
كروند وفي التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه اي المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن
ظلمة النكرة في ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون
من التجليات الروحانية والتنزلات النورانية كلوا من اطعمة المواهب الهنيئة واشربوا من اشربة المشارب
التوحيدية هنيئا بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة انا كذلك نجزي المحسنين المشاهدين
لجمالنا المطلق ويل يومئذ للمكذبين باحسان الجزاء وجزاء الاحسان (كلوا) اي مكذبان از نعيم فاني دنيا
(وتمتعوا) تمتعا (قليلا) او زمانا قليلا يعني عيشوا مدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان الدنيا قليل كمتاعها
وبالفارسية وبرخوردار شويد زماني اندك (انكم مجرمون) كافرون مستحقون للعذاب وبالفارسية
بدرستي كه شما مشركانيد وعاقبت شما را عذاب دائمست قوله كلوا الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين
قال في الكواشي لا احب الوقف على المكذبين ان نصبت كلوا حالا منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف
يقال لهم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعني ان هذا القول لهم في الآخرة لا يكون لطلب الاكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا
حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الامر امر توبيخ وتحسير وتحزين وعلل ذلك
باجرامهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا اي ليس له الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك الابدي
(ويل) واي (يومئذ) دران روز جزا (للمكذبين) حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
وفي التأويلات النجمية انكم مجرمون اي كاسبون الهيئات الردية والملكات الغير المرضية ويل يومئذ
للمكذبين بان الاوصاف الحميدة افضل من الاخلاق الذميمة (واذا قيل لهم) اي للمكذبين (اركعوا)
اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لان الركوع
والانحناء لاحد تواضع له وتعظيم والسجود اعظم منه في التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا ان السجود لغير الله
كفر ان كان للعبادة وخطر عظيم ان كان للتعظيم وفي حواشي ابن الشيخ الركوع في اللغة حقيقة في مطلق
الانحناء الحسي وركوع الصلاة من جملة افراده وتفسيره بالاطاعة والخضوع مجاز لغوي تشبيها له بالانحناء
الحسي (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا
بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا انا لا نخر ولا
نجبي اي لا نقوم قيام الراكع فانها سبة علينا اي ان هيئة التحية هيئة تظهر وترفع فيها السبة وهي الاست
اي الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وفي بعض التفاسير
كانوا في الجاهلية يسجدون للاصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من اعلام صلاة المسلمين لله تعالى وفيه دلالة
على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة في الآخرة كما سبق مرارا (قال الكاشفي) مراد آنست كه
مسلمان نشوند چه ركن اعظم اسلام بعد از شهادتين نمازست * وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب
داعي الله اي المؤذن فانه يدعو في الاوقات الخمسة المؤمنين الى بيت الله واقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين
وفي التأويلات النجمية واذا قيل لهم اركعوا اي افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية اذ هي
مناجاة الروح والسر مع الله ولا الذ منها (ويل يومئذ للمكذبين) نفرين آن روز بر دروغ زنان راست كه ركوع
وسجود را تكذيب كنند وبشرف اسلام نمي رسند (فبأي حديث) اي خبر يخبر بالحق وينطق بما كان
وما يكون على الصدق (بعده) اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز

مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اى الذين يؤمنون باجزاء القرآن الجامع لجميع الاحاديث فقوله فبأى الخ جوابه شرط محذوف وكلا بمنزلة نعم في الجملة الواقعة هي جوابها اى ان كان لا يؤمنون بهذا فلا يؤمنون بهذا وهو موصوف بما ذكر فبأى كائنا يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من المستكثر لان الاستفهام للتعجيب وبين انهم في اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر والدليل القاطع على حقيقة الدين القويم من حيث كونه في ارفع درجات الفصاحة والبلاغة وفي اقصى طبقات الاعجاز درخبر آمده كسبعد از خواندن اين آيت بايد كفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على ان القرآن ليس بقديم بقوله تعالى حديث اذا الحديث ضد القديم لان الحدوث والقدم لا يجتمعان في شئ واحد ورد بان الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فالعبارة لا تدل على ان القرآن محدث لاحتمال ان يكون المراد فبأى حديث بعد القديم يؤمنون ولو سلم فانما يدل على حدوث الالفاظ الدالة على المعانى ولا خلاف فيه وانما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته تعالى روى ان المرسلات نزلت في غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات يقول النفير قد زرته وقرأت فيه السورة المذكورة وفي الصخرة العالية من الغار داخله اثر رأس النبى عليه السلام يتبرك به الآن والحمد لله على افضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفا مظهر نور جماله وكماله

(تمت سورة المرسلات بعون خالق البريات في عصر يوم عاشوراء المحرم من سنة سبع عشرة ومائة والف)

سورة النبأ اربعون او احدى واربعون آية مكية

الجزء الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

(عم) اصله عن ما ادغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنة فصار عما ثم حذفت الالف كما في لم ولم وفيم والام وعلام فانها في الاصل لما وبما وفيما والى ما وعلى ما اما فرقا بين الاستفهامية وغيرها وقصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد جاءت في الشعر غير محذوفة كما ذكره ابو البقاء وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة كأنه شئ جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فان المسئول عنه ليس بمجهول بالنسبة الى الله تعالى اذ لا يخفى عليه خافية والمعنى عن اى شئ عظيم (يتساءلون) اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسمانى ويتصدقون فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب (عن النبأ العظيم) النبأ الخبر الذى له شأن وخطر وهو جواب وبيان لشأن المسئول عنه كانه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دائرة علوم الخلق يتساءلون عن منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والفائدة في ان يذكر السؤال ثم ان يذكر الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فان الجار فيه مقدم على متعلقه وقيل عن النبأ العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم ام عن غيره الا انه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظيره قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون اى أفهم الخالدون (الذى هم فيه مختلفون) وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون في الاختلاف فيه كمن يازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومن مقرر زعم ان آلهته تشفع له كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن شاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وفيه اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء او بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تكرهها لانها جاهلة غافلة عن كونها آلة ومن لم يذق لم يعرف (قال الكمال الخجندى * زاهد تعجب كرد از عشق تو پرهيز * كين ندانست اين بابوجه داند كه مخمور دست * فطوبى للذاقين ويا حسرة للمحرومين (كلا سيعلمون) ردع

كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون اى ليس امر البعث مما ينكر او يشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ان ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى لتباعد ما بين المعطوفين فى الشدة والفظاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيته عند النزع ثم فى يوم القيامة ولا شك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع او سيعلمون حقية البعث حين ان يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بان يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال (ألم نجعل الارض مهادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبى عليه السلام كما قيل والهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش وفى بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال ابن الشيخ المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اى الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وبالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشى كسترده تا قرار كاه شما بود وجاى تقلب ومهادا مفعول ثان لنجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق وجوز ان يكون جمع مهد كلعاب وكعب وجمعه لاختلاف اماكن الارض من القرى والبلاد وغيرها وللتصرف فيها بان جعل بعضها مزارع وبعضها مساكن الى غير ذلك وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر (والجبال اوتادا) المراد بجعلها اوتادا لها ارساؤها بها لتسكن ولا تميد باهلها اذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو ما يوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ فان قيل أليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت اجيب بانه نعم الا انه مسبب الاسباب وذلك من كمال القدرة قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء وخواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة وبهم تثبت ارض الوجود وسئل ابو سعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد والابدال ايهم افضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال لان الابدال يتقلبون من حال الى حال ويبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية وثبت اركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الاوتاد هم اهل الاستقامة والصدق لا تغيرهم الاحوال وهم فى مقام التمكين انتهى والاوتاد اربعة واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم وواحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والابدال سبعة يحفظون اقاليم الكرة علوا وسفلا وجه تسميه آنست كه چون يكى از ايشان مرد يكى از چهل تن يعنى بجيا بدل او شد وتتميم چهل تن يكى از سيصد تن است يعنى نقبا وتكميل سيصد تن يكى از صلحاء وابدال مقيم نشوند بيكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنند وبخورند وبپوشند ونكاح كنند پيش از انكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الارشاد وهو على قلب محمد عليه السلام نظير الجدى وقطب ابدال در زمان نبى عليه السلام عصام الدين قرنى بود عم اويس وچون او متوفى شد ابن عطا احمد بود از دهى كه ميان مكه ومدينه است وبلال الحبشى رضى الله عنه در زمان نبى عليه السلام از بدلاى سبعه بودى وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد

الاربعة (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة انا جعلنا او على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا (ازواجا) اى صنوفا كونتم بها قادرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل فالزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيوانا او غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب ان يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج انتهى ولعله من قبيل الاكتفاء باحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلا له او مضادا زوج ولذا قال بعضهم فى الآية وخلقناكم صنوفكم معروضين لاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك مما به يصح الابتلاء فان الفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر ويعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة (وجعلنا) صيرنا (نومكم) وهو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى اهل الرياضة لقلة الرطوبة (سباتا) موتا اى كالموت والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة ايام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وايضا هو يوم ينقطع فيه بنو اسرائيل عن العمل والنوم احد التوفيين كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها اى ويتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة فالتنوين للنوعية اى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولا يدوم اذ لا ينقطع ضوء الروح الا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له اخو الموت والنوم بمقدار الهاجعة نعمة جليلة وقيل سباتا اى قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى يقع فيه النوم (لباسا) يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل ما يغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا البعل وايضا من حيث الاشتمال قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل والتشبيه تصويرا له وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع والمعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره فى تحقيق المقصد ادخل صاحب فتوحات آورده شب لباس اصحاب ليل است كه ايشانرا آزنظر اغيار بپوشاند تادر خلوت خود لذت مكالمه يا محاضره يا مشاهده حريف فراخور استعداد خود برخوردارى يابند حضرت شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه شب پردة روندكان راهست روز بازار بيداران سمركاه

الليل للعاشقين ستر * ياليت اوقاته تدوم

چون دردل شب خيال اويار منست * من بندة شب كه روز بازار منست فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) اى وقت عيش اى حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو اخو الموت كما فى قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه وبين قوله وجعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا ولمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم ان قوله وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فعاش مصدر من عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا لابد من تقدير المضاف ولذا قدر والفظ الوقت ويحتمل ان يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ابرازا لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها وفى التأويلات النجمية الم نجعل ارض البشرية مهدا لاستراحكم وانتشاركم فى انواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم ارض البشرية وخلقناكم ازواجا زوج الروح وزوج النفس اوذكر القلب وانثى النفس وجعلنا نومكم غفلتكم راحة واستراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا ليل طبيعتكم

ستر النهار وروحانيتكم وجعلنا النهار وروحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث (وبنينا فوقكم) وبنا كردهايم بالاى شما (سبعا شدادا) جمع شديد اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال ابو الليث غلاظا غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدر وهى معدن جوهر الاسلام والثانية طبقة القلب وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف وهى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة الله تعالى لا تعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويداء وهى معدن العلم اللدنى وبيت الحكمة والسابعة بيت العزة وهى قلب الاكلين وفى هذا البيت اسرار الهية لا تخرج من الباطن الى الظاهر اصلا ولا يظهر منها اثر قطعا (وجعلنا) انشأنا وابدعنا (سراجا) هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء قال الراغب السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شئ مضيء ويقال للسراج مصباح (وهاجا) وقادا متلألئا لئلا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ما قال بعض المفسرين سراجا وهاجا اى مضيئا جامعا بين النور والحرارة يعنى چراغى افروخته وتابان يقال ان الشمس والقمر خلقا فى بدء امرهما من نور العرش ويرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصيرامرهما قال قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما ابرز خلقه احكاما ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ما كان فى سابق علمه ان يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا مايين مشارقها ومغاربها وما كان فى سابق علمه ان يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما فى السماء وبعدهما من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما فى بدء امرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ومتى يأخذ اجره ولا يدرى الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولا تدرى المرأة متى تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو اثر المحو قال فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين اهل الجنة والنار ولم يبق خلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما اسودين مكورين قد وقفا فى زلازل وبلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى عبادتك وسرعتنا للمضى فى امرك ايام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين اياك فقد علمت انا لم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ايدى واعيد وانى معيدكما الى ما ابدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا ما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى واما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما انتهى يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق ان كلا من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان الجرم لا يخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع الى اصله فان قلت كان الظاهر ان يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش والكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى * شمسه نه مسند وهفت اختران * ختم رسل خواجه پيغمبران (وانزلنا) النون للعظمة وللاشارة الى جمعية الذات والاسماء والصفات (من المعصرات) هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت

ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعد لا من الواقع والا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة اعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان ان يحصد والصوت الجارية اى حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولو لم تكن للحينونة لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها ويجوز ان يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب فتمطر فهى ايضا اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فان قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لا معصرة (ماء ثجاجا) اى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء اى سال بكثرة وانصب وثجه غيره اى اساله وصبه فهو لازم متعد ومن الثانى قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كانه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فان ابتدآء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والا فانزاله منها باعتبار تكونه باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزآء المائية من اعماق الارض الرطبة او من البحار والانهار الى جو الهوآء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب (لنخرج به) اى بذلك الماء اى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة (حبا) كثيرا يقتات به اى يكون قوتا للانسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال الراغب الحب والحبة يعنى بالفتح يقال فى الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعنى بالكسر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة (ونباتا) كثيرا يعتلف به اى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذآء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ما انزل الله قطرة الا انبت بها عشبة فى الارض او لؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من ان اللؤلؤ لا يتكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا ان يعم اللؤلؤ الى الدر وغيره (وجنات) ليتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى السترة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفرآء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض (الفافا) اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا وبالفارسية درهم بيچيده يعنى بسيار وبيكديكر نزديك قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة او الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضرآء فيكون الفافا جمع الجمع او جمع ملتفة بحذف الزوآئد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لانه هو الاصل فى الغذآء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رآئق مستتبع الغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزآء وفى التأويلات النجمية وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اى من سموات الارواح بتحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صبا صبا لنخرج به حبا ونباتا اى انزلنا من سحائب سموات ارواحكم على ارض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والانزعاج والعشق وامثالها وجنات الفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض (ان يوم الفصل) اى فصل الله

بين

بين الخلائق وبين السعدآء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) في علمه وتقديره الازلي والاضافة الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا (ميقاتا) وميعاد البعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزآء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت اى المعين اخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزآء (يوم ينفخ في الصور) بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدأه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والنفخ نفخ الريح في الشيء ومنه نفخ الروح في النشأة الاولى كما قال ونفخت فيه من روحي ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا ارتفع ورجل منفوخ اى سمين والصور القرن النوراني والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة (فتأتون) خطاب عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا (افواجا) جمع فوج وهو جماعة من الناس وفي المفردات الجماعة المارة المسرعة اى حال كونكم امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها يعني نكونساران كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار يعني بردارهاى آتشين آويخته وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمام يعني سخن چين حكي ان رجلا باع عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه حين ينام شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تغرف فتناوم فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت اى الحرام لانه يسحت الدين والمروءة اى يستأصل واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والرأس اسفل وبالفارسية نكونسار كردن واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس الى السلطان يعني غمازان وسعايت كنندكان بسلاطين وملوك واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء جمع جبة وهو ثوب معروف وفي الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب المؤدية اليها لانه اهم اذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالاشارة الاجمالية الى هيئات الصالحين بقوله من امتي بمن التبعيضية والحاصل انه كما ان الاشقياء يحشرون على صور اعمالهم القبيحة كذلك السعدآء يحشرون على صور اعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر او كالشمس على ما جاء في صحيح الروايات وقال بعضهم المراد امة الدعوة فتعم اصناف الكفرة والمؤمنين لا امة الاجابة والا فالخوف على المؤمنين ايضا في نهاية المرتبة يقول الفقير الظاهر الثاني وهو ان المراد من الامة الاشقياء من اهل الاجابة دل عليه ارساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان اصناف الاعمال من غير

ادخال الكفر فيها اذ صور الكفر اقبح مما ذكر في الحديث على ما ذكر في الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره
الثعلبي ونحوه في التفاسير وقبله اهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب اليه ابن حجر من انه ظاهر الوضع فانه من الجهل
بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرائر ولا شك ان لكل صفة
صورة مناسبة لها حسنة او قبيحة ولم ينكره احد من العقلاء على انا وان سلمنا ان لفظ الحديث موضوع فمعناه
صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة فيا ايها المؤمن لا تكن قاسي القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه انهار الفيوض
وينابيع الحكم واجتهد ان لا تكون ممن قيل فيه حفظت شيأ وغابت عنك اشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ
من الله بلا واسطة الكتاب واسناده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الانكار
واكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى ان يجعلنا
من اهل معرفته (وفتحت السماء) عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضي للدلالة على التحقق اى شقت
وصدعت من هيبة الله بعد ان كانت لا فطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز (فكانت)
پس باشد از بسيارى شكاف (ابوابا) ذات ابواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى
ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اى امره وبأسه
في ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت
ومن الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فيصير مكانها طرقا لا يسدها شئ (وسيرت الجبال) المسير هو الله تعالى
كما قال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اى وسيرت الجبال في الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها
بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية ورانده شوند كوهها در هوا وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية
ليشاهدوها ثم يفرقها في الهوآء وذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء
قال الراغب هو اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه في مرأى العين اى ذهابه وجريانه وكان السراب فيما
لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة اى فصارت بتسييرها مثل السراب اى شيأ كلا شئ لتفرق اجزآئها وانبثاث
جواهرها كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهي وان اندكت
وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
قيل اول احوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك بان تتقطع وتتبدد
بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال
المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله
فقل ينسفها ربي نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها في الهوآء كانها غبار
وهو المراد بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اى تراها في رأى العين ساكنة
في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام اذا تحركت
نحوا من الانحناء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد والحالة السادسة ان تصير سرابا
يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التي هي عبارة عن الفناء
في الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبون اذا رأوا اهل الفناء يأكلون مما يأكلون
منه ويشربون مما يشربون منه يظنون ان نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء اذ بينهم وبينهم
بون بعيد قطعا وفاروق عظيم جدا لانهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار ارض البشرية
وجعلها الله متلاشية وفتحت سماء ارواحهم فكانت ابوابا كباب السر والخفي والاخفى فدخلوا من هذه
الابواب الى مقام او ادنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقية
الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا في ابواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا في مقام
قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق عن الحق الذى هو جانب الولاية ولا بالحق
عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا في الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فاين المحجوبون عن مقامهم
وانى لهم ادراك شأنهم وحقيقة امرهم (ان جهنم كانت مرصادا) اى انها كانت في حكم الله وقضائه موضع

رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى يسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد والترقب وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على ان عليها مجاز الناس انتهى كانه عم المرصاد حيث ان الصراط محبس للاعد آموعمر للاولياء والاول اولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء (للطاغين) متعلق بمضمر هو أما نعت لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه ما بعده من الآيات وعذابهم لا يتناهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا اذا لم يعتقدوا شيأ اصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن فى للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واللبث ان يستقر فى المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان اقام به ملازما له (احقابا) ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة او اكثر والدهر والسنة او السنون كما فى القاموس واصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر الثقب وكل ما شد فى مؤخر رحل او ثقب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب درحقيبه نهادن ومنه الحديث فاحقبها على ناقة اى اردفها على حقيبة الرحل والارداف از پى فراشدن وآزپى كسى درنشستن ودرنشاندن فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا لارادة تتابع الازمنة وقوالها كما قال ابو الليث انما ذكر احقابا الان ذلك كان ابعد شئ عندهم فذكر وتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد اى يمكثون فيها ابدا انتهى دل عليه ان عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر عن الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها الف سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا ما قال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وكذا لو اريد بالحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها الف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب والصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مبهمة اى لا ثمانون عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها انتهى والحاصل ان الاحقاب يدل على التناهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب او بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق ولو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال ابو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا انتهى وسيأتى وجوه اخر (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة ومعنى لا يذوقون لا يحسون والا فاصل الذوق وجود الطعم (وقال الكاشفى) يعنى نمى نمايند الا ان يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق فى الكثير ايضا والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار والا فهم يذوقون فى جهنم برد الزمهرير اى بردا ينتفعون به ويميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك اى طيبه اعتبارا بما يجده الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب اصل البرد خلاف الحرارة وبرد كذا اذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر وبرد الانسان مات وبرده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح او لما عرض له من السكون وقولهم للنوم بردا لما يعرض له من البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه او لما يعرض له من السكون وقد علم ان النوم من جنس الموت وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا اى نوما حتى يستريحوا وبالفارسية تا آسايش يابند وبرودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد بالشراب ما يسكن عطشهم والا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وان آنست كه چون نزديك روى آرند كوشت روى دران ريزد وچون بخورد امعاء احشاء پاره پاره شود والغساق ما يغسق اى يسيل من جلود اهل النار

ويقطر من صديدهم وقيحهم اخبر الله تعالى عن الطاغين بانهم لا يذوقون فى جهنم شيأ ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج لا يذوقون فيها بردا ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد بردا لكل شئ له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح فيكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب وان فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس بماء يشرب كما ان استثناء حميما من الشراب والتأخير اتوافق رؤس الآى ويؤيد الاول قوله عليه السلام لو ان دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من الوان العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سألوا الله ان يعذبهم فى النار الف سنة لما رأوه اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهر ابن حوشب الغساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا فى كل بيت اربع زوايا فى كل زاوية شجاع كاعظم ما خلق الله من الخلق فى رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم ان يكون لا يذوقون حالا من المنوى فى لابثين لا كلاما مستأنفا اى لابثين فيها احقابا غير ذائقين فيها شيأ سواها ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو موقت للعذاب لا للمكث فى النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وايضا يجوز ان يكون احقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها لا ظرفا لقوله لابثين فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وايضا يجوز ان يكون احقابا ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى نكدين محرومين من الخير والبركة فى السكون والحركة على ان يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ما قالوه فى هذا المقام وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال سيأتى على جهنم يوم تصفق ابوابها اى يضرب بعضها بعضا وقد اسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضى الله عنه كما فى العرائس ويروى عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وفى العرائس ايضا وقال الشعبى جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وفى الحديث الصحيح ينبت الجرجير فى قعر جهنم اى لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتى على غضبى كما فى شرح الفصوص لداود القيصرى والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما فى القاموس وقال المولى الجامى رحمه الله فى شرح الفصوص ايضا اعلم ان لاهل النار الخالدين فيها كما يظهر من كلام الشيخ رضى الله عنه وتابعيه حالات ثلاثا الاولى انهم اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا ان يخفف عنهم العذاب او ان يقضى عليهم او ان يردوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا الى طلباتهم وطنوا انفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد مضى الاحقاب الفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وان عظم الى ان آل امرهم الى ان يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين فى شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ما اخبر الله فى القرآن من خلود اهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود فيهما ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل امرهم الى ان يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق ايضا قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب

المقدر

المقدر لهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقر اهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون به ابدا ما ابدا ويختفي جلال الجمال واثره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتأملون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال ويتذوقون به ابدا ويختفي عنهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتأملون به سرمدا لكن ليس ذلك الا بعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم تحرقه النار الف سنة مما يعد في الاخرة لشر يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم ابدا وهو الحال الذي كانوا عليه في الازل وما بينهما ابتلآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم في هذه الآية ولا حرج في نقلها ونحن لا نشك في خلود الكفار وعذابهم ابدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كما ان المعتزلي يقطع في الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدو له في الاخرة ما لم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتي الانام عز الدين ابن عبد السلام بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تكثر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى فقال هيهات وجدت الامر بخلاف ما كنت اظن قالوا خلود اهل النار من الكفار لا معارض له فبقي على عمومه وخلود اهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فاهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمرود او غيرهم وانما اختلفوا في ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب وكل متأمل يبلغ علمه والنص احق ان يتبع قال حجة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين في دار الاسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع ان كذابا مسلما اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور في الكفر ونقل مثله عن الاشعري كذا في شرح العقائد لمصلح الدين وقال المولى داود القيصري في شرح الفصوص الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احكامه في خمس طوائف لا غير لان اهل النار اما مشرك او كافر او منافق او عاص من المؤمنين وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وانواع العذاب غير مخلدة على اهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو ارحم الراحمين (جزآء وفاقا) اى جزاهم بذلك جزاء وفاقا لاعمالهم واخلاقهم كانه نفس الوفاق مبالغة او ذا وفاق لها على حذف المضاف او وافقها وفاقا فيكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله لجزآء والجملة صفة لجزآء وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا لا جزآء اقوى من التعذيب بالنار وجزآء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدي المفتي لعل ان الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب واللبث فيها احقابا بعد احقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذي يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو شده جوزوا بالجحيم والغساق بدل ما يجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها والمناسبة بين الماء والعلي يعبر الماء في الرؤيا بالعلم فقال بعض اهل الحقائق ان جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهي خزنة جهنم طبيعة ارباب النفوس الامارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة والالحاد والحلول والفضول ما آل بالاثمين فيها احقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها بردا ولا يقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهما كهم في محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الاحميا وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشاني في الاحياء من اثر الجهل المركب وغساقا من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزآء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحا ولم يعلموا علما صالحا فيصدقوا بالايات (انهم كانوا لا يرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزآء المذكور وبيان لفساد قوتهم العملية اى كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات

ولا يرغبون في شيء من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من اصعب الامور على الانسان والشيء الصعب لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف ويخشى (وكذبوا) بيان لفساد قوتهم النظرية (بآياتنا) الناطقة بذلك وفي بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على السنة الرسل وايديهم (كذابا) اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي فهو قبوا لما هول العقاب جزاء وفاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاما قال صاحب الكشاف وهو معنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال بعضهم وابدل من احد حرفي تضعيف بعض الاسماء يا لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فان اصله الدنار ومثل السينات في قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه في بسم الله طول الباء واظهر السينات ودقر الميم فان اصله السنات جمع السن لا جمع السين لانه ليس في البسملة الا سين واحدة ويجوز ان يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كانه قيل اجعل سنه كسينه في الاظهار كما ذهب اليه الشريف (وكل شيء) اى واحصينا كل شيء من الاشياء التي من جملتها اعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله (احصيناه) اى حفظناه وضبطناه وذلك اى انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعلية ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجيء اولان المقصود المهم هنا الاخبار على الاحصاء لا الاخبار عن كل شيء (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه من غير لفظه لما ان الاحصاء والكتابة من واد واحد اى يشاركان في معنى الضبط فكانه قال وكل شيء احصيناه احصاء مساويا في القوة والثبات بالعلم المفيد بالكتابة او كتبناه كتابا واثبتناه اثباتا ويجوز ان يكون من الاحتباك فحذف فعل الثاني بقرينة الاول ومصدر الاول بقرينة الثاني اى احصيناه احصاء وكتبناه كتابا او هو اى كتابا حال بمعنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات بانهما محفوظان للجزاة قال القاشاني وكل شيء من صور اعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم في صحائف نفوسهم وصحائف المنفوس السماوية (فذوقوا) بس بجشيد عذاب دوزخ (فلن نزيدكم) حوق عذابكم والفاء في فذوقوا جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات ومعلل به فيكون وكل شيء الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفي الالتفات المنبي عن التشديد في التهديد وايرادان المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت العدة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبي عليه السلام ان هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار اى على الاياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لا يخالف قوله تعالى ولا يكلمهم الله لان المراد بالمنفي التكلم باللطف والاكرام لا بالقهر والاذلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وايضا ترك المستحق في بعض الاوقات لا يوجب الابرآء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا في الاحسان وايضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم واذيتهم للرسول عليه السلام واصحابه رضي الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقا (ان للمتقين مفازا) شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة على ما هو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غنى عن البيان اى ان للذين يتقون الكفر وسائر القبايح من اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله حدائق الخ او موضع فوزا المفاز على الاول مصدر ميمي وعلى الثاني اسم مكان فان قيل الخلاص من المهالك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من المهالك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من المهالك فكان ذكره اولى (حدائق واعنابا) اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها قوله حدائق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة التزامية

او البعض

او البعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهى الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط اى جدار وفيه من النخل والثمار وفى المفردات الحديقة قطعة من الارض ذات ما سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشرف فيها لا فى شجرها (وكواعب) جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا طهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب اى نساء عذارى فلكت ثديهن اى استدارت وصارت كالكعب فى التنوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار كفلكة المغزل ويقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع (اترابا) لدات اى مستويات فى السن والدة الرجل تربه وقرينه فى السن من الميلاد والهاء عوض عن الواو والذاهبة من اوله لانه من الولادة قال الراغب اى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالترآئب التى هى ضلوع الصدر ولوقوعهن على الارض معا در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند وهردان سى وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت از زنان وهردان سى وسه ساله خواهند بود والظاهر ما فى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال ويضادل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد انهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكن فى سن الصغر حتى تضعف الشهوة اليهن ولا فى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل روآء الشباب اى ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسمانى (وكاسا دهاقا) اى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكاس للمبالغة فى امتلائها يقال ادهق الحوض ودهقه ملأه (لا يسمعون) اى المتقون (فيها) اى فى الحدآئق (لغوا ولا كذابا) اى لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيأ من ذلك بخلاف حال اهل الدنيا فى مجالسهم لا سيما عند شربهم قال بعض اهل المعرفة لا يسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لا يسمعه الحق الا منه ولا يشهده سواه فى الدنيا والآخرة (جزآء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزآء عظيما كائنا من ربك على ان التنوين للتعظيم (عطاء) اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وذلك ان الله تعالى جعل الشئ الواحد جزآء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزآء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما وان كان جمعا بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزآء وبالنظر الى انه لا يجب على الله لاحد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزآء وفاقا لان جزآء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزآء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزآء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزآء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزآء نكتة لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف اى محسبا وقيل على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فاوعده الله من المضاعفة داخل فى الحساب اى المقدر لان الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض اهل المعرفة اذا كان الجزآء من الله لا يكون له نهاية لانه لا يكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية وقال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزآء فالجزآء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من اهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته واسمائه مفازا اى فوز ذات الله وصفاته حدآئق روضات القلوب المتزهة الارضية واعنابا اشجار المعانى والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الظاهرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب اترابا ابكارا اللطائف والمعارف وكاسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزآء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال

القاشانى ان المتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذآئل وهيئات السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين حدآئق من جنان الاخلاق واعنابا من ثمرات الافعال وهيئاتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال اترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محبة الاثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الاثار والافعال لامطمح لهم الى ماورآءها فهم محجوبون بالاثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطى عطاء حسابا كافيا يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لايشتاقون الى ماورآء ذلك فلا شئ الذ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه (الرحمن) مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته وبقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للاول واياما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزآء المذكور قال القاشانى اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشربهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التأويلات النجمية رب سموات الارواح وارض النفوس وما بينهما من السر والقلب وقواهما الروحانية هو الرحمن اى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله ايضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزآء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض ومن فى منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك اى بعتك يعنى انه صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا والمعنى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لا يستحق على مالكه شيأ خطابا ما فى شئ مما تفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده كانه قيل لا يملكون ان يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه ان نفى ان يملكوا خطابه لا ينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم اى اهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) اخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص واخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر ان الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذ هو بمقابلة الروح الانسانى كما ان الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك ان الروح اعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرآئه وجنده ورعاياه وتفسير الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذ كونه روحا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا اجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا ان اسرافيل اعظم من جبريل ومن غيره فلو كان احد يقوم صفا واحدا لكان هو اسرافيل دون جبرآئيل والله اعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات فيه هذا ما لاح لى فى هذا المقام بعون الملك العلام وصفا حال اى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما امر الله فى امر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو ارجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يتكلمون الخ ومؤكد له على معنى ان السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا صادقا او واقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد وكلمة

الشهادة

الشهادة دون غيره من اهل الشرك فانهم لم يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه تعالى وفى عرائس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال والاحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم واما الخواص واصحاب الحضور فهم ابدا بمشهد العزة تبعت الهيبة وفيه اشارة الى ان الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح وبين ارض النفوس لا يملكون ان يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل اولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام ان يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان بمعنى انه لم يقدر على انجائه اذ جاء الخطاب بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم (ذلك) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك فانه متحقق علما فلا بد ان يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى انه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لا يبصرون به لاشتغالهم بالنفس المذهبة وهواها الشاغل (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بما يأتى قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل فاذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا اى مرجعا ورجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا والآخرة لانهما حرامان على اهل الله (انا انذرناكم) اى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعى اوبها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة لهم (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحاها وقال بعض اهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات الى النفس والدنيا والهوى وقال القاشانى هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ما هو بعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ما قدمت ايديهم (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) تثنية اصلها يدان سقطت نونها بالاضافة ويوم بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير او شر يعنى بازيابد كردارهاى خود را از خير وشر على ان ما موصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف اى قدمته او ينظر اى شئ قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان او شرا فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما الكافر فكما قال الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتنى) اى يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز ان يكون يا لمحض التحسر وبمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه وبالفارسية اى كاشكى من (كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وهو فى محل الرفع على انه خبر ليت اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث كقوله يا ليتنى لم اوت كتابيه الى ان قال يا ليتها كانت القاضية وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للبهماء من القرناء فاذا اقتصت اى قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وهذا صريح فى حشر البهائم واعادتها لقصاص المقابلة لا للجزاء ثوابا وعقابا وقيل الكافر اذا يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى

ابلیس آدم را عیب می کرد که از خاک آفریده شده و خود را می ستود که من از آتش مخلوقم چون دران روز کرامت آدم و ثواب فرزندان مؤمن او مشاهده نماید و عذاب و شدت خود را ببیند آرزو برد که کاشکی من از خاک بودمی و نسبت با آدم داشتمی ای درویش این دیدبه و طنطنه که خاکیانراست هیچ طبقهٔ از طبقات مخلوقاترا نیست * خاک را خور و تیره دید ابلیس * کرد انکارش آن خسود خسیس * ماند غافل ز نور باطن او نشدا که ز سر کامل او * بهر کنجی که هست در دل خاک * این صدا داده اند در افلاک * که بجز خاک نیست مظهر کل * خاک شو خاک تا بروید کل * واما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا یعودون ترابا وهو الاصح فیکون مؤمنوهم مع مؤمنی الانس فی الجنة او فی الاعراف ونعیمهم ما یناسب مقامهم ویکون کفارهم مع کفار الانس فی النار وعذابهم بما یلائم شأنهم وقیل هو تراب سجدة المؤمن تنطفیء به عنه النار وتراب قدمه عند قیامه فی الصلاة فیتمنی الکافر ان یکون تراب قدمه وفی التأویلات النجمیة یوم ینظر المرء ما قدمت ید قلبه وید نفسه من الاحسان والاساءة ویقول کافر النفس الساتر للحق یالیتنی کنت تراب اقدام الروح والسر والقلب متذللة بین یدیهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهیهم (وفی کشف الاسرار) از عظمت آن روز است که بیست و چهار ساعت شبانروز دنیا را بر مثال بیست و چهار خزانه حشر کنند و در عرصات قیامت حاضر کردانند یکان یکان خزانه میکشایند و بر بنده عرض میدهند از ان خزانه بکشایند بر بها و جمال و نور و ضیا و آن آن ساعتست که بنده در خیرات و حسنات و طاعات بود بنده چون حسن و نور بهای آن بیند چندان شادی و طرب و اهتزاز برو غالب شود که اگر آنرا بر جملهٔ دوزخیان قسمت کنند از دهشت آن شادی الم و درد آتش فراموش کنند خزانهٔ دیگر بکشایند تاریک و مظلم پر نتن و وحشت و آن آن ساعتست که بنده در معصیت بوده و حق از ره ظلمت و وحشت آن کردار در آید چندان فزع و هول و رنج و غم او را فرو کیرد که اگر بر کل اهل بهشت قسمت کنند نعیم ایشان منغص شود خزانهٔ دیگر بکشایند حالی که درو نه طاعت بود که سبب شادی است نه معصیت که موجب اندوهست و آن ساعتی است که بنده درو خفته باشد یا غافل یا بمباحات دنیا مشغول بوده بنده بران حسرت خورد و غبن عظیم برو راه یابد همچنین خزائن یک یک میکشایند و برو عرضه میکنند از ان ساعت که درو طاعت کرده شاد میکردد و از ان ساعت که درو معصیت کرده رنجور میشود و بر ساعتی که مهمل کذاشته حسرت و غبن میخورد و چون کار مؤمن مقصر دران روز این باشد پس قیاس کن که حال کافر چکونه باشد در حسرت و ندامت و آه و زاری روی ابی بن کعب رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرأ عم یتساءلون سقاه الله برد الشراب یوم القیامة وعن ابی الدرداء رضی الله عنه قال قال النبی علیه السلام تعلموا سورة عم یتساءلون عن النبا العظیم وتعلموا ق والقرءآن المجید والنجم اذا هوی والسماء ذات البروج والسماء والطارق فانکم لو تعلمون ما فیهن لعطلتم ما انتم علیه وتعلمتموهن وتقربوا الی الله بهن ان الله یغفر بهن کل ذنب الا الشرک بالله وعن ابی بکر الصدیق رضی الله عنه قال قلت یا رسول الله لقد اسرع الیک الشیب قال شیبتنی هود والواقعة والمرسلات وعم یتساءلون واذا الشمس کورت الکل فی کشف الاسرار وفیه اشارة الی ان من تعلم هذه السور ینبغی له ان یتعلم معانیها ایضا اذ لا یحصل المقصود الا به وتصریح بان هم الآخرة ومطالعة الوعید واستحضاره یشیب الانسان ولذا ذم الحبر السمین والقاری السمین اذ لم یکن سمینا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع الهم لا ینعقد قال الشافعی رحمه الله ما افلح سمین قط الا ان یکون محمد بن الحسن فقیل له ولم قال لانه لا یخلو العاقل من احدی حالتین اما ان یهم لآخرته ومعاده او لدنیاه ومعاشه والشحم مع الهم لا ینعقد فاذا خلا من المعنیین صار فی حد البهائم بعقد الشحم

تمت سورة النبأ بالعون الالهی فی الثانی والعشرین من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة النازعات خمس اوست واربعون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

(والنازعات غرقا) الواو للقسم والقسم یدل علی عظم شأن المقسم به ولله تعالی ان یقسم بما شاء من مخلوقاته تنبیها علی ذلک العظم والنازعات جمع نازعة بمعنی طائفة من الملائکة نازعة فانثت صفة الملائکة باعتبار کونهم طائفة ثم جمعت تلک الصفة فقیل نازعات بمعنی طوائف من الملائکة نازعات وقس علیه الناشطات ونحوه

والا فكان الظاهر ان يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشئ من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الاغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكان بزور كشيدن والغرق الرسوب فى الماء وفى البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لانه نوع من النزع فيكون شرطه موجودا وهو اتفاق المصدر مع عامله والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال لاغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المدحتى انتهى الى النصل اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنزع ارواح الكفار من اجسادهم اغراقا فى النزع يعنى جان كافران بسختى نزع ميكنند وايضا ينزعونها منهم معكوسا من الانامل والاظفار ومن تحت كل شعرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق فى اطراف الارض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حى وكما يضرب الانسان الف ضربة بالسيف بل اشد والملائكة وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن ان بطنه قد ملئت شوكا وكان نفسه تخرج من ثقب ابرة وكان السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فاذا نزعت نفس الكافر وهى ترعد اشبه شئ بالزئبق على قدر النملة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها فى القبر وفى سجين وهو العذاب الروحانى ثم اذا قامت القيامة انضم الجسمانى الى الروحانى فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ (والناشطات نشطا) قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشئ من مقره برفق ولين ونصب نشطا على المصدرية اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنشط ارواح المؤمنين اى تخرجها من ابدانهم برفق ولين كما ينشط الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وكما تنشط الشعرة من العجين وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وان كانت تجذب من اطراف البنان وروس الاصابع ايضا لكن لا يحس بالالم كما يحس به الكافر وايضا نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدن كنفس الكافر لكونها منجذبة الى عالم القدس وانما يشتد الامر على اهل التعلق دون اهل التجرد خصوصا اذا كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وايضا حين يجذبونها يدعونها احيانا حتى تستريح وليس كذلك ارواح الكفار فى قبضها لكن ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر فى العمل اذا بلغ الروح التراقى فيأتيه فى صورة ابيه وامه واخيه او صديقه فيأمره باليهودية او النصرانية او نحو ذلك نسأل الله السلامة حكى ان ابليس عليه اللعنة تمثل للنبى عليه السلام يوما وبيده قارورة ماء فقال ابيعه بايمان الناس حالة النزع فبكى النبى عليه السلام حتى بكت اهل بيته فاوحى الله تعالى اليه انى احفظ عبادى فى تلك الحالة من كيده والميت يرى الملائكة حينئذ على صورة اعماله حسنة او قبيحة فاذا اخذوا نفس المؤمن يلفونها فى حرير الجنة وهى على قدر النملة وعلى صورة عمله ما فقد شئ من عقله وعلمه المكتسب فى الدنيا دل عليه قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار الشهيد فى انطاكية قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فيعرجون بها الى الهواء ويهيئون لاسباب التنعم فى قبره وفى عليين وهو النعيم الروحانى ثم اذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسمانى الى الروحانى فقوله والناشطات نشطا اشارة الى كيفية قبض ارواح المؤمنين بشهادة اللفظ ومدلوله ايضا فان قيل قد ثبت ان النبى عليه السلام اخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت سكرات اللهم اعنى على سكرات الموت اى غمراته وكان يدخل يده الشريفة فى قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضى الله عنها يغشاه الكرب قالت واكرب اباه فقال لها عليه السلام ليس على ابيك كرب بعد اليوم فاذا كان امر النبى عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين اجيب بان مزاجه الشريف كان اعدل الامزجة فاحس بالالم اكثر من غيره اذ الخفيف على الاخف ثقيل وايضا يحتمل ان يبتليه الله بذلك ليدعو الله فى ان يجعل الموت لامته سهلا يسيرا وايضا قد روى انه طلب من الله ان يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفا عن امته فانه بالمؤمنين رؤف رحيم وايضا فيه تسلية امته اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك الكرب عند الموت وايضا لكى يحصل لمن شاهد من اهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من الحزن كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد وايضا راحة الكمل فى الشدة لانها من باب الترقى فى العلوم والدرجات واقل الامر للناقصين كفارة الذنوب فاهل الحقيقة لا شدة عليهم فى الحقيقة لاستغراقهم فى بحر الشهود وانما الشدة لظواهرهم والحاصل

كما ان النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائمة فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر في هذا الموطن (والسابحات سبحا) قسم آخر معنى ايضا بطريق العطف والسبح المر السريع في الماء او في الهواء وسبحا نصب على المصدر بما قسم الله بطوائف الملائكة التي تسبح في مضيها اى تسرع فينزلون من السماء الى الارض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لان نزول الاولين انما هو لقبض الارواح مطلقا ونزول هؤلاء لعامة الامور والاحوال (فالسابقات سبقا) عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقا على المصدرية اى التي تسبق سبقا الى ما امروا به ووكلوا عليه اى يصلون بسرعة فالسبق كناية عن الاسراع فيما امروا به لان السبق وهو التقدم في السير من لوازم الاسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق اذ لا مسبوق (فالمدبرات امرا) عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر في دبر الامور وامرا مفعول للمدبرات قال الراغب يعني الملائكة الموكلين بتدبير الامور انتهى اى التي تدبر امرا من الامور الدنيوية والاخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وجه البعث ان الموت يستدعيه للاجر والجزاء لئلا يستمر الظلم والجور في الوجود وما ربك بظلام للعبيد فكان الله تعالى يقول ان الملائكة ينزلون لقبض الارواح عند منتهى الاجال ثم يخبر الامر الى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت ان يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذي هو الجواب وفي عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق الكشاف فانه هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقال القاشاني اقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة في بحار الشوق والمحبة والتي تنشط من مقر النفس واسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم نورنا شط اذا خرج من بلد الى بلد ومن قولهم نشط من عقاله والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وامر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع انتهى ثم ان النفوس الشريفة لا بد ان يظهر منها آثار في هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الابدان اولا فتكون مدبرات الا ترى ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه ويرى استاذه فيسأله عن مسئلة فيحلها له ستل زرارة بعد ان توفي رضي الله عنه في المنام اى الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله في المنام فقلت ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت فاى الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم هلكت جارية في الطاعون فرأها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها وفظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الاحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فاذا كان التدبير بيد الروح وهو في هذا الموطن فكذا اذا انتقل منه الى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن اشد تأثيرا وتدبيرا لان الجسد حجاب في الجملة الا ترى ان الشمس اشد احراقا اذا لم يحجبها غمام ونحوه (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة كالارض والجبال اى تضطرب حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهي النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة من الرجفان وهي شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفيه اشعار بان تغير السفلي متقدم على تغير العلوي وان لم يكن مقطوعا (تتبعها الرادفة) اى الواقعة التي ترتدف الاولى اى تجيء بعدها وهي النفخة الثانية لانها تجيء بعد الاولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كارتدفه واردفته معه اركبته معه كما في القاموس وهي حال مقدرة من الراجفة معضمة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها الا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي تقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة كما قال في الكشاف لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى انتهى قال في الارشاد واعتبارا واستدادا مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم

ببيان كونه هو قعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام (قلوب) مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سوآء حمل على التنويع وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى مفسحب عليه او على التكثير كما في شعاهر ذاناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة اوعاصية كما قال في التأويلات النجمية قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق (يومئذ) يوم اذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله (واجفة) اي شديدة الاضطراب من سوء اعمالهم وقبح افعالهم فان الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه ان الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فان اهل الايمان لا يخافون (ابصارها) اى ابصار اصحابها كما دل عليه قوله يقولون والا فالقلوب لا ابصار لها وانما اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها (خاشعة) ذليلة من الخوف بسبب الاعراض عن الله والاقبال الى ماسواه يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام واسند الخشوع اليها مجازا لان اثره يظهر فيها (يقولون) استئناف بيانى اى هم يقولون الآن يعنى ان منكرى البعث ومكذبى الآيات الناطقة به اذا قيل لهم انكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه (أئنا) ايانا (لمردودون) معادون بعد موتنا (فى الحافرة) اى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها لحفرها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة وانما الحافر هو الماشى فى تلك الطريقة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضى او على تشبيه القابل بالفاعل اى فى تعلق الحفر بكل منهما فاطلق اسم الثانى على الاول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن احمد الحافرة هى الارض التى يحفر فيها القبور ولذا قال فى التأويلات النجمية اى حافرة اجسادنا وقبور صدورنا (أئذا) العامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا (كنا) ياجون كريم ما (عظاما نخرة) بالية نرد ونبعث مع كونها بعد شئ من الحياة فهو تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ظنوا ان من فساد البدن وتفرق اجزآئه يلزم فساد ماهو الانسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم ان الانسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع اعادة المعدوم فان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الاجزآء العنصرية واعادة الحياة اليها لانها متميزة فى علمه وان كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء مع اللبن فانهما وان امتزجا لكن احدهما متميز عن الاخر فى علم الله وان كان عقل الانسان قاصرا عن ادراكه والنخرة البلى يقال نخر العظم او الخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة ابلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة اوصفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الاكثر والناخرة اشبه برؤس الآى ولذا اختارها البعض وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهى العظام الفارغة المجوفة التى يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لامن النخر بمعنى البلى قال الراغب النخير صوت من الانف وسمى حرف الانف الذى يخرج منه النخير منخرا فالمنخران ثقبتا الانف (قالوا) اختيار الماضى هنا للايذان بان صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع اى قالوا بطريق الاستهزآء بالحشر (تلك) الردة والرجعة فى الحافرة وفيه اشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم (اذا) آنكاه وبران تقدير (كرة) الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات (خاسرة) اى ذات خسران على ارادة النسبة من اسم الفاعل او خاسرة اصحابها على الاسناد المجازى اى على طريق اسناد الفعل الى مايقارنه فى الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل اصحاب التجارة وهى عقد المبادلة والربح والتجارة متقارنان فى الوجود والافهم الخاسرون والكرة مخسور فيها اى ان صحت تلك الكرة فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى افاده كلمة اذن فانها حرف جواب وجزآء عند الجمهور وانما حمل قولهم هذا على الاستهزآء لانهم ابرزوا ماقطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع (فانما هى زجرة واحدة) جواب من الله عن كلامهم بالانكار وتعليل لمقدر اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة فى قدرته فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة لا تكرير فيها يسمعونها وهم فى بطون الارض وهى النفخة الثانية كنفخ واحد فى صور الناس لاقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها يقال زجر البعير اذا صاح عليه (فاذاهم) پس آنكاه ايشان وسائر خلايق (بالساهرة) اى فاجؤوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها

بالزجرة واذا المفاجأة تفيد حدوث ما انكروه بسرعة على فجأة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا او هى جهنم لان اهلها لا ينامون فيها او كانه مقلوب الصاد سينا من صهرته الشمس احرقته وقال الراغب حقيقتها الارض التى يكثر الوطئ بها كانها سهرت من ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة ارض الشأم وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وكفته اند ساهره نام زمين است نزديك بيت المقدس در حوالى جبل اريحا كه محشر آنجا خواهد بود خداى انرا كشاده كرداند چندانكه خواهد وفى الحديث بيت المقدس ارض المحشر والمنشر وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الناس اذا قاموا من قبورهم واراد الله ان يبدل الارض غير الارض تمد الارض باذن الله ويكون المحشر دون الظلمة فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة واما بارض اخرى ما هم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها اضعاف ما كانت من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لا ترى عوجا ولا امتا وقال فى التأويلات النجمية فاذا هم بالساهرة اى بظهر ارض الحياة كما كانوا قبله ببطن ارض الممات (هل اتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم يعنى فرعون ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه من حديثه ترغيب له فى استماع حديثه وحمل له على طلب الاخبار كانه قيل هل اتاك حديث موسى قبل هذا ام انا اخبرك به كما قال الحسن رحمه الله اعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقى اهل البلد وهو يعلم انه لم يبلغه وانما قال ليخبره به انتهى وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص [illegible] تقرير له اى حمل له على الاقرار بامر يعرفه قبل ذلك اى اليس قد اتاك حديثه وبالفارسية آيا چنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام تا تسلى دهى دل خود را بر تكذيب قوم وخبر فرستادى از وعدة مؤمنان ووعيد كافران يعنى قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كانه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يتحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم الى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهى للتقرير وزيد ليس لانه اظهر دلالة على ذلك لا لانه مقدر فى النظم (اذ ناداه ربه) ظرف للحديث والمناداة والندآء بالفارسية خواندن وفى القاموس الندآء الصوت اى هل اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه اذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للاتيان لاختلاف وقتى الاتيان والندآء لان الاتيان لم يقع فى وقت الندآء او مفعول لاذكر المقدر وعليه وضع السجاوندى علامة الوقف اللازم على موسى وقال لانه لو وصل صار اذ ظرفا لاتيان الحديث وهو محال لعله لم يلتفت الى عمل حديث لكونه هنا اسما بمعنى الخبر مع وجود فعل قوى فى العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن ايهام فالوجه الوقف كذا فى بعض التفاسير (بالوادى المقدس) المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه او سمى مقدسا لوقوعه فى حدود الارض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه واصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والجمع اودية ويستعار للطريقة كالمذهب والاسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك (طوى) بضم الطاء والتنوين تأويلا له بالمكان او بغير تنوين تأويلا له بالبقعة قال الفرآء الصرف احب الى اذ لم اجد فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادى الذى بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له قال القاشانى الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطوآء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الاعلى الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون) على ارادة القول اى فقال له اذهب الى فرعون (انه طغى) تعليل للامر او لوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد اى طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق

مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال للطغيان يكون بسوء المعاملة معهما وقال القاشانى اى ظهر بآنانيته وذلك ان فرعون كان ذا نفس قوية حكيما عالما سالك وادى الافعال وقطع وادى الصفات واحتجب بآنانيته واتصل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام شر الناس من قامت القيامة عليه فهو حى لقيامه بنفسه وهواها فى مقام توحيد الصفات وذلك من اقوى الحجب (فقل) بعد ما اتيته (هل لك) ورغبة وتوجه (الى ان تزكى) بحذف احدى التائين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية فقوله لك خبر مبتدأ محذوف والى ان متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن اجذبك وادعوك والقرينة هى القريبة وهى المجاورة (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته فتعرفه اشار الى ان فى النظم مضافا مضمرا وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية (فتخشى) اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله قيل انه تعالى قال فى آخره ولن يفعل فقال موسى فكيف امضى اليه وقد علمت انه لن يفعل فاوحى اليه ان امض لما تؤمر فان فى السماء اثنى عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لانها سلاك الامر لان من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد ثم انه تعالى امر موسى عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اما كونه لينا فلانه فى صورة العرض لا فى صورة الامر صريحا وليس فيه ايضا ذكر نحو الشرك والجهل والكفر ان من متعلقات التزكى واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر (فاراه) يس بنود اوراه موسى (الآية الكبرى) الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين اى فذهب اليه موسى بامر الله فدعاه الى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه فى دعوته والاراءة اما من التبصير او التعريف فان العين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة فى قوله واقدار نشاه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيره من معجزاته الباقية وذلك ان القلب المذكور كان المقدم على الكل فى الاراءة فينبغى ان يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية (فكذب) فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا عقيب رؤية الآية من غير روية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده (وعصى) الله بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على ان الذى ترتب على اراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذى يكون عصيانا لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بان من كذبه ممن يجب تصديقه فاما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصيانا ويجوز ان يراد وعصى موسى فيما امر به الا ان الاول ادخل فى ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بارسال بنى اسرآئيل من الاسر والقسر فقط قال بعض اهل المعرفة اراه آية صرفا ولو اراه انوار الصفات فى الايات لم يكفر ولم يدع الربوبية اذ هناك موضع المحبة والعشق والاذعان لان رؤية الصفات تقتضى التواضع ورؤية الذات تقتضى العربدة فكان هو محجوبا برؤية الايات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والاذعان لذلك قال تعالى فكذب وعصى (ثم ادبر) اى تولى عن الطاعة وكلة ثم على هذا معناها التراخى الزمانى اذ السعى فى ابطال امره يقتضى مهلة او انصرف عن المجلس قال الراغب ادبر اى اعرض وولى دبره (يسعى) يجتهد فى معارضة الآية تمردا وعنادا لا اعتقادا بانها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعا للمجلس وهو حال من فاعل ادبر بمعنى مسرعا مجتهدا وفى الكشاف لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته قال الحسن رحمه الله كان رجلا طيالسا (فحشر) اى فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون فى المدآئن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ويجوز ان يراد جميع الناس (فنادى) بنفسه

فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه او بواسطة المنادى (فقال) لقيامه مقام الحكومة والسلطنة (انا ربكم الاعلى) لارب فوقى اى اعلى من كل من يلى امركم على ان تكون صيغة التفضيل بالنسبة الى من كان تحت ولايته من الملوك والامرآء (وقال الكاشفى) يعنى اصنام كه برصورت منند همه ايشان خدايانند ومن ازهمه برترم ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام فى مقابلة هذا الكلام انك انت الاعلى لان الغلبة على سحره غلبة عليه والحاصل انه لم يرد بهذا القول انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا بل المربى لكم والمحسن اليكم انا لاغيرى قال بعضهم كان ينبغى له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية ان لا يقول ذلك القول فكانه صار فى ذلك الوقت كالمعتوه الذى لا يدرى ما يقول (امام قشيرى رحمه الله) در لطائف آورده كه ابليس اين سخن شنيده كفت مرا طاقت اين سخن نيست من دعوى خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد اوكه چنين لاف ميزند تا كار او بكجا رسد قال بعض العارفين لم يدع احد من الخلائق من الكمال ما ادعاه الانسان فانه ادعى الربوبية وقال انا ربكم الاعلى وابليس تبرأ منها وقال انى اخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط اى انه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فانه على الجمال المحض بخلاف الانسان فانه مخلوق باليدين شيخ ركن الدين علاء الدولة سمنانى قدس سره فرموده كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مرا قبه كردم روح اورا در مقام عالى يافتم از عليين مناجات كردم كه خدايا اين چه حالتست كه فرعون انا ربكم ومنصور انا الحق كفت هر دو يك دعوى كردند روح حسين در عليين است وجان فرعون در سجين بسر من ندا رسيد كه فرعون بخود بينى در افتاده همه خود را ديد وما را كم كرد وحسين ما را ديد وخود را كم كرد پس درميان فرق بستارست (وفى المثنوى) كفت فرعونى انا الحق كشت پست * كفت منصورى انا الحق وبرست * ان انا را لعنت الله در عقب * واين انا را رحمت الله اى محب * زانكه او سنك سيه بود اين عقيق * آن عدوى نور بود واين عشيق * اين انا هو بود در سراى فضول * نه ز راى اتحاد واز حلول * قال فى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى ان ابليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وامثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعيينا وتخصيصا كما لعن ابليس قيل لان نية ابليس شر من نية هؤلاء وقيل لانه اول من سن الخلاف والشقاق قولا وفعلا ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغى والخلاف بوسوسته وابليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الانبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق اخرى وابليس لم يعترف ولم يتضرع وهو اول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع اليه الى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية بذاته بغير واسطة (فاخذه الله) بسبب ما ذكر (نكال الاخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب اى الذى ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قال نكل الله به نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق فى الاخرة والاغراق فى الدنيا واخذ مستعمل فى معنى مجازى يعم الاخذ فى الدنيا والآخرة والا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الاستعمال فى الاخذ الدنيوى حقيقة وفى الاخروى مجاز لتحقق وقوعه واضافة النكال الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها لا محالة وفى التأويلات القاشانية نازع الحق بشدة ظهور انانيته فى ردآء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردآئى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله فاخذه الله الخ وقال البقلى لما لم يكن صادقا فى دعواه افتضح فى الدنيا والاخرة وهكذا كل من يدعى ما ليس له من المقامات قال بشر انطق الله لسانه بالعريض من الدعاوى واخلاه عن حقائقها وقال السرى العبد اذا تزيى بزى السيد صار نكالا الا ترى كيف ذكر الله فى قصة فرعون لما ادعى الربوبية فاخذه الله الخ كذبه كل شئ حتى نفسه وفى الوسيط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب امهلت فرعون اربعمائة سنة ويقول انا ربكم الاعلى ويكذب باياتك ويجحد برسلك فاوحى الله اليه كان حسن الخلق

سهل الحجاب فاردت ان اكافئه اى مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر واما المؤمن فاكثر ثوابه فى الآخرة ودلت الآية على ان فرعون مات كافرا وفى الفتوحات المكية فرعون ونمرود معذبان فى النار انتهى وغير هذا من اقوال الشيخ رحمه الله محمول على المباحثة فصن لسانك عن الاطالة فانها من اشد الضلالة يقول الفقير صدر من فرعون كلمتان الاولى قوله انا ربكم الاعلى والثانية قوله ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما على ما قيل اربعون سنة فالظاهر ان الربوبية محمولة على الالوهية فتفسير قوله انا ربكم الاعلى بقولهم اعلى من كل من يلى امركم ليس فيه كثير جدوى اذ لا يقتضى ادعاء الرياسة دعوى الالوهية كسائر الدهرية والمعطلة فانهم لم يتعرضوا للالوهية وان كانوا رؤساء تأمل هذا المقام (ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) اعتبارا عظيما وعظة (لمن يخشى) اى لمن من شأنه ان يخشى وهو من من شأنه المعرفة يعنى ان العارف بالله وبشؤونه يخشى منه فلا يتمرد على الله وعلى انبيائه خوفا من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره

چو بركشته بخق در افتد بهبند * ازو تيك بختان بكيرند پند * تو پيش از عقوبت رعفو كوب *
كه سودى ندارد فغان زير چوب * پر آر از كريبان غفلت سرت * كه فردا نماند بخل در برت *

يعنى درسينه ات (ءانتم اشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لانه لا تلائم المقام اى أخلقكم بعد موتكم اشق واصعب فى تقديركم وزعمكم والافكلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد (ام السماء) ام خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة ادناها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى اسهل وايسر فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون مقدورا لله فكيف تنكرون ذلك قوله ءانتم مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا (بناها) الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء فيتم الكلام حينئذ عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها وام متصلة واستعمل البناء فى موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البناء لا فى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن طرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف (رفع سمكها فسواها) بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فان امتداد الشئ ان اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمى عمقا وقال بعضهم السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الاسفل الذى يلينا وسطحها الاعلى الذى يلى ما فوقها فيكون المراد تخنها وغلظها وهو ايضا تلك المسيرة (واغطش ليلها) الغطش الظلمة قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه شبه عمش يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما واغطش الليل اذا صار مظلما فهو متعد لازم والاول هو المراد هنا اى جعله مظلما اذ اهب النور فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال (واخرج ضحاها) اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى هو الوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لانه اشرف اوقاتها واطيبها على تسمية المحل باسم اشرف ما حل فيه فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثها على حركتها والاضافة يكفيها ادنى ملابسة المضاف بالمضاف اليه ويجوز ان تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها امام زاهد فرموده كه روز وشب دنيا با سمان پيدا كردد بسبب آفرينش آفتاب وماه درو قال بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات اولاد الزمان واستخراج

النهار من الليل كاستخراج حوّاء من آدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل كعيسى في مريم وحوّاء في آدم فاذا خاطب ابناء النهار قال يولج الليل واذا خاطب ابناء الليل قال يولج النهار وقال بعض اهل الحقائق ان قوارد الليل والنهار اشارة الى قوارد السيئة والحسنة فكما ان الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لا يخلو من نور الايمان والعمل الصالح ومن ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فاذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار يعني ان النهار في الجنة هو نور ايمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيء فكما ان الكفر لا يكون ايمانا فكذا الليل لا يكون نهارا والنار لا تكون نورا فيبقى كل من اهل النور والنار على صفته الغالبة عليه واما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حال القالب فان نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وان كان يطرأ عليه استتار في بعض الاوقات (والارض بعد ذلك دحاها) اى قبل ذلك كقوله تعالى من بعد الذكرا اى قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وقال بعضهم بعد على معناه الاصلي من التأخر فان الله خلق الارض قبل خلق السماء من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقال في الارشاد انتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها وذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السموات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها وبعدية الدحو عنها محمولة على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود فان اتفاق الاكثر على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الارض لا يفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من ان انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه كالصريح في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واساطتهم بتفاصيل احواله اكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام في سورة حم السجدة (اخرج منها ماءها) بان فجر منها عيونا واجرى انهارا (ومرعاها) اى رعيها بالكسر بمعنى الكلأ وهو في الاصل موضع الرعي بالفتح نسب الماء والمرعى الى الارض من حيث انهما منها يظهران وتجريد الجملة عن العاطف لانهما بيان وتفسير لدحاها او تكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما (والجبال) منصوب بمضمر يفسره قوله (ارساها) اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد بها وهذا تحقيق للسبق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه تعالى ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلا عن اثباتها للارض (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له بمعنى تمتيعا والانعام جمع نعم بفتحتين وهي المال الراعية بمعنى المواشي وفي الصحاح واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل والمراد هنا ما يكون عاما للابل والبقر والغنم من الضأن والمعز اى فعل ذلك تمتيعا ومنفعة لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف ولهذا قيل دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح فانه من الماء قال العتبي هذا اى قوله اخرج منها ماءها ومرعاها من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين على جميع ما اخرج من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والتمر والملح والنار لان النار من الشجر الاخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث والحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة (فاذا جاءت الطامة الكبرى) قال في الصحاح كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد والكبرى تأنيث الاكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى اسن وهذا شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبيء عنه لفظ المتاع والمعنى فاذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي اى تعلوها

وتغليبها خوضها بالكبرى يكون للتأكيد وتفسر بما تعلو على الخلائق وتغليبهم كان مخصصا والمراد القيامة او النفخة الثانية فانه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لان الطم ان كان بمعنى النفخة الاولى [illegible] قبل الصخ اى الصوت الشديد الذى يحيى له الناس حين يصيحون له كما ينتبه النائم بالصوت [illegible] بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق للاحقة وان كان بمعنى النفخة الثانية فسر الموقع فى كلا الموضعين لان الطم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد ما بين عدم اصاخة النبى عليه السلام لابن ام مكتوم (يوم يتذكر الانسان ما سعى) منصوب باعنى تذكيرا للطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى عمل اى يتذكر فيه كل احد كائنا من كان ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا فى صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد بعد ان كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع (لمن يرى) كائنا من كان على ما يفيد ممن فانه من الفاظ العموم يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر مؤمن وكافر وقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين لا ينافى ان يراها المؤمنون ايضا حين يمرون عليها مجاوزين الصراط وقيل للكافر لان المؤمن يقول اين النار التى توعدنا بها فيقال مر رقوها وهى خامدة (فاما من طغى) الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى الخ يقال ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك ويقال اذا كانت الدعوة فاما من كان جاهلا فهنا لئمقامه واما من كان عالما فههنا مقامه اى فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان كالنضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان (وآثر) اختار (الحياة الدنيا) الفانية التى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة (فان الجحيم) التى ذكرشأنها (هى) لاغيرها وهو ضمير فصل او مبتدأ (المأوى) اى مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصى فالكلام فى حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف فانه لا يغض الرجل طرف غيره وذلك لان الخبر اذا كان جملة لابد فيها من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج فى مثل هذا المقام الى الرابطة (واما من خاف مقام ربه) اى مقامه بين يدى مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وذلك اعلم بالمبدأ والمعاد فان الخوف من القيام بين يديه للحساب لابد ان يكون مسبوقا بالعلم به تعالى وفى بعض التفاسير المقام اما مصدر ميمى بمعنى القيام او اسم مكان بمعنى موضع القيام اى المكان الذى عينه الله لان يقوم العباد فيه للحساب والجزاء وقيل المقام مقحم للتأكيد بجعل الخوف حقا بلا للطغيان مع ان الظاهر مقابلته للانقياد والاطاعة بناء على ان الخوف اول اسباب الاطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالاول للعوام والثانى للخواص والثالث لاخص الخواص (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها والهوى ميلان النفس الى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفى الحديث ان اخوف ما اتخوف على امتى الهوى وطول الامل اما الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال بعض الكبار الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد ادرجها الله فى امرين كما قال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم ادرجها فى امر واحد وهو الهوى فى الآية فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص عن الهوى فقد تخلص عن جميع القيود والبرازخ قال سهل رحمه الله لا يسلم من الهوى الا الانبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وانما يسلم من الهوى من الزم نفسه الادب وقال بعضهم حقيقة الانسان هى نفسه لا شئ زائد عليها وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فمن الناهى لها تأمل انتهى يقول الفقير ان الانسان برزخ بين الحقيقة الالهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الاولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما ان النبى عليه السلام يخاطب نفسه بقوله عليه السلام عليك ايها النبى من جانب ملكيته الى جانب بشريته

اومن مقام بجمعه الى مقام فرقه (فان الجنة هى المأوى) له لاغيرها فنهى النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق قد يدخل النار ولا يخلد ثم يدخل الجنة فلا يصح فى حقه الحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هى المقام الذى لا يخرج عنه من دخل فيه وفى بعض التفاسير المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فان له جنتين بفضل الله فى دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتى كند وبران قادر باشد خلاف نفس نمودم از خداى بترسد واز عمل آن دست بازدارد * كر نفسى نفس بفرمان تست * شيوه ميا ورزنه بهشت آن تست * نفس كشتن هر نفسى سوى يست * هركه خلافش نفسى زد برست * قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق ويقرع فقلت انظروا من ذلك فقال رسول الخليفة هرون يدعوك فخفت على روحى وقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة ان ام محمد يعنى زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال او بعدها فقال اى والله اخاف خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلاطفنى وامرنى بالانصراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى عبد الملك بن مروان خليفة روزكار بود وابو حازم امام وزاهد وقت بود ازوى پرسيد كه يا ابا حازم فردا حال وكار ما چون خواهد بود كفت اكر قرأن مى خوانى قرأن تا جواب ميدهد كفت بكا ميكويد كفت فاما من طغى الى قوله فان الجنة هى المأوى بدانكه در دنيا هر نفسى را آتش شهوتست ودر عقبى آتش عقوبت هركه امروز با آتش شهوت سوخته كردد فردا با آتش عقوبت رسد وهركه امروز با رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمچنين در دنيا در دل ديكر مؤمن بهشتى است كه انرا بهشت عرفان كويند ودر عقبى بهشتى است كه انرا رضوان كويند هركه امروز در دنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته دارد فردا به بهشت رضوان برسد وقال القاشانى فاما من طغى اى تعدى طور الفطرة الانسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وافرط فى تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بجمعية اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه ومأواه واما من خاف مقام ربه بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فان الجنة مأواه على حسب درجاته وقال بعضهم اشار بالآية الى حال المبتدئ فانه وقت قصده الى الله لا يجوز له الرخصة والرفاهية خوفا من الحجاب فاذا بلغ الى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج الى نهى النفس عن الهوى فان نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية والمشتهى هنالك مشتهى واحد هو مشتهى الروح فالمبتدئ مع النفس فى الاشتهاء فلذا صار من اهل النهى والمنتهى مع الرب فى ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقية مقبولة (يسألونك) مى پرسند ترا اى يا محمد (عن الساعة) اى القيامة (ايان مرساها) ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فايان ظرف بمعنى متى واصله اى آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره بتقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها كان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرساها (فيم انت من ذكراها) رد وانكار لسؤال المشركين عنها واصل فيم فيما كما ان اصل هم عما وقد سبق والذكرى بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة اى فى اى شئ انت من ان تذكرهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفى عنها اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لان ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله من ذكراها فيه مضاف وصلته محذوفة وهى لهم والاستفهام للانكار وانت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر (الى ربك منتهاها) اى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كائنا من كان فلاى شئ يسألونك عنها عائشة رضى الله عنها فرمود كه حضرت رسول عليه السلام مى خواست كه وقت آن از خدا بپرسد حق تعالى فرمود تو از دانستن قيامت برچه چيزى يعنى علم آن حق

تو نیست زنهار تا نپرسی به پروردگار تست منتهای علم قیامت یعنی کس را خبر ندهد چه اطلاع بران خاصهٔ حضرت پروردگارست قال القاشانی ای فی ای شیء انت من علمها وذکرها وانما الی ربك ینتهی علمها فان من عرف القیامة هو الذی انمحی علمه اولا بعلمه تعالی ثم فنیت ذاته فی ذاته فکیف یعلمها ولا علم له ولا ذات فاین انت وغیرك من علمها بل لا یعلمها الا الله وحده (انما انت منذر من یخشاها) ای وظیفتك الامتثال بما امرت به من بیان اقترابها وتفصیل ما فیها من فنون الاهوال لا تعیین وقتها الذی لم یفوض الیك فما لهم یسألونك عما لیس من وظائفك بیانه ای ما انت الا منذر لا یعلم فهو من قصر الموصوف علی الصفة او ما انت منذر الا من یخشاها فهو من قصر الصفة علی الموصوف وتخصیص من یخشی مع انه مبعوث الی من یخشی ومن لا یخشی لانهم هم المنتفعون به ای لا یؤثر الانذار الا فیهم کقوله فذکر بالقرآن من یخاف وعید والجمهور علی ان قوله منذر من یخشاها من اضافة الصفة الی معمولها للتخفیف علی الاصل لان الاصل فی الاسماء الاضافة والعمل فیها انما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوین اعتبر ان الاصل فیها الاعمال والاضافة فیها انما هی للتخفیف (کانهم) ای المنکرین وبالفارسیة گوییا کفار مکة (یوم یرونها) روزی که بینند قیامت را که از آمدن آن همی پرسند (لم یلبثوا الا عشیة او ضحاها) الضحی اسم لما بین اشراق الشمس الی استواء النهار ثم هی عشی الی الغداة کما فی کشف الاسرار والجملة حال من الموصول فانه علی تقدیر الاضافة وعدمها مفعول لمنذر کانه قیل تنذرهم مشبهین یوم یرونها ای فی الاعتقاد بمن لم یلبث بعدا لانذار بها الا تلك المدة الیسیرة ای عشیة یوم واحد او ضحاه ای آخر یوم او اوله لا یوما کاملا علی ان التنوین عوض عن المضاف الیه فلما ترك الیوم اضیف ضحاه الی عشیته والضحی والعشیة لما کانا من یوم واحد تحققت بینهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الی الآخر فلذلك اضیف الضحی الی العشیة فان قیل لم لم یقل الا عشیة او ضحی وما فائدة الاضافة قلنا لو قیل لم یلبثوا الا عشیة او ضحی احتمل ان یکون العشیة من یوم والضحی من یوم آخر فیتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من الیوم الاول الی الزمان الآخر من الیوم الآخر واما اذا قیل الا عشیة او ضحاها لم یحتمل ذلك البتة قال فی الارشاد واعتبار کون اللبث فی الدنیا او فی القبور لا یقتضیه المقام وانما الذی یقتضیه اعتبار کونه بعد الانذار او بعد الوعید تحقیقا للانذار ورد الاستبطائهم وفی الآیة اشارة الی ساعة الفناء فی الله فانها امر وجدانی لا یعرفها الا من وقع فیها وهم باقون بنفوسهم الغلیظة الشدیدة فکیف یفهمونها بذکرها بلسان العبارة کما قیل من لم یذق لم یعرف کانهم یوم یرونها لم یلبثوا الا عشیة او ضحاها لاتصال آخر الفناء باول البقاء کما قال العارف الطیار العطار قدس سره گر بقا خواهی فنای خود گزین * اولین چیزی که می زاید بقاست وفی الحدیث (من قرأ سورة النازعات کان ممن حبسه الله فی القبر والقیامة حتی یدخل الجنة قدر صلاة مکتوبة وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فیما یلقی من البشری والکرامة فی البرزخ والموقف کذا فی حواشی ابن الشیخ رحمه الله

تمت سورة النازعات بعون خالق البریات فی یوم الاثنین ثانی صفر الخیر من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة عبس اربعون او احدی واربعون آیة مکیة

بسم الله الرحمن الرحیم

(عبس) من الباب الثانی والعبس والعبوس ترش روی شدن یعنی ترش کرد روی خود را محمد علیه السلام (وتولی) اعرض یعنی روی بگردانید (ان جاءه الاعمی) الضمیر لمحمد علیه السلام وهو علة لتولی علی رأی البصریین لقربه منه ای تولی لان جاءه الاعمی والعمی افتقاد البصر ویقال فی افتقاد البصیرة ایضا ولام الاعمی للعهد فیراد اعمی معروف وهو ابن ام مکتوم المؤذن الثانی لرسول الله صلی الله علیه وسلم فی الاذان ولذلك قال علیه السلام ان بلالا یؤذن بلیل فکلوا واشربوا حتی یؤذن ابن ام مکتوم وکان من المهاجرین الاولین استخلفه علیه السلام علی المدینة مرتین حین خرج غازیا وقیل ثلاث مرات مات بالمدینة وقیل شهیدا بالقادسیة وهی قریة فوق الکوفة قال انس رضی الله عنه رأیته یوم القادسیة وعلیه درع وله رایة سوداء ویقال لیوم فتح عمر رضی الله عنه یوم القادسیة فانه ظفر علی العجم هنالك واخذ منهم غنائم کثیرة واختلفوا فی اسم ابن ام مکتوم فقیل هو عبد الله بن شریح بن مالك بن ربیعة الفهری من بنی عامر

ابن لؤى وقيل هو عمرو بن قيس بن زآئدة بن الاصم من بنى عامر بن هلال وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها
وام مكتوم اسم ام ابيه كما فى الكشاف وقال السعدى هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها امه واسمها عاتكة
بنت عامر بن مخزوم روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى مكة وعنده صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة
يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه
غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له يا رسول الله علمنى مما علمك الله ينتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله
عليه السلام بالقوم اذ السمع لا يكفى فى العلم بالتشاغل بل لابد من الابصار عن ان يجوز انهم كانوا يخفضون
اصواتهم عند المكالمة او جاء الاعمى فى منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم
وعبس واعرض عنه فرجع ابن ام مكتوم محزونا خائفا ان يكون عبوسه واعراضه عنه انما هو لشئ انكره الله
منه فنزلت امام زاهد فرموده كه سيد عالم صلى الله عليه وسلم از عقب او رفت واو را باز كردانيده ورد آء مبارك
خود بكسترانيد و بران نشانيد فكان رسول الله يكرمه و يقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى اى لامنى
مع بقاء المحبة و يقول له هل لك من حاجة و يقال ان رسول الله عليه السلام لم يغتم فى عمره كغمه حين
انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتبا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه
و بينه فيكون ايسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين ولذلك روى ان عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم الا سورة عبس فارسل فضرب عنقه
لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد لو جاز له ان يكتم شيأ من الوحى لكان
هذا وكذا نحو قوله لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ونحو قوله امسك عليك زوجك واتق الله
وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك
الاولى فلا يعد ذنبا لان اجتهاده عليه السلام كان فى طلب الاولى والتعرض لعنوان عماه مع ان ذكر الانسان
بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه وهو ينافى تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس فى وجهه اما لتمهيد عذره
فى الاقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم والايذان باستحقاقه الرفق والرأفة لا الغلظة واما لزيادة
الانكار فان اصل الانكار حصل من دلالة المقام كانه قيل تولى لكونه اعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كما ان
الالتفات فى قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب كمن يشكو الى الناس
جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ اى واى شئ يجعلك داريا وعالما
بحاله و يطلعك على باطن امره حتى تعرض عنه اى لا يدرك شئ فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده
مفعوله بل هو ابتدآء كلام وقال الامام السهيلى رحمه الله انظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب
فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب
فقال وما يدريك علما منه تعالى انه لم يقصد بالاعراض عنه الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام
وهو الوليد او امية وكان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه السلام حين ابتدار الكلام بما يشبه كلام
المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تأنيسا له عليه السلام بعد الايحاش فانه قيل ان ابن ام مكتوم
كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امور الدين واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا
لاسلام جمع عظيم فكلامه فى البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والاهم مقدم على
المهم فثبت بهذا ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وما فعله النبى عليه السلام كان واجبا فكيف عاتبه
الله على ذلك قيل ان الامر وان كان كما ذكر الا ان ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء
على الفقرآء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقرآء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل كما اشير اليه
سابقا فلذا عاتبه الله تعالى (لعله) اى الاعمى (يزكى) بتشديدين اصله يتزكى اى يتطهر بما يقتبس منك من
اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى وارد على سنن الكبرياء فان لعل فى كلام العظماء يراد به
القطع والتحقيق او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه
مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت (او يذكر)

بتشديدين

بتشديدين ايضا اصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعني باخود پند كيرد (فتنفعه الذكرى) اى فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وفى الكشاف المعنى انك لاتدرى ماهو مترقب منه من تزكى اوتذكر ولودريت لما فرط ذلك منك انتهى اشار الى ان قوله يزكى من باب التخلية عن الآثام وقوله او يذكر من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله او يذكر عطف على يزكى داخل منعه فى حكم الترجى وقوله فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل تشبيها له بليت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لايرجى منهم التزكى والتذكر اصلا واشعار بان اللائق بالمعلم ان يقصد بتعليمه تزكية متعلمه ولا ينظر الى شحمه وصورته كما ينظر الحجام والمتعلم ان يريد بتعلمه تزكية نفسه عن ارجاس الضلالة وتطهير قلبه من ادناس الجهالة لا احكام الدنيا الدنية (اما) للتفصيل (من استغنى) عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فانت له تصدى) بحذف احدى التائين تخفيفا اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه دون الاعمى وفيه مزيد تنبيه له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدى للشئ التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفى المفردات التصدى ان يقابل الشئ مقابلة الصدى اى الصوت الراجع من الجبل وفى كشف الاسرار التصدى التعرض للشئ على حرص كتعرض الصديان للماء اى العطشان وعن بعضهم اصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فابدل احد الامثال حرف علة (وما عليك ان لا يزكى) اى وليس عليك بأس ووزر وو بال فى ان لايتزكى ذلك المستغنى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ وكيف تعرض على اسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن اعرض عنه فانافية وكلمة فى المقدرة متعلقة باسم ماوهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الانكار (واما من جاءك يسعى) اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير (وهو) والحال انه (يخشى) الله تعالى او يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك قال سعدى المفتى الظاهر ان النظم من الاحتباك اذكر الغنى اولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجئ والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا (فانت عنه تلهى) بحذف احدى التائين تخفيفا اى تتشاغل وتتشاغل من لهى عن الشئ بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لامن لهوت بالشئ بالفتح الهو ولهو اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبى ولا يليق بشأنه الرفيع ان ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشئ لمصلحة وفى بعض التفاسير ولو اخذ من اللهو وجعل التشاغل باهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لايترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه ان يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولايقول به المؤمن وذلك لانه لايجوز للنبى عليه السلام التشاغل باهل التغافل الابطريق التبليغ والارشاد فكيف لايترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهو انت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بشؤنهما تنبيه حيث افادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من اعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا وروى انه عليه السلام ماعبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقراء فى مجلسه عليه السلام امراء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فعملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ما خوطب به النبى عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير اهلها فصح الاشتغال بعصبة الفقراء لان فيهم نعت الصدق والتجرد فالعصبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بعصبة الاغنياء اذ ليس فيهم ذلك فالعصبة معهم ضائعة وفى الحديث (من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه) يقال تحاملت على الشئ اذا تكلفت الشئ على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان صلى الله عليه وسلم متواضع لاكابر قريش لان الاعزاء من الخلائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقراء من اهل الصفة ليوفى صفة الكبرياء حقها اذ لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ماهو

اعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعد ما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فامره بان لا يشهده فى شئ دون شئ للاطلاق الذى هو الحق عليه كما قال جئتك فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى (كلا) انزجر عن التصدى للمستغنى والاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرآئيل هذه الآيات على النبى عليه السلام عاد وجهه كانما استف فيه الرماد اى تغير كانما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه حلما قال كلا لا ترى فيه والتسرية اندوه رابردن اى لا تفعل مثل ذلك فانه غير لائق بك (انها) اى السورة آن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (تذكرة) اى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها (فمن) بمن هركه (شاء ذكره) اى القرآن اى حفظه ولم ينسه او اتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بامره (فى صحف) جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها اى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندى على انه خبر محذوف اى وهى فى صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هر بامن ايهام تعلقه به وهو غير جائز لان ذكر من شاء لا يكون فى صحف (مكرمة) عند الله لكونها صحف القرآن المكرم (مرفوعة) اى فى السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر فانها فى المشهور موضوعة فى بيت العزة فى السماء الدنيا (مطهرة) منزهة عن مساس ايدى الشياطين (بايدى سفرة) كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب اذ فى الكتابة بمعنى السفر اى الكشف والتوضيح والكاتب سافر لانه يبين الشئ ويوضحه وسمى السفر بفتحتين سفرا لانه يسفر ويكشف عن اخلاق الرجال قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال القفال فى وجهه لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر ان تكون فى محل الجر على انها صفة لصحف اى فى صحف كائنة بايدى سفرة او مكتوبة بايدى سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفا لازما هر بامن توهم تعلق الباء به (كرام) عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم او متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقال ابن عطاء رحمه الله يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة يشير الى انهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراما كاتبين وفيه تأمل (برررة) اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات او مطيعين لله من قولهم فلان بر خالقه اى يطيعه او صادقين من بر فى يمينه جمع بار مثل فجرة جمع فاجر (قتل الانسان) دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدآئد الدنيا وافظعها ومن فسر القتل باللعن اراد به الاهلاك الروحانى فانه اشد العقوبات وهو بالفارسية لعنت كردبا د انسان يعنى كافر وفى عين المعانى عذب (ما اكفره) ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وبالفارسية چه كافرترين خلقست تعجب من افراطه فى الكفران اى على صورته فان حقيقة التعجب انما تتصور من الجاهل بسبب ما خفى من سبب الشئ والذى احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو فى الحقيقة تعجيب من الله خلقه وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه اى اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك قال بعضهم لعن الله الكافر وعظم كفره حين لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التى لو عرفها عرف صانعها وقال ابن الشيخ هذا الدعاء وارد على اسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ما هو فى صورة الدعاء الدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات واشنعها وبايراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه اقبح القبايح ولا شك ان السخط يجوز من الله وكذا الذم ويجوز ان يكون ما اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر والمراد من الانسان اما من استغنى عن القرآن المذكور ونعوته واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده (من اى شئ خلقه) اى من اى شئ

حقير مهين خلقه يعنى نمى انديشد كه خداى تعالى ازچه چيز پيافريد اورا ثم بينه بقوله (من نطفة) قذرة (خلقه) ثم كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والتصير والكفران بحق المنعم الذى كان ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندى على قوله من نطفة حق ووضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير خلقه آخر بدلالة ماقبله و جعل قوله خلقه فقدره جملة اخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق واتمامه من انعامه ومن جعله متعلقا بما بعده على ماهو الظاهر لم يقف عليه (فقدره) فهيأه لما يصلح له و يليق به من الاعضاء والاشكال اى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية بجعله مستعدا لان ينتهى فيها الى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشئ على نفسه وذلك ان خلق الشئ ايضا تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية و بالفارسية پس اندازه او پديد كرد از اعضاء واشكال وهيئات در بطن مادر اوفقدره اطوارا الى ان تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور اى اوجده على التقدير الاولى ثم جعله ذا اطوار من علقة ومضغة الى آخر اطواره ذكرا اوانثى شقيا اوسعيدا قال بعضهم وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمنه على المعنيين (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة والهمه ان ينتكس بان ينقلب و يصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها ان تلد او يسر له سبيل الخير والشر فى الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالاقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل و بعثة الانبياء وانزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الاضافة بان يقال سبيله للاشعار بعمومه لانه عام للانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قال ابن عطاء رحمه الله يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يسر على كل احد ما خلقه له وقدره عليه (ثم اماته) اى قبض روحه عند تمام اجله المقدر المسمى (فاقبره) اى جعله فى قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا اى قطعا للسباع والطير كسائر الحيوان قال فى كشف الاسرار لم يجعله مما يطرح للسباع او يلقى للنواويس والقبر مما اكرم به المسلمون انتهى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت واقبره اذا امر بدفنه اومكن منه فالمقبر هو الله لانه الآمر بالدفن فى القبور قال فى المفردات اقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو اسقيته جعلت له ما يستقى منه وقيل معناه الهم كيف يدفن انتهى (وفى المثنوى) كندن كورى كه كتر پيشه بود * كى زمكر وحيله واندیشه بود * جمله حرفتها يقين از وحى بود * اول اوليك عقل انرا فزود * وعد الامانة من النعم بالنسبة الى المؤمن فانه بالموت يتخلص من سجن الدنيا وايضا ان شأن الموت ان يكون تحفة ووصلة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وانما كان مفتاح كل بلاء ومحنة فى حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات اعماله وفى بعض التفاسير ذكر الامانة اما لانها مقدمة الاقبار واما للتخويف والتذكير بان الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعى رحمه الله

فلا تمشين فى منكب الارض فاخرا * فما قليل يحتويك ترابها

واما الحث على الاستعداد واما رعاية المقابلة بينه وبين انشره تنبيها على كمال قدرته وتمام حكمته (ثم اذا شاء انشره) اى اذا شاء انشاره واحياءه و بعثه انشره واحياه وبعثه وفى تعليق الانشاء بمشيئته له ايذان بان وقته غير متعين فى نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فانا نجزم بان احدا من ابناء الزمان لا يتجاوز مائة وخمسين سنة مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم فى النشور هكذا قالوا وفيه ان الموت ايضا له سن معلوم واجل محدود فكيف يتعين فى نفسه ويجزم بوقوعه فى سن كذا بحيث لا يكون موكولا الى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الانشار بالمشيئة لا ينافى تقييد الموت بها ايضا اذ لا يجرى عليه تعالى زمان وانه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى وفيه اشارة الى ان الميت ان كان من اهل السعادة فانشاره من قبور اهل السعادة وان كان مدفونا فى قبور اهل الشقاوة وان كان من اهل الشقاوة فانشاره من قبور اهل الشقاوة وان كان مدفونا فى قبور اهل السعادة ولذا قال صاحب المشارق فى خطبة كتابه ثم اذا شاء منها انشره اى من مكة فان من دفن بمكة ولم يكن لاثقا بها تنقله الملائكة الى موضع آخر وفى الحديث (من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط

نقله الله اليهم حتى يحشر معهم وفى حديث آخر (من مات وهو يعمل على قوم لوط سار به فى قبره حتى يبعث معهم و يحشر يوم القيامة معهم) كما فى الدرر المنتثرة للامام السيوطى رحمه الله وحكى انه كان يقال لابن هبيلان من المبالغين فى التشييع بحيث يفضى الى ما يستقبح فى حق الموتى جامع الاسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطا اذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثم فى يوم الدفن فى القبر الذى دفن به ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وانما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده اهل العشير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يستجير بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة وحكى ايضا عن محمد بن ابراهيم المؤذن حكى عنه انه عمل ميتا فى ايام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه وصعدنا به فى اللحد ثم ذهب الرجل وجئت انا باللبن لاجل اللحد فلما اجد الميت فى اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل ان بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤى فى النوم وهو يقول للرآئى سلم على اولادى وقل لهم انى قد حللت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فاذا الراد وازيارتى فليقفوا هنالك ويسلموا ويدعوا كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى وفى الآية اشارة الى ان الانسان ما كان لهان يكفر لان الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأ لمظهرية ذاته وصفاته واسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الاسماء الجمالية والجلالية ثم اماته عن انانيته فاقبره فى قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم اذا شاء انشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد ان يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بان يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والارادة ونحوها (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وجعله السخاوندى بمعنى حقا واذا لم يقف عليه بل على امره فانه اذا كان بمعنى حقا يكون تابعا لما بعده (لما يقض ما امره) قال فى بعض التفاسير ما فى لما صلة دخلت للتأكيد كقوله فبما رحمة من الله فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفى ما امره موصولة وعائده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره ثم حذف الهاء العائد ثانيا و يجوز ان يكون باقيا على ان المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرف وقس عليه امثاله اى لم يقض الانسان ما امره الله به من الايمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفى اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل فلا شياع فى اللوم بحكم المجانسة واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا وكفته اند مرادهمه آدميانند از آدم تا باين غايت وهر كز هيچ آدمى از عهدهٔ حقوق ادآء اوامر الهى كما ينبغى بيرون نيايد ونتوان آمد * بنده همان به كه ز تقصير خويش * عذر بدركاه خداى آورد * ورنه سزاوار خداوندى ش * كس نتواند كه بجاى آورد * * وفى التأويلات النجمية كلا لما يقض ما امره من الاتيان بواجب حقوقنا من الظهور بحقائق اسمائنا والقيام بفضائل صفاتنا (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الانسان الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلينظر الانسان الى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره وفى الحديث (ان مطعم ابن آدم جعله الله مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ما ذا يصير) يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهابزار الطعام وملحها جعل الملح فيها (انا صببنا) انزلنا انزالا وافيا من السحاب (الماء) اى الغيث وهو المطر المحتاج اليه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فالثانى مشتمل على الاول اذ لا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل فحينئذ فالعائد محذوف والتقدير صببناه (صبا) عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات ولما كان الشق بعد الصب اورد كلمة ثم والشق بالفارسية شكافتن (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة (فانبتنا فيها) اى فى الارض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب (حبا) فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد و يتسع الى ان يتكامل النمو و ينعقد الحب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل

والكثير

والكثير قدمه لانه الاصل فى الغذآء (وعنبا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وكذا فى امثاله كذا قال فى الارشاد ولعل شق الارض فيه باعتبار اصله اول خروجه منها فان المراد هنا شجرة العنب وانما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها وقوع كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف وافرد العنب بالذكر من بين الثمار لانه فاكهة من وجه يتلذذ به كطعام من وجه يتغذى به وهو من اصلح الاغذية (وقضبا) اى رطبة وهى نبات يقال له الفصفصة و بالفارسية اسپست وسمى به لانه يقضب اى يقطع مرة بعد اخرى فى السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الرطب الذى تقضبه من النخل ووجه بعضهم لمناسبته بالعنب وقال بعضهم هو مثل النعناع والطرخون والكراث وغيرها التى يقطع ساقها من اصلها يعنى للاكل و بعضهم هو الفت الرطب افرده بالذكر تنبيها على اختلاف النباتات وان منها ما اذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والفت حب الغاسول وهو الاشنان وقيل هو حب يابس اسود يدق فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته اعراب طى وبعضهم هو كل ما يؤكل رطبا كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوآئده خصوصا لاهالى بلاد العرب فانهم ينتفعون به اكلا واداما واستضاءة وتطهرا فانه يجعل فى الصابون وكان عليه السلام يتطيب به فى الاوقات (ونخلا) هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من انفع الغذآء وفى العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام كما سبق مفصلا (وحدآئق غلبا) جمع حديقة وهى الروضة ذات الشجر او البستان من النخل والشجر او كل ما احاط به البناء او القطعة من النخل كما فى القاموس وهى هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع اغلب كحمر جمع احمر او حمرآء مستعار من وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق فالمعنى وحدآئق عظاما وصف به الحدآئق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ فعلى الاول استعارة معنوية وعلى الثانى مجاز مرسل فان اريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق اطلاق المقيد وارادة المطلق كاطلاق المرسن على الانف واجرى على الحدآئق وصفا لها بحال متعلقها وهو الاشجار سمى استعارة بناء على اللغة وفى كشف الاسرار الغلب من الشجر التى لا تثمر كالشمار والارز والعرعر والدردآء (وفاكهة) كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الامامين لا عند الاعظم لان العطف يقتضى المغايرة والظاهر ان مراد الاعظم ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذآء يحقق القصور فى معنى التفكه به اى التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لو حلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذآء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافى كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغاير لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه او عطفه عليها كما فى مواضع من القرآن (وابا) اى مرعى من ابه اذا امه اى قصده لانه يؤم و يقصد جزة للدواب او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيء للرعى واب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا متهيأ لقصده وكذا اب لسيفه اذا تهيأ لسله واتبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيء لفعله ومجيئه او الاب الفاكهة اليابسة توب للشتاء اى تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفى الحديث (خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع) اراد بقوله خلقتم من سبع يعنى من نطفة ثم من علقة الخ وهى التارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قوله حبا وعنبا الى ايا لعل الحدآئق خارجة عن الحساب لانها منابت تلك المرزوقات و بقوله فاسجدوا على سبع الاعضاء السبعة وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم و بعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان وفى الآية اشارة الى حب المحبة الذاتية وخير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الافعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالى من ان يصل اليه كل مدعى كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدآئق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها وابا مراعى الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص

كالارواح والاسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية
(فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على
ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلال لها
وجواب اذا محذوف يدل عليه يوم يفر الخ اى اشتغل كل احد بنفسه والصاخة هى الداهية العظيمة التى
يصم لهالها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس
يصغون لها فى قبورهم فاسند الاستماع الى المسموع مجازا وقيل هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة وقعها
وقيل هى ملأخوذة من صخه بالحجر اى صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة (يوم يفر المرء) روزى كه
بگريزد مرد (من أخيه) از برادر خود يا او جود موانست ومهربانى (وأمه) وازمادر خود با كثرت
حقوق كه او راست (وأبيه) وازپدر خود با وجود شفقت وعاطفت كه او ديد (وصاحبته) واززن
خود با انكه مونس روزگار او بوده (وبنيه) وازفرزندان خود با خيال استظهار بديشان اى يعرض
الانسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعله انهم لا يغنون عنه شيأ
فقوله يوم منصوب باعنى تفسيرا للصاخة وتأخيرا لاحب فالاحب للمبالغة لان الابوين اقرب من الاخ
وتعلق القلب بالصاحبة والاولاد اشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها
خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الابهرى
قدس سره يفر منهم اذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له
ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لا يعجزه شئ ويتمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض
وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن اخيه السر وامه النفس وابيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه
الاعمال والاحوال لان فى ذلك اليوم لا يتخلص احد بعمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام لن يدخل
احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضله ورحمته (لكل امرئ منهم يومئذ شأن
يغنيه) استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور اى لكل واحد
من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ اى الهم الذى حصل له قد ملأ
صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيأ كثيرا ودر باب مشغولى قيامت فريد الدين
عطار را قدس سره حكايتى منظوم است * كشتى آورد در دريا شكست * تخته زان جمله
بر بالا فتست * كربه وموشى دران تخته بماند * كارشان بايكدگر يخته بماند * نه ز كربه
موش را روى گريز * نه بموش آن كربه را چنگال تيز * هردوشان از هول دريا در عجب *
در تحير باز مانده خشك لب * در قيامت نيز اين غوغا بود * يعنى آنجا فى تو فى ما بود * وفى الخبر
ان عائشة رضى الله عنها قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر
النساء قال حفاة عراة قالت عائشة واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام
هذه الآية لكل امرئ الخ واما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بان يقول الانسان واسيتنى بمالك والابوان
قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما ارشدتنا او بغضا لهم كما يروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى من امه وابراهيم من ابيه ونوح من
ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه
على ما هو عليه من سوء الحال قال بعض المشايخ من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه
ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ اذا شغلتك نفسك فى دنياك وعقباك
عن ربك اما فى الدنيا فى طلب مرادها واتباع شهواتها واما فى الآخرة فكما اخبر الله عنه بقوله لكل امرئ
منهم الخ فحق تفرغ الى معرفة ربك وطاعته وقال بعضهم العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل

واقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وابحت جسمى من اراد جلوسى

(وجوه يومئذ مسفرة) بيان لما آل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم
فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ اى يوم اذ يفر

المرء متعلق به اى مضيئة متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من اسفر الصبح اذا اضاء فهو من لوازم الافعال قال فى المفردات الاسفار يختص بالالوان ومسفرة اى مشرق لونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (قال الكاشفى) ضاحكة خندان مستبشرة شادمان وفرحناك بسبب نجات ازنيران ووصول بروضة جنان وفى بعض التفاسير ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة او لفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة اى خلت بشارة بالخير كانه بيان لقوله ضاحكة انتهى وفى عين المعانى ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل من الكفار ثمانة وبانفسهم فرحا وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله اسفرت تلك الوجوه بنظرها الى مولاها واضحكها رضى الله عنها وقال سهل رحمه الله منورة بنور التوحيد واتباع السنة وفى التأويلات النجمية وجوه ارباب الارواح والاسرار والقلوب العارفين بالمعارف الالهية والحقائق اللاهوتية مضيئة بانوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنيل المكاشفات ومنح المشاهدات يقول الفقير وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضها فى الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لانها بكت فى الله ايام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ماسوى الله تعالى مطلقا كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام مستبشرة لامنها بدل خوفها فى الدنيا ولذا قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بان تقول لهم الملائكة لا تخافوا وابشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس وظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان ضواحك ويستعمل فى السرور المجرد كما فى الآية قال الراغب واستبشر اى وجد ما يبشره من الفرح وبشرته اخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك ان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء فى الشجرة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) اى غبار وكدورة وفى الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هى غبرة الفراق والذل (ترهقها) اى تعلوها وتغشاها (قترة) اى سواد وظلمة كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى قال الراغب القترة والدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السرى قدس سره ظاهر عليها حزن البعاد لانها صارت محجوبة عن الباب مطرودة وقال سهل قدس سره غلب عليها اعراض الله عنها ومقته اياها فهى تزداد فى كل وقت ظلمة وقترة (اولئك هم الكفرة الفجرة) اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة وفى الحديث (ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار) وفى عين المعانى اولئك هم الكفرة فى حقوق الله الفجرة فى حقوق العباد انتهى وفيه اشارة الى ان الفجور الغير المقترن بالكفر ليس فى درجة المقارن فى المذمومية والسببية للحقارة والخذلان اذ اصل الفجور الكذب والميل عن الحق ويستعمل فى الذنب الكبير وكثيرا ما يقع ذلك من المؤمن العاصى لكن ينبغى ان يخاف منه ويحذر عنه لان كثرة الذنب تجر الى الكفر كما ان صغائره تجر الى الكبائر يكى از جمله بزركان دين گفته كه اين زروسيم وانواع اموال نه عين دنياست كه اين ظروف واوعيه دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دين است كه آن ظروف واوعيه دين است دين جمله سوزورداست ودنيا همه حسرت وبادسرداست قارون آن همه زروسيم وانواع اموال كه داشت مكروه نبود باز ازوچون حقوق حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نگزارد وكشش او بجانب زروسيم واموال دنيا مكروه بود اى بساكسا كه دانكى درخواب نديد وفردا فرعون اهل دنيا خواهد بود كه دل او آلودهٔ حرص دنياست واى بساكسا كه اموال دنيا در ملك او نهادند وفردا دل خويش بازسيارد كه داغى ازين دنيا بروى ظاهر نبود سرانجام مرد دينداردنيا كذارا بنست كه در آخر سوره كفت وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنيادار دين كذارا بنست كه كفت وجوه يومئذ عليها غبرة الخ وقال بعضهم وجوه اصحاب النفوس المتمردة وارباب الهوى عليها غبرة الانانية وغبار الانية يغطيها سواد الاثنينية وظلمة الثنوية هم الذين ستر واو جود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا

نفوسهم المظلمة عن متابعة الارواح المنورة عصمنا الله واياكم من ذلك
تمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف
سورة التكوير تسع واثنان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا الشمس كورت) ارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعله لان الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتداء لان التقدير خلاف الاصل والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها ومعنى كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بضم بعض اجزائها البعض على جهة الاستدارة على ان المراد بذلك اما رفعها واذهابها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه عن مكانه وستره يجعل فى صندوق او غيره يلف لفا ويطوى نحو قوله تعالى يوم نطوى السماء فكان بين السماء والرفع علاقة اللزوم فتكوير ها كناية عن رفعها قال سعدى المفتى ولا مانع من ارادة المعنى الحقيقى ايضا وكون الشمس كرة معتمة على تسليم صحته لا يمنع من ذلك الارادة لجواز ان يحدث الله فيها قابلية التكوير بان يصيرها منبسطة ثم يكورها ان الله على كل شئ قدير انتهى واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار بان يكون اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا او بتقدير المضاف على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم فاللف على هذا مجاز عن الاعدام اذ لا مساغ لارادة المعنى الحقيقى لان الضوء لكونه من الاعراض لا يتصور فيه اللف وقال بعضهم ان الله قادر على ان يطمس نورها مع بقائها فقول الكشاف لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف فيه نظر انتهى وجوابه ما اشير اليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت القيت على فلكها على وجه الارض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وفى الحديث (ان الشمس والقمر ثوران مكوران فى النار يوم القيامة) اى مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصرى رحمه الله قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم وكذا قال الطيبى تكويرهما فيها ليعذب بهما اهل النار لا سيما عباد الاوثان لا ليعذبهما فى النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما فى النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى وكذا قال فى تفسير الفاتحة للفناري ان السماء اذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها فى النار يقول الفقير قول الحسن ادق فان النور لا يلحق بالنار الا ان يكون فيه مرتبة النارية ايضا فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق فى سورة النبأ فارجع فان قيل كيف يمكن تكويرهما فى النار وقد ثبت بالهندسة ان قرص الشمس فى العظم يساوى كرة الارض مائة وستين مرة وربع الارض وثمنها اجيب بان الله تعالى قادر على ان يدخلها فى قشرة جوزة على ذلك العظم يقول الفقير قد ثبت ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة فتكون اضعاف ما كانت عليه على ان وسعة الدارين تابعة لكثرة اهلهما ووسعتهم لانه ثبت ان ضرس الكافر مثل جبل احد وجسمه مسيرة ثلاثة ايام فاذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ والعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس فى النار بكوزة فى وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين الا الله تعالى (واذا النجوم) جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأى فقيل نجم النبت والرأى نجما ونجوما فالنجم اسم مرة ومصدر اخرى (انكدرت) اى تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر يوم تناثر نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض وذلك ان النجوم على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايديهم لانه مات من يمسكها وفيه اشارة الى طى ضوء شمس الروح الذى هو الحياة وقبضه عن البدن وازالته وتناثر نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة وايضا الى تكوير الوجود الاضافى المنعكس من الوجود المطلق الحقيقى عند ظهور الحقيقة والى اضمحلال نجوم الهويات وهياكل الماهيات بحيث لا يبقى لها اثر لانها نسب عدمية واعتبارات محضة (واذا الجبال سيرت) رفعت عن وجه الارض وابعدت عن اماكنها بالرجفة

الحاصلة

الحاصلة لا في الخلق كالسحاب فان ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضي في الارض والتسيير ضربان باختيار واراد من السائر نحوه والذي يسيرهم ويقهرهم ويسخرهم كتسيير الجبال وفيه اشارة الى جبال الاعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن ارض تعيناتها وايضا الى جبال الانواع والاجناس الواقعة في عالم التعينات (واذا العشار) جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما في القاموس والعشراء هي للناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس اموال العرب واعظم اسباب معاشهم (عطلت) العطل فقدان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغا عن صانع اتقنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها والمعنى واذا العشار ترك مسيبة مهملة غير منظور اليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند اهلها لاشتغال اهلها بانفسهم وذلك عند مجيء مقدمات قيام الساعة فان الناس حينئذ يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال الامام ابو الليث وغيره هذا على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشراء يعني ان هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية او مبادي الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثيلا وفيه اشارة الى النفوس الحاملات احمال الاعمال والاحوال وايضا الى تعطيل عشار الارجل المنتفع بها في السير عن الاستعمال في المشي وترك الانتفاع بها (واذا الوحوش) قال في القاموس الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشي قال ابن الشيخ هو اسم لما لا يستأنس بالانسان من حيوان البر والمكان الذي لا انس فيه وحش وخلاف الوحشي الاهلي (حشرت) اي جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس ايضا وتفرقها في الصحاري والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص اظهار للعدل قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته او صوته كالطاووس والبلبل ونحوهما فاذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن وفيه اشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بان اهلكت وافنيت وجمعت الى ما منه بدت (واذا البحار سجرت) اي احميت او ملئت بتغيير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا مختلطا عذبها بملحها وبالعكس فتم الارض كلها من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليصيره وجه الاسماء ان جهنم في قعور البحار الا انها الآن مطبقة لا يصل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميا لاهل النار او تبعث عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير نارا على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وفي وجه الاسماء درفتوحات مذكور ست كدهركاه كه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما دريارا بديذي كفتي يا بحر مق تعود نارا ووجه الامتلاء ان الجبال تذوب وتتفرق اجزاؤها وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها في اسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار فتصير البحار بحرا واحدا مسجورا اي ممتلئا وقال بعضهم ملئت بارسال عذبها على مالحها ثم اسيلت حتى بلغت الثور فابتلعها فلما بلغت الى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة قال الراغب وانما يكون كذلك لتسجير النار فيها اي اضرامها والتشديد في مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله سعرت لان معنى سجرت عند اكثر المفسرين اوقدت فصارت نارا فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله واذا الكواكب انتثرت لان في كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الارض وبعثرة القبور اي قلب ترابها من زايله الشيء عن مكانه فلاقى كل واحد قرينه وفيه اشارة الى بحار المعرفة الذاتية والحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فانها اذا اتحدت بالتجلي الوحداني تصير بحرا واحدا وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب والى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهرا وباطنا غيبا وشهادة دنيا وآخرة فانها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا

لا ساحل له ولا قعر والى بحار العناصر بانه فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصارت بحرا واحدا (واذا النفوس) الظاهر نفوس الانسان و يحتمل ان تعم الجن ايضا كما فى بعض التفاسير (زوجت) التزويج جعل احد زوجا لآخر وهو يقتضى المقارنة اى قرنت باجسادها بان وردت اليها وقرنت كل نفس بشكلها و بمن كان فى طبقتها فى الخير والشر فيضم الصالح الى الصالح والفاجر الى الفاجر او قرنت بكتابها الا بعملها فالنفوس المتمردة زوجت باعمالها السيئة والمطمئنة باعمالها الحسنة او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين وفيه اشارة الى ان الارواح الفائضة على هياكل الاشباح من عالم الامر قرنت بمواعينها وموجباتها التى هى الاسماء والصفات الالهية واسبابها اللاهوتية (واذا الموؤدة) اى المدفونة حية يقال وأدبنته يئده اوأدا وهى موؤودة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت العرب يئد البنات مخافة الاملاق او الاسترقاق او لحوق العار بهم من اجلهن وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن قال فى الكشاف كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها تركها حتى كانت سداسية اى بلغت ست سنين فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى يستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (سئلت) اى سألها الله بنفسه اظهارا للعدالة او بامره للملك (باى ذنب) من الذنوب الموجبة للقتل عقلا ونقلا (قتلت) قتلها ابوها حية فعلا او رضى وتوجيه السؤال اليها تسليتها واظهارا كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى اءنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها وجه التبكيت ان الجانى عليه اذا سئل بمحضر من الجانى ونسب اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على برآءة ساحة صاحبه وعلى انه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو ابلغ فكذلك اختير على التصريح وانما قيل قتلت على الغيبة لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قرأءة سئلت اى الله او قاتلها لا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية فانه ثبت بها ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الوائدة والموؤدة فى النار اى اذا كانت الموؤدة بالغة وفيه اشارة الى ان الاعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى سئلت باى سبب ابطلت نوريتها وروحانيتها وايضا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى اثقلتها وائدة النفس الحيوانية فى قبر البدن واهلكتها باى ذنب قتلت اى طلب اظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب او الشهوة او غيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فاظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قاله القاشانى (واذا الصحف نشرت) اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب اى تفتح فيعطاها الانسان منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف على ما فيها وتحصى عليه جميع اعماله فيقول مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفى الحديث (يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضى الله عنها فكيف بالنساء فقال شغل النساء يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عاليه و تقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال وفيه اشارة الى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيئات الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث و العود الى البدن (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به قال الراغب هو من كشط الناقة اى تنحية الجلد عنها ومنه استعير

انكشط روعه اى زال وفيه اشارة الى كشط سماء الارواح عن ارض الاشباح والى طى ظهور الاسماء والصفات
الى الكمون والخفاء (واذا الجحيم سعرت) اى اوقدت للكافرين ايقادا شديدا لتحرقهم احراقا ابديا سعرها
غضب الله وخطايا بنى آدم فاسعار النار زيادة التهابها لا حدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار
غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لان فيه الزيادة والاشتداد وفيه اشارة
الى جحيم الخسران والخذلان فانها اوقدت باحطاب الاعمال السيئة واحجار الاحوال القبيحة خصوصا
نار الغضب والشهوة التى كانوا عليها فى هذه النشأة (واذا الجنة ازلفت) الازلاف التقريب بالفارسية
نزديك كردن اى قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وعن الحسن
رحمه الله انهم يقربون منها الا انها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما فى قوله تعالى
ويوم يعرض الذين كفروا على النار حيث تعرض النار عليهم [illegible] وتحسيرا فقلب مبالغة ويحتمل ان يكون
المراد التقريب المعنوى وهو جعل اهلها مستحقين لدخولها مكرمين فيها وفيه اشارة الى تقريب نعيم آثار
الرضى واللطف من المتقين وكذا جنة الوصول والوصال لمحبى الجمال والكمال كما قيل هذه اثنتا عشرة خصلة
ست منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر
الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقال ابى بن كعب
رضى الله عنه ست آيات قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت
النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس
والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن
نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تتأجج اى تتلهب قال فبينما هم كذلك اذ صدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم
كذا فى المعالم (علمت نفس ما احضرت) اى علمت كل نفس من النفوس ما احضرته على حذف الراجع
الى الموصول فنفس فى معنى العموم كما صرح به فى قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقوله
هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وقولهم ان النكرة فى سياق الاثبات لا تعم بل هى للافراد النوعية
غير مطرد ويجوز ان يكون التنوين للافراد الشخصية اشعارا بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس
ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هى التى علمت ما احضرت فكيف
وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك
لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب
امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع والمراد بما احضرت اعمالها
من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها لان الاعمال
الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح
على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة واسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بامر الله لما انها لما عملتها
فى الدنيا كانها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة
فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن
نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وان كانت سيئة تشاهدها على ما هى عليه ههنا لانها كانت مزينة لها
موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث
ان العلم لازم للمجازاة وقوله علمت الخ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد متسع محيط بما ذكر من اول السورة
الى هنا من الاثنى عشر شيأ مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم
فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه
لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا
للخطب وتفظيعا للحال وعن عمر وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرآ السورة فلما بلغا الى قوله علمت نفس
ما احضرت قالا لهذه اجريت القصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس

ما احضرت قال والانقطاع ظهراء اى قاله خوفا من القيامة ومجازاة الاعمال دراندوزهر نفسى بندكه باهر خيرى كرامتى وعطائيست وباهر شرى سلاسق وجزائى برنيكى حسرت خوردكه جراز ياده نكرديم وبربدى اندوه كشدكه چرا مباشرت نكرد وآن حضرت واندوه هيچ فائده ندارد * قوام وزفرصت خنيت شمار * كه فردا ندامت نيايد بكار * بكوش اى توانا كه فرمان برى * كه درنا توانى بسى غم خورى * وفى الحديث العبد المؤمن بين خفتين عرخد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه واجل قديق لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذى نفسى بيده الموت مستعتب وما بعد الدنيا الا الجنة والنار وقال الواسطى قدس سره فى الآية علمت كل نفس وايقنت ان ما عملت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد وان من اكرم بخلع النعل فجاوز من قرن بجزآ اعماله ولا ثواب وفى برهان القرء آن هذا علمت نفس ما احضرت وفى الانفطار ما قدمت واخرت لان ما فى هذه السورة متصل بقوله واذا القبور بعثرت والقبور كانت فى الدنيا فتتذكر ما قدمت فى الدنيا وما اخرت للعقبى فتكل غافلة لاثقة بمكانها وهذه السورة من اولها الى آخرها شرط وجزآء وقسم وجواب (فلا اقسم) لاصلة اورد الكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرء آن سحر او شعر او اساطير ثم ابتدأ فقال اقسم (بالخنس) جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوسا من باب دخل اذا تأخر واصل الخنوس الرجوع الى خلف والخناس الشيطان لانه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل عاد الى الوسوسة والمعنى اقسم بالكواكب الراجع وهى ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهى المريخ بالكسر ويسمى بهرام ايضا وزحل ويسمى كيوان ايضا وعطارد ويسمى الكاتب ايضا والزهرة وتسمى اناهيذ ايضا والمشترى ويسمى راويس وبرجيس ايضا وما من نجم يقطع الجرة غير الخمسة فلذا خصها ونظمها بعضهم والنيرين فقال * هفت كوكب كه هست كيتى را * كاه ازايشان مدار وكاه خلل * قمرست وعطارد وزهره * شمس ومريخ ومشترى وزحل * وهى الكواكب السبعة السيارة كل منها يجرى فى فلك فالقمر فى الاول وما يليه فى الثانى وهكذا على الترتيب (الجوارى الكنس) الجوارى جمع جارية بمعنى سائرة والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لانها تجرى فى افلاكها او بانفسها على ما عليه اهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كررا جعا الى اوله فرجوعه من آخر البرج الى اوله هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها واما القمران فلا يكنسان بهذا المعنى تعالى فى عين المعانى خنوسها فى مجراها واستتارها فى كناسها اى موضع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى من كنس الوحش من باب جلس اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر وقيل بجميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها وفى التأويلات النجمية يشير الى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الراجع الى بروجها بالاختفاء بسبب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة اشعتهما على النيرين والدراري الخمسة الزهرة وعطارد والمشترى وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب (والليل) عطف على الخنس (اذا عسعس) اى ادبر ظلامه لان اقبال الصبح يكون بادبار الليل كما قال فى الوسيط لما كان طلوع الصبح متصلا بادبار الليل كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر ليكون التعاقب فى الذكر على حسب التعاقب فى الوجود انتهى او اقبل فانه من الاضداد كذلك سعسع وذلك فى مبدأ الليل وهذا المعنى انسب لمراعاة المقابلة مع قرينه (والصبح) عطف عليه ايضا (اذا تنفس) آنكاه دم زند يعنى بطلوع كند وتنفس او مبدأ طلوعست والعامل فى اذا معنى القسم واذا ومابعدها فى موضع الحال اقسم الله بالليل مدبرا وبالصبح مضيئا يقال تنفس الصبح اذا تبلج اى اضاء واشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره والنفس فى الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه يهبو به عليه وفى الحديث (لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن) اى مما يفرج الكرب شبه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة

على الاستعارة قال القاشاني والليل اى ليل ظلمة الجسد الميت اذا ادبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع فور شمسه عليه والصبح اى اثر فور طلوع تلك الشمس اذا انتشر في البدن بافادة الحياة وفي التأويلات النجمية يشير الى ليل الطبيعة المتشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع احكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة والى صبح نهار الروحانية اذا انكشف واظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو اعظم الاقسام وافضل الايمان (انه) الضمير للقرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به اى القرآن الكريم المتناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة وهو جواب القسم وجه القسم بهذه الاشياء ان فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة يقول الفقير سر الاقسام بها ان القرآن نور من الله فلا يرد الاعلى القلب النوراني الذي هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذي هو بمنزلة الشمس وعلى القوى الروحانية التي هي بمنزلة سائر السيارات المضيئة وهذه الانوار لا تظهر في الوجود الانساني الا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فاذا اشرقت انوار الروح وقواه في ليل الوجود اضاء جميع ما في الوجود وزال الظلام (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله قال السهيلي ولا يجوز انه اراد به انه قول النبي عليه السلام وان كان النبي عليه السلام رسولا كريما لان الآية نزلت في معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا ان محمدا عليه السلام يقوله وهو قوله فقال الله تعالى انه لقول رسول كريم فاضافه الى جبريل الذي هو امين وحيه وهو في الحقيقة قول الله لكنه اضيف الى جبريل لانه جاء به من عند الله فاسند اليه باعتبار السببية الظاهرة في الانزال والايصال ويدل على ان المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لانه رسول عن الله الى الانبياء وبكريم اى على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لانه يجيء بافضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الاعداء (ذي قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى اى ذي قدرة على ما يكلف به لا يعجزه ولا يضعف روى انه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فأخبرني بشيء من آثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود بقوادم جناحي حتى سمع اهل السماء نباح الكلب واصوات الديك ثم قلبتها ومن قوته انه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ويصعد في اسرع من الطرف وانه رأى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبي فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى اقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الارض المقدسة فنفضه نفضة واحدة القاه الى اقصى جبل الهند وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف وفيه اشارة الى صفة الروح فانه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة في المملكة الانسانية (عند ذي العرش) اى الله تعالى وفي ايراد ذي العرش اخبار بغاية كبريائه في القلوب وعند ظرف لما بعد من قوله (مكين) ذي مكانة رفيعة عند عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان فانه تعالى متعال عن امثالها ونحوه اذا عند المنكسرة قلوبهم فان المراد به القرب والاكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته انه تعالى جعله تالي نفسه في قوله فان الله هو مولاه وجبريل فله اعظم منزلة عندية فاين منزلة من يلازم السلطان عند سريره الملك من حرسة من يلازمه عند الوضوء ونحوه (مطاع) فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال في فتح الرحمن ومن طاعتهم انهم فتحوا ابواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة جبريل فريضة على اهل السموات كما ان طاعة محمد عليه السلام فريضة على اهل الارض وفيه اشارة الى ان الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة الى السر والقلب (ثم امين) على الوحي قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لما قبله اى مطاع هنالك اى في السموات وقيل لما بعده اى مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء فيكون اشارة الى عند الله وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف فيكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة (قال الكاشفي) واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس اوصاحب قوت طاعت ونزديك خداى خداوند قدر ومكانست ومطاع يعني مستجاب الدعوة واذا قال له عمه ابو طالب ما الطوعك ربك يا محمد فقال له

وانت يا عم لو اطعته اطاعك وامين يعني بر اسرار غيب وفيه اشارة الى ان الروح امين في افاضة الفيض الروحي على كل احد بحسب استعداده الفطري (وما صاحبكم) يا اهل مكة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عطف على جواب القسم ولذا قال في فتح الرحمن وهذا ايضا جواب القسم (بمجنون) كما تقولون ومتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فانه كان بين اظهرهم في مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه اكمل الخلائق فيه ولقبوه بالامين الصادق وقد استدل به على فضل جبرائيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشان واقتصر في ذكر رسول الله على نفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما على ان في توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة اليه فاي رتبة اعلى من مرتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب وقال سعدي المفتي الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من اهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية في قوله فلا اقسم ولا شك ان ذلك يقتضي وصف الآتي به فلذلك بولغ فيه دون وصف من انزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفي ما بهتوه وفيه اشارة الى ان الروح ليس بمجنون اي بمستور عن حقائق القرآن ودقائقه واحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع اسراره (ولقد رآه) وبالله لقد رأى رسول الله جبريل وفي عين المعاني ابصره لا جنيا (بالافق المبين) افق السماء ناحيتها والمبين من ابان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن اي بمطلع الشمس الاعلى من ناحية المشرق فالمراد بالافق هنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له في تبين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء والكوكب المبين هو الشمس واسناد الابانة الى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها في الجملة فان البيان في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عندما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب ارفع واعلى وكلما كان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ان يتراآى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الي فاذن له فاتاه عليها وذلك في جبل حراء في اوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه في الارض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الاخضر فغشي عليه فتحول جبريل في صورة بني آدم وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه السلام جاءني جبريل في صورته فعلق بي هذا من حسنه قالوا ما رآه احد من الانبياء غيره عليه السلام في صورته التي جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام واعلم ان وقوع الغشيان انما هو من كمال العلم والاطلاع الا ترى الى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فان توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية اجسامهم فقط لانهم اناس مثله وانما هو لما اطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشي على جبريل ليلة الاسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله وقال عليه السلام فعلمت فضل جبريل في العلم فكانه عليه السلام اشار الى فضل نفسه ايضا لما غشي عليه برؤية جبريل على صورته الاصلية وانما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشي على جبريل لانه اذ ذاك في نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله اعلم قال القاشاني ولقد رآه بالافق المبين اي نهاية طور القلب الذي يلي الروح وهو مكان القاء النافث القدسي على ان المراد بالرسول روح القدس النافث في روع الانسان وقال في التأويلات النجمية اي رأى جبريل الروح حضرة ربه عند افق البقاء بعد الفناء (وما هو) اي رسول الله (على الغيب) اي على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب (بضنين)

اى بخيل لا يبخل بالوحى فيزوى بعضه غير مبلغه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا اى اجرة او يسئل تعليمه فلا يعلمه وفيه اشارة الى ان امساك العلم عن اهله بخل من ضن بالشئ يضن بالفتح ضنا بالكسر وضنانة بالفتح اى بخل فهو ضنين به اى بخيل ويضن بالكسر لغة والفتح افصح ذكره البيهقى فى تهذيب المصادر فى باب ضرب حيث قال الضن والضنانة بخيلى كردن والغابر يضن والفتح افصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله هو من ضننت بالشئ بكسر النون وهو قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر قال فى النشر كذلك هو فى جميع المصاحف اى المصاحف التى يتداولها الناس والاظهر فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالظاء وقرئ بظنين على انه فعيل بمعنى المفعول اى بمتهم اى هو ثقة فى جميع ما يخبره لا يتوهم فيه انه ينطق عن الهوى من الظنة وهى التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه ذلك اختار ابو عبيدة هذه القراءة لان الكفار لم يعلموه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل ولان البخل يتعدى بالباء لا بعلى وفى الكشاف هو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف ابى بالضاد وكان رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولابد للقارئ من معرفة مخرجى الضاد والظاء فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره ومخرج الظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا فان قيل فان وضع المصلى احد الحرفين مكان الاخر قلنا قال فى المحيط البرهانى اذا اتى بالظاء مكان الضاد او على العكس فالقياس ان تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة فى حق العامة خصوصا للعجم فان اكثرهم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا فقر قا غير صواب وفى الخلاصة لو قرأ بالظاء مكان الضاد او بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند ابى حنيفة ومحمد واما عند عامة المشايخ كابى مطيع البلخى ومحمد بن سلمة لا تفسد صلاته (وما هو بقول شيطان رجيم) اى قول بعض المشركة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لانه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر كما قال وما تنزلت به الشياطين وفيه اشارة الى انه ليس محمد القلب عند الاخبار عن المواهب الغيبية والالهامات السرية بتهم بالكذب والافتراء وما هو بقول بعض القوى البشرية (فاين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهو معظم الطريق ويتعسف الى غير المسلك فانه يقال له اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل لمن يقول فى حق القرآن ما لا ينبغى من وضوح كونه وحيا حقا اى طريق تسلكون امن من هذه الطريقة التى ظهرت حقيقتها ووضحت استقامتها واين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين فحذف حرف الجر ويجوز ان لا يصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكانه قيل اين تؤمون وقال الجنيد قدس سره اين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا وفى التأويلات النجمية فاين تذهبون من طريق الحق الى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس (ان هو) ان نافية والضمير الى القرآن اى ما هو (الا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم والمراد الانس والجن بدلالة العقل فانهم المحتاجون الى الوعظ والتذكير (لمن شاء منكم) ايها المكلفون بالايمان والطاعة وهو بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل ولا تخالف بين الاصل المتبوع والفرع التابع لان الاول باعتبار الذات والثانى باعتبار النفع (ان يستقيم) مفعول شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكانه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم (وما تشاؤن) اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات يامن يشاؤها وذلك ان الخطاب فى قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم يروى ان ابا جهل لما سمع قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى وما تشاؤن الخ (الا ان يشاء الله) من اقامة المصدر موقع الزمان اى الا وقت ان يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم

لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها لان المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلابد لها من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها فظهر ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه اهل السنة (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم اجمعين بالارزاق الجسمانية والروحانية وفي الحديث القدسي يا ابن آدم تريد وانا اريد فتتعب فيما تريد ولا يكون الا ما اريد قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما انزل الله على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيأ من المشيئة فقد كفر قال ابو بكر الواسطي قدس سره اعجز لك في جميع صفاتك فلا تشاء الا في مشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصي الا بخذلانه فاذا يبقى لك وبماذا تفتخر من اعمالك وليس منها شيء اليك الا بتوفيقه وبالفارسية حق تعالى تراد رهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهي مكر بمشيت او ونكني مكر بقوت او وفرمان نبري مكر بفضل او وعاصي نشوي مكر بخذلان او پس توچه داري وبكدام فعل مي نازي وحال آنكه تراهيچ نيست * زسرتا پا همه پيچم در پيچ * چه باچه سرهمه هيچم درهيچ * وفي الحديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اي فان فيها بيان اهواله الهائلة على التفصيل

تمت سورة التكوير بعون الملك القدير في وسط صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انفطرت) اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا اولهيبة الرب وفي فتح الرحمن تشققها على غير نظام مقصودا انما هو انشقاق لتزول بنيتها واعرابه كاعراب اذا الشمس كورت وفي التأويلات النجمية يعني سماء الارواح والقلوب والاسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها وقال القاشاني اي اذا انفطرت سماء الروح الحيواني بانفراجها عن الروح الانساني وزوالها بالموت (واذا الكواكب انتثرت) اي تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلي اذا انقطع السلك وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالعلويات فان السماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب داره فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وفيه اشارة الى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعي فانه اذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقا وكذا بالموت الارادي (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الارض وتصدعها واستوآتها وصارت البحار وهي سبعة بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحرا واحدا فيصب ذلك البحر في جوف الحوت الذي عليه الارضون السبع كما في كشف الاسرار وروي ان الارض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصري ودخل في البحار البحر المحيط لانه اصل الكل اذ منه يتفرع الباقي وكذا الانهار العذبة قلنها بحارا ايضا لتوسعها وفيه اشارة الى بحار الارواح والاسرار والقلوب حيث فجرت بعضها في بعض بالتجلي الاحدي وصارت بحرا واحدا والى بحار الاجسام العنصرية حيث فجرت بعضها في بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى اصله وهي الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزآئه الى اصلها (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها ولا يخالف ما سيجيء في العاديات فان البعثرة تجيء بمعنى الاستخراج ايضا اي كالقلب وفي تاج المصادر البعثرة شوراندن واشيكار اكردن ولذا قال بعضهم بالفارسية وآنكاه كه كورها زيروزبر كرده شود يعني خاكها را بشورانند تا مدفونات وي ازاموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند ونظيره بحثر لفظا ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته اي جعلت اسفله اعلاه وجعل اسفل القبور اعلاها انما هو باخراج موتاها وقيل لسورة برآءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين وهما اي بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع زيادة الميم

وقال

وقال الراغب من رأى تركيب الرباعي والخماسي نحو تهلل وبسمل اذا قال لا اله الا الله وبسم الله يقول ان بعثر مركب من بعث واثير اى قلب ترابها وأثيرما فيها وهذا لا يبعد فى هذا الحرف فان البعثرة تتضمن معنى بعث واثير وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالسفليات فانه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض ينكوذ بعض البحار فى بعض ثم يخرب نفس الارض التى هى كالبناء بان يقلبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وفيه اشارة الى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعينين مطلقا عن التعينات لان التعينات قبور الحقائق المطلقة والى قبور الابدان فانها تخرج ما فيها من الارواح والقوى بالموت (علمت نفس م) اى كل نفس برة او فاجرة كما سبق فى السورة السابقة وفى فتح الرحمن نفس هنا اسم الجنس وافرادها لبيان لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها الا من رحم الله تعالى (ما قدمت) فى حياتها من عمل خيرا وشر فان ما من الفاظ العموم (واخرت) من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام ايما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل اجر من اتبعه الا انه لا ينقص من اجورهم شئ وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فله مثل اوزار من اتبعه الا انه لا ينقص من اوزارهم شئ او ما قدم من معصية وما أخر من طاعة وفى التأويلات النجمية علمت نفس ما قدمت اخرجت من القوة الى الفعل بطريق الاعمال الحسنة او السيئة وما اخرت ابقت فى القوة بحسب النية قوله علمت الخ جواب اذا اى اذا وقعت هذه الاشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت فى السورة السابقة من ان المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى فالمراد العلم التفصيلى الذى يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة واما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان البعث والحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر قال ابن الشيخ فى حواشيه العلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة (يا ايها الانسان) يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل ومفصله اى بين علمت نفس الخ وبين ان الابرار الخ واما قوله بل تكذبون بالدين فمن قبيل بنو فلان قتلوا زيدا اذا كان القاتل واحدا منهم قال الامام السهيلى رحمه الله قوله يا ايها الانسان يريد امية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة او الاسود بن كلدة الجمحى قصد النبى عليه السلام فى بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك وفى زهرة الرياض ضرب على يافوخ رسول الله عليه السلام فأخذه رسول الله وضربه على الارض فقال له يا محمد الامان الامان منى الجفاء ومنك الكرم فانى لا اوذيك ابدا فتركه رسول الله عليه السلام (ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية فى موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستبعاد والتوبيخ والمعنى اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها يقال غره بفلان اذا جرأه عليه وأمنه المحذور من جهته مع أنه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداعية ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأها غره جهله وقال الحسن البصرى رحمه الله غره والله شيطانه فظهر ان كرم الكريم لا يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين الموالى والمعادى فاذا كان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ولله الاسماء المتقابلة ولذا قال نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم قال القاشانى كان كونه كريما يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك اكثر من تجويز الكرم اياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتنى ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال

يا كاسب الذنب اما تستحى * والله فى الخلوة ثانيكا * غرك من ربك امهاله * وستره طول مساويكا

قال صاحب الكشاف قول الفضيل على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع و يظن به قصاص الحشوية و يرونه من أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته من الجبار والقهار والمنتقم وغير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم يقول الفقير الحق ان هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة الى احوال الناس فليس من يفهم الاشارة كمن لا يفهمها وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال اهل الاشارة ايراد الاسم الكريم من بين الاسماء كانه من جهة التلقين * خود تو دادى مژدهٔ لا تقنطو * من جرا ترسم زعصيان وعتو * چون تو هر اشكسته را سازى درست * پس خطاها بر اميد عفو تست * وقال يحيى بن معاذ رحمه الله غرنى برك سالفا وآنفا يقول مولاى اما تستحى * مما ارى من سوء افعالك * فقلت يا مولاى رفقا فقد * افسدنى كثرة افضالك وعن على رضى الله عنه انه صوت بغلام له مرارا فلم يجبه وهو بالباب فقال لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاعتقه احسانا لقوله وقال بعض اهل الاشارة عجبت من هذا الخطاب الذى فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه الا اهل الاشارة قال بعضهم رأيت فى سوق البصرة جنازة يحملها اربعة وليس معهم مشيع فقلت لا اله الا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها احد انى لاشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا ما نعرفه وانما اكترتنا تلك المرأة واشاروا الى امرأة واقفة قريبا من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يدها الى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت لا بد ان تخبرينى بقضيتك فقالت ان هذا الميت ابنى ولم يترك شيأ من المعاصى الا فعله فمرض ثلاثة ايام فقال لى يا امى اذا مت لم تخبرى الجيران بموتى فانهم يفرحون بموتى ولا يحضرون جنازتى ولكن اكتبى على خاتمى لا اله الا الله محمد رسول الله وضعيه فى اصبعى وضعى رجلك على خدى اذا مت وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصانى به فلما رفعت يدى الى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى يا امى فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضى عنى فلذلك ضحكت سرورا بحاله اورده الامام القشيرى فى شرح الاسماء (وفى الحديث الصحيح) ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفر لك اليوم (الذى خلقك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لان الخلق اعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على ان من قدر على الخلق وما يليه بدأ قدر عليه اعادة اى خلقك بعد ان لم تكن شيأ (فسواك) اى جعل اعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها اى بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التى خلق ذلك العضو لاجلها كالبطش لليد والمشى للرجل والتكلم للسان والابصار للبصر والسمع للاذن الى غير ذلك (فعدلك) عدل بعض تلك الاعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل ان تكون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين اطول من الاخرى او تكون احدى العينين اوسع من الاخرى او بعض الاعضاء ابيض و بعضها اسود او بعض الشعر فاحما و بعضه اشقر قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما فى احد الجانبين مساوى لما فى الجانب الآخر ويقال عدله عن الطريق اى صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى هى لسائر الحيوانات وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى فى احسن تقويم وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الاول من المخفف وقال الجنيد قدس سره تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالايمان وقال ذو النون قدس سره اوجدك فسخر لك المكونات اجمع ولم يسخر لك شئ منها وفى التأويلات النجمية يا ايها الانسان المخلوق على صورته كانك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك فى احسن صورة فسواك فى احسن تقويم فجعل بنيتك الصورية و بنيتك المعنوية سليمة مسواة ومعتدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الالهية والكيانية كما قال عليه السلام اوتيت جوامع الكلم اى الكلم الالهية والكلم الكيانية (فى اى صورة ما شاء ركبك) الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك والمعنى ركبك فى اى صورة

شاءها

شاء ما اقتضته مشيئته وحكمته من الصور العجيبة الحسنة او من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاوقات وخلاف الشبه كما فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها فى اى شبيه شاء وقال الواسطى رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره محلى صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة اى صور بعضهم على الصورة الجلالية اللطفية و بعضهم على الصورة الجلالية القهرية قال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى كتاب اللايحات البرقيات له لاح لى ان تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة فى الاطوار لكن المقصود بالذات انما هو هذه الاربع والتركيب فى الصورة العلمية والروحية عقلى ومعنوى وفى الصورة المثالية والجسمية حسى وروحى والمراد من التركيب فى الصورة العلمية ظهور الذات وفى الصورة الروحية ظهور الصفات وفى الصورة المثالية ظهور الافعال وفى الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتايج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات واجزآؤها انما هى احكام الوجوب واحكام الامكان والمراد من احكام الوجوب هو الاسماء الالهية الفاعلة المؤثرة والمراد من احكام الامكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه الاجزآء فى اى صورة كان انما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعى فى ذلك المحل الجامع كالنشأة الانسانية المخاطبة ههنا ان كانت الغلبة لاجزآء احكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة الى جانب العلو والحق وهى تكون باقية على الفطرة الاصلية الالهية قابلة مستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس وان كانت لاجزآء احكام الامكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة الى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الاصلية الازلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس بل تبقى فى عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لا خبر لها عن نفسها ودبها وتكون اعمى واصم وابكم لا تعرف يمينها من شمالها ولا ترى شمالها من يمينها اولئك كالانعام بل هم اضل انتهى كلامه روح الله روحه (كلا) كلمة ردع فالوقف عليها اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقيل تو كيد لتحقيق ما بعده بمعنى حقا فالوقف على ركبك كما رجحه السجاوندى حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك (بل تكذبون بالدين) قال فى الارشاد عطف على جملة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزآء والبعث رأسا فانه يزاد بالدين الجزآء والمكافأة ومنه الديان فى صفة الله او تكذبون بدين الاسلام الذى هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين او باعتبار ان لكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قال اثنان بالليل واثنان بالنهار اى تكذبون بالجزآء والحال ان عليكم ايها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لاعمالكم وبالفارسية نگهبانان (كراما) جمع كريم اى لدينا بجبرهم فى طاعتنا او باداآء الامانة اذ الكريم لا يكون خوانا وفى فتح الرحمن وصفهم بالكرم الذى هو نفى المذام وقيل كرام يسارعون الى كتب الحسنات ويتوقفون فى كتب السيئات رجاء ان يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معا وفى زهرة الرياض سماهم كراما لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضونها على الله و يشهدون و يقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة واما فى السيئة فيسكتون و يقولون الهى انت ستار العيوب وهم يقرؤن كل يوم كتابك ويمحو حسناتنا فانا لانهتك استارهم واما معنى التعطف كما فى سورة عبس فلا يلائم هذا المقام كما فى بعض التفاسير (كاتبين) للاعمال (يعلمون) لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم (ما تفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا و يضبطون نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك (وفى الحديث) اكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى الحالتين الجنابة والغائط قال فى عين المعانى قوله يعلمون يدل على ان السهو والخطأ ومالا تبعة فيه لا يكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى وقوله ما تفعلون وان كان عاما لافعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بافعال الجوارح لان ما كان من المغيبات لا يعلمه الا الله وفى كشف الاسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول او حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن

ضمير يقال انهم يجدون لصالحه رآيحة طيبة ولطالحه رآيحة خبيثة فيكتبونه محملا عملا صالحا وآخر سيئا انتهى
وقد مر بيان هذا المقام في سورتي الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لانه اكثر من القول ولان القول
قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية قال ما اشدها من آية على الغافلين ففيها
انذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير ولطف للمطيعين وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزآء
وانه عند الله من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم انما هو في وصفهم بالكرم لا بالكتب
والحفظ وطعن بعض المنكرين في حضور الكاتبين اما اولا فبانه لو كانت الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن
لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراها وذلك دخول في الجهالات وجوابه ان الملائكة
من قبيل الاجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية الا ترى ان الله امد المؤمنين في بدر بالملائكة وكانوا
لا يرونهم الا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
فكما ان الهوآء لا يرى للطافته فكذا غيره من اهل اللطافة واما ثانيا فبأن هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة
فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وان كان لفائدة فلا بد ان تكون للعبد لان الله متعال عن النفع والضرر
وعن تطرق النسيان وغاية ذلك ان يكون حجة على الناس وتشديدا عليهم باقامتها لكن هذا ضعيف لان من علم
ان الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لا تنفعه لاحتمال ان يحمل على الظلم
وجوابه ان الله يجري اموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا بينهم ليكون ابلغ في تقرير المعنى عندهم
من اخراج كتاب واحضار شهود عدل في الزام الحجة عند الحاكم والعبد اذا علم ان الله رقيب عليه والملائكة
يحفظون اعماله ويكتبونها في الصحيفة وتعرض على رؤس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك ازجر له عن المعاصي
وامنع من السوء واما ثالثا فبأن افعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع انها محاسب بها لقوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية وجوابه ما مر من ان الآية من العام المخصوص وقد قال الامام
الغزالي رحمه الله كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك حتى اذا غاب ذكرك
عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية غاب عن شعور الحفظة ايضا وما دام القلب يلتفت الى الذكر فهو
معرض عن الله وفهم من هذا المقال ان قياس اطلاع الملائكة على الوقائع على اطلاع الناس غير مستقيم فان
شؤونهم علما وعملا غير شؤون الناس على ان من اصلح من الناس سريرته قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب
باطلاع الله تعالى فما ظنك بالملائكة الذين هم الطف جسما واخف روحا (ان الابرار) الذين بروا وصدقوا في ايمانهم
باداء الفرآئض واجتناب المعاصي وبالفارسية وبدرستي كه نيكوكاران وفرمان برداران جمع بر بالفتح
وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن واحسن الحسنات لا اله الا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للاساتذة وبر اهل
الارادة للشيوخ كما قال في فتح الرحمن هو الذي قد اطرد بره عموما فبر ربه في طاعته اياه وبر الناس في جلب
ما استطاع من الخير لهم وغير ذلك (وفي الحديث) بروا آباءهم كما بروا ابناءهم (لفي نعيم) وهو نعيم الجنة
وثوابها والتنوين للتفخيم (وان الفجار) وبدرستي كه دروغ كويان ومنكران حشر جمع فاجر والفجور شق
ستر الديانة (لفي جحيم) اي النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لاجله وهو ان الغاية
اما النعيم واما الجحيم وفيه اشارة الى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال والى جحيم الغفلة
والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق قال الخواص رحمه الله طاب النعيم اذا كان منه وطاب
الجحيم اذا كان به وفي المثنوي * هر كجا باشد شه ما را بساط * هست صحرا كر بود سم الخياط * هر كجا
كه يوسفي باشد چو ماه * جنت است او ارچه باشد قعر چاه (يصلونها) اما صفة لجحيم او استئناف مبني
على سؤال نشأ عن تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل صلى الكافر النار قاسى
حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لان ما سبق من الكلام كان في المكذبين الفجرة لان المقام مقام
التخويف وذكر تبشير الابرار لانه ينكشف به حال الفجار الاشرار لان الاشياء تعرف باضدادها (يوم الدين)
يوم الجزآء الذي كانوا يكذبون به (وما هم) ونيست فجار (عنها) اي عن الجحيم (بغائبين) طرفة عين يعني
در وجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى وما هم بخارجين منها فالمراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة وقيل
وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام القبر

روضة من [illegible] او حفرة من حفر النيران (وما ادراك) الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وادراك خبره (ما) خبر قوله (يوم الدين) وما لطلب الوصف وان كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى اى شئ جعلك داريا وعالما ما يوم الدين اى اى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة اى ما ادراك الى هذا الآن احد كنه امره فانه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة يصورونه فهو فوقها واضعافها (ثم ما ادراك ما يوم الدين) تكرير بثم المفيدة للترقى فى الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم واظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) بيان اجمال لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرآئهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيأ من الاشياء او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك الخ فانه يدريك ما هو ودخل فى نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفى شئ كل ما كان من قبيل جلب المنفعة او دفع المضرة (والامر) كله (يومئذ) اى يوم اذ لا تملك نفس لنفس شيأ (لله) وحده والامر واحد الاوامر فان الامر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز ان يكون واحد الامور فان امور اهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره اخبر تعالى بضعف الناس يومئذ وانه لا ينفعهم الاموال والاولاد والاعوان والشفعاء كما فى الدنيا بل ينفعهم الايمان والبر والطاعة وانه لا يقدر احد ان يتكلم الا باذن الله وامره اذ الامر له فى الدنيا والآخرة فى الحقيقة وان كان يظهر سلطانه فى الآخرة بالنسبة الى المحجوب لان المحجوب يرى ان الله ملكه فى الدنيا وجعل له شيأ من الامور والاوامر فاذا كان يوم القيامة يظهر له ان الامر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه احد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لارباب الدعاوى واصحاب المخالفة وتنبيه على عظم بطشه تعالى وسطوته وفى الحديث من قرأ اذا السماء انفطرت اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله شأنه يوم القيامة

تمت سورة الانفطار بعون مالك الاقطار فى الثانى والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة المطففين ست وثلاثون آية مختلف فى كونها مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل) شدة الشر او الهلاك او العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وقيل اصله وى لفلان اى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا وبالفارسية واى وهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ما سبق بيانه فى المرسلات (للمطففين) الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان وبالفارسية مركاهندكان را در كيل ووزن فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بان لا يعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان ما يبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما اذ الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له فى ايفائه واستيفائه وقال سعدى المفتى والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز ان يكون للتعدية انتهى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر فعملوا بموجبها واحسنوا الكيل فهم اوفى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره اولا بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم

لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون
وعن عكرمة اشهدان كل كيال ووزان فى النار قيل لوان ابنك كيال اووزان فقال اشهدانه فى النار وعن الفضيل
بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن مالك بن دينار انه دخل على جاره المحتضر فقال يا مالك بجبلان
من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر
فدعوت بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على الاعظما
ودر فصول سبعين آورده كه هركه در كيل ووزن خيانت كند فردا اورا بمعرد وزخ در آورده ميان دوكوه آزاتش
بنشانند وكويند كه هاوزنهما آنرا بسنجد وبسوزد * توكم دهى وبيش ستانى بكيل ووزن * روزى بايدكه
آزكم وبيشت خبر كنند * (الذين) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به
الذم والدعاء بالويل (اذا اكتالوا على الناس) اى من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الاخذ
بالكيل كالاتزان للاخذ بالميزان (يستوفون) الاستيفاء عبارة عن الاخذ الوافى اى يأخذونه وافيا وافرا وتبديل
كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء اوللاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى
حيز الشرط الذى تتضمنه كلمة اذا الا خلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس
اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما اراد واياى وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا
يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه فيسرقون من اوفاء المكاييل والسنة الموازين
(واذا كالوهم اووزنوهم) الكيل بپيودن به پيمانه تا مقدار مكيل معلوم كردد والوزن والزنة سنجيدن تا مقدار
موزون معلوم شود اى واذا كالوا للناس اووزنوا لهم المبيع ونحوه وبالفارسية وچون مى پيمايند براى ناس
ويامى سنجند حقوق ايشانرا بحذف الجار واوصل الفعل كما قال فى تاج المصادر وزنت فلانا درهما ووزنت
لفلان بمعنى والاصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه ؟لآية انتهى فلفظهم منصوب المحل على المفعولية لا
مرفوعه على التأكيد للواو لان واو الجمع اذا اتصل به ضمير المفعول لا يكتب بعده الالف كما فى نصروه ومنه الاية
اذا لم يكتب الالف فى المصحف واذا وقع فى الطرف بان يكون الضمير مرفوعا واقعا للتأكيد حينئذ يكتب بعده
الالف لان المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول واما نحو شاربوا الماء فالاكثر على حذف الالف لقلة اتصال
واو الجمع بالاسم هذا ان قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الاصل فى امثاله اثباته فى المصحف فلا يعدل
عنه (يخسرون) اى ينقصون حقوقهم مع ان وضع الكيل والوزن انما هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان
واخسره يعنى كم كردومى كاست ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال
فى صورة الاستيفاء بان لم يقل اذا اكتالوا على الناس اواتزنوا لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان
تمكنهم منه عند الكيل والوزن كما قال فى الكشاف كان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل
دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون ويحتالون فى الملء واذا اعطوا كالوا
اووزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا انتهى ويؤيده الاقتصار على التطفيف فى الكيل فى الحديث
المذكور سابقا وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ
والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى قال ابو عثمان رحمه الله حقيقة هذه الاية عندى هو من يحسن
العبادة على رؤية الناس ويسيء اذا خلا وفى التأويلات النجمية يشير الى المقصرين فى الطاعة والعبادة الطالبين
كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال ارزاقهم بالتمام ويكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص
والخسران ذلك هو الخسران المبين وقال القاشانى يشير الى التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل
والموزونات به هى الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات انفسهم متفضلين على الناس
يستوفون اى يكثرونها ويريدون على حقوقهم فى اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثارا مما لهم عجبا وتكبرا
واذا اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروا واستصغروها ولم يراعوا العدالة فى الحالين لرعونة انفسهم
ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يقول الفقير فيه اشارة الى حال النفس القاصرة
فى التوحيد الحقيقى فانها اذا اعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه على انه لا يدخل فى الميزان اذ لا مقابل له
فمن ادخله فى الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه ايضا واما التوحيد الرسمى فهى تستوفيه من الروح لانه حقها

ولاعجب سواء (آلا يظن) آيا نمى پندارند (اولئك) المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله آلا ليست هى التى للتنبيه لان مابعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفى لان آلا التنبيهية اذا حذفت لا يختل المعنى نحو آلا انهم لفى سكرتهم يعمهون واذا حذفت الاهذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الانكارية داخلة على لا النافية وجوز ان تكون للعرض والتخصيص على الظن (انهم مبعوثون ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم مافيه من الاهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا فى حد الشك والوهم لا يتجاسر على امثال هاتيك القبايح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة فى المنع عن التطفيف والاقدام من لا يكتفى بالظن فى امر البعث والمحاسبة بل لابد من الاعتقاد الجازم (يوم يقوم الناس) منصوب باضمار اعنى (لرب العالمين) بتقدير المضاف اى لجزاء امره وحكمه بذلك لا لشئ آخر او لمحاسبة رب العالمين فيظهر هنالك تطفيفهم ومجازاتهم او يقومون من قبورهم لرب العالمين ارواحهم الى اجسادهم روى انهم يقومون بين يدى الله تعالى اربعين عاما وفى رواية ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وعرق احدهم الى انصاف اذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بامر وآن مقام هيبت باشد كه كس را زهرة سخن نباشد ثم يخاطبون يعنى از مقام هيبت بمقام محاسبه آرند واما فى حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة وفى تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوى لكونه مملوكا مسخرا فى قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لان مقتضى التربية ان لا يضيع لاحد شيأ من الحقوق وفى هذه التشديدات اشارة الى ان التطفيف وان كان يتعلق بشئ حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ الى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا اى برفع الصوت وامتنع من قراءة مابعده من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال اعرابى لعبد الملك بن مروان انك قد سمعت ماقال تعالى فى المطففين واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ووزن (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وان كان بمعنى حقا فلا لكونه حينئذ متصلا بما بعده (ان كتاب الفجار لفى سجين) تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس او على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كخاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف واصله فعيل من السجن مبالغة الساجن اولانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته اذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما ان كتاب الابرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون والمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ماكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدقون فيه قبايح اعمال المذكورين وفى التأويلات النجمية اى كتاب استعدادهم الفطرى مكتوب فى ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه (وما ادراك ما سجين) تهويل لامره اى هو بحيث لا يبلغه دراية احد (كتاب مرقوم) قال الراغب الرقم الخط الغليظ وقيل هو تبيين الكتاب وقوله كتاب مرقوم حل على الوجهين انتهى اى هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على مافيه بلادقة نظر وامعان توجه او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه لاهاليه اى ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لانه مقام التهويل وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسيرا لسجين بل هو خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما ادراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال القاشانى ان كتاب الفجار اى ماكتب من اعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفى سجين فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحمون على بطونهم كالسلاحف والحيات والعقارب اذلالا واخساء فى أسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله كتاب مرقوم اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم (ويل)

عظيم (يومئذ) اى يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم اى يوم [illegible]
ذلك الكتاب (للمكذبين) وقال الكاشفى ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعنى عذاب وعقاب وشدت ومحنت
دران روز مر مكذبان راست (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق
الخبيث لان تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله ألا يظن اولئك الخ قال بعض اهل الاشارة المكذبون بالحق
وآياته هم ارباب النفوس الذين اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن الحق ودينه الذى هو دين الاسلام وكل يجازى
بحسب دينه فمن لا دين له فجزآؤه سوء الجزآء والويل العظيم ومن له دين فجزآؤه حسن الجزآء ورؤية الوجه الكريم
فعليك بالتصديق (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن حدود النظر والاعتبار قال فى التقليد حتى استقر
قدرة الله على الاعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما (اثيم) كثير الاثم
اى منهمك فى الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما ورآءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها
فالاعتدآء دل على اهمال القوة النظرية التى كمالها ان يعرف الانسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال
مثل العلم والارادة والقدرة ونحوها والاثم دل على اهمال القوة العملية التى كمالها ان يعرف الانسان الخير لاجل
العمل به (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه
(اساطير الاولين) اى هى حكايات الاولين واخبارهم الباطلة قال فى فتح الرحمن هى الحكايات التى سطرت قديما
وهى جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر وهى الحديث الذى لا نظام له (كلا) ردع للمعتدى عن ذلك القول
الباطل وتكذيب له فيه ويجوز ان يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول (بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون) قرأ حفص عن عاصم بل باظهار اللام مع سكتة عليها خفية بدون القطع ويبتدى ران وقرأ الباقون
بادغام اللام فى الراء ومنهم حمزة والكسائى وخلف وابو بكر عن عاصم يميلون فتحة الرآء قال بعض المفسرين
هرب حفص عن اجتماع ثقلتى الرآء المفخمة والادغام انتهى ويرد عليه قل رب فانه لا سكتة فيه بل هو بادغام احد
المتقاربين فى الآخر فالوجه انه انما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية
البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصولة والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى
ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه
من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرءآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام
ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سودآء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين صدا يعلو الشئ
الجلى والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب وكل ما غلبك رانك وبك وعليك كما فى القاموس
وران فيه النوم رسخ فيه وفى التعريفات الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات
النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث يحجب عن انوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين
وهو الصدأ فان الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لبقاء الايمان معه والرين هو الحجاب الكثيف
الحائل بين القلب والايمان ولهذا قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع ان يطبع
على القلب والاقفال ان يقفل عليه قيل الاقفال اشد من الطبع كما ان الطبع اشد من الرين قال القاشانى فى الاية اى
صار صدا عليها بالرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه
تحقق عنده الحجاب واتغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه قال ابو سليمان الدارانى قدس سره الران والقسوة هما
زماما الغفلة فمن تيقظ وتذكر امن من القسوة والرين ودوآؤهما ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك
الادام وقال بعض الكبار القلب مرءآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ ابدا وان اطلق عليها الصدأ فى نحو حديث
ان القلوب لتصدا كما يصدأ الحديد وان جلاءها ذكر الله وتلاوة القرءآن فليس المراد بذلك الصدأ انه طخاء طلع
على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الاسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب
مانعا من تجلى الحق اليه اذ الحضرة الالهية متجلية على الدوام لا يتصور فى حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها
هذا القلب من جهة الخطاب الشرعى المحمود وقبل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ والكن والقفل وغير ذلك
وقد نبه الله على ذلك فى قوله وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فهى فى اكنة مما يدعوها الرسول اليه خاصة
لا انها فى كن مطلقا فلما تعلقت بغير ما تدعى اليه عميت عن ادراك ما دعيت اليه فلم تبصر شيأ فالقلوب ابدا لم تزل

مفطورة على الجلاء مصقولة صافية (قال المولى الجامى) مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست *
با او بكوكه ديدة جانرا جلى كند (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرآئن اى الموقع فى الرين (انهم) اى المكذبين
(عن ربهم) وهو وقوله (يومئذ) اى يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله (لمحجوبون) فلا يرونه لانهم
باكسابهم القبيحة صارت مرءآة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها الى قوالبهم فلم يبق محل لنور التجلى
بخلاف المؤمنين فانهم يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرآئى قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور
الصقالة والصفوة منها الى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلى فى قلوبهم وقوالبهم وصاروا وجوها من
جميع الجهات كوجود الوجه الباقى بل ابصارا بالكلية سئل مالك بن انس رحمه الله عن هذه الآية فقال لما حجب
اعداءه فلم يروه لابد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه يعنى احتج الامام مالك بهذه الآية على مسئلة الرؤية من جهة
دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك * آنكاه درميان دوست ودشمن فرق نماند
كويى ببهشت ميهمانيست * بى ديدن ميزبان چه باشد * چون دشمن ودوست راچه باشد * پس فرق دران ميان
چه باشد وعن الشافعى رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال شيخ الاسلام عبد
الله الانصارى رحمه الله لمحجوبون عن رؤية الرضى فان الشقى يراه غضبان حين يتجلى فى المحشر قبل دخول
الناس الجنة وقال حسين بن الفضل رحمه الله كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته فالموحد
غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم فى العاجل وما سبق لهم من الشقاوة
فى الازل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فابعدوا وحجبوا والحجاب هو الغاية فى البعد والطرد وقال ابن
عطاء رحمه الله الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب ابعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه ابدا وحجاب الابعاد يؤدب ثم
يقرب كآدم عليه السلام وقال القاشانى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع
عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا اذ لو روق او صعد لما رجع الى الطبيعة المائية المبردة
لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب
وفى المفردات الحجب المنع عن الوصول والآية اشارة الى منع السور عنهم بالاشارة الى قوله فضرب بينهم بسور
اى بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة الى اهل النار واذية اهل النار الى اهل الجنة وقال صاحب الكشاف كونهم
محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب
عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذى مهابة رجبوا * والناس ما بين مرجوب ومحجوب
انتهى اى ما بين معظم ومهان وانما جعله تمثيلا لا كناية اذ لا يمكن ارادة المعنى الحقيقى على زعمه من حيث
انه معتزلى قال بعض المفسرين جعل الآية تمثيلا عدول عن الظاهر وهو مكشوف فان ظاهر قولهم
هو محجوب عن الامير يفيد انه ممنوع عن رؤيته وهو اكبر سبب الاهانة وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنه
لمحجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فان المحجوب عن الرؤية ممنوع
عن معظم الرحمة والكرامة فالاية من جملة ادلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله
ولقائه (ثم انهم) مع كونهم محجوبين عن رؤية الله (لصالوا الجحيم) اى داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل
اصله صالون حذفت نونه بالاضافة وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من الحجاب والاهانة والحرمان من الرحمة
والكرامة فان الحجاب وان كان من قبيل العذاب الروحانى وهو اشد من العذاب الجسمانى لكن مجرد النجاة
من النار اهون من العذاب لان فى العذاب الحسى حصول العذابين كما لا يخفى (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا
من جهة الزبانية وانما طوى ذكرهم لان المقصود ذكر القول لا القائل مع ان فيه تعميما لاحتمال القائل وبه يشتد
الخوف (هذا) العذاب وهو مبتدأ خبره قوله (الذى كنتم) فى الدنيا (به) متعلق بقوله (تكذبون) فذوقوه وتقديمه
لرعاية الفاصلة لا للحصر فانهم كانوا يكذبون احكاما كثيرة (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر
(ان كتاب الابرار) اى الاعمال المكتوبة لهم على ان الكتاب مصدر مضاف الى مقدر (لفى عليين) لفى ديوان جامع
لجميع اعمال الابرار فعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع
على على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة واما لانه
مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد

فيستقلونه فاذا انتهوا الى ماشاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على
وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها تصعد بمثل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ماشاء
اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص فى عمله فاجعلوه فى سجين وفيه اشارة الى
ان الحفظة لا يطلعون على الاخلاص والرياء الا باطلاع الله تعالى (وما ادراك ما عليون) اى هو خارج عن دائرة
دراية الخلق (كتاب مرقوم) اى هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف او معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه
وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى وما كان عليون علما منقولا من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم واعرب
باعراب الجمع حيث جرا ولا بنى ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه فى صورة الجمع لقبيل اسم مفرد على لفظه الجمع
كعشرين وامثاله فليس له واحد (يشهده) الملائكة (المقربون) عند الله قربة الكرامة اى يحضرونه ويحفظونه
من الضياع وفى فتح الرحمن هم سبعة املاك من مقربى السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد
به الى ما يشاء الله ويكون هذا فى كل يوم او يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤس الاشهاد وبه تبين سر تلك الظاهر
بان يقال طوبى يومئذ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذ للمكذبين لان الاخبار بحضور الملائكة تعظيما واجلالا
يفيد ذلك مع زيادة فخم كل واحد بما يصلح سواه مكانه وقال القاشانى ما كتب من صور اعمال السعداء وهيئات
نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل لسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان اعمال
اهل الخير كما قال كتاب مرقوم اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى او عنصرى انسانى يحضر ذلك
المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) اى السعداء الاتقياء عن درن صفات النفوس
(لفى نعيم) ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله (على الارائك) اى على الاسرة فى الحجال يعنى
برتختهاى آراسته ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس
يزين بالثياب والاسرة والستور (ينظرون) اى الى ما شاؤا مما تشتهيه انفسهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم
الله من النعمة والكرامة يعنى مى نگرند بچيزها كه ازان شادمان وفرحناك ميكردند از صور حسنه
ومنتزهات بهيه وكذا الى اعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك للطافتها وشفوفها
اى رقتها فحذف المفعول للتعميم وقوله على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوى
فى الخبر او فى الفاعل فى ينظرون والتقديم لرعاية فواصل الآى واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون
حالا اما من المنوى فى الخبر او فى الظرف اى ناظرين قال ابن عطاء رحمه الله على ارائك المعرفة ينظرون
الى المعروف وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤف وفيه اشارة الى ان ارباب المقامات العالية ينظرون الى جميع
مراتب الوجود لا يحجبهم شئ عن المطالعة بخلاف الاغيار فانهم محجوبون عن مطالعة احوال اهل الملكوت
ورمز الى ان لكل من اهل الدرجات روضة مخصوصة من الاسماء والصفات فمنها ينظرون فمنهم عال واعلى وليس
الاشراف على الكل الا لاشرف الاشراف وهو قطب الاقطاب (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) وهو ثانى
الاوصاف اى بهجة التنعم وماءه ورونقه اى اذا رأيتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما يرى فى وجوههم
من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى فى وجوه الاغنياء واهل الترفه فمن هذا اختير تعرف
على ترى مع ان المعرفة تتعلق بالخفيات غالبا والرؤية بالجليات غالبا والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب
للايذان بان مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية رائى دون رائى قال جعفر رضى الله
عنه يعنى لذة النظر تتلألأ مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا من زيارة الله الى اوطانهم وقال بعضهم تعرف
فى وجوههم رضى محبوبهم عنهم (يسقون من رحيق) وهو ثالث الاوصاف وسقى يتعدى الى مفعولين
والاول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثانى من رحيق لان من تبعيضية كانه قيل يسقون بعض رحيق او مقدر معلوم
اى شرابا كائنا من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدائية والرحيق صافى الخمر وخالصها والمعنى يسقون فى الجنة من شراب
خالص لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شئ يفسده وايضا صاف عن كدورة الخمار وتغير النكهة وايراث
الصداع (مختوم ختامه) اى ما يختم ويطبع به (مسك) وهو طيب معروف اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك
مكان الطين قال فى كشف الاسرار ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخاتم امر الله بالختم عليه اكراما لاصحابه
فختم ومنع ان يمسه ماس او تتناوله يد الى ان يفك ختمه الابرار والاظهر انه تمثيل لكمال نفاسته اذ الشئ النفيس

يختم لا سيما اذا كان ما يختم به المسك لمكان الطين وقيل ختام الشئ خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك ان الشارب اذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك او وجد رائحة المسك لكونه ممزوجا به كالاشربة المسكة في الدنيا فانه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لا في اول زمان الملابسة بالشرب وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان الرحيق شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولوان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيب ريحه (وفي ذلك) الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء او فيما ذكر من احوالهم لا في الاموال غيرهم من اهل الشمال (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعني عمل بجاى آرند كه سبب استحقاق شرب ان كردند والامر للتخصيص والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب في الشئ النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به واصله من النفس لعزتها وقال البغوى اصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه ويضن به على غيره اى يبخل وفي المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذو النون المصرى رحمه الله علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر في كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم لعين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة قدرا فيكون من علو المكانة واما لانها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى في الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم فاذا امتلأت امسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء (عينا) نصب على المدح والاختصاص اى بتقدير اعنى (يشرب بها المقربون) من جناب الله قربا معنويا روحانيا اى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وهم اصحاب اليمين فالباء مزيدة او بمعنى من وفيه اشارة الى ان التسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر الى الله واخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون افضل من الابرار كما ان التسنيم اعلى واحلى من الرحيق يعنى چون مقربان مشغول بما سوى نشده اند يعنى محبت حق را بمحبت غير نيامخته اند شراب ايشان صرفست وآنها كه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد * ماشراب عيش ميخواهيم بى دردى غم * صاف نوشند يكرو دردى فروشان ديكرند وقال بعضهم تسنيم رهى وصف جمال توبسست * وزهرد وجهان وراوصال توبسست * اند ردل هركسى دكر مقصوديست مقصود دل رهى خيال توبسست * ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص از كدورات خمار كونين واوانى مختومة وى قلوب اوليا واصفيا كه ختام او مسك محبت است لا يشرب من تلك الاوانى الا الطالبون الصادقون في طريق السلوك الى الله (على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم) وتسنيم اعلاى مراتب محبت است يعنى محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وافعال ومقربان اهل فنا في الله وبقا بالله اند كما قال العارف في خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الانسان وبريقها وبالضم هو الجور اى فان شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه ان لم تقدر على شربها صرفا ولا تعدل فان العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم وتا كسى بر بساط قرب در مجلس انس ورياض قدس از دست ساقى عرضا جرعة از ين شراب ناب نچشد بوئى از سراين سخنان بمشام جان وى نرسد * سرمايه ذوق دو جهان مستى عشقست * آنها كه از ين مى نچشيدند چه دانند (ان الذين اجرموا) كانوا ذوى جرم وذنب ولا ذنب اكبر من الكفر واذى المؤمنين لا سيما انهم فالمراد بهم روساء قريش واكابر المجرمين المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وامثالهم (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا) ايمانا صادقا (يضحكون) اى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل (واذا مروا) اى فقراء المؤمنين (بهم) اى بالمشركين

وهم فى انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا يقال مر مرا ومرورا جاز وذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه كما فى القاموس قال فى تاج المصادر المر بكذشتن بكسى ويعدى بالباء وعلى (يتغامزون) اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات وامر البعث والجزآء لا يقين به وانه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون بمعنى العيب ايضا وفى التاج التغامز يكديكررا بچشم اشارت كردن (واذا انقلبوا) من مجالسهم (الى اهلهم) الى اهل بيتهم واصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع (انقلبوا) حال كونهم (فكهين) متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذ بالتغامز (واذا رأوهم) اى المجرمون المؤمنين اينما كانوا (قالوا) مشيرين الى المؤمنين بالتحقير (ان هؤلاء لضالون) اى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وقالوا تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا فى الدين الحادث او قالوا تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا وهذا كما ان بعض غفلة العلماء ينسبون الفقرآء السالكين الى الضلال والجنون خصوصا اذ كان اهل السلوك من اهل المدرسة فانهم يضللونه اكثر من تضليل غيره * منعم كنى زعشق وى اى زاهد زمان * معذور دارمت كه تو اورا نديدهٔ (وما ارسلوا) اى المجرمون (عليهم) اى على المسلمين (حافظين) حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم امورهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل نقلا له بالمعنى (فاليوم الذين آمنوا) اى المعهودون من الفقرآء (من الكفار) المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه قال فى بعض التفاسير لعل الفاء جواب شرط مقدر كانه قيل اذا عرفتم ما ذكر فاعلموا ان اليوم اى يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله يضحكون وحرام للوهم ان يتوهم كونه بيانا للموصول نظرا الى ظاهر الاتصال من غير تفكر فى المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهو ناصب اليوم لصحة المعنى (على الارآئك) بر تختهاى آراسته بادر وياقوت (ينظرون) اى يضحكون منهم حال كونهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) كلام مستأنف من قبل الله او من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضى لتحققه والتثويب والاثابة المجازاة استعمل فى المكافاة بالشر قال الراغب الاثابة تستعمل فى المحبوب نحو فاثابهم الله بما قالوا جنات وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فاثابكم غما بغم على الاستعارة والتثويب فى القرآن لم يجئ الا فى المكروه نحو هل ثوب الخ انتهى وفى تاج المصادر التثويب پاداش دادن وفى تهذيب المصادر التثويب ثواب دادن وفى القاموس التثويب التعويض انتهى وهو الموافق لما فى التاج والمراد بما كانوا يفعلون استهزآؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح فى ان ضحك المؤمنين منهم فى الآخرة انما هو جزآء لضحك الكافرين منهم فى الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بانه سينقلب الحال ويكون الكفار مضحوكا منهم وتعظيم لهم فان اهانة الاعدآء تعظيم للاولياء والله ينتقم لاوليائه من اعدآئهم فانه يغضب لاوليائه كما يغضب الليث الجرى لجروه ومن الله العصمة وعلم منه ان الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة

تمت سورة المطففين بعون المعين فى السادس والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) اعرابه كاعراب اذا السماء انفطرت اى انفتحت بغمام ابيض يخرج منها كقوله تعالى ويوم

تشقق

تشقق السماء بالغمام والباء للآلة كما فى قوله انبتت الارض بالنبات وفى ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف الاعمال اوفيه ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالاوامر الالهية وقيل للسقوط والانتقاض وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهى فى قبضة قهر ما اقل من خردلة ولا مانع من جميع هذه الاقوال فانها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول امرها الى الفساد والاختلال وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة وهى بفتح الميم باب السماء اى البياض المستطيل فى وسط السماء سميت بذلك لانها كانرا المجر ويقال لها بالفارسية پاه ساجيان وكهكشان تنشق السماء من ذلك الموضع كانه فمها ملتئم فتصدع منه (واذنت لربها) واستمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعنى اذا اطلق الاذن وهو الاستماع فى حق من له حاسة السمع والاستماع يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق فى حق نحو السماء مما ليس فى شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية فقوله اتينا طائعين يدل على نفوذ القدرة فى الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا وقوله واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى التفريق والاعدام من غير ممانعة اصلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند ارباب الحقائق محمول على ان لها حياة وادراكا كسائر الحيوانات اذ ما من شئ الا وله نصيب من تجلى الاسم الحى وقد سبق مرارا (وحقت) من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد اذ هى مربوبة ومصنوعة له تعالى اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور وبالفارسية وخود آنرا چنين سزد فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررة لما قبلها الا معطوفة عليه (واذا الارض مدت) اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء اوزيدت سعة وبسطة من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ لوقوف الخلائق عليها للحساب والا لم تسعهم من مده يمده اى زاده وفى الحديث اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها قوله مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفى بعض الروايات مد الاديم العكاظى قال فى القاموس هو كغراب سوق بمحر آء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون اى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى انتهى (والقت مافيها) اى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز الى ظاهرها كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وهو من الاسناد المجازى والا فالالقاء والاخراج لله تعالى حقيقة فان قلت اخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجازا لانه من اشراطه الكبرى فيكون اخراج الكنوز عند قرب الساعة واخراج الموتى عند البعث (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كانها تكلفت فى ذلك اقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (واذنت لربها) وانقادت له فى الالقاء والتخلى (وحقت) اى وهى حقيقية بذلك اى شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثانى بالارض واذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الاخر لم يكن تكرارا وجواب اذا محذوف اى اذا وقعت هذه الامور كان من الاهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفى تفسير الكاشفى جواب اذا آنست كه به بيند انسان ثواب وعقاب را وفيه اشارة الى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها وبسط ارض البدن بنزع الروح عنها والقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الاثار والاعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح وفى التأويلات النجمية يشير الى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الامارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير اباء وامتناع والى بسط ارض النفوس البشرية لاربابها وتخليها عن احكام البشرية (يا ايها الانسان) جنس الانسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصى فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا ابلغ من العموم لانه يقوم مقام التنصيص فى النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كانه قيل يا فلان ويا فلان الى غير ذلك (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح جهد النفس فى العمل

والكدفيه بحيث يؤثرفيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة [illegible] الشديد في العمل وطلب الكسب
من كدح جلده اذا خدشه والمعنى انك جاهد ومجد اى ساع باجتهاد [illegible] الى لقاء ربك اى الى وقت لقائه
وهو الموت وما بعده من الاحوال الممثلة باللقاء مبالغ فى ذلك وفى [illegible] قالوا يا رسول الله فيم نكدح وقد جفت
الاقلام ومضت المقادير فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فملاقيه) فملاق له اى لجزاء عملك من خير وشر عقيب
ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه ولا مفر لك منه ويقال انك عامل لربك عملا فملاق عملك يوم القيامة يعنى
ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال فى الدنيا هو فى الحقيقة سعى الى لقاء جزائها فى العقبى فملاق ذلك الجزاء
لا محالة فعليك ان تباشر فى الدنيا بما ينجيك فى العقبى واحذر عما يهلكك فيها ويوقعك فى الخجالة والافتضاح
من سوء المعاملة وفى الحديث النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم الى ما اسلف
وقال القاشانى انك ساع بالموت اى تسير مع انفاسك سريعا كما قيل انفاسك خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب
وفى التأويلات النجمية يشير الى الانسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده فى التحقق بالاسماء الالهية
والصفات اللاهوتية فهو ملاقى ما يكدح ويجتهد بحسب استعداده الفطرى (فاما من) وهو المؤمن السعيد
ومن موصولة وهو تفصيل لما اجمل فيما قبله (اوتى) اى يؤتى والماضى لتحققه (كتابه) المكتوب فيه اعماله
التى كدح فى كسبها (بيمينه) لكون كدحه بالسعى فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة فى الكتاب ان المكلف اذا علم
ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد
على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه (فسوف) پس زود بود كه (يحاسب) يوم القيامة
بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة (حسابا يسيرا) سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوءه ويشق عليه
كما يناقش اصحاب الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية با كسى شمار كردن والمراد عد اعمال العباد
واظهارها للمجازاة وعن الصديقة رضى الله عنها هو اى الحساب اليسير ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعنى
ان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية
فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة
عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان
شوى شرمسار * بجاى كه دهشت خورد انبيا * تو عذر كنه را چه دارى بيا * ولذا قال عليه
السلام من نوقش فى الحساب فقد هلك اى دخل النار مع الداخلين وفى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى هو مثل
عرض الجيش اعنى عرض الاعمال لانها زى اهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا
بزيهم قالوا ان عصاة المؤمنين داخلة فى هذا القسم فقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل
بوصف البعض اى فالعصاة وان لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة الى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة
الى مناقشة اصحاب الشمال فاصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم
من النار وقيل يجوز ان يعطوا من الشمال لا من وراء ظهورهم وفيه ان الاعطاء من الشمال ومن وراء الظهر
امر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام فى بعض صلاته
اللهم حاسبنى حسابا يسيرا وان دل على ان للانبياء كتابا لكن الظاهر ارشاد الامة وتعليمهم والا فهم معصومون
داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب (وينقلب) اى يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير (الى اهله)
اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين هم رفقاؤه فى طريق السعادة والكرامة (مسرورا) مبتهجا بحاله وكونه
من اهل النجاة قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه فهذا الانقلاب يكون فى المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال فى عين المعانى
من انه يدل على ان اهله يدخلون الجنة قبله وفيه اشارة الى كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل
بقلم كتبة الاسماء الجمالية فان من اوتيه لا تناقشه الاسماء الجلالية وينقلب الى اهله مسرورا بفيض تجلى جماله
ولطفه (واما من اوتى كتابه) تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالاضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم
فى المآل اى يؤتى كتاب عمله (وراء ظهره) اى بشماله من وراء ظهره وجانبه ظرف لاوتى مستعمل فى المكان
وقال الكلبى يغل يمينه ثم تلوى يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله وهى خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا
وبين ما فى الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه

بشماله

بشماله و بعضهم من وراء ظهره وفى تفسير الفاتحة للقنارى رحمه الله واما من اوتى كتابه بشماله وهو المنافق فان الكافر لا كتاب له اى لان كفره يكفيه فى المؤاخذة فلا حاجة الى الكتاب من حيث انهم ليسوا بمكلفين بالفروع واما من اوتى كتابه وراء ظهره فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك اى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور وقال ابو الليث فى البستان اختلف الناس فى الكفار هل يكون عليهم حفظة او لا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان امرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والاية تزلت بذكر الحفظة فى شأن الكفار الا ترى الى قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال فى آية اخرى واما من اوتى كتابه بشماله واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فان قيل فالذى يكتب عن يمينه لذا اى شئ يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب (فسوف يدعو) پس زود باشد كه بخواند اى بعد مدة منتهية الى عذاب شديد لا يطاق عليه (ثبورا) اى يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك ويدعو ميا ثبوراه تعال فهذا اوانك وأنى لك ذلك يعنى لما كان ايتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من اهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفراء تقول العرب فلان يدعو ويله اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهو المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قال فى كشف الاسرار پيربوعلى سياه وقتى در بازار ميرفت سائلى ميگفت بحق روز بزرك كه مرا چيزى بدهيد پيراز هوش برفت چون بهوش باز آمد او را گفتند اى شيخ ترا اين ساعت چه روى نمود گفت هيبت وعظمت آن روز بزرك آنكه گفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعنى واندوها آن اندوهى واحسرتا آن بى حسرتى (ويصلى سعيرا) اى يدخلها ويقاسى حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على ان دعاءهم بالثبور قبل الصلى وبه صرح الامام واما قوله تعالى فاذا القوا منها مكانا ضيقا دعوا هنالك ثبورا فيدل على انه بعده ولا منافاة فى الجمع فانهم يدعونه اولا وآخرا بل دأبهم على ان الواو لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه اشارة الى صاحب كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجلالية فانه يتمنى ان يكون فى الدنيا فانيا فى الحق وهالكا عن انانيته وانيته ويصلى نار الرياضة والمجاهدة ووراء ظهره من الجزاء الوفاق لانه خالف امر ربه فى قوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الاحوال فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى وهو اسم جامع لكل برمن اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وقال القاشانى واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانى والجسد فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بان رد الى الظلمات فى صور الحيوانات فسوف يدعو ثبور الكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب الابد ويصلى سعير نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه) اى لان فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها (كان) فى الدنيا (فى اهله) فيما بين اهله وعشيرته او معهم على انهم جميعا كانوا مسرورين كما يقال جاء فلان فى جماعة اى معهم (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا يعنى شاد ان ونازان بمال فانى وجاه ناپايدار ومحجوب از منعم بنعم كديدن نعمار الذين لا يخطر ببالهم امور الاخرة ولا يتفكرون فى العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين والحاصل انه كان للكافر فى الدنيا فارغا عن هم الاخرة وكان له مزمار فى قلبه فجوزى بالتم اليا فى يضلاف المؤمن فانه كان له ناياحة فى قلبه فجوزى بالسرور الدائم وفيه اشارة ايضا الى الروح العلوى الذى يؤتى كتابه بيمينه والى النفس السفلية التى تؤتى كتابها من وراء ظهرها واهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية (انه ظن) تيقن كما فى تفسير الفاتحة للقنارى وقال فى فتح الرحمن الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذى بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره فى الدنيا اى ان هذا الكافر ظن فى الدنيا (ان) اى ان الامر والشأن فهى مخففة من الثقيلة سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف

المعروف (لن يحور) لن يرجع الى الله تكذيبا للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حورى حورى اى ارجعى وحر الى اهلك اى ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع عن حالة جميلة والحوارى القصار لرجعه الثوب الى البياض (بلى) ايجاب لما بعد لن اى بلى ليحورن البتة وليس الامر كما يظن (ان ربه) الذى خلقه (كان به) وباعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله (بصيرا) بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما اذ لا يجوز فى حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصى كلها وقال الواسطى رحمه الله كان بصيرا به اذ خلقه لماذا خلقه ولاى شئ اوجده وما قدر عليه من السعادة والشقاوة وما كتب له وعليه من اجله ورزقه (فلا) كلمة صلة للتوكيد كما مر مرارا (اقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب بعد الغروب وبغيبوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند عامة العلماء او البياض الذى يليها ولا يدخل وقت العشاء الا بزواله وجمعى بر آنندكه آن بياض اصلا غائب نمى شود بلكه متردد ست از افقى بافقى وقد سبق تحقيق المقام فى المزمل وهى احدى روايتين عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويروى انه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتى بالاول الذى هو قول الامامين وغيرهما سمى به يعنى على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض اكثر وهو من الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ولا شك ان الشمس اعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم وفى المفردات الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس قال القاشانى فلا اقسم بالشفق اى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروبها واحتجابها فى افق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها وفى التأويلات النجمية يشير الى ان الله تعالى اقسم بالشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لان الشفق حقيقة برزخية بين سواد ليل الوحدة وبياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعا لحكم الوحدة والكثرة فحق له ان يقسم به وانما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الاشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات فى حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله وجعلنا الليل لباسا لاستتار الاشياء بظلمته وجعلنا النهار معاشا مظهر الكثرة لظهور الاشياء فيه ولاشتمال المعاش على الامور الكثيرة. (والليل وما وسق) قال الراغب الوسق جمع المتفرق اى واقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعنى ان كلا منهما مطاوع لوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك انه اذا اقبل الليل اقبل كل شئ الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار وقيل يجوز ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يقسم بهم قال القاشانى اى ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بليل النفس المطمئنة المستترة بغلسية النفس الامارة بعد الوصول الى المقام المأمول وانما صارت مطمئنة من الرجوع الى حكم النفس الامارة وبقى لها التلوين فى التمكين من اوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا امرت بالرجوع الى ربها بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك وليس المقصود الذاتى من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلى هو الاتصال بالمرجوع اليه قوله وما وسق اى وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الامارة (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم بدرا لليلة اربع عشرة وفى فتح الرحمن امتلأ فى الليالى البيض يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال فى القاموس وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه والليل وما وسق واتسق انتظم انتهى اقسم الله بهذه الاشياء لان فى كل منها تحولا من حال الى حال فناسبت المقسم عليها يعنى ان الله تعالى اقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير

احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا قال القاشاني اى نور القلب الصافي عن خسوف النفس اذا اجتمع وتم نوره وصار كاملا وفي التأويلات النجمية يشير الى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته وبدريته (لتركبن طبقا) مفعول تركبن (عن طبق) اى لتلاقن حالا بعد حال يعني برسيدن ومتلاقى شويد حالى را بعد از حالى كه كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة يقال ماهذا يطبق هذا اى لايطابقه قال الراغب المطابقة من الاسماء المتضايفة وهو ان يجعل الشئ فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل ثم يستعمل الطباق في الشئ الذى يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره اخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الاوفق للتركيب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها الى حين المستقر في احدى الدارين وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا الطبق او حال من الضمير في لتركبن طبقا اى مجاوزين لطبق او مجاوزا على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى وقال ابن الشيخ عن هنا بمعنى بعد لان الانسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح انه يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابها للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر وفي التأويلات النجمية يخاطب القلب الانساني المتوجه الى الله بانواع الرياضات واصناف المجاهدات والتقلبات في الاحوال المطابقة كل واحدة منها الاخرى في الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وامثال ذلك (فمالهم لايؤمنون) اى اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وفيه اشارة الى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم ايمانهم بالقلب وامتثالهم امره باتباع احكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ماقبلها اى اى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبي عليه السلام او واحد من اصحابه وامته القرآن فانهم من اهل اللسان فيجب عليهم ان يجزموا باعجاز القرآن عند سماعه وبكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوى النبوة فيطيعوه في جميع الاوامر والنواهي ويجوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روى انه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر استهزاء وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة فان الذم على ترك الشئ يدل على وجوب ذلك وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهى الثالثة عشرة من اربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عندنا تمتنا على التالى والسامع سواء قصده اولا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس في المفصل سجدة وكذا قال الحسن هى غير واجبة ثم ان الائمة الثلاثة يسجدون عند قوله لايسجدون والامام مالك عند آخر السورة وفي التأويلات النجمية واذا قرئ على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الالهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لايخضعون ولا ينقادون لاستماعها وامتثال اوامرها واتتمار احكامها (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لايخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن وفي البروج في تكذيب لانه رأى في السورتين فواصل الآى مع صحة اللفظ وجودة المعنى وفي بعض التفاسير الظاهر ان المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو اضراب ترقى فان عدم الايمان يكون بالشك ايضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الانكار الحاملة على الاضراب (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرونه في قلوبهم ويجمعونه في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة فما موصولة يقال اوعيت الشئ اى جعلته في وعاء اى ظرف ثم استعير هو والوعى لمعنى الحفظ او بما يجمعونه في صحفهم من اعمال السوء ويدخرونه لانفسهم من انواع العذاب عما فعليا تفصيليا قال القاشاني بما يوعونه في وعاء انفسهم وبواطنهم من

الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال نجم الدين من اغراقهم في بحر الشهوات الدنيوية واحراقهم بنيران العذاب الاخروية (فبشرهم) اى الذين كفروا (بعذاب اليم) مؤلم غاية الايلام لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزآء بهم وتهكم كما قال تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبركن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى (الا الذين) استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم اى لكن الذين (آمنوا) ايمانا صادقا وايضا الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس (وعملوا الصالحات) من الطاعات المأمور بها وايضا باكتساب الفضائل (لهم) فى الآخرة (اجر غير ممنون) اى غير مقطوع بل متصل دآئم من منه منا بمعنى قطعه قطعا او ممنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد من الثانى تحقيق الاجر وان المأجور استحق الاجر بعمله اطاعة لربه وان كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما ان اعطاء القدرة على العمل والهداية اليه من فضله ايضا حسن بصرى قدس سره كفت كسانى را يافتم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدادندى ومنت ننهادند وبوقت خويش چنان بخيل بودند كه يك نفس از روزكار خويش نه به پدر دادندى ونه بفرزند قال القاشانى لهم اجر من ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبرآءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد وفى التأويلات النجمية الا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله لهم اجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته قال بعض العلماء النكتة فى ترتيب السور الثلاث ان فى انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفى المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفى هذه السورة اى الانشقاق ايتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى اعلم

(تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق فى سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف)

سورة البروج ثنتان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء) كل جرم علوى فهو سماء فدخل فيه العرش (ذات البروج) جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك والمراد البروج الاثنا عشر التى فى الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك قال سعدى المفتى لكن المعهود فى لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز ان يراد الفلك الاقرب الينا فالآية كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح انتهى وجوابه ما اشرنا اليه فى عنوان السماء ثم انها شبهت بروج السماء بالقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الامام السهيلى رحمه الله اسماء البروج الحمل وبه يبدأ لان استدارة الافلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبى عليه السلام وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة انجم صغار والغفر يطلع فى ذلك الشهر اول الليل لان وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه والى جنب الجنوبى منهما وفى القاموس والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الاشراط والى الحمل ايضا يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كانها اثافى وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزآء ويقال لها النسر والجبار والتوأمان قال فى القاموس التوأم منزل للجوزآء انتهى وهامة الجوزآء الهقعة وهى ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزآء كالاثافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان بالمهملة ثم الاسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران فى قرنى العقرب كما فى القاموس وبين وركى الاسد ورجليه وهما السماك ككتاب يطلع الغفر الذى به مولد الانبياء عليهم السلام وفيه قالوا

خير المنازل فى الابد * بين الزبانى والاسد

لانه يليه من الاسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وانما تضر بذنبها اذا شالته اى رفعته

وهو البيضة فى المنازل اى ما تشمل العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو منزل للقمر وهو الحوت يحسب فى البروج وفى المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال فى كشف الاسرار واين برجها بر چهار فصل است يك فصل اوان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روز كار صيف است تابستان كرم سه ماه وافتاب اندرين سه ماه در سرطان واسد وسنبله باشد وفصل سوم روز كار خريف است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روز كار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در جدى ودلو وحوت باشد وهر فصلى را طبعى ديكرست وكردش اوديكر يقول الفقير ايده الله القدير الفصل الربيعى عبارة عن ثلاثة اشهر يعبر عن اولها باذار وعن الثانى بنيسان وعن الثالث بايار فاذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الاول استوى الليل والنهار بان يكون كل منهما ثنتى عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من حزيران وهو اول فصل الصيف وبعده تموز ثم اغستوس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ويكون اليوم اطول الايام كما ان الليلة تكون اقصر الليالى ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ما سبق فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من ايلول وهو اول فصل الخريف وبعده تشرين الاول الذى هو اوسط الخريف ثم تشرين الثانى الذى هو آخره استوى الليل والنهار ايضا ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى اذا كان سبعة عشر يوما من كانون الاول هو اول فصل الشتاء وبعده كانون الثانى ثم سباط ينتهى طول الليل بان يكون خمس عشرة ساعة وقصر النهار بان يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود ويدور ابدا الى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل فى النهار اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات الليل ويزيد فى ساعات النهار وذلك اذا مضى من كانون الاول سبعة عشر يوما الى ان يمضى من حزيران هذا العدد وذلك ستة اشهر وهى كانون الاول وكانون الثانى وسباط واذار ونيسان وايار ويولج النهار فى الليل اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات النهار ويزيد فى ساعات الليل وذلك ستة اشهر ايضا وهى حزيران وتموز واغستوس وايلول وتشرين الاول وتشرين الثانى وهذا كله بتقدير العزيز العليم وادارته الاجرام العلوية على نهج مستقيم ويقال المراد بالبروج هى النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج ينبئ عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة اى تشبهت بالبرج فى اظهار المحاسن واما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حسا والبروج الاثنا عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثنى عشر فى كل سنة والقمر فى كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها اظهارا لقدرها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات (واليوم الموعود) اى يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه ايضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتى وهى القيامة الكبرى (وشاهد ومشهود) اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذى تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الا اعاذه منه وفى الحديث اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به لتعظيم امر الحج وعددهم ستمائة الف كما فى كشف الاسرار ويقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصرى رحمه الله ما من يوم

الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة * دريغا كه بگذشت عمر عزيز * بخواهد گذشت اين دمى چند نيز * گذشت آنچه در ناصوابى گذشت * دراين نيز هم در نيابى گذشت * ويقال الشاهد هو الحق من حيث الجمعية والمشهود هو ايضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الاجمال ومن حيث التفصيل لا يراد بالحقيقة احد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله فى هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه (قتل اصحاب الاخدود) جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على انه خبر لا دعاء بمعنى لقد قتل اى اهلك بغضب الله ولعنته والاظهر ان الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا يقع الا عن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار مكة ملعونون كاللعن اصحاب الاخدود وجه الاظهرية ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله بمنزلة اولئك المحذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير انه ليس دعاء على اصحاب الاخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لانه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه فى سورة عبس ونحوها والاخدود الخد فى الارض وهو شق مستطيل كالنهر غامض اى عميق القرار واصل ذلك من خدى الانسان وهما ما اكتنفا الانف عن اليمين والشمال وفى عين المعانى ومنه الخد لمجارى الدموع عليه واصحاب الاخدود كانوا ثلاثة وهم انطيانوس الرومى بالشأم وبخت نصر بفارس ويوسف ذونواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان بن سبأ شق كل واحد منهم شقا عظيما فى الارض كان طوله اربعين ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا وهو الاخدود وملأ وه نارا والقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا والقرء آن انما نزل فى الذين بنجران يعنى ان اصحاب الاخدود هم ذونواس الحميرى اليهودى وجنوده وذلك ان عبدا صالحا يقال له عبد الله بن الثامر وقع الى نجران وكان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذونواس بجنود من حمير فحفر بينهم بين النار واليهودية فابوا فحفر الخنادق واضرم فيها النيران فجعل يلقى فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى احرق نحوا من اثنى عشر الفا او عشرين الفا او سبعين الفا وذونواس اسمه زرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان ايضا يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر اى ذوائب تومن اى تضطرب فسمى ذا نواس روى انه انفلت من اهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد الجبل محترقا بعضه فاتى به ملك الحبشة وكان نصرانيا فقال ان اهل دينك اوقدت لهم نارا فاحرقوا بها واحرقت كتبهم وهذا بعضها فاراه الذى جاء به فتزع لذلك فكتب الى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث اليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا الى ساحل اليمن فخرج اليهم اهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم يرملك حمير له بهم طاقة وتخوف ان يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع فى الحرب فمات فيه او القى نفسه فى البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقى الملك لهم الى وقت الاسلام وقال فى كشف الاسرار واصحاب الاخدود ايشان بت پرستان بوده اند ازاصحاب ذونواس يمنى ودر زمان او ساحرى بود كاهن ومشعبذ كه مدار ملك بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيد كه من پير شده ام وضعف كلى بقواى من راه يافته * ديده ازهر شعاع تيز مشود * كوش وقت سماع خيره شود * نه زبانرا مجال گويايى * نه تن خسته را توانايى * صلاح در آنست كه جوان عاقل تيزفهم بمن سپارتا انچه دانسته ام بوى آموزم وبعد ازمن خلق باشد كه امور ملك بوى منتظم تواند بود كما جاء فى حديث المشارق كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء اى شاخ وطعن فى السن قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك اى الغلام راهب فقعد اليه اى متوجها الى الراهب وسمع كلامه فاعجبه اى اعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان اذا اتى الساحر ضربه بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه اى ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك الى الراهب فقال اى الراهب للغلام اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى اى منعونى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة

قد حبست الناس اى على اسد او حية يقال لها بالفارسية اژدر فقال اى الغلام اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال الراهب اى بنى انت اليوم افضل منى قد بلغ من امرك ما ادرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على وكان الغلام يبرئ الاكمه وهو الذى ولد اعمى والابرص ويداوى الناس بسائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك قال ربى قال أولك رب غيرى قال ربى وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل وتفعل يعنى تداوى مرضا كذا وتداوى كذا فقال اى الغلام انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اى الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعنى ادفع عنى شرهم باى سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا واتاه يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور اى سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة اى مالت وانقلبت فغرقوا واتاه يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد اى ارض بارزة وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى وهى التى يجعل فيها السهام ثم ضع السهم فى كبد القوس وهو مقبضها عند الرمى ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه وهو ما بين العين والاذن فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فاتى الملك فقيل له يعنى اتى الملك آت فقال ارأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك اى والله قد نزل بك ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فامر بالاخدود اى بحفر شق مستطيل فى افواه السكك اى فى ابواب الطرق فخدت اى شقت واضرم النيران اى اوقدها واشعلها وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها اى فاطرحوه فيها كرها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى رضيع لها فتقاعست اى تأخرت ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبرى فانك على الحق وفى بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا القيتك واولادك فى النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فابت فالقى ابنها الاوسط ثم قال ارجعى عن دينك فابت فاخذوا الصبى ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبى يا اماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك وفى كشف الاسرار فان بين يديك نارا لا تطفأ فالقى الصبى فى النار وامه على اثره وكان هو ممن تكلم فى المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم فى سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث اثبات كرامات الاولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك لان آسية كان اهلاك هو الكاذب او غيره وروى ان خربة استخرجت فى زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذى قتله الملك واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفى بعض التفاسير فوجد واعبد الله بن الثامر واضعا اصبعه على صدغه فى رأسه اذا اميطت يده عنها سال دمه واذا تركت على حالها انقطع وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فكتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب بان يواروه ويعيدوا التراب عليه وفى بعض التفاسير فكتب اليهم عمر رضى الله عنه ان ذلك الغلام صاحب الاخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فامرته ان يخطب الناس فيقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ويقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فامر بهم بالاخاديد واياقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد هم تعالى بقوله قتل

اصحاب الاخدود (النار) بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل على النار وهو بها يكون مهيبا مشتد الهول والتقدير النار فيه اواقيم الى مقام الضمير على اختلاف مذهبى اهل البصرة والكوفة (ذات الوقود) خداوند اتش باهيمه يعنى افروخته بهيزم وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وايدان الناس على ما يدل عليه التعريف الاستغراقى ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو من حطب (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل والضمير لاصحاب الاخدود وقعود جمع قاعد اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات الاخدود ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه وفى بعض التفاسير على سرر وكراسى قعود عند النار ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا بالسين فى مكان مشرف اونحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر القوه فى النار واحرقوه وكان عليه السلام اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التى يختار عليها الموت او كثرة العيال والفقر كما فى القاموس والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) جمع شاهد اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به وفوض اليه من التعذيب بالاحراق من غير ترحم واشفاق او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعنى تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم الى ان الجبابرة لما القوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفى رواية ارتفعت فوقهم اربعين ذراعا فوقعت عليهم فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقبض الله ارواحهم قبل ان تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق اى لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وفيه اشارة الى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لاخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة باحطاب اخلاقهم الرديئة المؤصدة بابجارا وصافهم الخبيثة النفسية الهوائية اذ هم عليها قعود بارتكابهم الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمنى الروح والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة (وما نقموا منهم) اى وما انكروا من المؤمنين وما عابوا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه وفى المفردات نقمت الشيء اذا انكرته اما باللسان واما بالعقوبة (الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) قال بلفظ المضارع مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى الآتى ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم واما قوله تعالى حكاية وما تنقم منا الا ان آمنا بايات ربنا فلان مجرد ايمان السحرة بموسى عليه السلام كان منكرا واجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * فلام بنسيان الاحبة والوطن

فى ان ما انكروه ليس منكرا فى الواقع وغير حقيق بالانكار كما ان ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولا ينبغى ان يعد عيبا ولا يضر ذلك كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى نظم القرآن فانهم انكروا الايمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم والملك بالفارسية بادشاهى وآخر هذه الصفة لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال فى القدرة التى دل عليها العزيز وفى العلم الذى دل عليه الحميد لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة وفى كشف الاسرار وانما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم انه لم يمهل الكفار لاجل انه غير قادر ولكنه اراد ان يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغا من الثواب لم يكونوا يبلغونه الا بمثل ذلك الصبر وان يعاقب اولئك الكافرين عقابا لم يكونوا يستوجبونه الا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعا فى سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم

حيث

حيث عد واما هو منقبة هي سبب المدح منقصة هي سبب القدح (والله على كل شئ شهيد) وخداجزاهم جزاها ازاضاعي واقوالي مؤمن وكافر كواهست وبآن داناو هو وعدلهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزآء كل منهما حتما قال الامام القشيري الشهيد العليم ومنه قوله تعالى شهد الله اي علم الله والشهيد الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد واذا علم العبد ان الله تعالى شهيد يعلم افعاله ويرى احواله سهل عليه ما يقاسيه لاجله حكي ان رجلا كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولا يصيح فقال له بعض الحاضرين اما يؤلمك الضرب فقال نعم قال فلم لا تصيح قال في الحاضرين لي محبوب يرقبني فاخاف ان يذهب ماء وجهي عنده ان صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة او بعوضة اوادنى اذية كيف يكون صادقا في دعواه ولذا قالوا دلت القصة على ان المكره على الكفر بنوع من العذاب الاولى ان يصبر على ما خوف منه وان كان اظهار الكفر كالرخصة في ذلك حكي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب النبي عليه السلام فقال لاحدهما اتشهد اني رسول الله فقال نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل انت كذاب فقتله فقال النبي عليه السلام اما الذي تركه فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه واما الذي صبر فاخذ بالفضل فهنيئا له وفي التأويلات النجمية والله على كل شئ من سموات الارواح وارض الاشباح والاجساد شهيد اي ساتر لظهرية الكل وظهوره فيها ذاتا وصفات واسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) الفتن الاحراق والفتنة بالفارسية ازمون اي محنوهم في دينهم وآذوهم وعذبوهم باي عذاب كان ليرجعوا عنه كاصحاب الاخدود ونحوهم كما روى ان قريشا كانوا يعذبون بلالا ونحوه فالموصول للجنس والمعلم يدفع البلاء قبل الابتلاء لان اهل الولاء لا يخلون عن البلاء وهيهات هيهات الصفاء لعاشق * وجنة عدن بالمكاره حفت

(ثم) اي بعد ما فعلوا ما فعلوا من الفتنة (لم يتوبوا) اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من دين الكافر قطعا وفي ايراد ثم اشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل في القهر ويقبل التوبة وان طالت مدة الحوبة قال الامام وذلك يدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة (فلهم) في الآخرة بسبب كفرهم (عذاب جهنم) يعذبون به ابدا (ولهم) بسبب فتنتهم للمؤمنين (عذاب الحريق) اي عذاب عظيم زائد في الاحراق على عذاب سائر اهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وان كان كل منهما حاصلا في الآخرة ويحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على ان يكون الحر لاحراقهم المؤمنين في الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزآء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفي في تفسيره عذاب الحريق عذاب آتش سوزان يشير الى ان الحريق بمعنى النار المحرقة كما قال في المفردات الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار او لهبها كما في القاموس وحرق الشئ ايقاع حرارة في الشئ من غير لهب كحرق الثوب بالدق والاحراق ايقاع نار ذات لهب في شئ ومنه استعير احرقني بلومه اذا بالغ في اذيته بلوم يقول الفقير الظاهر ان الحريق هنا بمعنى المحرق كالاليم بمعنى المؤلم فيكون اضافة العذاب الى الحريق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته ويستفاد زيادة الاحراق من المقابلة فان العطف من باب الترقي بحسب العذاب المترتب على الترقي من حيث العمل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته الصبر على اذى الكفار واحراقهم واياد القضاء اولا وتركها ثانيا يدل على جواز الامرين (جنات) يجازون بها بمقابلة النار ونحوها (تجري من تحتها الانهار) يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك قال في الارشاد ان اريد بالجنات اشجارها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتعبية باعتبار جريها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة (ذلك) المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان (الفوز الكبير) الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر اضافي قال في برهان القرآن ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له في القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فان اشير بذلك الى الجنات تضمنها فهو مصدر اطلق على المفعول مبالغة والا فهو مصدر على حاله قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لنكتة لطيفة وهي ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة

الى نفس الجنات واخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضيا عالفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة يقول الفقير وعندى ان حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضى الله هو الفوز الاكبر كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر وانما لم يقل ذلك لان نفس الجنات من حيث هى ليست بفوز وانما الفوز حصولها ودخولها (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبى عليه السلام ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشىء بصولة والاخذ بعنف يقال بدباطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد امهال فانه عن حكمة لا عن عجز (انه هو) وحده (يبدئ ويعيد) اى يبدئ الخلق ويخرجهم من العدم الى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم احياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لاحد فى شىء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه اوهو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة يعنى آشكاره كند بطش خود را بر كافران در دنيا وباز كراندهم آنرا بديشان در آخرت واين نشانه عدلست او يبدئ البطش او العذاب فى الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فهو المراد من الآية وقال خذيفة بن اليمان رضى الله عنه اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى النار فقال يا خذيفة ان فى جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا من نار وكلاليب من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون اهل النار بتلك الكلاليب باحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا ويلقونها الى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد آخر مكانه غضا طريا او يبدئ من التراب ويعيده فيه او من النطفة ويعيده فى الآخرة يقال بدأ الله الخلق وابدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدئ المظهر ابتداء والمعيد المنشئ بعد ما عدم فالاعادة ابتداء ثان قال الامام الغزالى رحمه الله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى ابداء وان كان مسبوقا بمثله يسمى اعادة والله تعالى بدأ خلق الانسان ثم هو الذى يعيدهم اى يحشرهم فالاشياء كلها منه بدت واليه تعود وبه بدت وبه تعود وفى المفردات والله هو المبدى والمعيد اى هو السبب فى المبدأ والنهاية وقال بعضهم الابداء هو الاظهار على وجه التطوير المهيء للاعادة وهى الرجوع على مدرج تطوير الابداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمى بذلك المبدئ المعيد وانما قيل فيهما انهما اسم واحد لان معنى الاول يتم بالثانى وكذا كل اسم لا يتم معناه فيما يرجع الى كمال اسماء الله الا باسم يتم به معناه قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله تعالى يبدئ فضله واحسانه لعبيده ثم يعيده ويكرره فان الكريم من ربه صنائعه وخاصية الاسم المبدئ ان يقرأ على بطن الحامل سحرا تسعا وعشرين مرة فان ما فى بطنها يثبت ولا ينزلق وخاصية الاسم المعيد يذكر سرارا التذكار المحفوظ اذا نسى لا سيما اذا اضيف له الاسم المبدئ (وهو الغفور) لمن تاب عن الكفر وآمن وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصى ولمن لم يتب ايضا ان شاء (الودود) المحب لمن اطاع او تاب كما قال ان الله يحب التوابين واين نشانه فضل است بعدل بكداز دونابود سازد وبفضل بنوازد وبرافرازد * فضل اود لنواز غمخواران * عدل اوسينه سوز جباران * عمر بن الخطاب رضى الله عنه در بضاعه مقبول وسيئات او مغفور كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن ابى در مسجد مخذول وحسنات او مردود كه ان بطش ربك لشديد فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذى يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله الودود المحب الى عباده باسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لانه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لامره وتعظيمه له وهيبته فى قلبه واجمع اهل الحقيقة ان كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهى معلولة بل المحبة الصحيحة هى المحبة الصافية عن كل طمع وفى الاثر ان الله تعالى يقول ان اود الاود آء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها قال بعض الكبار العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى اول وقوع الحب فى القلب وفى التأويلات النجمية الودود لمن يتوجه اليه بالمحبة على سنة من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فمن تقرب اليه بالمحبة تقرب اليه بالود لان الود اثبت فى ارض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى قال فى القاموس الود الوتد وقال الامام الغزالى

رحمه الله الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة اضافة الى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وافعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا وافعال الودود لا تستدعي ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتايج الود كما ان معنى رحمته تعالى ارادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وهم ارادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه واعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم اريد ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك ان لا يمنعه من الايثار والاحسان الحقد والغضب وما ينالهم من الاذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمي وجهه وضرب الهام اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلم يمنعه سوء صنيعهم عن ارادة الخير لهم وكما امر عليه السلام عليا رضي الله عنه حيث قال ان اردت ان تسبق المقربين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين الزوجين فمن قرأه الف مرة على طعام واكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته وقد روى انه اسم الله الاعظم في دعاء التاجر الذي قال فيه يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد اسألك بنور وجهك الذي ملأ اركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شئ لا اله الا انت يا مغيث اغثني يا مغيث اغثني يا مغيث اغثني الحديث قد ذكره غير واحد من الائمة يقول الفقير كنت اذكر في السحر الاعلى يا ودود وذلك بلسان القلب فصدر مني بلا اختيار ان اقول يا رب اجعلني محبوبا فعرفت ان للاسم المذكور تأثيرا عظيما في الاحاطة وذلك ان الودود بمعنى المحبوب ولا شك ان جميع الاسماء الالهية يود الاسم الاعظم ويميل اليه فالاسم الاعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودودا بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الاحاطة باسرار جميع الاسماء ويصل اليه جميع التوجهات (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازا اى ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وان لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (المجيد) هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمي مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما دال على المبالغة وكانه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكريم قال في القاموس المجيد الرفيع العال والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه واثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرئ بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة وفي الحديث (ما الكرسي في جنب العرش الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة) فاذا كان الكرسي كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الاجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله اظهر الله العرش اظهارا للقدرة لا مكانا للذات ولا احتياجا اليه قال بعضهم ومن العجب ان الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيرا اكل حبة واحدة منها في الف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا يضاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون اعمارهم في شئ حقير سريع الزوال وفيه اشارة الى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء في الحديث (قلب العارف عرش الله) ومجده هو انه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى في عالم الابدان والصور فلقد قالوا اذا صام الابرص اياما وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيرا فانه يبرأ باذن الله تعالى اما بلا سبب او بسبب يفتح الله له به (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره فيكون دليلا لاهل الحق على انه لا يتخلف شئ عن ارادته وهو خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال مبالغة فاعل لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والاغناء والافتقار والشفاء والامراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب الى غير ذلك من شؤونه وفي التأويلات النجمية فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وارباب الارواح والاسرار والقلوب واصحاب النفوس واهل الهوى ان اراد ان يجعل ارباب الارواح من ارباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل في ذلك وان اراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل في ذلك يحبب من يريد بجلاله كالمتكبرين ويتجلى لمن يريد

بجماله كالمقربين ويعامل لمن يريد بافاضة كماله كالعارفين قال بالتفضل يدخل اولياءه الجنة لايمنعهم مانع ويدخل اعداءه النار لاينصرهم ناصر ويمهل بعض العصاة على ماشاء الى ان يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل مايريد روى ان اناسا دخلوا على ابى بكر الصديق رضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد رأنى قالوا فما قال لك قال لما اريد (هل اتاك) آيا آمد بتو اى قد اتاك لان الاستفهام للتقرير (حديث الجنود) اى خبر الجموع الكافرة التى تجندت على الانبياء فى الماضى وخبرهم ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حصل بها من العذاب والنكال (فرعون وثمود) بدل من الجنود يعنى مع انه غير مطابق ظاهرا للمبدل منه فى الجمعية لان المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون اى هل اتاك حديثهم وعرفت مافعلوا من التكذيب ومافعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤون الله وانذرهم ان يصيبهم مثل ماأصاب امثالهم وقد كانوا اسمع واقصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام لانها كانت فى ممرهم وفى بلادهم وأخر ثمود مع تقدمه على فرعون زمانا لرعاية الفواصل قال القاشانى هل اتاك حديث المحجوبين اما بالاولية كفرعون ومن يدين بدينه او بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم فى الكفر والطغيان وتكرير تكذيب للتعظيم كانه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لانهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون مانطق به قرآنا من عند الله مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة وفى التأويلات النجمية فى تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لايقدر على مفارقتها الا القليل من الكمل كما قال تعالى فمن لم يجعل الله له نورا اى فى الاستعداد فمالهُ من نور * خوى بدد طبيعتى كه نشست * نرهد جز بوقت مرك از دست * وفيه اشارة الى تكذيب المنكرين لاهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم (والله من ورآئهم) من خلفهم (محيط) بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط اذا سد عليه مسلكه بحيث لايجد هربا منه وفى التأويلات النجمية محيط والمحيط لايفوته المحاط ولايفوت المحيط شئ لاحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه باحديته جميع اسمائه سارى فى الموجودات كلها فاذا تا وحياة وعلما وقدرة الى غير ذلك من الصفات والمراد باحاطته تعالى هذه السراية ولايعزب عنه ذرة فى السموات والارض وكل مايعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا هذه الاحاطة ليست كاحاطة الظرف بالمظروف ولا كاحاطة الكل باجزآئه ولا كاحاطة الكلى بجزئياته بل كاحاطة الملزوم بلازمه فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة انما هى لوازم له بواسطة او بغير واسطة وبشرط او بغير شرط ولاتقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم ولاتنافيها والله اعلم بالحقائق (بل هو قرآن مجيد) اى ليس الامر كما قالوا بل هذا الذى كذبوا به قرآن شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والاخروية (فى لوح محفوظ) اى من التحريف ووصول الشياطين اليه واللوح كل صحيفة عريضة خشبا او عظما كما فى القاموس قال الراغب اللوح واحد الواح السفينة ومايكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ماقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمرآء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء وفى صدر اللوح لااله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة وفى التأويلات النجمية بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت فى لوح القلب المحمدى وفى الواح قلوب ورثته الاولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف ايدى النفس الكافرة والهوآء المكار وسائر القوى البشرية السائرة فى اقطار الوجود الانسانى وقد قال تعالى وانا له لحافظون اى فى صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين

تمت سورة البروج بعون الله الذى اليه الرجوع والعروج وقت عصر الاحد السادس من شهر مولد النبى

عليه

ة . عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة والف سورة الطارق سبع عشرة او ست عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسماء والطارق) الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لانه يطرق بها الحديد وسمي الطريق طريقا لانه يضرب بالرجل وسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا حيث ان الابواب مغلقة في الليل ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادي بالليل قال الراغب عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم احد

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

اي ابونا كالنجم شرفا وعلوا وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تفرحن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام وفي التأويلات النجمية يشير الى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والالهامات الغيبية العظيمة الشان القوية البرهان ولفخامة امره وشهامة قدره عقبه بقوله (وما ادراك ما الطارق) اي اي شيء اعلمك بالطارق فانه لا يناله ادراك الخلق الا بالتلقي من الخلاق العليم كانه قيل ما هو فقيل هو (النجم الثاقب) النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن والثقوب والثقابة افروخته شدن آتش يقال ثقبه ثقبا جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اتقدت واشتعلت وثقب النجم اضاء وشهاب ثاقب اي مضيء وعبر عن الطارق اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه والمعنى النجم المضيء في الغاية يعني ستارهٔ رخشنده وفروزان چون شعلهٔ آتش لانه يثقب بنوره واضاءته ما يقع عليه من الظلام او الافلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة اي في نفسه وان حصل التفاوت بالنسبة اقسم الله بالسماء وبكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته او المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذي في السماء السابعة لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات او كوكب الصبح او الثريا لان العرب تسميه النجم او الشهاب چنانچه آورده اند كه شبي حضرت رسول صلى الله عليه وسلم نشسته بود با عم خود ابو طالب ناگاه ستاره بدرخشيد وشعلهٔ آتش عظيم ازو ظاهر شد ابو طالب بترسيد وگفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام فرمود كه اين ستاره ايست كه ديو را از آسمان مي راند ونشانه ايست از قدرتهاي الهي في الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء والطارق وفيه اشارة الى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشاني اي الروح الانساني والعقل الذي يظهر في ظلمة النفس وهو النجم الذي يثقب ظلمتها وينفذ فيها ويبصر بنوره ويهتدي به كما قال وبالنجم هم يهتدون (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما بعد ان النافية والاخرى في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعدى الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة انسية او جنية الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا آورده اند كه در مكه زني بود فاجره وگفت من طاوس يماني را بر گردانم از راه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردي نيكو روي بود وخوش خلق وخوش طبع آن زن بر طاوس امد وباوي سخن در گرفت بر سبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصود وي چيست گفت آري صبر كن تا بفلان جايگاه آييم چون بدان جايگاه رسيدند طاوس گفت اگر ترا مقصودي است اينجا تواند بود آن زن گفت سبحان الله اين چه جاي آن كارست انجمنگاه خلق ومجمع نظارگيان طاوس گفت أليس الله يرانا في كل مكان اي زن از ديدار مردم شرم داري واز ديدار الله كه بما مي نگرد خود شرم نداري يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله اين سخن در زن گرفت وتوبه كرد واز جملهٔ اوليا گشت وحكي ان ابن عمر رضي الله عنهما مر بغلام

يرعى غنما فقال له بعني شاة فقال انها ليست لي فقال له ابن عمر قل اكلها الذئب فقال الغلام فاين الله
فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم واعتقه ووهب له الغنم وبقي ابن عمر مدة طويلة يقول قال ذلك العبد فاين الله
فصاحب المراقبة يدع من المعاصي حياء منه تعالى وهيبة له اكثر مما يدعه من يترك المعاصي بخوف عقوبته
وقيل المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم
لحافظين وآنكه كه بر مصطفى صلى الله عليه وسلم عرضه ميكنند چنانكه در خبرست كه رسول الله
عليه السلام فرمود تعرض علي اعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة
استغفرت الله لكم وروى عن النبي عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة
العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقرئ لما مخففة على ان مخففة
وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية اى ان الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب وفي الآية تخويف
النفوس من الامور الضارة وترغيب في الشؤون النافعة وفي بعض التفاسير يحتمل ان يكون المراد من النفس
عم من نفس المكلف من الانسان والجن ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل
فيشمل النفوس الحيوانية مطلقا بل كل شئ سوى الله بناء على ان المراد من النفس الذات فان نفس كل شئ ذاته
وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله لان الحافظ لكل شئ عالم باحواله موصل اليه منافعه ودافع عنه مضاره
والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس
وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية الى البوار ومن خواص الاسم
الحفيظ ان من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته قال القاشاني الحافظ هو الله ان اريد بالنفس الجملة
وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانساني (فلينظر الانسان)
ليتفكر الانسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان (مم) اى من اى شئ فاصله
مما حذفت الالف تخفيفا كما مر في عم (خلق) حتى يتضح ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة
قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه
ولا يملي حافظه ما يرديه (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل
خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسية ريزانيدن آب وبابه نصر
وانما اول بالنسبة لان الصب لا يتصور من النطفة لظهور انها مصبوبة لا صابة فتوصيفه بانه دافق لمجرد
نسبة مبدأ الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه وقال بعضهم اى مدفوق ومصبوب
في الرحم نحو سر كاتم اى مكتوم وعيشة راضية اى مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من
المائين في الرحم كما ينبئ عنه ما بعده من الآية وللنظر الى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الافراد ووصف الماء
الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه (يخرج) ذلك الماء الدافق (من بين الصلب
والترائب) الصلب الشديد وباعتباره سمي الظهر صلبا اى من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي ضلوع
صدرها وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما
بين الثديين وفي القاموس الترائب عظام الصدر او ما ولي الترقوتين منه او ما بين الثديين والترقوتين او اربع
اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته او اليدان والرجلان والعينان او موضع القلادة انتهى ومن ذلك
يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد وايراد بين اشارة الى ما يقال ان النطفة
تتكون من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالبا فيجتمع ماء الرجل في صلبه ثم يجري منه ويجتمع
ماء المرأة في ترائبها ثم يجري منها وفي قوت القلوب اصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهناك
مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل ابيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج
من مسلكه وهو عرقان متصلان الى الفرج منهما ينزل المني وفي اسئلة الحكم بين طريق البول وطريق المني
جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المني بماء البول فيفسد حرارة جوهره وفي التأويلات النجمية خلق
الانسان من ماء رطوبة النفس الرحماني الذي اشار اليه عليه السلام بقوله اني اجد نفس الرحمن من قبل
اليمن دافق هذا الماء من فم فوارة المحبة المشار اليها بقوله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت

الخلق الخارج من بين الصلب اى صلب رجل القوة الفاعلية الالهية المسماة باليد اليمنى فى قوله ثم مسح يده اليمنى على جانب الظهر الايمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالنملة البيضاء والترائب وترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى فى قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الايسر فاستخرج منه ذرارى سماء سودآء فهو الانسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدى الفاعلية والقابلية المشار اليهما بقوله خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا (انه) الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلق الانسان ابتدآء مما ذكر (على رجعه) اى اعادته بعد موته (لقادر) اى لبين القدرة بحيث لا يرى له عجزا صلا وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافى قادريته على غيره قال بعضهم خلقه لاظهار قدرته ثم رزقه لاظهار الكرم ثم ميتة لاظهار الجبروت ثم يحييه لاظهار الثواب والعقاب (يوم تبلى السرآئر) ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالاجنبى للتوسع فى الظروف والسرآئر جمع سريرة بمعنى السر وهى التى تكتم وتخفى اى يتعرف و يتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال و يميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعنى ظاهر كند مخفيات ضمائر واعمال تا طيب آن از خبيث متميز كردد * كر پرده زروى كارها بردارند * آن كيست كه رسواى دو عالم نشود * والابلاء هو الابتلاء والاختبار واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعرف والتمييز وابتلاء الله عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل وقال بعضهم المراد بالسرآئر الفرآئض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فانها سر بين العبد و بين ربه ولو شاء العبد ان يقول فعلت ذلك ولم يفعله امكنه وانما تظهر صحة تلك السرآئر يوم القيامة قال قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الامانات كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر (فما له) اى للانسان وما نافية (من قوة) فى نفسه يمتنع بها من العذاب الذى حل به (ولا ناصر) من خارج ينتصر به اذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت مشغولة بجزآء ما جرت عليه خيرا كان اوشرا فالمراد بالقوة المنفية هى القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفى التعريفات هى تمكن الحيوان من الافعال الشاقة ونصر المظلوم اعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه اشارة الى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر فالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوى ايضا لكن اذا قارنت العمل كانت اقوى (والسماء ذات الرجع) ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمى رجعا لان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بخار الارض ثم يرجعه الى الارض اوارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه ابا ليثوب فيكون الرجع مصدرا من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدى قاله بعض العلماء اولان الله يرجعه وقتا فوقتا بعد ايجاده واحداثه وقال الراغب سمى المطر رجعا لرد الهوآء ما تاوله من الماء وفى كشف الاسرار لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجانى فى كتاب اعجاز القرآن انما قال للسماء ذات الرجع لان شمسها وقمرها يغيب و يطلع وبعض نجومها يرجع (والارض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الارض من النبات اذ المحاكى للنشور هو تشقق الارض وظهور النبات منها لا ظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الارض سمى به لانه صادع للارض والارض تتصدع به والصدع فى اللغة الشق وفى المفردات شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفى الآية اشارة الى ان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وما ينبت من الارض كالولد اقسم الله بالسماء اولا مجردة عن التوصيف وثانيا مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالارض ذات الصدع ايماء الى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما وفيه اشارة الى سماء الروح ذات الرجع فى النشأة الثانية وارض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه اوالشق بعد اتصاله (انه) اى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده (لقول) الكلام اذ القول كثيرا ما يكون بمعنى المقول (فصل) اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل كما قيل له

فرقان بمعنى الفارق (وما هو بالهزل) الهزل اللعب وفى فتح الرحمن ما استعمل فى غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو ان يقصد به المتكلم حقيقة كلامه اى ليس فى شئ من القرءآن شائبة هزل بل كله بعد محض لا هزل فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواه وتخضع له رقاب العتاه وبالفارسية ونيست او بازى وباطل وفسوس وسخريه ويظهر من الآية ان من يلم القرءآن بهزل او بتفكه بمزاح يكفر وفى هدية المهديين اذا انكر رجل آية من القرءآن او سخر بها او عابها فقد كفر ومن قرأ القرءآن على ضرب الدف او القضب فقد كفر ولو قال الم نشرح لك را كريبان كرفته او قال پوست از قل هو الله احد بردى او قال اين كوته تر از انا اعطيناك او قيل لم لم تقرأ القرءآن فقال سير شدم از قرآن فهذا كله وامثاله كفر ينبغى للمؤمن ان يحترز عنه ويجتنب منه (انهم) اى اهل مكة ومعاندى قريش (يكيدون) فى ابطال امره واطفاء نوره يعنى مكر ميكنند در شان رسول وحق قرآن (كيدا) حسبما فى قدرتهم (واكيد كيدا) اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لا يقاوم كيد القديم القادر القوى فتسمية الاستدراج والانتقام فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كسبهم جزآء له والا فالكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزآء الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة شائع كثير (فمهل الكافرين) اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به يعنى مهلت ده كافرانرا وتعجيل مكن در طلب هلاك ايشان (امهلهم) بدل من مهل وهما اى التمهيل والامهال لغتان كما قال تعالى ومهلهم قليلا روى عن همام مولى عثمان رضى الله عنه انه قال لما كتبوا المصحف شكوا فى ثلاث آيات فكتبوا فى كتف شاة وارسلونى الى ابى ابن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها ابيا فقرأها فاذا هى فيها لا تبديل للخلق فكتب لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فامهل الكافرين فمحا الالف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها اليهم فاثبتوها فى المصحف وفيه اشارة الى ان الله تعالى حافظ للقرءآن من التحريف والتبديل لانه اثبته فى صدور الحفاظ والى ان المشكلات يرجع فيها الى اهل الحل (رويدا) يقال ارود يرود اذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما فى المفردات وفى الارشاد هو فى الاصل تصغير رود بالضم وهو المهل او ارواد مصدر ارود بالترخيم وهو اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا او قليلا يسيرا فان كل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت دير آيد ولى مى آيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيه من الرمز الى قرب وقت الانتقام من الاعدآء وفى كشف الاسرار وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر الا زمان يسير حكى انه دخل ابن السماك على هرون الرشيد فطلب هرون منه العظة وقد جلس فى حصير فقال يا امير المؤمنين لتواضعك فى شرفك افضل من شرفك قال الرشيد ما سمعت شيأ احسن من هذا فقال بلى يا امير المؤمنين من اعطى مالا وجمالا وسلطانا وشرفا فتواضع فى شرفه وعف فى جماله وواسى من فضل ماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال زدنى فقال يا امير المؤمنين لقد امهل حتى كانه اهمل ولقد ستر كانه غفر ثم قال يا امير المؤمنين هب كان الدنيا كلها فى يديك والاخرى مثلها ضمت اليك هب كان الشرق والغرب يجبى اليك فاذا جاء ملك الموت فماذا فى يديك قال زدنى فقال لم يبق من لدن آدم الى يومنا هذا احد الا وقد ذاق الموت قال زدنى فقال انهما موضعان اما جنة واما نار قال حسبى ثم غشى عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما افاق امر له بجائزة فقيل له انه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا امير المؤمنين اى شئ احسن من ان يقال ان امير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * ترا كه كفت كه اين زال ترك دستان كرد * فطوبى لمن قصر امله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل ان لا يجعلنا من المغترين

تمت سورة الطارق باعانة خالق النجوم البوارق يوم الاحد الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الاعلى تسع عشرة اية مكية عند الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبح اسم ربك الاعلى) التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق والاعلى صفة للرب ويجوز ان يكون صفة للاسم والاول اظهر ومعنى علوه تعالى ان يعلو عن ان يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى اعلويته ان له الزيادة المطلقة في العلو قال بعضهم ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علوا استحقاقيا لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه وبين يدى عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة كمن يجعل الاعلى من العلو في المكان لا من العلو في الكمال وان يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والاله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال ويدخل فيه ان يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنها كثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة وقال جرير في الآية ارفع صوتك بذكره اى بذكر اسمه فان ذكر المدلول انما هو بذكر الاسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير ان الاسم غير مقسم وقال بعضهم الاسم والمسمى هنا واحد اى نزه ذاته عما يدخل في الوهم والخيال وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت وفي الحديث دلالة على ان لفظ الاسم مقسم قاله سعدى المفتى وعلى ان الامتثال بالامر يحصل بان يقول سبحان ربى العظيم والاعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ على وابن عمر رضى الله عنهم سبحان ربى الاعلى الذى الخ فان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قول سبحان ربى الاعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فان معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بان يقول سبحان ربنا رب العزة على معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقى في التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره في شرح الحديث اعلم ان الرفعة والارتفاع استعلاء وانه من التكبر فان كان الاستعلاء ظاهرا فهو صورة من صور التكبر وان كان باطنا فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان في الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به ايضا لذلك سن التكبير فيه اى ان الله اكبر واعلى من ان يشارك في كبريائه وان ظهر بصورة حال يوهم الاشتراك واما الامر بالتسبيح في الهبوط فهو من اجل سر المعية المشار اليها بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فاذا آمنا انه معنا اينما كنا فحال كوننا في هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لانه سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لتنزاهته عن التقيد بالجهات واحاطته بها فلهذا شرع التكبير في الصعود والتسبيح في الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى واول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل عليه السلام وذلك انه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب اعطنى قوة حتى انظر الى عظمتك وسلطانك فاعطاه قوة اهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فاعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا وقال سبحان ربى الاعلى ثم سأل ربه ان يعيده الى مكانه والى حالته الاولى ذكره ابو الليث في تفسيره وقال النبى عليه السلام يا جبرائيل اخبرنى عن ثواب من قال سبحان ربى الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدى انا الاعلى وفوق كل شئ وليس من فوق شئ اشهدوا يا ملائكتى انى قد غفرت لعبدى وادخلته جنتى فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فلما كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله فيقول يا رب شفعنى فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ذكره ابن الشيخ في حواشيه وفي الحديث (سبحان الله والحمد لله يملئان ما بين السموات والارض) اى لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء

والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار في السموات والارض وما بينهما وقال القاشاني اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية [illegible]رها وهو تسبيحه الخاص به في مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الا له فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خالصا من اسماء ربه (الذى خلق فسوى) صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقال القاشانى انشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات وفى التأويلات النجمية خلق كل شئ بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل الفيض الالهى المعد له بحسب استعداده الفطرى وقال بعضهم خلق الخلق فسوى بينهم فى الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية (والذى قدر) معطوف على الموصول الاول اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها كما قال عليه السلام ان الله قدر مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اى جعل اجناس الاشياء وكذا اشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص فى جثته واوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال والطعوم والروآيح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال وان من شئ الا عندنا خزآئنه وما ننزله الا بقدر معلوم (فهدى) فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما يحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله ان تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى ويحكى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قيض الله له طائرا قدر الله غذآءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه والتمساح خلق كالسلحفاة ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران فى السند كما فى القاموس ويختطف البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعا وهو يبيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا وما بقى صار سقنقورا وهى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو انفس ما يهدى لملوك الهند فانهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك الى ارضهم فاذا وضعوا مثقالا من ذلك على بيض او لحم واكل نفع ذلك نفعا بليغا وللسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللانثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى ان القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لا ذهابا ولا ايابا والجمل والحمار اذا سلكا طريقا فى الليلة الظلماء ففى المرة الثانية لا يخطئان والدبة اذا ولدت ولدها رفعته فى الهوآء يومين خوفا من النمل لانها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز اولا فاولا واذا جمع العقرب والفأرة فى اناء زجاج قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها وحكى ان ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت الى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت الى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة والفارة تدخل ذنبها فى قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب اذا اجتمع فى جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه قطعة جلد من الحيوان فينغمس فى الماء فاذا اجتمعت فى الفر والقاه فى الماء وخرج سالما والعنكبوت تبنى بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالبركار والمسطر والنحل تبنى تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لاعداد الذخيرة لنفسها فاذا احست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت واذا وصلت النداوة اليها تخرجها الى الشمس لتجف قال بعضهم رأيت غواصا وهو طائر غاص وطلع

بسمكة فغلبه الغراب عليها فاخذها منه فغاص مرة اخرى فطلع فاخذها منه الغراب وفى الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فاخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب وخرج هو من الماء وفى الحديث لا تشربوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه الهم الله القرد فاخذ صرة الدنانير فاخذها وصعد الدقل وهو سهم السفينة ففتح الصرة وصار ينظر اليها فاخذ دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فالقى نصف الماء فى الماء ونصفا فى السفينة (وفى عجائب المخلوقات ان شخصا قتل شخصا باصفهان والقاه فى بئر والمقتول كاتب يرى ذلك فكان يأتى كل يوم الى رأس البئر ويجئ التراب عنها واذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم اخذوا الرجل فاقر فقتل به ومن عجيب شجرة الخل ان يعرض لها العشق وهى ان تميل الى نخلة اخرى فيضعف حملها وتهزل وعلاجها ان يشد بينها وبين معشوقها الذى مالت اليه بحبل او يعلق عليها سعفة منه او يجعل فيها من طلعه (امثال هذا لا تحيط بها العبارة والتصوير كثرة (والذى اخرج المرعى) اى انبت بكمال قدرته ما ترعاه الدواب غضا طريا من بين اخضر واصفر واحمر وابيض وقال ابن عباس رضى الله عنه المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى الرعى والمصدر (فجعله) بعد ذلك (غثاء) اى دريناوهو كما مر يابس كل حطام حصف او شجر او بقل قال الجوهرى الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقمش جمع الشئ من ههنا وههنا وذلك الشئ قماش ما على وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لزبالة الناس قماش وبالفارسية خشك وپژمرده (احوى) اسود من الحوة بمعنى السواد وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود سوآء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس او برودة الهوآء وايراد الفاء التعقيبية اشارة الى قصر مدة الخضرة ورمز الى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها يعنى محققان ازمضمون اين آيت فهم كرده اند كه جراكاه متمتعات دنيا اگرچه در اول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد اما اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره وبى طراوت خواهد بود * اگرچه خرم وتازه است كلبن دنيا * ولى بنكبت باد خزان نمى ارزد * بكرده خورى وقرص قرز جاى مرو * كه خوان پرخ بيك تاى نان نمى ارزد * وفيه اشارة الى زينة الحياة الدنيا ومنافعها وما كلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشيكة الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فينبغى ان لا يلتفت اليها ولا يشغل بها فانها مانعة عن التسبيح الخاص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر فى حق كل احد (سنقرئك فلا تنسى) بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين قال الراغب فى المفردات اخبار وضمان من الله تعالى ان يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق انتهى والنسيان اما للتأكيد واما لان المراد اقرآء ما اوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقرآء يقال قرأ القرءان فهو قارئ واقرأه غيره فهو مقرئ اى علمه اياه فهو معلم وفى تاج المصادر الاقرآء قرآن كوش فرا داشتن وخوانندة كردن ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ما نوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبرآئيل فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان وفى كشف الاسرار سنجمع حفظ القرآن فى قلبك وقرآءته فى لسانك حتى لا تنسى كقوله ان علينا جمعه وقرءآنه (الا ما شاء الله) استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى شيأ من الاشياء مما تقرؤه الا ما شاء الله ان تنساه بدا بان نسخت تلاوته فان النسخ نوع من الانساء وطريق من طرقه فكانه بالنسخ محى من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلى الدآئم بحيث لا يعقبه التذكر بعده ويجوز ان يراد به النسيان المتعارف الذى يعقبه الذكر بعده وهو النسيان فى الجملة على القلة والندرة اى فلا تنسى الا ما شاء الله نسيانه فهو لا يبقى المنسى منسيا دآئما بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ما روى انه عليه السلام استمع آية فى قرآءة فى الصلاة فحسب ابى رضى الله عنه انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وروى ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يقرأ القرءآن فى الليل فقال عليه السلام لقد اذكرنى آية انسيتها ومن هذا كان عليه السلام يقول

فى دعائه اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان عليه السلام يقول انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال تعالى واذكر ربك اذا نسيت ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وان لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الامة ونسيانهم فانه أهل الحضور الدآئم روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام فانه كان اميا وقد جعله الله قارئا ثم انه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة ايضا من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى انه علم الكتاب للخط وقوانينه واصحاب الحرف دقائق حروفهم (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والاخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والاخفاء لما فى الضمائر من النيات اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور والقى من جملتها ما اوحى اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق واذا عدى بدون اللام والا فالعبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان لان يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى كما فى الآية فانه قيل ونيسرك لليسرى لا ونيسر اليسرى لك وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطى دليلا على عظمة العطاء وفى الارشاد تعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المتعسرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له والمعنى ونوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى اى التى هى ايسر واسهل فى كل باب من ابواب الدين علما وتعليما والمتدآ وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) اى فذكر الناس حسبما يسرنا لك بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله عليه السلام طال ما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصا على ايمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمدار النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يزيده التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد حرف الشك راجع الى النبى عليه السلام لا الى الله وفى كشف الاسرار ان تجيء فى العربية مثبتة لا للشرط فتكون بدل قد كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام ان الذكرى تنفع لا محالة اما فى ترك الكفر او ترك المعصية او فى الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على انها تنفع الا ان يكون مطبوعا على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد * زمين شوره سنبل بر نيارد * دروتخم عمل ضايع مكردان * والحاصل ان التذكير خاص بالمنتفع وذلك فى النهايتوا ما فى البداية فعام وما على الرسول الا البلاغ * من آنجه شرط بلاغست باتو ميگويم * تو خواه از سخنم پند گير وخواه ملال * قال القاشانى اجمل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) اى سيتذكر بتذكيرك يعنى زود باشد كه پند پذيرد من من شأنه ان يخشى الله حق خشيته او من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفى التفسير الكبير الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث (ويتجنبها) اى يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول (الاشقى) اى الزآئد فى الشقاوة من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام مثل الوليد بن المغيرة وابى جهل ونحوهما او الاشقى هو الكافر مطلقا لانه اشقى من الفاسق وروى ان من يخشى هو عثمان بن عفان رضى الله عنه والاشقى رجل من المنافقين وذلك ان المناخق كانت له نخلة مائلة فى دار رجل من الانصار فسقط ثمرها فى داره فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام

فارحل الى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله ان يعطي الغلة للانصاري على ان يعطيه نخلة في الجنة فقال ابيع عاجلا بآجل لا افعل فاعطاه عثمان رضي الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كما في التكملة ونظيره ان رجلا مشى للنبي عليه السلام حاجة فقال ائتني بالمدينة فاتاه فقال ايما احب اليك ثمانون من الضأن اوادعو الله ان يجعلك معي في الجنة قال بل ثمانون من الضأن فقال اعطوه اياها ثم قال ان صاحبة موسى عليه السلام كانت اعقل منك وذلك ان عجوز ادلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى ايما احب اليك اسأل الله ان تكوني معي في الجنة او مائة من الغنم قالت الجنة * هركه بيندمرعطارا صد عوض * زوددر بازد عطارازين غرض * آرزوى كل بود كل خواره را * كلشكر نكو اردآن بيچاره را (الذي يصلى النار الكبرى) اى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار وآتش آن ازآتش دركات ديكر تيزتر وسوزنده تراست وآن جاى آل فرعون ومنافقان ومنكران مائدة عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى درطبقة عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام فالكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو ما في اسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه ما في الدركات التي فوقها فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة فكما ان الكفار اشقى العصاة كذلك يصلون اعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعني ان المفضل نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقد نمست في ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دفوتم منها ويقال انها تتعوذ بالله من جهنم وان ترد اليها يقول الفقير الظاهر ان المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر في قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة واما العذاب الاصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء علامة الشقاوة اشياء كثيرة الاكل والشرب والنوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذي يدخل النار الكبرى وفي التأويلات النجمية النار نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات واللذات وهي الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشاني النار الكبرى هي نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر في مقام الصفات ونار الغضب والسخط في مقام الافعال ونار جهنم الآثار في المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت ابد الآبدين فما اكبر ناره (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وثم للتراخي من مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة اقطع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم التطبيعة ولا يحيى فيصل الى روح الوصلة وفي التأويلات النجمية لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الايمان لكونه في دار الجزآء لا في دار التكليف وقال القاشاني لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاك الروحاني اى يتعذب دائما سرمدا في حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا يقول الفقير لا يموت لان الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لان المغموم كالميت فيبقى في العذاب الروحاني كما يبقى في العذاب الجسماني قال بعض الكبار لا حياة الا عن موت ولا موت الا عن رؤية حي فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حي غير هذه الحياة فهي حياة حيوانية لا حياة انسانية (قد افلح) اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) اى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) اتمام الصلوات الخمس كقوله اقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بان يقول الله اكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول التكبير في الاركان لان العطف يقتضي المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب اعمال المكلف ثلاث فاولاها ازالة العقائد الفاسدة عن

القلب وهي المرادة بالتزكي والثانية استحضار عظمته تعالى وصفاته وهي المرادة بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهي المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لابد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع قال بعضهم خلق الله وجها يصلح للسجدة وعينا تصلح للعبرة وبدنا يصلح للخدمة وقلبا يصلح للمعرفة وسرا يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين السنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وابدانكم بالعبادة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال الله سبحانه ان لي مع المصلين ثلاث شرائط احداها تنزل الرحمة من عنان السماء الى مفرق رأسه مادام في صلاته والثانية حفته الملائكة باجنحتها والثالثة اناجي معه كما قال يارب اقول لبيك ثم قال عليه السلام لو علم المصلي من يناجي ما التفت وروى عن ابن عمر رضي الله عنه ان المراد بالتزكي اخراج صدقة الفطر قبل المضي الى المصلى وبالذكر ان يكبر في الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلاة ان يصلي صلاة العيد بعد ذلك مع الامام وهذه السورة وان كانت مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر الا انه لما كان في علمه ان ذلك سيكون اثنى الله على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون وفي الآية اشارة الى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه الى الله تعالى بقدر الاستعداد اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية واما للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة والتشديد العتاب في حق المسلمين وفي فتح الرحمن فالكافر يؤثرها ايثار كفر يرى ان لا آخرة والمؤمن يؤثرها ايثار معصية وغلبة نفس الامن عصم الله وفي عين المعاني خطاب للامة اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها او ادنارا لثواب الآخرة وفي كشف الاسرار مصطفى عليه السلام اول قلم فتوى در حق دنيا اين راند كه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه برواعنت كردكه الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله اكر دينت همي بايد زدنيا دار ي بكسل * ورت دنيا همي بايد بده دين وبيردنيا * وراز دوزخ همي ترسي بمالي بس مشوغره * كه اينجا صورتش مالست وآنجا شكلش ازدرها * چه مالي بهر مرداري چوزاغان اندرين پستي * قفص بشكن چوطاوسان يكي بر برنرين بالا (والآخرة خير وابقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه اشارة الى ان ظواهر الاشياء بالنسبة الى حقائقها كالقشر بالنسبة الى اللب واللب خير من القشر وابقى لان لب الحب يحفظ زمانا طويلا وقشره اذا سلخ من اللب يطرح في النار او يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين او اكثر فارباب القشر يؤثرون الامور الظاهرة الخسيسة الدنية الفانية على الامور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وارباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخرة كما قال قل الله ثم ذرهم ويقال قد افلح من تزكى اي من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعني اذا سمع الاذان خرج الى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لاجل اشتغاله بالدنيا فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا يعني تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وابقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها (ان هذا) اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى (لفي الصحف الاولى) جمع صحيفة وهي الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شئ كصفحة الوجه والصحيفة التي كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة والمعنى لثابت فيها يعني ان تطهير النفس عما لا ينبغي وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات الى الدنيا والترغيب في الآخرة وفي ثواب الله في دار كرامته لا يجوز ان يختلف باختلاف الشرائع (صحف) جدك

(ابراهيم) الخليل عليه السلام (و) صحف اخيك (موسى) الكليم عليه السلام بدل من الصحف الاولى روى ان جميع ما انزل الله من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجى صحيفة منها وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هى الالواح التى كتبت فيها التوراة كذا قال الامام وفى التيسير صحف شيث وهى ستون وصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهى عشر والتوراة والانجيل والزبور والقرآن وكان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وايضا الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال انى بريء مما تشركون والاقبال على الله لقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ونقل من صحف موسى يقول الله يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فان على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الامل عن التوبة فانك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم اذا لم تخرج حق من مالى الذى رزقتك اياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جبارا يأخذه منك ولا اثيبك عليه وفى صحف موسى ايضا سرعة الشوق الى جماله والندم على الوقوف فى المقامات عند تعريف الصفات لقوله انى تبت اليك وانا اول المؤمنين وفى التيسير دل الكلام على قول الامام الاعظم رحمه الله ان قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة صحيحة وهو قرآن باى لسان قرئ لانه جعل هذا المذكور مذكورا فى تلك الصحف ولذلك قال وانه لفى زبر الاولين ولا شك انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآنا لان العبرة بالمعانى والالفاظ ظروف وقوالب لها انتهى وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وبه عمل الشافعى ومالك رحمهما الله واما عند ابى حنيفة واحمد فالمستحب فى الثالثة الاخلاص فقط

تمت سورة الاعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد فى سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الغاشية ست وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل اتاك حديث الغاشية) قال قطرب من ائمة النحو اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى ابو السعود رحمه الله فى الارشاد وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيامة كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ويوما كان شره مستطيرا يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو غاش له (وجوه يومئذ خاشعة) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقى كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاه فى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ وهو ظرف لما بعده من الاخبار الثلاثة اى يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس فان الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى الانسان من الذل والخزى والهوان فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر فى الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر فى الوجه لانه ضد التكبر الذى محله الرأس والدماغ والمراد باصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الاوصاف (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها كما اشير اليه آنفا والنصب التعب والناصبة التعبة يقال نصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل والمعنى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها لانها تكبرت عن العمل لله فى الدنيا فاعملها الله فى اعمال شاقة وهى جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل اى الطين الرقيق والصعود فى تلال النار والهبوط فى وهادها وقال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان

لا يقربان الى الله تعالى بل يقطعان عنه وانما يقرب اليه سعادة الازل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذى يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة واضرابهم من اهل الكفر والبدع والضلال انما يضربون حديدا باردا ويتعبون انفسهم فى طريق الهوى والسعى فيه (تصلى) تدخل (نارا) وتذوق المها (حامية) اى متناهية فى الحر وقد اوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال فى القاموس حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقال السجاوندى حامية اى دائمة الحمى والا فالنار لا تكون الا حامية (تسقى) بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق اى سقاها الله او الملائكة بامره (من عين) اى چشمه آب كه (آنية) اى متناهية بالغة فى الانى اى الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فاذا ادنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم واذا شربوا قطعت امعاءهم كما قال تعالى وبين حميم آن يقال انى الحميم انتهى حره فهو آن وبلغ هذا اناه واناه غايته وفيه اشارة الى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذى هو مشرب اهلها والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الا من ضريع) بيان لطعام الكفار فى النار اثر بيان شرابهم واورد ضمير العقلاء اشارة الى ان المراد من الوجوه اصحابها وانما اسند اليها ما ذكر من الاحوال لكونها مظهرا يظهر فيه ما فى الباطن مع انها يكنى بها كثيرا عن الذوات والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال فى فتح الرحمن سموا ذلك الشوك ضريعا لانه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهى قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين قال سعدى المفتى ويمكن فى قدرة الله ان يجعل الغسلين اذا انفصل عن ابدان اهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع انتهى يقول الفقير ويمكن عندى ان يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الاعمال المختلفة فان لكل عمل اثرا مخصوصا وجزاء متعينا فيصح الحصر وتحقيقه ان الضريع اشارة الى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجرى مجراها على ما قاله القاشانى والغسلين اشارة الى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من ابدانهم فان لكل شهوة رشحا وعرقا وكل اناء يترشح بما فيه والزقوم اشارة الى خوضهم فى الانبياء والاولياء وطعنهم فى دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما اشار اليه قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اى متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على ان الزقمة هو الطاعون ووجه آخر وهو انه يمكن الترتيب بالنسبة الى شخص واحد بان يكون الزقوم نزلا له والضريع اكلا له بعد ذلك والغسلين شرابا له كالحميم والعلم عند الله (لا يسمن) فربه نمى كند آن ضريع (ولا يغنى من جوع) ودفع نمى كند كرسنكى را اى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيأ منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كثيف يملأها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل والاستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى

كلا للامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضمنا استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياما بخلاف العكس ولذلك كرولتأكيد النفي (وجوه يومئذ ناعمة) اى ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية تازه باشد اثر نعمت در وبيدا * ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا ويجوز ان يكون بمعنى متنعمة اى بالنعم الجسمانية والروحانية وهى وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة فانها تعطف على ما قبلها ايذانا بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه اشارة الى نعيم اللقاء الذى هو ثمرة اللطافة والنورية التى هى نتيجة التجرد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان النظر الى الرب يحصل نضرة اى نضرة (لسعيها راضية) اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جيء باللام لتقوية العمل ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ودخل فى السعى الرياضات والمجاهدات والخلوات (فى جنة عالية) اى كائنة او متمكنة فى جنة مرتفعة المحل فان الجنات فوق السموات العلى كما ان النيران تحت الارضين السبع وايضا هى درجات بعضها اعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والارض فتكون من العلو فى المكان وفى الحديث (ان المتحابين فى الله فى غرف يتراءى لهم اهل الجنة كما يتراءى اهل الدنيا الى كواكب السماء) ويجوز ان يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو فى القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم وفيه اشارة الى المقامات العالية المعنوية لانها مقامات اهل الوجاهة والشرف المعنوى فلا يصل اليها اهل التمنى والدعوى (لا تسمع) انت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له او الوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب (فيها) اى فى تلك الجنة العالية (لاغية) لغوا من الكلام وهو ما لا يعتد به فهى مصدر كالعافية او كلمة ذات لغو على انها للنسبة او نفس اللغو على انها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم اذ لا يدخلها المؤمن الا من مرتبة القلب والروح فان النفس والطبيعة تطرحان فى النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما ان شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو فى الجنة الصورية فكذا لا لغو فى الجنة المعنوية فى الدنيا لاستغراق اهلها فى الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع فى مجالسهم الا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفى الحديث (ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس واما الدنيا ومجالس اهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه وهو الكلام الردئ القبيح والضجة والاصوات المختلفة لا يفهم معناها فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك اى ما لم يتعلق بحق آدمى كالغيبة (فيها عين جارية) التنوين للتكثير اى عيون كثيرة تجرى مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهى اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها ابدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه اشارة الى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فان بها يحصل الشفاء والعصمة والبقاء لاهل القلوب واصحاب الارواح (فيها سرر) يجلسون عليها جمع سرير وهو مفروف يعنى درآنجا تختها بر هر تختى هفصد بستر بر هر بسترى حورى چون ماه انور (مرفوعة) رفيعة السمك اى عالية فى الهواء على قوائم طوال فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها فى الهواء فيرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه فى الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم قال عليه السلام ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قيل اذا جاء ولى الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت ويجوز ان يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها وصفاتها اصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر وقال الخراز قدس سره هى سرر رفعت عن النظر الى الاعواض والاكوان وفيه اشارة الى مراتب الاسماء الالهية التى يفنوها بالاتصاف والتخلق بها فى السلوك فانها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات (واكواب) يشربون منها جمع كوب بالضم وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم يعنى بى دسته ولوله مدور الرأس ليمسك من اى طرف

ارید بخلاف الابریق وهو مستعمل فی بعض بلاد العرب الآن وکذا وقع به التشویق (موضوعة) ای بین ایدیهم حاضرة لدیهم لایحتاجون الی ان یدعوا بها کما هو الشان یکون بعض الاقداح فی ایدی الغلمان کما سبق فی هل اتی علی الانسان الخ وفیه اشارة الی ظروف خمور الجنة وثباتها علی حالها مع مافیها (وفارق) وسائد یستندون الیها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فیهما بمعنی الوسادة (مصفوفة) بعضها الی جنب بعض کما یشاهد فی بیوت الاکابر اینما ارادان یجلس المؤمن جلس علی واحدة واستند الی اخری وعلی رأسه وصفاه کانهن الیاقوت والمرجان وفیه اشارة الی التجرید والجمع والتوحید اینما یریدون یجلسون و یستندون الیها (وزرابی) ای بسط فاخرة جمع زربی قال الراغب ضرب من الثیاب مخمل منسوب الی موضع علی طریق التشبیه والاستعارة (مبثوثة) ای مبسوطة علی السریر زینة وتمتعا وفیه اشارة الی انبساط ارواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم فی بساط القدس والانس والی مقامات تجلیات الافعال التی تحت مقامات الصفات کالتوکل تحت الرضی مبثوثة ای مبسوطة تحتهم واصل البث اثارة الشیء وتفریقه کبث الریح التراب (افلا ینظرون الی الابل کیف خلقت) الهمزة للانکار والتوبیخ والفاء للعطف علی مقدر یقتضیه المقام والابل بکسرتین وتسکن الباء واحد یقع علی الجمع ولیس بجمع ولا اسم جمع والجمع آبال کما فی القاموس وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وانما واحدها بعیر وناقة وجمل وکلمة کیف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة فی حیز الجر علی انها بدل اشتمال من الابل ای ینکرون ماذکر من البعث واحکامه و یستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ینظرون نظر اعتبار الی الابل التی هی نصب عینهم یستعملونها کل حین الی انها کیف خلقت خلقا بدیعا معدا ولابه عن سنن خلقة سائر انواع الحیوانات فی عظم جثتها وشدة قوتها وعجیب هیئتها الائقة بتأتی مایصدر عنها من الافاعیل الشاقة کالنهوض من الارض بالاوقار الثقیلة وجر الاثقال الفادحة فی الاقطار النازحة وفی صبرها علی الجوع والعطش حتی ان ظمأها لیبلغ العشر فصاعدا واکتفائها بالیسیر ورعیها لکل ماتیسر من شوک وشجر وغیر ذلک مما لایکاد یرعاه سائر البهائم وفی انقیادها مع ذلک للانسان فی الحرکة والسکون والبروک والنهوض حیث یستعملها فی ذلک کیفما یشاء و یقتادها بأقطارها کل صغیر وکبیر وتحمل من خلفها لان قائدها امامها فلا یترشش علیه بولها وعنفها سلم الیها وتتأثر من المودة والغرام وتسکن منها الی حیث تنقطع عن الاکل والشرب زمانا ممتدا وتتأثر من الاصوات الحسنة والحداء وتصیر من کمال التأثر الی حیث تهلک نفسها من سرعة الجری و یجری الدمع من عینیها عشقا وغراما پیر رومی فرموده است * برخوان افلا ینظر تاقدرت مابینی * یکره بشتر بنگر تاصنع خدایینی * درخار خوری قانع دربار بری راضی * این وصف اکر جوئی در اهل صفا بینی * ولم یذکر الفیل مع انه اعظم خلقة من الابل لانه لم یکن بارض العرب فلم تعرفه ولا یحمل علیه عادة ولا یحلب درّه ولا یؤمن ضرّه بخلاف شترکه هر بچه مطلوبست از حیوان مثل نسل وحمل وشیر ولحم ورکوب هم ازو حاصل است وقال بعض العلماء لما ذکر الله الجنة وما اتخذ فیها من المنازل الرفیعة والسرر العالیة التی سمکها کذا وکذا ذراعا قالوا فکیف یقعد احدنا علیه وقامته قصیرة وهو لا یکاد یرقی سطحا بغیر سلم وتعجب المشرکون منه وایضا کفتند بطریق سخریت که اکر این واقعست پس بلان وخباب وامثال ایشان را کار افتاد زیرا بسی زحمت باید تا بر بالای آن تخت بلند روند وبسی فرصت باید تا ازان فرود آیند این آیت آمد تا که افلا ینظرون الخ یعنی شتر با آن همه بلندی و بزرکی برشتهٔ مسخر کودکی میشود تا بر و بر آید وفرود آید پس چرا از تخت بهشت متعجب میشوند که در فرمان بهشتی باشد (والی السماء) التی یشاهدونها کل لحظة باللیل والنهار (کیف رفعت) رفعا سحیق المدی بلا عماد ولا مسالک بحیث لا یناله الفهم والادراک (والی الجبال) التی ینزلون فی اقطارها و ینتفعون بمیاهها واشجارها (کیف نصبت) نصبا رصینا فهی راسخة لا تمیل ولا تمید وقال ابو اللیث کیف نصبت علی الارض اوتادا لها وفیه اشارة الی عالم المثال لانه متوسط بین سماء الروحانیات وارض الجسمانیات کالجبال فی انتشار (والی الارض کیف سطحت) ای والی الارض التی یضربون فیها و یتقلبون علیها کیف سطحت سطحا وبسطت علی ظهر الماء بسطا حسبما یقتضیه صلاح امورما علیها من الخلائق والاستدلال بکونها مسطوحة

على عدم كونها كرة مجاب بان الكرة اذا كانت عظيمة جدا يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح ان يطلق عليها البسط ففرق بين كرة وكرة كما انه فرق بين بيض الحمامة وبين النعامة والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور لاشعارها بان خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز والضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقاء الله بالايمان والطاعة در تبيان آورده كه مخاطب عرب اند واكثر ايشان اهل بريه باشند ومال ايشان شتراست وهر طرفى مينكرند جز آسمان وزمين وكوه نمى بينند لاجرم بعد از ذكر شتر آسمان وكوه وزمين ياد ميكرد يعنى قرنت الابل بالسماء والجبال بالارض لان الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا اشد ملابسة بهذه الاشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها وقال الغزالى رحمه الله خص الابل بالذكر لانها لائقة بقرآئنها يعنى فالسماء الظليلة والارض الزاملة الجبال الثقيلة كالابل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والابل الاحمال الثقال والارض الجبال والكل مسخر بامره قال القرطبى قدم الابل فى الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيرى رحمه الله انه قال ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة يقول الفقير ان قلت لو اخر ذكر الابل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الارض لان الابل سفن البر قلت نعم لكنه اعتبر سمك الابل فترقى منه الى سمك السماء ثم يقول الفقير ولى كلام عريض فى هذا المقام ذكرته فى كتاب الواردات الحقية لى وخلاصته انه تعالى اشار بالابل الى النفوس فانها ضخمة جسيمة مثلها وبدأ بالنفوس لانها اصل بمنزلة الام ولدرجة الانوثة تقدم حكما وان كان لها تأخر صورة كحوآء بالنسبة الى آدم واشار بالسماء الى الارواح لانها علوية وبمنزلة الاب ولهذا اردفها بها واشار بالجبال الى القلوب لانها اثبت من الرواسى ولانها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما ان الجبال خلقت بعد خلق السماء والارض فهى بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها وقد صح ان الجبال تعبر فى الرؤيا باهل القلوب من الرجال لانهم اوتاد الارض والعمد المعنوية فى الحقيقة كما ان الجبال اوتاد الارض فى الصورة واشار بقوله نصبت دون خلقت الى ان القلوب فى الحقيقة امر ملكوتى وان ظهرت فى الصورة ظهور الولد من الابوين واشار بالارض الى الاجساد السافلة وهى مؤخرة فى المرتبة فالله تعالى سطح ارض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الاخفى فما احسن ترتيب هذه الآية وما اشد انتظام جملتها وتناسبها فهى كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى اعلم (فذكر) الفاء لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون (انما انت مذكر) تعليل للامر بما امرت به اى مبلغ وانما الهداية والتوفيق الى الله تعالى (لست عليهم بمصيطر) اى لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار واكثر القرآء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام بان يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى وخلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القرآء يقال سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله فاصله من السطر فالكتاب مسيطر والذى يفعله مسيطر وقال الراغب يقال سطر فلان على كذا او تسطر عليه اذا قام عليه قيام سطر اى لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم فى قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والحفيظ فى قوله وما انت عليهم بحفيظ انتهى (الا من تولى) اعرض عن الحق او عن الداعى اليه بعد التذكير (وكفر) وثبت على الكفر او اظهره وفى فتح الرحمن الا من تولى عن الايمان وكفر بالقرآن او بالنعمة وفى التأويلات النجمية الا من تولى عن الحق بالاقبال على الدنيا وكفر اى ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع ومن موصولة لا شرطية لمكان الفاء ورفع الفعل اى لكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم قالوا وعلامة كون الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندى مائتان الا درهما فلا يدخل عليه ان (فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفى فتح الرحمن الاكبر عذاب جهنم والاصغر ما عذبوا به فى الدنيا من الجوع والاسر والقتل ويؤيده ما قال

الراغب فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى فيه تنبيه على ان كل ما ينال للكافر من العذاب قبل ذلك فى الدنيا وفى البرزخ صغير فى جنب عذاب ذلك اليوم انتهى وايضا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر فان المراد بالعذاب الادنى هو العذاب الاصغر الدنيوى لا البرزخى لقوله تعالى بعده لعلهم يرجعون فان الرجوع انما يعتبر فى الدنيا لا فى البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الاكبر هو العذاب الاخروى واليه ينظر قوله تعالى يصلى النار الكبرى كما سبق وفى التأويلات النجمية العذاب الاكبر هو عذاب الاستتار فى الدنيا وعذاب نار الحجران فى الآخرة (ان الينا اوبهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر يقال آب يؤوب اوبا وايابا رجع اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا كما قال تعالى ألا الى الله تصير الامور واليه يرجع الامر كله فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان يقال ان اوبهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام كما ان مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فان رجوع العبد العاصى المصر الى مالكه الغضوب فى غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم واعمالهم وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين اوبهم وحسابهم لا بين كون اوبهم الينا تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران قال ابو بكر ابن طاهر رحمه الله ان الينا اوبهم فى الفضل ثم ان علينا حسابهم فى العدل وقال البقلى رحمه الله انظر كيف تفضل بعد الوعيد بان جعل نفسه ماآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغى ان يعيشوا بهذين الفضلين اطيب العيش فى الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين يقول الفقير ما قاله البقلى هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغى ان لا يغتر به العوام فانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية انما خف الحساب فى الآخرة على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وثقلت موازين قوم فى الآخرة وزنوا نفوسهم فى الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الاكبر وعن على رضى الله عنه اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نلت من الدنيا فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعنه اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفى الحديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لو لم ينزل على الا هذه الآية لكانت تكفى ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه الخ فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة وفى الشوق بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله اى خالصا لاجله وبالله اى بمشاهدة قربه لا بقضاء نفسه وهواه وفى الله اى فى سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فمقبول واهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم

تمت سورة الغاشية بعون الله ذى العطايا الفاشية فى السابع عشر من شهر مولد النبى عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة والف سورة الفجر تسع وعشرون اوانتتان وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجر) قال فى كشف الاسرار لما كان العرب اكثر خلق الله قسما فى كلامهم جاء القرآن على عادتهم فى القسم والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذى يتعلق به الصوم والصلاة اقسم الله بالفجر الذى هو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الارزاق وذلك مشاكل للنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (وقال الكاشفى) سوكند بصبحكه وقت مناجات دوستانست او اقسم بصباح عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات وفى الحديث (الحج عرفة) يعنى صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجيان

درآنست اوصباح یوم النحر لانه یوم عظیم ایضا ویقع فیه الطواف المفروض والحلق والرمی ویروی
ان یوم النحر یوم الحج الاکبر وبقولی مراد روز اول محرم است که سال از و منفجر میشود یا بامداد آذینه که
حج مسکینانست ودرتبیان آورده که اشارت بانفجار آب از اصابع حضرت رسول صلی الله علیه وسلم
در روز طائف وغیر آن وگفته اند انفجار ناقه از صخرة صالح علیه السلام یا انفجار عیون ومنابع یا انفجار آب
از حجر موسی علیه السلام یا انفجار مطر از سحاب یا روان شدن اشک ندامت از دیدهٔ عاصیان * بران
ازدوسر چشمهٔ دیده جوی * ورآلا یشی داری از خود بشوی (ولیال عشر) من عشر ذی الحجة والعرب
تذکر اللیالی وهی تعنیها بایامها تقول بنی هذا البناء لیالی الثمانیة ای ایامهم او العشر الاواخر من شهر
رمضان وتکبیرها للتعظیم لانها مخصوصة بفضائل لیست لغیرها ولذا اقسم الله بها وذلک کالاشتغال باعمال
الحج فی عشر ذی الحجة وفی الحدیث ما من ایام ازکی عند الله ولا اعظم اجرا من خیر عمل فی عشر الاضحی قیل
یا رسول الله ولا المجاهد فی سبیل الله قال ولا المجاهد فی سبیل الله الا رجل خرج بنفسه ومالهفلم یرجع من ذلک
بشیء وفیه اشارة الی ان الغازی ینبغی ان یخرج من بیته علی قصد ان لا یعود والله یفعل ما یرید واما شرف العشر
الاواخر فیکفی ان لیلة القدر التی هی خیر من الف شهر تطلب فیها وگفته اند مراد دهه محرم است که عاشورا از
آنست یا دهه میان شعبان که شب برآءت درآنست وقال البقلی هی لیال ست خلق فی اولها السموات والارض
ولیلة خلق فیها آدم علیه السلام ولیلة یومها یوم القیامة ولیلة کلم الله فیها موسی علیه السلام ولیلة اسری
بالنبی علیه السلام وقال القاشانی اقسم بابتداء ظهور نور الروح علی مادة البدن عند اول اثر تعلقه به ولیال
عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التی تتعلق عند تعلقه به لکونها اسباب تحصیل الکمال وآلاتها
وفی التأویلات النجمیة یشیر الی القسم بانفجار الحسنة الواحدة من ارض قلب المؤمن ولیال الحسنات العشر
المشار الیها بقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما سماها بلیال لکون ظهور الحسنات العشر من غیب
مرتبة احدیة الحسنة الواحدة من غیر الاکتساب من نهار العمل بل من عالم الغیب بطریق الموهبة الالهیة
(والشفع) بالفارسیة جفت وذلک لان الشفع ضم الشیء الی مثله (والوتر) بفتح الواو وکسرها ای شفع هذه
اللیالی ووترها والظاهر التعمیم لان الالف واللام للاستغراق ای الاشیاء کلها شفعها ووترها لان کل شیء
لابد ان یکون شفعا اووترا وقال الراغب المخلوقات کلها من حیث انها مرکبات کما قال ومن کل شیء خلقنا
زوجین فهو الشفع واما الوتر فهو الله تعالی من حیث ان له الوحدة من کل وجه والیه یرجع قول من قال
من کبار اهل الحال یشیر الی القسم بشفع الکثرة الامکانیة ووتر الوحدة الذاتیة الحقیقیة ودخل فیهما العناصر
الاربعة والافلاک التسعة والبروج الاثنا عشر والسیارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ویوم النحر لانه
عاشر ایام ذی الحجة ویوم عرفة لانه تاسع تلک الایام والیومان بعد یوم النحر والیوم الثالث وآدم وحوا علیهما
السلام زوجین ومریم علیها السلام وتر والعیون الاثنا عشرة التی فجرها الله لموسی علیه السلام والآیات
التسع وایام عاد الشفع ولیالیها الوتر کما قال تعالی سبع لیال وثمانیة ایام والشهر الذی یتم بثلاثین یوما والشهر
الذی یتم بتسعة وعشرین والاعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والرکوع وابواب الجنة
وابواب النار ودرجات الجنة ودرکات النار وصفات الخلق کالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والکراهة
والحیاة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حیاة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل ونفس
العدد شفعه ووتره والایام واللیالی والیوم الذی لا لیلة بعده وهو یوم القیامة وکل نبی له اسمان مثل محمد واحمد
والمسیح وعیسی ویونس وذوالنون وکل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهیم ومسجد مکة والمدینة
وکذا یقال لهما الحرمان الشریفان والمسجد الاقصی او الجبلان الصفا والمروة والبیت الحرام والنفس
مع الروح فی حالة الجمع وهما فی حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله الخبر محمد علیه السلام منه تفجرت الانوار
ولیال عشر هی العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الاخلاص فی الطاعات (والليل) جنس
اللیل (اذا یسر) ای یمضی هو بالفارسیة آنگاه که بگذرد کقوله واللیل اذا ادبر والسری سیر اللیل یقال
سری یسری سری ومسری اذا سار عامة اللیل وساری یسیر سیرا ذهب والتقیید به لما فیه من وضوح الدلالة
علی کمال القدرة ووفور النعمة کان جمع الحیوانات اعید الیهم الحیاة بعد الموت وتسببوا بذلک لطلب الارزاق

المدة للحياة الدنيوية التي يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يبقى من القسم بثمان عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي باعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يبقى احدهما عن الآخر ويجوز ان يكون المعنى والليل اذا يسرى يعني يسرى فيه الساري ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل مجاز كما في نهاره صائم اي هو صائم في نهاره فالتقييد بذلك لان السير في الليل حافظ للسائر عن حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار اشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى في الليل وكذا هو حافظ عن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة لسقوطها في خط المصحف ولموافقة رؤس الآي وان كان الاصل اثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الاخفش عن حذفها فقال اخذ من سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسرى فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه يعني ان سقوط الياء ليدل على ان اصل الفعل مبني عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تختلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة في نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل برفع المقيدات بسطوات انوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التي اسرى الله بعبده فيها فكانت اشرف جميع الليالي لانها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق (هل في ذلك) الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ذار باب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر جة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها (قسم) اي مقسم به وفي فتح الرحمن مقنع ومكتفى (لذي حجر) لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للسق وايذانا بظهور الامر اوهل في الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آيا در بن سوكند كه يادكردم سوكندى پسنديده مر خداوند عقل را تا اعتبار كند وداند كه سوكند يست محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال القرآء يقال انه لذو حجر اذا كان ظاهر النفسه ضابطا لها والتنوين في الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بعاد) الهمزة للانكار وهو في قوة النفي ونفي النفي اثبات اى الم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مجرى الرؤية في الجلاء اى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر ايضا كيف عذب ربك عادا وقتلهم فسيعذب كفار قومك ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وبنو تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد قيل لا آثار لهم عاد الاولى ولا واخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف (ارم) عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف ويؤيده القرآءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وفي المفردات الارام اعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد اشارة الى اعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة او على هيئة القبور وفيه ايضا حذف مضاف يعني اهل الاعلام (ذات العماد) صفة لارم واللام للبيس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمدية تضمتين وبضمتين وعمدة اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا يدوبين اهل عمد يظعنون الكلأ حيث كان فاذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا الى منازلهم او ذات البناء الرفيع وكانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد

وكانوا

وكانوا يعابثون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة اوذات الاساطين اذ كانت مدينتهم ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانات على ان ارم اسم بلدتهم وقال السهيلي رحمه الله ارم ذات العماد وهو شيرون بن سعد بن ارم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر انه ادخل فيها اربعمائة الف عمود واربعين الف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التي كان البناء عليها في هذه المدينة وكانت تسمى شيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو ابراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد اسلم وبنى جامع ابراهيم في الشأم انتهى لعل هذه الرواية اصح فليتأمل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها على انها اسم القبيلة اى لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة في الآفاق والنواحي حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا في رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة في البحر اولم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على انها اسم البلدة وقصة آن بر سبيل اجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت در بيابانى بشهرى رسيد كه بارة محكم داشت كه اساس آن از جذع يمانى وبر حوالى آن قصور بسيار بود بامید آنكه كسى بيند واحوال شتر خود پرسد بدر حصار امد درى ديد هردو مصراعش مكلل بجواهر قيمتى وهيچكس را آنجا نيافت متحير شد وچون بشهر در آمد حيرتش بيفزود چه قصرها ديد بر ستونهاى زبرجد وياقوت بنا كرده خشتى از زر وخشتى از نقره وفرشها برهمين وتيره وبجاى سنك ريزه مرواريدهاى آبدار ريخته ودر حوالى هر قصرى آبهاى روان برروى لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن از زر وبركهاى آن از زبرجد وشكوفهاى آن از سيم باخود كفت هذه الجنة التي وعد المتقون (مصراع) اين چه منزل چه بهشت اين چه مقامست اينجا * وقال والذي بعث محمدا بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا پس قدرى از ان جواهر برداشت ودر پس وپشت بست وبيرون باز آمد ومردمان آن كوهررا دردست او بديدند وحمل بر يافتن كنج كرده قصه وى درزبانها افتاد تا حدى كه حال اورا بمعاويه كه دران وقت حاكم شام بود انها كردند معاويه اورا طلبيد وتمام حكايت اوراز اول تا آخر استماع كرد پس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الاحبار را طلبيده پرسيد كه در دنيا شهرى هست كه بناى او از زر ونقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آرى شهريست كه حق سبحانه وتعالى در قرآن مجيد يادفرمود كه (لم يخلق مثلها في البلاد) وآنرا شداد بن عاد ساخته واو پادشاه عظيم قدر بوده است ونهصد سال عمر داشت هر جا در عالم زرى وجوهرى بوده همه راجمع كرده وصد قهرمان باهر يكى هزار فرستاد تا شهر ارم را بساختند وبسيصد سال باتمام رسيد ده سال ديكر بتهية راه اشتغال نمود امراء وملوك عالم را جمع كرد واز دار السلطنة خود بتماشاى آن شهر متوجه شد يك شبه راه ميان او وآن بنا مانده بود كه حق سبحانه وتعالى ملكى فرستاد تا صيحه بر ايشان زد وهمه بمردند وآن شهر از نظر مردم پوشيده شد جناني چه اصحاب كهف در غار وخوانده ام كه در حكومت تومردى كوتاه بالاى سرخ رنك سبز چشم كه برروى او خالى وبر كردن آن علامتى باشد بطلب شترى بدآنجا رسد وآنرا بيابند پس بازنكريست وابن قلابه راديد كفت هو والله ذلك الرجل قال ابن الشيخ في حواشيه وفيه بحث لان قوم عاد اهلكوا بالريح وقوم صالح اهلكوا بالصيحة الا ان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد الصوت وذكر كعب انه كتب ابن شداد على لوح وضع عند رأس ابيه عن لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه

انا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد * واخو القوة والبأ * ساء والملك المشيد
دان اهل الارض لي من * خوف وعدى ووعيدى * وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد
فاتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد * فتوفتنا كزرع * وسط بيداء حصيد

وذكر في قوت القلوب تصنيف العالم الرباني ابي طالب المكي قدس سره انه قيل لابي يزيد البسطامي قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال ضنه قد دخلت الف مدينة لله تعالى في ملكه ادناها ذات العماد ثم اخذ يعدد تلك المدائن جابلق وجابلص الى غير ذلك فظاهر قول ابي يزيد ادناها ذات العماد يخالف قوله تعالى لم يخلق

مثلها فى البلاد لكن المستفاد من الآية فى الخلق فى الماضى ويجوز ان تكون تلك المدائن ستوجد بعد نزول القرآن و يجوز ان يزاد بنفى المثل هو المثل فى الزينة و بالاولى فى الجثة وفى بعض نسخ قوت القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال الله تعالى لم يخلقوا من الارض اى ارض بلادهم و بمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال كذا فى شرح البردة لابن الشيخ (وثمود) وديكرچه كرد خداى تعالى بقوم ثمود وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى وإلى ثمود اخاهم صالحا (الذين جابوا الصخر بالواد) اى الذين قطع قطعوا الصخور بوادى القرى جبت البلاد اجوبها جوبا وجدت القرآن جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمى الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد والواد اصله الوادى حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية واصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والمراد هنا هو وادى القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام قال ابو نضرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك على وادى ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم فى واد ملعون والمعنى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل انهم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون) وچه كرد بفرعون موسى عليه السلام وهو الوليد ابن مصعب بن ريان بن ثروان ابو العباس القبطى واليه تنسب الاقداح العباسية وفرعون لقب افرده تعالى بالذكر لانفراده فى التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والالوهية (ذى الاوتاد) جمع وتد بالتحريك و بكسر التاء ايضا بالفارسية ميخ وقد سبق فى سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم ويربطونها بالاوتاد والاطناب كما هو الآن عادة فى ضرب الخيمة او لتعذيبه بالاوتاد كما قال فى كشف الاسرار وفرعون آن كشنده ميخ بند يعنى بطريق چهارميخ تعذيب كننده روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لان امرأة خازنه خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فبينا هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون وهل لك الهة غير ابى فقالت الهى والهك وإله ابيك اله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال ما يبكيك قالت ان الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها والهك السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها و يحك اكفرى بالهك قالت لا افعل فعذبها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك ايضا وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله تعالى فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله تعالى الى جوار رحمته وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعنى ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هى تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال قاعلمك بك الجنون الذى كان بها قالت ما بى من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شئ قدير فعذبها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليريه عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة فى آخر سورة التحريم فارجع ثم فى عاد اشارة الى الطبيعة البشرية

وفى ثمود الى القوة الشهوية وفى فرعون الى القوة الغضبية فلابد للسالك من تزكيتها وازالة آثارها (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون مجرورا بالحمل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضها معطوفا عليه وهو احسن بحسب اللفظ اذ لا حذف فيه واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم وهو احسن نظرا الى المعنى والمعنى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وتجاوزوا الحد يعنى طغى عاد فى اليمن وثمود بارض الشأم والقبط بمصر كما ان نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم (فاكثروا فيها الفساد) اى بالكفر وسائر المعاصى فان الفساد يتناول جميع اقسام الاثم كما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فمن عمل بغير امر الله وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذى حده وفيه خوف شديد لاكثر حكام الزمان ونحوهم (فصب عليهم ربك) صب الماء اراقته من اعلى اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد (سوط عذاب) السوط الجلد المضفور اى المنسوج المفتول الذى يضرب به اى عذابا شديد الايذاء غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وهى الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال ابو حيان استعير السوط للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره (وقال الكاشفى) چون عرب ضرب تازيانه را سخترين عذابها مى دانستند يعنى ان السوط عندهم غاية العذاب هر كونه از عذاب وانيز سوط ميگفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاى خود را سوط گفت قال الشاعر

الم تران الله اظهر دينه * وصب على الكفار سوط عذاب

والتعبير عن ازالته بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار فى مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب فان قيل أليس ان الله تعالى قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة وهو يقتضى تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا انه يقتضى تأخير تمام الجزآء الى الآخرة وذلك لا ينافى ان يعجل شئ من ذلك فى الدنيا فان الواقع فى الدنيا شئ من الجزآء ومقدماته كذا فى حواشى ابن الشيخ يقول الفقير واوجه من ذلك ان المفهوم من الاية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافى ان يؤاخذ بعضهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الامم السالفة المكذبة (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والمرصاد المكان الذى يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية اى انه لفى المكان الذى تترقب فيه السابلة ويجوز ان يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالحاق اولا خذ المكس او نحو ذلك ولا مخلص لهم عن المعبور الى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هنالك (قال الكاشفى) حق سبحانه همه را مى بيند وى شنود وبر وپوشيده نيست * هم نهان داند وهم آنچه نهان تر باشد * يعلم السر واخفى صفت حضرت اوست * ويقال يعنى ملائكة ربك على الصراط يترصدون على جسر جهنم فى سبعة مواضع فيسأل فى اولها عن الايمان فان سلم من النفاق والرياء نجا والا تردى فى النار وفى الثانى عن الصلاة فان اتم ركوعها وسجودها واتمامها فى مواقيتها نجا والا تردى فى النار وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم شهر رمضان وفى الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفى السابع عن بر الوالدين وصلة الرحم فان خرج منها قيل له انطلق الى الجنة والا وقع فى النار (فاما الانسان) متصل بما قبله من قوله ان ربك لبالمرصاد وكانه قيل انه تعالى يرصد مراقبة احوال عباده ويجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه من ذلك شئ انما مطمح نظره ومرمى فكره الدنيا ولذاتها

السهيلي رحمه الله المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب في نزولها فيما ذكروا وان كانت هذه
الآية تعم (اذا ما ابتلاه ربه) اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار (فاكرمه) پس گرامى گندش بجاه
واقتدار (ونعمه) ونعمت دهدش ومعيشت بروفراخ گرداند وبا آسانى كاراو بسازد والفاء تفسيرية
فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء (فيقول) مفتخرا (ربى) پروردگارمن (اكرمن) فضلنى بما اعطانى من
الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه محض تفضل عليه ليبلوه ايشكرام يكفر وهو خبر للمبتدأ
الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان
فيقول ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وانما قدميه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق
الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى فان المجرد الظرفية وان هذه الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها
(واما اذا ما ابتلاه) اى واما هو اذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد اما فى الفقرتين اسما فتكون الجملتان
متعادلتين (فقدر عليه رزقه) پس تنك سازد بروروزى اورا يعنى ضيقه حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة وجعله على قدر كفايته وقوت يومه (فيقول) متضجرا (ربى اهانن) اذلنى
بالفقر ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة فى شئ ولذا لم يقل فاهانه فقدر
عليه رزقه فى مقابلة اكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين فى حق الفقير الصابر اما تأديته
الى كرامة الآخرة فظاهر واما تأديته الى كرامة الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعداء فيحسن
فيه اعتقاد الكبراء من اهل الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضى الى خسران الدارين
بالكفران فيكون استدراجا * اى دل اكر بديدة تحقيق بنكرى * درويشى اختيار كنى ير تو انكرى *
قال بعضهم ربما كان التضييق اكراما له بان لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق
والسلوك فى طريقه لعدم التعلق وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة
ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ
نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته فتأمل هل تكون هذه اهانة لخواص عباد الله فالمؤمن
اما فى مقام الشكر او فى مقام الصبر قال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر * صوفى
ازفقر چون دو رخم شود * عين فقرش دايه ومطعم شود * زانكه جنت ازمكاره رسته است *
رحم قسم عاجز انشكسته است * آنكه سرهابشكند اواز علو * رحم حق وخلق نايد سوى او *
كما قال بعض الكبار فى قوله فيقول ربى اهانن اى تركنى ذليلا مهينا لم يعرف المحبوب المسكين ان ربه
ناظر اليه بنظر الرحمة والشفقة اذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعى الى العالم الروحانى ومن عالم
النفس الى عالم القلب ومن عالم الفرق الى عالم الجمع ومن عالم الفراق الى عالم الوصال (كلا) ردع للانسان عن
مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته
على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال
من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة
لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيد للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس
اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون
ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بنى آدم هو الذى فقد اباه وكان غير بالغ
ومن البهائم ما فقد امه قال عليه السلام احب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم * برحمت بكن آبش
ازديده بالك * بشفقت بيفشانش ازچهره خاك * قال فى الاشباه استخدام اليتيم بلا اجرة حرام ولو لاخيه
ومعلمه الا لامه وفيما اذا ارسله المعلم لاحضار شريكه كما فى القنية (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين
من تتحاضون والحض الحث والتحريض اى لا يحض بعضكم بعضا ولا يحث من اهل وغيره شكرا لانعام الله
تعالى (على طعام المسكين) اى على اطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على اطعامه فان لا يطعمه
بنفسه اولى فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال
مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت (وتأكلون التراث)

اى الميراث واصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت (اكلا لما) اللم الجمع يقال كتيبة ملمومة اى مجتمعة بعضها الى بعض والمعنى اكلا ذا لم على حذف المضاف اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم وفيه اشارة الى انه كان بينهم ميراث يتوارثونه من ابراهيم واسمعيل عليهما السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الاحكام او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام ومشتبه غالبين بذلك (وتحبون المال حبا) كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فان الجم الكثير يقال جم الماء في الحوض اذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الآخرة وفيه اشارة الى ان حب المال طبيعي فلا يتخلص عنه المرء بالكلية الا ان يكون من الاقوياء فكانه اشار الى ان حبه اذا لم يشتد لا يكون مذموما وقال بعض الكبار وتحبون مال الاعمال السيئة النفسانية والاحوال القبيحة الهوائية حبا كثيرا (كلا) ردع لهم عما ذكر من الافعال والتروك وانكار اى لا ينبغي ان يكون الامر كذلك في الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل او حرام وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحياة الدنيا الفانية على الحياة الاخروية الباقية (اذا دكت الارض دكا دكا) استئناف بطريق الوعيد تعليل للردع والدك الدق يقال دككت الشيء دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض وبالفارسية كوفتن چيزى تا برزمين برابر كردد وقال الخليل الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكا اى كسرته كسرا وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط ودكا الثاني ليس تأكيدا للاول بل هو دك آخر سوى الاول والمعنى اذا دكت الارض دكا متتابعا وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وصارت هباء منبثا وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وبالفارسية چون شكسته شود زمين شكستنى بعد از شكستنى يعنى پاره پاره كردد (وجاء ربك) اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان بنفسه من احكام هيبته وسياسته فانه عند حضوره يظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره وقال الامام احمد جاء امره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل وفي التأويلات النجمية تجلى في المظهر الجلالي القهري (والملك) ويايد فرشتكان بعرصة محشر (صفا صفا) اى حال كونهم مصطفين اوذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف اهل الصلاة في الدنيا من الانس والجن كما قال تعالى والملك على ارجائها فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم يعنى ان المجيء بها عبارة عن اظهارها حتى رأها الخلق مع ثباتها في مكانها فان من المعلوم انها لا تنفك عن مكانها والباء للتعدية على ان جهنم قائم مقام الفاعل بلي وقال ابن مسعود رضي الله عنه ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير يعنى دلازخ ازخشم كافران مى جوشد ومى خروشد فتشرد شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ويجثو كل نبي وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول امتي امتي فتقول النار مالي ومالك يا محمد لقد حرم الله لحمك علي فالمجيء بها على حقيقته فان الجر يدل على انفكاكها عن مكانها واوله الاولون بحمله على التجوز بان معنى يجرون يباشرون اسباب ظهورها يقول الفقير لا حاجة الى الحمل على التجوز فان بعض الامكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالايجاد والاعدام اللذين هما اسرع شيء من طرفة العين فلا بعد في ان يكون مجيء جهنم من هذا القبيل على ان الارض يومئذ اوسع شيء كما بين فيما سبق فهي تسع جهنم واهل المحشر جميعا وايضا المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية ولا مناقشة فيه فيكون كمجيء المسجد الاقصى الى مرأى النبي عليه السلام حين سأله قريش عن بعض اوصافه في قصة المعراج (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ اى يقبل التذكير والارشاد الذي بلغ اليه في الدنيا ولم يتعظ ولم يقبل في الدنيا فيتعظ به في الآخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا

وهذا الوعيد يستلزم الندم على تقصيراته والندم توبة لكن لا توبة هناك لفوت الوقت قال القاشاني يوم يتذكر الانسان خلاف ما اعتقده في الدنيا وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته فان ظهور الباري بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون الا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه بما هو في نفس الامر كالمنكر والنكير (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرآنه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هنا لمحذوف واللام للنفع اى انى له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين اثبات التذكر اولا ونفيه ثانيا ثم انه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله وانى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة وفي الارشاد والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف يعنى عقلا كما تزعم المعتزلة عما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول يا) ايها الحاضرون (ليتنى) كاشكى من (قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عنه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى هذه يعنى لتحصيل الحياة الاخروية التى هى حياة نافعة دائمة غير منقطعة اعمالا صالحة انتفع بها اليوم او وقت حياتى على ان اللام بمعنى في للتوقيت ويجوز ان يكون المعنى قدمت عملا ينجينى من العذاب فاكون من الاحياء عند الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى واعلم ان اهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس في هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله كما يزعمه المعتزلة وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمعطى قدرته او بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحبور قد يتمنى ان كان متمكنا منه وموفقا له فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال (لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء راجع الى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الايثاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والايثاق بالفارسية بند كردن يعنى بسلاسل واغلال واسير كردن دران والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله لله فلا يلزم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب احد مثل عذابه وفي عين المعانى لا يعذب كعذاب الله في الآخرة احد في الدنيا ويجوز ان يكون الهاء للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول وفي الكشاف هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابى عمرو انه رجع اليه في آخر عمره اى لا يعذب مثل عذاب الانسان احد وظاهره يقتضى ان يكون عذابها شديدا من عذاب ابليس الا ان يكون المراد احد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعاقبة في الدارين (يا ايتها النفس المطمئنة) لما ذكر شقاوة النفس الامارة شرع في بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس انما هو بالوصول الى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود وفي قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على انه بمعرفته تعالى والاكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس واذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها في مقام التلوين في التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية فان الفانى لا يرد الى اوصافه فمن كان متمكنا في مقام الترقى تخلص عن التنزل الى مقام النفس الامارة وفي التعريفات النفس المطمئنة هى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة (وقال الكاشفى) اى نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودى در نعمت وصبر نمودى در محنت والمعنى ان الله تعالى يقول بالذات للمؤمن اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك وذلك عند قيام الحساب يا ايتها النفس المطمئنة (ارجعى الى ربك) اى الى ما وعدلك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية انما هو بهذا الاعتبار فقط تمسك المجسمة به واستدل بالرجوع الذى هو العود على تقدم الروح خلقا (راضية) بما اوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) في زمرة عبادى الصالحين المختصين بى

وادخلى

(وادخلي جنتي) معهم كقوله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فالدخول في زمرة الخواص هي السعادة الروحانية والدخول معهم في الجنان ودرجاتها هي السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد قول من قال ان الخطاب عند البعث وذهب بعضهم الى انه عند الموت كما روى ان ابا بكر رضي الله عنه سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الملك سيقول لها الك يا ابا بكر عند موتك وقال الحسن اذا اراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا توفي العبد المؤمن ارسل الله ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد في انفه والملك على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الى الرحمن اى الى حضوره ومقام مخصوص من مقاماته كرامانه فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الريحان ان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل اليه قطعة بجادا نتن من كل منتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة الخ ودل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ان من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فيا طوبى لها وقال بعض اهل الاشارة يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها وبسلوك سبيل الآخرة فادخلي في عبادي الاخروية وادخلي جنتي الصورية والمعنوية * اى بازهوا كرفته بازآى ومرو * كزرشته توسرى درانكشت منست *

وقال القاشاني يا ايتها النفس المطمئنة التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب ارجعي الى ربك في حال الرضى اى اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكني اليه وارجعي الى الذات في حال الرضى الذي هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون الا بعد رضى الله عنها كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه فادخلي في زمرة عبادي المخصوصين بي من اهل التوحيد الذاتي وادخلي جنتي المخصوصة بي اى جنة الذات وفي التأويلات النجمية ارجعي الى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك الى الله والسير في الله مرضية عند الله بالباس خلعة البقاء عليها فادخلي في عبادي الباقين بي وبصفاتي وادخلي جنة ذاتي لفنائك عن ذاتك وانانيتك

تمت سورة الفجر بعون ذي المن والجبر في اواخر شهر المولد النبوي من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة البلد عشرون اية مكية او مدنية الا اربع آيات من اولها

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد) اى اقسم بالبلد الحرام الذي هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه ان الله اقسم بالبلد الامين في سورة التين وبالفارسية سوكند ميخورم بمكه وفي كشف الاسرار لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله ما فعلت كذا لا والله لافعلن كذا والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه واقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان ثم ان الله تعالى اقسم بمكة لفضلها فانه جعلها حرما آمنا ومسقط رأس النبي عليه السلام وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسماعيل عليهما السلام وجعل البيت قبلة لاهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بازآئه (وانت حل بهذا البلد) حال من المقسم به وانت خطاب للنبي عليه السلام كفته اند در قرآن چهار هزار نام وى برد وذكروى كرد بعضى بتعريض وبعضى بتصريح والحل بمعنى الحال من الحلول وهو النزول اى والحال انك يا محمد حال في مكة نازل بها قيد اقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها اظهارا للمزيد فضلها فانها بعد ان كانت شريفة بنفسها ازداد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها فالاشرف فيه يحصل له شرف بشرفي المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل له بشرفه شرف زائد فصل قدمي

النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغي ان يحافظ على حرمته وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لانها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لاهل مكة بانهم لجهلهم يرون ان يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه * اى كعبه راز يمن قدوم تو صد شرف * وى مرده راز مقدم پاك تو صد صفا * بطحا ز نور طلعت تو يافته فروغ * يثرب ز خاك تو بارونق ونوا * وفيه اشارة الى بلد مكة الوجود الانسانى والى رسول القلب المستكن فى الجانب الايسر منه (ووالد) وزاينده عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم (وماولد) وآنچه زاده است وهو اسماعيل عليه السلام فانه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فانه ولده بواسطة اسماعيل فتتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام فى موضعين وايثار ما على من لمعنى التعجب مما اعطاه الله من الكمال كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وهو مريم او الوالد آدم عليه السلام وماولد ذريته وهو الانسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لابد فيه من اعتبار التغليب اى فهو من باب وصف الكل بوصف البعض او للتعجيب من الامر الذى يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل الوالد هو النبي عليه السلام وماولد امته المرحومة لقوله عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد اعلمكم امر دينكم ولقوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه انا وانت ابوا هذه الامة والى هذا اشار بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وهو سبب الدين ونسب التقوى وقد سمى الله النبي عليه السلام ابا للمؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفى بعض القرآءات وهو اب لهم فان امومية الازواج المطهرة تقتضى ابوته عليه السلام اذ كل من كان سببا لايجاد شئ واصلاحه او ظهوره يسمى ابا وقد قال عليه السلام انا من الله والمؤمنون من فيض نورى وصرح تعالى بفضيلة هذه الامة حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا ولذا عظمهم بالاقسام بهم وفيه اشارة الى ابراهيم الروح الوالد واسمعيل السر المولود منه او آدم الروح وابراهيم السر او الى روح القدس الذى هو الاب الحقيقى للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى وقوله تشبهوا بابيكم السماوى فالمراد بما ولد هو النفس التى ولدها هو فكانه قيل واقسم بروح القدس والنفس الناطقة (لقد خلقنا الانسان فى كبد) جواب للقسم يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده فانتفخت واصله كبده اذا اصاب كبده كذكرته اذا قطعت ذكره ورأيته اذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفى كبد حال من الانسان بمعنى مكابدا وحرف فى واللام متقاربان تقول انما انت للعناء والنصب وانما انت فى العناء والنصب ووجه آخر ان قوله فى كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والمعنى لقد خلقنا الانسان فى تعب ومشقة فانه مع كونه اضعف الخلق لايزال يقاسى فنون الشدآئد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده فابن آدم يكابد من البلايا مالا يكابده غيره يعنى ان الكبد يتناول شدآئد الدنيا من قطع سرته والتفاقه بخرقة محبوس الاعضاء ومكابدة الختان واوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لايمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك ويتناول ايضا شدآئد التكاليف كالشكر على السرآء والصبر على الضرآء والمكابدة فى ادآء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسى شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما فى الجنة واما فى النار كما قال لتركبن طبقا عن طبق قال الامام ليس فى الدنيا لذة البتة بل ذلك الذى يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فاللذة عند الاكل هى الخلاص عن الم الجوع وعند اللبس هى الخلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان الا الم او خلاص عن الم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش واشارة الى ان الانسان المقيد بقيد التعين الوجودى خلق فى تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فان المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق وقال القاشانى لقد خلقنا الانسان فى مكابدة ومشقة من نفسه وهواه او مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذ الكبد فى اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (ايحسب) آيا مى پندارد والضمير

لبعض

لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم اكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة واضرابه (ان لن يقدر عليه احد) ان مخففة من المثقلة سادة مسد مفعولي الحسبان اى يحسب ان الامر والشأن لن يقدر على الانتقام منه احد لحسبانه الناشئ عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لان الله الاحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام (يقول) ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء (اهلكت) انفقت كقول العرب خسرت عليه كنزا اذا انفق عليه (مالا لبدا) اى كثيرا متلبدا من تلبد الشئ اذا اجتمع يريد كثرة ما انفقه سمعة ومفاخرة وكان اهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالى ومفاخر وفى لفظ الاهلاك اشارة الى انه ضائع فى الحقيقة اذ لا ينتفع به صاحبه فى الآخرة كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حق ابن عمه عبد الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله فقال عليه السلام لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين (ايحسب) ذلك الاحمق المباهى (ان) اى ان الشأن (لم يره احد) حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه يعنى ان الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وانه مجازيه عليه مثل ذلك الانفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف بعده الجاهل فضيلة وفى الحديث لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن ماله من اين كسبه وفيم انفقه وعن عمله ماذا عمل وعن حبه اهل البيت (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما عالم الملك من الارض الى السماء حتى يشاهد بهما فى طرفة عين النجوم العلوية التى بينه وبينها عدة آلاف سنة ويفرق بهما بين ما يضر وما ينفع وبهما يحصل شرف النظر الى وجه العالم والى المصحف والى الشواهد قال فى اسئلة الحكم العين تحرس البدن من الآفات وهى نيرة كالمرآة اذا قابلها شئ ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التى هى شحمة وجعل الله العين سريعة الحركة وجعل لها اجفانا تسترها واهدابا من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين فى الرأس لان السراج يوضع على رأس المنار وجعلها اثنتين كالشمس والقمر فانهما عينا التعيين الدنيوى وجعل فوقهما حاجبين اسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولان الذى ينظر فى السواد الى البياض يكون احد نظرا ولذلك جعلت الحدقة سوداء واهداب العين شعرا اسود لان السواد يقوى البصر ولما بنى ذو القرنين الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد فان النظر الى الابيض يفرق البصر ويضعفه ولذا قال عليه السلام فى الاثمد انه يقوى البصر وجعل الحدقة محركة فى مكانها لتتحرك الى الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير ان يلوى عنقه وجعل الناظرين جميعا على خط مستقيم عرضا ولم يقع واحد منهما على ولا اخفض ليجتمع المناظران على شئ واحد لئلا يترائى له الشخص الواحد شخصين وفى العينين اشارة الى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغى ان يحافظ على كليتيهما فان نظر عينين اتم من نظر عين واحدة (ولسانا) يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج الانسان الى الاشارة او الكتابة فتعسر امره وانما تعددت العين والاذن وتفرد اللسان لان حاجة الانسان الى السمع والبصر اكثر من حاجته الى الكلام وفيه تنبيه ايضا على ان يقل من الكلام الا فى الخير وان لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر فى ان الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام الا بفتحهما ليستعين العبد باطباق شفتيه على رد الكلام وقد حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يجعل فى فمه حجرا ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه اشارة الى لسان القلب فانه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد ابطله كما ابطل العين الباطنة وافسد استعداد التكلم الباطنى والنظر القلبى (وشفتين) يسترهما فاه اذا اراد السكوت ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ قال السجاوندى خص الشفة لخروج اكثر الحروف منها وفى الدعاء الحمد لله الذى جعلنا نتطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم اسبل الصانع الحكيم امام الفم سترا من الشفة ذا طرفين يضمهما ويفتحهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب وجعل الشارب محيطا من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القشر والقذى ان يدخل حالة الشرب وفى الحديث ان الله يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين

فاطبق وفى الخبر الفرج امانة والاذن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له اورا كويند
مادو ديده بتو سپرديم پاك تو بنظر هاى ناپاك ملطخ كردى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شد اكنون
ميخواهى كه ديدار مقدس ما بنظر خويش بينى هيهات ما پاكيم وپاكانرا پاك شايد الطيبات للطيبين دو سمع
داديم ترا تا ازان دو خزانه سازى ودرهاى آثار وحى درو تعبيه كنى وامروز باز سپارى توانرا محال دروغ
شنيدن ساختى رهكذر اصوات خبيثه كردى ونداء ما پاكست جز سمع پاك نشنود امروز بكدام كوش حديث
ما خواهى شنيد زبانى داديم ترا تا با ما راز كويى در خلوت وقرآن خوانى در عبادت وصدق دروى فروارى
وبا دوستان ما سخن كويى تو خود زبانرا بساط غيبت ساختى وروزنامهٔ جدل وديوان خصومت كردى
تو امروز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد * زبان آمد از بهر شكر وسپاس * بغيبت نكرداندش
حق شناس * كذركاه قرآن وپندست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دو چشم
از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فروكير ودوست * وفيه اشارة الى شفتى لسان القلب ولسان
الرأس (وهديناه النجدين) معطوف على الم نجعل لانه فى التقدير مثبت اى جعلنا له ذلك وهديناه طريقى
الخير والشر كما قال عليه السلام هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير
او طريقى الثديين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببان لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع امه
عقيب الولادة قدرة علية ونعمة جلية * نه طفل زبان بسته بودى زلاف * همى روزى آمد بجوفت
زناف * چو نافش بريدند وروزى كسست * به پستان مادر در آويخت دست * واصل النجد
المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فانه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة الى حضيض
الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب اولان فعل الشر بالنسبة الى قوته فى الواهمة مصور بصورة
المكان المرتفع ولذا استعمل الترقى فى الوصول الى كل شئ وتكميله وقال ابن الشيخ لما وضحت الدلالة الدالة
على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار
وفيه اشارة الى نجد الروح ونجد القلب فابطلهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب (فلا اقتحم
العقبة) الاقتحام الدخول فى امر شديد ومجاوزته بصعوبة وفى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فيه
فجأة بلا روية والعقبة الطريق الوعر فى الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة
لصعوبة سلوكها (وما ادراك ما العقبة) اى اى شئ اعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة فان المراد ليس العقبة الصورية
واقتحامها (فك رقبة) الفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق
بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية والرقبة اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة وجعل فى التعارف اسما
للمماليك كما عبر بالرأس وبالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأسا وكذا ظهرا والمعنى هو اى اقتحام العقبة
اعتاق رقبة فالفك ليس تفسيرا لنفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف وذلك لان العقبة عين والفك فعل
فلا يكون تفسيرا للآخر ثم فك الرقبة قد يكون بان ينفرد الرجل فى عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى مكاتبه
ما يصرفه الى جهة فكاك رقبته وبان يعين فى تخليص نفس من قود او غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق
ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله بان يشتغل بالاعمال الصالحة حتى
يصير بها الى الجنة ويتخلص من النار وهى الحرية الوسطى وان يفك رقبة القلب من اسر النفس وقيد الهوى
وتعلق السوى وهى الحرية الكبرى فيكون قوله او اطعام الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد
فضل ذلك الخاص بحيث خرج به من ان يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم تقدم العتق على الصدقة
يدل على انه افضل منها كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله (وفى الحديث من فك رقبة فك الله بكل عضو منها
عضوا منه من النار) قال الراغب فك الانسان غيره من العذاب انما يحصل بعد فك نفسه منه فان من لم يهتد ليس
فى قوته ان يهدى وفك الرقبة من قبيل فك النفس لانه من الاعمال الصالحة التى لها مدخل عظيم فى فكها
(او اطعام فى يوم ذى مسغبة) اى مجاعة لقحط او غلاء من سغب اذا جاع قال الراغب السغب الجوع مع التعب
وربما قيل فى العطش مع التعب فمسغبة مصدر ميمى وكذا مقربة ومتربة قيد الاطعام بيوم المجاعة لان اخراج
المال فى ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر (يتيما) مفعول اطعام (ذا مقربة) اى قرابة من قرب

فى النسب قريبا ومقربة وقال السجاوندى قرب قرابة اوجوار انتهى قيد اليتيم بان يكون بينهما بين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم (اومسكينا ذا متربة) اى افتقار من ترب بالكسر تربا بفتحتين ومتربا اذا افتقر كانه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه واما قولهم اترب فمعناه صار ذا مال كالتراب فى الكثرة كما قيل اثرى وعن النبى عليه السلام فى قوله ذا متربة الذى مأواه المزابل وقال ابن عباس رضى الله عنهما البعيد التربة يعنى الغريب (كما قال الكاشفى) واين چنين كس عيال منبود باوام دار يا بيار بى خواستار ياغريبى دور ازديار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالساعى فى سبيل الله وكالقائم لايفتر والصائم لايفطر يقول الفقير خص الفك والاطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الاطعام لليتيم والمسكين لما ان ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء الوفا فى هواه كاطعام اهل الهوى وبناء الابنية الزائدة ونحو ذلك ولا يستكثرها واما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه اعطاء درهم اودرهمين اواطعام لقمة اولقمتين واحتج الشافعى رحمه الله بهذه الاية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيا والا لكان تقييده بقوله ذا متربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة فى التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذى لايجوز هو التكرير الخالى عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه اشارة الى يتيم القلب المغلوب فى يد النفس والهوى ومسكين السر المذلل تحت قهر النفس وعزتها وفى الارشاد وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى وليس بشرط اذ قد يكون بمعنى لم فكانه قيل فلم يقتحم العقبة (ثم كان) - پس باشد اين ازادكننده وطعام دهنده (من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والا فهو فى الزمان مقدم على الطاعات والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لان يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم وفى ذكر العقبة اشارة الى ان عقبة الاخرة لايجوزها الا من كان محققا قال المحاسبى تلك عقبة لايجوزها الا من خص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة وقال القاسم العقبة نفسك الا ترى الى قوله فك رقبة فانه ان تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصى وفى المصائب (وتواصوا بالمرحمة) مصدر بمعنى الرحمة اى اوصى بعضهم بعضا بالرحمة على عباد الله او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف او ذكر المسبب وارادة السبب تنبيها على كماله فى السببية والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهى الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيما او فقيرا او نحو ذلك وفى الحديث لايرحم الله من لايرحم الناس فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال فان الايمان كمال فى نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الاعمال الصالحة والتواصى من باب تكميل الغير فكل بعضهم الاطعام خصوصا وقت شدة الحاجة افضل انواع العفة والايمان اجل انواع الحكمة وهو الايمان العلمى اليقينى وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الاولى فى الارتفاع والعلو لكونه الاساس والصبر على الشدائد من اعظم انواع الشجاعة واخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة (اولئك) الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفى اسم الاشارة دلالة على حضورهم عند الله فى مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم (اصحاب الميمنة) اى اليمن وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة او اصحاب اليمن والخير والسعادة لان الصلحاء ميامين على انفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم ايضا او اصحاب اليد اليمنى (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبنا من دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم) فى ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وانهم احقاء بالاخفاء (اصحاب المشأمة) اى الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى النار او اصحاب الشؤم والشر والشقاوة لان الفساق مشائيم على انفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم ايضا ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفساق او اصحاب اليد اليسرى (عليهم)

خبر مقدم لقوله (نار موصدة) اى نار انوارها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابدا الا انها جعلت محنة للنار اشعارا باحاطتهم فاصل التركيب موصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانهما يتعاقبان من اوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن اذا اطبقته واغلقته واحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها اخذها من اوصدت مثل اوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل ان يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واوا لضمة ما قبلها للتخفيف وكان ابو بكر بن عياش راوى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته وكانه لم يحفظه عن شيخه الا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو اضبط للحرف من ابى بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث وفيه اشارة الى ان نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على النفس الامارة

تمت سورة البلد بعون الله الاحد فى خامس الثانى من الربيعين سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الشمس خمس عشرة اوست عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والشمس) سوكند مخورم بآفتاب (وضحاها) اى ضوئها اذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها يعنى سوكند بتابش وى چون بلند گردد وبموضع چاشت رسد يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفيه اشارة الى الاقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) من التلو بمعنى التبع اى اذا تبعها بان طلع بعد غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ومصدره تلو وتلوّ وتارة بالقراءآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال قوله والقمر اذا تلاها فانما يراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء آخر المرتبة وذلك انه فيما قيل ان القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله وجعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اعلى مرتبة من النور اذ كل ضياء نور دون العكس وفيه اشارة الى تعر القلب اذا تلا الروح فى التنور بها واقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فيخسف بظلمتها قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللامعات البرقيات له ان الشمس آية للحقيقة الالهية الكمالية الاكلية واشارة اليها والقمر آية للحقيقة الانسانية الكمالية الاكلية واشارة اليها فكما ان القمر منذ خلقه الله الى يوم القيامة كان مجلى ومظهرا لتجلى نور الشمس وظهوره فى الليل حتى يهتدى به ارباب الليل فى الظلمات الليلية فى سيرهم وسلوكهم فى طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكلية منذ خلقها الله الى ابد الآبدين كانت مجلى ومظهرا لتجلى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكلية وظهوره فى الكون حتى يهتدى به ارباب الكون فى ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم فى العوالم والاطوار الكونية نزولا عند السير الى عالم الامكان وعروجا عند السلوك الى عالم الوجوب فكما ان القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام فى نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى اثر من نوره ونفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمسى القابض والاقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره ونفسه اى جرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شئ من نوره ونفسه عند المقابلة والمفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالارسال الى نفسه والبسط الى نوره مرارا وكرارا دائما وباقيا الى يوم القيامة فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكلية تفنى من نورها وتعينها فى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكلية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها اثر اصلا عند الوصلة الحاصلة فى مرتبة الذات الاحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها الى نورها وتعينها الازلى الابدى السرمدى وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها اثر اصلا عند الفرقة الكونية الحاصلة فى مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والارسال الى نورها وتعينها مرارا وكرارا ابدا سرمدا وعند تجلى النور الشمسى والالهى وظهوره فى القمر والانسان الكامل تدريجا الى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجا ايضا الى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك الخط من بسط

جماله

جملة تعالى والله يقبض و يبسط دائما من مرتبة كماله الذاتي بيدي جلال كماله وجماله بل يداه مبسوطتان كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انتهى كلامه قدس الله سره فان قلت اذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظا او تقديرا حتى يعمل فيها فتكون ظرفا مطلقا فلا بد لها من عامل وهو في المشهور اقسم المقدر وهو انشاء فيكون للحال واذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفا ووقتا له قلت اذا في امثال هذا المقام للتعليل لمى اقسم بالقمر اعتبارا بتلوها وبالنهار اعتبارا بتجليته الشمس وبالليل اعتبارا بغشيانه اياها كما تقول اشهد لك على هذا حيث كنت صالحا متدينا اى لاجل ذلك كذا في بعض التفاسير وقال في القاموس اذا تجيء للحال وذلك بعد القسم والليل اذا يغشى والنجم اذا هوى انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف (والنهار) هو نور الشمس الذي ينسخ ظل الارض بمحو ظلمة الليل (اذا جلاها) اى جلى الشمس يعني هو يداكد فانها تتجلى عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكانه جلاها مع انها التي تبسطه يعني لما كان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه اسنادا مجازيا مثل نهاره صائم او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه اشارة الى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستوآء نورها اذا جلاها وابرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستوآء في تجلية الشمس (والليل) هو ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل (اذا يغشاها) اى الشمس فيغطي ضوءها فتغيب وتظلم الافاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها واقعا في الليل صار الليل كانه حجبها وغطاها فاسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك او اذا يغشى الافاق والارض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضي للدلالة على انه لا يجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي مع مراعاة الفواصل ولم يجئ غشاها من التغشية لانه يتعدى الى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من ان تلك الواوات ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين وان كانت قسمية يلزم تعدد القسم مع وحدة الجواب وحاصل الدفع اختيار الشق الاول ومنع لزوم المحذور وفيه اشارة الى ليل النفس عند غشيانه بظلمتها شمس نهار الروح وهو ايضا آية من آياته الكبرى لان الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظرا الى انه مظهر الاسم الهادي (والسماء وما بناها) اى ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وايثارها على من لارادة الوصفية تعجبا لان ما يسأل بها عن صفة من يعقل كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وكذا الكلام في قوله (والارض وما طحاها) اى ومن بسطها من كل جانب على الملائكة يعيش اهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وابدال الطاء من الدال جائز وافراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والاقسام بهما ليس لاستوآئهما في استحقاق التعظيم بل النكتة في الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله وعظمة شأنه حسبما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر وتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التي هي مسير الشمس واعظم منها فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين ان الاقسام بالشيء تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية وتغيرا حوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالهما واوصافهما الى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية ويبدآء كبريائه الصمدية وفيه اشارة الى سماء الارواح وارض الاجساد (ونفس وما سواها) اى ومن انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب وذكر في تعريف ذات الله تعالى السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسماني وهو اما علوي بسيط كالسماء واما سفلي بسيط كالارض واما مركب وهو اقسام اشرفها ذوات الانفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا في غيره اذ المقدر في المعطوف عليه يقدر في المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه ظاهر

فان الظاهر ان الواو في سواها هنا موصولة فاعرف وتدبر * شرح النفس وتسويتها وتدليل التاصر
ان شاء الله تعالى (فالهمها فجورها وتقواها) الفاء ان كانت لسببية التسوية فالامر ظاهر وان كانت لتعقيبها
فلعل المراد منها اتمام ما يتوقف عليه الالهام من القوى الظاهرة والباطنة والالهام القاء الشئ في الروع اما من
جهة الله او من جهة الملأ الاعلى واصل التهام الشئ ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة
الفواصل او لشدة الاهتمام بنفيه لانه اذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدمها هو شأنه اعني والمعنى افهم
النفس اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت قال
بعض الكبار الألهام لا يكون الا في الخير فلا يقال في الشر الهمني الله كذا واما قوله تعالى فالهمها فجورها
وتقواها فالمراد فجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به اذ ليس في كلام الله تناقض ابدا وقال بعضهم
لا يبعد ان محل الالهام هو النفس قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فاعلم ان الفاعل في الالهام هو الله تعالى
لا غيره لكن الهم النفس فجورها لتعلمه ولا تعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو في قسم الفجور الهام اعلام
لا الهام فعلم ان الله لا يأمر بالفحشاء وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فانه لو الهم بها ما قامت الحجة لله على العبد
فهذه الاية مثل قوله وهديناه النجدين اي بينا له الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه الى النفس خاطر المباح
ولا الهامه فيها وسبب ذلك ان المباح لها اذا في فبنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفاتها النفسية التي
لا تعقل النفس الا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وفي التأويلات النجمية تدل الآية على كون
النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الاحوال والاسماء فان حقيقة النفس المطلقة من
غير اعتبار حكم معها اذ توجهت الى الله توجها كليا سميت مطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة توجها كليا
سميت امارة واذا توجهت تارة الى الحق بالتقوى وتارة اخرى الى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى
وفي الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه سأل رجل من جهينة او من مزينة رسول الله عليه السلام
ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشئ قضي عليهم ام شئ يستقبلونه فقال عليه السلام بل قضي عليهم قال فقيم
العمل اذا يا رسول الله فقال عليه السلام من كان خلقه الله لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الاية وقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الاية اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت
خير من زكاها انت وليها ومولاها (قد افلح من زكاها) جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج
طول الكلام صار عوضا عن اللام واتاركه الكسائي وغيره لانه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول
ولم يجعل كذبت جوابا لان اقسام الله انما يؤكد به الوعد او الظفر والنار والبغية وهود نبوي كالظفر
بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها واخروي وهو بقاء بلا فناء وغنى
بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش الا عيش الاخرة واصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع
اذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج
الانسان من حق الله الى الفقراء لما فيها من رجاء البركة او لتزكية النفس اي تطهيرها بالخيرات والبركات اولهما
جميعا فان الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انمى النفس واعلاها بالتقوى
اي رفعها واظهرها وشهرها بها فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار تقواهم الى الملأ
الاعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف اهل الفسق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها
في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين واصل هذا ان اجواد العرب
كانوا ينزلون في ارفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون اشهر والثام ينزلون الاطراف والهضاب لتخفى
اماكنهم عن الطالبين فاخفوا انفسهم فالبار ايضا اظهر نفسه باعمال البر والفاجر دسها واستعمل التزكية
بمعنى التطهير ايضا كما قال في القاموس الزكاة صفوة الشئ وما اخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد افلح من
طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقدا وخلقا وعملا وقولا قد اقسم تعالى بسبعة اشياء على فلاح من زكى
نفسه ترغيبا في تزكيتها وابن عباس رضي الله عنهما روايت كرده كه حضرت رسول صلى الله عليه وسلم
نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكية نفس موجب تزكية دل است هركاه كه نفس از شوب هوا مزكى شود
في الحال دل از لوث تعلق بماسوى مصفى كردد * تا نفس مبر از مناهى نشود * دل آينة نور الهى نشود *

كون افعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافى اسناد الفعل الى العبد فانه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع ان الضرب بخلقه وتقديره وذلك لان وضع الفعل بالنسبة الى المكاسب قال الراغب تزكية النفس وطهارتها بصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحمودة وفى الآخرة الاجر والمثوبة وهو ان يتصرى الانسان مافيه تطهيره وذلك ينسب تارة الى العبد لاكتسابه ذلك نحو قد افلح من زكاها وتارة الى الله لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة نحو بل الله يزكى من يشاء وتارة الى الشرع لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم نحو خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وتارة الى العبادة التى هى آلة فى ذلك نحو وحنانا من لدنا وزكاة انتهى (وقد خاب من دساها) فى القاموس خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ما طلب واصل دسى دسس كتقضى البازى وتقضض من التدسيس وهو الاخفاء مبالغة الدس واجتماع الامثال لما اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء وقال الراغب الدس ادخال الشئ فى الشئ بضرب من الاكراه ودساها اى دسسها فى المعاصى انتهى والمعنى قد خسر من نقصها واخفاها بالفجور وبارسالها فى المشتهيات الطبيعية وقال شيخى وسندى قدس سره فى قوله تعالى ونفس الخ المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الانسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الالهية الجمعية الكمالية لتكون مرءآتها كما ورد بخلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن وما سواها اى خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهرا لظهورات الذات والصفات والافعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهدا لمشاهدات آثار الاسماء والمراتب والاحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت اتم كل موجود فالهمها اى افاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها اى آثار الجلال المندرج فى جمعية حقيقتها البرزخية واحكامه واحواله من العقائد والعلوم والاعمال والمذاهب وغير ذلك مما تتغير وتميل فيه من الحق الى الباطل فتجازى بالخسران وتقواها وافاض عليها بوساطة خادم الجمال اى آثار الجمال وامور واحكامه من كلمة التوحيد العلمى الرسمى المنافى للشرك والكفر والهوى الجلى وسائر الفساد فى مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العينى الحقيقى المزيل للشرك والكفر والهوى الخفى وباقى الكساد فى مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن الاعمال والاحوال ومكارم الاخلاق والصفات قد افلح اى دخل فى الفلاح فى جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذآئل آثار الجلال فى جميع الاطوار وقد خاب اى حرم عن الفلاح من دساها اى اخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم فيها العيوب والقبايح الشيطانية والاهوآء والشهوات البهيمية والاعمال والاخلاق الرديئة ولم يعالجها بأضدادها بل اهملها عن التربية فى مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية فى مرتبة الطريقة بالمجاهدة والاصلاح وساعدها فى هواها وشهواتها فى النيات والمقصود والاعمال والاقوال وصارت حركاتها وسكناتها جميعا بالاهوآء انتهى باختصار فان كلامه رحمه الله فى هذه الاية يبلغ الى نصف جزء بل اكثر (كذبت ثمود) المراد القبيلة ولذا قال (بطغواها) وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها فان الطغيان اعظم انواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان الا انه لما كان اشبه برؤس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان الطغيان اشهر وفى الكشاف الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرآءته على الله فالفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور او كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه اشارة الى ان العصيان اذا اشتد بلغ الكفر ويجوز ان تكون الباء صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اى بصيحة ذات طغيان (اذ انبعث اشقاها) منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف استئنال الامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على امر فانبعث له وامتثل قال فى كشف الاسرار الانبعاث الاسراع فى الطاعة للباعث او حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد

والمذكر والمؤنث يدل على الاول قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فليه يدل على ان المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم مباشرتهم المعتزم باشتراك الكل فى الرضى به (فقال لهم) اى لثمود (رسول الله) لما علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن ارم فالاضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان (ناقة الله) منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التى يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشتر ماده اضيفت اليه تعالى للتشريف كبيت الله اى ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها (وسقياها) يعنى شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه فى نوبتها فانها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستفزرون بذلك فى مواشيهم فهموا بعقرها (فكذبوه) اى رسول الله فى وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (فعقروها) اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال السهيلى العاقر قدار بن سالف وامه قديرة وصاحبه الذى شاركه فى عقر الناقة اسمه مصدع بن دهر او ابن جهم والعقر الضرو قدم التكذيب على العقر لانه كان سبب العقر (وفى الحديث) قال عليه السلام لعلى يا على ابتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وذلك ان الناقة اشارة الى ناقة الروح فكما ان عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل على رضى الله عنه فانه كان مظهرا لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الاكبر فى مقام الحقيقة فالقصد الى على الولى رضى الله عنه قصد الى محمد النبى عليه السلام ولا شقاوة فوق شقاوة من قابل مظهر الرحمة الكلية بالغضب والانتقام (فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا طليت بالشحم واحيطت بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ودم الشئ سده بالقير ودمت على القبر وغيره اذا طبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة فى الاحاطة فالدمدمة من الدم كالكبكبة من الكب قال فى كشف الاسرار تقول العرب دمدم على فلان ثم تقول من المبالغة دمدم بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشئ الشئ (بذنبهم) اى بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بمعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) اى الدمدمة والاهلاك بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض روى انهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحا عليه السلام ان يقتلوه فانجاه الله كما قال فى سورة هود فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا (ولا يخاف عقباها) الواو للاستئناف او للحال من المنوى فى فسواها الراجع الى الله تعالى اى فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها او عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك ان الله تعالى لا يفعل الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعل ولا يبالى بعاقبة ما صنع وان كان من شأنه الخوف وقال بعضهم ولا يخاف هو اى قدار ولا هم ما يعقب عقرها وينبعه وما يترتب عليه من انواع البلاء والمصيبة والعقاب مع ان صالحا عليه السلام قد اخبرهم بها

(تمت سورة الشمس فى اوائل شهر ربيع الآخر)

(سورة الليل احدى وعشرون آية مكية وقيل فيها مكى ومدنى)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والليل اذا يغشى) اذ للحال لكونها بعد القسم كما مر فى السورة السابقة اى اقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها ويسترها كقوله والليل اذا يغشاها فعدم ذكر المفعول للعلم به او النهار او كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند اهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند اهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق لعله المراد هنا والنهار ما يقابله وفى كشف الاسرار الله تعالى شب را مرتبتى وشرفى داده كه آنرا در قرآن مجيد محل قسم خود كردانيد واين شرف ازان يافت كه چون شب در آيد دوستان خدا تنها بمناجات شوند همه شب شراب صفا مى نوشند وخلعت رضا مى پوشند وعتاب محبوب مى نيوشند وچون وقت سحر باشد كه فرمان رسد تا درهاى اين قبة پيروزه باز كشايند ودامنهاى سراد قات عرش مجيد

براند ازند ومقو بان حضرت بامر حق خاموش شوند آنكه جبار كائنات در علو وكبر يای خود خطاب كند كه الاقد خلا كل حبيب بحبيبه فاين احبائی يعنی هر دوحق بادوست خود در خلوت وشادی آمدند دوستان من كجا اند

الليل داج والعصاة نيام * والعابدون لذی الجلال قيام

(والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل اى ان كان المغشى غير الشمس اوتبين وتكشف بطلوع الشمس اى ان كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضى والاستقبال لما ذكرنا فى السورة السابقة وفيه اشارة الى القسم بليل غيب الهوية المطلقة اذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على اهل الذوق والشهود ونور نهار الوجودات المقيدة اذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة الى اهل الحجاب والاحتجاب وقال القاشانى اقسم بليل ظلمة النفس اذا استتر نور الروح اذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعانى (وما خلق الذكر والانثى) ما عبارة عن صفة العالم كما فى وما بناها وانها لتوغلها فى الابهام افادت ان الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى اقصى درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز ان يكونا للاستغراق اى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل فمعلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا كما فى الكشاف وقيل انهما آدم وحوا عليهما السلام على ان اللام للعهد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرأ والذكر والانثى قال علقمة قدمنا الشأم فاتانا ابو الدرداء رضى الله عنه فقال أفيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فاشاروا الى فقلت نعم انا فقال كيف يقرأ هذه الآية قلت سمعته يقرأ والذكر والانثى قال وانا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدوننى على ان اقرأها وما خلق فلا اتابعهم وفيه اشارة الى الذكر الذى هو الروح والانثى التى هى النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى كما سبق فى النازعات (ان سعيكم لشتى) جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف ان المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك اخبر عنه بالجمع وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وهو المفترق المتشتت والمعنى ان مساعيكم اى اعمالكم لمختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الازلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفى الحديث الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها قال القاشانى ان سعيكم اشتات مختلفة لاجتذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وقال بعضهم باطن هذه الآية ان يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم وان السعى له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء واصحاب الاسرار فسعى بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالارواح لطلب المدانات وبالاسرار لفنائها فى انوار الذات وبقائها فى انوار الصفات وسعى بالارادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة الى غير ذلك (فاما) تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها (من اعطى) حقوق ماله (واتقى) محارم الله التى نهى عنها ومن جملتها المن والاذى (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) معنى التيسير التهيئة لما يقابل التعسير ومنه قوله كل ميسر لما خلق له فلا حاجة الى ان يقال استعمل التيسير فى العسر على المشاكلة كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة او على حسب قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم يقال يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واليسرى تأنيث الايسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشدكه آسانى

دهيم ويرا براى طريقت نيكوكه سبب آسانى وراحت باشد يعنى ملهى كه اورا بهشت رساند فوصف الخصلة باليسرى مجازا باعتبار كونها مؤدية الى اليسرى وفيه اشارة الى ان من طهر نفسه بالطاعة بالاقبال على الله والاعراض عن الدنيا واتقى فى تحمين تلك الطاعة عن نسبتها الى نفسه وصدق فى باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهى الوصول الى حضرتنا العليا ومرادنا الكبرى (واما من بخل) اى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير والبخل امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود (واستغنى) زهد فيما عنده تعالى اى لم يرغب كانه مستغن عنه فلم يتق اواستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء الذى هو مقابل الاتقاء فى الآية الاولى وبه يحصل التقابل بينهما (وكذب بالحسنى) اى ماذكر من المعانى المتلازمة (فسنيسره للعسرى) اى فسنهيئه للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها وبالفارسية پس مهيا كردانيم مر ورا براى صفتى كه مؤدى بدشوارى ومحنت بود يعنى كردارى كه اورا بدوزخ برد ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر ان السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون فى الاخرة التى هى امر متراخ منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر كذا فى بعض التفاسير وفيه اشارة الى ان من بخل فى نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الاقبال علينا وكذب بالحسنى التى اعطيناها اياه من سلامة الاعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهى البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب (وما يغنى عنه ماله) اى شيأ من العذاب فالمفعول محذوف واى شئ يغنى عنه ماله الذى يخل به اى لا يغنى شيأ فما مفعول يغنى والاستفهام للانكار (اذا تردى) اى هلك فمات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك قال الراغب الردى الهلاك والتردى التعرض للهلاك انتهى اوتردى وسقط فى الحفرة اذا قبر اوتردى فى قعر جهنم فالمال الذى ينتفع به الانسان فى الاخرة وقت حاجته هو الذى اعطى حقوقه وقدمه دون الذى يخل به وتركه لوارثه وفيه اشارة الى انه اذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقة الطبيعة البشرية اى شئ له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة (ان علينا للهدى) استئنا ف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى ومايؤدى اليه من طريق الضلال ومايؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا تبين ان الهداية هى الدلالة على مايوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الاية بظاهرها دليلا على وجوب الاصلح عليه تعالى كما يزعم المعتزلة قال القاشانى ان علينا للهدى بالارشاد الينا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للاخرة والاولى) اى التصرف الكلى فيهما كيفما نشاء من الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى (فانذرتكم) خوفتكم بالقرآن وبالفارسية پس بيم كنم شمارا اى يا اهل مكة (نارا) از آتشى كه (تلظى) زبانه زند وهو بحذف احدى التاءين من تتلظى اى تتلهب فان النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضيا لقيل تلظت مع ان المراد بوصفها دوام التلظى بالفعل الاستمرارى وفى بعض التفاسير المراد من انذرتكم انشاء الانذار كقولهم بعت واشتريت اواخبار يراد به الانذار السابق فى مثل قوله تعالى فى سورة المدثر سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر فانها اول سورة نزلت عند الاكثرين وهذا اشد تخويفا من ان يقال خافوا واتقوا نارا تلظى (لا يصلاها) صليا لازما ولا يقاسى حرها (الا الاشقى) الزائد فى الشقاوة وهو الكافر فانه اشقى من الفاسق وفى كشف الاسرار يعنى الشقى والعرب تسمى الفاعل افعل فى كثير من كلامهم منه قوله تعالى وانتم الاعلون وقوله وانبعك الارذلون انتهى فالفاسق لا يصلاها صليا لازما ولا يدخلها دخولا ابديا وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا الا الكافر (وسيجنبها) اى سيبعد عنها بحيث لا يسمع حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله وبالفارسية وزود بود كه دور كرده شود ازان آتش (الاتقى)

المبالغ فى الاتقاء عن الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى وهو المؤمن الشقى الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وان لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه فى الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق وفى كشف الاسرار الاتقى بمعنى التقى كالاشقى بمعنى الشقى قال الشاعر

تمنى رجال ان اموت وان امت * فتلك سبيل لست فيها باوحد

اى بواحد انتهى (الذى يؤتى ماله) يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات (يتزكى) ما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة او متزكيا متطهرا من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الامساك (وما لاحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله اى ليس لاحد عنده نعمة ومنة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى اى لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو فى الحقيقة مفعول له وما آتى من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجرى مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل فى استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله امره به وحثه عليه ومعنى الاعلى العلى الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله ابو الليث وقال القاشانى وصف الوجه الذى هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان لله تعالى بحسب كل اسم وجها يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى والاية نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا رضى الله عنه فى جماعة كعامر بن فهيرة واخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهى مملوكة رومية وابنتها ام عميس وامة بنى المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الاسلام فاشتراهم ابو بكر فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف در كشف الاسرار آورده كه اين سوره دربارهٔ دو كس است يكى اتقى كه پيشرو صديقانست يعنى ابو بكر رضى الله عنه ويكى اشقى كه پيشرو زنديقانست از اهل ضلالت يعنى ابو جهل ودر فاتحهٔ اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعنى در شب ضلالت كسى را آن كمراهى نبود كه ابو جهل شقى را ودر روز دعوت هيچكس را آن نور هدايت ظاهر نشد كه ابو بكر تقى را * سر روشندلان صديق اعظم * كه شد اقليم تصديقش مسلم * زمهرش روز دين را روشنايى * بدو اهل يقين را آشنايى * آورده اند كه اميه بن خلف بلال را كه بندهٔ او بود بانواع آزارها عذاب ميكرد تا از دين بر كردد وهر زمان آتش محبت ربانى در باطن او افروخته تر بود * آنجا كه منتهاى كمال ارادتست * هر چند جور بيش محبت زيادتست * روزى صديق ديد كه اميه ويرا بر خاك كرم افكنده بود وسنكهاى تفسيده بر سينهٔ وى نهاده واو درين حال احد احد ميكفت يعنى يقول امية لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وهو يقول احد احد ابو بكر را دل برو بسوخت وكفت اى اميه واى بر تو اين دوست خدايرا چند عذاب كنى كفت اى ابا بكر اكر دلت برو ميسوزد از منش بخر وفى رواية مر النبى عليه السلام ببلال بن رباح الحبشى وهو يقول احد فقال عليه السلام احد يعنى الله الاحد ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضى الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر اواق جمع اوقية وهى اربعون درهما وكان مدفونا تحت الحجارة فقالوا لو ابيت الا اوقية لبعناك فقال ولو انتم ابيتم الا بمائة اوقية لاشتريته بها وقيل كان عبدا لعبد الله بن جدعان سلح على اصنام قوم اى تغوط فشكوا اليه فوهبه لهم مع مائة من الابل قربانا لها فعذبوه فى الرمضاء اشد العذاب وفى رواية ابن المسيب بل ابتاعه من امية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك

بعد ما حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له (كما قال الكاشفي) صديق رضي الله عنه گفت با اميه
بچند ميفروشي گفت عوض ميكنم آنرا به نسطاس رومي وآن غلامي بود از آن صديق رضي الله عنه دو هزار
دينار استعداد داشت وصديق رضي الله عنه اورا گفته بود كه اگر ايمان آري آن مال كه داري بتو بخشم
نسطاس مسلمان نمي شد ودل مبارك صديق رضي الله عنه ازو ملول بود چون اين كلمه از اميه شنيده غنيمت
شمرده نسطاس را با تمام استعداد بداد وبلال را بستد وفي الحال باميد ثواب اخروي آزاد كرد وفي الحديث يرحم
الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول بلال سيدنا ومولى سيدنا وهو نظير قوله عليه السلام سلمان منا اهل البيت فانظر الى شرف التقوى كيف
ادخل الموالي في الاشراف ولا تغتر بالنسب المجرد فانه خارج عن حد الانصاف وقال السهيلي رحمه الله قال
لابي بكر رضي الله عنه ابوه لو اشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان اجدى من ابتياع الضعفة
واعتاقهم فانزل الله هذه الآية وفهم مما ذكر ان اعلى الاعطاء فضيلة ما يكون لرضى الله واوسطه ما يكون
لعوض اخروي وادناه ما يكون لغرض دنيوي مباح واما ما يكون للرياء والسمعة او لغير ذلك مما ليس بمباح
فهو اخس واقبح وقوله عليه السلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له يدل
على ان المكافأة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر اي
وبالله لسوف يرضى ذلك الاتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية وزود باشد كه خشنود گردد وهو وعد كريم
بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضى قال بعضهم اي يرضى الله عنه ويرضى
هو بما يعطيه الله في الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء على ما فعل ولم ينزل هذا الوعد الا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولابي بكر رضي الله عنه ههنا قال البقلي هذا الرضى
لا يكون من المعارف حتى يفنى في المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته في الرضى نعت الحق
سبحانه وتعالى

سورة الضحى احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار اريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول
والظرفية فان الزمان ظرف لما فيه او على تقدير المضاف وذلك التجوز او الحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه
بالاقسام به لانها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر
الناس ضحى فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لاجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها اذا علت
الشمس الى قبيل وقت الزوال وهي عند ابي حنيفة ركعتان او اربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعي
واحمد اقلها ركعتان واختلف في اكثرها فقال الشافعي ثنتا عشرة وقال احمد ثمان وهو الذي عليه الاكثرون
من اصحاب الشافعي وصححه النووي في التحقيق وقد صح ان النبي عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة
ثماني ركعات وهو في بيت ام هاني وكان يصلي صلاة الضحى قبل ذلك ايضا (والليل) اي وجنس الليل قال ابن
خالويه هو نسق على الضحى لا قسم لانه يصلح ان يقع في موضع الواو ثم او الفاء بان يقال ثم الليل مثلا وثم
لا يكون قسما (اذا سجا) اي سكن اهله على المجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه او ركد ظلامه واستقر
وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعني ان سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد
ظلامه وكمل فيستقر زمانا ثم يشرع في التنزل فاسناد سكون الظلمة الكائنة اليه مجاز ايضا يقال سجا البحر
سجوا اذا سكنت امواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات وعن جعفر
الصادق رضي الله عنه ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج وصاحب
كشف الاسرار گفته مراد از روز وشب كشف وحجابست كه نشانه نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامة
انوار جمال وآثار جلال كما قال الجنيد قدس سره والضحى مقام الشهود والليل اذا سجا مقام الغين الذي قال
عليه السلام فيه انه ليغان على قلبي يا اشارتست بروشني روي حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست
از سياهي موي وي * والضحى رمزي ز روي همچو ماه مصطفى * معني والليل گيسوي سياه مصطفى *

وتقديم

وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل لان النهار انما يحدث بطلوع الشمس وبغروبه يعود الهواء الى حالته الاصلية ولذا قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتي او العارضي فان قيل ما السبب في انه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته لجيب بانه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازي جميع الليل كما ان محمدا عليه السلام يوازي جميع الانبياء عليهم السلام وبان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا اكثر من مسرورها فان الضحى ساعة والليل له ساعات روي ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره فقالت ما انا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان سلطنة سنة ثم انكشفت فامطرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء وقالت انا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة كثيرة والسرور قليلا وفاذا بها (ما ودعك ربك) جواب القسم والتوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك والوداع هو الاعلام بالفراق وقال الراغب اصل التوديع من الدعة وهو ان يدعو للمسافر بان يحل الله عنه كآبة السفر وان يبلغه الدعة والخفض كما ان التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفا في تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك في الآية والمعنى ما قطعك قطع الموادع وما تركك بالحط عن درجة الوحي والقرب والكرامة فقيه استعارة تبعية واشارة الى ان الرب لا يترك المربوب (وما قلى) اى وما ابغضك والابغاض ضد حسن داشتن والقلى شدة البغض يقال قلا زيدا يقلوه ابغضه من القلو وهو الرمي كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكان المقلو هو الذي يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه ابغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه اوقلاه في الهجر وقليه في البغض كما في القاموس فمن جعله من اليائي فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما في المفردات فلعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لافادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل وروى ان الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما لتركه الاستثناء وذلك ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر محمد عليه السلام فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم عن قصة اهل الكهف وقصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام لهم ارجعوا اسأ خبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وان جبريل ابطأ فشكا عليه السلام ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وقد سبق في سورة الكهف ونزل ايضا بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى ردا على المشركين وتبشيرا له عليه السلام بان الحبيب لا يقلى الحبيب وانه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا مع ان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك كما ينبئ عنه الآية الآتية وروى ان جبريل دخل البيت فدخل تحت السرير فبكت نبي الله اياما لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل لا يأتيني قالت خولة فكنست البيت فاهويت بالكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجبل فجاء نبي الله ترتعد فرائصه وكان اذا نزل عليه الوحي اعتقلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبي عليه السلام عن سبب تأخيره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى انه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الاولى ولذا لم يكن معتوبا ولا ممتوعضا وانما احتبس عنه الوحي للتربية والارشاد وفي التأويلات النجمية ما ودعك ربك بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظاهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك (وللآخرة خير لك من الاولى) لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق والاولى اى الدنيا لانها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والاولى كراماتهما واللام في وللآخرة لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وفي التأويلات النجمية يعني احوال نهايتك افضل واكمل من افعال بدايتك كما اخبر بقوله اليوم اكملت لكم دينكم الآية لانه صلى الله عليه وسلم لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير والترقي في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته (ولسوف يعطيك ربك) باللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك لان لام الابتداء

لاتدخل الاعلى الجملة الاسمية وليست للقسم لانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعهما مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لامحالة وان تراخى لحكمة يعنى ان لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لامحالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال (فترضى) ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعنى چندان عطا ارزانى داردكه توكوئى بس ومن راضى شدم وهو نسق على ماقبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة فى عصره عليه السلام وفى خلافة الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لايعلمها الا الله تعالى وقد انبأ عن سعة منها قوله عليه السلام لى فى الجنة الف قصر من لؤلؤ بيض ترابها المسك ودرهر كوشكى از خدم وحور ونعم وامتعه وآنچه لايق آن بود روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من وبر الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عيناه لما ابصرها فقال يابنتاه تعجلى مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة فقد انزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى امام محمد باقر رضى الله عنه در كوفه مى فرموده كه اى اهل عراق شما ميكوييد كه اميدوارترين آيتى ازقرآن انيست كه لاتقنطوا من رحمة الله وما اهل البيت برآنيم كه اميدوارترآيت ولسوف يعطيك ربك فترضى بيشترست يعنى ارجى آية عند اهل البيت هذه الآية چه رسول الله صلى الله عليه وسلم راضى نشودكه يكى ازامت وى دردوزخ باشد * تماند بدوزخ كسى دركرو * كه دارد چوتوسيدى بيشرو * عطاى شفاعت چنانش دهند * كه امت تمامى زدوزخ رهند * وفى الحديث اشفع لامتى حتى ينادى لى أرضيت يامحمد فاقول رب قد رضيت وقال الفهرمى ومما يرضيه فيه بعد اخراج كل مؤمن ان لايسوءه فى امه وابيه وان منع الاستغفار لهما واذن له فى زيارة قبرهما فى وقت دون وقت لانهما من اهل الفترة وقال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن لم يقنعه هذا لحفظ المؤمن منهما الوقف فيهما وان لايحكم عليهما بنار الا بنص كتاب اوسنة اواجماع الامة بخلاف ماثبت فى عمه ابى طالب انتهى كلامه فى التفسير المسمى بفتح الرحمن وقال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اقمت بمدينة قرطبة بمشهد فاراني الله اعيان رسله من لدن آدم الى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبنى منهم هود عليه السلام واخبرنى بسبب جمعيتهم وهو انهم اجتمعوا شفعاء للعلاج الى نبينا محمد عليه السلام وذلك انه كان قد اساء الادب بان قال فى حياته الدنيوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال لان الله تعالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فكان من حقه ان لايرضى الا بان يقبل الله شفاعته فى كل كافر ومؤمن لكنه ماقال الا شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله فى واقعته وقال له يامنصور انت الذى انكرت علىّ فى الشفاعة فقال يارسول الله قد كان ذلك فقال الم تسمع انى قد حكيت عن ربى عزوجل اذا احببت عبدا كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فقال بلى يارسول الله قال فاذا كنت حبيب الله كان هو لسانى القائل فاذا هو الشافع والمشفوع اليه وانا عدم فى وجوده فاى عتاب على يامنصور فقال يارسول الله انا تائب من قولى هذا فما كفارة ذنبى قال قرب نفسك لله قربانا قال فكيف قال اقتل نفسك بسيف شريعتى فكان من امره ما كان ثم قال هود عليه السلام وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعية لاجل الشفاعة له اليه صلى الله عليه وسلم وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة اكثر من ثلثمائة سنة قال بعض العارفين الحقيقة المحمدية اصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها اصل مادة كل حقيقة تكونت واليه يرجع الامر كله قال تعالى ولسوف يرضى ولايكون رضاه الا بعود ماتفرق منه اليه فاهل الجمال يجتمعون عند جماله واهل الجلال يجتمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره كانه يقول لنبيه افترضى بالعطاء عوضا عن المعطى فيقول لا فقيل له وانك لعلى خلق عظيم اى على همة جليلة اذلم يؤثر فيك شئ من الاكوان ولا يرضيك شئ منها وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى وقال القاشانى ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث مارضيت بالوجود البشرى والرضى لايكون الا حال الوجود وفى التأويلات النجمية اى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعدادك من انواع

الكمالات الذاتية واصناف الكرامات الصفاتية والاسمائية (الم يجدك يتيما) مات ابواك (فآوى) جواب الم او نسق قاله ابن خالويه اى قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى اى الم يعلمك الله يتيما فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال أوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول رجع ولجأ واويته انا ايواء والمأوى كل مكان يأوى اليه شئ ليلا او نهارا اى يرجع وينزل ويجوز ان يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله يعنى على المجاز بان يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة والا فحقيقة المصادفة لا تمكن فى حقه تعالى روى ان اباه عبد الله ابن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقال بعضهم لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فهلكت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عليه السلام اباطالب لان عبد الله واباطالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذى تكفل رسول الله الى ان بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب فنال المشركون منه عليه السلام مالم ينالوا فى زمان ابى طالب اى آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وكان يحب الايتام ويحسن اليهم وفى الحديث من ضم يتيما وكان فى نفقته وكفاه مؤونته كان له حجابا من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وانما جعله الله يتيما لئلا يسبق على قلب بشر ان الذى نال من العز والشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب او توارث مال او نحو ذلك وفى التأويلات النجمية الم يجدك يتيما اى ورأك يتيما فآواك الى صدف النبوة ومشكاة الولاية * بس كه غواص قدم در تك دريای عدم * غوطه زد تا بكف آورد چنين در يتيم * يا ديد ترا كوهرى يكانه كه بكمال قابليت از همه كائنات منفرد بودى وبقطع علاقه نسبت از ماسوى متوحد ترا متمكن ساخته در حضرت احديت جمع كه مقام خاص تست وفى الكشاف ومن بديع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير اى فى العز والشرف فآواك فى دار اعدائك فكنت بين القوم معصوما محروسا (ووجدك ضالا) معنى الضلال فقدان الشرائع والخلو عن الاحكام التى لا يهتدى اليها العقول بل طريقها السماع كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب يعنى راه نيافته بودى باحكام وشرائع واليه يؤول معنى الغيبوبة فان ضل يجيء بمعنى غاب كما فى قوله شربت الاثم حتى ضل عقلى * اى شربت الخمر حتى غاب عقلى وغلب قال الراغب يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان او سهوا يسيرا كان او كثيرا ولذا نسب الضلال الى الانبياء والى الكفار وان كان بين الضلالين بون بعيد الا ترى انه قال فى النبى عليه السلام ووجدك ضالا فهدى اى غير مهتد لما سيق اليك من النبوة وقال فعلتها اذا وانا من الضالين وقال ان ابانا لفى ضلال مبين تنبيها ان ذلك منهم سهو انتهى هذا واحذر عن الاساءة فى العبارة (فهدى) اى فهداك الى مناهج الشرائع فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك مالم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الاخير لان ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فانه عليه السلام كان موفقا للنظر الصحيح حينئذ ولهذا لم يعبد صنما قط ولم يأت بفاحشة وفى الاسئلة المفحمة معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف اذا ضعف قومه وفى التأويلات النجمية اى متحيرا فى تيه الالوهية فهدى الى كمال المعرفة بالصحو بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال انك لفى ضلالك القديم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام ضل فى شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقا باستار الكعبة

يارب فاردد ولدى محمدا * ردا الى واصطنع عندى يدا

فوجده ابو جهل فرده الى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدى عدوه فكان فى ذلك نظير موسى عليه السلام حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدوا وحزنا وقيل غير ذلك (ووجدك عائلا) اى فقيرا يؤيده ما فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عديما يقال عال يعيل عيلا وعيلة افتقر (فاغنى) اى فاغناك بمال خديجة رضى الله عنها او بما افاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الابل وفى الحديث جعل رزقى تحت ظل رمحى وفيه اشارة الى انه عليه السلام لو كان متمولا من اول الامر لكان يسبق الى بعض الاوهام انه انما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الاغنياء والملوك علم انه كان من جهة الحو

وقيل قنعك واغنى قلبك قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ولذا قال الراغب اى ازال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الاكبر المعنى بقوله عليه السلام الغنى غنى النفس وقيل ما عال مقتصد اى ما افتقر وفى التأويلات النجمية اى فقيرا فانيا عن انيتك وانانيتك بحسب استعدادك القديم فاغنى بالبقاء بوجوده وجوده واسمائه وصفاته انتهى فالفقر الحقيقى هو التخلى عما سوى الله وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذى وقع الافتخار به قال الامام القشيرى رحمه الله اغناء الله عباده على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية اموالهم وهو العوام وهو غنى مجازى ومنهم من يغنيهم بتصفية احوالهم وهو الخواص وهو الغنى الحقيقى لان احتياج الخلق الى همة صاحب الحال اكثر من احتياجهم الى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع (فاما اليتيم) منصوب بقوله (فلا تقهر) والفاء سببية ليست بمانعة قال الرضى يتقدم المفعول به على الفعل ان كان المنصوب معمولا لما يلى الفاء التى فى جواب اما اذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله فاما اليتيم فلا تقهر لانه لابد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد اما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل فى كل واحد منهما قال الراغب قوله فلا تقهر اى لا تذلله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه * وقدر ايشان بشناس كه شربت يتيمى چشيدة وكانت العرب تأخذ اموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفى الحديث اذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن فيقول من ابكى هذا اليتيم الذى واريت والده تحت الثرى من اسكته اى ارضاه فله الجنة * الا تا نكريد كه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * وقال مجاهد لا تحتقر فان له ربا ينصره وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه وفى التأويلات النجمية اى لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فان نفسك مطيتك وان لنفسك عليك حقا كما قال طه ما انزلنا عليك القرءآن لتشقى (واما السائل فلا تنهر) النهر والانتهار الزجر بمغالظة اى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا يعنى بانك بروى مزن ومحروم مساز كه درد بى نوايى وتنكدستى كشيدة وهذا الثانى بمقابلة الاخير وهو ووجدك عائلا فاغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لان كل واحد من الناس كان فقيرا فى الاصل فاذا انعم الله عليه وجب ان يعرف حق الفقرآء * نه خواهنده بر در ديكران * بشكرانه خواهنده از در مران * قال ابراهيم بن ادهم قدس سره القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشئ وروى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله عليه السلام عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه الى رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ففعل ذلك ثالثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لا غضبان أسائل انت يا فلان ام تاجر فنزلت واما السائل فلا تنهر وهو احد وجوه احتباس الوحى هذا على ان السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوآيج الدنيوية وجوز ان يكون من التفتيش عن الامور الدينية وفى الحديث من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب ممن يطلبها للانتفاع وفى التأويلات النجمية اى لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق فى بعض الاوقات فى بحر الحقيقة لاستراحته بذلك من اعباء تكاليف الانبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميرآء كلمينى (واما بنعمة ربك فحدث) فان تحديث العبد واخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفى الحديث التحدث بالنعم شكر واريد بالنعمة ما افاضه الله عليه صلى الله عليه وسلم من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام لاهل الضلال وتعليمه للشرآئع والاحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت چيزيست محبوب بالذات ومنعم در اغلب شكور ميباشد پس حق سبحانه وتعالى حبيب خود را فرمود كه از نعمت من سخن كويى كه خلق محتاجند ومحتاج چون ذكر منعم شنود بدو ميل كند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كردانى ومن ايشانرا دوست ميدارم وهذا الثالث بمقابلة الثانى وهو قوله ووجدك ضالا فهدى اخر لمراعاة الفواصل وان التحلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكررا ما لوقوعهما فى مقابلة ثلاث آيات قال فى الكواشى رأى بعض التحدث بنعم الله من الطاعات مع امن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتدآء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفى عين المعانى قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وتركه كفر

واما

واما الحديث الآخر عليكم بكتمان النعم فان كل ذى نعمة محسود يعنى عن الحسود لا غير وفى الاشباه اى رجل ينبغى له اخفاء اخراج الزكاة عن بعض دون بعض فقل المريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم واى رجل يستحب له اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية فى الآية حدث به نفسك اى لا تنس فضله عليك قديما وحديثا واذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والخاطبات ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو بمعنى سورة والضحى والليل اذا سجا فافهم وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف ولذا كانتا هما وسورة النصر من سور الكمل من الاولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فصار سنة الله اكبرا ولا اله الا الله والله اكبر كما فى الكواشى وقال فى انسان العيون لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحا بنزول الوحى واستمر عليه السلام لما جاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر عليه السلام ايضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السورة التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قرأ كذلك على النبى عليه السلام بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ان اول ابتداء التكبير من اول الم نشرح لا من اول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه يكبر فى اول السورة المذكورة والرواية الاخرى انه يكبر فى آخرها ونقل عن الشافعى رحمه الله انه قال لآخر اذا ترك قط التكبير من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وفى فتح الرحمن صح التكبير عن اهل مكة قرآئهم وعلمائهم وصح ايضا عن ابى جعفر وابى عمرو وورد عن سائر القرآء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة والتابعين فى الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه واما ابتداؤه فاختلف فيه فروى انه من اول الم نشرح وروى انه من اول الضحى واختلف ايضا فى انتهائه فروى ان انتهاءه آخر سورة الناس وروى اولها وقد ثبت نصه عن الامامين الشافعى واحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقرآءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص فى ذلك لابى حنيفة ومالك رحمهما الله ولفظه الله اكبر فى رواية البزى وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير ولفظه لا اله الا الله والله اكبر والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان وفى صفة التكبير فى رواية ابن كثير بين كل سورتين اربعة عشر وجها الاول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة باول السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والثانى قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وباول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع اى قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير وبأتى مع التهليل مثل ذلك وبقى وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليهما وهو ولسوف يرضى الله اكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل فى الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدئ والضحى فهذا ممتنع اجماعا لان البسملة لاول السورة فلا يجوز ان تجعل منفصلة عنها متصلة باخر السورة قبلها واعلم ان القارئ اذا وصل التكبير بآخر السورة فان كان آخرها ساكنا كسره لالتقاء الساكنين نحو محمد الله اكبر

وفارغب الله اكبر وان كان منونا كسره ايضا للساكنين سواء كان الحرف المنون مفتوحا او مضموما او مكسورا نحو قوانا الله اكبر وخبير الله اكبر ومن مسد الله اكبر وان كان آخر السورة مفتوحا فتحه وان كان مكسورا كسره وان كان مضموما ضمه نحو قوله اذا حسد الله اكبر والناس الله اكبر والابتر الله اكبر وشبهه وان كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله اكبر وشر ايره الله اكبر واسقطت الف الوصل التي في اول اسم الله في جميع ذلك استغناء عنها بالكل في فتح الرحمن لكن بعض المواضع منها ينبغي او يقطع عن التكبير حذرا من الايهام وان كان مقتضى القياس الوصل الابتر الله اكبر وحسد الله اكبر

(تمت سورة الضحى في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

سورة الم نشرح ثمانى آيات مكية وعند ابن عباس رضي الله عنهما مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم نشرح لك صدرك) قال الراغب الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر بنور الهي وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه واظهار ما يخفى من معانيه انتهى وفي الحديث اذا دخل النور في القلب انشرح اى اتسع القلب وانفسح اى احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري اى وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل اذاهم وزيادة لك للايذان بان الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وانكار النفي اثبات اى عدم شرحنا لك صدرك منفي بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتي الاستفادة والافادة فاصدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق اى لم تحجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعا بين الجمع والفرق حاضرا غائبا وفي التأويلات النجمية يشير الى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار واهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم اللدنية والحكم الالهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية واما شرح الصدر الصوري فقد وقع مرارا مرة وهو ابن خمس اوست لاخراج مغمز الشيطان وهو الدم الاسود الذي به يميل القلب الى المعاصي ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحي ومرة ليلة المعراج در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا تكيه داد وزبالاى سينه تا ناف من بشكافت وميكائيل طشتى از آب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرا بدان آب بشستند وجبرئيل دل مرا بيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى از طلا پر از حكمت وايمان آوردند دل مرا ازان پر ساختند وبرجاى او نهادند ونقلى هست كه بخاتمى از نور مهر كرد چنانچه اثر راحت ولذت آن هنوز در عروق ومفاصل خود مى يابم * دلم خزانه اسرار بود ودست قضا * درش ببست وكليدش بدلستانى داد * ومن هنا قال المشايخ لابد للطالب في ابتداء امره ان يشتغل بذكر لا اله الا الله بحيث يبدأ من الجانب الايمن للصدر ويضرب بالا على الجانب الايسر منه لينتقض به العلقة التي هي حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقدارا بعد مقدار ويتلألأ النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما اسود رقيقا لانحلاله بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب (ووضعنا عنك وزرك) اى حططنا واسقطنا عنك حمل الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (الذي انقض ظهرك) اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية آن بارى كه كران ساخت پشت ترا كما قال في تاج المصادر الانتقاض كران كردن وفي المفردات كسره حتى صار له نقيض وفي القاموس اثقله حتى جعله ينقض اى مهزولا او اثقله حتى سمع نقيضه وفي بعض التفاسير ثقل عليك ثقلا شديدا فان انقاض الحمل الظهر انما يكون بمعنى تصويت الرحل الذي عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضي الى انحراف بعض اجزاء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى مثل به ساله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويشقه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع ومن تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته

كما قال ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس فيكون كقول القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة وفيه يقول حسان ابن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور ياوح ويشهد

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله وغير ذلك من الالقاب المشرفة وذو النون المصرى قدس سره فرمود رفعت ذكرا شارت باآنست كه هم انبيا عليهم السلام برحوالى عرش جولان مى نمودند وطائر همت آن حضرت عليه السلام پروازبيكرد *

سيرغ فهم هيچكس ازابنيا نرفت * آنجاكه توبيال كرامت پريدة * هريك بقدر خويش بجايى رسيدماند *

آنجاكه جاى نيست بجايى رسيدة (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال فى الكشاف فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقارا هله واحتقارهم فذكره ما انعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر الخ كانه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارنه. عسر والا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لافادة المصاحبة لان الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان ان مع العسر عمرش قفاست * شادبر آنكه كلام خداست وقال بعضهم هذا عند العامة واما عند الخاصة فالمعية حقيقية . قيل . برجانم ازتوهرچه رسد جاى منت است * كرنا ولك جفاست وكرخنجر ستم قال خضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر هى معية امتزاج لا معية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلولا وجود اليسر فى العسر لم يبق عسرا لعموم الهلاك ولولا وجود العسر فى اليسر لم يبق يسرا وبضدها تتبين الاشياء ثم ان العسر يؤول كله الى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فان ذلك قد يكون مصقلة وجلاء لقلوب الاكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلى الحضرة الالهية وكما ان حظهم من الملائم اوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولذلك قال تعالى ادعونى استجب لكم وقال عليه السلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى تعريف العسر وتنكير اليسر اشارة لطيفة الى ان الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول مبهم (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد اوعدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين اى ان يغلب عسر الدنيا يسرى الدنيا والاخرة فان المعرف اذا اعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان معهودا اوجنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير لما اريد بالاول قال ابن الملك فى شرح المنار المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى كالعسرين فى قوله تعالى فان مع الخ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال نفر الاعلام فى جعل الآية من هذا القبيل نظر لانها لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا ان مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا ان يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد فان قلت فاذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضى الله عنهما قلت كانه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة انتهى قال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب (فاذا فرغت) اى من التبليغ اومن المصالح المهمة الدنيوية (فانصب) النصب محركة التعب اى فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما اولينا لك من النعم السالفة ووعدا لك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الاية بما قبلها ويجوز ان يقال فاذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى تبليغه وقال الحسن رحمه الله اذا كنت صحيحا فاجعل

فراغك نصبا فى العبادة كما روى ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال الفارغ ما امر بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه او دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سهلا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته فلا بد للمرء ان يكون فى عمل مشروع دائما فاذا فرغ من عمل أتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك فاذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء وابو مدين مغربى قدس سره در تأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى از مشاهدهٔ اكوان نصب كن دل خود را براى مشاهدهٔ جمال رحمن قال فى الكشاف ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصبى ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (والى ربك) وحده (فارغب) اصل الرغبة السعة فى الشئ ثم يراد بها السعة فى الارادة فاذا قيل رغب فيه واليه يقتضى الحرص عليه واذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ابتهل او هو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وسخن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تو در محل قبول * چو مقصود كون ومكان جود تست * خدا ميدهد آنچه مقصود تست وعن بعض الاكابر الم نشرح لك صدرك برفع غطاء انيتك وكشف حجاب اثنينيتك عن حقيقة احديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذى انقض ظهر فؤادك بان نطلعك على فناء وجودك الصورى الظلى وبقاء وجودنا الحقيقى العينى ورفعنا لك ذكرك بافنائك فينا وابقائك بنا الى مرتفع الخطاب الوارد فى شأنك بقولنا ان الى ربك المنتهى اى منتهى جميع الارباب الاسماء الالهية فكذلك اليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كنت سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فان مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدى الى اضطراب صدرك يسر الامتلاء بالعطايا المفضى الى اطمئنان روحك ان مع العسر يسرا البتة اذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلا بان يرتفع العسر جميعا ويصير الكل يسرا او بالعكس فلا تلتفت الى اليسر والسرور فانه حجاب نورانى ولا الى العسر والالم فانه حجاب ظلمانى فاذا فرغت من اعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك فى منصب اعطاء وارد كل وقت قابل اذا اتى يعنى فافعل ثانيا كما فعلت اولا وكن هكذا دائما الى ان يأتيك اليقين والى ربك اى الى جلاله وجماله وكماله فارغب لا الى غيره من الامور والاحكام الواردة عليك فى الاوقات لان فى الرغبة والالتفات الى غير الرب احتجابا عن الرب وسقوطا عن قرب الى بعد ومقامك لا يسع غير القرب والانس والحضور وعن طاووس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرءآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة لانهما رأيا ان اول الم نشرح مشابه لقوله الم يجدك الخ وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه عليه السلام باذى الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان ودر ليلهٔ معراج ندا آمد كه اى محمد بخواه تا بخشيم رسول عليه السلام كفت خداوندا هر پيغمبرى از تو عطايى يافت ابراهيم را خلت دادى با موسى بى واسطه سخن كفتى ادريس را بمكان عالى رسانيدى داود را ملك عظيم دادى وزلت وى بيامرزيدى سليمان را ملكى دادى كه بعد از وى كس را سزاى آن ندادى عيسى را در شكم مادر توراة وانجيل در آموختى ومرده زنده كردن بر دست وى آسان كردى وابرأ اكمه وابرص مر او را دادى جواب الهى آمد كه يا محمد اكر ابراهيم را خلت دادم ترا محبت دادم واكر با موسى سخن كفتم بى واسطه لكن كوينده را نديد وبا تو سخن ميكفتم بى حجاب وكوينده ديدى واكر ادريس را بآسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قاب قوسين او ادنى رسانيدم واكر داود را ملك عظيم دادم وزلت وى بيامرزيدم امت ترا ملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعتت بيامرزيدم واكر سليمان را مملكت دادم ترا سبع مثانى وقرآن عظيم دادم وخاتمهٔ سورهٔ بقره كه هيچ پيغمبر بجز تو ندادم ودعاهاى تو در آخر سورة البقره اجابت كردم واعطيتك الكوثر وترا بسه خصلت بر اهل زمين وآسمان فضل دادم يكى الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلتك فاتحا وخاتما

وهذا السوق يشير الى ان السورة مدنية وفى بعض الروايات هالت ربى مسائل وددت انى لم اسالها اياه فطفقت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضى ان يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير ان يقول الله له سل تعط والله تعالى اعلم وفى الحديث من قرأها اى سورة الم نشرح فكانما جاءنى واناهتم ففرج عنى

(تمت سورة الانشراح بعون الفتاح)

(سورة التين وثمانى آيات مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والتين والزيتون) هما هذا التين الذى يؤكل وهذا الزيتون الذى يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رضى الله عنه انه اهدى للنبى عليه السلام سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضى رضى الله عنه التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الغائلج قال الامام لما عصى ادم عليه السلام وقارفته ثيابه تستر بورق التين ولما نزل وكان متقززا بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغيرها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما اعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء اخر على اثر الاول فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون الملك وذلك لان الاولى جاءت الى آدم لاجله لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت اليه ظاهرا وللطمع باطنا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفى امثلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى ان سائر الاشجار يخرج ثمرها الى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمرها يبدو بارزا من غير كمام قلت لان آدم لم يستره الا شجرة التين فقال الله بعد ما ستر آدم اخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى قال فى خريدة العجائب اذا تثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها كالجبال لكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهورة فى التنزيل وحرم معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه السلام يقول نعم سواك الزيتون هو سواكى وسواك الانبياء من قبلى وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها انها تصبر عن الماء طويلا كالنخل واذا قطع ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانتثر ورقها وينبغى ان تغرس فى المدر اكثر لان الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه وذهبه ورماد ورقها ينفع العين كحلا ويقوم مقام التوتيا وفى الحديث عليكم بالزيت فانه يكشف طائرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشى ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم قال الامام ان التين فى النوم رجل خير غنى فمن ناله فى المنام نال مالا وسعة ومن اكله رزقه الله اولادا ومن اخذ ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال حريض لابن سيرين رأيت فى المنام كانه قيل لى كل اللائين تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقال الطبرى المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق يعنى جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذى يلى بيت المقدس من جهة المشرق وذلك ان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا (وطور سينين) هو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه قال الماوردى ليس كل جبل يقال له طور الا ان يكون فيه الاشجار والثمار والاصح وجبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر الحسن مبارك بلغة الحبشة وفى كشف الاسرار اصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وانما قال ههنا سينين لان تاج آلايات النون كما قال فى سورة الصافات سلام على الياسين وهو الياس فخرج على تاج آيات السورة (وهذا البلد الامين) اى الآمن يقال امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى واما تسميتها تحفظ من دخلها جاهلية واسلاما من قتل وسبى كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف

والايصال من امنه لانه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذى امن وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فجنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام والطور المكان الذى نودى فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ودر بحر الحقائق آورده كه بزبان اشارت قسم است بشجرة تينية قلبيه كه ميوه ثمرة علوم دينيه است وشجرة زيتونة مباركة سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلى الهى مجلى است وبلد امين خفى كه محل امن واما نست از هجوم آفات تعلقات اكوان يقول الفقير اشار بالتين الى علوم الحقيقة التى محلها السر الانسانى لانها لذة صرفة ولذا قدمت لانها المطلب الاعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وافعاله وكما ان عمر شجرة التين قصير بالنسبة الى الزيتون فكذا عمر اهل الحقيقة غالبا اذ لا معنى للبقاء فى الدار الفانية بعد حصول المقصود الذى هو الحياة الباقية الا ان يكون لارشاد الناس واشار بالزيتون الى علوم الشريعة التى محلها النفس الانسانية فهى ليست بنعيم محض لانه لابد فى الشريعة من اتعاب النفس والقالب واشار بطور سينين الى الروح الذى هو محل المعارف الالهية ومقام المناجاة واشار بالبلد الامين الى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فانه امن اهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها والى الاعمال القالبية الحاصلة بالحواس والاعضاء فالقالب اخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان للكل جديرا بالاقسام به (لقد خلقنا الانسان) اى جنس الانسان (فى احسن تقويم) يقال قام انتصب وقام الامر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما فى القاموس والتقويم تصيير الشئ على ما ينبغى ان يكون عليه فى التأليف والتعديل وعن يحيى بن اكثم القاضى انه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فالانسان احسن الاشياء ولا شئ احسن منه وفى المفردات هو اشارة الى ما خص به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما فى هذا العالم والمعنى كائنا فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء حسن الشكل كما قال وصوركم فاحسن صوركم اى صوركم احسن تصوير وكذا خلقه متصفا بالصفات الالهية من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التى هى الصورة الحقيقية الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته وعليه يدور معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالانسان مظهر الجلال والجمال والكمال (ثم رددناه اسفل سافلين) اى جعلناه من اهل النار الذى هو اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى اعلى عليين والحاصل انه حول بسوء حاله من احسن تقويم الى اقبح تقويم صورة ومعنى لان مسخ الظاهر انما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وافعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت واسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اى رددناه الى مكان هو اسفل امكنة السافلين والاول اظهر ثم هذا بحسب بعض الافراد الانسانية لانغماسهم فى بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم فى ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه اشارة الى ان الاعتبار انما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدى ورا راست بايد نه بالاى راست * كه كافر هم ازروى صورت چو ماست فكم من مصور على احسن الصور فى الظاهر وهو فى الباطن على اقبح الهيئات ولذا يجيء الناس يوم القيامة افواجا فان صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على انواع وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى نكسناه فى خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه * دورشته درم دردهن داشت جاى * چو دیواوى ازخشت سيمين بياى *

كنونم نكه كن بوقت سخن * بيفتاده يك يك چو سور كهن * مرا همچنين جعد شبرنك بود *
قبا در براز نازكى تنك بود * درين غايتم زشت بايد كفن * كه مويم چو پنبه است ودوكم بدن *
قال فى عين المعانى ولم تدخل لام الجنس فى سافلين كما ورد فى مصحف عبدالله بن مسعود رضى الله عنه
لانه عنى اسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من اهل الزمانة وفى كشف الاسرار السافلون هم الضعفاء
من المرضى والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا (الا الذين آمنوا) ايمانا صادقا
(وعملوا الصالحات) المأمور بها والمأجور عليها وهو على الاول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فانه
فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى قال ابو الليث معنى قوله الا الذين الخ
يعنى لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالما عاملا وفى الحديث (طوبى لمن طال عمره وحسن عمله)
وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرءآن لم يرد الى ارذل العمر (فلهم اجر) فى دار الكرامة لانها المحل له
ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الاول للتعليل اى لا يغير صورهم فى النار لانهم مثابون
فى الجنة (غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق
والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفى التيسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا مرض او سافر
كتب له مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما كذا روى فى الهرم وفى تفسير ابى الليث روى عن النبى عليه السلام
انه قال ان المؤمن اذا مات صعد الملكان الى السماء فيقولان ان عبدك فلانا قد مات فأذن لنا حتى نعبدك
على السماء فيقول الله ان سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا حسناته الى يوم القيامة ويجوز
ان يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق فى آخر سورة الانشقاق (فما يكذبك بعد بالدين) بعد مبنى على الضم
لحذف المضاف اليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بالجزآء
بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به اى ينسبك الى الكذب بسبب اثباتك الجزآء واخبارك عن البعث والمراد
الآلة الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوى من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على احسن
تقويم ودرجه فى مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر لا شك انه قادر
على البعث والجزآء او فما يجعلك ايها الانسان كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب
اذا كذبت بالجزآء لان كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا
وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزآء فاى شئ
يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان (أليس الله باحكم الحاكمين)
اى أليس الذى فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزآء اى اليس ذلك
بابلغ اتقانا للامور من كل متقن لها اذ الحاكم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل
العلم وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزآء او المعنى أليس الله بأقضى القاضين
يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اى قضى فالآية وعيد للمكذبين وانه يحكم عليهم
بما هم اهله وكان عليه السلام اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين يعنى خارج الصلاة كما فى عين
المعانى ويأمر بذلك ايضا قال من قرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين
ومن قرأ هذه السورة اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام فى الدنيا ويعطى من الاجر بعدد من قرأها

تمت سورة التين بعون الله المعين

سورة العلق ثمانى او تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقرأ) اى ما يوحى اليك يا محمد فان الامر بالقرآءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك
ما يتصل بالامر حتما سوآء كانت السورة اول ما نزل ام لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سوآء دل الامر
على الفور ام لا والاقرب ان هذا الى قوله ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم على ما دلت عليه
الاحاديث الصحيحة والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عائشة رضى الله عنها اول ما ابتدئ به رسول الله
عليه السلام من النبوة حين اراد الله به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق

الصبح اى كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما يشك فى وضوح ضياء الصبح وانما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية لانها لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته الاصلية ولا على سماع صوته وعلى ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيسا له وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر على ما هو ادنى الحمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال ولذا قالت الصوفية ان الحاجة الى التعبير انما هى فى مرتبة النفس الامارة واللوامة واذا وصل السالك الى النفس الملهمة كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها قل احتياجه الى التعبير لانه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فمرتبة الالهام له كمرتبة مجيء الملك للرسول عليه السلام فاذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتدآؤها فى شهر ربيع الاول وهو مولده عليه السلام ثم اوحى اليه فى اليقظة فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة اذا خلا يسمع ندآء يا محمد يا محمد ويرى نورا اى يقظة وكان يخشى ان يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما ينادى الكهنة وكان فى جبل حرآء غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله الىّ يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يا رسول الله فانى اخاف ان تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثا وسبعا وشهرا ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها واول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم ابو امية ابن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى بن عم خديجة رضى الله عنها وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى وكان شيخا كبيرا قد عمى فى اواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو فى الغار كما قال الامام الصرصرى رحمه الله

وانت عليه اربعون فاشرقت * شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة رضى الله عنها جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فاخذنى فغطنى اى ضمنى وعصرنى ثم ارسلنى فعله ثلاث مرات ثم قال اقرأ الى قوله ما لم يعلم واخذ منه القاضى شريح من التابعين ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرءآن اكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى اذا كان فى جانب من الجبل سمع صوتا يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ورجع الى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة ثم انطلقت الى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك ايانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزا لدينه * ويشقى به الغاوى الشقى المضلل
فريقان منهم فرقة فى جنانه * واخرى باغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة الفترة اى فترة الوحى بين اقرأ وبين يا ايها المدثر وتوفى ورقة فى هذه الفترة ودفن بالحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة التى هى الرسالة ولذا قال عليه السلام لقد رأيته فى الجنة وعليه ثياب الحرير ثم نزل يا ايها المدثر قم فانذر فظهر الفرق بين النبوة والرسالة قال بعض العارفين اهل الارادة فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب الا ترى انه لما قيل له اقرأ استقبله الامر من غير طلب ونظيره الم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى رب اشرح لى صدرى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرأ ملتبسا باسم الله تعالى اى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزآء المقروء اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى رحمه الله امره بذلك لان ذكر اسم الله قوة له فى القرآءة وانس بمولاه فان الانس بالاسم يفضى الى الانس بالمسمى والذكر باللسان يؤدى الى الذكر بالجنان والباء فى باسم بره تعالى على المؤمنين بانواع الكرامات فى الدارين والسين كونه سميعا لدعاء الخلق جميعا والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفى الكواشى دخلت الباء فى اقرأ باسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير كاخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير

والدوام

والدوام وفى كتاب شمس المعارف اول آية نزلت على وجه الارض بسم الله الرحمن الرحيم يعنى على آدم الصفى عليه السلام فقال آدم الآن علمت ان ذريتى لا تعذب بالنار مادامت عليها ثم انزلت على ابراهيم عليه السلام فى المنجنيق فانجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فحملت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهى آية الرحمة والامان لرسله وامتهم ولما انزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كانت قصا عظيما فامر رسول الله فكتبت على رؤس السور وظهورها فاثروا وآثل الرسائل وحلف رب العزة بعزته ان لا يسميه عبد مؤمن على شئ الا بورك له فيه وكانت لقاتلها حجابا من النار وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشر زبانية وفى الخبر النبوى لو وضعت السموات والارضون وما فيهن وما بينهن فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة (الذى خلق) وصف الرب به لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القرآءة للنبى العالم المتكلم اى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزلا منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على ان كل خلق مختص به او خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب لكانت العرب فى الجاهلية تسمى الاصنام ارباب جاء بالصفة التى لا شركة للاصنام فيها فقال الذى خلق (خلق الانسان) على الاول تخصيص خلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله بدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقرآءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتعريفه عن المفعول الايهام ثم التفسير وما التفخيم فظرته (من علق) جمع علقة كتمر وتمرة وهى الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح اى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ملين حالته الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على ان الانسان فى معنى الجمع لان الالف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القرآءة وفى حواشى ابن الشيخ ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله ان يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم لابد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بانى انا المستحق للثناء دون الاوثان لان الالهية وقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيأ كيف يكون الها مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر اباحنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسألة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول ابى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه (اقرأ) اى افعل ما امرت به وكرر علامة الامر بالقرآءة تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندى علامة الوقف الجائز على خلق وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القرآءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقرآءة مبتدئا باسمه هو الاكرم اى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحا اوثوابا او تخلصا من المذمة وايضا ان كل كريم انما اخذ الكرم منه فكيف يساوى الاصل وقال ابن الشيخ ربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبر (الذى علم بالقلم) اى علم ما علم بواسطة القلم لا غير فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلم بدونهما وقال بعضهم علم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لانه يقلم ويقص

ويقطع وفيه امتنان على الانسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده وقيل

وما من كاتب الا سيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك في القيامة ان تراه

ولولا القلم ما استقامت امور الدين والدنيا وفيه اشارة الى القلم الاعلى الذى هو اول موجود وهو الروح النبوى عليه السلام فان الله علم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية قال كعب الاحبار اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فاستخرج ادريس ما كتب آدم وهذا هو الاصح واما اول من كتب خط الرمل فادريس عليه السلام واول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس واول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام قال السيوطى رحمه الله اول ما خلق الله القلم قال له اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة واول ما كتب القلم انا التواب اتوب على من تاب قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذى خلق الانسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة التجلى الاولى الحبى المشار اليه بقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالايجاد الحبى وهو اكرم الاكرمين اذ هو جامع محيط بجميع الاسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها (علم الانسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله اصلا فان قلت فاذا كان القلم والخط من المنن الالهية فما باله عليه السلام لم يكتب قلت لانه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الاولين ومن كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بالآلات الجسمانية لان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه اشارة بديعة الى ان امته بين الامم هم الروحانيون وصفهم سبحانه فى الانجيل امة محمد اناجيلهم فى صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندى يوقف على ما لم يعلم لانه بمعنى حقا ولذا وضع علامة الوقف عليه (ان الانسان ليطغى) اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل ان هذا الى آخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر (ان رآه استغنى) مفعول له اى يطغى لان راى وعلم نفسه مستغنيا او ابصر مثل ابى جهل واصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية قال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان اما طالب العلم فيزداد فى رضى الله واما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى ان ابا جهل قال لرسول الله عليه السلام اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة واول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى العلم والدين ومنفرا عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول اللهم انى اعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى وفيه اشارة الى ان الانسان اذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه واسمائه يدعيها لنفسه ويظن ان تلك الصفات والاسماء الالهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى عن مالكها الذى اودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه (ان الى ربك الرجعى) الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والالف للتأنيث اى ان الى مالك امرك ايها الانسان رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وآنجا همه را عمل بكار آيد نه اموال * توانكرى نه بمالست نزد اهل كمال * كه مال تا لب كورست وبعد از ان اعمال (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبدا لتفخيمه عليه السلام كانه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك الى ينهى عبدا دال على ان النهى كان

للعبد

المهد من الملائكة حتى سمعوا ما قاله ابو جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه وفي التكملة نهى محمدا عن الصلاة فهم ان يطأ على رأسه فجر أقرأه في الصلاة وهي صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال والمراد اجنحة الملائكة ابصر العين الاجنحة ولم يبصر اصحابها فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وكان ابو جهل يكنى في الجاهلية بابي الحكم لانهم كانوا يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم سمي ابا جهل في الاسلام يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول اللهم اعز الاسلام بابي جهل او بعمر فلما اعز الله بعمر رضي الله عنه دل على ان عمر اسعد قريش كما ان ابا جهل اشقى قريش اذ الاشياء تتبين باضدادها (ارأيت) رؤية قلبية معناها اخبرني ذلك الناهي وهو المفعول الاول (ان كان على الهدى) فيما ينهى عنه من عبادة الله (او امر بالتقوى) اي امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية جوابها المحذوف وهو الم يعلم بان الله يرى سدت مسد المفعول الثاني فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية وانما حذف جواب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب الشرطية الثانية لان قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول وهو ان كان على الهدى او امر بالتقوى والآية في الحقيقة تحكم بالناهي ضرورة انه ليس في النهي عن عبادته تعالى والامر بعبادة الاصنام على هدى البتة (ارأيت) اخبرني ذلك الناهي (ان كذب وتولى) اي ان كان مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن وتنظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا (الم يعلم بان الله يرى) جواب للشرطية الثانية اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى ارتأعلى ما فعل اي قد علم ذلك الناهي ان الله يرى فكيف صدرت منه ما صدر وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستفهام مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط الاول بعطفهما عليه كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاسالة به على جواب الثانية وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمرا بالتقوى والناهي مكذب متول ولا اعجب من ذا بزركان گفته اند در كلمة ان الله يرى هم وعد مند وجست وهم وعيد اى فاسق توبه كن كه ترا ميبيند اى مرايي اخلاص ورز كه ترا ميبيند اى در خلوت قصد گناه كرده هش دار كه ترا ميبيند درويشي بعد از گناهي توبه كرده بود ميرسيد كه ميگويست گفتند جندي كريست خداى تعالى غفورست گفت آري هر چند عفو كند خجلت آنرا كه اوى ديده چه كونه دفع كنم * گيرم كه تواز مركنه درگذري * زان شرم كه ديدي كه چه كردم چه كنم * قال ابو الليث رحمه الله والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة وقال ابن الشيخ في حواشيه وهذه الآية وان نزلت في حق ابي جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستقبحا لا ينهى عنه لا ينافي مشروعية اصل الصلاة الا انه لشدة الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهما النهي عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر حتى روى عن علي رضي الله عنه انه رأى في المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان تدخل فيه وعيد قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حتى قال له ابو يوسف ايقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي فقال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي (كلا) ردع للناهي المتصف بما ذكر عن تهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات (لئن لم ينته) اللام موطئة للقسم المضمر اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قيل لم يمت والاصل ينتهي بالياء يقال نهاه ينتهي نهيا ضد امره فانتهى (لنسفعا بالناصية) اصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد وتغييره فليكونا من الصاغرين كتب في المصحف بالالف على حكم الوقف فانه يرتكب على هذه النون

بالالف تشبيها لها بالتنوين والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة والناصية شعر مقدم الرأس وخص بالذكر لانها تؤخذ في الاسر وتجر به فسفعنا بها بمعنى لنأخذن في الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها الى النار يعني لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه الى النار بالتصغير والاهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفي هذه المعاني الاخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة للظهور وان المراد ناصية الناهي المذكور ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع مصيبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بان يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عادوا الى النهي قال اعادهم الله من ناصيته يوم بدر روي انه لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام من يقرؤها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله عنه وقال انا فاجلسه عليه السلام ثم قال ثانيا من يقرؤها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضي الله عنه ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرأهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه وادماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبرائيل جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرائيل تضحك ويبكي ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يحضر نخاف ان تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منحره من بعيد فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال له يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي منه في حال مما في روي انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعون اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود اقطع بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه ونهج الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله عليه السلام وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن مقطوع ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه احدها ان ابا جهل كالكلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليصدق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ كان الكافر بلغ في الكذب قولا والخطأ فعلا الى حيث ان كلا من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان ابو جهل كاذبا على الله في انه لم يرسل محمدا وكاذبا في انه ساحر ونحوه وخاطئا بما تعرض له عليه السلام بانواع الاذية (فليدع) من الدعوة يعني كو يخوانداو بو جهل (ناديه) اي اهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذي يندى فيه القوم اي يجتمعون وقدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهي الآن المحفل الحنفي روي ان ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال الم تنهك فاغلظ له رسول الله فقال لتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا يريد كثرة من يعينه فنزلت (سندع الزبانية) اي ملائكة العذاب ليجروه الى النار وواحدهم يغلب على الف الف من امثال اهل ناديه قال عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب للحذف من العربية لفظا ولعله للمشاكلة مع فليدع او للتشبيه بالامر في ان الدعاء امر لا بد منه وقال ابن خالويه في اعراب الثلاثين آية الاصل سندعو بالواو وغير ان الواو ساكنة فاستثقلتها اللام ساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع ويدع الانسان ويمحو الله الباطل وكذلك الياء من واد الليل وان الله لهاد الذين آمنوا والعلة فيهن ما انبأتك من بنائهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية في الاصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بالضم وهم طائفة من اعوان الولاة سموا بذلك لانهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها كما في القاموس

والشرط

والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التي يردها الى يافوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى ان ملائكة العذاب سموا بما سمى به الشرط تشبيها لهم بهم فى البطش والقهر والعنف والدفع وقيل الواحد زبنى وكانه نسب الى الزبن ثم غير الى زبانية كانسى بكسر الهمزة واصلها زبانى وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة فى الدفع وفيه اشارة الى التجليات القوية الجلالية الجرارة اباجهل النفس الامارة واهل ناديه الذى هو الهوى وقواه الظلمانية الى نار الخذلان وجهنم الخسران (كلا) ردع بعد ردع للناهى المذكور وزجر له اثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفا مطلقا (لا تطعه) اى دم على ما انت عليه من معاصاة ذلك الناهى الكاذب الخاطئ كقوله تعالى ولا تطع المكذبين (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك السجود الى ربك وفى الحديث (اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فأكثروا من الدعاء فى السجود) كلمة ما مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون تامة اى اقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده ودر فتوحات اين را سجدة قرب كفته وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافا لمالك وهم على اصولهم فى قولهم بالوجوب والسنية ثم ان السجود اشارة الى ازالة حجاب الرياسة وفى الحديث (لا كبر مع السجود) يعنى هركه سجده آرد از كبر دور كشت و بر دركاه الله شرف متواضعان يافت روى ان ابراهيم عليه السلام اضاف يوما مائتى مجوسى فلما اكلوا قالوا مرنا يا ابراهيم قال ان لى اليكم حاجة فقالوا ما حاجتك قال اسجدوا لربى سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا ان هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا الى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشئ فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الارض ناجى ابراهيم ربه فقال انى جهدت جهدى حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لى غيره وانما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالاسلام فلما رفعوا رؤسهم من السجود اسلموا وللسجدة اقسام سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة السهو وهذه مشهورة وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه وسجدة التضرع اليه خوفا وطمعا وسجدة الشكر له وسجدة المناجاة وهذه مستحبة فى الاصح صادرة عن الملائكة وعن رسول الله عليه السلام وسائر الانبياء والاولياء عليهم السلام وقال ابو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الامامان هى قربة يثاب فاعلها وقال القاشانى قرأ عليه السلام فى هذه السجدة اى سجدة اقرأ اعوذ بعفوك من عقابك اى بفعل لك من فعل لك واعوذ برضاك من سخطك اى بصفة لك من صفة لك واعوذ بك منك اى بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود

سورة القدر خمس او ست آيات مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا انزلناه فى ليلة القدر) النون للعظمة او للدلالة على الذات مع الصفات والاسماء والضمير للقرآن لان شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وارجاع الضمير اليه فكانه حاضر فى جميع الاذهان وعظمه بان اسند انزاله الى جنابه مع ان نزوله انما يكون بواسطة الملك وهو جبرائيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوى الا انه اكتفى بذكر الاصل عن ذكر التبع قال فى بعض التفاسير انا انزلناه مبتدأ او خبر فى الاصل بمعنى نحن انزلناه فادخل ان للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضى انا حكمنا بانزاله فى ليلة القدر وقضينا به وقدرناه فى الازل ثم ان الانزال يستعمل فى الدفعى والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل انزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة وهذه السورة من جملة ما انزل وجوابه ان المراد ان جبرائيل نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا واملاه على السفرة اى الملائكة الكاتبين فى تلك السماء ثم كان ينزل على النبى عليه السلام منجما على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله ايضا فى تلك الليلة وفيه اشارة الى ان بيت العزة اشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه اليه ولذلك قيل بفضل السماء الاولى على اخواتها لانها مقر الوحى الربانى وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فان السلطان انما ينزل على انزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبحة لكفى نزوله هناك شرفا لها فالمكان الشريف يزداد شرفا بالمكين الشريف كما سبق فى سورة البلد فنزول القرآن بالتدريج اشارة الى تعظيم الجناب المحمدى كما تدخل

الهدايا شيأ بعد شئ على ايدى الخدام تعظيما للمهدى اليه بعد التسوية بينه وبين موسى عليهما السلام بانزاله جملة الى بيت العزة وفى التدريج ايضا تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرءآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وكلام الله المنزل قسمان القرءآن والخبر القدسى لان جبرآئيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرءآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبرآئيل اداها بالمعنى ولم تجز القرآءة بالمعنى لان جبرآئيل اداها باللفظ والسر فى ذلك التعبد بلفظه والاعجاز به فانه لا يقدر احد ان يأتى بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظا ومن الاسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرءآن ومعناه ثم ان اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الانسان الطف منه لانه زبدته واشرفه لان القرءآن نزل به الروح الامين على قلب النبى المختار وهنا سؤال وهو ان الملائكة باسرهم صعقوا ليلة نزول القرءآن من حضرة اللوح المحفوظ الى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب ان محمدا صلى الله عليه وسلم عندهم من اشراط القيامة والقرءآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه واجلالا لكلامه وحضرة وعده ووعيده وفى بعض الاخبار ان الله تعالى اذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية والمراد بالفارسية لسان غير العرب سريانيا كان او عبرانيا واذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا انه عقاب فصعقوا وسيأتى معنى القدر ثم القرءآن كلامه القديم انزله فى شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرءآن وهذا هو البيان الاول ولم ندر نهارا انزل فيه ام ليلا فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهذا هو البيان الثانى ولم ندر اى ليلة هى فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فهذا هو البيان الثالث الذى هو غاية البيان فالصحيح ان الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم وينسخ فيها امر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها هى ليلة القدر ولتقدير الامور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا اذ فى اول الآية انا انزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل امر حكيم والقرءآن انما نزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر كذا فى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره فان قلت ما الحكمة فى انزال القرءآن ليلا قلت لان اكثر الكرامات ونزول النفحات والاسرآء الى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لانها محل الاستراحة والنهار من النار لان فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل افضل من عبادة النهار لان قلب الانسان فيه اجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين اعمل التوحيد فى النهار والاسم فى الليل حتى تكون جامعا بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك (وما ادراك ما ليلة القدر) اى واى شئ اعلمك يا محمد ما هى اى انك لا تعلم كنهها لان علو قدرها خارج عن دآئرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذى انزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت انه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا فى سائر الاوقات الفاضلة وذلك العيد ثم مقتضى الكرم ان لا يسأل بعده ايضا وقد وقع تجلى الافعال لسيد الانبياء عليه السلام فى رجب ليلة الجمعة الاولى بين العشائين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئذ وتجلى الصفات فى نصف شعبان فلذا استحب صلاة البرآءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلى الذات فى ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجيء ولما كان هذا معربا عن الوعد بادرآئها قال (ليلة القدر) اى قيامها والعبادة فيها (خير من الف شهر) اى من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشئ على نفسه فخير هنا للتفضيل اى افضل واعظم قدرا واكثر اجرا من تلك المدة وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر وفى الحديث من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه كما فى كشف الاسرار قال الخطابى قوله ايمانا واحتسابا اى بنية وعزيمة وهو ان يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لايامه لكن يغتنم طول ايامه لعظم الثواب وقال البغوى قوله احتسابا اى طلبا لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الاخبار اى يطلبها كذا فى الترغيب والترهيب والمراد بالقيام صلاة التراويح وقال بعضهم المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر اذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية عن حفظهم من الكبائر

بعد ذلك او معناه ان ذنوبهم تقع مغفورة كذا فى شرح الترغيب المسمى بفتح القريب وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد اخذ حظه من ليلة القدر كما فى الكواشى ثم ان نهار ليلة القدر مثل ليلة القدر فى الخير وفيه اشارة الى ان ليلة القدر للعارفين خير من الف شهر للعابدين لان خزآئنه تعالى مملوءة من العبادات ولا قدر الا للفناء واهله وللشهود واصحابه واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله عليه السلام التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر وانما جعلت فى العشر الاخير الذى هو مظنة ضعف الصائم وفتوره فى العبادة ليتجدد جده فى العبادة رجاء ادراكها وجعلت فى الوتر لان الله وتر يحب الوتر ويتجلى فى الوتر على ما هو مقتضى الذات الاحدية واكثر الاقوال انها السابعة لامارات واخبار تدل على ذلك احدها حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان السورة ثلاثون كلمة وقوله هى السابعة والعشرون منها ومنها ما قال ابن عباس ايضا ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور فى هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام فقال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان ومن قال انها هى الليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام ان الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار يعتق الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله فى ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره ولان الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهى ليلة شكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهى ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت سألت النبى عليه السلام لو وافقتها ماذا اقول قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وعنها ايضا لو ادركتها ما سألت الله الا العافية وفيه اشارة الى ما قال عليه السلام اللهم انى اسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة ولعل السر فى اخفائها تحريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها * اى خواجه چه كويى ز شب قدر نشانى * هر شب شب قدرست اكر قدر بدانى * ونظيره اخفاء ساعة الاجابة فى يوم الجمعة والصلاة الوسطى فى الخمس واسمه الاعظم فى الاسماء ورضاه فى الطاعات حتى يرغبوا فى الكل وغضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل * خورش ده بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد همايى بدام * والمستجاب من الدعوات فى سائرها ليدعوه بكلها چه هر كوشه تير نيازافكنى اميدست كه ناكه كه صيدى زنى ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط فى جميع الاوقات وتسميتها بليلة القدر اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم اى اظهار تقديرها للملائكة بان تكتبها فى اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه ازلى فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة فيدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف الى جبرآئيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل ونسخة المصائب الى ملك الموت

فكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت اكفانه وهو لا يدرى
وكم من شيوخ ترتجى طول عمرهم * وقد رهقت اجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت ارواحهم ليلة القدر

يقال ان ميكائيل هو الامين على الارزاق والاغذية المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذى يعطى الغذآء لجميع البدن وكذلك اسرافيل يغذى الاشباح بالارواح ويقابله منك الدماغ وجبرآئيل يغذى الارواح بالعلوم والمعارف ويقابله منك العقل وكل محدث لابد له من غذآء فغذآء الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية والروح القدسى ايضا متعطش ولا يرتوى الا بالعلوم الالهية هذا واما لخطرها وشرفها على سائر الليالى فالقدر بمعنى المنزلة والشرف اما باعتبار العامل على معنى ان من اتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف

واما باعتبار نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فى تلك الليلة لها قدر وشرف زائد وعن ابى بكر الوراق رحمه الله سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى قدر لامة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر فى هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب وقال الخليل رحمه الله سميت ليلة القدر اى ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى التضييق كما فى قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير لان العرب تذكر الالف فى غاية الاشياء كلها ولا تريد حقيقتها او لما روى انه عليه السلام ذكر رجل من بنى اسرائيل اسمه شمعون لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رأى النبى عليه السلام اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل فى هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وروى عن الحسن بن على بن ابى طالب انه قال حين عوتب فى تسليمه الامر لمعاوية ان الله ارى نبيه عليه السلام فى المنام بنى امية يتزون على منبره نزو القردة اى يثبون فاغتم لذلك فاعطاه الله ليلة القدر وهى خير له ولذريته ولاهل بيته من الف شهر وهى مدة ملك بنى امية واعلمه انهم يملكون امر الناس هذا القدر من الزمان ثم كشف الغيب ان كان من سنة الجماعة الى قتل مروان الجعدى آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما فى فتح الرحمن ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على انها باقية آتية فى كل سنة فضلا من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الامام ابى حنيفة رحمه الله وحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر حتى لو علق احد طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر فانه لا يحكم به الا بان يتم الحول وعند الاكثرين مختصة به وكان عليه السلام اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله وكان الصالحون يصلون فى ليلة من العشر ركعتين بغية قيام ليلة القدر وعن بعض الاكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها ونوابها قال الامام ابو الليث رحمه الله اقل صلاة ليلة القدر ركعتان واكثرها الف ركعة واوسطها مائة ركعة واوسط القرآءة فى كل ركعة ان يقرأ بعد الفاتحة انا انزلناه مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات ويسلم على كل ركعتين ويصلى على النبى عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما اراد من مائة او اقل او اكثر ويكفى فى فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما اخبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الاذان والاقامة كما فى الفرآض صرح بذلك كثير من العلماء قال فى شرح النقاية وغيره وفى المحيط لا يكره الاقتداء بالامام فى النوافل مطلقا نحو التراويح والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لان ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن فلا تلتفت الى قول من لا مذاق لهم من الطاعتين فانهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الاوقات * هركس ازجلوة كل فهم معانى نكند * شرح آن دفتر توشته زبلبل بشنو (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لما له فضلت على الف شهر واصل تنزل تتنزل بتاءين والظاهر ان المراد كلهم للاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبأ وقال بعضهم انه ملك لو التقم السموات والارضين كانت له لقمة واحدة او هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يسبح الله بكل لسان الف نوع من التسبيح والتمجيد والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح تركل ملائكة السموات سجدا مخافة ان يحرقهم نور افواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر او هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد او هو عيسى عليه السلام لانه اسمه ينزل فى جماعة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام ودر تفسير خواجه محمد پارسا رحمه الله مذكورست كه روح حضرت محمد صلى الله عليه وسلم

فرود آيد وفى الحديث لانا اكرم على الله من ان يدعنى فى الارض اكثر من ثلاث وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لان الحسين رضى الله عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على اهل الارض وعرج به الى عليين وقد رأه بعض الصالحين فى النوم فقال يا رسول الله بابى انت وامى اما ترى فتن امتك فقال زادهم الله فتنة فقتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حقى فيه وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض وهو الاظهر لان الملائكة اذا نزلت فى سائر الايام الى مجالس الذكر فلان ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها اولى اوالى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجا فوجا نحن نأزل ومن صاعد كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع ما يورد ان الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الارض وكذا السماء كلهم على ان شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كان لهم اجسام لطيفة ولذا يقال لهم الارواح وقال بعضهم النازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله ومقام جبرآئيل فى وسطها ولا يدخلون اى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الاصنام والاماكن التى فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفى بيوت فيها خمر اومدمن خمر اوقاطع رحم او جنب اوآكل لحم خنزير اومتضمخ بالزعفران وغير ذلك والتضمخ بالفارسية بوى خوش برخويشتن آلودن ويعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كانه يقطر قوله والروح معطوف على الملائكة والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها (باذن ربهم) اى بامره متعلق بتنزل وهو يدل على انهم كانوا يرغبون الينا ويشتاقون فيستأذنون فى النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصى روى انهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخى الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ولانهم يرون فى الارض من انواع الطاعات اشياء ما رأوها فى عالم السموات كاطعام الطعام وانين العصاة وفى الحديث القدسى لانين المذنبين احب الى من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين العصاة اظهار لغفار يته رب العالمين * نصيب ماست بهشت اى خدا شناس برو * كه مستحق كرامت كناهكاران اند (من كل امر) متعلق بتنزل ايضا اى من اجل كل امر قدر فى تلك السنة من خير اوشر اوبكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامر الله قيل يقسم جبرآئيل فى تلك الليلة بقية الرحمة فى ذرارى الحرب على من علم الله انه يموت مسلما فبتلك الرحمة التى قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فان قيل المقدرات لا تفعل فى تلك الليلة بل فى تمام السنة فلماذا تنزل الملائكة فيها لاجل تلك الامور قيل لعل تنزلهم لتعيين انفاذ تلك الامور وتنزلهم لاجل كل امر ليس تنزل كل واحد لاجل كل امر بل ينزل الجميع لاجل جميع الامور حتى يكون فى الكلام تقسيم العلل على المعلولات (سلام هى) تقديم الخبر لافادة الحصر مثل تميمى انا اى ما هى الا سلامة اى لا يحدث فيها داء ولا شئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل فى هذه الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوأ ولا ينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة فى اشتمالها عليها وعلم منه انه يقضى فى غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعنى يتعلق قضاء الله بهما وما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ومن اصابته التسلية غفر له ذنبه وفى الحديث ينزل جبرآئيل ليلة القدر فى كبكبة من الملائكة اى جماعة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله (حتى مطلع الفجر) اى وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فمطلع بفتح اللام مصدر ميمى ومن قرأ بكسر اللام جعله اسما لوقت الطلوع اى اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لحكمهم فى تنزلهم اولنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقال بعضهم ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى يسلم فيها الملائكة على المطيعين

الى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون الى السماء فحتى متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر انها ليلة لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها لان الملائكة تصعد عند طلوع الشمس الى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة اولانها لا تطلع فى هذه الليلة بين قرنى الشيطان فانها على ما جاء فى بعض الاحاديث تطلع كل يوم بين قرنى الشيطان ويزيد الشيطان فى بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد فى غرور الكافرين ويحسن فى اعين الساجدين وقد سبق انه يعذب الماء الملح تلك الليلة واما النور الذى يرى ليلة القدر فهو نور اجنحة الملائكة او نور جنة عدن تفتح ابوابها ليلة القدر او نور لوآء الحمد او نور اسرار العارفين رفع الله الحجب عن اسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فان حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فاذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه الى الظاهر ففى الحديث من قرأ سورة القدر اعطى ثواب من صام رمضان واحيى ليلة القدر

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والامر فى الثانى والعشرين من ثانى الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة والف سورة القيامة والبينة والبرية ثمان او تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم (والمشركين) اى عبدة الاصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم ان لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك ان الكفار كانوا جنسين اهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو حال من الواو فى كفروا اى كائنين منهم (منفكين) خبر كان اى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدآئهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور فى كتبهم وكانوا يغيرونهم بتغيير نعوته وانفكاك الشئ من الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تأتيهم البينة) التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بالمضارع باعتبار حال الحكى لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى (يتلو) صفة اخرى (صحفا) جمع صحيفة وهى ظرف المكتوب ومحله من الاوراق (مطهرة) اى منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين (وقال الكاشفى) صحيفهاى پاكيزه از كذب وبهتان ونسبة التلاوة الى الصحف وهى القراطيس مجازية او هى مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد انه لما كان ما يتلوه الذى هو القرآن مصدقا لصحف الاولين مطابقا لها فى اصول الشرآئع والاحكام صار متلوه كانه صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا (قال الكاشفى) قرآن را صحف گفت براى تعظيم باآنكه جامع اسرار جميع صحفست قال فى عين المعانى وسميت الصحف لانها اصحف بعضها على بعض اى وضع (فيها كتب قيمة) صفة لصحف اى فى تلك الصحف امور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها نوشتهاى راست ودرست يعنى احكام ومواعظ وفى المفردات اشارة الى ما فيه من معانى كتب الله فان القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه من الوعد وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى فخصوا بالذكر

لان

لان جحود العالم اقبح واشنع من انكار الجاهل (الا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عليه السلام هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها (وما امروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا بما امروا فى كتابهم لشئ من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله وهذه اللام فى الحقيقة لام الحكمة والمصلحة يعنى ان فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض فى الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها بها فى ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفى حصر علة كونهم مأمورين بما فى كتبهم من عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا بما امروا الا لاجل ان يتذللوا له و يعظموه غاية التذلل والتعظيم ولا يطلبوا فى امتثال ما كلفوا به شيأ آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ما ذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد والنجاة من عذاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب ولو لم يحصل فى الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى ان من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الاصلى من العبادة هو المعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود و بالعرفان للمعروف واياك وان تلاحظ شيأ غير الله تعالى * عاشقانرا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمت هم اوست * وقال بعضهم الاظهر ان تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد فى صلة الارادة فيقال اردت لتقوم لتنزيل الامر منزلة الارادة فيكون المأمور به هذه الامور من العبادة ونحوها كما هو الظاهر ثم ان العبادة هى التذلل ومنه طريق معبد اى مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا فى صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لابد فى كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وفى حكمه الجاهل الغافل وثانيهما ان يكون مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مأمور به فاذا لم يكن فعل الصبى عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود [illegible] الامر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة والحال انه لا امر به ولا تعظيم فيه (مخلصين له الدين) حال من الفاعل فى ليعبدوا اى جاعلين انفسهم خالصة لله تعالى فى الدين يعنى از شرك والحاد پاكيزه باشند واز اغراض نفسانية وقضاء شهوات صافى و بى غش والاخلاص ان يأتى بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الدعاء الى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة او لدفع المضرة ليست من قبيل الاخلاص وكذا الاشتغال بالمباح فى الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع فى الصلاة لاجل الغير رياء ودفع الزكاة الى الوالدين والمولودين وعبيده وامائه ينافى القربة ولذا نهى عنه فالاخلاص فى العبودية تجريد السر عما سوى الله تعالى وقال بعضهم الاخلاص ان لا يطلع على عملك الا الله ولا ترى نفسك فيه وتعلم ان المنة لله عليك فى ذلك حيث اهلك لعبادته ووفقك لها ولا تطلب من الله اجرا وعوضا (حنفاء) حال اخرى على قول من جوز حالين من ذى حال واحد ومن المنوى فى مخلصين على قول من لم يجوز ذلك اى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام وهو فى المعنى تأكيد للاخلاص اذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد واكبره اعتقاد الشركة واصل الحنف الميل وانقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذى يمشى على ظهر قدميه فى شقها الذى يلى خنصرها ويجيء الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا انما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير وللحبشى كافور وللطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير لا يسمى احد حنيفا حتى يحج و يختتن لان الله وصف ابراهيم عليه السلام بكونه حنيفا وكان من شأنه انه حج وختن نفسه (و يقيموا الصلاة) التى هى العمدة فى باب العبادات البدنية (ويؤتوا الزكاة) التى هى الاساس فى العبادات المالية قال فى الارشاد ان اريد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة

والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها (وذلك) اى ملة ذكر من عبادة الله بالاخلاص مواظبة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) اى دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشيء الى صفته فانها اضافة الشيء الى صفته وصحة اضافة الدين الى الملة باعتبار التغاير الاعتباري بينهما فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتقفى وحديثا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه وقال بعضهم اضافة الدين الى القيمة اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك ولا حاجة الى تقدير الملة فان القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة ابي رضي الله عنه وذلك الدين القيم انتهى (وقال الكاشفي) دين القيمة يعنى دين وملت درست است و پاينده يعنى اضاف الدين الى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشيء الى نعته كثيرا ونجد هذا في القرآن في مواضع منها قوله ولدار الآخرة وقال في موضع وللدار الآخرة لان الدار هي الآخرة وقال عذاب الحريق اى المحرق كاليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام وادخلك الله جنة الفردوس هذا واشباهه وانث القيمة لان الآيات معناها فرد الدين الى الملة كما في كشف الاسرار والقيمة بمعنى المستقيمة التي لاعوج فيها وقال الراغب القيمة هنا اسم للامة القائمة بالقسط المشار اليهم بقوله كنتم خير امة قال ابن الشيخ بعض اهل الاديان لما بالغوا في باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما تعبوا انفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لاتضر المعصية مع الايمان فالله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين انه لابد من العلم والاخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحالهم الاخروى بعد بيان حالهم الدنيوى وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لامحالة وانهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها تصورت في هذه النشأة بصورة عرضية وستتخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لاجل كفرهم لاينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم اخف من كفر المشركين لكنهم اشتركوا في اعظم الجنايات التي هي الكفر فاستحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلبا للرفعة صاروا الى اسفل السافلين فان جهنم نار في موضع عميق مظلم هائر يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم في هذا الجنس من العذاب لايوجب اشتراكهم في نوعه (اولئك) البعداء المذكورون (هم شر البرية) البرية جميع الخلق لان الله برأهم اى اوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لافادة الحصر اى هم شر البرية دون غيرهم كيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفرا عنادا فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد عقيل لايجوز ان يدخل في الآية ما مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم واما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم والبرية مختلفة من المهموز من برأ بمعنى خلق فهو البارئ اى الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يفهم من مقابلة الجمع بالجمع انه لايكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ من الخير الاعطاء

وحفظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة (اولئك) المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) استدل بالآية على ان البشر افضل من الملك لظهور ان المراد بقوله ان الذين آمنوا هو البشر والبرية يشمل الملك والبشر سئل الحسن رحمه الله عن قوله اولئك هم خير البرية اهم خير من الملائكة قال ويلك وانى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات * ملائك را چه سود از حسن طاعت * چو فيض عشق نبود آدمى را (جزآؤهم) بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات وهو مبتدأ (عندربهم) ظرف للجزآء (جنات عدن) اى دخول جنات عدن وهو خبر للمبتدأ والعدن الاقامة والدوام وقال ابن مسعود رضى الله عنه عدن بطنان الجنة اى وسطها (تجرى من تحتها الانهار) ميرود از زير اشجار آن جويها چه بوستان بى آب روان نشايد وفى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر بقرينة ان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود وجمع جنات يدل على ان للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواخذ اربع جنات والسبب فيه انه يكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان فوق اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له اربع جنان لبكائه باربعة اجفان وقيل انه تغليب قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عندربهم جنات وهو يقتضى مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا اوالالف واللام فى الانهار للتعريف فتكون منصرفة الى الانهار المذكورة فى القرآن وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفى توصيفها بالجرى بعد ما جعل الجنات الموصوفة فتجرى آه اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كانه تعالى يقول طاعتك كانت جارية مادمت حيا على ما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهار كرمى جارية الى الابد (خالدين فيها ابدا) متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال ونحوا لحال وعاملها كلاهما مضمران يدل عليه جزآؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله ابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اى لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم اى استئناف اخبار كانه قيل تزادلهم او استئناف دعا من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبرا بعد خبر وحالا بتقدير قد قال ابن الشيخ لما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهد بهما فى طاعة ربه اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هى الجنة الموصوفة وجنة الروح هى رضى الرب (مصراع) چيست جنت روح را رضوان اكبر از خدا (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لاسيما انهم اعطوا لقاء الرب الذى هو المقصد الاقصى * دارند هركسى از تو مرادى ومطلبى * مقصود ما زدنيى وعقبى لقاى تست (ذلك) المذكور من الجزآء والرضوان وقال بعضهم الاظهر انه اشارة الى ما ترتب عليه الجزآء والرضوان من الايمان والعمل الصالح (لمن خشى ربه) براى آنكس كه بترسد از عقوبت پروردكار خود وبموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك ان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن انس رضى الله عنه قال عليه السلام لابى بن كعب رضى الله عنه ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا الخ قال أوسماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم ففرخت عيناه اى سال دمع عينيه ومن السنة ان يستمع القرآن فى بعض الاوقات من غيره فانه قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال لى رسول الله عليه السلام وهو على المنبر اقرأ على قلت اقرأ عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى اتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان اى تقطران وكان عمر رضى الله عنه يقول لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول

يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انا قد صليت وفي الحديث من استمع آية من كتاب الله كتبت له نورا يوم القيامة) فظهر ان استماع القرآن من الغير في بعض الاحيان من السنن واما انه هل يفرض استماعه كالقرئ بناء على قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه او انه يستحب استماعه والمستمع كالمصلي فيحرمون في الصلاة فهو ما اختار جمهور فقهاء الاسلام على انتصابها كما في شرح شرعة الاسلام للشيخ قوام الدين رحمه الله

تمت سورة التغابن بحمد الله ومنه وفضله في الرابع والعشرين من شهور سنة الف ومائتين وتسع عشرة من هجرة من به تشرف من قدام وخلف

سورة الزلزلة مكية او مدنية وآيها تسع او ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا) جوزن (زلزلت الارض) اى حركت تحريكا عنيفا متكررا مستمرا كما فان تكرر حرف تظنه ينبئ عن تكرر معنى الزلزلة (زلزالها) اى الزلزال المخصوص بها الذى تستوجبه في الحكمة عند مشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه وهو معنى زلزالها بالاضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركه كما في القاموس وقال اهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا في المضاعف كالصلصال ونحوه (واخرجت الارض اثقالها) اختيار الواو على الفاء مع ان الاخراج مسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع وانظارها والارض في موضع الاضمار لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها والاثقال كنوز الارض وموتاها جمع ثقل بالكسر واما ثقل محركة متاع المسافر وحشمه على ما في القاموس والمعنى واخرجت الارض ما في جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذى هو من اشراط الساعة وكذا من اجوافها عند زلزال النفخة الثانية وفي الخبر تبقى الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع رحمه فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله افلاذ كبدها اراد انها تخرج الكنوز المدفونة فيها وتقيها اثر اجسامها ويدخل في الاثقال الثقلان وفيه اشارة الى ان الجن تدفن ايضا (وقال الانسان) اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحقهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة (مالها) اى شيء للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال اشتغالا مما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه من العجائب التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بها اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا (يومئذ) بدل من اذا (تحدث اخبارها) عامل فيهما وهو جواب الشرط وهنا على القول بان العامل في اذا الشرطية جوابها واخبارها مفعول تحدث والاول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجمادات تنطق فيه واما ما ذكر ان الحيوان يجب من ان حدث وانبأ ونبأ لا يتعدى الا الى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل في محله والمعنى تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويخوفونه منه واما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يود الكافر انه سبق الى النار مما يرى من الفضوح روى ان عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما في حجر ابي سعيد الخدري رضي الله عنه فقال ابو سعيد يا بني اذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالاذان فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر ولا شجر الا شهد له وروى ان ابا امامة صلى في المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلي ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا ابا امامة ما هذا الذي تصنع قال قرأت هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها فاردت ان يشهد لي يوم القيامة خطوبي لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوى وقال ان لله عليك سمع شهود المكان كما قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها والزمان كما في الخبر ينادي كل يوم انا يوم جديد وانا على ما تعمل في شهيد والانسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم والايدي [illegible] وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم والمكان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين والديوان كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم

بالحق والرحمن كما قال انا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود (بان ربك اوحى لها) اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجمهور او بسبب ان احدث فيها احوالا دالة على الاخبار كما اذا كان التحديث بلسان الحال وفيه اشارة الى زلزلة ارض البدن عند نزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى والقوى والى اخراجها متاعها التى هى به ذات قدر من القوى والارواح وهيئات الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب وقال الانسان مالها زلزلت واضطربت ما قلبها وما دآؤها الانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاط يومئذ تحدث اخبارها بلسان حالها بان ربك اشار اليها وامرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ) اى يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب وانتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورود اى هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيء فقال الجمهور هو كونهم مدفونين فى الارض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية بازكشتن يعنى الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع (اشتاتا) يقال جاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام واحدهم شت بالفتح اى متفرق ونصب على الحال اى حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادى المنادى بين يديه هذا ولى الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال فزعين والمنادى ينادى بين يديه هذا عدو الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبرآئيل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام يوما فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا وهو اعلم به فقال عليه السلام يا جبرآئيل قد طال تفكرى فى امر امتى يوم القيامة قال يا محمد فى امر اهل الكفر ام فى امر اهل الاسلام قال يا جبرآئيل لا بل فى امر اهل لا اله الا الله قال فاخذ بيده حتى اقامه على مقبرة بنى سلمة فضرب بجناحه الايمن على قبر ميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرآئيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبر ميت فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم قال جبرآئيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه (ليروا) اللام متعلقة بيصدر (اعمالهم) اى جزآء اعمالهم خيرا كان او شرا والا فنفس الاعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية اذ الرؤية هنا ليست علمية لان قوله فمن يعمل الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها الى مفعول واحد اللهم الا ان يجعل لها صور نورانية او ظلمانية او يتعلق الرؤية بكتبها كما سيجيء (فمن) پس هركه (يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة او ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك اى يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وقال يحيى بن عمار حبة الشعير اربع ارزات والارزة اربع سمسمات والسمسمة اربع خردلات والخردلة اربعة اوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر اما مشاهدة اجزيته فمن الاولى مختصة بالسعدآء والمخصص قوله اشتاتا اى فمن يعمل من السعدآء مثقال ذرة خيرا يره والثانية بالاشقياء بقرينة اشتاتا ايضا اى فمن يعمل من الاشقياء مثقال ذرة شرا يره وذلك لان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب فقد ورد ان حاتما الطائى يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله فى ابى طالب وغيره يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله عليه السلام فى حق عبد الله بن جدعان لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وذلك حين قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام فى حق ابى طالب ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار فتلك الشفاعة مختصة به واما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزآء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه اما المؤمن

فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا له وفى تفسير البقاعى الكافر يوقف على ما عمله من خير على انه يجوز به فى الدنيا او انه احبط لبنائه على غير اساس الايمان فهو مقبورة بلا معنى ليشتد مه ويقوى حزنه واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفى جانب الشر يراه المؤمن ويعلم انه قد كفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه وفى التأويلات النجمية ليروا اعمالهم المكتسبة يعنى الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فى الصورة الجزائية لتصور الاعمال بصورتها سبها نورانية كانت او ظلمانية ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره متجسدا فى يوم القيامة فى جسد السباع بحسب القوة الغضبية وفى جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما انه كلما ازدادت الصور القبيحة المختلفة ازداد العبوس والالم وفيه رمز الى انه لا يلزم من مجرد الرؤية الجازاة كما فى حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده وفى التفاسير نزلت الآية ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فانه يوشك ان يكثر اذا كان بنية خالصة وتحذيرا من الشر وان كان قليلا كخيانة ذرة فى الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فانه يوشك ان يكون كثيرا عظيما للبر آمة على الله العظيم وكان الناس فى بدء الانسان يرون ان الله لا يؤآخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يمشي من صدقة الشيء اليسير ويظن انه ليس له اجر حتى نزلت الآية وفى الحديث (اذا زلزلت تعدل ربع القرآن) رواه ابن ابى شيبة مرفوعا فتكون قراءتها اربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لان الايمان بالبعث ربع الايمان فى قوله عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وفى بعض الآثار ان سورة الزلزلة نصف القرآن وذلك لان احكام القرآن تنقسم الى احكام الدنيا واحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على احكام الآخرة كلها اجمالا وروى ان جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرئه يعنى گفت از آنچه بر تو فرود مى آيد برمن بخوان وفى كشف الاسرار صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى آمد ومسلمان گشت واز رسول خدا درخواست تا از قرآن چيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية اى فمن يعمل الخ فقال حسبى حسبى وآشوبى وشورى از نهاد وى برآمد وبخاك افتاد وزار بگريست وهى احكم آية وسميت الجامعة وعن زيد بن اسلم رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال علمنى ما علمك فدفعه الى رجل يعلمه القرآن فعلمه اذا زلزلت الارض حتى بلغ فمن يعمل الخ فقال الرجل حسبى فاخبر بذلك النبى عليه السلام فقال دعه فقد فقه الرجل چون كسى داند كه برذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود * حساب كار خود امروز كن كه فرصت هست * ز خير وشر بنكر تا چه هاست حاصل تو * اگر بنقد نكوئى تو آنكرى خوش باش * ورت بغير بدى نيست واى بر دل تو

تمت سورة الزلزلة فى رابع جمادى الاولى

سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعاديات) جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية دويدن وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ماقبلها اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو (ضبحا) مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت انفاسها عند عدوها يعنى صوتا يسمع من افواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وهى صوت البرذون عند الشعير او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات ضبحا او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الضرب فان الخيل يضرب بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا يقال قدح الزند فاورى وقدح فاسلد اى صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الايراء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها واتصاب قدحا

كانتصاب

كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة اى تقدح قدحا او فالقادحات قدحا او قادحات (فالمغيرات) يقال اغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل وأغار الفرس اشتد عدوه فى الغارة وغيرها اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر الى الخيل وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى أغارتهم (صبحا) نصب على الظرفية اى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا على حين غفلة ليروا ما يأتون ويذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة يا صباحاه اى ياقوم احذروا من شر توجه الينا صباحا (فاثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن به اى فهيجن فى ذلك الوقت واصله اثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقى اثرن بوزن اغلن ويجوز ان يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية او للملابسة (نقعا) اى غبارا وبالفارسية پس دران وقت كردانكيختند من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمى نقعا لارتفاعه او هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولا يظهر نوره بالليل وبهذا يظهر ان الايراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدى المفتى واثارة النقع لانهم يكونون حال الاغارة مختلفين يمينا وشمالا واماما وخلفا بحسب الكر والفر فى المحاولة اثر المدبر المحارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير (فوسطن به) اى توسطن فى ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط درميان چيزى شدن او توسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة (جمعا) من جموع الاعداء اى دخلن فى وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو (ان الانسان لربه لكنود) جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمى كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير ابى حى من اليمن لانه كند اباه النعمة ففارقه ولحق باخواله وقال الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالانسان بعض افراده اى انه لنعمة ربه خصوصا لكفور اى شديد الكفران فقوله لربه متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى ناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى رضى الله عنه وكان احد النقباء فابطأ عليه صلى الله عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود فاللام فى العاديات ان كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان كانت للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهى مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران واذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى اقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام الكنود هو الذى يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده اى عطاءه فيكون بخيلا يقال كان ثلاثة نفر من العرب فى عصر واحد احدهم آية فى السخاء وهو حاتم الطائى والثانى آية فى البخل وهو ابو حباحب وبخله انه كان لا يوقد النار للخبز الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد والثالث آية فى الطمع وهو اشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام قرأ صبى فى المكتب وعنده اشعب جالس ان ابى يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبى انا اقرأ حزبى وكان اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن انه ينتزع قميصه ليدفعه اليه وكان اذا رأى دخانا ارتفع من دار ظن ان اهلها تأتى بطعام وكان اذا رأى عروسا تزف الى موضع جعل يكنس باب داره لكى تدخل داره قال ما رأيت اطمع منى الا كلبا تبعنى على مضغ العلك فرمضا وقال الحسن لكنود اى لئام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم وقال ابو عبيدة قليل الخير من الارض الكنود التى لا تنبت شيأ كانه مقلوب النكد وحاك القاشانى الكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه وفى التأويلات النجمية لكنود بنعمة الوجود والصفات والاسماء لادعائها لنفسه

بالاستقلال والاستبداد اولعاص باستعمالها فى غير محالها اوبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم ايثارها على الخلق بطريق الارشاد (وانه على ذلك) اى وان الانسان على كنوده (لشهيد) اى يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل ان يجعل من الشهود بمعنى انه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السيء مع العلم به غاية المذمة (وانه لحب الخير) اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وايثار الدنيا وطلبها وفى الاستلة المفخمة فان قلت سمى الله جنس المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما قلت انما سماه خيرا جريا على العادة فانهم كانوا يعدون المال خيرا فسماه الله خيرا جريا على عادتهم كما سمى الجهاد سوأ حتى لم يمسسهم سوء اى قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جريا على عادتهم (لشديد) اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو ولحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا والشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اكر مال را دوست ميدارى بدم تا باز بتو دهند ودر راى وارث منه كه داغ حسرت بردل تو نهند * مال همان به كه بياران دهى * كر بدهى به كه بخاكش نهى * زر زبى منفعت است اى حكيم * بهر نهادن چه سفال وچه سيم (افلا يعلم) اى أيفعل ما يفعل من القبايح او ألا يلاحظ فلا يعلم فى الدنيا ان الله مجازيه (اذا بعثر) بعث واخرج وقد سبق فى الانفطار فنا صب اذا محذوف وهو مفعول يعلم لا يعلم لان الانسان لا يراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك فى الدنيا (ما فى القبور) من الموتى واياد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء (وحصل) اى جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج المستور باخر المخمور فيه واخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردى والجمع والاظهار من لوازمه ويجوز ان يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمخل المحصل اى آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة فانه لابد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتمييز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللاحق هو التحصيل وفى القاموس التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شئ ما بقى وثبت وذهب ماسواه (ما فى الصدور) من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية فتخصيص اعمال القلب لانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح فالقلب اصل واعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى آثم قلبه وقال عليه السلام يبعثون على نياتهم (ان ربهم) اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين فحين كانوا فى القبور كانوا كجمادات بلا عقل ولا علم وان كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر (بهم) بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور (لخبير) اى عالم بظواهره وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك

سورة القارعة مكية وآيها عشر او احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التى مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله (ما القارعة) على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ اى واى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل

وما ادراك

(وما ادراك ما القارعة) ما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر اى واى شئ اعلمك ماشأن القارعة فان عظم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها المجزل ذلك بقوله (يوم يكون الناس) اى هى يوم يكون الناس على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا على ما هو رأى الكوفيين او اذكر يوم الخ فانه يدريك ما هى (كالفراش المبثوث) جمع فراشة وهى التى تطير وتتهافت على السراج فتحترق وبالفارسية پروانه والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ما ينشب فيه والمبثوث بالفارسية پراكنده والمعنى كالفراش المفرق فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان القروزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش عشين نار المصطلى وهذا يدل على كثرة الفراش

ولو فى بعض المواضع فسقط ما قال سعدى المفتى فيه ان الفراش لا يعرف بالكثرة بحيث يصلح ان يكون مشبها به لاهل المحشر فيها الا ان يفسر بصغار الجراد اى كالجراد المنتشر حين ارادة الطيران كما قال تعالى كانهم جراد منتشر وفيه ان الفراش لم يفسر فى اللغات بصغار الجراد وقال ابن الشيخ شبه الله الخلق وقت البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث وفى الآية الاخرى بالجراد المنتشر ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الآخر كالفراش فانها اذا طارت لا تتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى وفيه اشارة الى ان السالك الفانى يكون فى الشهود الاحدى فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر واذل لانه لا قدر ولا وقع له فى عين الموحد (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف المصبوغ الوانا والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالاصبع وخلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندى شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلونها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واختصاص العهن لالوان الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فتتفرق اجزآتها وتطايرها فى الجو وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية (فاما من ثقلت موازينه) جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها لان الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم اولان لكل مكلف ميزانا اولاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال ليبين الله امر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا توضع فيه صحف الاعمال اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة او تبرز الاعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح يعنى يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور سيئة فتوضع فى الميزان اى فمن رجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) من قبيل الاسناد الى السبب لان العيش سبب الرضى من منع العيش وقال بعضهم راضية اى راض صاحبها عنها وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده وقد سبق فى الحاقة وفى التأويلات النجمية فاما من ثقلت له موزونات الاوصاف الالهية والاخلاق اللاهوتية فهو فى راحة واستراحة من نتايج تلك الاوصاف والاخلاق (واما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار (فامه) اى مأواه (هاوية) هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا (وقال الكاشفى) وآن دركه باشد زير ترهمه دركها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وفيه تهكم به اولانها تحيط به احاطة رحم الام بالولد اولان الام هى الاصل والكافر خلق من النار وكل شئ يرجع الى اصله وهو اللايح وفى الكشاف من قولهم اذا دعوا على الرجل بالثكل هوت امه لانه اذا هوى اى سقط فقد هلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا فكانه قيل فقد هلك وعن قتادة فام رأسه هاوية فى جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وام الرأس الدماغ

او الجلدة الرقيقة التي عليها وفي التأويلات النجمية واما من خفت موازينه بالاخلاق السيئة والاوصاف القبيحة الخبيثة فاصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الازل الى الابد وهي نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا وفي لفظ الثقل والخفة اشارة الى ان السعداء والاشقياء مشتركون في فعل السيئة وان كانت في الفريق الاول مرجوحة قليلة وفي الثاني راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة وذلك لما انه مقتضى الاسم الغفور واعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اى المعتبرة الراجحة عند الله التي لها قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات والخفيفة التي لا اعتبار لها عند الله هي الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفي الهاوية اشارة الى هاوية الطبيعة الجسمانية التي يهوى فيها اهلها وفي الحقيقة الموزونات هي الاستعدادات الغيبية والقابليات العلمية الازلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى (وما ادراك ماهيه) وچه چيزى دانا كردترا كه چيست هاويه فهي للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل قال ابو الليث قرأ حمزة والكسائي بغيرها في الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون باثباتها في الوصل والوقف وقد سبق مفصلا في الحاقة وفيه اشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدري بها احد ثم اعلمها بقوله (نار حامية) متناهية في الحر وبالفارسية آتشى بغايت رسيده درسوزش يقال حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقد سبق

سورة التكاثر مختلف فيها وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(الهاكم التكاثر) اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اى اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال الهى عن كذا اى شغل عما هو اهم والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر والمعنى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارى قوم قال ابن الشيخ الالهاء الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشئ يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير الهاكم كذا بشغلكم تفسيره بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهى عنه اى الذى الهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة اما الاول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعة الى التعظيم لاشتراكهما في الابهام واما الثاني فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل الهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كانواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والعهد المذموم هو التكاثر في الامور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء واما التفاخر بالامور الاخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والاخلاق والعصمة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت اذا كان بطريق تحديث النعمة ومن ذلك تفاخر العباس رضي الله عنه بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان مفتاح البيت بيده الى ان قال علي رضي الله عنه وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثله والتكاثر مكاثرة اثنين مالا او عددا بان يقول كل منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا والمراد هنا هو التكاثر في العدد لانه روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسعادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعظم نفرا فكثرهم بنو اعبد مناف اى غلبهم بالكثرة فقال بنو اسهم ان البغي افتانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات (قال الكاشفي) بكورستان رفتند وكورها بر شمردند كه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور اشراف قبيلة خود شمردند فكثرهم بنو اسهم يعني بسه خاندان بني سهم زياده آمد برخ عبد مناف برين فسق بريكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) اى حتى استوعبتم عددهم وصرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات وبالفارسية تا حدى آمديد

بكور ستانها ومردكانرا شمارة كردند فعبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور اى جعلت كناية عنه تهكما بهم قال الطيبى انما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا فى هذا الوجه وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روى انه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه الآية ويقول يعدها يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وفيه اشارة الى انهم يبعثون فان الزائر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال ما اراى المقابر الا زيارة ولا بد لمن زار ان يرجع الى بيته اما الى الجنة او الى النار وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب فى الآخرة والاستعداد للموت * روزى كه اجل كند شبيخون * البته بيايد از جهان رفت * كردل نبود اسير دنيا * آسان رود آن جهان توان رفت (كلا) ردع عما هم فيه من التكاثر اى ليس الامر كما يتوهمون هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله واموا له اى ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطأ فيه وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) اى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة ولذا قدر له مفعول واحد وهو انذار وتخويف ليضافوا وينتبهوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك (ثم كلا سوف تعلمون) تأكيد لتكرير الردع والانذار وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول لان فيه تأكيدا خلا عنه الاول لان فيه تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التدريج فى درج الارتقاء كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل او الاول عند الموت فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او فى القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك وما دينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا التكرير فى الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زمانى العلمين وبتعلقهما فانه يلقى فى كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن على رضى الله عنه ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت السورة الى قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون اى سوف تعلمون فى القبر ثم فى القيامة وفى الحديث (يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو ان تنينا منها نفخ فى الارض ما انبتت خضرا) (كلا) تكرير للتنبيه تأكيدا (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف للتهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر اضيف الى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين ايديكم على الامر اليقين اى لعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كانه عين اليقين والا فيلزم اضافة احد المترادفين الى الآخر اذ العلم فى اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من اضافة العام الى الخاص بناء على ان اليقين اخص من العلم فان العلم قد يعم الظن واليقين فتكون اضافة كاضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقينى بالوصف (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر اكد به الوعيد حيث ان ما اوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ولا يجوز ان يكون جواب لو لان رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح وقال بعضهم يصح ان يكون جوابا فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعنى يكون الجحيم دائما فى نظركم لا يغيب عنكم اصلا (ثم لترونها) تكرير للتأكيد والاولى اذا رأوها من مكان بعيد ببعض خواصها واحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية اذا اوردوها فان معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها اجلى واكشف من الرؤية الاولى فعلى هذا يتنازع الفعلان فى عين اليقين او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين

فان علم المشاهدة للمحسوسات اقصى مراتب اليقين فلا يرد ان اعلى اليقينيات الاوليات وانما قيد بالرؤية بعين اليقين احترازا عن رؤية فيها غلط الحس فانتصاب عين اليقين على انه صفة المصدر اترونها فجعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال في التيسير كلمة ثم للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السؤال بانك اشكرت في تلك النعمة ام كفرت يكون في موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر فان الخطاب في لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب و يلبس اللين و يقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اكل هو واصحابه تمرا وشربوا ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا كما في الكشاف فدخلت في الآية كفار مكة ومن لحق بهم في وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفي هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما وذلك لان بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فان الصحة تنبيء عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الاسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة الا بهذين الامرين ثم سائر النعم بعد من توابعهما وقد قال معاوية بن قرة شدة الحساب يوم القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف ادیت شكرهما وعن الحسن رحمه الله ما سوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه وقال بعض السلف من اكل فشبع وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام وقال رجل للحسن رحمه الله ان لنا جارا لا يأكل الفالوذج و يقول لا اقوم بشكره فقال ما اجهل جارك نعمة الله عليه بالماء البارد اكثر من نعمته بجميع الحلاوى ولذلك قال عليه السلام اول ما يسأل العبد عنه من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد وفي عين المعافى عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب النعيم ذات محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت او خواهند پرسيد * چه نعمتيست بزرك ازخدا كه بر ثقلين * سپاس داري اين نعمت است فرض العين * يقول الفقير النعيم اما نعيم جسماني وشكره بمحافظة احكام الشريعة واما نعيم روحاني وشكره بمراعاة آداب الطريقة فانه كلما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومامن عضو من الاعضاء وقوة من القوى الا وهي مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا على ان عالم الصفات والاسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله واياكم لشكر النعيم انه هو البر الرحيم وفي الحديث (الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية في كل يوم قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر مرة على ما قال السيوطي رحمه الله في الاتقان ان القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية فاذا تركا زيادة الآلاف كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الغزالي رحمه الله ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متممة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بالف آية افهم واجل واصح من التعبير بالسدس انتهى يقول الفقير هذا منتقض بسورة الزلزلة فانها ايضا تشتمل على احكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق انها تعدل نصف القرآن او ربعه والظاهر ان المراد بالالف التكثير لان اول السورة مما ينبيء عنه ومن الله التوفيق والارشاد

سورة العصر ثلاث آيات مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعصر) اقسم سبحانه بصلاة العصر فانه كثيرا ما يطلق العصر و يراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذي هو صلاة الظهر و بين الوتر النهاري الذي هو صلاة المغرب فانها لما توسطته

بين الطرفين لتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر
ما لم يكن لكل واحد من الطرفين وايضا ان اوقات اوائل الصلوات الاربع محدودة الا العصر يعني ان اول
صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير في الصلاة لان الله
تعالى منزه عن التقييد باوضاع الصلاة وحركات المصلي قال بعض الكبار صلاة العصر بركعاتها الاربع اشارة
الى التعينات الاربعة الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية في مرتبة الجمال الكوني بالفعل
كما ان الظهر اشارة اليها في مرتبة الجمال الالهي بالفعل ولا شك ان الانسان كون جامع ففي العصر اشارة
اليه وفي الحديث من فاتته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اي نقص اي ليكن من فوتها حذرا كما يحذر
من ذهاب اهله وماله وسر الوعيد ان التكليف في اداء صلاة العصر اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم
واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذ لا سيما في ارض الحجاز فالكسب الحاصل في ذلك الوقت مع
السهو عن الصلاة في حكم الخسران وسبب للخذلان حكي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة
وتقول دلوني على النبي عليه السلام فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث قالت
يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنى فالقيت الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا
ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه السلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع
الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر ويقال ان الله تعالى اقسم بوقت العصر
نفسه كما اقسم بالفجر فقد خلق فيه اصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال اقسم
بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى لما فيها جميعا من دلائل القدرة ويقال اقسم
بعصر النبوة الذي مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته الى انقراض
امته في آخر الزمان وهو الف سنة كما قال عليه السلام ان استقامت امتي فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم
وفضل هذا العصر على سائر الاعصار ظاهر لانه عصر خير الانبياء والمرسلين وعصر خير الامم وخير
الكتب الالهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلا ويقال اقسم بالدهر لانطوائه على اعاجيب الامور
القارة والمارة وللتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران فان الانسان يضيف المكاره والنوائب اليه
ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والاقسام بالشيء اعظام له وما يضاف اليه الخسران لا يعظم عادة وقد قال
عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فاقسم الله بالدهر لانه بالنسبة الى الفهم العام محل شهود
الايات الالهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة الى الفهم الخاص مظهر التجليات
الالهية لظهوره تعالى بصفاته وافعاله في مظهره فلما كان العصر جامعا لجميع الآيات التي اقسم الله بها
في القرآن كقوله تعالى والفجر وليال عشر وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله
تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله تعالى والضحى والليل اذا سجا ختم الله بقسم العصر اقسام
جميع القسم وفي التأويلات النجمية اقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبي عليه
السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اي بين ماء العلم وطين المعلوم
ولقوله نحن الآخرون السابقون ولقوله حكاية عن الله سبحانه لولاك لما خلقت الافلاك ولقوله انا من الله
والمؤمنون مني ويقوي هذه الاحاديث قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اي من عالمي زمانه وما كان
بعده وما كان قبله لان العالمين جمع محلى بالالف واللام فيدل على العموم والشمول كما في قوله تعالى
الحمد لله رب العالمين (ان الانسان) التعريف للجنس يعني الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الانسان
فان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق (لفي خسر) الخسر والخسران معناه
النقصان وذهاب رأس المال في حق جنس الانسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم اي لفي خسران عظيم لا يعلم
كنهه الا الله في متاجرهم وصرف اعمارهم في مباغيهم يعني هر آينه در زيانند بصرف اعمار در مطالب
ناپايدار مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست كه بس زيان كني ومر ترا ندارد سود والذنب يعظم اما لعظم من
في حقه الذنب او لانه في مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك
الذنب في غاية العظم ويجوز ان يكون التنوين للتنويع اي نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس (الا الذين

(آمنوا) بالله الايمان العلمي اليقيني وعرفوا ان لا مؤثر بالحقيقة الا الله وبرزوا من حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) اى اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمالي على النور الاستعدادي الذي هو رأس مالهم فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما ابهجها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم واستدل بعض الطوائف بالاية على ان مرتكب الكبيرة مخلد لانه لم يستثن من الخسران الا الذين آمنوا الخ والتقصي عنه ان غير المستثنى في خسر ملابسا اما بالخلود ان مات كافرا واما بالدخول في النار ان مات عاصيا لم يغفر له واما بفوات الدرجات العالية ان غفر (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لما سن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) اى عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها ادآؤها وعلى ما يبلوا الله به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به اولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس بمجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل او ترك بل هو تلق ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا واعلم سبحانه اغاذ كر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الابدية والسعادة السرمدية واشعارا بان ما عداه ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكر ما فان الابهام في جانب الخسر كرم لانه ترك تعداد مثالبهم والاعراض عن مواجهتهم به وروي عنه عليه السلام انه قال اقسم ربكم بآخر النار ان ابا جهل لفي خسر الا الذين آمنوا اى ابابكر رضي الله عنه وعملوا الصالحات اى عمر رضي الله عنه وتواصوا بالحق اى عثمان رضي الله عنه وتواصوا بالصبر اى عليا رضي الله عنه فسره بذلك علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم على المنبر فيكون تكريرو تواصوا لاختلاف الفاعلين واما على الاول فلاختلاف المتعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روى عن الشافعي رحمه الله انها سورة لو لم ينزل الى الناس الا هي لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرآن

تمت سورة العصر في خامس جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الهمزة تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل) بالفارسية بمعنى واى وهو مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر خبره قوله (لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن شاع في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وفي القاموس الهامز واللامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس او الذي يعيبك في وجهك والهمزة من يعيبك في الغيب انتهى وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وفي ادب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذي يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها ونزولها في الاخنس بن شريف او في الوليد بن المغيرة فان كلا منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام والاصح العموم لقوله تعالى لكل ولم يقل للهمزة واللمزة كما قرأ عبد الله كما في عين المعاني (وفي الحديث) المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يدري من اين اكتسب وفيم انفق) قال القاشاني الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الاذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد ان يتفضل على الناس ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر ان ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية (الذي جمع مالا) بدل من كل كانه قيل ويل للذي جمع مالا وانما وصفه الله بهذا الوصف المعنوي لانه يجري مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث انه اعجب بنفسه مما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذا استنقص غيره وانما لم يجعل وصفا نحويا للكل لانه نكرة لا يصح

توصيفها

توصيفها بالموصولات وتنكيرها للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) اى عده مرة بعد اخرى من غير ان يؤدى حق الله منه ويؤيد انه من العد وهو الاحصاء لا من العدة انه قرئ وعدده بتلك الادغام على انه فعل ماض بمعنى احصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيرة لنوائب الدهر وكان الاخنس المذكور اربعة آلاف دينار او عشرة آلاف ثم فى الجمع اشارة الى القوة الشهوانية وفى عدده الى الجهل لان الذى جعل المال عدة للنوائب لا يعلم ان نفس ذلك المال هو الذي يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وفى التأويلات النجمية جمع مال الاخلاق الذميمة والاوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله (يحسب ان ماله اخلده) اظهار المال لزيادة التقرير اى يعمل من تشييد البنيان وايثاقه بالصخر والآجر وغرس الاشجار وكرى الانهار عمل من يظن انه لا يموت بل ماله يبقيه حيا فالحسبان ليس بحقيق بل محمول على التمثيل وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يظن ان ماله يوصله الى مقام الخلد وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال قد ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت فكانه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضى قال الحسن رحمه الله ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعنى نه چنانست كه آدمى پندارد وقال بعضهم الاظهر انه ردع له عن الهمز واللمز (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن ذلك الذى يحسب وقوع الممتنع بسبب تعاطيه للافعال المذكورة وقال بعضهم ولك ان ترد الضمير الى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية (فى الحطمة) اى فى النار التى شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال قال بعضهم قولهم ان فعلة بفتح العين للمكثير المتعود ينتقض بالحطمة فانها اطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه ان كونه طبيعيا لا ينافى كونه عادة اذ العادة على ما فى القاموس الدين والشأن والخاصية وهو يعم الطبيعى وغيره ومنه يعلم ان النبذ فى الحطمة كان جزاء وفاقا لاعمالهم فانه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم ايضا عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا انفسهم اهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبىء عن الاستحقار والاستقلال يعنى شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم بحصيات اخذهن احد فى كفه فطرحهن فى البحر وفيه اشارة الى الاسقاط عن مرتبة الفطرة الى مرتبة الطبيعة الغالبة (وما ادراك ما الحطمة) تهويل لامرها ببيان انها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق والمعنى بالفارسية وچه چيزدانا كردترا تادانى چيست حطمه (نار الله) اى هى نار الله (الموقدة) افروخته شده بامر وقدرت او جل جلاله وما اوقدوا شعل بامره لا يقدر ان يطفئه غيره فاضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها ليست كسائر النيران (وفى الحديث) اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعن على رضى الله عنه عجبا ممن يعصى الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته (التى تطلع على الافئدة) اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها فان الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعنى ان تلك النار تحطم العظام وتاكل اللحوم فتدخل فى اجواف اهل الشهوات وتصل الى صدورهم وتستولى على افئدتهم الا انها لا تحرقها بالكلية اذ لو احرقت لماتت اصحابها ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة اخرى وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشد تألما بادنى اذى يمسه اولانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة فاطلاعها على الافئدة التى هى خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الاطلاع على جميع الجسد بطريق الاولى صاحب كشف الاسرار فرموده كه آتشى كه بدل راه يابد بحبس حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتاد سال آتش نار الله الموقدة در باطن مازندتا تمام سوخته شدنا كاه شررى از مقدحة انا الحق برون جست ودران سوخته افتاد سوخته بايد كه از سوزش ما خبر دهد * اى سمع يا تامن وتوزار بكريم * كاحوال دل سوخته هم سوخته داند (انها عليهم مؤصدة) اى ان تلك النار الموصوفة مطبقة ابوابها عليهم تأكيدا لما يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته وقد سبق فى سورة البلد (فى عمد) جمع عمود كما فى القاموس اى حال كونهم موثقين فى اعمدة (ممددة) من التمديد بالفارسية كشيدن اى ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اى يلقون فيها على احد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة

الخشبة التي يجعل فيها ارجل اللصوص والشطار يسمى خشبة فيها حروق تدخل فيها ارجل المحبوسين كيلا يهربوا وقوله في عمد حال من الضمير المجرور عليهم او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد المطولة التي هي ارسخ من القصيرة استيثاقا في استيثاق لايد خلها روح ولا يخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم في عمد اخلاقهم واوصافهم واعمالهم ومدهم في ارض الذل والهوان والخسران لان اهل الحجاب لاعزلهم نسأل الله تعالى ان لا يذلنا بالاحتجاب انه الوهاب

سورة الفيل خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية لان النبي عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل ابرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الاعظم الذي اسمه محمود وكنيته ابو العباس كما سيجيء ونسبوا اليه لانه كان مقدمهم والمعنى الم تعلم علما رصينا ساتاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل وبك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيسا لها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التي وقعت للنبي عليه السلام ارهاصات لان كلا منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبي وقبل مبعثه وفي كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده ايضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ونحوها الاول فان قيل اتحاد السنة بان يكون وقوع القصة عام المولد امر اتفاقي لا يمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا شرفها ايضا بشرف مكانه عليه السلام الا يرى انه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قال في فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبي عليه السلام في نصف المحرم وولد عليه السلام في شهر ربيع الاول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة وهي سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط ادم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة اما تسلية النبي عليه السلام بانه سيجزي من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة واما تهديد الظلمة وتفصيلها ان ملك حمير وما حولها وهو ذو نواس اليهودي لما احرق المؤمنين بنار الاخدود ذات الوقود على ما سبق في سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو اصحمة بن بحر النجاشي بتخفيف الياء الذي اسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وحرضه على قتال ذي نواس فبعث اصحمة سبعين الفا من الحبشة الى اليمن وامر عليهم ارياط ومعه في جنده ابرهة بن الصباح الاشرم ومعنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجيء معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحل عمايلي ارض اليمن وهزم ارياط ذا نواس وقتله في المعركة او القي هو نفسه في البحر فهلك واستقر امر ارياط في ارض اليمن زمانا واقام فيها سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة في امر الحبشة فكان من امر آه الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان سار احدهما الى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال ارسل ابرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرز لي وابرز لك فاينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط ان قد انصفت فاخرج فخرج اليه ابرهة وكنيته ابو يكسوم وكان رجلا قصيرا لحيما ذا دين في النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا طويلا عظيما وفي يده حربة وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفتيه اى شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمي ابرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى ابرهة فاجتمعت الحبشة في اليمن بلا منازع وكان ما صنع ابرهة من غير علم النجاشي فلما بلغه ذلك غضب غضبا شديدا فقال عدا على اميري فقتله بغير امري

ثم حلف لایدع ابرهة حتی یطأ بلاده ویجز ناصیته فلما بلغ هذا الخبر ابرهة حلق رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب
الیمن ثم بعث به الی النجاشی مع هدایا جلیلة کثیرة وکتب الیه ایها الملک انما کان ارتیاط عبدک وانا عبدک
فاختلفنا فی امرلة وکل طاعة لک الا انی کنت اقوی علی امر الحبشة واضبط له واسوس منه وقد سلفت
رأسی حین بلغنی قسم الملک و بعثت الیه بجراب تراب من ارضی لیضعه تحت قدمیه فیبر قسمه فی فلما وصل
کتاب ابرهة الی النجاشی لان ورضی عنه وکتب الیه إن اثبت بارض الیمن حتی یأتیک امری فاقام ابرهة بالیمن
ثم انه رأی الناس یتجهزون ایام الموسم الی مکة لحج بیت الله الحرام فقصر لئمنه عوق الحسد فبنی بصنعاء
کنیسة من رخام ملون وفی بعض التفاسیر ودرود یوارا تراز روجواهر مرصع ومزین کودانیده وفی انسان
العیون واجتهد فی زخرفتها فجعل فیها الرخام الجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وکان ینقل ذلک من قصر بلقیس
صاحبة سلیمان علیه السلام وجعل فیها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وسماها
القلیس بجمیز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانیس لانها فی اعلی الرأس واراد ان یصرف الیها الحاج
وفی کشف الاسرار چون رسول ابرهه باآن هدیها پیش ملک نجاشی رسید وآن پیغام بداد ملک ازو خشنود
شد وولایت یمن جمله بدو ارزانی داشت وبوی تسلیم کرد چون آن رسول بنزدیک ابرهه باز آمد ابرهه
شاد شد و بشکرانه ملک ازو خشنود کشت وزراوعقلاء مملکت خویش جمع کرد واینانرا کفت مرا راهی
سازید بعملی که ملک راخوش آید واورادران عزی وجمالی بود تلا آنرا شکر نعمت عفو واوسازم ایشان همه
متفق شدند که عرب راخانه ایست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب
روی بدان خانه دارند وآن خانه ازسنگ است تو در صنعاء یمن کنیسه بساز برنام ملک وبردین ترسایی که
دین نجاشی است واساس آن اززروسیم والوان جواهر کن وکسی فرست باطراف زمین ودیار عرب وایشانرا
بخوان وبزروسیم وتحفها وهدیها ایشانرا رغبتی کن تا عالمیان روی بدان کنیسه نهند وآنجا طواف کنند
وملک عزی وجمالی باشد ابرهه همچنان کرد که ایشان گفتند وآن کنیسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال
وزروسیم خلق روی بدان کنیسه نهادند وهرکه آنجا رفتی باهدیه وتحفه بازگشتی وکتب ابرهة الی النجاشی
ایها الملک انی بنیت لک کنیسة لم یبن مثلها لملک قبلک واست ارضی حتی اصرف الیها حاج العرب فلما تحدث
العرب بکتاب ابرهة ذلک الی النجاشی غضب رجل من بنی کنانة حتی اتی القلیس وفی کشف الاسرار وخبر
دراطراف افتاد که ازج وزیارت وطواف که درمکه وخانهٔ عرب بود بایمن افتاد ودران وقت رئیس مکه عبد
المطلب بود مردی ازعرب ازساکنان مکه نام وی زهیربن بدرازعبد المطلب درخواست وسوکند خورد که
من بروم ودرخانهٔ ایشان حدث کنم برخواست وآنجا شد وچند روز آنجا عبادت کرد رتبهٔ مجاورت یافت شبی
کفت من میخواهم که اینجا امشب عبادت کنم که مرا صحبت نیکو وخوش آمده است این بقعه اورا آن شب
آنجا تنها بگذاشتند ودران خانه مسلک وعنبر فراوان بود وپیوسته بوی خوش ازان میدمید زهیر آنجا حدث
کرد وهمه دیوار ومحراب بنجاست بیالود آنکه آهنگ بیرون کرد وبگریخت این خبر در آفاق واقطار
منتشر کشت ومردم ازطواف آن متنفر ابرهه ازین حال آگاه شد ومتأثر کشت دانست که این مرد ازمکه
بود وازمجاوران کعبه سوکند خورد که من بالشکر وحشم بروم وآن خانهٔ ایشان خراب کنم و بازمین برابر
حق لایحجه حاج ابدا وفی حواشی ابن الشیخ کان اصل مقصوده من هدم البیت ان یصرف الشرف الحاصل
لهم بسبب الکعبة منهم ومن بلدتهم الی نفسه والی بلدته ورسولی فرستاد بحبشه وملک راخبر کرد ازانچه زهیر
کرد اندران کنیسه وازرفتن خویش سوی مکه وخراب کردن کعبه فخرج بالحبشة وکفته اند نجاشی پیلان
بسیار فرستاد ولشکر وحشم وقال السهیلی ندی اغتم النجاشی لذلک وعزاما برهة وحجر من قواده وابو یکسوم
وزیره وقال لاتحزن ان لهم کعبة هی نفرهم فنتسف اینیتها ونبیح دماءها ونتهب اموالها فخرج ابرهة بجند کثیر
وجم غفیر ومعه فیل ابیض اللون وهو فیل النجاشی بعثه الیه بسؤاله وکان فیلا لم یر مثله عظما وجسما وقوة
یعنی بعظمت چشه مشابه کوه بود * بهیکل قوی راست چون کوه قاف * چوشیر غرین چابک
اندر مصاف * ومن شأن الفیل المقاتلة ولذلک کان فی مربط ملک الصین الف فیل ابیض وهو مع عظم
صورته ضعیف یخاف من السنور و یفزع منه وکان دلیلهم کبیر ثقیف وهو ابورغال ورجم العرب قبره حین

مات كما فى كتاب التعريف والاعلام للامام السهيلى رحمه الله وفى كشف الاسرار ابورغال دهراه هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج يمن چون آنجا رسند يا آن كوروى سنك اندازند حتى صار كالجبل العظيم وفى ذلك يقول جرير فى الفرزدق الشاعر

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر ابى رغال

وفى القاموس ابورغال ككتاب فى سنن ابى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وقول الجوهرى كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة غلط فى الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبد الشعيب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه ابرهه چون باطراف حرم رسيد بيرون حرم نزول كرد وبعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال تهامة يعنى هرچه در حوالى شهر مكه شتر بود وكوسفند غارت كردو در جمله دويست سر شتر ازان عبد المطلب كه بوقف حاج كرده بود بغارت بردند وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم وجد ث موضع بطريق الطائف فيه قبر ابى رغال دليل ابرهة ويرجم كما فى القاموس انتهى على ما اشتهر والا فاقصى كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وفى شرح البردة للمرزوقى لما نزل المغمس بعث حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فأتنى به وفى كشف الاسرار ابرهه چون آنجا نزول كرد هيبت خانهٔ كعبه در دل وى اثر كرد وازان قصد كه داشت پشيمان كشت ودر دل خود ميخواست كه كسى در حق خانه شفاعت كند تا باز كردد وبفرمود كه رئيس مكه را بيابيد ورئيس مكه آنكاه عبد المطلب بود باجمعى بنى هاشم بنزديك ابرهه آمد وآن مرد كه فرستاده بود پيش از رسيدن عبد المطلب در پيش ابرهه شد وقال المرزوقى رحمه الله استأذن لعبد المطلب بعض وزرائه يقال له انيس سائس الفيل وكفت قد جاء لسيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال حقا مردى مى آيد بحضرت تو كه بدرستى وراستى سيد قريش است مردى كريم طبع نيكو روى باسيادت وباسخاوت وباهيبت وانكه ازوى نور همى تابد كه منظر وى بترسانيد يعنى نور مصطفى عليه السلام از پيشانى وى همى تافت ابرهه خويشتن رابزى نيكو بياراست وبر تخت نشست وعبد المطلب را اجازت داد چون در آمد نخواست كه اورا باخود بر تخت نشاند يعنى كه ان تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه ازتخت بزير آمد وباعبد المطلب به پايان تخت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وى اوراخوش آمد وباخود كفت اكر در حق خانه شفاعت كند اورا نوميد نكنم پس ترجمانرا كفت تا حاجتى كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت من اينست كه دويست شتر ازان من بياورده اند وكانت ترعى بذى المجاز بفرماى تا بازدهند ابرهه را ازان انده آمد ترجمانرا كفت بپرس ازوى تا بجز ازبهر خانهٔ كعبه حاجت نخواست خانهٔ كه شرف وعزشها باتست وسبب عصمت وحرمت شما آنست در قديم دهر ومن آمده ام تا انرا خراب كنم مى نخواهى اين اشتر انرا چه خطر باشد كه ميخواهى قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يحفظه كما حفظه من تبع وسيف بن ذى يزن وكسرى ابرهه ازين سخن درخشم شد وكفت ردوا عليه بعيره لينظر من يحفظ البيت منى عبد المطلب باز كشت ومكيانرا فرمود هر چه داشتند ازمال ومتاع بركرفتند وباكوه شدند ومكه خالى كردند اى نخوفا من معرة الجيش فجهز ابرهة جيشه وقدم الفيل الاعظم المذكور فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء فى الحديبية حتى قال عليه السلام حبسها حابس الفيل ومعنى بروك الفيل سقوطه على الارض لما جاء من امر الله اولزوم موضعه كالذى يبرك والا فالفيل لا يبرك كما قال عبد اللطيف البغدادى الفيلة تحمل سبع سنين واذا تم حملها وارادت للوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لانها تلد وهى قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى وقال بعضهم الفيل صنفان صنف لا يبرك وصنف يبرك كالجمل انتهى واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة

ما بين المشي والعدو وامر ابرهة ان يسوق الفيل الخر ليذهب تمييزه فسقوه فثبت على امره وكفته اذ نفيل ابن حبيب الخثعمي كوش آن فيل كرفت وكفت ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام. چون اين سخن بكوش پيل فرو كفت وباز كشت وباى در سرم نهاد ونفيل هذا قاتل ابرهة بارض خثعم وهو جبل واهله خثعميون وابو قبيلة فهزمه ابرهة فاخذ اسيرا فلما اتى به وهم ابرهة بقتله قال ايها الملك لا تقتلني فاني دليلك بارض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على ارض العرب حتى اذا مر بالطائف رأى اهله ان لا طاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه بابي رغال فانزلهم بالمغمس وهو على ستة اميال من مكة ومات ابو رغال هنالك وقبره المرجوم فيه كما في بعض التفاسير قال المرزوقي رأى العرب جهاد ابرهة حقا عليهم فكانوا يجتمعون اقتاله في الطريق قبائل قبائل فهزمهم ابرهة ومن جملة من هزمهم واسرهم نفيل بن حبيب اخذه وماقتله ليكون دليلا له واخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال (لاهم ان المرء يحمي رحله فامنع حلالك) (لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك) وذلك انهم كانوا نصارى اهل صليب ولاهم اصلبوا للهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفي بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة اصل الغدو وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي انت فيه فالتفت وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها لطير غريبة لا نجدية ولا تهامية ولا حجازية وان لها لشأنا وفي حواشي ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة فارسل الله طيرا سودا صغر المناقير خضر الاعناق طوالها واحضرا وبيضا وبلقا واحما كما سئل من ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرم والاحمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته اى لصوته وعن عائشة رضي الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت في شاطئ البحر ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وانياب وقال ابن جبير لم ير مثلها لا قبلها ولا بعدها وقال عكرمة هي عنقاء مغرب وفي الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتهم مع كل طائر ثلاثة احجار في منقاره واحجار في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رأى منها عند امهاتها نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفاري وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من اسفله وينفذ من الفيل ومن بعضهم فيخرق الارض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشاني والهام الوحوش والطيور اقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن أطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع في زماننا مثلها في استيلاء الطاعون على مدينة ابيورد وافساد زروعهم ورجوعها في البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الاريك التي على شط النهر وركوبها عليها وعبورها من النهر فهي لا تقبل التأويل كاحوال القيامة وامثالها انتهى وعن عكرمة كل من اصابته الحجارة جدرته وفي الخبر ان اول ما وقعت الحصبة والجدري بارض العرب ذلك العام ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل قال بعضهم فلم تصب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصيب كما قال في انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اى غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء ثم اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعني والذي سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل وقال الكاشفي وبيك نفس قوم ابرهه مستأصل شدند وآن پيلان نيز همه هلاك كشتند وقال بعضهم ولم يسلم الا كندي فقال

أكندة لو رأيت ولو ترينا * بجنب ربا المغمس ما لقينا

حسبنا الله ان قد بتنا طيرا * وظل صحابة تهمي علينا

واخذ ابرهة داء اسقط انامله واعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلك اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يتعلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص

عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فارى الله النجاشي كيف كان هلاك اصحابه وقال بعضهم
همه هلاك شدند مكر ابرهه كه مرغ بر سر وى ايستاد واز مكه بيرون شد روى بحبشة نهاد وآن مرغ بر هوا
بر سر وى همى بود واو نمى دانست تا در پيش نجاشى شد چون ابرهه صورت حال بعرض نجاشى رسانيد نجاشى
از روى تعجب پرسيد كه چكونه مرغان بودند كه چندين مبارزانرا هلاك كردند ابرهه را درين حال نظر بران مرغ
افتاد كفت اى ملك يكى ازان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنكى كه داشت بنام وى بر سرش افكند
وهم در نظر نجاشى هلاك شد وازين صورت آيت عبرتى بر صحيفهٔ دل نجاشى منقش كشت * نوشت خامهٔ
تقدير بر جريدهٔ دهر * خطى كه فاعتبروا يا اولى الابصار * وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل
وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهبا
بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفى يشاهدان من
فوق الجبل عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع
لهم ركز اى حس فانحطا من الجبل فدخلا المعسكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما
لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنى عثمان بن عفان
ان اباه عفان وعبد المطلب وابا مسعود الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فاخذوا
من اموال ابرهة واصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنياء قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه
عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ما ذكر ان الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل عذابه
ويجاب بان الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى
الله عنه ليسلم نفسه وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج ان عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه
ايضا قصة القرامطة وهى ان ابا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين
يزعمون ان لا غسل من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم
وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البرارى
وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا فى الكوفة
وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب
اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب
الحاج الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى
فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها
وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى
عند القرامطة اكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون الف دينار
فابوا حتى اعيد الى موضعه فى خلافة المطيع لامر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترائه
منهم وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر
وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاث عشرة
واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات
وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج بكسره فتات اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش
فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك يقول الفقير
لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الامة واكثر ما كان من خوارق
العادات كان فى ايام الامم السالفة وليست الكعبة بافضل من الانسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح
عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعنة الله على الظالمين (الم يجعل
كيدهم فى تضليل) الهمزة للتقرير وضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وما كيد الكافرين
الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار
وتخريبها فى تضييع وابطال بان اهلكهم اشنع اهلاك وجزاهم بعد اهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم

قال فى انسان العيون لما اهلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا هم اهل الله لان الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومزدة الجن وكل من اراد ان يأخذ منها شيأ اصابته الجن واستمر ذلك الى زمن السفاح الذى هو اول خلفاء بنى العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله الذى باليمن فخربها واخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها (وارسل عليهم طيرا) عطف على قوله الم يجعل لان الهمزة فيه لانكار النفى كما سبق (ابابيل) صفة طيرا اى جماعات لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض اومن ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دسته بزرك ازحطب شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مفرد كعبادید ومعناه الفرق من الناس الذاهبون فى كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه انها لو كانت مفردات لاشكل قول الضحاك ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لا يوجد فى المفردات (ترميهم بحجارة) صفة اخرى لطيرا وقرأ ابو حنيفة رحمه الله يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتصريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية سنك افكند ندبدان لشكر يسنكها يقال رمى الشئ وبه القاه (من سجيل) من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذى هو الحجر وجل الذى هو الطين اوهو علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدقن واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شأنه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب به الى هنا وهنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم بالكلية اومن حيث انه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذى اكله الدود ويجوز ان يكون المعنى كورق زرع اكل حبه فبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى كعصف مأكول الحب شبههم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم اوكتبن اكلته الدواب والقته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهى انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول واشير اليه باول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الادب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرآن هو العدول عن الظاهر فى مثل هذا المقام قال بعض الكافرين من كان اعتماده على غير الله اهلكه الله باضعف خلقه الا ترى ان اصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث انه اقوى خلق الله اهلكهم الله باضعف خلق من خلقه وهو الطير وكفته اندا كريل نتوانى بود يارى از پشه كم مباش كه بر صورت پيل است پشه كويدكه اكر من بقوت پيل نيستم كه يارى كشم يارى بصورت پيلم كه يار خويش بركس نيفكنم وفيه اشارة الى ابرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فارسل الله عليها طير الارواح حاملين احجار الاذكار والاوراد فأكلتها اكل الاكلة وعصفت من روعاتهم السيئة وبطل قياس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح الى كعبة القلب التى كانت من الرحمن * هركه برشمع خدا آرد تفو * شمع كى سيرد بسوزد پوزاو * چون تو خفاشان بسى يابند خواب * كين جهان ماند پيم از آفتاب * قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام

تمت سورة الفيل فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الايلاف اربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(لايلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالايلاف تعدية الالف مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى مفعوله الاول مطلقا عن المفعول الثانى الذى هو الرحلة كما قيد به

فى الايلاف الثانى يقال الفت الشئ بالقصر والفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الالف والايلاف لازما ويقال ايضا آلفته غيرى بالمد اى الزمته اياه وجعلته يالفه فيكون متعديا قال فى تاج المصادر الايلاف الف دادن والف كرفتن وضد الايلاف والايناس هو الايحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده انهما فى مصحف ابى رضى الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الايلاف بمعنى الالف اللازم فالمعنى اهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا اياهما ويثبتوا عليهما متصلا لا منقطعا بحيث اذا فرغوا من ذه اخذوا فى ذه وبالعكس وذلك لان الناس اذا سمعوا بذلك الأهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم احد فينتظم لهم الامن فى رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيتاجرون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا فانحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فاربح الغنى قسم بينه وبين فقرآئهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وكان هاشم اول من حمل السمر آمن الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشى سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن وتقلبها وتضربها فتكسرها ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكانه قيل قريش عظيم وقال بعضهم الاوجه ان التصغير على حقيقته لانه اذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر جسمه جعل قرشا فهو لا محالة قريش وفيه ان جعل القريش قريشا لم يكن لمناسبة الجسم بل كان لوصف الاكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان فى تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير الا التعظيم قال الزمخشرى سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة يصف لى القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا الى الكعبة ومن شأنه ان يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شئ الا ان يأخذ اهلها المشاعل فيرمى على وجهه كالبرق وكل شئ عنده قليل الا النار وبه سميت قريش قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حتى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهموا والخموشا

الخموش الخدوش واكلا كميشا اى سريعا وفى القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم اولانهم كانوا يقرشون البياعات فيشترونها اولان النضر ابن كنانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا لقرش اولانه جاء الى قومه فقالوا كانه جمل قريش اى شديد اولان قصيا كان يقال له القرشى اولانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها وسميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها وسميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشى وقريشى انتهى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول به لايلافهم وهى بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التى يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال وافرادها مع انه اراد رحلتى الشتاء والصيف لامن الالباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفى اطلاق الايلاف عن المفعول اولا ثم ابدال المقيد منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف وفى القاموس الشتاء احد ارباع الازمنة والموضع المشتى والصيف القيظ او بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل (فليعبدوا رب هذا

البيت الذى اطعمهم) بسبب قتل الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة ابراهيم عليه السلام يجبى اليه ثمرات كل شئ (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع نصيبهم لى ان جمعهم عمرو العلى وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال ابو حيان من ههنا للتعليل اى لاجل الجوع وقال سعدى المفتى الجوع لايجامع الاطعام والظاهر انها للبدلية يقول الفقير الظاهر ان مآل المعنى نجاهم من الجوع بسبب الاطعام والترزيق (وآمنهم من خوف) عظيم لايقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل اوخوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقال صاحب الكتاب الفرق بين عن ومن ان عن يقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم فى بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم فى بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة فى غيرهم كما فى الكشاف وعن ام هانى بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل قريشا اى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اى على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ما قيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم فى تلك المدة يقول الفقير اشار بقريش الى النفس المشركة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة فى البلد الانسانى الذى هو مكة الوجود وبالشتاء الى القهر والجلال وبالصيف الى اللطف والجمال واعنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لان الملطوف به صاحب التمكين فاما عجز النفس وضعفها فعند عدم مساعدة هواها واما قوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهى وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف الى يمين المعقولات لانها فى جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل الى شأم المحسوسات لانها فى جانب شمال القلب الذى يلى الصدر فهى تتقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بان تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة فى المعقولات والفراعنة المتهمكة فى المحسوسات ولذا قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت اى بيت القلب الذى هو الكعبة الحقيقية لانها مطاف الواردات والالهامات ومن ضرورة العبادة له الاقرار برسالة رسول الهدى الذى هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لاضافة الرب اليه فاعظمك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الاسماء والصفات وهو الاسم الاعظم الذى يحيط به جميع التاثيرات العقلية والروحية والعلمية والغيبية امروا بان يكونوا تحت هذا الاسم لا تحت الاسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فان الاسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الاطلاق ومن ثمة بعث النبى عليه السلام فى ام البلاد اشارة الى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى ازال عنهم جوع العلوم والفيوض واطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان نفس الجاهل كالميت ولا شك ان الاحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الالهام من الله العلام

سورة الماعون سبع اوست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ارأيت) يا محمد اى هل عرفت (الذى يكذب بالدين) اى بالجزاء اوبالاسلام يعنى آياديى ودانستى آنكس راكه تكذيب ميكند بروز جزا وبادين اسلام وباور نميكند ان لم تعرفه اوان اردت ان تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) اى يدفعه دفعا عنيفا وينجره زجرا قبيحا فهو جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو ابوجهل كان وصى اليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا فاتى الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابوجهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فى فالذى للعهد ويحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين ومن شأنه اذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه (ولا يحض)

اى لا يحث اهله وغيرهم من الموسرين (على طعام المسكين) اى على بذل طعام له يعنى بر طعام دادن درويش
ومحتاج ومنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فانه اذا ترك
حث غيره فكيف يفعل هو بنفسه فعلم ان كلا من ترك الحث وترك الفعل من امارات التكذيب وفى العدول
عن الاطعام الى الطعام واضافته الى المسكين دلالة على ان للمساكين شركة وحقا فى مال الاغنياء وانه انما منع
المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع فان قلت قد لا يحض المرء فى كثير
من الاحوال ولا يعد ذلك اثما فكيف يذم به قلت اما لان عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزآء واما لان ترك الحض
كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولا شبهة فى كونه محل الذم والتوبيخ كما ان منع الغير من الاحسان
كذلك * چون نكرم سفله بود در كران * منع كند از كرم ديكران * سفله نخواهد كرى را بكام *
خس نكذارد مكسى را بجام (فويل) الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم
المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل اى شدة العذاب (للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون) السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان احدهما ان لا يكون من الانسان جوالبه
ومولداته كمجنون شب انسانا والثانى ان يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد الى فعله
فالاول معفو عنه والثانى مما خوذ به ومنه ماذم الله فى الاية والمعنى ساهون على صلاتهم سهو ترك لها وقلة
التفات اليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين او الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال انس رضى
الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وذلك انه لو قال فى صلاتهم لكان المعنى ان السهو يعتريهم وهم فيها اما
بوسوسة شيطان او بحديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير ولما نزلت هذه الاية قال عليه
السلام هذه خير لكم من ان يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا فان قلت هل صدر عن النبى عليه السلام
سهو قلت نعم كما قال شغلونا عن صلاة العصر اى يوم الخندق ملا الله قلوبهم نارا وايضا سها عن صلاة الفجر
ليلة التعريس وايضا صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له ابو بكر رضى الله عنه صليت ركعتين فقام واضاف اليهما
ركعتين لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفى غيره ليس ككسهو سائر الخلق وايهم مثله عليه السلام وهو فى
الاستغراق والانجذاب دآئما وقد قال تنام عيناى ولا ينام قلبى وفيه اشارة الى السهو عن شهود لطائف الصلاة
والغفلة عن اسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل ان لا تفوته
الصلاة التى هى من باب المعراج والمناجاة ولا يعبث فيها باللحية والثياب ولا يكثر التثاؤب والالتفات ونحوهما
ومن المصلين من لا يدرى عن كم انصرف ولا ما قرأ من السورة (الذين هم يراؤن) اى يرون الناس اعمالهم
ليروهم الثناء عليها فان قلت حينئذ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الثناء لا يتعلق به الرؤية البصرية قلت
هو محمول على عموم المجاز او على جعل الاراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال فى الكشاف والعمل الصالح ان كان
فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا محمة فى فرائض الله لانها اعلام الاسلام
وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى
لانه عمال يلام بتركه ولا تهمة فيه وان اظهره قاصد الاقتداء فيه كان جميلا وانما الرياء ان يقصد ان تراه الاعين
فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لانه اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود
* كه ديد درد وزخست آن نماز * كه در چشم مردم كزارى دراز * والفرق بين المرائى والمنافق ان المنافق
يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح
وحقيقة الرياء طلب ما فى الدنيا بالعبادة وفيه اشارة الى ان من يضيف اعماله واحواله الى نفسه الظلمانية فهو
مرائى (ويمنعون الماعون) من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو
القليل من كثير وقال ابو الليث الماعون بلغة الحبشة المال وفى برهان القرآن قوله الذين هم ثم بعده الذين هم
كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لانه فعل فحسن
العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة او ما يتعاور عادة
فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد بالجزآء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة
بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة

مع الخلق احق بذلك وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فياء صيبتاه والمراد بما يتعاوره عادة اى يتداوله الناس بالعارية و يعين بعضهم بعضا باعارته هو مثل الفأس والقدر والدلو والابرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز فى تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله ما الذى لا يحل منعه قال الماء والنار والملح فقالت يارسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال لها ياحميرآء من اعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن اعطى ملحا فكانما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكانما احيى نفسا كما فى كشف الاسرار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة وفى عين المعانى فلما منعوا منعوا من الكوثر فى الاية الزجر عن البخل الذى هو صفة المنافقين

(تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين)

سورة الكوثر ثلاث آيات مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(انا) ان جاز مجرى القسم فى تأكيد الجملة (اعطيناك) بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية واكثر ما يكون فى الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا لوقوعها (الكوثر) اى الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كتوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لاعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير قال فى القاموس الكوثر الكثير من كل شئ وفى المفردات وقد يقال للرجل السخى كوثر ويقال تكوثر الشئ اكثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير حلئ من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارد به فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد ويموت احدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وعن عائشة رضى الله عنها من اراد ان يسمع خرير الكوثر فليدخل اصبعيه فى اذنيه وقال عطاء هو حوضه لكثرة وارديه وفى الحديث حوضى ما بين صنعاء الى ايلة على احدى زواياه ابو بكر وعلى الثانية عمر وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن ابغض واحدا منهم لم يشرب الاخر فيكون الحوض فى المحشر والاظهر ان جميع نعم الله داخلة فى الكوثر ظاهرة او باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والاخرة ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الالهى بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست نه وحدت شهود وحدت در عين كثرت واين نهر يست در بستان معرفت هركه از و سيراب شد ابدا زتشنكى جهالت ايمن است ولمن معنى خاصة حضرت رسالت عليه السلام وكل اولياء امته او (فصل لربك وانحر) اى وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اى استيجاب والنحر فى اللبة كالذبح فى الحلق والمعنى فدم على الصلاة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للساهين عنها المرآئين فيها اد آ حق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وهى ثلاثة الشكر بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والشكر باللسان هو ان يمدح المنعم ويثنى عليه والشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الاقسام وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى يعنى وشتر قربان كن براى وى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى * مصطفى را عليه السلام پرسيدند كه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد چكونه كند تا ثواب قربان

اورا حاصل شود كفت چهار ركعت نماز كند در هر ركعتى يكبار الحمد خواند و يازده بار انا اعطيناك الكوثر الله تعالى اورا ثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كند كما فى كشف الاسرار وعن على رضى الله عنه النحر ههنا وضع اليدين فى الصلاة على النحر وعن سليمان التيمى ارفع يديك بالدعاء الى نحرك وفى التأويلات النجمية وانحر بدن انانيتك وانيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص الم نشرح لك صدرك (ان شانئك) يقال شنأ مكنعه وسمعه شنأ ابغضه اى مبغضك (هو) للفصل (الابتر) ابغضه لك لان نسبة امر الى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم اجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان ابتر اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لا عقب له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة آثار اقتدار تو تا حشر متصل * خصم سياه روى تو بى حاصل وخجل ولك فى الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك انهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم بالمدينة ان محمدا صلى الله عليه وسلم ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله ان الذى ينقطع ذكره هو الذى يشنأه فاما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وذلك انه اعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم وجعله ابا للمؤمنين فهم اعقابه واولاده الى يوم القيامة وقيض له من يراعيه ويراعى دينه الحق والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون ما بقى الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام وفى التأويلات النجمية ان شانئك هو الابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فان اولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية اولادك يا رسول القلب واتباعك واشياعك واعوانك يقول الفقير ايده الله القدير وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجميع اسمائنا اللطفية الجمالية الاكرامية اعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنة البدن فى طريق الخدمة وبدنة الطبيعة فى طريق العفة وبدنة النفس فى طريق الفتوة ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والافاقية هو الابتر المقطوع اعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذى ربى اولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدائهم القطع ثم ان قوله هو الابتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام

(سورة الكافرين ست آيات مكية او مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل يا ايها الكافرون) قالوا فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يسترذلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم ايذان بانه عليه السلام محروس منهم ففيها علم من اعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم او حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وابى جهل والعاص بن وائل وامية بن خلف والاسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس ونحوهم قد علم الله انه لا يأتى ولا يتأتى منهم الايمان ابدا على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يرد ان مقتضى هذا الامر ان يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس حاكما به روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد آلهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد

فيما ينفيه لا قال الخليل في ان اصله لا والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهي والمراد ولا انتم عابدون عبادة يعتد بها اذ العبادة مع اشراك الاتداد لا تكون في حيز الاعتداد (ولا انا عابد ما عبدتم) اي وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام (ولا انتم عابدون ما اعبد) اي وما عبدتم في وقت من الاوقات مذ انا على عبادته وهو الله تعالى فليس في السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاولين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليتوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله ومشتهرا بكونه عابدا لله على سبيل الامتثال لامره يعني على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشئ لا يقتضي عدم ذلك الشئ فلا يلزم ان لا يكون عليه السلام عابدا لله قبل البعثة بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة القديمة وفي القاموس كان عليه السلام على دين قومه على ما بقي فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في حجهم ومناكحهم وبيوعهم واساليبهم واما التوحيد فانهم كانوا بدلوه والنبي عليه السلام لم يكن الا عليه انتهى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم (ولي) بفتح ياء المتكلم (دين) بحذف الياء اذ اصله ديني وهو تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به اماينكم الفارغة فان ذلك من المحال وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم ابتداء لما ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وفي عين المعاني ونحوه هو منسوخ بآية السيف وقال ابو الليث وفيها دليل على ان الرجل اذا رأى منكرا او سمع قولا منكرا فانكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه اكثر من ذلك وانما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطريقهم يقول الفقير وردت على هذه السورة وكانى اقرأها في صلاة العصر بصوت جهوري حتى اسمعتها جميع ما في الكون واشارتها قل يا محمد القلب يا ايها [illegible] النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيق [illegible] الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الامكانية لا اعبد ما تعبدون من الاصنام التي يعبر عنها [illegible] ما سوى الله بالايمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والاله المجعول المقيد فلا يستحق العبادة الا الله المطلق عن الاطلاق والتقييد ولا انتم عابدون ما اعبد وهو الله الواحد القهار الذي قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه الا اهل الوحدة والشهود وانتم اهل الكثرة والاحتجاب فانى لكم هذا الوقوف ولا انا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات في الكثرات الاسمائية والصفاتية ولا انتم عابدون ما اعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين في التمكين فانه من مقتضيات ظهور حقائق جميع الاسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق اصلا بل فيه بقاء مع الحق في كل طور لكم دينكم الذي هو الايمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين الذي يجب التبري منه ولي دين الذي هو الايمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذي يجب التعلق باحكامه والتخلق باخلاقه والتحقق بحقائقه هذا خقائق القرآن ليست بمنسوخة ابدا بل العمل بها باق ابن عباس رضي الله عنهما فرموده در قرآن سورة نيست برشيطان سخت تر از ين سوره زيرا كه توحيد محض است ودر وبر آئت از شرك هر كه قرأها برئ من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وامن من الفزع الاكبر وهي تعدل ربع القرآن وفي الحديث مروا صبيانكم فليقرؤها عند المنام فلا يعرض لهم شئ ومن خرج مسافرا فقرأ هذه السورة والخمس قل يا ايها الكافرون اذا جاء نصر الله قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس رجع سالما غانما

(تمت سورة الكافرين يكون ناصر المؤمنين)

سورة النصر ثلاث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا جاء نصر الله) اى اعانته تعالى واظهاره ايانا على اعدائك فان قلت لاشك ان ما وقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه اضافتها الى الله قلت لان افعالهم مستندة الى دواعى قلوبهم وهى امور حادثة لابد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الاقرب والله هو المبدأ الاول والخالق للدواعى وما يبتنى عليها من الافعال والعامل فى اذا هو سبح اى فسبح اذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الاكثرين او فعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب المحققين واذا ما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة لما روى ان السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الاكثر (والفتح) اى فتح مكة على ان الاضافة واللام للعهد وهو الفتح الذى تطمح اليه الابصار ولذلك سمى فتح الفتوح ووقع الوعد به فى اول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح فى تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على ان الاضافة واللام للاستغراق فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب ويمكن ان يقال التعبير للاشارة الى حصول نصر الله بمجيء جنديهم النصر وقيل نزلت السورة فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوما او نحوها فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وقال سعدى المفتى وعلى هذه الرواية فكلمة اذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد تخرج عنه كما قيل فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة الآية وفى المصطلحات ان الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالارزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار اليه بقوله نصر من الله وفتح قريب والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات انوار الاسماء الالهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار اليه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يعنى من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو على الفتوحات واكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلى الذات الاحدية والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها وهو المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد سبق بعبارة اخرى فى سورة الفتح وعلى هذا فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتى والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذى لا فتح ورآءه وهو فتح باب الحضرة الالهية الاحدية والكشف الذاتى ولا شك ان الفتح الاول هو فتح ملكوت الافعال فى مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بافناء افعالها فى افعال الحق والثانى هو فتح جبروت الصفات فى مقام الروح بكشف حجاب خيالها بافناء صفاتها فى صفاته والثالث هو فتح لاهوت الذات فى مقام السر بكشف حجاب وهمها بافناء ذاتها فى ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطنى حصل له النصر والفتح الظاهرى ايضا لان النصر والفتح من باب الرحمة وعند الوصول الى نهاية النهايات لا يبقى من السخط اثرا صلا ويستوعب الظاهر والباطن اثر الرحمة مطلقا ومن ثمة تفاوت احوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا ان كلا من النصر والفتح فى الاية ينبغى ان يحمل على ما هو المطلق لكى اقتضيت اثر اهل التفسير فى تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله (ورأيت الناس) ابصرتهم او علمتهم يعنى العرب واللام للعهد او للاستغراق العرفى جعلوه خطابا للنبى عليه السلام ويحتمل الخطاب العام لكل مؤمن وحينئذ يظهر جواب آخر عن امر النبى عليه السلام بالاستغفار مع انه لا تقصير له اذ الخطاب لا يخصه فالامر بالاستغفار لمن سواه وادخاله فى الامر تغليب (يدخلون فى دين الله) اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم ومما يحتاج فى القلب ان المناسب لقوله يدخلون الخ ان يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم (افواجا) حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه بجماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال

قال

(قال الكاشفي) درسال نهم ازين سوره متابع وفود بودند چون بني اسد وبني حنيفه وبني كلب وبني كنانه وبني هلال وغير ايشان ازانحا واطراف بخدمت آن حضرت آمده بشرف اسلام مشرف ميشدند قال ابو عمر ابن عبد البر لم يمت رسول الله عليه السلام وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل فرالاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من وفده وقال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان واما نصارى بني تغلب فما اسلموا في حياته عليه السلام ولكن اعطوا الجزية وفي عين المعاني الناس اهل البصر قال عليه السلام الايمان يمان والحكمة يمانية وقال وجدت نفس ربكم من جانب اليمن اى تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول دخل الناس في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا (فسبح بحمد ربك) التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى امرا عجيبا يقول سبحان الله قال ابن الشيخ لعل الوجه في اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد في الاذكار واكمل الوجوه سبحان الله هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد امثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليه واوجده ثم انه في هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بان الله على كل شئ قدير قال الامام السهيلي رحمه الله سر اقتران الحمد بالتسبيح ابدا نحو سبح بحمد ربك وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات احد القسمين دون الآخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الاسماء ولا يتصور في العقل اثبات الذات الا مع نفي سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع واتباع الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الاسماء فاضاف لها التسبيح بالحمد والثناء فما امر بتسبيحه الا بجهده انتهى ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبسا بحمده اى فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله امر بان يداوم على ذلك استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح وقال بعضهم والاشبه ان يراد تنزهه عن العجز في تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بان توقيت الامور من عنده ليس الا بحكم لا يعرفها الا هو انتهى اوفاذكره مسبحا حامدا وزد في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك اوفصل له حامدا على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لانها تشتمل عليه في الاكثر روى انه عليه السلام لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وعدها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على انها بعامتها للشكر وار بعا للضحى اوفنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده اوفاثن على الله بصفات الجلال يعني الصفات السلبية حامدا له على صفات الاكرام يعني الصفات الثبوتية اى على اثباتها اوعلى تنزيلها منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس في الاتصاف بها فان المحمود عليه يجب ان يكون امرا اختياريا وقال القاشاني نزه ذاتك من الاحتجاب بمقام القلب الذي هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقي الى مقام حق اليقين الذي هو معدن الولاية حامدا له باظهار كمالاته واوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلي (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى اواستغفره لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما في سورة محمد وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق حيث لم تشتغل من رؤية الناس باستغفارهم اولا مع ان رؤيتهم تستدعي ذلك بل اشتغل اولا بتسبيح الله وحمده لانه رأى الله قبل رؤية الناس كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله وذلك لان الناس مرآة العارف وصاحب المرآة يتوجه اولا الى المرئي وبرؤية المرئي تلتفت نفسه الى المرآة وذلك ان تقول ان في التقديم المذكور تعليم ادب الدعاء وهو ان لا يسأل بغتة من غير تقديم الثناء على المسئول عنه عن عائشة رضي الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ومنه يعلم ان ورد الاستغفار لا يسقط ابدا لانه لا يخلو الانسان عن الغين والتلوين وروى انه لما قرأها النبي عليه السلام على اصحابه استبشروا وبكى العباس

فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك اى القى اليك خبر موت نفسك والنعى القاء خبر الموت قال عليه السلام انها لكما تقول فلم يرعليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتى هذا الغلام علما كثيرا وانا نكاد كان عمر يدنيه و يأذن له مع اهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والكمال دليل الزوال كما قيل * توقع زوالا اذا قيل تم * اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قال قرب الوقت وفاء الرحيل فتاهب للامر ونبه به على أن العاقل اذا قرب اجله ينبغى ان يستكثر من التوبة وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى يعنى خبر وفات من دهند * نامه رسيد ازان جهان بهر من راجعت برم * عزم رجوع ميكنم رخت بچرخ ميبرم * فبكت فقال لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال على رضى الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام فخرج الى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفى بعد ايام قال الحسن رحمه الله اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل (انه كان توابا) مبالغا فى قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول وذلك ان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولا منازعة فى حدوثها فاندفع ما يرد ان المفهوم من الآية انه تعالى تواب فى الماضى وكونه توابا فى الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال والمستقبل وفى اختيار انه كان توابا على غفار مع انه الذى يستدعيه قوله واستغفره حتى قيل وتب مضمر بعده والاقتصال غفارا تنبيه على ان الاستغفار انما ينفع اذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود ثم ان من اضمر وتب يحتمل انه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالامر بالاستغفار على التعليل بانه كان غفارا وبالتعليل بانه كان توابا على الامر بالتوبة اى استغفره وتب ذكر البرهان الرشيدى ان صفات الله تعالى التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة ان يثبت للشئ اكثر مما له وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان صيغة المبالغة قسمان احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته فيرتفع الاشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشرائع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه اولانه بليغ فى قبول التوبة بحيث ينزل سامعها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه (تمت سورة النصر يعون من اقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت)

سورة المسد خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت) اى اهلكت فان التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والعجز وخسرت فان التباب ايضا خسران يؤدى الى الهلاك (يدا ابى لهب) تثنية يد واللهب والتهب اشتعال النار اذا خلص من الدخان اولهبها ساتها واتهبها حرها وابو لهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله او لما له كما فى القاموس يعنى ان التكنى لاشراق وجنتيه وتلهبهما والا فليس له ابن يسمى باللهب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله عليه السلام الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم يعنى اكر من شما را خبر كنم يا نكه در پاى اين كوه جمعى آمده اند بداعية آنكه بر شما شبيخون كرده دست بقتل وغارت بكشايند مر ادر ان تصديق ميكنيد يا نه كفتند چرا نكنيم وتو پيش ما بدروغ متهم نشده قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال عمه ابو لهب تبا لك يعنى هلاكت باد آلهذا دعوتنا واخذ حجرا يده ليرميه عليه السلام به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه فلا كناية فى ذكر اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر واما

وصفهما

وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه فى اذية رسول الله عليه السلام ورميه بالحجر وذكر
فى التأويلات الماتريدية انه كان كثير الاحسان الى رسول الله عليه السلام وكان يقول ان كان الامر لمحمد
فيكون لى عنده يد وان كان لقريش فلى عندها يد فاخبر انها خسرت يده التى كانت عند محمد عليه السلام
بعناده له ويده التى عند قريش ايضا لخسران قريش وهلاكهم فى يد محمد (وتب) اى وهلك كله فهو اخبار
بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه وقيل المراد بالاولى هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة على ان ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قرآءة من قرأ وقد تب
فان كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك
فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم او لكراهة ذكر اسمه
القبيح اذ فيه اضافة الى الصنم او للتعريض بكونه جهنميا لانه سيصلى نارا ذات لهب يعنى ان ابا لهب باعتبار
معناه الاضافى يصلح ان يكون كناية عن حاله وهى كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب
كما ان معنى ابو الخير واخو الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقى لهب جهنم وهذا المعنى
يلزمه انه جهنمى ففيه انتقال من الملزوم الى اللازم فهى كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال هذا يخالف قولهم
ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة او تعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم
ولم يشتهر بها صاحبها قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير ابى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اى
الصنم لانه حرام شرعا انتهى وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام
ايضا الا ان يشتهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش وكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن انه من
اهل النار بخلاف غيره ولم يقل فى هذه السورة قل تبت الخ لئلا يكون مشافها لعمه بالشتم والتغليظ وان شتمه
عمه لان للعم حرمة كحرمة الاب لانه مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فاجاب الله عنه وقرئ ابو لهب بالواو
كما قيل على بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كيلا يغير منه شئ فيشكل
على السامع والحاصل ان الكنية بمنزلة العلم والاعلام لا تتغير فى شئ من الاحوال وكان لبعض امرآء مكة ابنان
احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اى لم يغن عنه حين حل به التباب
ولم ينفعه اصلا على ان ما نافية او اى شئ اغنى عنه على انها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها
على انها مفعول به او اى اغناء اغنى عنه على انها مفعول مطلق اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج
والمنافع والوجاهة والاتباع ولا احد اكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان
عليه السلام وقد قيل فيه نه بر باد رفتى سحرگاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * بآخر نديديكه
بر باد رفت * خنك آنكه با دانش وداد رفت * او ماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه او عمله
الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه السلام او عمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال بعضهم ما كسب منفعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب
ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى فاستخلص منه
وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشأم وذلك ان عتبة بن ابى لهب وكان تحته
ابنة رسول الله عليه السلام اراد الخروج الى الشأم فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا
هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم
راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب اعينونى يا معشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على
ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى
ضرب عتبة فقتله وهلك ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال والعدسة بثرة تخرج فى البدن تشبه العدسة
وهى من جنس الطاعون تقتل غالبا فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا
حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن وفى انسان العيون
لم يحفروا له حفيرة ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه وفى رواية حفروا له

ثم دفعوه بعود فى حضرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى ماروه وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذى يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر ابى لهب وانما هو قبر رجلين لطمنا الكعبة بالعنوة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس اصبحوا يوما فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد ايام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن (سيصلى) اى ماذكر من العذاب مآل امره فى النشأة الاولى وفى النشأة الاخرة يصيد خل لا محالة (نارا ذات لهب) نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى لكون الفصل بالمفعول يعنى زن او نيز با او در آيد و داخل نار شود وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان عمة معاوية رضى الله عنه واسمها العوراء وآن در همسايكى حضرت عليه السلام خانه داشت وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق النبى عليه السلام تا خارى نعوذ بالله در دامنش آويزد يا در پايش خلد وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير وفى تفسير ابى الليث حتى صار النبى عليه السلام واصحابه فى شدة وعناء وفى تفسير الكاشفى وآن حضرت كه بخارزيرون آمدى آنها را بر سر راه بر كرفتى و بطريق ملايمت كفتى اين چه نوع همسايكيست كه با من ميكنيد * مير ختند در وه نو خار با همه * چون كل شكفته بود رخ كاستان تو (حمالة الحطب) الحطب ما أعد من الشجر شبها بما فى القاموس ونصب حمالة على الشتم والذم اى اذم حمالة الحطب قال الزمخشرى وانما اشتهرت هذه المرأة وقيل الى رسول الله عليه السلام بجميل من احسن شتم ام جميل انتهى وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفى جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله فى جرمه وعن قتادة انها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها شدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقيل كانت تمشى بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم اى توقد بينهم النائرة وتورث الشر پس هيزم كش عبارتست از سخن چينى كه آتش خصومت ميان دو كس برمى افروزد * ميان دو كس جنك چون آتش است * سخن چين بد بخت هيزم كش است * كنند اين وآن خوش دكر بار دل * وى اندر ميان كور بخت وخجل * ميان دو كس آتش افروختن * نه عقلست خود در ميان سوختن (فى جيدها حبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق او مقدمه كما فى القاموس والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلدا وغيرهما يقال دابة ممسودة شديدة قالا سر والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغضب بعلها ايضا وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تأتى كل يوم بالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت وبدوزخ رفت وفى ينبوع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابى لهب جاءت الى اخيها ابى سفيان فى بيته وهى متعرقة غضبى فقالت له ويحك يا صخر اى يا شجاع اما تغضب ان هجيا فى محمد فقال ما كفيكها ثم اخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا اخية أيسرك ان رأس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا الوقرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ثم كان من امر ابى سفيان الاسلام ومن امر اخته الموت على الكفر والكل من حكم الله السابق (قال فى كشف الاسرار) سك اصحاب الكهف رنك كفر داشت عباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت ازلى از هر دو جانب در كمين بودچون دولت روى نمود پوست از سك ازروى صورت در بلعام پوشانيدند كفتند (فمثله كمثل الكلب) ومرتع بلعام دوات سك پوشيدند

[illegible] يعني يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر

(تمت سورة المسد في عاشر جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة الاخلاص اربع او خمس آيات مكية او مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله احد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير اي الله احد هو الشأن هذا او هو ان الله احد والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها مع ان في الابهام ثم التفسير مزيد تقرير او الضمير لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذ روي ان المشركين قالوا للنبي عليه السلام صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه اي بين نسبه واذكره فنزلت يعني بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب بحيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة فالضمير حينئذ مبتدأ والله خبره واحد بدل منه وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ما ذهب اليه ابو علي وهو المختار والله علم دال على الاله الحق دلالة جامعة لمعاني الاسماء الحسنى كلها وقال القاشاني هو عندنا اسم الذات الالهية من حيث هي هي اي المطلقة الصادق عليها مع جميعها او بعضها او لا مع واحد منها كقوله تعالى قل هو الله احد انتهى وعبد الله هو العبد الذي تحلى بجميع اسمائه فلا يكون في عباده ارفع مقاما واعلى شأنا منه لتحققه بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الا له وللاقطاب من ورثته بتبعيته وان اطلق على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من اسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الاسماء والاحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما ان الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته يعني ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فاثبت له الاحدية التي هي الغنى عن كل ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار امر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهي الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى ان الهكم لواحد ولم يقل لاحد لان الواحدية من اسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط اي من حيث الالهية والمألوهية بخلاف الاحدية اذ لا يصح ارتباطها بشيء فقولهم العلم الالهي هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل في ورطة الحيرة واقروا بالعجز عن حق المعرفة ومنه يعلم ان توحيد الذات مختص في الحقيقة بالله تعالى وعبد الاحد هو وحيد الوقت صاحب الزمان الذي له القطبية الكبرى والقيام بالاحدية الاولى وعبد الواحد هو الذي بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن احدية جميع اسمائه فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل باسمائه ويشاهد وجوه اسمائه الحسنى قال ابن الشيخ في حواشيه قوله هو الله احد ثلاثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما رأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده واما ما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق تعالى وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة مفتقرة في تعيين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز المراد بها من غيره لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية في الاشارة الى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق فهؤلاء مفتقرون الى ان يقرن لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه فتتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله احد انتهى كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر

بالاسم هو وذلك لان اهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لاهل النهاية منهم وهم المتمكنون فكلامهم كلهم ماشاهدوا في الوجود الا الله فالله عندهم هويته المطلقة السارية متعين لا حاجة الى التعيين اصلا فضميره راجع اليه لا الى غيره كما ان الضمير في انزلناه راجع الى القرآن لتعينه وحضوره في الذهن فقول الطاعن انه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكرا لله تعالى مردود على ان الضمائر اسماء وكل الاسماء ذكر لا فرق بينها بالمظهرية والمضمرية فعلى هذا يجوز ان يدخل اللام في كلمة هو في اصطلاح الصوفية لانها اشارة الى الهوية ولا هنا قشة في الاصطلاح ثم قوله قل امر من عين الجمع وارد على مظهرا لتفصيل وفيه اشارة الى سر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فكانه يقول انا شهدت بوحدة الهوية في مقام الجمع فاشهدانت ايضا بتلك الوحدة في مقام الفرق ليظهر سر الاحدية والاحدية ويحصل التطابق بينهما جمعا وتفصيلا هكذا الاح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ هو الله بلا قل وكذا في المعوذتين لانه توحيد والاخريان تعوذ فيناسب ان يدعو بهما وان يؤمر بتبليغهما وقد سبق في سورة الاعلى ما يغني عن تكراره ههنا وقال بعضهم انما اثبت في المصحف قل والتزم في التلاوة مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ في مقام الائتمار الا بالمقول لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور فاثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد (الله الصمد) مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد اليه من باب نصر اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته فلا صمد في الوجود سوى الله فهو مثل زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد فاذا كان هو الصمد فن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكريره الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف به فهو يعزل عن استحقاق الالوهية كما اشير اليه انفا وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى الوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح فاثبات الصمدية له سبحانه انما هو باعتبار اسنادنا اليه في الوجود والكمالات التابعة للوجود واما باعتبار احدية ذاته فهو غني عن هذه الصفة والحاصل ان الصمدية تقتضي اعتبار كثرة الاسماء والصفات في الله دون الاحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذي يصمد اليه اى يقصد لدفع البليات وايصال امداد الخيرات ويستشفع به الى الله لدفع العذاب واعطاء الثواب وهو محل نظر الله الى العالم في ربوبيته له يقول الفقير جرى على لسان الباطن بلا اختيار مني وذلك بعد الاشراق ان اقول ازلي ابدي احدي صمدي اى انت يا رب ازلي احدي وابدي صمدي فالازلية ناظرة الى الاحدية كما ان الابدية ناظرة الى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد فان الاحدية لم تتجل الا بازالة الكثرات فعند الانتهاء الى مقام الغنى الذي هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال ازلا وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج الى المرصد الاعلى والمقصد الاقصى عينا وعلما واما الصمدية فباعتبار الابدية التي هي البقاء وذلك يقتضي التعقيد بعد التحليل فهي بالنزول الى مقام العين بالمهملة اى العين الخارجي والعالم الشهادي الذي اسفل منازله عالم الناسوت والحاصل ان الاحدية جمع والصمدية فرق فمقام الاحدية هي النقطة الغير المنقسمة التي انبسطت منها جملة التراكيب الواحدية فاول تعيناتها هي مرتبة آدم ثم حوآء لان حوآء انما ظهرت بعد الهوآء المنبعث من تعين آدم الحقيقي ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهوآء حوآء وخاصية الاسم الاحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره انفا في خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمسا وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفي اللمعة ذاكره لا يحس بالم الجوع مادام ملتبسا بذكره والقرآءة وصلا احد الله الصمد منونا مكسورا لالتقاء الساكنين وكان ابو عمرو في اكثر الروايات يسكت عند هو الله احد وزعم ان العرب لا تصل مثل هذا وروى عنه انه قال وصلها قرآءة محدثة وروى عنه انه قال ادركت القرآء كذلك يقرأونها قل هو الله احد وان وصلت نونت وروى عنه انه قال احب الي اذا كان رأس آية ان يسكت عندها وذلك لان الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهي فاصلة وبها سميت آية واما وقفهم كلهم

فيشكتون على الدال ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) تزاد كسى را تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى من غير ان يقال لن يلدا ولا يلد اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فان قلت لم قال فى هذه السورة لم يلد وفى سورة بنى اسرآئيل لم يتخذ ولدا اجيب بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد اشارة الى الرد عليه ومنهم من قال اتخذه ولد اتشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى الرد عليه (ولم يولد) ونزاده شهاز كسى اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا اولاحقا وقال بعضهم الوالدية والمولودية لا تكونان الا بالمثلية فان المولود لابد أن يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهوياتنا الممكنة انتهى وقال البقلى لم يلد ولم يولد اى لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بانه لم يولد مع كونهم معترفين بضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد وفى كشف الاسرار قدم ذكر لم يلد لان من الكفار من ادعى ان له ولدا ولم يدع احد انه مولود (وفى التفسير الفارسى) لم يلد زرد يهودست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد ردنصاراست كه كويند عيسى خداست * قال ابو الليث لم يلد يعنى لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعنى لم يكن له والد يرث ملكه (ولم يكن له كفوا احد) يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافأ فلانا ماثله وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الاكفاء ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة واما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى جملة واحدة منبه عليها بالجمل قال القاشانى ما كانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها انما عدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه احد اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض (وقال الكاشفى) رد مجوس ومشركان عرب ست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفئه اند هر آيتى ازين سوره تفسير آيت پيش است چون كويند من هو تو كويى احد چون كويند احد كيست تو كويى صمد چون كويند صمد كيست تو كويى الذى لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست تو كويى الذى لم يكن له كفوا احد وقال بعضهم كاشف الوالهين بقوله هو وكاشف الموحدين بقوله الله وكاشف العارفين بقوله احد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد الخ وهو اى لم يلد اشارة الى توحيد العوام لانهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل وقال بعض الكبار ان سورة الاخلاص اشارة الى حال النزول وهو حال المجذوب فاولا يقول هو الله احد الله الصمد الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر الى جانب هو فيقول اولا لم يكن له كفوا احد ثم يترقى الى ان يقول هو لكن لا ينبغى للسالك ان يكتفى بوجدان هو فى القرآن بل ينبغى له ان يترقى الى القرآن الفعلى فيشاهد هو فى القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو اول ما ينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع معارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته اذ ما عداه ذرائع اليه وقال عليه السلام اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة وعن سهيل بن سعد رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه السلام وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن على رضى الله عنه انه قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة الفجر احدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ ولو اجتهد الشيطان وفى الحديث ايعجز احدكم ان يقرأ القرآن فى ليلة واحدة فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك قال ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات وروى انه نزل جبريل عليه السلام يتبولك فقال يا رسول الله ان معاوية بن المزنى رضى الله عنه مات فى المدينة احب ان اطوى لك الارض فتصلى

عليه قال نعم فضرب بجناحه على الا ب ... سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه السلام بم ادرك هذا قال بحبه قل هو الله احد وقرآءته اياهما جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال رواه الطبرانى وصحب سورة الاخلاص حين نزلت سبعون الف ملك كلما مروا باهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه ولهذا سميت هذه السورة نسب الرب كما فى كشف الاسرار وسميت سورة الاخلاص لاخلاص الله من الشرك او للخلاص من العذاب او خالصة فى التوحيد قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى (عفو ربى وثيقتى بالخلاص * واعتصامى بسورة الاخلاص) او لانها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شئ من الدنيا والاخرة وقال الحنفى لانها تخلص قارئها من شدآئد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر واهوال القيامة وقال القاشانى لان الاخلاص تمحيض الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة

(تمت سورة الاخلاص يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الاولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة الفلق خمس آيات مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل اعوذ برب الفلق) الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والايصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود اليه والمقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك انما يتحقق بان يكون الشئ مستورا او محجوبا باخر ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل يقال فى المثل هو ابين من فلق الصبح والفلق ايضا الخلق لان الممكنات باسرها كانت اعيانا ثابتة فى علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما فى علمه من المكونات فصارت مفلوقا عنها وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه والاعاذة بربه قالوا اذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور وروى ان يوسف عليه السلام لما القى فى الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء فى ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة فى آخر الليل وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قدم الشأم فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال لا ابالى اليس من ورآئهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار (من شر ما خلق) اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية ازبدئ آنچه آفريده است از موذيات انس وجن وسباع وهوام فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت او غيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوآئب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بان الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفى وهى قرآءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل مختلط ظلامه مشتد وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى الى غسق الليل اى اجتماع ظلمته وفى القاموس الغسق محركة ظلمة اول الليل وغسق الليل غسقا ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما فى المفردات واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا او هو السيلان وغسق العين سيلان دمعها اضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزآئه (اذا وقب) الوقب النقرة فى الشئ كالنقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب

فقتله المشهر عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه القوت والحاصل انه ينبعث اهل الحرب في الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات ونهى رسول الله عليه السلام عن السير في اول الليل وامر بتغطية الاواني واغلاق الابواب وايكاء الاسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عليه السلام بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وشره الذي يتقى ما يكون في الابدان كالآفات التي تحدث بسببه ويكون في الاديان كالفتنة التي بها افتتن من عبده وعبد الشمس وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين واذا طلعت قلت الامراض والآلام وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه نيره واسبه وفي القاموس هو الذكر اذا قام وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة (ومن شر النفاثات) وازشر دمند كان من النفث وهو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فان كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقي ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاسناد اليه والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره ايضا (في العقد) جمع عقدة وهي ما يعقده الساحر على وتر او حبل او شعر وهو ينفث ويرقي واصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة ومنه قيل للساحر معقد للعضه ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها وتعريفها اما للعهد او للاينان بشمول الشر لجميع افرادهن وتحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها ولذا ينبغي ان يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر اذا اسقط من اللحية والرأس نصفين او اكثر لئلا يسحر به احد وتولاه لبيد بن اعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس وفي عين المعاني في بئر لبني زريق تسمى ذروان فمرض النبي عليه السلام روي انه لبث فيه ستة اشهر فنزل جبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو كما في القاموس واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا والزبير وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهي الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤا بها النبي عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال وجعل جبرائيل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافاني الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيأ هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هي جنس النساء اللاتي شأنهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم بانواع المكر والحيلة فمعنى الآية ان النساء لاجل استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي الى رأي فامر الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن اعلم ان السحر تخييل واحزان لا اصل له عند المعتزلة وعند الشافعي تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المتشائب ويؤثر في المقابل وعندنا سرعة الحركة

ولطافة الفعل فيما خفي [illegible] الشمس في فريق عصى
سحرة فرعون والمعتزلة انكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول
بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح
في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى
ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق
الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر
فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان
يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته
وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان
وبشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل
والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد
للسحر تأثير في امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من ان يضره احد فيما يرجع اليها
كما لم يقدح كسور باعيته يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس
وفي كشف الاسرار فان قيل ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام ولماذا لم يرد الله كيد الكائد
الى نحره بابطال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب
من نسبه الى السحر والكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الامر واعتراه نوع من الوجع
ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فاجابه الله وبين له امره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة
للعادات من باب السحر على ما زعم اعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل الى دفعه من عنده
وهذا بحمد الله من اقوى البراهين على نبوته وانما اخبر النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها من بين نسائه
بما كشف الله تعالى له من امر السحر لانه عليه السلام كان مأخوذا عن عائشة رضي الله عنها في هذا السحر
على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة سنة فبينما هو نائم او بين النوم واليقظة
اذ اتاه ملكان جلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه
قال السحر قال من فعل به قال لبيد بن اعصم اليهودي قال فاين صنع السحر قال في بئر كذا قال فما دواؤه قال
ينبعث الى تلك البئر فينزح ماءها فانه ينتهي الى صخرة فاذا رأها فليقلعها فان تحتها كوبة وهي كوز سقط
عنقها وفي الكوبة وتر فيه احدى عشرة عقدة قيل كانت مغروزة بالابر فيحرقها بالنار فيبرأ ان شاء الله تعالى
فاستيقظ عليه السلام وقد فهم ما قالا فبعث عليا رضي الله عنه الى آخر ما سبق وعن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله عليه السلام اذا اشتكى شيأ من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى
ومسح بها المكان الذي يشتكي وفيه اشارة الى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات
الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الطاهرة اخباث السيئات العقلية والواث الشكوك الوهمية والعياذ
بالله منها (ومن شر حاسد اذا حسد) بالوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الايهام اي اذا اظهر ما في نفسه من
الحسد وعمل بمقتضاه ترتبت مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا او فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر
الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير وفي الكشاف فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف
النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض
وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ويجوز ان يراد بالحاسد قابيل لانه حسد اخاه
هابيل والحسد الاسف على الخير عند الغير وفي فتح الرحمن تمني زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين
او دنيا وفي الحديث (المؤمن يغبط والمنافق يحسد) وعنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب واول ذنب عصي الله به في السماء حسد ابليس لآدم فاخرجه من الجنة فطرد وصار شيطانا رجيما
وفي الارض قابيل لاخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور في هذه السورة
ثم ختمها بالحسد ليظهر انه اخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما اگر در عالم از حسد بدتر بودی

ختم این سوره بدان کردی * حسد آنهی دان که چون برنروخت * حسود لعین را همان لحظه سوخت * کز فتم بسورت هسمه دین شوی * حسدکی کذارد که حق بین شوی * وفیه اشارة الی حسد النفس الامارة اذا حسدت علی القلب وارادت ان تطفیء نوره وتوقعه فی التلوین وکفران النعمة الذی هو سبب لزوالها وفی الحدیث ان النبی علیه السلام قال لعتبة بن عامر رضی الله عنه الم تر آیات انزلت هذه اللیلة لم یر مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس قوله الم تر کلمة تعجب ومابعدها بیان لسبب التعجب یعنی لم یوجد آیات کاهن تعویذ غیرهاتین السورتین وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وفی الحدیث دلیل علی انهما من القرآن ورد علی من نسب الی ابن مسعود رضی عنه انهما لیستا منه وفی عین المعانی الصحیح انهما من القرآن الا انهما لم تثبتا فی مصحفه للامن من نسیانهما لانهما تجریان علی لسان کل انسان انتهی اعلم ان مصحف عبد الله بن مسعود رضی الله عنه حذف منه ام الکتاب والمعوذتان ومصحف ابی بن کعب رضی الله عنه زید فیه سورة القنوت ومصحف زید بن ثابت رضی الله عنه کان سلیما من ذلک فکان کل من مصحفی ابن مسعود وابی منسوخا ومصحف زید معمولا به وذلک لانه علیه السلام کان یعرض القرآن علی جبرائیل علیه السلام فی کل شهر رمضان مرة واحدة فلما کان العام الذی قبض فیه عرضه مرتین وکان قرأ علی زید من آخر العرض دون قرأة ابی وابن مسعود رضی الله عنهما وتوفی علیه السلام وهو یقرأ علی ما فی مصحف زید ویصلی به قال عبد الله بن مسعود رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائة واثنتا عشرة سورة قال الفقیه فی البستان انما قال انها مائة واثنتا عشرة سورة لانه کان لایعد المعوذتین من القرآن وکان لایکتبهما فی مصحفه ویقول انهما منزلتان من السماء وهما من کلام رب العالمین ولکن النبی علیه السلام کان یرقی ویعوذبهما فاشتبه علیه انهما من القرآن اولیسا منه فلم یکتبهما فی المصحف وقال مجاهد جمیع سور القرآن مائة وثلاث عشرة بنبورة وانما قال ذلک لانه کان یعد الانفال والتوبة سورة واحدة وقال ابی بن کعب رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائة وست عشرة سورة وانما قال ذلک لانه کان یعد القنوت سورتین احداهما من قوله اللهم انا نستعینک الی قوله من یفجرک والثانیة من قوله اللهم ایاک نعبد الی قوله ملحق وقال زید بن ثابت رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائة واربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضی الله عنهم وهکذا فی مصحف الامام عثمان بن عفان رضی الله عنه وفی مصاحف اهل الامصار فالمعوذتان سورتان من القرآن روی ابو معاویة عن عثمان بن واقد قال ارسلنی ابی الی محمد بن المنکدر وسأله عن المعوذتین اهما من کتاب الله قال من لم یزعم انهما من کتاب الله فعلیه لعنة الله والملائکة والناس اجمعین وفی نصاب الاحتساب لو انکر آیة من القرآن سوی المعوذتین یکفر انتهی وفی الاکمل عن سفیان بن سختان من قال ان المعوذتین لیستا من القرآن لم یکفر لتأویل ابن مسعود رضی الله عنه کما فی المغرب للمطرزی وقال فی هدیة المهدیین وفی انکار قرآنیة المعوذتین اختلاف المشایخ والصحیح انه کفر انتهی

تمت سورة الفلق من القرآن بعون الله الملک المنان

سورة الناس ست آیات مدنیة

بسم الله الرحمن الرحیم

(قل اعوذ برب الناس) ای مالک امورهم ومربیهم بافاضة ما یصلحهم ودفع مایضرهم قال القاشانی رب الناس هو الذات مع جمیع الصفات لان الانسان هو الکون الجامع الحاصر لجمیع مراتب الوجود فربه الذی اوجده وافاض علیه کماله هو الذات باعتبار جمیع الاسماء الجمالیة والجلالیة تعوذ بوجهه بعدما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولی اذ فیها تعوذ فی مقام الصفات باسمه الهادی فهداه الی ذاته وفی الحدیث (اعوذ برضاک من سخطک وبمعافاتک من عقوبتک واعوذ بک منک) ابتدأ بالتعوذ بالرضی الذی هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التی هی من صفات الافعال ثم لما ازداد یقینا ترک الصفات فقال واعوذ بک منک قاصرا نظره علی الذات وابتدأ بعض العلماء فی ذکر هذا الحدیث بتقدیم الاستعاذة بالمعافاة علی التعوذ بالرضی للترقی من الادنی الذی هو من صفات الافعال الی الاعلی الذی هو من صفات الذات قال بعضهم من بقی له التفات الی غیر الله استعاذ بافعال الله وصفاته

فامامن لم يغل فى بحر التوحيد بحيث لم ير فى الوجود الا الله لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا الى الله ولهذا عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الاول قال اعوذ بك منك يقول الفقير فحتى الالتجاء الى الله فى هذه السورة دلالة على ختم الامر فان الله تعالى هو الاول والآخر واليه يرجع الامر كله وان الى ربك المنتهى وفيه اشارة الى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فان الانسان لو لم ينسه لما احتاج الى العود والرجوع بل كان فى كنف الله تعالى دائما (ملك الناس) عطف بيان جىء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من عمالهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فاذكروه فى ترجيح المالك على الملك من ان المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه قياس لا يصح ولا يطرد الا فى المخلوقين لا فى الحق فانه من البين انه مطلق التصرف وانه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والاسماء اليه الا بمن حيث اكل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ان الاحاديث النبوية مبينات لاسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد فى الحديث فى بعض الادعية النبوية لك الحمد لا اله الا انت رب كل شىء ومليكه ولم يرد وبمالكه وايضا فالاسماء المستقلة لها تقدم على الاسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلا بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك ان الاسماء المضافة لم تنقل فى اسماء الاحصاء الثابتة بالنقل مثل قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وذى المعارج وشبهها وايضا فان الحق يقول فى آخر الامر عند ظهور غلبة الاحدية على الكثرة فى القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالوصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحاكم على الملك هو الملك فدل انه ادرج وقد جوز قراءة بمالك وملك فى سورة الفاتحة لا فى هذه السورة حذرا من التكرار فان احد معانى الاسم الرب فى اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فان الراجح فيها عند المحققين هو الملك (اله الناس) هو بيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وايضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء فى الله كما اشرنا اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد فى الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لمقام العبودية فثم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولا وجود فى حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس بل ان ظهر هنالك تلوين بوجود الانانية يقول اعوذ بك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان اولا موجودا بوجوده وايضا مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الاسم الذى على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهى موضع نظره فانها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة اسماء فالها ثلاثة رجال وهى حضرة الرب والملك والاله فرجالها الامامان والقطب والامامان وزيران للقطب صاحب الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتى المطلق كما ينفرد الامام الذى على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لا سبيل للامام الثانى الذى على يمينه اليه وانما اضيف امام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لانه لا بد له عند الموت للامام الثانى المسمى بالملك ان يرث مقامه بخلاف غيره وفى الارشاد تخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير بالاضافة فان ما لا شرف فيه لا يعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع بوى خوش دميدن فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر

والفرق بين المصدر واسم المصدر هو ان الحدث ان اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدرا واذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمي اسم مصدر ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه اليه كرر لفظها بازاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لانه يدعو الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله او بتضييل ان له في عمره سعة وان وقت التوبة باق بعد سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد اوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه الوسواس الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وانما وصفه باعظم صفاته واشدها شرا واقواها تأثيرا واعمها فسادا وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما في السورة الاولى لان الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر في صور جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآني فقد رأى فان الشيطان لا يتمثل بي وكذا لا يتمثل بصور الكمل من امته لانهم مظاهر الهداية المطلقة قال بعض الكبار الالقاء اما صحيح او فاسد فالصحيح الهي رباني متعلق بالعلوم والمعارف اوملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما والفاسد نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا اوشيطاني وهو ما يدعو الى معصية ويسمى وسواسا وفي آكام المرجان ينحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم في ست مراتب المرتبة الاولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم يردا ينه واستراح من تعبه معه وهذا اول ما يريده من العبد والمرتبة الثانية البدعة وهي احب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها انها صحيحة فلا يتوب منها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهي الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهي الصغائر التي اذا اجتمعت اهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهي ان يشغله بالعمل المفضول عما هو افضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء يقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان يقال له خنزب وهو الملبس على المصلي في صلاته وقرأته قال ابو عمر والبخاري رحمهما الله اصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة اشياء اولها الحرص فقابله بالتوكل والقناعة والثاني الامل فاكسره بمفاجأة الاجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة والعوافي والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالاخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فاكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء (الخناس) الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه حكي ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فاراه الحق تعالى هيكل الانسان في صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الالهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته من وسوسته لقوله اعانني الله عليه فاسلم اي بالختم الالهي وشرح الصدر ايده وبالعصمة الكلية خصه فاسلم قرينه وما اسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس اليه لذلك ويجوز ان يدخل الشيطان في الاجسام لانه جسم لطيف وهو وان كان مخلوقا في الاصل من نار لكنه ليس بمحرق لانه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجا مخصوصا كتركيب الانسان وفي الوسواس اشارة الى الوساوس الحاصل

من القوة الحسية والخيالية وفى الخناس الى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتى القوتين فانها تضاعد العقل
فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وتأخرت فوسوسه وتشككه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى
مع انه يوافق العقل فى ان الميت جماد والجماد لا يخاف منه المنتج لقولنا الميت لا يخاف منه فاذا وصل العقل
والوهم الى النتيجة نكص الوهم وانكرها (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ولذا قال
فى التأويلات النجمية اى الناسى ذكر الله بالقلب والسر والروح كما قال تعالى يوم يدعو الداع بحذف الياء
انتهى ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس او النصب او الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه
ذكر سبحانه وتعالى وسوسته اولا ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر فى قوله يوسوس
فى صدور الناس ولم يقل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع فى الصدر
ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الارادات والاوامر الى
الصدر ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب و بيته فيلقى ما يريد القاءه الى القلب فهو يوسوس
فى الصدور ووسوسته واصلة الى القلوب قال بعض ارباب الحقائق للقلب امر آ خمسة ملكية يسمون الحواس
كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وامر آ خمسة ملكوتية يسمون
ارواحا كالروح الحيوانى والروح الخيالى والروح الفكرى والروح العقلى والروح القدسى فاذا نفذ الامر
الالهى الى احد هؤلاء الامر آ من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس عليه الخواطر
والوساوس فان عزم الانسان يخرج كلا منها الى الخارج و يجريها من طرق الحواس والقوى وقوله
فى صدور الناس يدل على انه لا يوسوس فى صدور الجن قال فى آكام المرجان لم ير دليل على ان الجنى يوسوس
فى صدور الجنى و يدخل فيه كما يدخل فى الانسى و يجرى منه مجراه من الانسى (من الجنة والناس) الجنة
بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذى يوسوس على انتشروبان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن
والموسوس من النوعين واحد وهو الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس
يكون كذلك وذلك لانه يلقى الاباطيل و يرى نفسه فى صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك
الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قال فى الاستدراك المفحمة من دعا غيره الى الباطل فان ذلك تصوره
فى قلبه ذلك وقد قال تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه فاذا جاز ان توسوسه نفسه جاز ان يوسوسه غيره فان حقيقة
الوسواس لا تختلف باختلاف الاشخاص ويجوز ان يكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية
اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن انهم يعلمون الغيب و يضرون و ينفعون ومن جهة الناس كالكهان
والمنجمين كذلك وفى الجنة اشارة الى القوى الباطنة المستجنة المستورة اذ سمى الجن بالجن لاستجنانه وفى الناس
الى القوى الظاهرة اذ الناس من الايناس وهو الظهور كما قال آنست نارا وفى هذا المقام لطيفة بالغة وهى ان
المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الآفات
وهى الغاسق والنفاثات والحاسد واما فى هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة اوصاف وهى الرب والملك
والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر
كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر والمطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة
وفى هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها
على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انها اعظم مرادهم مطلوب وان سلامة
البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى الاهتمام وفى آكام المرجان سورة الناس
مشتملة على الاستعاذة من الشر الذى هو سبب الذنوب والمعاصى كلها وهو الشر الداخل فى الانسان
الذى هو منشأ العقوبات فى الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم
العبد نفسه وهو شر من خارج فالشر الاول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لانه ليس
من كسبه والشر الثانى يدخل تحت التكليف و يتعلق به النهى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب
الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده

يصنع ذلك ثلاث مرات وفى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره وليجعل العبد مفتاح ذرسه
ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ
رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم وفى استلة
عبد الله بن سلام اخبرنى يا محمد ما ابتداء القرآن وما ختمه قال ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه
صدق الله العظيم قال صدقت وفى خريدة العجائب يعنى ينبغى ان يقول القارئ ذلك عند الختم والافختم
القرآن سورة الناس وفى الابتداء بالباء والاختتام بالسين اشارة الى لفظ بس يعنى حسب اى حسبك
من الكونين ما اعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سنائى رحمه الله * اول وآخر قرآن زجه با آمد وسين *
يعنى اندر وره دين رهبر تو قرآن بس يقول الفقير ايده الله القدير ان الله تعالى انما بدأ القرآن ببسم الله وختمه
بالناس اشارة الى ان الانسان آخر المراتب الكونية كما ان الكلام آخر المراتب الالهية وذلك لان ابتداء
المراتب الكونية هو العقل الاول وانتهاؤها الانسان ومجموعها عدد حروف التهجى واول المراتب الالهية
هو الحياة وآخرها الكلام ولذا كان اول ما يظهر من المولود الحياة وهو جنين وآخر ما يظهر منه الكلام
وهو موضوع لان الله تعالى خلق آدم على صورته فكان اول الكلام القرآنى بسم الله لانه المبدأ الاول
وآخره الناس لان الانس هو المظهر الآخر والمبتدئ يعرج تعلما الى ان ينتهى الى المبدأ الاول واسمه العالى
والمنتهى ينزل تلاوة الى ان ينتهى الى ذكر الانس السافل وحقيقته ان الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهى
استجلاء وهو الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية روى عن ابن كثير رحمه الله انه كان اذا انتهى فى آخر الختمة
الى قل اعوذ برب الناس قرأ سورة الحمد لله رب العالمين وخمس آيات من اول سورة البقرة على عدد الكوفى
وهو الى واولئك هم المفلحون لان هذا يسمى حال المرتحل ومعناه انه حل فى قرآءته آخر الختمة وارتحل الى ختمة
اخرى ارغاما للشيطان وصار العمل على هذا فى اسصار المسلمين فى قرآءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الامام
احمد بن حنبل رحمه الله ان من قرأ سورة الناس يدعو عقب ذلك فلم يستجب ان يصل ختمه بقرآءة شئ وروى عنه
قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قرآءة سورة الاخلاص ثلاثا عند ختم القرآن الا ان يكون
الختم فى المكتوبة فلا يكررها وفى الحديث (من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد
فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحا فى سبيل الله تعالى) وعن الامام البخارى رحمه الله انه قال عند كل ختمة دعوة
مستجابة واذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك فى غفرانه عند الختم فليس له غفران ونص
الامام احمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما احب مستقبل القبلة رافعا يديه
خاضعا لله موقنا بالاجابة ولا يتكلف السجع فى الدعاء بل يجتنبه ويثنى على الله تعالى قبل الدعاء وبعده
ويصلى على النبى عليه السلام ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام انه امر على
ابن ابى طالب رضى الله عنه ان يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو اللهم انى اسألك اخبات المخبتين
واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم
ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار وفى شرح الجزرى لابن المصنف ينبغى
ان يلح فى الدعاء وان يدعو بالامور المهمة والكلمات الجامعة وان يكون معظم ذلك او كله فى امور الآخرة
وامور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة امورهم فى توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم
على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على اعداء الدين وسائر المخالفين وبما كان يقول النبى
عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم
ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يا رب
العالمين وكان ابو القاسم الشاطبى رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن اللهم انا عبيدك وابناء عبيدك
وابناء امائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك او علمته احدا
من خلقك او انزلته فى شئ من كتابك او استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء
صدورنا وجلاء احزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا اليك والى جنانك جنات النعيم لدارك دار السلام

مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا ارحم الراحمين يقول الفقير
رافعا يديه الى الرب القدير اللهم انى اعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك
لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقد انجزت لى ما وعدتنى انك لا تخلف الميعاد و بجلالك وبهائك
حقا واحسنت الى اذ اخرجتنى من سجن الهم وخاطبتنى عند ذلك بقولك سل تعط فجعلت منتهى سؤلى رضاك
و بشرتنى بقبول خدمتى هذه حيث قلت فتقبلها منى بقبول حسن وكنت ادعوك باتمام النعمة واكمال المنة
فلم اكن بدعائك رب شقيا فانعم على فيما بقى من عمرى القليل باضعاف ما عودتنى به قبل هذا من انواع آلائك
واصناف نعمائك واختم لى بخير وهدى ونور * وبكل بر وسعادة وسرور * وصل على نبيك الذى
هو مفتاح الخيرات * ومصباح السائرين الى منازل القربات * فى جنح الاوقات * وعلى آله
واصحابه القادة * ومن تبعهم من السادة * هذا وقد تم تحرير روح البيان
فى تفسير القرآن * فى مدة الوحى تقريبا لمن ان قسى الاقدار رمتنى الى اقاصى اقطار
الارض * وايدى الاسفار النائية تداولتنى من طول الى عرض * حتى اقامنى
الله مقام الاتمام * فجاء باذن الله التمام * يوم الخميس الرابع عشر
من جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة
ومائة والف * من هجرة من يرى
من قدام و خلف
وقلت فى تاريخه نظما
ان من من جناب ذى المنن * ختم تفسير الكتاب المستطاب
قال فى تاريخه حق الفقير * حامدا لله قد تم الكتاب
وقلت بحساب الحروف المنقوطة
وقع الختم بجود البارى
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
تاريخ فخر الموالى عبد الهادى افندى باقى زاده
ذا كتاب ندرت امثاله * لا يزم من عظم الآثار
روضة اسطرها اشجار * اثمرت فاكهة الاسرار
اسمه روح بيان حقا * راحة القلب لدى الابرار
در من الفه الله * قطب عصره وفى الاقطار
فضله الظاهر فوق الرازى * علمه الباطن كالعطار
دام بالفضل وبالارشاد * صانه الله من الاكدار
ارخ الختم بذا التاريخ * لب تفسير كلام البارى
تاريخ فخر المدرسين محمد افندى رمزى
كان تاريخ ختمه المختوم
تاريخ فخر الوعاظ السيد نورى افندى
قلنا لدى تمامه * أرخ ولله ختامه
تاريخ ابراهيم اغا صاف المدانيوى
تم باسرار خدا

يقول يرجى تصحيح الطباعه * فمن اللهم من شين طباعه

احمدك يا من هو الاول والآخر * واصلي واسلم على خاتم انبيائك الفاخر * نبي الله وسلم عليه وعلى آله الذين هم خير آله * واصحابه الواصلين الى غايات الكمال * وبعد فلا ان من الله سبحانه بالتسهيل والتيسير * وتفضل باتمام طبع هذا الجزء الاخير من كتاب التفسير * المسمى بروح البيان * في تفسير القرآن * للعلامة الإلمعي * الفهامة اللوذعي * المنتظم في سلوك السلوك * الواصل في عبوديته الى مقام الملوك * المترقي الى اعلى درجات الترقي * الشيخ ابي الفدا اسماعيل الملقب بحقي * روح الله روحه * ونور ضريحه * وكنت لم آل جهدا في تهذيب الطبع والتعديل * وتعديل مراجة في التصحيح والتعديل * حتى تخلى عما يخل ويشين * وتحلى بما يحلي ويزين * وصار بحيث تبهر محاسنه البرهان * وتنتظم شمائله عقدا لجيد الزمان * عن لي ان اطرف من نزه طرفه في رياض معانيه بطرفه * واتحف من اجتنى افنان فنون مجانيه بتحفه * تكون برهنة لي على المدعى * وتبصرة له اذا تبصر ووعى * وما تلك الا اني في مبادي التصحيح * وتمييز الفاسد من الصحيح * كان في جملة من معى من المصححين * رجل من عباد الله الصالحين * وكان كلما شاهد مني تصحيف تصحيف * او تحرى اصلاح تحريف * او تصويب خطا * او رفع ما وضع غلطا * يجزم بانه صادر من الناسخ * لا من المؤلف العالم الراسخ * اسر في نفسه الاعتراض علي * ويربما ينظر شزرا الي * وهذا لسبق فهمه * وذهاب حدسه ووهمه * الى احتمال كون الغلط والمسقط * انما هو من المؤلف فقط * فاتفق له ذات ليلة من الليال * ان اخذ مضجعه ونفعه تحدثه بهذا الاحتمال * فنام فرأى فيما النائم يراه * ان قد جاءه المؤلف طاب ثراه * وانه بعد ان انتهى اليه * وبدأ بالسلام عليه * اخذ بيده وجعل يمشي معه * الى ان وصل به الى مزرعه * فنظر فاذا هي غيضة ذات افنان * كانها روضة من رياض الجنان * بيد انه قد نجم في خلال زرعها * حشائش مما يكون صلاح الزرع بقلعها * فقال له الشيخ اكرم الله مثواه * وجعل جنان النعيم مأواه * ان هذه الحشائش ليست مما استنبت في الغيضه * ولم تكن مرادة لصاحب الروضه * وهي مستوجبة القلع * ومستحقة للرفع والخلع * فينبغي ان تساعد على قلعها ورفعها * واجتثاث اصلها وفرعها * واخذ الشيخ يقلع ويجتث * ويحثه على مساعدته كل الحث * ثم انه انتبه من نومه * وجاء الى من فوره في يومه * واخبرني بما قام بوهمه وحدسه * وما كان من حديث نفسه * وقال اني في الليلة البارحه * رأيت رؤيا صالحه * وشرع في قصها علي * وفوض امر تأويلها الي * فقلت اعلم عفا الله عني وعنك * وغفر ما كان مني ومنك * ان في هذه الاشاره * الحاصله بالطف عباره * تنبيها على ان الخطأ الذي في النسخ * انما هو صادر ممن نسخ *

فكم من ناسخ ماسخ * لحكم ما يرى ناسخ * ورب محقق شهم * كطود شامخ راسخ *

وان الشيخ يريد تنزيه كتابه * عما لا يليق بجنابه * فلله دره * قدس سره * وناهيك بها من كرامه * دلت على ما يوافق مرامه * فاياك والاعتراض * ولا تكن غير راض * وكفى بهذا التلويح * اجازة للتصحيح * وعسى الله ان يعمنا منه بالبركات * ويلهمنا الصواب في جميع السكنات والحركات * ويرزقنا العصمه * من كل وصمه * ثم اني ما زلت اتحامى الخبط * واتحرى الصحة والضبط * واراجع بعض الاصول * واكشف عن غوامض الفصول * حتى تم طبعه على احسن حال * وانتهى الى غاية الكمال * وعند ذلك قلت ما دساله واجدت * وانشأت مؤرخا وانشدت

قد بت بروحي روح البيان * ففي طيه نشر روح الجنان
هو البحر تخرج منه اللآلي * وكم لؤلؤ قد اتى من عمان
يقول لمن رام يحكيه حسنا * رويدك لا مثل لي في الحسان
فحسن البديع حقيق بحقي * وكيف يحاكي بديع الزمان
هدتك سعي الذبيح المفدى * مناك وما شان في كل شان
ولله در من عارف * عن الغامض السر كشفا بان
تباهى بتفسير نظم كريم * هو الجوهر الفرد بين الجمان

[illegible] * كؤوس سلافة [illegible] الدنان
[illegible] الا[illegible] ما فجلى * وحاز نهاية سبق الر[illegible]
[illegible] وضعا * وجاء وحيدا بسبع [illegible]
[illegible] ت ارخ * تمام نهاية روح [illegible]

٤٨١ ٤٦٦ ٢١٤ ٩٤
١٢٥٥

[illegible] الباهره * الكائنة ببولاق مص[illegible]
[illegible] ب براتب * ومسمولا برعايه
[illegible] شيبه * وسترعيبه * على [illegible] حضرة فخر التجار الكبار * ذوى
[illegible] ة المعزيه * ذات الفضيلة والمزيه * الحاج عثمان اغا جانبلاط * وفقه الله
الى سو[illegible] ضرة شريكه رئيس التجار الخيريه * بالقسطنطينية السنية النوريه *
السيد الحاج محمود [illegible] ى امير اخور زاده * ادام الله مجده وزاده * وعسى ان يكون التسبب
فى خصوص طبعه * المؤدى الى عموم نفعه * بنشر ما انطوى عليه من الاسرار * فى جميع الا[illegible]فاق
والاقطار * سببا للحصول على الخير العميم * والوصول الى دار النعيم * والفوز بالاحسان
والخيرات الحسان * وكان تمامه اثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة الحرام * سنة خمس
وخمسين ومائتين بعد الالف من هجرة خاتم الرسل الكرام * صلى الله وسلم عليه
وعلى آله * واصحابه المكملين بكماله * ما تم بدر * وكمل قدر

تم ان اتيت فى هذه الزيادة * بكلتا
اشهد ان لا اله الا الله * وا
يوم الندم على ما فرط * راجيا ان
وديعة لى عند مر